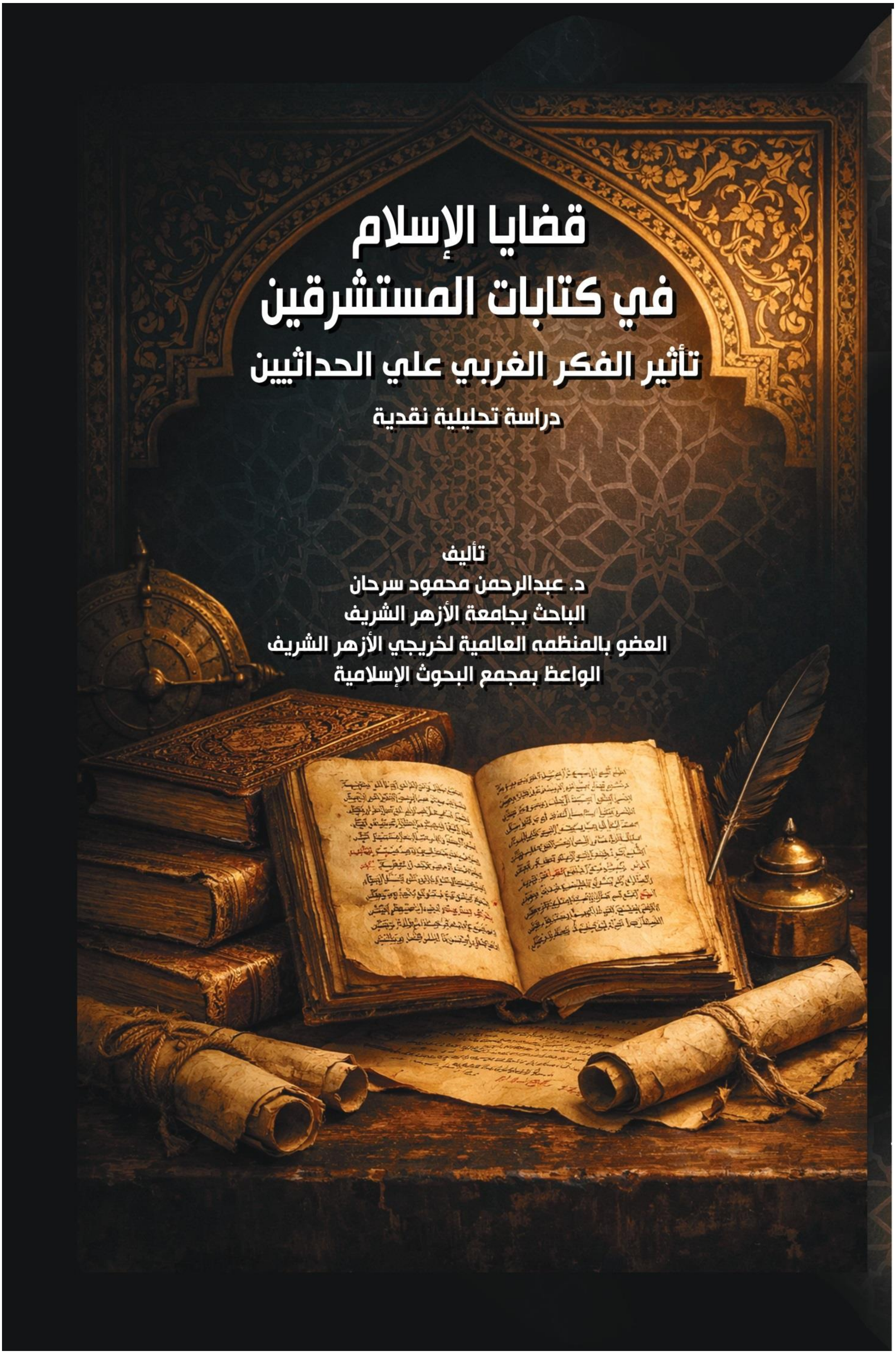
قضايا الإسلام
في كتابات المستشرقين
تأثير الفكر الغربي علي الحداثيين
دراسة تحليلية نقدية



تأليف
د. عبدالرحمن محمود سرحان
الباحث بجامعة الأزهر الشريف
العضو بالمنظمه العالمية لخريجي الأزهر الشريف
الواعظ بمجمع البحوث الإسلامية

الكتاب: قضايا الإسلام في كتابات المستشرقين

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين دراسة تحليلية نقدية

المؤلف: عبدالرحمن محمود محمود ابراهيم سرحان

الطبعة الأولى ٢٠٢٦

بلد النشر: جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع: 2146 / 2026

الترقيم الدولى: 978-977-95-5670-3

هاتف: 002/01005410582

واتساب: 002/01111289709

صفحات التواصل الاجتماعى والسوشيال ميديا: الداعية عبدالرحمن سرحان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

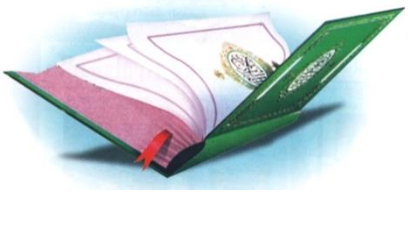
قَالَ تَعَالَى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ

هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ

مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ

وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ سورة آل عمران، الآية ٧



شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أشرف الخلق وسيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه وسار على هديه إلى يوم الدين.

فإيماناً بقول الحق تبارك وتعالى "**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**" "[1]"، وإيماناً بقول سيدنا محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من حديث أبي هريرة –رضى الله عنه– :"مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ""[2]"،أتقدم بخالص الشكر والعرفان أولاً وأخيراً **لله رب العالمين** على نعمه الفياضه، وكريم عونه، وحسن توفيقه، وعلى ما فتح به عليَّ من إنجاز لهذا **الكتاب والذي أصله رسالة العالمية(الدكتوراه) في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف**، بعد أن يسَّر كل عسير، وفرَّج الهموم، وكشف الغموم .

كما أشكره سبحانه وتعالى على تفضله عليَّ **بوالدين كريمين**، كانا خير سند لي طيلة حياتى الدراسية من تشجيع ودعاء وصبر وعطاء، فمن حب والدى للأزهر وعلمائه إلتحق بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا، وحصل على رسالة العالمية الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، أما أمي فقد إلتحقت بقسم الدراسات الأسيوية بجامعة الزقازيق، ودرست على يد علماء الأزهر الشريف، مما شد أزري علي مواصلة هذا الطريق، فهاهى رسالة أبعثها مليئة بالحبّ والتّقدير والاحترام، ولو أنّني أوتيت كلّ بلاغة، وأفنيت بحر النّطق في النّظم والنّثر، لما كنت بعد القول إلا مقصّراً، ومعترفاً بالعجز عن واجب الشّكر. لو كان العمر يُهدى لما بخلت به عليكما، فأسأل الله سبحانه أن يجعل ما قاما به في ميزان حسناتهما، وأن يمد في عمرهما على عمل صالح، وأن يعينني على برهما.

(1) سورة إبراهيم: الآية ٧

(2) مسند الإمام أحمد، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق العلامة: أحمد محمد شاكر،(٧/٢٩٥برقم٧٤٩٥)،دار الحديث – القاهرة، الطبعة : الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، وقال الشيخ/أحمد محمد شاكر: حديث حسن صحيح،ينظر:نفس المرجع (٧/٢٩٥برقم٧٤٩٥).

كما لا أنسي في هذا المقام أن أسجل شكرى وتقديرى إلى **أساتذتي الأفاضل بكلية أصول الدين والدعوة**، وأخص بالشكر **أساتذة قسم الدعوة والثقافة الإسلامية**، الذين كانوا عوناً لى على إتمام هذا البحث، فلهم مني كل الشكر والعرفان.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى **زوجتى الغالية**، زوجتى التى صبرت شهوراً طوالا، وتعبت كثيراً من أجل تهيئة الجو المناسب لاستكمال رسالتى العلمية، فكما أخبرنا المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ:«الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»[١]،فكانت رفيقة دربي، ونبض قلبي، جزاها الله تعالى عنى خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الوفير إلى **أهلى وإخوتى وأقربائي وزملائي**، وأسأل الله عز وجل أن يحفظهم وأن يبارك لهم في أهلهم. **وفي الختام** أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، فقد حرصت على إخراجه في أكمل صورة قدر طاقتى، فإن كان كذلك فبفضل من الله وحده، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان.

وصلى الله على رسولنا ونبينا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[١] صحيح مسلم ،للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)،كِتَابُ الرِّضَاعِ،،بَابُ خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ(٢/١٠٩٠برقم١٤٦٧)،مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة الأستاذ هاشم محمد علي مهدي المستشار برابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة،دار المنهاج – دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩ م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وعلى آله البررة الكرام وصحابته الأئمة الأعلام، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فلقد بلغت الدولة الإسلامية في أوج عظمتها وقوتها في عصر الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وخلفائه الراشدين ومن بعدهم من الدولة الأموية والعباسية، ثم ما لبث أن دب التفرق والتشتت في الأمة الإسلامية، فنشأت فرق القدرية، والخوارج، والشيعة، وانتشر فكر الإرجاء، ونشأت الحركات الباطنية التي كانت تهدف إلى تقويض دعائم الدولة الإسلامية الفتية، وكثرت الفرق والطوائف، ومن ثم ظهر بعد ذلك بعض المستشرقين الحاقدين على الإسلام لبث سمومهم للنيل من الإسلام والمسلمين.

لقد عمل هؤلاء المستشرقون بناءً على ما تأولوه وحرفوه بعقولهم من فتات أفكار الفرق البائدة، وإظهار الحزن والتباكي على التراث الإسلامي المفقود، وما اشتغلوا به من التنقيب والبحث عن كنوزه الضائعة على بلورة أفكار الباطنية، ونفض الغبار عن الهراطقة من الفلاسفة، وتحقيق كتب أصحاب البدع والأهواء والنحل، وما الغرض إلا تمزيق الأمة الإسلامية وتشتيتها.

لقد تصدى **المستشرقون** للنيل من الإسلام وأهله، فشاركوا في الاستعمار على البلاد الإسلامية وتحدثوا حول القضايا الإسلامية، فتولوا الإشراف على إلقاء المحاضرات عن الإسلام في المجامع والجامعات، وقد جُمعت تلك المحاضرات في كثير من المؤلفات، فمنها ماتحدثوا فيه عن شخصية النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، واقتباسه من أحكام الجاهلية وقوانين الساسانيين، وإنكاره لأحاديثه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فهم **ينكرون** مصدراً أساسياً من مصادر التشريع الإسلامى.

ومنها ما تحدثوا فيه عن الشريعة الإسلامية وادعوا أنها متأثره في أحكامها ومعاملاتها بالقوانين الرومانيه، وأنها مستمدة من التلمود والفرق النصرانية.

ومنها ما تحدثوا فيه عن القرآن الكريم: أنه تطور للنثر عند العرب، وهى من أخطر القضايا المثارة في الجدل اللاهوتى الذي شهده التاريخ الاسلامى في العصر الأموى والعباسي، بل إن هذه القضية لاتزال تحتل موقعا راهناً في السجال حول كيفية قراءة النص الديني.

ومنها ما تحدثوا فيه عن الفرق الإسلامية والمذاهب الإسلامية الأخرى كالمعتزلة التى خالفتهم في مسألة خلق القرآن. وتعظيم دور الفرق الإسلامية في الحيـاة الإسـلامية، والتهويل من شأن تأثيرها في المجتمع الإسلامي، للنيل من وحدة الإسلام كدين، ومن وحدة المجتمع الإسلامي، ووحدة الحضارة الإسلامية.

ومنها ما تحدثوا فيه عن تأثر الثقافة الإسلامية بأوروبا، وعن لهجات العرب العامية والأدب العربي، ومنها ما تحدثوا فيه عن علم الفلك وما اتهم فيه المسلمون من تأثرهم بعلم الفلك الغربي والأوربي وتأثير الفرس والرومان على المسلمين، إلى غير ذلك من القضايا التى أثاروها حول الإسلام **وتأثر بها الكثير والكثير من أصحاب الفكر الحداثي المعاصر فأخذوا يرددون أقوالهم، ويروجون لها بين المسلمين، ويعدونها حقائق علمية مسلمة، ويعلمونها طلابهم من المسلمين، ويكتبون فيها المؤلفات، مفتتنين بها مع ما يرون من تحاملها وتعصبها ضد الإسلام.**

ولذا ومن واجب الدفاع عن الإسلام وقضاياه، أردت أن ألقي الضوء على بعضٍ من هؤلاء المستشرقين الذين كان لهم **دورٌ بارز** في هذا المجال، مع ذكر مايُحسب لهم من مواقف إيجابية حول قضايا الإسلام، فجاء كتابي بعنوان وعنوانه(**قضايا الإسلام في كتابات المستشرقين وتأثير الفكر الغربي على الحداثيين دراسة تحليلية نقدية**).

<u>أولاً: إشكالية الموضوع</u>

يمكن تحديد إشكالية هذا الموضوع من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

١-ما تصنيف هؤلاء **المستشرقين** من خلال مصنفاته؟

٢-إلى أى مدى نجح **المستشرقون** في أداء المهمة المنوط بها؟

٣-مدى استفادة الفكر الحداثي المعاصر من شبهات **المستشرقين**؟

<u>ثانياً:أهمية الموضوع</u>

<u>وترجع أهمية الموضوع إلى:</u>

١- أثر **المستشرقين** الكبير في تشويه صورة الاسلام في الفكر الغربي.

٢- بيان أن منهج المستشرقين عموماً هو الاعتماد على النصوص المبتورة عما ورد في موضوعها، لإغفال الحقائق ، والتعويل على مصادر ليست في مستوى البحث العلمي.

٣-بيان أن غرض المستشرقين المتعصبين هو تمزيق الإسلام من داخله وتشتيته من خلال بث سموم الأفكار الباطنية والحلولية، والفلاسفة، والمعتزلة.

<u>ثالثاً:أسباب اختيار الموضوع</u>

١-أردت خدمة الإسلام من خلال الوقوف على نتاج بعض المستشرقين الذين حاولوا الطعن في الإسلام، وإثارة الجدل حول مصادره وقضاياه، وتراث المسلمين، وكذا إلقاء الضوء على منهجه في التعامل مع التراث الإسلامى.

٢-تفنيد الآراء المغلوطة ودفع الشبهات التى أثارها هؤلاء **المستشرقون** حول الإسلام بموضوعية وتجرد وفق منهج علمى منضبط.

التمهيد:

ويشتمل على:

١- تحرير المراد من قضايا الإسلام.

٢- تحرير المراد من الاستشراق.

أولاً: تحرير المراد من قضايا الإسلام

ويرجع مفهوم **قضايا الإسلام إلى:**

مفهوم القضايا لغة:

القضِيّة جمع قَضِيَّات وقَضَايا: موضوع، و مسألة، تقول "قضِيّة وطنيَّة- القضِيّة الفلسطينيّة- قَضَايا الساعة في العالم- قضيَّة السلام".[1]

تقول"شَرَحَ قَضِيَّتَهُ" : أَيْ مَسْأَلَتَهُ الَّتِي تَطْرَحُ جَوَانِبَ مِنْ حَالَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى حَلٍّ أَوْ يُتَنَازَعُ فِيهَا.[2]

مفهوم القضايا اصطلاحاً:

هى الموضوعات التى تطرح مسائل تتعلق بالصدق والكذب كالمسائل الخبرية، ويدخل فيه الأخبار المقطوع بصدقها بداهة وعقلًا كالمسائل الدينية.[3]

مفهوم الإسلام لغة:الإسلام: يقال في اللغة: أسلم: دخل في دين الإسلام[4].

---

[1] معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)،(٣/١٨٣٠) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

[2] معجم الغنى، لعبد الغني أبو العزم (٢٠٧٤٨) دار الكتب العلمية ،الطبعة : الأولي، ٢٠١٣م.

[3] الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٢ - ٨٩٣ هـ)،(٣/٣٢٥)، المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

[4] تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)،(٣٢/٣٨٥)،المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

مفهوم الإسلام اصطلاحاً: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.[1]كما جاء في الحديث الشريف: «الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».[2]

وبهذا يظهر أن قضايا الإسلام: هى المسائل الدينية المتعلقة بالعقيدة والشريعة والأخلاق.

[1] المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، لأبو يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ)،(صـ٢٠١)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

[2] صحيح مسلم، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، (١/٣٦برقم٨).

ثانياً: تحرير المراد من الاستشراق

أولا: الاستشراق لغة:

إن الاستشراق معناه بالإنجليزية(Orientalism) ، وهو مشتق من مادة شرق، عكس الغرب ومنه مشرق الشمس. فمعنى الاستشراق لغة: **طلب الشرق.**[١]

ومن هنا تدل كلمة الاستشراق على علم الشرق، والاهتمام بما يحتوي عليه الشرق من علوم ومعارف وثقافات وميزات وسمات حضارية متنوعة. فالمستشرق هو الإنسان الذي وهب نفسه للبحث والاهتمام بما يتعلق بالشرق، وما يدور فيه من علوم ومعارف وقيم وحضارات، وفي مجالات مختلفة .[٢]

ثانيا: الاستشراق اصطلاحا:

إن الباحثين قد اختلفوا كثيرا في تعريف الاستشراق والمستشرق، وذلك لاختلافهم في تحديد معنى الشرق. ولعل أحسن تفسير لكلمتي الشرق والغرب حضاريا، ماذكره أحد الباحثين حين قال: "أما الغرب فهو اصطلاح حديث جرينا فيه على ما اصطلح عليه الأروبيون في عصور الاستعمار من تقسيم العالم إلى شرق وغرب ويعنون بالغرب أنفسهم، ويقصدون بالشرق أهل آسياو أفريقيا، الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم واستعمارهم، وجرينا نحن على هذا الاستعمال. لكن الكلمة وإن كانت حديثة اصطلاحا واستعمالا فهى قديمة في مفهومها ودلالتها فقد كانت في العالم منذ زمن قديم قوتان متصارعتان إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب. ويمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، ثم فى الصراع بين المسلمين والروم، ثم فى الصراع بين المسلمين والصليبيين، ثم

---

[١] ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، ص ٥٥، طرابلس المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط/١، ١٩٨٤م.

[٢] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، صـ١٨، الكويت سلسلة كتاب الأمة ، ط١، ١٤٠٤هـ

فى الصراع بين العثمانيين والأوربيين مدا وجزراً ثم كان آخر فصول هذه الملحمة العلاقات والصلات بين الشرق ممثلا في آسيا وأفريقيا، وبين الغرب ممثلا في أوربا وأمريكا [١]

فالخلاصة: الشرق هو مجموعة الأقطار الآسيوية والأفريقية، والغرب هو مجموعة الأقطار الأوربية والأمريكية.

وفي اصطلاح بعض الباحثين الخاص، منهم الدكتور محمد فتح الله الزيادى الشرق هو مجموعة الأقطار التي تغلب على سكانها الصفات التالية في الديانة الإسلام، وفي الحالة الاقتصادية: الفقر، وفي الحالة السياسية: التعرض لألوان من الاستعباد والاستعمار من قبل غيرهم، وفي الحالة الاجتماعية تشابه في السلوك والعادات والتقاليد، وبالمقابل الغرب هو مجموعة الأقطار التي تغلب على سكانها الصفات التالية في الديانة المسيحية، وفي الحالة الاقتصادية: الغنى، وفي الحالة السياسية حمل النظرية الاستعمارية والاستدمارية، وفي الحالة الاجماعية تشابه في السلوك والعادات والتقاليد[٢].

مفهوم الاستشراق عند العلماء والباحثين:

ذهب العلماء والباحثون إلى مذاهب شتى، وأبدوا آراء متنوعة حول مفهوم الاستشراق اصطلاحا، نتيجة اختلافهم في تحديد وتعيين مفهوم الشرق نفسه. فنذكر أهم هذه الآراء فيما يلي:

١–قال الدكتور إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق: إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمى استشراقاً فالاستشراق هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار

---

[١] ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، ص ٥٧–٥٨ . و الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين، صـ١١، دار الإرشاد، بيروت، ط ١ ، ١٩٦٩م

[٢] مذكرته لمادة الاستشراق، د. محمد فتح الله الزيادي، صـ٢، كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، ١٩٨٦م.

تقريرات حوله ووصفه ودراسته والاستقرار فيه والسيطرة عليه وحكمه. وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه.[1]

٢-وفي رأي الدكتور محمد فتح الله الزيادي الاستشراق " هو دراسة الشرق عموما ودراسة الإسلام والمسلمين خصوصا بقصد التشويه والتشكيك.[2]

٣-وقال الدكتور شكري النجار: "إن الاستشراق هو أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه، ومحاولة إعادة توجيهه والتحكيم فيه.[3]

٤-قال الدكتور محمود حمدي زقزوق: "الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة " مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه، فى لغاته وآدابه وحضارته وأديانه. ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاسشراق الذي يعنى الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده و تشريعاته وحضارته بوجه عام. وهذا المعنى هو الذى ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق.[4]

والذي يتبادر إلى الذهن أن الاستشراق هو دراسة الإسلام والمسلمين والعرب من قبل غير المسلمين خاصة بقصد التشويه والتشكيك فيه، لأن معظم بحوث هذه الفئة ودراساتهم تركزت عليها.[5]

---

[1] الاستشراق، لسعيد إدوارد، ص ٧٨ (نيويورك ١٩٧٨م، بالانجليزية، نقلا عن موقع مدينة سنتر)

[2] ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، ص ٦١-٦٢

[3] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،لمحمود حمدى زقزوق، ص ٢٠

[4] لم الاهتمام بالاستشراق ،لشكري النجار، ص ٧١ ، مجلة الفكر العربي، العدد٣١ ، ١٩٨٣م. و الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، لمحمود حمدى زقزوق، ص ١٨

[5] ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، ، ص ٥٥-٦٢

فمن هو المستشرق؟

وقد قلنا إن الباحثين اختلفوا في تحديد معنى الشرق، وعنه نشأ اختلافهم في تحديد مفهوم الاستشراق والمستشرق، فعرف كل منهم حسب وجهة نظره، وفيما يلي نلخص بعض تلك التعاريف:

١- قال الدكتور / إدوارد سعيد: "المستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه.[١]

٢-وقال الدكتور / محمد محمد حسين: "إن اصطلاح المستشرقين اصطلاح واسع يشمل طوائف متعددة من الباحثين والعلماء، الذين يعملون في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب واللغات والديانات والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق، مثل الهند والفرس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من الأمم والشعوب.[٢]

٣-قال المفكر الإسلامي مالك بن نبي: "إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.[٣]

٤-قال الدكتور / علي الخربوطلي: المستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية.[٤]

٥-قال الأستاذ محمد كرد علي المستشرقون هم من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه.[٥]

٦-وقال الأستاذ/ منير البعلبكي في قاموس المورد: المستشرق هو الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته.[٦]

---

[١] الاستشراق، لسعيد إدوارد، ص ٧٨

[٢] الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين، ص ١١

[٣] إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، لمالك بن نبي، ص ١٠ مكتبة عمار، القاهرة ، ١٩٧٠م

[٤] المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. علي الخربوطلي، ص ١٢،جمعية الدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٦م

[٥] مجلة المجمع العلمي، محمد كرد علي، ص ٧٥، دمشق: المجلد (٣)

[٦] قاموس المورد، لمنير البعلبكي، كلمة : المستشرق ، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨٥م)

٧-وقال الدكتور محمد فتح الله الزيادي: "المستشرق كل متخصص غربي في البحث والدراسة حول الإسلام والمسلمين بقصد التشويه والتشكيك فيه.[١]

فالخلاصة : أن المستشرق هو كل من يتخصص في بحث ودراسة كل ما يتعلق بالشرق خاصة الإسلام والمسلمين.

نشأة الاستشراق وتطوره:

لاشك في أنه من الصعب جدا تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، وليس هناك دليل قاطع يدل على البداية الحقيقية والمنظمة للاستشراق فاختلف الباحثون في نشأته وبدايته. ربما ذلك بسبب اختلافهم حول مفهوم الاستشراق أو بيان الأسباب والدوافع أو بداية الاستشراق بمحاولة فردية أو منظمة. ونلخص فيما يلي بعض تلك الآراء:

١- هناك من قال: إن الاستشراق بدأ في القرن السادس قبل الميلاد، ويراد به زيارة الشرق والسفر إليه والاطلاع على تقاليده وتاريخه ثم الكتابة عنه ، بغض النظر عن الجانب الديني أو السياسي أو العلمي، كالمؤرخ اليوناني الإغريقي " هيردوتس" يعتبر أول مستشرق لأنه زار الشرق و كتب عنه في القرن السادس قبل الميلا د.[٢]

٢-يقول بعض الباحثين : إن الاستشراق بدأ في القرن السابع الميلادي في العهد الأموي حيث قام العالم النصراني يوحنا الدمشقي (٦٨٦-٧٤٩م) بدراسة الإسلام بقصد التشويه والتشكيك، ولأجل حماية إخوانه النصارى. ومن كتبه محاورة مع المسلم، وإرشادات النصارى في جدل المسلمين. [٣]

---

[١] مذكرته لمادة الاستشراقد. د. محمد فتح الله الزيادي، ص ٥

[٢] الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، د. ساسي سالم الحاج، (١/ ٢٨)، بيروت: دار المدار الإسلامي،ط ١ ، ٢٠٠٢م)

[٣] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،لمحمود حمدى زقزوق ، ص ١٩

٣-قال البعض : إن الاستشراق انطلق من الأندلس في القرن الثامن الميلادي، حيث دخلها المسلمون في عام ٧١١م، واحتك سكان أوربا من المسيحيين وغيرهم مع المسلمين، واختلطوا معهم اختلاطا علميا وثقافيا في جامعات المسلمين ومعاهدهم ومدارسهم هناك، وتتلمذوا عليهم، ثم رجعوا إلى بلادهم وأوساطهم متأثرين بالثقافة الإسلامية.[١]

٤-وقال الآخرون: إنه بدأ في القرن العاشر الميلادي، حيث توافد رجال من أوربا إلى الأندلس ودرسوا في جامعات المسلمين اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية ، وكذلك الطب والكيمياء والفلسفة والرياضيات وغيرها من العلوم التجريبية، ثم قاموا بترجمة الكتب العربية إلى لغاتهم، وعلى رأسهم الراهب الفرنسي جربرت.[٢]

٥-قيل: إنه بدأ في القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك حين ترجم الراهب الإنجليزي" هرمان" القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام ١١٤٣م، وكما صدر أول قاموس عربي لاتيني في هذه الفترة.[٣]

٦-وقيل: بدأ الاستشراق في القرن الثالث عشر الميلادي، وذلك بعد انتهاء الحروب الصليبية التي بدأت عام ١٠٩٥م، وانتهت عام ١٢٩١م بهزيمة نكراء للصليبيين، فتوجهوا إلى دراسة أسباب غلبة المسلمين وفوزهم. وهكذا بدأ الاستشراق.[٤]وقيل: بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي، وهو بداية الاستشراق الرسمي، حيث صدر قرار من مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدة جامعات أوربية.[٥]

---

[١] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،لمحمود حمدى زقزوق ، ص ٢٠

[٢] الاستشراق والمستشرقون، د. مصطفي السباعي، ص ١٤ (بيروت: المكتب الإسلامي، ط/٢، ١٩٧٩م)

[٣] المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، د. محمد صالح البنداق، ص ٩٠ (بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٩٨٠م)

[٤] الفكر الإسلامي الحديث ، د. محمد البهي، ص ٥٣٢ (بيروت: دار الفكر ، ط/ ٦، ١٩٧٣م)

[٥] الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي، ص ٢٦ بيروت: دار قتيبة، ط/٢، ٢٠٠٢م

٧-وقيل: بدأ في القرن السادس عشر الميلادي، وهو ما يسمونه فترة الإصلاح الديني، وفيها بدأ اتصال الغرب المسيحى بالشرق المسلم اتصالا اقتصاديا - سواء في كشف كشف موارد الثروة فيه أو في استغلالها ونقلها إلى الغرب في صورة تبادل تجاري أو في صورة أخرى.[١]

٨-وقيل: بدأ في القرن الثامن عشر الميلادي أي بالتحديد بعد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، حين جاء نابليون (Napoleon Bonaperte) إلى مصر، وحمل معه عددا كبيرا من العلماء، كما حمل معه مطبعة عربية ساعدت هؤلاء العلماء في القيام بأبحاث متعددة وطبعها ونشرها.[٢]

وهذه أقوال العلماء والباحثين باختصار حول نشأة الاستشراق، لكنه من العسير جداً بل من غير الممكن تحديدها تحديدا زمنيا أو مكانيا. [٣]

أهداف الاستشراق:

مما سبق قد عرفنا أن الاستشراق هو القيام بدراسات وبحوث حول الشرق وما يتعلق به من دين وعقيدة وعلم وفن وثقافة وحضارة وتقليد وغيرها، وكما عرفنا أن المستشرقين قد بذلوا جهوداً كبيرة وأموالا طائلة، بل بعضهم قد أفنوا حياتهم في مثل هذه الدراسة. فبعضنا يندهش ويتعجب فيتساءل: ما الذي يدعو الباحث الغربي إليه؟ ما الذى يحمله على ذلك؟ وما هي الأهداف التي ينشدها وترمي إليها؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول: إن معرفة الدوافع الحقيقية هي التي تحدد الهدف الذي يسعى إليه المستشرقون من خلال دراساتهم وبحوثهم حول الشرق، وبالأخص الإسلام والمسلمين، فهذا العدد الهائل من المستشرقين في عديد من بلاد العالم الذين سخروا كل جهودهم، بل أفنوا أعمارهم في

---

[١] أساليب الغزو الفكري، د. علي جريشة، ص ١٩، القاهرة : دار الاعتصام، ط/١، ١٩٧٧م)

[٢] المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. علي الخربوطلي، ص ٢٨

[٣] -ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، ، ص ٦٢-٦٣

دراسة وتحليل حضارة غريبة عنهم، بالتعاون مع الدوائر الاستعمارية التي تغدق عليهم الأموال وتمدهم بكل الإمكانيات. ولاشك أن كل ذلك يحمل في طياته أهدافا كثيرة يسعى هؤلاء الغربيون إلى تحقيقها والاستفادة منها. ويمكن لنا أن نصنف هذه الأهداف إلى هدف ديني وهدف اقتصادي أو تجاري وهدف سياسي وهدف علمي وغيرها.

أما الهدف الأول فهو الهدف الديني:

يتبين لدى كل باحث عن الاستشراق دون شك وارتياب، أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الاسلامية والعربية في أوربا.[١]وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، **ويتمثل هذا الهدف الديني في اتجاهات ثلاثة وهي:**

أ – محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها، وإعطاء صورة مشوهة عنه، والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والإنقاص من قيمته والحط عن قدر نبيه صلى الله عليه وسلم.

ب – حماية النصارى من خطر الإسلام – حسب زعمهم – بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

ج – تنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم عن طريق التشكيك في كتابهم ونبيهم ودينهم وتراثهم وحضارتهم.[٢] ولتحقيق هذا الهدف قام المستشرقون بالخطوات التالية:

أولا: التشكيك في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فينكر جمهور المستشرقين أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم نبيا موحى إليه من عند الله – تبارك وتعالى –، ويحاولون بكل جهودهم إبعاد صفة النبوة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتخبطون في تفسير ظاهرة الوحي التي كان

---

[١] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،لمحمود حمدى زقزوق ، ص ٨٦

[٢] المرجع السابق، ص ٨٧

يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي وبخاصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي حينا بعد حين، ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي وهكذا. وبالرغم من أنهم لا ينكرون ظاهرة الوحي عامة والأنبياء كلهم من النصارى أو اليهود وهم يعترفون بهم. كما قال المستشرق نولدكه: إنها نوبات الصرع تعتري على محمد من حين لآخر.[١]

ثانيا: التشكيك في مصدر القرآن الكريم وصحته : فهم يرون أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – استمد القرآن من الكتب اليهودية والنصرانية، وينكرون أن يكون القرآن كتاباً منزلا عليه من عند الله – عز وجل – . وحين يفحمهم بما جاء في القرآن من حقائق علمية ويواجهون بالردود العلمية الصحيحة، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي وعبقريته وقوة بيانه فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه.

ثالثا: التشكيك في الدين الاسلامي نفسه فهم يقولون: إن الدين الإسلامي ليس دينا منزلا من عند الله، بل هو دين مستمد من الديانتين اليهودية والمسيحية، وليس لهم في ذلك مستند ولا دليل يؤيده البحث العلمي، وإنما هي ادعاءات باطلة مثل بعض نقاط الالتقاء بين الإسلام والديانات لسابقة، وإتصال النبي بعناصر يهودية ومسيحية. قال المستشرق اليهودى "جولد زيهر: إن تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، والتي تأثر بها تأثرا عميقا.[٢]

رابعا: التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون، ويمثل دعامة متينة من دعائم الشريعة الإسلامية، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع. فيستند هولاء المستشرقون

---

[١] الاستشراق والمستشرقون، د. مصطفي السباعي، ص ٢٣-٢

[٢] العقيدة والشريعة، لجولد زيهر ، نقلا من كتاب ظاهرة انتشار الإسلام للزيادي، ص ٩٤

بما دخل على الحديث النبوي من وضع و دس وتحريف، متناسين جهود العلماء المسلمين في تنقية وتمييز الحديث الصحيح من غيره، وإثبات ما نسب إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري. وقد دحض وفند افتراءاتهم الزائفة الدكتور مصطفى السباعي في كتابه " السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.

خامسا: التشكيك في معظم جوانب التراث الاسلامي العلمي والحضاري، فهم يزعمون أن الفقه الاسلامي قد استمد من الفقه الروماني. وقد بين علماؤنا الباحثون المحققون تهافت هذه الدعوى وفيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد في لاهاى من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وليس مستمدا من أى فقه آخر، ما يفحم المتعصبين منهم، ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا. كما يرون أن اللغة العربية غير قادرة على مسايرة التطور العلمي حتى تظل اللغة العربية عالة على المصطلحات الغربية، التي تشعر بفضلهم وسلطانهم الأدبي، وتشككهم في غنى الأدب العربي وإظهاره مجدبا فقيراً لتتجه الأمة العربية والإسلامية إلى آدابهم. وهذا هو الاستعمار الأدبي. وكل ذلك كان بهدف إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم الفكري والحضاري وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا حتى يتسنى للاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته الدخيلة بينهم.[١]

الهدف الثاني: الهدف الاستعماري:

عندما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وفشلهم – وهي في الحقيقة حروب استعمارية وإن كانت كحروب دينية – لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد الإسلام والعرب. فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد، وجندوا لها علماء بارزين يبحثون عن كل شأن من شئونها من عقيدة وتقاليد وعادات وأخلاق وثروات وغيرها، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيستغلوها.

[١] ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي ، ص ٩٥-١٠١

ولما تم الاستيلاء والسيطرة على البلاد الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، بدأ المستعمرون في تشجيع الدراسات الاستشراقية نظراً لحاجتهم الملحة إلى فهم أوضاع المسلمين في البلاد التي استعمروها. حتى يتسنى لهم العمل لإضعاف روح المقاومة والوعي التحرري لديهم وبث الفرقة والوهن في صفوفهم. وقد اتخذوا لذلك وسائل عديدة، أهمها التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث، وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية وحضارية وثقافية عادات والتبشير بحضارة الغرب المادية وما عندهم من عقائد وثقافات باطلة زائفة والانفتاح عليها والميل إليها، و كذلك تفتيت وحدة المسلمين عن طريق إحياء مفاهيم جديدة تثير الفرقة والشقاق، وتزكي الحساسيات الدينية والطائفية مثل: القومية والشعوبية الحزبية التي منع عنها الإسلام لمتبعيه فاتحدت صفوفهم وازدادوا قوة وعزا وكرامة وشرفاً، وذلك بقوة الإيمان والعقيدة والثقافة. وأما الاستعمار فأراد أن يفرق ويشتت بين صفوف المسلمين تنفيذا لمبدأ فرق تسد.

ولعل أخطر خطة استعمارية حاول المستشرقون وأتباعهم تنفيذها، هي محاولة القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن و أحد المقومات الأساسية للوحدة العربية الإسلامية. فلقد تعرضت هذه اللغة إلى محاولات عديدة كادت أن تعصف بها وتطمسها في أجزاء كثيرة من بقاع العالم العربي، مثل تونس والجزائر والمغرب في عهد الاستعمار الفرنسي، وفي الوقت الحاضر يقوم المستشرقون بتوجيه الدراسات العليا في كثير من الجامعات الغربية من دراسة الفصحى إلى دراسة العامية، وتعميق البحث في اللهجات المحلية أمثال المستشرق ويلكوكس وويلمور، وتابعهم في ذلك بعض الباحثين العرب مثل سلامة موسى ولطفي السيد. [١]

الهدف الثالث: الهدف السياسي:

إن الدافع السياسي للمستشرقين يرتبط بالدافع الاستعماري، إلا أن الدافع الاستعماري قد انتهى تقريباً. وأما الدافع السياسي فمازال قائما. وذلك أن الدول العربية والإسلامية قد تخلصت وتحررت من نير الاستعمار بعد كفاح قوي ونضال متواصل، وأصبحت دولا مستقلة. وعندئذ أقيمت العلاقات

---

[١] الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندى ، ص ٣٠،دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٠م.

الدبلوماسية بين البلاد الغربية والدول الإسلامية، فاقتضت السياسة الاستعمارية الغربية والتفكير الاستعماري أن يكون في كل سفارة من سفاراتها أو قنصلياتها لدى الدول الاسلامية سكريتر أو ملحق ثقافي أو ملحق سياسي من الرجال الذين لهم باع طويل في الدراسات الاستشراقية ويحسنون اللغة العربية أو لغة أهل البلد، كي يتحملوا مهمة الاتصال برجال الفكر والثقافة والصحافة والسياسة، والامتزاج بهم والتعرف على أفكارهم واتجاهاتهم. ومن ثم بث الاتجاهات والرؤى السياسية فيهم حسبما تريده دولتهم حتى يكونوا أداة منفذة طيعة لكل مخططات الاستعمار وأساليبه. وكان هذا هو العامل الرئيسي والأساسي في تفجير الكثير من الصراعات الفكرية والسياسية في البلدان الإسلامية التي نتج عنها تغيير في الحكومات أو تغيير في بناء هيكل الدولة. وكذلك الانقلابات العسكرية والفتن التي تحدث في بعض الدول. يقول بعض الباحثين لقد كان المستشرقون في اتصال دائم بوازرة الخارجية ووزارة المستعمرات لمعرفة القرارات الجديدة وإن هذه البعثات التي يقومون بها إلى بلاد الشرق بين حين وآخر ليست بعثات علمية وإن ادعوا ذلك.

إن بعض المستشرقين كان هدفهم تأييد الغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية وتزويد الحكومة الغربية بمعلومات عنها، لتسهيل عملية الاستعمار وإحباط المقاومة الوطنية. فبعد استقلال الدول الإسلامية وخروج المستعمرين عن هذه البلاد سعت الحكومات الغربية لإبقاء العلاقات السياسية بينها وبين هذه الدول، فوظفت المستشرقين وعينتهم كسفراء أو موظفين في بعثاتها الدبلوماسية مسئولين وأعضاء في وفود أو بعثات علمية أو غيرها. فبهذه الوسيلة توغل بعض المستشرقين إلى البلاد الإسلامية، واتصلوا بالعناصر الوطنية البارزة من السياسين والقادة والصحافيين والمثقفين والعلماء، فبثوا فيهم الأفكار أو السياسة الغربية، وبذلك أصبحوا أداة طيعة للإسعمار والمستعمرين لتنفيذ سياساتهم في البلاد الإسلامية. وفي هذا المجال كان هدف المستشرقين هدفا سياسياً، ودعمتهم الحكومات الغربية. [١]

[١] الاستشراق أهدافه ووسائله د. محمد فتح الله الزيادي، ص٣٣-٤٣

الهدف الرابع : الهدف التجاري أو الاقتصادي:

وهذا الهدف قد ظهر في عصر ما قبل الاستعمار الأوربي للعالم الإسلامي، واستمر حتى بعد استقلاله بعد أن كان الأوربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التي كانت في طريقها للازدهار. ولذا كان من الضروري السفر والتنقل إلى البلاد الإسلامية، والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية وطبائع وميول

سكانها، حتى يتمكنوا من التعامل على بصيرة مع تلك البلاد، ويحققوا من خلالها ما يرمون إليه بجعل هذه البلاد سوق استهلاك لمنتجاتهم وصناعاتهم.

وقد جاء في المذكرة التي رفعها جمع من العلماء سنة ١٥٣٩م إلى المسئولين في جامعة كمبردج والتي طلبوا فيها إنشاء كرسي للدراسات العربية والإسلامية، مايلي: يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنسية في الوقت المناسب، ونشر هدي الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهل.[١]

ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك في بعض الأحيان يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه من مال، كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية والحماية.[٢]

الهدف الخامس: الهدف العلمي:

من أهداف المستشرقين الهدف العلمي. فمنهم من دخل هذا المجال بدافع علمي محض، ولم يكن قصدهم من وراء ذلك إلا البحث والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة محايدة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف عددهم قليل جدا. وبالرغم من إخلاصهم وتحايدهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب

---

[١] الاستشراق والمستشرقون، د. مصطفي السباعي، ص ٢١.

[٢] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،لمحمود حمدى زقزوق ، ص ٨٨-٩٠

اللغة، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية على حقيقتها، فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والأمنية التي تفرق بين البيئات التاريخية الإسلامية التي يدرسونها وبين البيئات الأوربية المعاصرة التي يعيشونها.

وهذه الفرقة من المستشرقين أسلم وأقل خطراً من الآخرين، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم. ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع، لكنهم يلقون عنتا وشدة من المستشرقين الآخرين حيث يتهيمونهم بالانحراف عن المنهج العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم. كما فعلوا مع توماس أرنولد حين أنصف المسلمين في كتابه الدعوة إلى الإسلام، فقد برهن أرنولد فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس مخالفيهم معهم، وهذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام. يطعن فيه المستشرقون المتعصبون – خاصة المبشرين منهم – بأنه كان مندفعا بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين، بالرغم من أنه لم يذكر فيه حادثة إلا أرجعها إلى مصدرها.

ومن هؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام، والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، كما فعل المستشرق الفرنسي دينيه الذى عاش في الجزائر، فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه عام ١٩٢٧م، وسمي باسم ناصر الدين دينيه، وألف مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وله كتاب "أشعة خاصة لنور الإسلام بين فيه تحايل قومه على الإسلام ورسوله. وقد توفى هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها.[1]وهذه هي الأهداف الرئيسية الواضحة للمستشرقين، وربما تكون هناك أهداف أخرى يرمي بعض المستشرقين إلى تحقيقها لكنها غير شائعة، ولذا غضضنا الطرف عنها.

[1] الاستشراق والمستشرقون، د. مصطفي السباعي، ص ٢٢

وسائل الاستشراق:

لتحقيق الأهداف التي ذكرناها، اتجه المستشرقون إلى كل الوسائل التي من شأنها النيل من الإسلام وأهله. وقد تنوعت تلك الوسائل، واختلفت باختلاف الزمان والمكان، وهي ما يأتي:

١-**تأليف الكتب:** إن المستشرقين يؤلفون كتبا كثيرة في الموضوعات المختلفة التي تتحدث عن الإسلام والمسلمين معتمدين في ذلك على إلمامهم البسيط باللغة العربية، مما أوقعهم في كثير من الأخطاء المقصودة وغير المقصود. فكتبوا في الدراسات القرآنية والحديث والفقه والفلسفة والتصوف واللغة والأدب وغيرها.[١]

٢-**إصدار المجلات** : فالمستشرقون يصدرون المجلات العلمية التي تحتوي على كثير من البحوث والدراسات حول الإسلام وحول الشرق عموما، ومن أشهر تلك المجلات مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن، ومجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، ومجلة جمعية الدراسات الشرقية. ومن أخطر المجلات ذات الطابع الاستشراقي والإلحادي مجلة "العالم الإسلامي، التي أنشأها عميد التبشير العالمى صمويل زويمر عام ١٩١١م، وللمستشرقين الفرنسيين مجلة تحمل نفس الإسم وتصدر بنفس الروح.[٢]

٣-**إمداد الإرساليات التنصيرية** فالمستشرقون يقومون بإمداد الإرساليات التنصيرية بما تحتاج إليه من الخبراء، الذين يساهمون بخبراتهم وتجاربهم في هذا المجال. فالاستشراق عبارة عن هيئة استشارية عليا، تعمل على رسم الخطط وإعداد الدراسات والبحوث، التي يجدها المنصرون وسيلة جاهزة للعمل بقوة ضد الإسلام، محاولين بذلك وقف نشره وتوسعه. ولعله من العسير جدا الفصل بين الاستشراق والتنصير، لأن زعماء حركة الاستشراق هم أيضا أعضاء مرموقون

[١] ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي ، ص ٩٦

[٢] المرجع السابق، ص ٩٧

في حركة التنصير. كما أن الاثنين كليهما يسيران بتوجيه واحد وخط سير واحد مستمدين من الدوائر الاستعمارية والكنسية، ويتلقيان مواردهما المالية من مصدر واحد.[1]

٤-**إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية** فهم يلقون المحاضرات والدروس في الجامعات العربية والإسلامية، محاولين بذلك توثيق علاقاتهم بها، مما جعلهم يستدعون لإلقاء المحاضرات في الجامعات العربية والإسلامية ليتحدثوا عن الإسلام في ديار الإسلام بروح بعيدة عن الإسلام[2].

٥-**نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد العربية والإسلامية:** قد استطاع المستشرقون أن يستأجروا عددا من هذه الصحف التي تصدر في كثير من البلاد العربية والإسلامية لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم.[3]

٦-**عضوية المجامع والمؤسسات العلمية** يحاول المستشرقون الوصول إلى المجامع والمؤسسات العلمية الهامة في البلاد العربية والإسلامية، وذلك كتسلل بعض منهم ووصولهم إلى المجامع اللغوية، كالمجمع اللغوي في مصر، كان من أعضائه المستشرق جب (Gibb) والمستشرق ونسنك (Wensink) والمستشرق ماسينيون (Masinyon) وكذلك في المجمع العربي العلمي بدمشق، وكان من أعضائه المستشرق الدنماركي بيدرسون (Pedrson) والمستشرق الإيطالي كيتاني (Ketani) والمستشرق الكولومبي جيتهل (Jotihel) .[4]

٧-**عقد المؤتمرات الاستشراقية** يعقد المستشرقون المؤتمرات الاستشراقية التي يتدارسون فيها كيفية تحسين خططهم وتطويرها، وفق ما يستجد من ظروف جديدة في الأوساط التي يعملون فيها.

---

[1] الاستشراق والمستشرقون، د. مصطفي السباعي، ص ٢٤

[2] المرجع السابق، ص ٢٥

[3] المرجع السابق، ص ٢٥

[4] الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي ، ص ٥٣٨، دار الفكر ، بيروت، ط/٦، ١٩٧٣م.

وقد بدأت هذه المؤتمرات منذ عام ١٨٧٣م، ولا تزال تعقد دوريا إلى الآن في أماكن مختلفة من العالم.[١]

٨-**كتابة الموسوعة الإسلامية** من الغريب أن المستشرقين قاموا بكتابة الموسوعة الإسلامية بلغات مختلفة، لكن هذا العمل جاء نتيجة تخلي القادرين من المسلمين عن تأليف مثل هذا العمل المهم والضروري لكل أمة. فوجد المستشرقون ميدانا شاغرا واسعا لا يزاحم فيه أحد. فأنشأوا دائرة المعارف الإسلامية وأصدروها بعدة لغات، واستطاعوا أن يبثوا فيها ماشاءوا من سمومهم وأفكارها. ورغم ذلك مع الأسف فإن هذه الموسوعة تعتبر مرجعا هاما لكثير من مثقفى الأمة العربية والإسلامية حتى هذه الساعة .[٢]

٩-**إعداد المعاجم العربية والقواميس اللغوية** وللمستشرقين باع طويل في مجال إعداد وتأليف المعاجم والقواميس اللغوية. ومن أشهرها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للمستشرق الألماني فلوجل الذي طبع عام ١٨٤٢م، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي ألفه جماعة من المستشرقين منهم ونسنك .[٣]

١٠- **الاستيلاء على المناصب الهامة وكراسي الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات** إن المستشرقين يتقلدون بعض المناصب الهامة، ويستولون على كراسي الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الغربية حتى في بعض الجامعات العربية والإسلامية. ومن المعلوم أنه يوجد بالجامعات الغربية أقسام للدراسات الشرقية، ويتزعم هذه الأقسام المستشرقون عادة، كما يتولون فيها مهام التدريس والإشراف.[٤]

---

[١] الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندى ، ص ١٥٣

[٢] المرجع السابق، ص ١٥٤

[٣] ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، ص ١٠٢-١٠٨

[٤] الاستشراق والمستشرقون، د. مصطفي السباعي، ص ٢٦ و السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفي السباعي، ،ص ١٣،المكتب الإسلامي ، بيروت، ط/٢، ١٩٧٦م)

فئات المستشرقين:

إنه يظهر من خلال ما ذكرنا من أهداف ووسائل للمشتشرقين، أنهم ينقسمون إلى عدة فئات وأصناف، لكن الباحثين اختلفوا في بيان وتوضيح ذلك، كل وفق نظرتهم إلى المستشرقين وأعمالهم، وقد قسم الدكتور زقزوق [1] المستشرقين كالآتي:

١-**فريق من طلاب الأساطير والغرائب فمن هؤلاء الذين افتروا على الإسلام، واخترعوا بخيالهم المريض حوله الأقاصيص الكاذبة.**

٢-**فريق من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم في خدمة المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية والاستعمارية.**

٣-**فريق من المتغطرسين الذين أخذتهم العزة بالإثم وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية** فراحت أقلامهم تقطر حقدا وعداوة وطعنا في الإسلام من أمثال بدويل وبريدوا وسيل من القرن الثامن عشر.

٤-**فريق تعرضوا للإسلام باسم البحث العلمي، ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب،** فراحوا يتلمسون نقاط الضعف في الإسلام، يشككون في صحة الرسالة الإسلامية، وفي التوحيد الإسلامي، وفي القرآن الكريم حيث مصدره أو نصه، وفي الحديث النبوي الشريف من حيث صحته، وفي قيمة الفقه الإسلامي الذاتية، وفي قدرة اللغة العربية في مساير التطور وغيرها.

٥-**وهناك فريق التزموا في دراستهم للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية، فأنصفوا للإسلام والمسلمين، وقد أدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه.**

٦-**وفريق تفرغوا لدراسة اللغة العربية وفقه اللغة والأدب العربي أو اشتغل بالمعاجم وما شابه ذلك، ولهؤلاء بحوث قيمة مفيدة في هذا المجال.**

وأما الدكتور محمد فتح الله الزيادي [1] فقد قسم المستشرقين على أصناف تالية:

---

[1] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،لمحمود حمدى زقزوق ، ص ٩٠-٩١

١-صنف كتب في علوم العرب والمسلمين بحقد وكراهية مبتعدا بذلك عن المنهج العلمي الصحيح، ومتأثرا في كل ما كتب بروح العداء التي زرعتها فيه الكنيسة، وهم كثيرون منهم المستشرق القسيس الأب لامانس (١٨٦٢-١٩٣٧م) وجولد زيهر وشاخت وديلاسي أوليري وغيرهم.

٢-صنف كتب بروح علمية محاولا إفادة قومه بما يكتبه عن هذه الحضارة، فنتيجة لسيطرة الروح العلمية عليه وابتعاده عن تأثير الكنيسة ، فقد أكن الحب والإعجاب للإسلام شريعة ودينا، ولكنه لم يسلم من الخطأ، فيقع هذا الصنف أحيانا في الأخطاء غير المقصودة ، نتيجة عدم إتقان اللغة العربية وفهم أسرارها. ومن هؤلاء نجد الكونت هنري دي كاستري الذى درس الإسلام دراسة عميقة، وكتب عنه كتابا قيما نشر بعنوان" الإسلام سوانح وخواطر وترجمه الأستاذ فتحي زغلول، ومنهم أديب روسيا الكبير تولوستوي الذي عرف حقيقة الدين الإسلامي، كما عرف أيضا الحملات الظالمة التي يشنها الحاقدون على الإسلام وعلى رسوله - صلى الله عليه وسلم، غير أن المحير في الأمر، لماذا لم يعتنق أمثال هؤلاء الإسلام؟ ربما لأسباب مادية أو اجتماعية أو سياسية أو خوفا على أنفسهم أو مناصبهم وغير ذلك.

٣-صنف كتب بروح علمية صادقة ودرس الإسلام دراسة عميقة حتى اهتدى إلى اعتناق الإسلام، وأصبح سيفا بارزا من سيوف الإسلام، يدافع عنه بكل ما أوتي من الإمكانيات ويرد الشبه والمكائد التي يثيرها أعداؤ الإسلام، وهي مهمة تخلى عنها الكثير من مسلمي الوراثة الذين ورثوا الإسلام عن آبائهم وأجدادهم. ومن مقدمة هؤلاء اللورد هيدلي الذي كانت لإسلامه ضجة كبيرة نظرا لمركزه. ويقول اللورد عن سبب إسلامه عندما كنت أقضي أنا نفسي - الزمن الطويل من حياتي الأولى في جو المسيحية، كنت أشعر دائما بأن الدين الإسلام به الحسن والسهولة، وأنه خال من العقائد الرومانية والبروستانتية ومنهم أيضا الفونس أتيان دينيه سمى باسم ناصر الدين دينيه، ومنهم رينيه جينيو الذي أسلم وسمى باسم الشيخ عبد الواحد يحيى.

---

[١] ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، ، ص ١٠٢-١٠٨

وهناك تقسيمات وتصنيفات أخرى للمستشرقين ذكرها بعض الباحثين ، لكننا لا نوردها خوفا من الإطالة.

نشاطات المستشرقين وأعمالهم: [1]

إننا ذكرنا فيما سبق أهداف المستشرقين و وسائلهم عموما، وأحصينا الجوانب السلبية التي تغلب على أبحاثهم ودراساتهم، لكن المنهج العلمي في البحث والدراسة يحتم علينا أن نذكر أيضا الجوانب الإيجابية لهذه الدراسات والبحوث.

فالمستشرقون مهما تكن أهدافهم وغاياتهم قدموا خدمات جليلة ، وأسهموا مساهمة جبارة في مجالات الدراسات الإسلامية واللغة العربية، والتي تتمثل في إحياء كثير من التراث العربي والإسلامي، والمحافظة عليها في المكتبات الأوربية، وتتمثل كذلك في جهودهم القيمة المستمرة لإحياء التراث العربي والإسلامي ومدنيته وحضارته عن طريق طبع ونشر الكتب الهامة والمخطوطات النادرة وغيرها. ويمكن لنا أن نلخص جهودهم وأعمالهم فيما يلي:

١- **التدريس الجامعي** : يوجد هناك في كل جامعة أوربية أو أمريكية تقريبا معهد خاص بالدراسات الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق والدراسات الشرقية ، مثل جامعة ميونيخ حيث يوجد بها معهد للغات السامية والدراسات الإسلامية ومعهد لتاريخ الشرق الأدنى وحضارته، ويرأس كل معهد أستاذ ويساعده بعض المحاضرين والمساعدين. وتقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس الجامعي وتعليم اللغة العربية وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراه، ممن سيواصلون أعمالهم في المجال الاستشراقي الأكاديمي أو الدبلوماي أو السياسي أو في مراكز البحوث وغيرها. ولكل معهد مكتبة عامرة بالكتب والمراجع العربية الإسلامية القديمة والحديثة، وكل ما ينشر عن الدراسات العربية والإسلامية في البلاد

---

[1] الاسلام والحضارة الغربية،لعلي محمد كرد، ص ٦٥ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط/٣.نقلا من ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، ص ١٠٩-١١٤

الأوربية والبلاد الإسلامية . ويتفاني المستشرقون في أعمالهم ويخدمون أهدافه بإخلاص تام، ولهم صبر عجيب ونادر في البحث والدراسة وإحاطة تامة بالعديد من اللغات القديمة والحديثة

٢-**جمع المخطوطات العربية** : اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية والإسلامية من كل مكان في بلاد الشرق الإسلامي. وكان هذا العمل مبنيا على وعي تام و إدراك عميق بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثا غنيا في شتى مجالات العلوم والفنون. وبعد حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨م تزايد نفوذ أوربا في الشرق، ساعد ذلك على جلب كثير من الخطوطات العربية والإسلامية إلى أوربا، كما أن الجهات المعنية فيها ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق.

وإنه تم جمع المخطوطات من الشرق بطرق مشروعة أو مشروعة - إما بالشراء أو السرقة أو الاستيلاء عليها جبرا - ، وقد حظيت هذه المخطوطات في أوربا باهتمام عظيم، وتم العمل على حفظها وصيانتها من التلف والضياع، والعناية بها عناية فائقة، وفهرستها فهرسة علمية نافعة تصف المخطوطات وصفا دقيقا، حيث الموضوع والمؤلف وتاريخ التأليف وعدد النسخ وغيرها. وضعت هذه المخطوطات تحت تصرف الباحثين الراغبين في الاطلاع عليها في مقر وجودها أو طلب تصويرها.

وقد قام الوارد (Ahlwardt) بوضع فهرس للمخطوطات العربية الموجودة في مكتبة برلين في عشر مجلدات بلغ الغاية فنا ودقة وشمولا ، واشتمل على عشرة آلاف مخطوط. كما قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوربية كافة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة، تقدر بعشرات الآلاف بل قد يصل عددها إلى مآت الآلاف.

والحق يقال: إن هذه المخطوطات العربية والإسلامية قد اهتم بها المستشرقون اهتماما بالغا، وأولوا رعاية فائقة من الحفظ والعناية والفهرسة بأحدث وسائل، مالا يوجد في البلاد العربية والإسلامية. ونشعر بالأسى والحسرة عندما ننظر إلى حال المخطوطات النادرة التي توجد في بعض البلدان العربية والإسلامية

٣-**التحقيق والنشر** : لم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات العربية والإسلامية وفهرستها فحسب، بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر، فقد قاموا بتحقيق كثير من كتب التراث العربي والإسلامي، وقابلوا بين النسخ المختلفة، ولاحظوا الفروق وأثبتوها، ورجحوا منها ما حسبوه أصحها وأعدلها ، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام والآيات والأحاديث، وأثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها ، وقاموا في بعض الأحيان بشرح بعض الكتب شرحا وافيا مفيدا.

وهكذا استطاع المستشرقون أن ينشروا عددا كبيرا من المؤلفات العربية والإسلامية، التي أصبحت عونا كبيرا للباحثين الأوربيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق، وقد عرفنا كثيرا من كتب التراث محققة ومطبوعة على أيديهم . ومن هذه الكتب على سبيل المثال نذكر ما يأتي: سيرة ابن هشام، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والمغازي للواقدي، والكشاف للزمخشري وتاريخ الطبري، و كتاب سيبويه والاشتقاق لابن دريد، والأنساب للسمعاني، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، والملل والنحل للشهرستاني، وعمدة عقيدة أهل السنة والجماعة للحافظ النسفي، وفتوح الشام للأزدي، وفتوح الشام للواقدي، والكامل للمبرد والجمهرة لابن دريد، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، وفضائح الباطنية للغزالي، وتاريخ اليعقوبي، والفهرست لابن النديم، وكشف الظنون لحاجي خليفة، والتعريفات للجرجاني، وطبقات الحفاظ للذهبي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وتهذيب الأسماء للنووي، وصحيح البخاري، والمقتضب لابن جني، ومقالات الإسلاميين للأشعري، والوافي للوفيات للصفدي، والتيسير في القراءات السبع للداني، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، والأغاني للإصفهاني، والأوائل للسيوطي والطبقات لابن سعد، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والفقه الأكبر لأبي حنيفة وعدد هائل من دواوين الشعر العربي في عصوره المختلفة.

٤-**الترجمة** : لم يقتصر الأمر على نشر النصوص العربية ، بل قاموا أيضا بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوربية كافة. فقد نقلوا إلى لغاتهم كثيرا من دواوين الشعر والمعلقات الشعرية، وتاريخ أبي الفداء، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ المماليك للمقريزي، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، وإحياء علوم الدين والمنقذ من الضلال للغزالي

وغير ذلك من مئات الكتب في واللغة الأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية المتنوعة ، فضلا عن ما ترجم في القرون الوسطى من مؤلفات العرب والمسلمين في الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من الفنون والعلوم المختلفة

كما تمت ترجمة معاني القرآن الكريم لأول مرة في القرن الثاني عشر ، وقد قام المستشرقون منذ ذلك الوقت وحتى الآن بإعداد العديد من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية كافة. ووصلت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مائة وإحدى وعشرين لغة تقريبا في أنحاء العالم كافة. وأما اللغات التي تمت ترجمة الكتب العربية والإسلامية إليها هي اللغة الإنجليزية والألمانية والإيطالية والروسية والفرنسية واللاتينية والهولندية وغيرها من لغات العالم.

٥-**التأليف** : تعددت مجالات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية لدى المستشرقين ، وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف أي منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب لقد ألفوا في التاريخ العربي والإسلامي، وعلم الكلام، والشريعة ، والفلسفة الإسلامية، والتصوف الإسلامي، وتاريخ اللغة العربية وآدابها، والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، والنحو العربي، وفقه اللغة العربية وغيرها. فلم يتركوا مجالا من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وقد ألفوا فيه . ولهم بعض مؤلفات قيمة ذات فائدة علمية للباحثين الغربيين والمسلمين على السواء، كما لهم مؤلفات أخرى تزخر بالطعن في الإسلام وتمتلئ بالأكاذيب والافتراءات التي ليس لها في سوق العلم والمعرفة رواج ولا نصيب.

ونشير هنا إلى بعض المؤلفات ذات القيمة العلمية كنماذج، وهي كالتالي:

أ- تاريخ الأدب العربي هذا الكتاب ألفه المستشرق كارل بروكلمان، ولا يستغني عنه باحث في الدراسات العربية والإسلامية. وقد قام بروكلمان بهذا العمل الضخم بمفرده، ولا يقتصر هذا الكتاب على الأدب العربي وفقه اللغة فقط، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المؤلفات والمدونات الإسلامية، فهو سجل للمصنفات العربية - المخطوطة منها والمطبوعة - ، ويكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين. وقد صدر هذا الكتاب أولا في مجلدين عام ١٨٩٧ و ١٩٠٢م، ثم أتبعهما المؤلف بمجلدات ثلاثة تكميلية، فأصبح الكتاب في خمسة مجلدات. وقد اهتمت الجامعة العربية

بترجمة هذا الكتاب تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدراكا منها أهميته لكل باحث عربي.

ب- دائرة المعارف الإسلامية : على الرغم مما لنا نحن المسلمين على هذه الدائرة من مآخذ كثيرة، فإنها تعد ثمرة من ثماي التعاون العلمي الدولد بين المستشرقين. وقد تم إصدارها في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة ما بين عام ١٩١٣م و ١٩٣٨م، وقد تولت لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجي الجامعات المصرية نقلها إلى اللغة العربية منذ عام ١٩٣٣م، وقد عمد المترجمون إلى نشر تعليقات هامة في أعقاب كثير من المقالات المدرجة فيها، لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون الذين كتبوا تلك المقالات.

ج- المعاجم اللغوية والموضوعية : إن للمستشرقين باعا طويلا في مجال المعاجم الموضوعية والقواميس اللغوية، وكان أول قاموس لاتيني عربي ألف في القرن الثاني عشر الميلادي كما ألف جورج فيلهلم فرايتاج القاموس العربي اللاتيني الذي يستعمل حتى الآن. وبالإضافة إلى عدة قواميس صغيرة من اللغة العربية إلى لغات أوربية، مثل: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية وغيرها من اللغات الأوربية.[١]

ويوجد هناك مستشرقون ينفقون حياتهم وعمرهم في إعداد مثل هذه المعاجم، مثل: أوجست فيشر الذي قضى أربعين عاما في تأليف معجم اللغة العربية القديمة، وتعاون معه عدد من المستشرقين الآخرين. ونخص بالذكر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف الذي يشمل كتب الأحاديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد تم نشره في سبعة مجلدات ضخمة في الفترة من عام ١٩٣٦م إلى عام ١٩٦٩م، وتستفيد من هذا المعجم الجامعات والمعاهد الإسلامية والدارسون والباحثون جميعا. [٢]

[١] الاستشراق والمستشرقون، د. مصطفي السباعي، ص ٢٦

[٢] ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، ، ص ١٠٩ – ١١٤

الباب الأول

موقف المستشرقين من قضايا السيرة النبوية:

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

آراء المستشرقين حول السيرة النبوية في مكة المكرمة.

الفصل الثانى:

آراء المستشرقين حول السيرة النبوية في المدينة المنورة.

الفصل الثالث:

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين في قراءتهم للسيرة النبوية

الباب الأول

موقف المستشرقين

من قضايا السيرة النبويـة

يحمل المستشرقون وجوهاً مزدوجةً بين الإيجابية التى تسهم في نشر المعرفة بالتراث الإسلامى، والسلبية التى تتأثر بالتحيزات الثقافية السائدة في أوربا، فمع أنـهم عُرفوا بقوة لغتهم العربية ومعرفة أساليبها خاصة أظهروا بعضهم فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا والبعض الأخر تأثراً بالرؤية المركزية الأوروبية.

الفصل الأول

آراء المستشرقين

حول السيرة النبوية في مكة المكرمة.

وفيه مبحثين:

المبحث الأول

آراء المستشرقين الإيجابية حول السيرة النبوية في مكة المكرمة.

المبحث الثاني

آراء المستشرقين السلبية حول السيرة النبوية في مكة المكرمة.

الفصل الأول

آراء المستشرقين

حول السيرة النبوية في مكة المكرمة.

مدخل:

أنعم الله علينا بنعم كثيرة لانستطيع عدها ولانقدر على شكرها ومن أجَلِّ هذه النعم نعمة سيدنا محمداً –صلي الله عليه وسلم– ، قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [١]، فكان –صلي الله عليه وسلم– نوراً هادياً لنا، أعظم الناس خُلُقا قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٢] فكان كفار مكة أعرف الناس برسول الله –صلي الله عليه وسلم– ، عُرف بينهم بالصادق الأمين، فما وقع من كفار مكة في اتهامهم له –صلي الله عليه وسلم– باليحر والضلال وغيره مكابرون. ويظهر ذلك في المبحث الأول ويبدأ الباحث بفضله سبحانه في ذكر (موقف المستشرقين من السيرة النبوية في مكة المكرمة) مستعينين به وحده جل في علاه:

---

(١) سورة ال عمران، الآية ١٦٤

(٢) سوؤة القلم، الآية ٤

المبحث الأول

آراء المستشرقين الإيجابية حول السيرة النبوية في مكة المكرمة

ويشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: قريش تعترف بوجود إله خالق و يشركون معه آلهة أخري.

المطلب الثانى: قريش لايؤمنون بوجود حياة في العالم الأخروى، ولايوجد عقوبات لأفعال الإنسان.

المطلب الثالث: ظلم كبراء مكة للآخرين في مقابل منافعهم الخاصة

المطلب الرابع: إلغاء عقيدة تعدد الآلهة إعلان للحرب على المبتدع المخالف لتقاليد وأعراف الآباء.

المطلب الخامس: الاشمئزاز من التآلف مع المؤمنين الضعفاء، واتباع نبيٍ بشرى بدلاً من ملاك.

المطلب السادس: التقليل من سمعته ومكانته –صلي الله عليه وسلم– .

المطلب السابع: بيعة العقبة الثانية واستخدام القوة المادية لحماية نفسه وصحابته.

المبحث الأول

آراء المستشرقين الإيجابية حول السيرة النبوية في مكة المكرمة

لقد أظهر المستشرقون اهتماماً بالغاً بالتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية فعنوا بمرحلة الدعوة المكية باعتبارها أساسًا لفهم تطور الإسلام. وإبراز الطابع الإصلاحي للدعوة المكية على أنها حركة تغيير اجتماعي وسياسي بجانب كونها دعوة دينية. غير أنهم ساعدوا على تعريف القارئ الأوروبي بمرحلة من السيرة النبوية العطرة وهى الدعوة المكية التى لم تكن معروفة جيدًا في الثقافة الغربية.**ويتضمن هذا المبحث المطالب الآتية:**

المطلب الأول

قريش تعترف بوجود إله خالق و يشركون معه آلهة أخري

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١ - نص الشبهة:

“la denominazione generica di Allah il Dio, probabil- mente importata dal nord, tendeva a sopraffare il nome proprio antico, ed alla Mecca stessa aveva quasi cancellato il nome vero del Dio tutelare della Ka'bah, che sembra fosse Hubal. I Meccani riconoscevano Allah quale creatore, l'invocavano nei pericoli e nella distretta, facevano in nome suo i giuramenti solenni، ma riconoscevano al suo fianco divinità femminili minori, considerate come sue figlie, concepite come più vicine all'uomo e quindi come interceditrici a favore di questo presso il Dio supremo” (1)

يقول المستشرق الإيطالى نالينو(٢):“فاسم الله الإله الأعلى، الذي ربما جلب من الشمال، كان يميل إلى السيطرة على الاسم القديم الخاص، وكان قد شطب تقريبًا اسم الإله الحامي للكعبة في

---

(1) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P3

(٢) كارلو ألفونسو نالينو من كبار المستشرقين المتخصصين في دراسة قضايا الإسلام، صاحب التفكير المزدوج، يُنصف تارة ويجانبه الصواب أخري. ولد في إيطاليا في مدينة تورينو عام ١٨٧٢ م، ١٢٨٨ هـ، ومنذ عام ١٩٠٩ طفقت الجامعة المصرية تستدعيه أستاذاً محاضراً في الفلك، ثم في الآدب العربي، ثم في تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام، حتى سنة ١٩١٣. انتخب نائب رئيس مجمع لنشاي (١٩٣٢) وعضواً في المجمع

مكة ذاتها، والذي يبدو أنه كان هبل. كان المكيون يعترفون بالله كخالق، وكانوا يدعونه في الأخطار والضيقات، وكانوا يقدمون القسم باسمه بشكل رسمي، لكنهم كانوا يعترفون بجواره بآلهة أنثوية أقل حجمًا، تُعتبر كبناته، يُفترض أنهن أقرب إلى الإنسان وبالتالي كوسيطات لهذا الأخير أمام الإله الأعلى." [١]

يقول المستشرق الإنجليزي وليام مونتغمري وات[٢]:"فهم يعترفون بأن الله هو الخالق والمدبر للكون، ويلجؤون إليه وحده عند الخطر في البحر، لكنهم يعودون للإشراك به بمجرد نجاتهم ووصولهم إلى اليابسة"[٣]."

العلمي الإيطالي، وعدة مجاميع وجمعيات دولية منها المجمع العلمي العربي في دمشق والمجمع اللغوي في القاهرة منذ تأسيسهما من مؤلفاته: كتاب "بحوث في المعتزلة وخلق القرآن"مترجم إلى العربية.كتاب "هل للقانون الرومي تأثير على الفقه الإسلامي" مترجم إلى العربية.كتاب"تاريخ الاداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني امية" مترجم إلى العربية.كتاب"علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى" مترجم إلى العربية. توفى نالينو في سنة ١٩٣٨م. انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، (٥/٢١٣)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة ، ٢٠٠٢ م.

[١] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٥، منشورات المعهد الشرقي، روما، ١٩٤٦م.

[٢]ويليام مونتغمري وات (١٣٢٧ – ١٤٢٧ هـ = ١٩٠٩ – ٢٠٠٦ م)William Montogmery Watt مستشرق إنجليزي معاصر، وُلد في ١٤ مارس ١٩٠٩ م الموافق ٢١ صفر ١٣٢٧ هـ. نَشَرتْ بعض المجلات (الإسلامية) التي تصدر بالإنجليزية في لندن مقالا عن هذا المستشرق بعنوان (المسيحي ذو التعاطف غير العادي مع الإسلام)والمقال بقلم ماليز روثفن،وهو كاتب مسيحي يعمل بنشاط في ميدان الغزو الفكري ضد المسلمين . عن طريق تأليف الكتب ونشر المقالات في عدة صحف ومجلات إنجليزية واسعة الانتشار. توفي في ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٦ م الموافق ٢ شوال ١٤٢٧ هـ، عن عُمْر ناهز المائة.انظر: رؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب، (صـ ١١٥ – ١٢٦)، مجلة البيان، الطبعة الأولى صدرت عام ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

[٣]محمد في مكة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ٤٣)،الترجمة: تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية.، ١٩٦٦م .

٢- مضمون الشبهة:

المجتمعات العربية قبل ظهور الإسلام لم تكن مجتمعات إلحادية تنكر وجود الله عز وجل، ولا مجتمعات تجهل أن هناك رباً خالقاً ر ازقاً مدبراً، بل كانوا يعرفون ذلك، وكان منهم بقايا من دين إبراهيم عليه السلام، وعلاقتهم باليهود والنصارى موجودة، والدليل قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١] ولكن كانت مشكلتهم أنهم لا يُفردون الله سبحانه بالعبادة وحده دون سواه، بل يشركون معه آلهة أخري يعبدونها لا بحجة أنها هي الرب الخالق الرازق، ولكن يزعمون أنها وسائط بينهم وبين الله، تقربهم إلى الله، ترفع لهم الحوائج، وترفع لهم طِلباتهم، وسُؤلاتهم إلى الله عز وجل لقربهم من الله أرادوا منها الشفاعة أن ترفع هذه الطِّلْبات إلى الرب جل وعلا لقربهم منه سبحانه، وهذه الواسطة يتقبلها، حينئذٍ يجيب من سأل، ويعطي من سأل.اتخذوها وسائط عند الله تعالى في قضاء الحوائج فصرفوا لها أنواعًا من العبادات التي لا يستحقها إلا الله تعالى، قال سبحانه وتعالى عنهم ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [٢]، أي يقولون ما نعبدهم إلا ليقربوننا إلى الله .

٣-هدف الشبهة:

- تأكيد الوعي التاريخي عند المستشرقين، أي محاولة فهم الإسلام في سياقه العربي قبل البعثة.
- الاعتراف بأن العرب كانوا يعرفون "الله" كإله خالق حتى قبل الإسلام، وهو ما يقرره القرآن نفسه: قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣]

---

[١] سورة لقمان،الآية،٢٥
[٢] سورة الزمر ،الآية،٣
[٣] سورة لقمان،الآية،٢٥

- إبراز البعد الاجتماعي والثقافي للدين الجاهلي، مما يساعد الباحث المسلم على فهم البيئة التي بعث فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- .

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين الاعتراف بوجود الله وتوحيده بالعبادة، فالعرب أقرّوا بوجود الله خالقًا، لكنهم عبدوا غيره، وهذا ما جاء الإسلام لتصحيحه.
- الاستناد إلى فرضيات لغوية وتاريخية دون دليل أثري قاطع، حيث لا توجد نقوش أو نصوص عربية قديمة تُثبت أن اسم الله أُخذ من الشمال أو أنه حلّ محل هبل.
- التعميم الخاطئ في تصور الدين الجاهلي، فلم يكن العرب كتلة دينية واحدة، بل كان فيهم الوثني واليهودي والمسيحي والحنفي، فالتوحيد لم يكن غائبًا تمامًا.
- الاعتماد على المنهج التطوري للدين، وهو منهج يفترض أن كل الأديان تطورت من الوثنية إلى التوحيد، متجاهلًا فكرة الوحي الإلهي والنبوات المتتابعة. (١)

٥-مصادر الشبهة:

نالينو تأثر في شبهه(٢) بعدة مستشرقين، أبرزهم:

- تيودور نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن)[٣] حيث تحدث عن فكرة الإله الأعلى عند العرب.
- جولدزيهر في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام)[٤] حيث تحدث عن فكرة التوحيد الإسلامي كتطور ديني طبيعي.

---

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)،(٢٥/٣)،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(2) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،(صـ ٥).

[٣] انظر: تاريخ للقرآن، لتيودور نولدكه، طبعة لايبزيغ، ١٨٦٠م

[٤] انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، لإجناس جولدزيهر، صـ ٧-١٠ ، ترجمة محمد يوسف موسى، عبد العزيز عبد الحق، القاهرة، ١٩٥٩.

- يوليوس ولهاوزن في كتابه(بقايا الوثنية العربية) [1] حيث ربط الإسلام ببقايا الوثنية المكية.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** لاقت هذه الفرضية قبولًا واسعًا في أوائل القرن العشرين، إذ انسجمت مع نظرية التطور الديني. [2]
- **في الوسط الإسلامي:** بيّنها مفكرون معاصرون [3] على أن الإسلام لم يتطور من الوثنية، بل هو عودة إلى التوحيد الفطري الذي دعت إليه كل الرسالات الإلهية.

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الشبهة تعرض سلسلة افتراضات غير مثبتة منطقياً تفترض تسلسلًا تاريخيًا (جاء اسم الله من الشمال ثم سيطر على الديانة المكية ثم أطاح بهبل، وإثبات هذا التسلسل يحتاج إلى دليل، وغيابه هذا الدليل يجعل الاستنتاج غير عقلاني. (٤)

---

[1] انظر: بقايا الوثنية العربية ، ليوليوس ولهاوزن، صـ ٢٠٢-٢١٠ ، برلين، ١٨٨٧م،

[2] اعتمدها بعض الباحثين الغربيين مثل مونتغمري وات (W. Montgomery Watt) وهاملتون جيب (H. A. R. Gibb) مع تعديلات لغوية. لكنها تراجعت في أواخر القرن العشرين بعد ظهور أدلة أثرية ونقوش جنوبية عربية (مثل نقش قتبان وحِمْيَر) تُثبت أن لفظ "الله" كان مستخدمًا توحيديًا قبل الإسلام بزمن طويل.

[3] مثل:محمد عبدالله دراز في كتابه الدين: بحوث مُمَهِّدة لدراسة تاريخ الأديان ، صـ ١١٧-١٢٠ طبعة دار القلم، القاهرة، ٢٠٠١م. ومصطفى صبري في كتابه موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ، جـ ٣، صـ ٤٥-٤٨ طبعة دار إحياء التراث العربي ١٩٨١م.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، للدكتور رؤوف شلبي، (٤٨-١٠٣)،دار القلم، الطبعة: الثالثة.

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الواقع التاريخي في الجزيرة قبل الإسلام يؤكد أن الجزيرة العربية كتلة موحدة ولا مذهبًا واحدًا، بل كانت فيها طوائف وثنية ويهودية ومسيحية وحنفية. لذلك لا يمكن اختزال الموقف الديني للمكيين في عبارة واحدة عامة. والقرآن يبيّن أن كثيرًا من العرب كانوا يعترفون بخالق واحد لفظيًّا لكنهم في الممارسة يشركون. [١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يعترف أناتول فرانس بأن فكرة الله في الإسلام هي الأسمى والأكمل، لا مجرد تطوير لمفاهيم جاهلية، فيقول: (لقد أقام محمد على الأرض دينًا يليق بعظمة الله). [٢]
- غارودي (وهو مفكر غربي أسلم) يرى روجيه غارودي أن الإسلام نقلة حضارية، وأن فكرة الله الإله الأعلى في الإسلام ليست استمرارًا لآلهة الجاهلية، بل عودة للفطرة الإلهية الخالصة، فيقول: (إن محمداً جاء برسالة التوحيد التي حررت الإنسان من عبودية الإنسان). [٣]
- يعترف غوستاف لوبون بأن الإسلام جاء بتحول أخلاقي وإنساني غير مسبوق، لا مجرد تطور ديني، فيقول:(لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب، ولا دينًا سمحًا مثل الإسلام). [٤]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

- ورد اسم (بعل) في مواضع عديدة من العهد القديم (التوراة)، وهو يُذكر كإله كنعاني كانت له عبادة واسعة في بلاد الشام، وكان أنبياء بني إسرائيل يحذرون قومهم من عبادته، "فَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا، وَأَغَاظُوا الرَّبَّ،

---

[١] انظر:شرح الشفا، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)،(١/٧٦٤)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

[٢] انظر: المستشرقون والإسلام للدكتور محمد البهي، صـ ٧٨، دار الفكر العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٦١م.

[٣] انظر: الإسلام وسقوط النموذج الغربي ، صـ ١٠٥-١٠٦، دار الشروق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٩م.

[٤] انظر: حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر، صـ ١١٥، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م.

وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتُورَثَ." [1]. يبيّن النص أن بني إسرائيل انحرفوا عن عبادة الله واتجهوا إلى عبادة البعل وعشتورث، وهما إلهان كنعانيان.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

لأجل أن يصبح العبد كامل الإيمان يجب أن يكون موحداً بالله عز وجل: وكفار قريش كانوا يؤمنون بربوبية الله عزوجل: أنه هو الخالق الرازق المدبر لكل شئ، إلا أنهم قد أشركوا به وعبدوا آلهة لا تنفع ولا تضر، فانصرفوا عن عبادة الله وحده، فكانوا يعبدون مع الله غيره وهذا ما أخرجهم من الإسلام، قال تعالى﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [٢]، وقد قال سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [٣]أي: في عبادته، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [٤]، وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [٦].

---

[1] العهد القديم، سفر القضاة ، الإصحاح الثاني، الآيات ١١-١٣، ترجمة فاندايك، دار الكتاب المقدس، ٢٠٠١

[٢] سورة المؤمنون، الآية، ١١٧ .

[٣] سورة النساء، الآية، ٣٦ .

[٤] سورة المائدة، الآية، ٧٢ .

[٥] سورة النساء، الآية، ٤٨ .

[٦] سورة غافر، الآية، ٦٠ .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله[(١)] في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٢)]: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ –الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ –مُعْتَرِفُونَ أَنَّهُ الْمُسْتَقِلُّ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَتَسْخِيرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ لِعِبَادِهِ، وَمُقَدِّرٌ آجَالَهُمْ، وَاخْتِلَافَهَا وَاخْتِلَافَ أَرْزَاقِهِمْ فَفَاوَتَ بَيْنَهُمْ، فَمِنْهُمُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يُصْلِحُ كُلا مِنْهُمْ، ومَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ المستبدُّ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَفَرِّدِ بِتَدْبِيرِهَا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلِمَ يُعبد غَيْرُهُ؟ وَلِمَ يُتَوَكَّلُ عَلَى غَيْرِهِ؟ فَكَمَا أَنَّهُ الْوَاحِدُ فِي مُلْكِهِ فَلْيَكُنِ الْوَاحِدَ فِي عِبَادَتِهِ، وَكَثِيرًا مَا يُقَرِّرُ تَعَالَى مَقَامَ الْإِلَهِيَّةِ بِالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ. وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ: "لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ".[(٣)]

وقال ابن كثير[(٤)] **أيضًا عند تفسير قوله تعالى:** ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[(٥)]، وَقَوْلِهِ: وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ قال ابن عباس: من إيمانهم أنهم إِذَا قِيلَ لَهُمْ:

---

(١) ابن كثير القرشي (٧٠٠ – ٧٧٤هـ)عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها البداية والنهاية في التاريخ وكتاب تفسير القرآن العظيم، توفي ابن كثير بعد أن كُفَّ بصره، ودفن في دمشق.

انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (٤٤٥/١برقم٩٤٤)،المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند،ن الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

(٢) سورة لقمان،الآية،٢٥

(٣) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،(٢٩٤/٦).

(٤) سبق ترجمته، (صـ٥٠).

(٥) سورة يوسف،الآية، ١٠٦

مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ، وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ، وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالِ؟ قَالُوا: اللَّهُ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَعِكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ. [1]

وحديث حُصين قبل إسلامه أوضح بيان لما كان عليه كفار قريش:

فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النبي –صلي الله عليه وسلم– لأَبِي: يَا حُصَيْنُ، كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إِلَهًا؟ قَالَ أَبِي: سَبْعَةً: سِتَّةً[2] فِي الأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: يَا حُصَيْنُ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ، قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِيَ الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: قُلِ: اللهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي)[3]، فشركهم هو تعدد الآلهة، وأراد الله عز وجل أن يوحدوه هو سبحانه بالعبادة، فيثبتون الألوهية لله تعالى وحده لايشركون معه آلهة أخري.

---

(1) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٣٥٨/٤).

(2) في طبعة الرسالة: «سِتّاً».

(3) الجامع الكبير – سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،(٣٩٧/٥برقم٣٤٣٨)،المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م. وهو حديث حسن غريب: انظر: المسند الجامع،حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل،(٢٠٦/١٤برقم١٠٨٢٨)، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م

المطلب الثانى

قريش لايؤمنون بوجود حياة في العالم الأخروى، ولايوجد عقوبات لأفعال الإنسان

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

يقول ريتشارد بل:[١]""لقد كان من الصعب على أهل مكة تقبل فكرة أن الأجسام البالية يمكن أن تُبعث من جديد... ولم يكن لديهم تصور عن عالم آخر يُثاب فيه المرء أو يُعاقب على أعماله، بل كانوا يؤمنون بـ **'الدهر'** وأن الموت هو النهاية المحتومة التي لا رَدّ لها". [٢]

“Un'idea molto vaga della sopravvivenza dell'anima (identificata col respiro) dopo la morte dell'uomo, sembra che non fosse estranea al paganesimo di quella parte d'Arabia di cui ci stiamo occupando، ma

---

[١]ريتشارد بل Richard Bell (١٨٧٦م – ١٩٥٢م) منصر، وأستاذ اللغة العربية بجامعة ادنبرا ، صرف سنين كثيرة دراسة القرآن وتاريخه دراسة وافية متوالية وأول كتبه عنه أكد فيه العلاقات المسيحية بالنبي ، أما ترجمته القرآن فإن لم يعر الناس تفسيره لها إلا قليلا من اهتمامهم ، فقد كان جل غرضه منها تحليل السور المتفرقة بوضع قوانين النقد الأدبي لها كما هي الحال في التواليف الغربية للأدب العالي . انظر: ريتشارد بل- المركز الإسلامى للدراسات الاستراتيجية.

[٢] مقدمة القرآن، لريتشارد بل،(صـ١٧٩-١٨٠)،المترجم: إبراهيم عوض، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.

non le si univa il concetto d'una vita oltremondana e di sanzioni per gli atti com–piuti dall'uomo in vita”[1]

“كانت لديهم فكرة غامضة جدًا عن بقاء الروح (التي تميزها التنفس) بعد موت الإنسان، على ما يبدو أنها لم تكن غريبة عن الوثنية في تلك الجزء من الجزيرة العربية التي نتناولها، ولكنها لم تكن مرتبطة بفكرة وجود حياة في العالم الآخر وعقوبات لأفعال الإنسان في الحياة ” [٢]

٢ – مضمون الشبهة:

كفار قريش لم يؤمنوا بوجود حياة آخرة للإنسان بعد الموت، فإيمانهم بالربوبية لم يكن كاملًا، بل كان عندهم شك في قدرة الله تعالى، ولذا أنكروا البعث، وكانوا يئدون البنات، وينسبون الأمطار لبعض الأنواء، فعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ".[٣] وعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، سَمِعَ ابْنَ

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٤

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٥

[٣]صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، كِتَابُ الْإِيمَانَ بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ،(٨٣/١برقم٧١)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «خِلاَلٌ مِنْ خِلاَلِ الجَاهِلِيَّةِ الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالنِّيَاحَةُ» وَنَسِيَ الثَّالِثَةَ، قَالَ سُفْيَانُ وَيَقُولُونَ إِنَّهَا الِاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ.[١]

٣- هدف الشبهة:

- التقليل من البعد الديني والفكري للحضارة العربية قبل الإسلام، لتصويرها كبيئة بدائية لا تعرف المفاهيم الماورائية.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- إن تعميم **ريتشارد بل** ونالينو على العرب كافة خطأ منهجي، فقد وجدت فئات ومناطق عربية كانت تؤمن بالبعث والجزاء (كالأحناف، وبعض نصارى ويهود العرب).
- وجود فكرة الروح لا يعني بالضرورة الوثنية، فالفكر الإنساني البدائي نفسه يعبر عنها، وهذا لا يلغي عمقها الديني. [٢]

٥-مصادر الشبهة:

ريتشارد بل ونالينو تأثرا في شبهه بعدة مستشرقين، أبرزهم:

- يوليوس ولهاوزن في كتابه(بقايا الوثنية العربية) [٣]حيث ربط الإسلام ببقايا الوثنية المكية.

-اعتمد نالينو على القياس على الوثنيات المجاورة دون دراسة ميدانية دقيقة للجزيرة العربية. [٤]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** إعادة النظر في "الفراغ العقدي" قبل الإسلام، فبعد نالينو جاء مستشرقون مثل مونتغمري وات وجوزيف شاخت وتوماس أرنولد ليؤكدوا أن الجزيرة لم تكن

---

[١] صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، بَابُ أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ،(٥/٤٤برقم٣٨٥٠).

[٢]انظر:المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)،(١٣١/١١)،دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

[٣]انظر: المستشرقون والإسلام للدكتور محمد البهي، صـ ٧٨، دار الفكر العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٦١م.

[٤] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٥

فراغًا دينيًا تامًا، بل كان فيها إيمان فطري غير منظم وهذا الاتجاه يُعدّ تصحيحًا جزئيًا لموقف نالينو من شبهاته السلبية القادمة في المبحث التالي. [١]

- **في الوسط الإسلامي:** أثارت اهتمام الباحثين المسلمين في هذا الجانب، فألف كثير منهم في الدين العربي قبل الإسلام وأثبتوا وجود تصورات أخروية متقدمة. [٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- القول بأن الروح مجرد (تنفس) اختزال مادي لظاهرة روحية، لا يمكن للعقل أن يقبلها، لأن الوعي والضمير والإرادة لا تفسر بالتنفس.
- وجود إشارات لغوية وثقافية عن الروح في العربية الجاهلية (كلفظ نَفْس، روح، نَفَس) دليل على إدراك العرب لوجود كيان غير مادي داخل الإنسان. [٣]

---

[١] Wellhausen, Julius. Reste Arabischen Heidentums. Berlin, 1897, 29–31, 52–55, 80–82

فلهاوزن، يوليوس. بقايا الوثنية العربية. برلين: ١٨٩٧، ص ٢٩-٣١، ٥٢-٥٥، ٨٠-٨٢.

[٢] منهم: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ).و سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ).

[٣] موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان،(٩٧٥٥/٣١)،الأجزاء (أ) إلى (ع): إعداد وتحرير/ إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس،الأجزاء من (ع) إلى (ي): ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية،المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني،مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

٢-نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- النقوش السبئية والثمودية واللحيانية تحوي إشارات إلى معتقدات عن البعث والدعاء للميت بالرحمة. [١]
- وجود طقوس دفن وأضرحة وقرابين بعد الموت تدل على إيمان بحياة أخرى. [٢]
- الشعر الجاهلي نفسه يعبّر عن خوف من الحساب أو رغبة في خلود الذكر، ما يدل على وعي بالاستمرار بعد الموت. [٣]

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يقول المستشرق مونتغمري وات: (إن فكرة الحياة الآخرة لم تكن غائبة تمامًا عن العرب، بل كانت موجودة بنسب متفاوتة). [٤]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

- يُظهر الكتاب المقدس أن كثيراً من الأمم الوثنية كانت تؤمن بالروح والبعث (كالمصريين والبابليين):" فَأَمَرَ يُوسُفُ عَبِيدَهُ الأَطِبَّاءَ أَنْ يُحَنِّطُوا أَبَاهُ، فَحَنَّطَ الأَطِبَّاءُ إِسْرَائِيلَ. وَكَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، لأَنَّهُ هكَذَا تَكْمُلُ أَيَّامُ الْمُحَنَّطِينَ، وَبَكَى عَلَيْهِ الْمِصْرِيُّونَ سَبْعِينَ يَوْمًا". [٥]

---

[١] انظر: دين وطقوس رحّل الجزيرة العربية قبل الإسلام،لاحمد الجلاد،(١/٧٨-٨٣)، دار النشر Brill، ضمن سلسلة اللغات والحضارات القديمة،٢٠٢٢م.

[٢] انظر: الفهم الإسلامي للموت والبعث،لجين آيدلمان سميث ويفون حداد،(١٤٧-١٥٦)، جامعة أكسفورد،٢٠٠٢م.

[٣] انظر: رمزية الموت والخلود في الشعر الجاهلي، لعبير جراد النوايسة ومحمد إبراهيم العديلة،(مجلد ٥٠)، المجلة:دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن،٢٠١٨م.

[٤] انظر: الإسلام: لمحة موجزة عن تاريخه،ل و. مونتغمري وات، جامعة أكسفورد،١٩٩٩م.

[٥] العهد القديم، سفر التكوين ، الإصحاح الخمسين، الآيات ٢- ٣

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

إن الإيمان بوجود الله عز وجل عند المشركين لا يعني الإيمان بقدرته وعلمه ونحو ذلك من صفات كماله وجلاله، وهكذا كان إيمان مشركي العرب، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [١]، فهم وإن أقروا بأن الله تعالى هو خالق الكون إلا إنهم يجهلون صفاته وينكرون كمال قدرته وشمول علمه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " اجْتَمَعَ عِنْدَ البَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ - أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ - كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٢]،[٣]، ومن جنس ذلك أنهم كانوا ينكرون قدرة الله على بعثهم بعد موتهم.

يقول الدكتور عمر الأشقر[٤] : يمكننا أن نصنف المكذبين بالبعث والنشور إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الملاحدة الذين أنكروا وجود الخالق، ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة الدهرية الطبائعية، ومنهم الشيوعيون في عصرنا.

---

[١] سورة يوسف، الآية،١٠٦

[٢] سورة فصلت، الآية،٢٢

[٣] صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} [فصلت: ٢٢]،(٩/١٥٢برقم٧٥٢١).

[٤] عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر (١٩٤٠م – ١٠ أغسطس ٢٠١٢)، أستاذ الشريعة في الجامعة الأردنية ولد بقرية برقة التابعة لمحافظة نابلس بفلسطين.له: أصل الاعتقاد.الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية.الصيام في ضوء الكتاب والسنة. توفي في العاصمة الأردنية عمان عن عمر يناهز ٧٢ عاماً.انظر: الواضح الأسفر في ترجمة الشيخ محمد سليمان الأشقر، لعبد العزيز أحمد العباد، (صـ١-٢، ١٥)، ٢٠١٩ م.

الصنف الثاني: الذين يعترفون بوجود الخالق، ولكنهم يكذبون بالبعث والنشور، ومن هؤلاء العرب الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [(١)]، وهم القائلون فيما حكاه الله عنهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [(٢)]، وهؤلاء يدَّعون أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم يَدَّعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثال، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته على البعث والنشور، وأنه لا يعجزه شيء.

الصنف الثالث: الذين يؤمنون بالمعاد على غير الصفة التي جاءت بها الشرائع السماوية.[(٣)]

فالبعث أمر فصل، قال الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[(٤)]، فدل قوله تعالى بأول خلق الإنسان وابتدائهم

---

(١) سورة لقمان،الآية،٢٥

(٢) سورة النمل،الآية،٦٧-٦٨

(٣) القيامة الكبرى، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي،(صـ٧١)،دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

(٤) سورة الحج،الآية، ٥-٧

وتصويرهم في الأرحام وتدبيرهم فيها وتصريفهم حالاً بعد حال، فمن جعل النطفة إنساناً حياً عالماً ناطقاً فليس هذا أهون عليه من إعادته مرة ثانية.

ومنها قوله تعالى﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [1]، ففي هذا إجمال لقدرة الله عز وجل، **قال الإمام ابن كثير**[2]: يَسْتَبْعِدُونَ ذَلِكَ، وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ بَعِيدٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِمُ الْعَاجِزَةِ لَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ الَّذِي بَدَأَهُمْ وَخَلَقَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ، الَّذِي إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[3]

ومن الأدلة على وجود البعث: الاستدلال بخلق المخلوقات العظيمة كالسماء والأرض فمن قدر على خلق هذه المخلوقات مع عظمها قادر على خلق الإنسان ثانية وإعادته بعد موته، كما قال الله تعالى﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [4]، ومن الأدلة كذلك ما يشاهد في حياة الناس من إحياء الموتى: كإحياء الأرض بعد موتها وكإحياء من مات كما في سورة البقرة وتلك قصص وقعت في بني إسرائيل، قال تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

---

(1) سورة يس، الآية، ٧٨-٨٣

(2) سبق ترجمته، (صـ٥٠).

(3) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،(٦/٣٢٢).

(4) سورة غافر، الآية، ٥٧

ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ
بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ
صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن
شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ
فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا
كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

[١]، "فعن محمد بن سيرين، عن عبيدة قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم –أو عاقر– قال: فقتله وليه، ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه. قال: فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح. قال: فقال أولو النهى: أتقتتلون وفيكم رسول الله؟ قال: فأتوا نبي الله، فقال: اذبحوا بقرة! فقالوا: أتتخذنا هزوا، قال:"أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة) ، إلى قوله: (فذبحوها وما كادوا يفعلون) قال: فضرب، فأخبرهم بقاتله. قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهبا، قال: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم. فلم يورث قاتل بعد ذلك".[٢] واليهود أشد الناس خصومة للقرآن فلو لم تكن وقعت لسارعوا إلى تكذيب القرآن ورده ولكنهم يعلمون صحة ذلك ويتوارثونه جيل عن جيل فلا يستطيعون إنكاره.

---

[١] سورة البقرة، الآية، ٦٧–٧٣

[٢] جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،(١٨٤/٢)،المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

المطلب الثالث

ظلم كبراء مكة للآخرين في مقابل منافعهم الخاصة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١–نص الشبهة:

“Mancava un capo di Stato, mancavano veri poteri pubblici، ma di fatto, per le grandi questioni d'inte– resse comune, politico, religioso, commerciale, si aveva una oli– garchia d'uomini d'affari, per lo più anche capi o membri influenti delle varie sottotribù, la quale oligarchia, benchè priva di mezzi coercitivi, sapeva esercitare adeguata pressione morale sulle sin– gole frazioni di tribù per ottenerne l'eventuale adattamento dei singoli membri alle supreme esigenze dell'intera comunità” [1]

“كان هناك نقص في رئيس الدولة، وكانت السلطات العامة الحقيقية غائبة، ولكن في الواقع، بالنسبة للقضايا الكبيرة ذات الاهتمام المشترك، سياسيًا ودينيًا وتجاريًا، كان هناك نخبة من رجال الأعمال، معظمهم كانوا قادة أو أعضاء نافذين في مجموعات فرعية مختلفة، وهذه النخبة، على الرغم من عدم توفرها لوسائل الإكراه، كانت تستطيع ممارسة ضغط أخلاقي مناسب على الأجزاء الفردية من القبائل للحصول على تكيف فردي لأفرادها مع الاحتياجات العليا للمجتمع بأسره”[٢]

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ٤

“da una parte il fasto e la prepotenza dei ricchi, talvolta milionari, che profondevano nel lusso i frutti delle loro speculazioni، dall' altra il pauperismo dei diseredati della fortuna, e la turba degli schiavi Il paganesimo arabo” [1]

“من جهة البذخ والتسلط الذي مارسه الأثرياء، أحيانًا من أصحاب الثروات الطائلة، الذين أنفقوا مكاسبهم الناتجة عن المضاربات في حياة مترفة، ومن جهة أخرى، الفقر المدقع الذي عانى منه المحرومون، بالإضافة إلى جموع العبيد. كان هذا هو حال المجتمع في ظل الوثنية العربية “ [٢]

"لقد أصبح كبار تجار مكة ممولين دوليين... وكان اهتمامهم الأساسي هو حماية مصالحهم الخاصة وتوسيع ثرواتهم، غالباً على حساب الضمان الاجتماعي التقليدي الذي كانت توفره القبيلة." [٣]

٢- مضمون الشبهة:

- حال كفار قريش الذين استكبروا في الأرض وعتوا عتواً كبيراً، فغير أنهم رفضوا الدعوة الإسلامية، واتباع سيد المهتدين-صلي الله عليه وسلم-، وبسب تكهناتهم، ووظائفهم حول الكعبة، وإدارة النظام العام لها وللحجاج، طغوا على من سواهم، وظلموا من تحتهم، وكل هذا من أجل منافعهم الخاصة.

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٤

[٣] محمد في مكة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ١٢٦).

٣-هدف الشبهة:

- تقديم صورةٍ تجريبية تاريخية لنظام سلطوي كقوةٍ غير رسمية تُسيِّر المجتمع قبل الإسلام، وإبراز دور الإسلام في حل المشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية، وليس كاستمرارية مباشرة للنظام السلطوي.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تعميم الحالة الإقليمية على كل شبه الجزيرة قد يكون مغالطة استقرائية.
- تجاهل وجود كيانات مناطقية (ممالك جنوبية: سبأ، حمير) ونظم حكم أكثر تنظيماً في أجزاء من الجزيرة. [١]

٥-مصادر الشبهة:

- اعتمد نالينو على هذه الشبهة من خلال مقالاته في ملاحظاته اللغوية والتاريخية من المصادر العربية التراثية(الجاهلية، الجاهلية الأدبية) التي اعتمدها كمستندات ثانوية. [٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** حفزت نقاشًا منهجيًا عن مدى مركزية الدولة في الجزيرة قبل الإسلام، ودعمت مناهج تُركِّز على الجانب القبلي والاقتصادي للتماسك الاجتماعي. [٣]

---

[١] انظر: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)،(٧٢/٤).

[٢] في تركيب القبائل العربية قبل الإسلام، لكارلو ألفونسو نالينو ،(٦١٤-٦٣٧)، مجلة النوفا أنتولوجيا ، السلسلة الثالثة، العدد ٤٧، (١٨٩٣م).و حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٤.

[٣] Fred M. Donner, The Early Islamic Conquests (Ch. I: “State and Society in Pre-Islamic Arabia”), Princeton University Press, 1981, pp. 11–50. W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca , Clarendon Press (Oxford), 1953

فريد م. دونر، الفتوحات الإسلامية المبكرة، الفصل الأول: «الدولة والمجتمع في جزيرة العرب قبل الإسلام» ، منشورات جامعة برنستون سنة النشر ١٩٨١م ، صـ ١١-٥٠ . و. مونتغمري وات ، محمد في مكة، مطبعة كلارندون – جامعة أكسفورد ، سنة النشر ١٩٥٣م .

- **في الوسط الإسلامي:** استُخدمت الشبهة كحافز لإعادة قراءة المصادر العربية والأثرية لإظهار أن الواقع لم يكن موحّدًا، وأن هناك مناطق ذات هيكل مؤسسي أو سلطوي (جنوب الجزيرة، ممالك حضرموت/سبأ)، كما استُخدمت للشروع في دراسات تُبيّن التماسك الاجتماعي والديني قبل الإسلام.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١–نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- نالينو يركّب صورة نمطية من أجزاء معينة كالظواهر القَبَليّة والتفاوت الاقتصادي ثم يعممها على كامل الجزيرة. هذا تعميم لا يستقيم منطقيًا ما لم تُعرض أدلة شاملة ومقارنة جغرافية وزمنية.[2]

٢–نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الواقع الأثري والتاريخي يُظهر تنوّعًا: وجود ممالك جنوبية (سبأ، معين، حمير) ذات مؤسسات ملكية وإدارية منشورة، إضافة إلى كيانات حضارية تربطها تجارة خارجية (موانئ، طرق تجارة). لذا لا يمكن اختزال كامل شبه الجزيرة في صورة قبليّة أحادية.
- المصادر الأثرية (نقوش جنوبية، معابد، سجلات تجارية) تُظهر أن بعض المناطق كانت أكثر تنظيمًا مما تصوره الصورة العامة المنسوبة للوثنية العربية على مستوى كل الجزيرة.[3]

---

[1] انظر: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)،(٧٢/٤).

[2] انظر: السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، لوليد بن بليهش العمرى،(صـ٢٦ ومابعدها)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

[3] انظر: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)،(١٤١/٨).

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يقول المستشرق مونتغمري وات: (لم تكن مكة تمتلك حكومة مركزية بالمعنى السياسي، فلم يكن فيها ملك أو مجلس حاكم يتمتع بسلطة تنفيذية قهرية.
- لكن القبائل المكية، وبخاصة قريش، كانت تنظّم شؤونها الداخلية عبر شبكة من الأعراف والتقاليد التي تُلزِم الأفراد بما يُتفق عليه عرفًا وشرفًا.
- فقد كان نظام الشورى في دار الندوة يؤدي وظيفة السلطة العليا في إدارة الشؤون العامة، ولا سيما ما يتعلق بالحرب والسلم والتجارة.
- لقد كانت السلطة الاجتماعية في مكة سلطةً أخلاقيةً أكثر منها قانونيةً، قائمةً على مكانة الشيوخ والأثرياء والتجار الكبار الذين امتلكوا النفوذ الاقتصادي والسمعة الحسنة، فكانوا يوجّهون الرأي العام القبلي ويوحّدون المواقف في القضايا الكبرى.
- ومن الواضح أن مثل هذا النظام، رغم افتقاره إلى جهاز دولة رسمي، كان ناجعًا في حفظ التوازن الداخلي وضمان الأمن النسبي، إلى أن بدأت الثروة تتركّز في أيدي قلةٍ من التجار، فظهرت بوادر التفاوت الطبقي والظلم الاجتماعي، وهو ما مهّد لظهور الدعوة الإسلامية التي طالبت بالعدل والمساواة.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

- يُظهر الكتاب المقدس في وصفه للأمم الوثنية القديمة أن هذه الأمم كانت تمتلك نظمًا اجتماعية ودينية متماسكة، ومعتقدات واضحة حول الموت والروح والبعث، وهو ما يُضعف دعوى أن "الوثنية" تعني بالضرورة إنكار الحياة الأخرى أو غياب البنية الدينية المنظمة: "الهاوية من تحت اهتزت لك لاستقبالك عند مجيئك، نبهت لك الأخيلة جميع رؤساء الأرض،

---

[١] W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, Clarendon Press, Oxford, 1953, pp. 8–9

محمد في مكة ،ل و. مونتغمري وات،(٨-٩)،طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

أقامت عن كراسيهم كل ملوك الأمم..".[1] وهو وصف أدبيّ يرمز إلى وعي تلك الأمم بوجود عالمٍ سفليّ (الهاوية) تستقبل فيه الأرواح بعد الوفاة.

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

كان الإسلام بالنسبة لكبراء مكة عائقاً كبيراً في متابعة ظلمهم على ضعفائهم، **فكان من بين جرائمهم الكبيرة محاولة القضاء على الإسلام ورسوله -صلي الله عليه وسلم-** :

فتم عقد الاجتماع في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، وضم الاجتماع العديد من قبائل العرب، وكان من جملة من حضر ذلك الاجتماع إبليس -أعاذنا الله من شره وكيده- الذي حضر على هيئة شيخ نجدي . وبعد مناقشات ومشاورات نتج عن ذلك الاجتماع ثلاثة آراء:

الرأي الأول : رأي إخراج الرسول -صلي الله عليه وسلم- من مكة، ونفيه منها، وعدم المبالاة به أينما ذهب، ولكن الشيخ النجدي سرعان ما تدخل واعترض على ذلك بحجة قدرته في التأثير على من يحلّ عليهم فيطيعوه، فيقوى شأنه، ثم يعود إلى قريش .

وكان الرأي الثاني: أن يُحبس الرسول-صلي الله عليه وسلم- ، وتُغلق عليه الأبواب حتى يموت، فينتهي خبره، فاعترض الشيخ النجدي مرة أخرى، محتجاً بأن أصحابه سيعرفون خبره، ويبلغهم أمره، فيعملون على فك أسره.

أما الرأي الثالث وهو الذي تم الاتفاق عليه فكان : أن يقتل الرسول -صلي الله عليه وسلم- ، وكان صاحب هذا الرأي كبير مجرمي مكة أبو جهل بن هشام، الذي اقترح أن يُؤخذ من كل قبيلةٍ شابٌ قويٌ ذو نسب، ثم يعطى كل واحدٍ منهم سيفاً صارماً، فيعمدوا إليه جميعاً فيضربوه ضربة

---

[1] العهد القديم، سفر إشعياء ، الإصحاح ١٤، الآيات ٩- ١١

رجلٍ واحد، فيتفرق دمه بين القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعاً، وقد لاقى هذا الرأي ارتياحاً وقبولاً عند المجتمعين، وأيده الشيطان عليه من ربه ما يستحق .

وفض الاجتماع على العمل بهذا القرار الآثم الجائر الظالم الذي يدل على ما وصل إليه القوم من حقد وحنق، وظلم وبغي، وكيف أن الكفر قد تغلغل في قلوبهم، وتمكن من عقولهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما دُبِّر في ذاك الاجتماع، قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [(١)]، إلا أن الله سبحانه وهو العاصم لرسوله من كل سوء كما أخبر بقوله ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [(٢)] ،وقد أرسل جبريل عليه السلام ليطلع رسول الله –صلي الله عليه وسلم– على حقيقة الأمر، ويأمره في الوقت نفسه بأخذ الأهبة والاستعداد للهجرة، وهو ما كان ينتظره –صلي الله عليه وسلم– . وهكذا بدأت الاستعدادات لترتيب أمر الهجرة سراً، وتم الترتيب مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن أخبره –صلي الله عليه وسلم– بأنه قد أُذن له في الخروج.[(٣)]

وشواهد السيرة النبوية تحكى هذا الظلم على الفقراء والضعفاء والعبيد:

وعندما جاء الإسلام برسالة التوحيد والمساواة، واجه هؤلاء الكبراء الدعوة بمقاومة شديدة، كان أبرزها تسليط العذاب على المستضعفين من المسلمين. قال تعالى: "وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ"[(٤)]فهذه الآية مشابه

---

(١) سورة الأنفال، الآية، ٣٠

(٢) سورة المائدة، الآية، ٦٧

(٣) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،(٢٠٠/١٥٤-١٥٥)،حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٤) سورة هود، الآية: ٢٧

لحال مكة، حيث كان الكفار يرون أن الذين اتبعوا الرسول -**صلى الله عليه وسلم**- من المستضعفين والعبيد فقط. وقال تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ"[١] وهنا إشارة إلى استكبارهم على الضعفاء المؤمنين واعتبارهم دون مستوى الهداية.

فعندما جاء الإسلام برسالة التوحيد والمساواة، واجه هؤلاء الكبراء الدعوة بمقاومة شديدة، كان أبرزها تسليط العذاب على المستضعفين من المسلمين. قال تعالى: "وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ"[٢]فهذه الآية مشابه لحال مكة، حيث كان الكفار يرون أن الذين اتبعوا الرسول -**صلى الله عليه وسلم**- من المستضعفين والعبيد فقط. وقال تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ"[٣] وهنا إشارة إلى استكبارهم على الضعفاء المؤمنين واعتبارهم دون مستوى الهداية.

فهذا بلال بن رباح(رضي الله عنه) كان عبدًا حبشيًا، فعذبه سيده أمية بن خلف بوضع الحجارة على صدره في حر مكة، فكان يقول:"أحدٌ أحد". حتى اشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه. وآل ياسر (عمّار وأبواه ياسر وسُميّة) كانوا من أوائل من أسلم، ولم يكن لهم منعة في مكة، فتعرضوا للتعذيب الشديد. قُتلت سميّة رضي الله عنها طعنًا بحربة، وهي أول شهيدة في الإسلام. قال النبي -**صلى الله عليه وسلم**- لهم: "صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة".[٤]

---

[١] سورة الأحقاف، الآية: ١١

[٢] سورة هود، الآية: ٢٧

[٣] سورة الأحقاف، الآية: ١١

[٤] انظر:السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)،(١/٣٢٠،٣١٨)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م

وغير ذلك من ظلم كبراء مكة المقاطعات الاقتصادية فكتبت قريش صحيفة بمقاطعة بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنين، منعوا عنهم الطعام والشراب والزواج والمعاملات، حتى أكلوا أوراق الشجر. [١]

وهنا تأتي الإشارة القرآنية لزيادة العقوبة لمن وقع منه الظلم في مكة المكرمة، قال تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٢]، ومعنى " الإلحاد " : الميل عن الحق ، ومعنى " الظلم " في الآية : كل مخالفة للشرع ، ويشمل ذلك الشرك والبدعة والذنوب كالقتل، وهو ما يرجحه الطبري والشنقيطي رحمهما الله .قال **الشيخ محمد الأمين الشنقيطي** – رحمه الله –[٣]:"الذي يظهر في هذه المسألة : أن كل مخالفة بترك واجب أو فعل محرم : تدخل في الظلم المذكور ، وأما الجائز كعتاب الرجل امرأته أو عبده : فليس من الإلحاد ، ولا من الظلم .[٤]

---

[١]دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)،(٢/٢٨٨)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ.

[٢] سورة الحج، الآية: ٢٥

[٣]محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(١٣٢٥-١٣٩٣هـ=١٩٠٧- ١٩٧٣ م)عالم، مفسر، مدرِّس.من علماء شنقيط (موريتانيا)، وُلد وتعلَّم بها.• واستقر مدرسًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١) وتوفي بمكة، له كتب كثرة ، منها:• «أضواء البيان في تفسير القرآن» – ط. انظر: الأعلام، للزركلي (٦/٤٥-٤٦).

[٤] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،(٤/٢٩٤).

قال ابن القيم – رحمه الله –[١]:والمسجد الحرام هنا : المراد به الحرم كُلُّهُ ."[٢] بل من شدة التحريم جاءت الباء في قوله (بإلحاد) على من همَّ بالمعصية وجزم على فعلها وقعت عليه العقوبه، **قال ابن القيم – رحمه الله** – [٣]: ومن هذا قوله تعالى ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [٤]، وفعل الإرادة لا يتعدى بالباء ولكن ضُمِّن معنى " يهم " فيه بكذا ، وهو أبلغ من الإرادة، فكان في ذكر الباء إشارة إلى استحقاق العذاب عند الإرادة وإن لم تكن جازمة .[٥]

قال بعض أهل العلم : مَنْ هَمَّ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فِي مَكَّةَ، أَذَاقَهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ بِسَبَبِ هَمِّهِ بِذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا، بِخِلَافِ غَيْرِ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ مِنَ الْبِقَاعِ، فَلَا يُعَاقَبُ فِيهِ بَالْهَمِّ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ بِإِلْحَادٍ فِيهِ بِظُلْمٍ وَهُوَ بِعَدَنِ أَبْيَنَ لَأَذَاقَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَهَذَا ثَابِتٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَوَقْفُهُ عَلَيْهِ أَصَحُّ مِنْ رَفْعِهِ، وَالَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ اسْتَدَلُّوا لَهُ

---

[١]أبو عبدِ الله شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أبي بَكرِ بنِ أيُّوبَ بنِ سَعْدِ بن حَرِيْزٍ الزُّرْعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الحَنبَلِيُّ (٦٩١-٧٥١هـ/ ١٢٩٢- ١٣٥٠م) المعروف باسم «ابنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّة» أو «ابنِ القَيِّمِ». هو فقيه ومحدِّث ومفسِّر وعالم مسلم له:.أمثال القرآن.بدائع الفوائد.وغيرهم كثير. توفي في ١٣ رجب سنة ٧٥١هـ وهو في عمر الستين سنة.انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)،(٣/٦١-٦٢برقم٣٧٥٧).

[٢] زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،(٣/٣٨١)،مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

[٣]سبق ترجمته، (صــ٧٠).

[٤] سورة الحج، الآية: ٢٥

[٥] انظر: بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (٢/٢٥٩)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ - ١٩٩٦

بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١)، لِأَنَّهُ تَعَالَى رَتَّبَ إِذَاقَةَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ عَلَى إِرَادَةِ الْإِلْحَادِ بِالظُّلْمِ فِيهِ تَرْتِيبَ الْجَزَاءِ عَلَى شَرْطِهِ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ: «بِإِلْحَادٍ» لِأَجْلِ أَنَّ الْإِرَادَةَ مُضَمَّنَةٌ مَعْنَى الْهَمِّ، أَيْ: وَمَنْ يَهْمُمْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ، وَعَلَى هَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ(٢). فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مُخَصِّصَةٌ لِعُمُومِ قَوْلِهِ –صلي الله عليه وسلم– : «وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ»(٣) الْحَدِيثَ، وَعَلَيْهِ فَهَذَا التَّخْصِيصُ لِشِدَّةِ التَّغْلِيظِ فِي الْمُخَالَفَةِ فِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ، وَوَجْهُ هَذَا ظَاهِرٌ.

قَالَ مُقَيِّدُهُ – عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ –: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْإِرَادَةِ فِي قَوْلِهِ: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ (٤) الْعَزْمُ الْمُصَمِّمُ عَلَى ارْتِكَابِ الذَّنْبِ فِيهِ، وَالْعَزْمُ الْمُصَمِّمُ عَلَى الذَّنْبِ ذَنْبٌ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ بِقَاعِ اللَّهِ، مَكَّةَ وَغَيْرِهَا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ إِرَادَةَ الذَّنْبِ إِذَا كَانَتْ عَزْمًا مُصَمَّمًا عَلَيْهِ أَنَّهَا كَارْتِكَابِهِ حَدِيثُ أَبِي بَكْرَةَ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحِ: إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْنَا الْقَاتِلَ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».(٥) فَقَوْلُهُمْ: مَا بَالُ الْمَقْتُولِ: سُؤَالٌ عَنْ تَشْخِيصِ عَيْنِ الذَّنْبِ الَّذِي دَخَلَ بِسَبَبِهِ النَّارَ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ الْقَتْلَ، فَبَيَّنَ النبي –صلي

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٥

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،(٤/٢٩٤)،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، كِتَابُ الرِّقَاقِ ، بَابُ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ ،(٨/١٠٣برقم٦٤٩١)..

(٤) سورة الحج، الآية: ٢٥

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: ٩]،(١/١٥برقم٣١)

الله عليه وسلم- بِقَوْلِهِ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» أَنَّ ذَنْبَهُ الَّذِي أَدْخَلَهُ النَّارَ هُوَ عَزْمُهُ الْمُصَمِّمُ وَحِرْصُهُ عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ الْمُسْلِمِ. وَقَدْ قَدَّمْنَا مِرَارًا أَنَّ «إِنَّ» الْمَكْسُورَةَ الْمُشَدَّدَةَ تَدُلُّ عَلَى التَّعْلِيلِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي مَسْلَكِ الْإِيمَاءِ وَالتَّنْبِيهِ.

وَمِثَالُ الْمُعَاقَبَةِ عَلَى الْعَزْمِ الْمُصَمِّمِ عَلَى ارْتِكَابِ الْمَحْظُورِ فِيهِ، مَا وَقَعَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ مِنَ الْإِهْلَاكِ الْمُسْتَأْصِلِ، بِسَبَبِ طَيْرٍ أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ "[١]لِعَزْمِهِمْ عَلَى ارْتِكَابِ الْمَنَاكِرِ فِي الْحَرَمِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْعَزْمِ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلُوا مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: فِيهِ رَاجِعٌ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَلَكِنَّ حُكْمَ الْحَرَمِ كُلِّهِ فِي تَغْلِيظِ الذَّنْبِ الْمَذْكُورِ كَذَلِكَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.[٢] وإذا فضل الله عز وجل جنس الإنسان من بني آدم على سائر مخلوقاته، كما قال تعالى﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٣]، فكذلك فضل بعض الأمكنة والأزمنة على بعض، ففضَّل الله تعالى مكة المكرمة على غيرها من بقاع الأرض، وفضلها في الأجر والثواب.

وجاء في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبي -صلي الله عليه وسلم- قَالَ: «صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ»[٤]و عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلي الله عليه وسلم- قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ

---

[١] سورة الفيل، الآية: ٤

[٢] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،(٢٩٥/٤).

[٣] سورة الإسراء، الآية، ٧٠

[٤] صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، بَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ،(٦٠/٢برقم ١١٩٠).

إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ»[١] فدل ذلك على أن الصلاة بالمسجد الحرام تضاعف بمائة ألف صلاة فيما سوى المسجد النبوي، وفي مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- خير من ألف صلاة فيما سواه سوى المسجد الحرام، وبقية الأعمال الصالحة تضاعف، قياساً على ذلك، فيحرص المسلم فيها على الإكثار من الطاعات، وتجنب المعاصي والمذلات، فيسود فيها الخير والنفع.

وقال الإمام الحسن البصري:[٢]" مَا على وَجه الأَرْض بَلْدَة يرفع الله فِيهَا الْحَسَنَة الْوَاحِدَة غَايَة ألف حَسَنَة إِلَّا مَكَّة، وَمن صلى فِيهَا صَلَاة رفعت لَهُ مائَة ألف صَلَاة، وَمن صَامَ فِيهَا كتب لَهُ صَوْم مائَة ألف يَوْم، وَمَن تصدَّق فِيهَا بدرهم كتب الله لَهُ مائَة ألف دِرْهَم صَدَقَة، وَمَن ختم فِيهَا الْقُرْآن مرَّة وَاحِدَة كتب الله تَعَالَى لَهُ مائَة ألف ختمة بغيرها.. وكلَّ أَعمال الْبر فِيهَا كل وَاحِدَة بِمائَة ألف، وَمَا أعلم بَلْدَة يحْشر الله تَعَالَى فِيهَا يَوْم الْقِيَامَة من الْأَنْبِيَاء والأصفياء والأتقياء والأبرار وَالصديقين وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاء وَالْفُقَهَاء والفقراء والحكماء والزهاد والعباد والنساك والأخيار والأحبار من الرِّجَال وَالنِّسَاء مَا يحْشر الله تَعَالَى من مَكَّة، وَإِنَّهُم يحشرون وهم آمنون من عَذَاب الله تَعَالَى،

---

[١] سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، (١/٤٥١ برقم١٤٠٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.وإسناده صحيح: انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) كِتَابُ النُّذُورِ ،(٤/٣٣٠)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

[٢] الحسن البَصْري(٢١ – ١١٠ هـ = ٦٤٢ – ٧٢٨ م)الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة،.ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم.توفي عشية يوم الخميس في الأول من رجب سنة عشر ومائة للهجرة وعاش ثمان وثمانين سنة.انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، (٢/٦٩).

وليوم وَاحِد فِي حرم الله تَعَالَى وأمنه أَرْجَى لَك وَأفضل من صِيَام الدَّهْر كُله وقيامه فِي غَيرهَا من الْبلدَانِ".[١]

وكما أن مكة المكرمة تُضاعف فيها الحسنات كما ذكرنا في السابق، فإنها تضاعف فيها السيئات أيضاً، **قال الإمام النووي**:[٢]"فإن الذنبَ فيها أقبح منهُ في غيرِها، كما أنَّ الحَسَنَةَ فيها أعظمُ منها في غيرها. وأمَّا مَن استحبَّها فلِما يحصلُ فيها من الطَّاعَاتِ الَّتي لا تَحْصُلُ بغيرِها مِنَ الطَّوَافِ وَتَضْعِيفِ الصَّلَوَاتِ والْحَسَنَاتِ وغيرِ ذلكَ"[٣] **وقال العلامة ابن القيم**[٤]" وَمِنْ هَذَا تَضَاعُفُ مَقَادِيرِ السَّيِّئَاتِ فِيهِ لَا كَمِّيَّاتِهَا، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ جَزَاؤُهَا سَيِّئَةٌ، لَكِنْ سَيِّئَةٌ كَبِيرَةٌ جَزَاؤُهَا مِثْلُهَا، وَصَغِيرَةٌ جَزَاؤُهَا مِثْلُهَا، فَالسَّيِّئَةُ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَلَدِهِ وَعَلَى بِسَاطِهِ آكَدُ وَأَعْظَمُ مِنْهَا فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ، وَلِهَذَا لَيْسَ مَنْ عَصَى الْمَلِكَ عَلَى بِسَاطِ مُلْكِهِ كَمَنْ عَصَاهُ فِي الْمَوْضِعِ الْبَعِيدِ مِنْ دَارِهِ وَبِسَاطِهِ،

---

[١] فضائل مكة والسكن فيها، للحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (المتوفى: ١١٠هـ)،(صـ٢١-٢٢)،المحقق: سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الأولى،١٤٠٠هـ،١٩٨٠م.

[٢] النَّوَوِي(٦٣١ – ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ – ١٢٧٧ م)يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته. له " تهذيب الأسماء واللغات – ط " و " منهاج الطالبين.انظر: طبقات الشافعيين، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،(١/٩٠٩-٩١٣)،تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

[٣] الإيضاح في مناسك الحج والعمرة، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،(صـ٤٠٢-٤٠٣)،وعليه: الإفصاح على مسائل الإيضاح على مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم لـ عبد الفتاح حسين، دار البشائر الإسلامية، بيروت – المكتبة الأمدادية، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

[٤]سبق ترجمته، (صـ٧٠).

فَهَذَا فَصْلُ النِّزَاعِ فِي تَضْعِيفِ السَّيِّئَاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".[1]، **وقال العلامة البُهُوتِيُّ:**[2]"إنَّ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيْئَاتِ تَتَضَاعَفُ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الْفَاضِلِ".[3]

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (١/٥٢).

[2] البُهُوتي (١٠٠٠ - ١٠٥١ هـ = ١٥٩١ - ١٦٤١ م)منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي . شيخ الحنابلة بمصر في عصره. نسبته إلى (بهوت) في غربية مصر.له كتب، منها: (المنح الشافية - ط) في شرح (نظم المفردات).وكانت وفاتُهُ سنةَ إحدى وخمسين بَعْد الأَلْف بِمِصْر القَاهِرَة. انظر: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبد الله بن حميد النجدي ثم المكي (المتوفى: ١٢٩٥ هـ)،(٣/١١٣١-١١٣٣برقم٧٦٦)،حققه وقدم له وعلق عليه: بكر بن عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

[3] دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)،(١/٤٤٨)،عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

المطلب الرابع

إلغاء عقيدة تعدد الآلهة إعلان للحرب

على المبتدع المخالف لتقاليد وأعراف الآباء

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

"La predicazione di Maometto, con la sua pretesa d'annientare le divinità fino allora venerate e d' introdurre forme di culto diverse da quelle del pa- ganesimo arabo, era agli occhi loro un attentato sacrilego alle tra- dizioni avite, a quelle esteriorită sacre che tenevano ormai luogo del verò sentimento religioso، ed ai maggiorenti appunto incom- beva l'obbligo d'opporsi al novatore" [1]

"كانت الدعوة التي قدمها محمد -صلي الله عليه وسلم- ، بادعائه تدمير الآلهة المعبودة حتى ذلك الحين وإدخال أشكال عبادة مختلفة عن عبادة الوثنية العربية، في نظرهم هجومًا مُهينًا على تقاليد الأجداد، وعلى تلك الخارجيات المقدسة التي احتلت الآن مكان المشاعر الدينية الحقيقية، ولذلك كان من واجب النبلاء مقاومة المبتدع" [٢]

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١٠

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ١٢

"إن الهجوم على الأصنام كان هجوماً على الحياة التقليدية العربية برمتها... وإن الإشارة إلى أن أسلافهم (آباءهم) في النار لأنهم كانوا عبدة أصنام كانت تعتبر إهانة لا تُطاق لكبرياء القبيلة. "[١]

٢- مضمون الشبهة:

الدعوة النبوية في نظر وثنيّي الجاهلية تمثلت في تحطيم الآلهة المعبودة وإلغاء عبادتها وإدخال عبادة جديدة تختلف عن الوثنية العربية السائدة، وبالتالي قد رآها هؤلاء على أنها هجومٌ مهين لتقاليد الأجداد، ومحاولة تغير جذري لمشاعر وتقاليدٍ دينية عميقة، الأمر الذي دفع زمرة من أعيان القبائل إلى مقاومة محمد -صلى الله عليه وسلم- .

٣-هدف الشبهة:

- تصوير الدعوة الإسلامية الأولى باعتبارها من منظور تحرّضيّ على التقاليد والأعراف الدينية العربية القديمة، وليس فقط كدعوة إصلاح أو تجديد.
- إبراز أنّ مقاومة الدعوة الأولى من أعيان القبائل كانت دفاعاً عن المشاعر الدينية التقليدية، وليس مجرد رفض ديني.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

من حيث المنطق والتحليل، يمكن أن نطرح عدة أسئلة ونقاط نقدية:

- هل الدعوة الأولى للرسول -صلى الله عليه وسلم- تمّت فقط أو بالأساس عبر تدمير الآلهة المعبودة كتقليد خارجي، أم أنّها كانت أيضاً بناءً على وحيٍ داخلي وتغييرٍ عقائدي؟
- هل الشبهة تفهم الدعوة كمجرد ظاهرة اجتماعية وثقافية، وتغفل البُعد العقائدي، وبالتالي تختزلها إلى صراع تقليد جديد مقابل تقليد قديم؟

---

[١] محمد في مكة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ١٦٤).

– منطقياً، هل تحطيم الآلهة كان الهدف الوحيد أو المحوري؟ أم أن الهدف كان توحيد العبادة – وهذا يغير معنى مهين إلى معنى إعادة تنظيم سابق؟

– هل وصفها بأنها كانت هجوماً مهيناً يعكس مَنظور الوثنيين وقتها أو تفسيراً بحكم التأريخ المعاصر؟ أي هل هو وصف للنبي –صلي الله عليه وسلم– أو وصف لمن ظنّ به؟[١]

٥–مصادر الشبهة:

– أبحاث الاستشراق تؤكد أن بعض المستشرقين فعلاً عرضوا أن الدعوة الإسلامية كانت تصادماً مع الجاهلية التقليدية، فيبين المستشرق مونتغمري وات أن دعوة النبي **-صلي الله عليه وسلم-** صُوّرت لدى قريش كهجوم على الدين التقليدي، لأنها هزّت النظام الاجتماعي الاقتصادي القائم.[٢]

٦–أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

– **في الوسط الاستشراقي:** الشبهة تبرز كبُعد من أبعاد تحليل الاستشراق الذي يرى الإسلام في بدايته كظاهرة اجتماعية وثقافية تحطّم تقاليداً جاهلية. بهذا تصبح هذه القراءة من القراءات التي تنظر إلى البدايات الإسلامية كجزء من ثورة اجتماعية وليس فقط تجديداً دينيّاً.[٣]

---

(١) انظر: السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، لمحمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي،(صـ٣١٨ ومابعدها)،رسالة دكتوراة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة،١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

٢ W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, Clarendon Press, Oxford, 1953, pp. 104

محمد في مكة ،ل و. مونتغمري وات،(١٠٤)،طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

٣ W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, Clarendon Press, Oxford, 1953, pp. 104

محمد في مكة ،ل و. مونتغمري وات،(١٠٤)،طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

و حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ١٢

- **في الوسط الإسلامي:** هذه الشبهة تُستخدم ربما من طرف بعض النقّاد لتقويض الطابع الإلهي للدعوة الإسلامية الأولى، وتحويله إلى صراع ثقافي تقليدي، وهو ما يدفع ردّاً من جانب المسلمين لتأكيد أن التغيير كان أوسع من مجرد تقليد، بل كان عقيدة ووحيًا.
- يمكن أن تؤثر في منهجيات البحث الإسلامي المعاصر حول الجاهلية والدعوة، إذ تُشجّع على قراءة البُعد الاجتماعي والثقافي وليس فقط العقائدي. [١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١–نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- منطقياً القول إن الدعوة كانت هجومًا مهينًا يعمّم في وصف ردّ فعل الجاهلية: ليس كلّ من واجه الدعوة رآها مهينة، بل بعضهم الآمن ربما قبلها أو تفاهم معها.
- الشبهة تفترض أن ردّ أعيان القبائل كان من باب مقاومة مبتدَع، لكن من المنطقي أن هناك عوامل متعددة في الصدام: السلطة، الاقتصاد، النفوذ القبلي، وليس مجرد مبتدع ديني.
- كذلك، الشبهة تختزل التغيير الديني، فالدعوة الإسلامية قدّمت بُعداً عقائديّاً ومنهجياً داخلياً مثل: التوحيد، الخلق، الحساب، وهذا إغفال منطقي كبير. [٢]

٢–نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر الإسلامية تؤكد أن الدعوة الأولى كانت تتم ضمن مجتمعٍ يتبع عبادة آلهة متعددة، والتوحيد كان محوراً أساسيّا: فيذكر ابن هشام في السيرة:" أن قريش كانت تعبد الأصنام

---

[١]انظر: فقه السيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)،(٣٨-١١٢)،جامعة أم القرى، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م

[٢]انظر: السيرة النبوية،لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، (٣١٣/١.)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

والأوثان، وأن النبي -**صلي الله عليه وسلم**- دعاهم إلى عبادة الله وحده، وقرأ عليهم قوله تعالى:(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ...)، مما يظهر أن محور الدعوة كان التوحيد ".[1]

- لا توجد أدلّة قاطعة بأن كلّ آلهة الجاهلية «تُدمّرت» فورًا – بل كان هناك تطور تدريجي، فيذكر ابن كثير في السيرة:" أن النبي -**صلي الله عليه وسلم**- بعد فتح مكة أرسل السرايا لهدم الأصنام في مناطق متعددة (كاللات والعزى ومناة)، أي أن التحطيم كان بعد الفتح تدريجيًا ".[2]
- الدعوة ليست دينية فقط بل اجتماعية وسياسية أيضًا، فيذكر الامام القرطبي في تفسيره:" أن الإسلام نظّم الشورى، العدالة، والاقتصاد في المجتمع المدني، ما يؤكد أن الدعوة تجاوزت نطاق العبادة فقط ".[3]

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين المعاصرين يعترفون بأنه على الرغم من المنهجيات الخاطئة لبعض الاستشراق، فقدّموا أيضاً دراسات مفيدة،منها: ماذكره بعضهم: (إذا كشفنا عن مواطن الضعف في الدراسات الاستشراقية حول الإسلام، فهذا لا يعني أننا ننكر إسهامهم في تطوير الدراسات الإسلامية... فهناك في الواقع الكثير مما يمكن أن نتعلّمه من المستشرقين).[4]

---

[1] انظر: السيرة النبوية،لابن هشام، (١/.١١٧-١٢٠)، دار المعرفة-بيروت.

[2] انظر: السيرة النبوية،لابن كثير، (٤/.٢٩٠-٢٩١)، دار الفكر.

[3] انظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،(٣٦/١٦)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

[4] النقد والتقدير للاستشراق في دراسة الإسلام،لعبدالفتاح، المجلد ٢٣، العدد ١ (١١ - ٢٠)،مجلة مدنية للدراسات الإسلامية، ٢٠١٩م

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس توجد مواضع عديدة تُظهر أن تغيير العبادة من تقاليد باطلة إلى عبادة الله الواحد هو عمل إصلاحي ووحي إلهي، لا هجومًا على التقاليد، بل استجابة لدعوة سماوية نحو التوحيد:" لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت... لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ". [١] هذا النص يبيّن أن ترك عبادة الآلهة المتعددة استجابة لأمرٍ إلهي بالتوحيد، وليس انتهاكًا للتقليد.

" تُبيدون جميع المواضع التي عبدت فيها الأمم... آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء... لا تعملوا هكذا للرب إلهكم ". [٢] هذا النص هنا يأمر الوحي بوضوح بإزالة العبادات الوثنية، لا باعتبارها اعتداءً على الموروث، بل حفاظًا على نقاء العبادة الإلهية.

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

يشير القرآن الكريم إلى أن قوم إبراهيم كانوا يؤمنون بالله تعالى، لكن يشركون معه غيره في العبادة، وهذا في قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ۝٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ﴾.(٣)

---

[١] العهد القديم، سفر الخروج ، الإصحاح ٢٠، الآيات ٣- ٥

[٢] العهد القديم، سفر التثنية ، الإصحاح ١٢، الآيات ٢- ٤

(٣) سورة الشعراء ،الآية، ٦٩-٧٧

فعن ابْن وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ زَيْدٍ، يَقُولُ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [(١)]الآية، قال:" ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم:﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۝ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ [(٢)]، قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي، تقول: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك؟ المشركون كانوا يقولون هذا".[(٣)]

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله تعالى[(٤)]:" فقد جاء في محاورة إبراهيم لقومه: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۝ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ [(٥)]. وقال تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝ ﴾ [(٦)]،

---

(١) سورة يوسف،الآية، ١٠٦

(٢) سورة الشعراء ،الآية، ٧٥-٧٧

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،(٢٨٩/١٦)،المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٤) المُعَلِّمي(١٣١٣ - ١٣٨٦ هـ = ١٨٩٥ - ١٩٦٦ م)عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي: من بلاد عتمة باليمن.كان أمينا لمكتبة الحرم المكيّ (١٣٧٢).له (محاضرة - ط) في كتب الرجال، وكتاب (العبادة - خ) مجلد كبير، توفي بمكة يوم الخميس السادس من شهر صفر عام ١٣٨٦هـ.انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(٣٤١/٣-٣٤٢).

(٥) سورة الشعراء ،الآية، ٧٥-٧٧

(٦) سورة الزخرف ،الآية، ٢٦-٢٧

فالاستثناء في هاتين الآيتين يدل على أن القوم كانوا يعبدون الله تعالى ويعبدون غيره، إذ الأصل في الاستثناء الاتصال".[١]

فالعرب يؤمنون أن الله عز وجل منفرد بخلقه لكن يشركون معه آلهة من الأصنام تقربهم إليه سبحانه، قال الله جل شأنه حكاية عنهم﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[٢]، قال العلامة ابن كثير رحمه الله[٣]:" إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به. قال قتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[٤] أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة. وَلِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ إِذَا حَجُّوا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ: "لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ". وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْمُشْرِكُونَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ، وَجَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، بِرَدِّهَا وَالنَّهْيِ عَنْهَا، وَالدَّعْوَةِ إِلَى إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ".[٥]

---

[١] آثَار الشيْخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني، لمجموعة من الباحثين، منهم: المدير العلمي للمشروع عَلِي بْن مُحَمَّد العِمْرَان، وفق المنهج المعتمد: من الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (رحمه الله تعالى)، (٣/٦٢١)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ

[٢] سورة الزمر ،الآية،٣

[٣]سبق ترجمته، (صـ٥٠).

[٤] سورة الزمر ،الآية،٣

[٥] تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٧/٨٥)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

وأما عداؤهم للنبي –صلي الله عليه وسلم– فهذه سنة الله عز وجل في كونه من عداء كل قوم لنبيه ورسوله، فالله عز وجل لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً كما قال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [(١)] فما لاقاه النبي –صلي الله عليه وسلم– من أذى واعتداء قد وقع لسائر الرسل عليهم السلام، وتلك سُنّة الله عز وجل في أوليائه﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [(٢)]، لذا بيّن الحق جل في علاه أن النصر ثابت له ولأوليائه، فتعهد بالهداية التي تقابل تضليل وتشكيك الطاعنين، وتعهد بالنصر الذي يقابل مقاتلة ومحاربة الباطلين.

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١١٢ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٣١ .

المطلب الخامس

الاشمئزاز من التآلف مع المؤمنين الضعفاء، واتباع نبيٍ بشري بدلاً من ملاك

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبـهة:

١-نص الشبهة:

"Il sentimento aristocratico d'altri sentiva disgusto della famigliarità con le persone del volgo e con gli schiavi, che, in per– fetto stato d'eguaglianza, s' univano agli altri credenti per ascol– tare la parola del profeta e prender parte agli esercizi mattutini e serali di devozione. Assurda riesciva loro l'idea della resurrezione finale, che cioè le ossa consunte avessero un giorno a tornar integre e rivestirsi delle antiche carni e ricostituirsi in corpi quali erano stati prima della morte ed avere una vita oltremondana، nè meno assurdo sembrava a molti che, se veramente Iddio voleva far loro rivelazioni, in luogo d'un'angelo avesse scelto qual messaggero un uomo come Maometto, senza importanza, eguale in tutto alla co– mune dei mortali, e che, al pari di questi, mangiava, beveva, aveva moglie e prole, e frequentava i mercati"[1]

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١١

"كما كانت لدى الطبقة الأرستقراطية[١] الشعور بالاشمئزاز من التآلف مع الناس الضعفاء والعبيد، الذين في حالة مساواة تامة، انضموا إلى باقي المؤمنين لاستماع كلام النبي –صلي الله عليه وسلم– والمشاركة في تمارين العبادة الصباحية والمسائية. كانت فكرة القيامة النهائية تبدو لهم سخيفة، أن العظام المتآكلة ستعود يومًا ما لتكون سليمة وتستعيد الأجساد القديمة وتعيد تكوين نفسها في أشكالها السابقة قبل الموت وتحظى بحياة في الآخرة، وكانت فكرة أنه إذا أراد الله حقًا أن يكشف لهم، فإنه بدلاً من ملاك اختار رسولًا كمحمد –صلي الله عليه وسلم– ، إنسانًا بلا أهمية، متساويًا بكل شيء مع البشر العاديين، والذي مثلهم، يأكل ويشرب وله زوجة وأولاد، ويتردد في الأسواق" [٢]

"كان قادة مكة يشعرون بالنفور من التكوين الاجتماعي للجماعة المسلمة... وكانوا يجادلون بأنه لو أراد الله إرسال رسول، لاختار شخصاً ذا رتبة عالية (من الكبراء) أو ملاكاً."[٣]

٢- مضمون الشبهة:

- ادّعاء بأن الطبقة الأرستقراطية في المجتمع الإسلامي كانت ترفض المساواة التي جاء بها الإسلام تجاه العبيد والضعفاء، وأنهم شعروا بالاشمئزاز من اختلاطهم بالمؤمنين.
- العاديين. ادّعاء بأن فكرة القيامة والجسد المعاد بعد الموت كانت تبدو سخيفة في نظر هؤلاء.
- ادّعاء بأن اختيار رسول من البشر بدل ملاك أو كائن أعلى كان دليلاً على أن الرسالة غير حقيقية أو أنها ليست بقدر ما يفترض.

---

[١] حكم الأشراف وسيطرتهم.انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، (٨٤/١)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ١٣

[٣] محمد في مكة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ١٦٨).

٣-هدف الشبهة:

- تصوير الإسلام كدين نزل على صفوف ضعيفة أو غير مؤثّرة اجتماعياً، ما قد يُقلّل من مصداقيته أو يُظهِره كحالة انعكاس اجتماعي أكثر منها دعوة سماوية.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

من حيث المنطق والتحليل، يمكن أن نطرح عدة أسئلة ونقاط نقدية:

- هل يُعقل أن طبقة أرستقراطية بكاملها رفضت عقائد القيامة والجسد المعاد؟
- هل تصريح بأن هذه الطبقة تشمئزّ من المساواة بين المؤمنين يتوافق مع ما نعلمه من تحوّلات اجتماعية في الإسلام؟
- هل من المنطقي أن يُستدلّ على بطلان رسالة نبيّ بسبب كونه إنساناً عادياً؟
- هل اختيار رسول من بين البشر يُقلّل من الرسالة، أم يُفسّر في الإطار العقائدي الإسلامي؟[١]

٥-مصادر الشبهة:

- بعض المستشرقين ركّزوا على أن المجتمع العربي قبل الإسلام كان يُعامل العبيد كخاضعين لطبقات عليا من القبائل، وأن الدعوة الإسلامية جاءت في وقت تغيّر فيه البُنى الاجتماعية.[٢]

[١] انظر: في سبيل العقيدة الإسلامية، لعبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمد السلطاني القنطري الجزائري (المتوفى: ١٤٠٤هـ)،(صـ٢٥٥)،دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة – الجزائر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

[٢] اهتمام المستشرقين بالتراث السردي،مقالة،(٣٦١-٤١١)، مجلة وادي الرافدين للدراسات القرآنية ،العدد٣/المجلد٢، ٢٠٢٢م.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: قد تُستخدَم هذه الشبهة كمثال على نقد الإسلام من الخارج، من أن الطبقات الاجتماعية العليا في الجزيرة العربية كانت رافضة للإسلام أو نظرت إليه بازدراء، مما يُشكّك في انتشار الإسلام أو صلاحيته كدين عالمي. [١]

في الوسط الإسلامي: تُنقَل هذه الشبهة غالباً كجزء من ردود الاعتبار على الاستشراق أو لتوضيح المغالطات التي يُرجح أن بعض الكتاب الغربيين استخدموها، فقد تُستخدم كتمرين في نقد كتابات المستشرقين وتحليل دوافعهم وموقفهم الاجتماعي. [٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- من غير المنطقي أن نلاحظ أن كل الطبقة الأرستقراطية شعرت بالشعور المشار إليه، من المنطقي أنّ هناك تنوّعاً في الموقف الاجتماعي، وليس تجانساً مطلقاً.
- استدلال بأن اختيار رسول إنسان يجعل الرسالة ضعيفة هو استدلال ليس مقبولاً تلقائياً: فالعقل لا يمنع أن يكون الرسول إنساناً، بل ربما هو متوقّع في معظم الأديان.

---

[١] Crone, Patricia. Meccan Trade and the Rise of Islam. Princeton: Princeton University Press, 1987, pp. 203–215, 230–240.

كرون، باتريشيا. تجارة مكة ونشوء الإسلام. برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ١٩٨٧، ص ص ٢٠٣–٢١٥، ٢٣٠–٢٤٠.

[٢] انظر: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، لعبد الشافى محمد عبد اللطيف،(صـ٢١٤)، دار السلام – القاهرة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٨ هـ.واهتمام المستشرقين بالتراث السردي،مقالة،(٣٦١-٤١١)، مجلة وادي الرافدين للدراسات القرآنية ،العدد٣/المجلد٢، ٢٠٢٢م.

٢-نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر الإسلامية والتاريخية تؤكّد أن الإسلام انتشر بين جميع الطبقات (فقير وغنيّ، حرّ وعبد) وأن هناك من الصحابه من الطبقة العليا قبل الإسلام وبعده ناصروا الدعوة، ما يقلّل من صحة القول بأن الطبقة الأرستقراطية كلّها رفضت المساواة".[١]

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- أكّد عدد من المستشرقين المنصفين مثل كارن أرمسترونغ التى تشير إلى أن الإسلام: (جذب أناسًا من جميع الفئات الاجتماعية، ولم يكن حركة طبقية بل دعوة إلى المساواة أمام الله) .[٢]
- وكذلك يرى ألفرد غيوّم:(أن مقاومة قريش كانت ذات دوافع سياسية واقتصادية، لا نفسية طبقية، لأن الرسالة الإسلامية زعزعت سلطتهم التقليدية) .[٣]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس توجد مواضع عديدة تُبيّن أن مبدأ المساواة أمام الله ليس غريبًا في الأديان السماوية، وأنّ رفض المساواة لم يكن موقفًا عامًا حتى بين الطبقات الثرية في النصوص القديمة:" انْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَّهُ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَلاَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ، وَلاَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ. بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ، وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ

---

[١] انظر: السيرة النبوية،لابن كثير، (٤٣٧/١)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م

[٢] HarperCollins, Muhammad: A Prophet for Our Time, 2006, p.54

محمد: نبي لعصرنا، هاربر كولينز. ص ٥٤، ٢٠٠٦،

[٣] Islam, Penguin Books, 1954, p.37

الاسلام،لألفرد غيوّم، ص ٣٧، ار بنغيون للنشر،١٩٥٤م.

الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ". [١] يبيّن النصّ أن الله لا يفرّق بين الطبقات، بل يُعطي القيمة للإيمان والعمل الصالح، لا للمكانة أو النسب.

" اَلْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ يَتَلاَقَيَانِ. صَانِعُهُمَا كِلَيْهِمَا الرَّبُّ". [٢] هذا النص يُبيّن أن كل البشر غنيًّا كان أو فقيرًا خَلْقُ الله، ولهما نفس الكرامة الإنسانية، وهو مبدأ المساواة الأصيلة في النص التوراتي.

٦–نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

وصف نالينو حال سادة قريش تأففهم ممن أسلموا مع النبي –صلي الله عليه وسلم– من الضعفاء والعبيد، وبسبب التأثير البالغ لقريش على سائر العرب، خافوا أنهم إذا أسلموا أن يفقدوا السيادة والزعامة على العرب، فعن عمرو بن سلمة: كانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم". [٣]

وما يسميه نالينو من تمارين صباحية ومسائية: هى الصلاة والعبادة، فمع كل الحذر والاحتياط من الرسول –صلي الله عليه وسلم– وصحابته الكرام على أمر الدعوة إلا أن قريشاً اكتشفت الأمر، رأت بعض المسلمين يصلي صلاة غريبة لم يعتادوا عليها، فعرفوا أنهم على دين جديد، فقد رأى رجل الرسول –صلي الله عليه وسلم– وهو يصلي مع السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها، وكان ذلك الرجل يجلس بجوار العباس، وكان العباس مشركاً فسأله عن عملهما؟ فقال: يزعم أنه يأتيه وحي من السماء، أو يقول: إنه نبي.

ولماذا آذت رسول الله –صلي الله عليه وسلم– وحاربته هذه المحاربة الشرسة بعد أن أعلن دعوته في مكة؟ الحقيقة أن قريشاً كان فيها قبل هذا رجال على نفس هذا النهج، مثل أمية بن أبي

---

[١] رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى، الإصحاح ٢٦، الآيات ١– ٢٨

[٢] العهد القديم، سفر الأمثال ، الإصحاح ٢٢، الآيه ٢

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي ،(٥/١٥٠برقم٤٣٠٢).

الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل وكانوا على الحنيفية، وورقة بن نوفل وكان نصرانياً فهؤلاء لم تكن تعمل لهم أي حساب وظنت أن المسلمين مثلهم، لكن أن يجاهر بدعوتهم، ويدعو إلى تسفيه الأصنام والقوانين الوضعية التي وضعها أهل مكة وأنزلوها منزلة كلام الله عز وجل، فهذا ما لا تريده قريش.فمبدأ قريش واضح وهو: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، أما أن يأتي دين يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في منظومة الأرض وفي حياة الإنسان والمجتمع، فهذا ما ترفضه قريش بالكلية. إذاً: في هذه المرحلة ترك القرشيون المسلمين دون تعرض، ولكن في المرحلة القادمة وبعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية سيجهر رسول الله –صلي الله عليه وسلم– بدعوته في وسط مكة، وسيعلن توحيده لله رب العالمين، وسيعلن نبذه للأصنام والأوثان.(١)

"وأما طلبهم إرسال ملكٍ يشهد بنبويته–صلي الله عليه وسلم– ، حيث إنه–صلي الله عليه وسلم– يمشي في الأسواق على عكس الملوك والقياصر: ففي قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨ ﴾ (٢)

فيه مسألتان:

الأولى : قوله تعالى : وقالوا ذكر شيئا آخر من مطاعنهم. والضمير في (قالوا) لقريش؛ وذلك أنهم كان لهم مع رسول الله –صلي الله عليه وسلم– مجلس مشهور، مضمنه أن سادتهم – عتبة بن ربيعة وغيره – اجتمعوا معه فقالوا : يا محمد! إن كنت تحب الرياسة وليناك علينا، وإن كنت تحب المال جمعنا لك من أموالنا ؛ فلما أبى رسول الله –صلي الله عليه وسلم– عن ذلك رجعوا في باب الاحتجاج معه فقالوا: ما بالك وأنت رسول الله تأكل الطعام، وتقف بالأسواق ! فعيروه بأكل الطعام؛ لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملكا، وعيروه بالمشي في الأسواق حين رأوا الأكاسرة

(١) انظر: فقه السيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)،(صـ١٤٤–١٤٨)،جامعة أم القرى، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م.بتصرف

(٢) سورة الفرقان : آية : ٧–٨ .

والقياصرة والملوك الجبابرة يترفعون عن الأسواق، وكان عليه السلام يخالطهم في أسواقهم، ويأمرهم وينهاهم؛ فقالوا: هذا يطلب أن يتملك علينا، فما له يخالف سيرة الملوك ؛ فأجابهم الله بقوله، وأنزل على نبيه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق فلا تغتم ولا تحزن، فإنها شكاة ظاهر عنك عارها.

الثانية : دخول الأسواق مباح للتجارة وطلب المعاش. وكان عليه السلام يدخلها لحاجته، ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل، لعل الله أن يرجع بهم إلى الحق. وتجارة الصحابة فيها معروفة، وخاصة المهاجرين؛ كما قال أبو هريرة : وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق".[(١)]

لذا فقد تنوعت أساليب المشركين في محاولتهم إيقاف دعوة النبي –صلي الله عليه وسلم– والقضاء عليها، ومن هذه الأساليب التي استخدموها مع النبي –صلي الله عليه وسلم– : التفريق بين المستويات والطبقات، إرسال ملك يشهد برسالته إلا أنها باءت جميعها بالفشل، وكان–صلي الله عليه وسلم– يجادلهم بحكمة رغم عداوتهم، فقال الله تعالى لنبيه –صلي الله عليه وسلم– ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾.[(٢)]، قال ابن كثير[(٣)]: " أَيْ: مَنِ احْتَاجَ مِنْهُمْ إِلَى مُنَاظَرَةٍ وَجِدَالٍ، فَلْيَكُنْ بِالْوَجْهِ الْحَسَنِ بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَحُسْنِ خِطَابٍ".[(٤)]

[(١)] انظر : الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،(٥/١٣)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.بتصرف يسير.

[(٢)] سورة النحل : آية : ١٢٥ .

[(٣)] سبق ترجمته، (صـ٥٠).

[(٤)] تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٤/٦١٣).

المطلب السادس

التقليل من سمعته ومكانته -صلى الله عليه وسلم-

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

"L'opposizione dovette contentarsi di mezzi indiretti per svalutare moralmente Maometto, isolarlo quanto più fosse possibile, arrestare gli effetti della sua propaganda. Si dichiara ch'egli è un uomo vit- tima degl' incantesimi di spiriti maligni, che è un invasato dai ginn, che è un mago mentitore, un indovino, un poeta، si susurra che non Dio ma i śayāṭin i demoni sono suoi ispiratori, che i testi ritmici da lui ripetuti come rivelazioni celesti sono un'im- postura ch' ei fabbrica con l'aiuto d' altri in segreti conciliaboli tenuti mattina e sera، si proclama che le sue minacce di catastrofi terrene per gl' increduli sono favoleggiamenti degli antichi. Lo scherno è facile، gli si chiedono miracoli d'ogni sorta، gli si do- manda di far scendere qualche scritto dal cielo، lo si sfida a far accadere subito quei disastri ch'egli continua a vaticinare، si vuol sapere con precisione quando sarà il momento della gran catastrofe universale، si pone in burla l' idea, cosi strana per il mondo arabo, che i morti abbiano un di a

risorgere. Con queste vessazioni morali si tentava d'abbatterne lo spirito, si sperava d'indurlo almeno a lasciar la città " [1]

"اضطرت المعارضة إلى الاكتفاء بالوسائل غير المباشرة لتشويه سمعة محمد –صلي الله عليه وسلم– أخلاقيًا، وعزله قدر الإمكان، وإيقاف تأثير دعوته. يُزعم أنه رجل يعاني من تعويذات الأرواح الشريرة، وأنه مسكون بالجن، وأنه ساحر كاذب، وعرّاف، وشاعر، يتردد القول أن الشياطين وليس الله هم من يوحي له، وأن النصوص الإيقاعية التي يتلوها كوحي سماوي هي مزورة يصنعها بمساعدة آخرين في اجتماعات سرية تُعقد صباحًا ومساءً، يُعلن أن تهديداته بالكوارث الدنيوية للكافرين هي خرافات قديمة. السخرية سهلة، يُطلب منه إظهار معجزات من جميع الأنواع، يُطالب بأن يُنزل شيئًا من السماء، يُتحدى لجلب الكوارث التي يتنبأ بها على الفور، يُريدون معرفة متى سيكون وقت الكارثة العالمية الكبرى بدقة، يُستهزأ بفكرة غريبة على العرب، وهي أن يتجدد الأموات يومًا ما. حاولوا تقويض روحه بهذه الاضطهادات الأخلاقية، وكانوا يأملون على الأقل في إقناعه بمغادرة مكة" [٢]

"لقد كان سلاح السخرية أمضى من سلاح العنف في بداية الأمر، فكان كبراء قريش يسعون جاهدين للتقليل من شأن محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من خلال إشاعة أنه شاعر أو كاهن أو مجنون. والهدف من هذه الاتهامات لم يكن مجرد الشتم، بل كان يرمي إلى إقناع الناس بأن ما يتلوه ليس له قيمة موضوعية، وبأنه مجرد هلوسات شخصية لا تستوجب اتباعاً أو احتراماً. " [٣]

---

(1) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١٢

(٢) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ١٤

(٣) محمد في مكة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ١٦٩).

٢- مضمون الشبهة:

- خصوم النبي محمد-صلي الله عليه وسلم- في مكة استخدموا اتهامات أخلاقية ونفسية ودينية (سحر، جنون، شعر، كهانة، تحريض الشياطين)كاستراتيجية لحجب تأثيره ورفض دعوته- صلي الله عليه وسلم- ، ولإظهار أن نصوصه الآيات ليست وحيًا إلهيًّا بل صناعة بشرية أو خدعة.

٣-هدف الشبهة:

- تفريغ دعوته-صلي الله عليه وسلم- من المصداقية الدينية والأخلاقية في نظر قومه، وإيقاف انتشار الدعوة بتشويه شخصية الداعي، وادعاء أن مصدر حديثه هو السحر وليس وحيًا من الله عز وجل.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

من حيث المنطق والتحليل، يمكن أن نطرح عدة أسئلة ونقاط نقدية:

- ما تفسير قوله شاعر؟ هل هو وصف هجائي من خصومه أم حقيقة مهنية؟ المنطق السليم يستدعي: ما هو السِّياق؟ هل هناك تعريف واضح لشاعر عندهم؟ هل دُرست تلك الروايات؟
- وصف ساحر المنطق يحثّنا على السؤال: ما هي معاييرهم؟ هل هناك دليل ملموس؟ وهل نفس الاتهام يُوجَّه إلى دعاة آخرين؟ بالتالي، النقد العقلي يفتح سؤال لماذا هذه التهمة تحديداً؟ وما علاقتها بموضوع الدعوة والرسالة؟.
- الشبهة تشير إلى أن يُطلب منه-صلي الله عليه وسلم- إظهار معجزات من جميع الأنواع ويُتحدّى لجلب الكوارث التي يتنبأ بها على الفور، هذا يحمل فكرة أن النبي -صلي الله عليه وسلم- كان عليه أن يقدّم دليلاً خارقاً فوراً في أي وقت للتصديق به وهذا من الناحية المنطقية

نوع من مغالطة فمن المفترض أن يُثبت المعارضون ادعاءاتهم وليس دائماً أن يتصرف المدّعى عليه بهذه الطريقة.[1]

٥-مصادر الشبهة:

- مصادر داخلية: روايات في السيرة والتفاسير تُنقل أن قريش نعتوه شاعراً، كاهناً، ساحراً، مجنونًا، كتفسير قوله تعالى {فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون}، يبين كيف ردّ القرآن على مزاعم قريش.[2]

- مصادر استشراقية: كتابات واستنتاجات للمستشرقين والحداثيين التي تبيّن وجود رواية مفادها أنّ بعض المعارضين وصفوا النبي-صلي الله عليه وسلم- بهذه الصفات، يذكر المستشرق الاسكتلندي موير روايات السيرة التي تشير إلى وصف النبي **-صلى الله عليه وسلم-** بالساحر والكاهن، ويحللها تاريخياً (وإن كان بمنهج متحيز أحياناً).[3]

---

[1] انظر: إعجاز القرآن للباقلاني، لأبى بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)،(صـ٥١ ومابعدها)،المحقق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،(١٧/٧١)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.و حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ١٤

[3] William Muir — The Life of Mahomet، London: Smith, Elder & Co, 1861, Vol. 2, pp. 64–67.

حياة محمد،لوليام موير،(٢/ ٦٤-٦٧) دار سميث، إيلدر وشركاه، لندن، سنة ١٨٦١م.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: مثل هذه التهم تُستخدم أحياناً كسِبيل لتفسير النشأة الدينية على أنها ظاهرة اجتماعية. [1]

في الوسط الإسلامي: شُغلت هذه الاتهامات دائماً بالردّ العلمي والنقلي، وتناولت الأدلة المنطقية والقرآنية التي تفنّد هذه الادعاءات (آيات تبطِل صفة الكهانة أو الجنّ أو الشعر). [2]

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- حُجّة الاتهام تعتمد على مغالطة التفسير الأحادي: رؤية أي ظاهرة لغوية أو أخلاقية أو اجتماعية (بلاغة القرآن، قوّة التأثير الاجتماعي) على أنها سحر أو جنّ تتجاهل بدائل تفسيرية (القدرة البلاغية، السياق التاريخي، التأثير الأخلاقي).
- إذا كانت الزعمية أن النصوص من صنعة سرية، فذلك يستلزم دلائل مادية قوية (مخطوطات، شهود تثبت اجتماعًا منظماً لإنتاج النصوص) وهذا غير متوافر تاريخياً. إذن الحجة تفتقر إلى دليل إيجابي قوي. [1]

---

[1] Bell, Richard. The Origin of Islam in Its Christian Environment. London: Macmillan, 1925, pp. 20–40

بيل، ريتشارد. أصل الإسلام في بيئته المسيحية. لندن: ماكميلان، ١٩٢٥، ص ص ٢٠–٤٠.

[2] انظر: مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم،(صـ٣٨)، دار القلم – دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٢-نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- لا توجد دلائل أثرية أو مخطوطية تُثبت أن النص القرآني في بداياته كان نتاج مؤتمرات سرية بشرية.
- العكس هو الصحيح: توجد شهادات مبكرة عن حفظ النصّ وتواتره وروايته، وما يروّجه ادعاء التحريف يتطلّب أدلة مادية غير متوافرة.
- دراسات تاريخية عن وضع مكة والمجتمع القرشي تُظهر أن معارضة النبي كانت متعددة الوسائل (اقتصادية، اجتماعية، أدبية)، وأن الاتهامات بسحر/شعر/كهانة هي أدوات بلاغية تُعرف في سياق مقاومة التغيير الاجتماعي.[٢]

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يرى بعض المستشرقين أن الروايات الإسلامية الأولى التي نقلت اتهامات قريش للنبي **-صلى الله عليه وسلم-** ، أنها انعكاسًا لصراعٍ اجتماعي ديني، لا دليلاً على سحر أو مسّ .[٣]

---

[١] انظر:إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)،(صـ١١٣ ومابعدها)،دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

[٢] انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،(٤/١)،دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

[٣] Ignaz Goldziher, (Islamic Studies), Halle: Max Niemeyer Verlag, 1889, Vol. 2, pp. 3–5 & 40–43

دراسات إسلامية،لإجناس جولدزيهر،(٢/٣-٥،٤٠-٤٣) دار نشر هاله: ماكس نيميار، ١٨٨٩م.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس توجد مواضع عديدة تُبيّن أن الأنبياء والرسل وُجّهت إليهم اتهامات مشابهة لما وُجِّه إلى النبي محمد **-صلى الله عليه وسلم-** ، كاتهامهم بالجنون أو السحر أو بالكذب:" اتهموا المسيح بأنه يستخدم رئيس الشياطين في إخراج الشياطين اتهامٌ بالسحر". [١]

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ممايُحسب لنالينو بيان اتهام قريشٍ لنبينا محمد -صلي الله عليه وسلم- بالسحر والشعوذة، وأنه ساحر كاذب، وعرّاف، وشاعر، يتردد القول أن الشياطين وليس الله هم من يوحون له، وأن النصوص الإيقاعية التي يتلوها كوحي سماوي هي مزورة يصنعها بمساعدة آخرين في اجتماعات سرية تُعقد صباحًا ومساءً.

ويتمثل الرد في ست نقاط:

أولاً: بيَّنَ الله عز وجل أن ما قالته قريش في رسول الله -صلي الله عليه وسلم- سبق أن قاله المكذبون للرسل السابقين عليهم السلام ومن ذلك:- موسى عليه السلام رماه قومه بالسحر، كما قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ ١٣.[٢] وكذلك اتهمه فرعون بالجنون كما أخبر تعالى عنه في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾ ٢٧.[٣]

- وكذلك نوح عليه السلام رماه قومه بالجنون، كما قال تعالى عنهم أنهم قالوا ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ ٢٥ [٤]

---

[١] أعمال الرسل، الإصحاح ٢٤، الآيه٢٦

(٢) سورة النمل : آية : ١٣ .

(٣) سورة الشعراء : آية : ٢٧ .

(٤) سورة المؤمنون : آية : ٢٥ .

- وكذلك هود عليه السلام رُميَ بالجنون، قال تعالى على لسان قومه ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [١]

وهكذا تشابهت أقوال أهل الباطل وليس أمام الرسل عليهم السلام إلا الصبر على أذاهم، والتحمل لنصرة دين الله عز وجل.فيقول تعالى مخاطباً رسوله -صلي الله عليه وسلم- ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [٢]وقال تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [٣]وقال تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٤]فأمر تعالى رسوله -صلي الله عليه وسلم- بالصبر على ما يقولون فإن الله تعالى مطلع على جميع ما يفعلونه، وما يتلفظون به من أكاذيب وستكون العاقبة له ولمن اتبعه من المسلمين.

ثانياً: ومن خلال الردود العقلية يبطل إتهامه -صلي الله عليه وسلم- بالساحر: فلو كان النبي -صلي الله عليه وسلم- ساحراً كما يزعمون لسحر الكفار حتى يؤمنوا به، فالساحر إذا سحر النَّاس سحرهم جميعًا، فسحرة فرعون سحروا كل من يشاهدهم حَتَّى نبي الله موسى عليه السلام﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [٥]، حَتَّى إن نبي الله موسى عليه السلام كان:{يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}[٦]، لكن النَّاس أمام دعوة النبي -

---

[١] سورة هود : آية : ٥٤ .

[٢] سورة غافر : آية : ٧٧ .

[٣] سورة الروم : آية : ٦٠ .

[٤] سورة القلم : آية : ٤٨ .

[٥] سورة الأعراف : آية : ١١٦.

[٦] سورة طه : آية : ٦٦ .

صلي الله عليه وسلم- لم يؤمنوا كلهم، بل آمن أبو بكر وكفر أبو جهل، وهكذا، فلماذا وقع السحر على بعضهم دون البعض الآخر وهذا دليلُ على أنه-صلي الله عليه وسلم- ليس بساحر.

ثالثاً: إن جزالة ألفاظ القرآن وقوة أسلوبه بعيدة من كلام الجن: قال تعالى﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[1]، والصحابة الكرام منهم من رأى جبريل عليه السلام[2]، وكانوا يعلمون حال الرسول -صلي الله عليه وسلم- عند نزول الوحي عليه، ولم يُؤثر أن أحداً منهم رأي جنياً يُحدث الرسول -صلي الله عليه وسلم- ، وقد شهدت قريش أنفسهم بأن القرآن لا يشبه كلام الجن:

فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فسلم، قال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال لم؟ قال ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قبله، قال قد

---

[1] سورة النحل : آية : ١٠٣ .

[2] فعَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». صحيح مسلم، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، (١/٣٦برقم٨).

علمت قريش أني أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟ فواالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إنه لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته".(١)

رابعاً: تناقض مشركي قريش في إتهاماتهم الباطلة في شخص رسولنا –صلي الله عليه وسلم–
: فيتبين من خلال استعراض موقف المشركين من نبوة رسولنا –صلي الله عليه وسلم– وما أثاروه من شبهات واهية لا أساس لها من الصحة فإنه يظهر مدى تذبذبهم، وتناقضهم، وعدم استقرارهم على شبهة معينة فتارة يقولون رسولنا –صلي الله عليه وسلم– ساحر، وتارة يقولون مجنون، وأخرى يقولون كاهن وهكذا حتى إنّ التاريخ يروي لنا أنهم اجتمعوا فيما بينهم حتى يستقروا على رأي معين، وشبهة واحدة يرمون بها رسولنا –صلي الله عليه وسلم– ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنه : " أنّ الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش ، وكان ذا بأس وسنٍّ فيهم وقد حضر الموسم فقال : إنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قول بعضكم بعضاً ، فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأيا نقوم به ، فقال : بل أنتم فقولوا اسمع ، فقالوا : نقول كاهن ، فقال : ما هو بكاهن لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكهان وسحره، فقالوا : نقول مجنون ، فقال : وما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون . وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، فقال : فنقول شاعر ، قال فما هو بشاعر وقد عرفنا الشعر برجزه، وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، قال: فنقول ساحر ، قال: فما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده ، فقالوا ما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال: والله أن لقوله حلاوة ، وإن أصله لغدق وإن فرعه لجنا فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا ساحر ، فتقولوا هو

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ)،(٣/٣٩٢)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٤٢٧هـ

ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء وبين زوجته ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم من أمره ، فأنزل الله عز وجل في الوليد بن المغيرة وذلك من قوله:{ذرني ومن خلقت وحيداً}(إلى قوله){سأصليه سقر}.وأنزل الله في النفر الذين كانوا معه، ويضيفون له القول في رسول الله –صلي الله عليه وسلم– فيما جاء به من عند الله الذين جعلوا القرآن عضين أي أصنافاً {فوربك لنسألنهم أجمعين } أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله –صلي الله عليه وسلم– لمن لقوا من الناس، قال: وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله –صلي الله عليه وسلم– وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها".[١]

خامساً: اعتراف مشركي قريش أنفسهم بسيرة رسولنا صلي الله عليه وسلم العطرة، وأنه ليس كما رموه به من أنواع التهم المختلفة فعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: " قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقال: يا معشر قريش إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة، ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وحالهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعراء، وسمعنا أصنافه كلها هزجه وقريضه، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته، ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم ". [٢]

---

[١]انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)،(٢/٢٠١)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ..

[٢]انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)،(٢/٢٠١)،

سادساً: نهاية يتبين أنَّ مشركى مكة كانوا يعترفون فيما بينهم صدق رسولنا صلي الله عليه وسلم، ولكن الحسد والإصرار على ما كان عليه الآباء والأجداد، دفعهم إلى اتخاذ هذا الموقف من رسولنا صلي الله عليه وسلم ومجاهرته بالعداء: فعن المغيرة بين شعبة قال: " إن أول يوم عرفت رسول الله –صلي الله عليه وسلم– أني كنت أمشي أنا وأبو جهل بن هشام فقال رسول الله –صلي الله عليه وسلم– لأبي جهل : يا أبا الحكم هلم إلى الله عز وجل وإلى رسوله أدعوك إلى الله، قال أبو جهل : يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقوله حقاً ما اتبعتك فانصرف رسول الله – صلي الله عليه وسلم– ، وأقبل عليَّ فقال: والله إنِّي لأعلم أن ما يقوله حق ولكن بني قصي قالوا فينا الحجابة فقلنا: نعم. فقالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم. قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. قالوا فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم أطعموا فأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي والله لا أفعل". [١] **وبهذا يتبين مدى الحقد الموجه لشخص رسولنا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وكيف أن هذه التهم كلها في بطلان ونحور.**

---

[١] السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٥٠٧/١).

المطلب السابع

بيعة العقبة الثانية واستخدام القوة المادية لحماية نفسه وصحابته

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

“ Infine Maometto aveva dovuto convincersi che ormai, per la tutela sua e dei suoi seguaci di fronte agli avversari sempre più minacciosi, era necessaria anche la forza materiale.

Con questi criteri Maometto iniziò le prime trattative con alcuni personaggi del summenzionato gruppo degli al-Hazrag, ed in se- guito ad esse mandò fra loro a Medina un fido compagno, quale istruttore religioso, per la propaganda islamica. Questa diede buon frutto, a breve scadenza, con il cosi detto secondo patto d'al- Aqabah” [1]

“وأخيرًا، كان على محمد -صلى الله عليه وسلم- أن يقتنع بأنه الآن، من أجل حماية نفسه وأتباعه من المعارضين المتزايدين في التهديد، كان من الضروري أيضًا استخدام القوة المادية. باستناد إلى هذه المعايير، بدأ محمد -صلى الله عليه وسلم- المفاوضات الأولى مع بعض الشخصيات من مجموعة الخزرج المذكورة، وبعد ذلك أرسل إليهم في المدينة رفيقًا موثوقًا كمعلم

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١٦

ديني للدعوة الإسلامية. أسفرت هذه الجهود بسرعة عن ثمار جيدة، من خلال ما يسمى بالعهد الثاني للعقبة." [(١)]

"تُعرف بيعة العقبة الثانية في التقليد الإسلامي بـ 'بيعة الحرب'. لقد كان هذا تطوراً حيوياً، لأنه يعني أن محمداً لم يعد مجرد معلم ديني، بل أصبح رئيساً لجماعة مستعدة لاستخدام القوة للدفاع عن أفرادها." [(٢)]

٢ – مضمون الشبهة:

- الإدعاء أن التحول من الدعوة الوعظية السلمية إلى ترتيب تحالفات سياسية عسكرية، أو على الأقل تأمين حماية مادية كان ضروريًا كرد فعل على تهديدات قريش، وأن هذا التحول تم عبر مفاوضات أولية نتجت عنها بيعة العقبة الثانية.

٣– هدف الشبهة:

- إظهار أن نشأة الدولة الإسلامية وحماية النبي –صلى الله عليه وسلم– لم تكن مجرد نتيجة لنجاح روحي أو تبليغي فقط، بل كانت نتاجاً أيضاً لخطوات عملية وسياسية.

٤–مثارات النقد العقلي للشبهة:

من حيث المنطق والتحليل، يمكن أن نطرح عدة أسئلة ونقاط نقدية:

- هل الشبهة تُبالغ في وصف الضرورة الوحيدة؟ فالقول بأنها ضرورة فقط لحماية مادية يختزل عوامل روحانية واجتماعية ودعوية أوسع (كإيمان الأنصار، استجابة الدعوة المحلية، دور مسلمي مكة من المهاجرين).
- هل الشبهة توحي بأن التحول نحو أسلوب استخدام القوة صار إجراءً فورياً أو مخططًا منذ البداية؟ لأن السرد التراثي يشير إلى تطور تدريجي في الأحكام والظروف. [١]

---

(١) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ١٨

(٢) محمد في مكة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ٢١٨).

٥-مصادر الشبهة:

- مصادر إسلامية كـ:

سيرة ابن هشام (باب «أمر العقبة الثانية»)، والبداية والنهاية لابن كثير(فصل بيعة العقبة الثانية).[٢]

- مصادر استشراقية:

- يحاول المستشرق مونتغري وات تحليل الدعوة الإسلامية في سياقها الاجتماعي والسياسي، وليس فقط من منظور ديني. ففي الجزء الأول ركّز على نشأة الدعوة، وبنية المجتمع المكي، وأسباب المعارضة القرشية.وفي الجزء الثاني تناول دور المفاوضات السياسية، التحالفات مع الأنصار، وتشكّل المجتمع المدني في يثرب). [٣]

---

[١] انظر: صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: ١٤٢٥هـ)،(صـ١٠٨ ومابعدها)،تقديم: د. عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

[٢] انظر: السيرة النبوية لابن هشام،(٤٣٨/١)،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م. والبداية والنهاية لابن كثير،(١٩٢/٢)،تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

[٣]W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca (Oxford: Clarendon Press, 1953), pp. 52–60, 170–180.

محمد في مكة ،ل و. مونتغمري وات،(٥٢-٦٠، ١٧٠-١٨٠)، طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina (Oxford: Clarendon Press, 1956), pp. 227–240

محمد في المدينة ل و. مونتغمري وات،(٢٢٧-٢٤٠)، طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تُستخدم قصة البيعة الثانية كنقطة مركزية لشرح كيف تحوّل الدعوة من حركة تصحيحية دينية إلى مؤسسة سياسية، بعض المستشرقين يرونها دليلًا على الانتقال السياسي في سيرة النبي -صلي الله عليه وسلم- .[١]
- **في الوسط الإسلامي:** تُعرض البيعة الثانية كميثاق تاريخي ديني فالأنصار بايعوا نصرة النبي -صلي الله عليه وسلم- كقائد ديني ودنيوي، وهي تُعرض دائماً كعنصر حاسم في تأسيس المجتمع الإسلامي وشرعية الهجرة، ولا تُفهم عادةً على أنها مؤامرة أمنية فحسب.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الربط بين المفاوضات وضرورة استخدام القوة له عدة عوامل: كنجاح دعوة بعض المهاجرين في يثرب، واستعداد الأنصار لقبول القيادة، وحاجة النبي-صلي الله عليه وسلم- إلى ملاذ آمن نتيجة الاضطهاد، ولكن الشبهة تختزل هذه العوامل في سبب أمني واحد.

---

[١] Donner, Fred M. Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam. Cambridge: Harvard University Press, 2010, pp. 60–72.

دونر، فريد. محمد والمؤمنون: في أصول الإسلام. كامبريدج: مطبعة جامعة هارفارد، ٢٠١٠، ص ص ٦٠-٧٢.

[٢] انظر: صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: ١٤٢٥هـ)،(صـ١٠٨ ومابعدها).

- الشبهة تفترض أن الهدف كان إعداد قوةٍ مادية مباشرة بينما المنطق التاريخي لا يستبعد ظهور بُعد سياسي لاحقًا كنتيجة طبيعية لستمرارية الدعوة الإسلامية.[١]

٢-نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- النصوص التراثية الأساسية كسيرة ابن هشام، والبداية والنهاية لابن كثير تضع الحدث في سياق اجتماعي واضح: فمصعب بن عمير يعلّم أهل يثرب، والفود من الأنصار يلتقون بالنبي، ثم كانت البيعة، وهذا تسلسل مُتفق عليه لا يُظهر تحويلًا فوريًا إلى استعمال للقوة بقدر ما يظهر تأسيس وعد ونصرة متبادلَين.[٢]

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يعرض المستشرق ألفرد غيّوم في ترجمته لكتاب ابن إسحاق سيرة رسول الله، أحد أكثر السرديات تفصيلاً عن بيعة العقبة الثانية الحدث بوصفه نقطة تحوّل حاسمة مهدت لتشكيل النواة الأولى للكيان الإسلامي، مبرزًا دوره في بناء جماعة متماسكة يجمعها الإيمان والمسؤولية الجماعية.[٣]

---

[١] انظر: المنهج الحركى للسيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)،(١/١٦٠)،مكتبة المنار - الأردن – الزرقاء، الطبعة: السادسة، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

[٢] انظر: السيرة النبوية لابن هشام،(١/٤٣٨)،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م. والبداية والنهاية لابن كثير،(٢/١٩٢)،تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

[٣]Alfred Guillaume The Life of Muhammad: A Translation of Ibn Ishaq's Sirat Rasul Allah: Oxford University Press, 1955, pp. 198–205

ألفرد غيّوم، حياة محمد: ترجمة لكتاب ابن إسحاق سيرة رسول الله،(١٩٨-٢٠٥) أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٥٥م.

- ويرى المستشرق و. مونتغمري وات أنّ البيعات والاتصالات مع يثرب كانت تطورًا طبيعيًا وعضويًا في مسار الدعوة وأنها نابعة من نجاح الحركة الدينية ذاتها، وليست مناورة خفية أو تحركًا أمنيًا محضًا.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس تجد للتقاليد اليهودية والمسيحية أمثلة على أن الجماعات الدينية أو الأنبياء ارتبطت بتحالفات أو اتخذوا إجراءات سياسية عندما توفّرت لهم قاعدة شعبية أو دعم قبلي:"وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ مُوسَى جَلَسَ لِيَقْضِيَ لِلشَّعْبِ. فَوَقَفَ الشَّعْبُ عِنْدَ مُوسَى مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ. فَلَمَّا رَأَى حَمُو مُوسَى كُلَّ مَا هُوَ صَانِعٌ لِلشَّعْبِ، قَالَ: «مَا هذَا الأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ صَانِعٌ لِلشَّعْبِ؟ مَا بَالُكَ جَالِسًا وَحْدَكَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ وَاقِفٌ عِنْدَكَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ؟» فَقَالَ مُوسَى لِحَمِيهِ: «إِنَّ الشَّعْبَ يَأْتِي إِلَيَّ لِيَسْأَلَ اللهَ. إِذَا كَانَ لَهُمْ دَعْوَى يَأْتُونَ إِلَيَّ فَأَقْضِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَصَاحِبِهِ، وَأُعَرِّفُهُمْ فَرَائِضَ اللهِ وَشَرَائِعَهُ»..".[٢]

٦-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

إن توضيح الأهداف والغايات الخاصة ببيعة العقبة الثانية تتمثل في أربعة أمور:

الأمر الأول: أن الدنيا كلها جاءت راكعة لرسول الله -صلي الله عليه وسلم- : لما عرض عليه كفار قريش كل مطامع الدنيا من سلطة، ومال، وأملاك، لعله يرجع عن الدين الذي جاء به، أو يتنازل عن بعض الحق الذي يدعو إليه، فلم يفلحوا، وحرضوا عليه عمه الذي كان يدافع عنه

---

[١]

W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina (Oxford: Clarendon Press, 1956), pp. 227–240

محمد في المدينة ل و. مونتغمري وات،(٢٢٧-٢٤٠)، طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

[٢] سفر الخروج، الإصحاح ١٨، الآيه ١٣-٢٧

ويحميه، لكنه –صلي الله عليه وسلم- ثبت كأنه جبل أشم، أمام الإغراءات والمساومات ولم يناقشها، ولم يثنه ذو نسب أو قرابة، ولم تشفع عنده محبة حبيب أو رجاء قريب، بل قال في وضوح وحسم وثبات أنه لن يترك هذا الأمر الذي بعثه الله عز وجل به، فقال –صلي الله عليه وسلم- : (وَاللّهِ لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ.)[١]

الأمر الثانى: وأما من ناحية طلب النبي –صلي الله عليه وسلم- المساعدة المادية من الأنصار فهو من باب المناصرة: ويؤكد ذلك عند اجتماع النبي –صلي الله عليه وسلم- وبرفقته عمه العباس بن عبدالمطلب قبل إسلامه مع الأنصار أوسهم وخزرجهم حيث يبدأ العباس بن عبدالمطلب اجتماع العقبة الثانية قائلاً: يا معشر الخزرج –وكانت العرب، إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج خزرجها وأوسها– إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.[٢] فدل قول العباس بن عبدالمطلب في اجتماع العقبة الثانية أن رسول الله–صلي الله عليه وسلم- غير مضطر لهذه البيعة، فهو –صلي الله عليه وسلم- في عزة ومنعة من قومه وبلده.

---

[١] انظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ)،(١/١٧٥)، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

[٢] صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، (صـ١١٠)، تقديم: د. عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.

الأمر الثالث: ولما كانت بيعة العقبة الثانية من باب مناصرة الطرفين فكما ينصر الأنصار رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، هو –صلى الله عليه وسلم– ينصرهم أيضاً على أعدائهم: فتكلم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم". قال كعب: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر". فقاطعه أبوالهيثم بن التيهان متسائلاً: "يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالاً وإنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم قال: "بل الدم بالدم، والهدم بالهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم".[(١)]

الأمر الرابع: بنود بيعة العقبة الثانية دليل على عدم جبر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على التفاوض مع الأنصار: وفي هذا الظرف يعرض على الأنصار شروطاً في منتهى المشقة لقبول استضافته، لم يعرضها على أحد آمن من قبل. كان من عادة الرسول –صلى الله عليه وسلم– أنه ييسر على الناس أمر الإيمان، كان يقبل أن يقوم الرجل بالفرائض فقط ولا يؤدي النوافل، وكان يقول: (أفلح إن صدق)، (إن صدق دخل الجنة) وليس هذا فحسب، بل كان يعطي الأموال من أجل أن يتألف قلوب الناس للإيمان. أما الآن وهو في هذا الموقف الحرج فإنه يشترط شروطاً قاسية، لأنه –صلى الله عليه وسلم– يبني أمة، وفرق كبير بين بناء فرد صالح يعيش لنفسه ولأسرته، وبين فرد صالح في ذهنه وتفكيره أنه يحمل هم الأمة الإسلامية، ولا يعرف أن ينام وهو يرى حوله المنكر والظلم والكفر، ولو رأى أخاه يُظلم لابد أن ينصره، لو رأى أحداً يمس كرامة الأمة الإسلامية يقوم ويدافع عنها كما يدافع عن ابنه أو زوجته أو أمواله أو حياته، هذا هو الفرد المسلم الذي كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يريد أن يبنيه في هذه البيعة، بيعة العقبة

[(١)]انظر: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، للدكتور رؤوف شلبي، (صـ٥٩٩)، دار القلم، الطبعة: الثالثة.

الثانية، من أجل ذلك قال لهم ما سيأتي، كما أنه كان يعلم أنه يخاطب أناساً على قدر المسئولية، كان يكلم الأنصار، **ذكر لهم خمسة بنود:**

البند الأول:قال لهم الرسول–صلي الله عليه وسلم– :(تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل)،السمع في النشاط سهل، لكن في الكسل صعب، وكان من الممكن أن يقول: تبايعوني على السمع والطاعة، لكن الغرض هو توضيح الرؤية تماماً، سواء كنت كَسِلاً أو نَشِطاً لابد أن تسمع كلام الرسول–صلي الله عليه وسلم– وتطيع له.

البند الثاني:(وعلى النفقة في العسر واليسر)، كذلك النفقة في اليسر سهلة، لكن في العسر تحتاج إلى أناس معينين.

البند الثالث:(وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وهذا هو دور الأمة الإسلامية مع غيرها من الأمم.

البند الرابع:(وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم)، الجهاد وكلمة الحق.

البند الخامس:(وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم)، ليس فقط تمنعوني فحسب، بل تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، حبك لرسولك ولدينك ولأمتك لابد أن يكون أكثر من حبك لنفسك ولزوجتك وأولادك.[١]

---

[١] السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة(قراءة جديدة)، لأبي عمر، محمد بن حمد الصوياني، (٢٤٤/١)، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

المبحث الثاني

آراء المستشرقين السلبية حول السيرة النبوية في مكة المكرمة

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: فرية الدعوة الإسلامية أسطورة خيالية.

المطلب الثانى: فرية انتحار سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– .

المطلب الثالث: فرية أصل توحيد الأنصار جاء بمعايشتهم في معابد اليهود.

المطلب الرابع: فرية الطائف عقيدة وثنية لايجب الذهاب لها.

المبحث الثاني

آراء المستشرقين السلبية حول السيرة النبوية في مكة المكرمة

إن المستشرقين جمعوا في دراستهم للسيرة النبوية في الدعوة المكية في المبحث السابق بين إيجابيات علمية كإبراز بعض أبعاد الدعوة، وفي هذا المبحث وقعوا في سلبيات منهجية كإغفال البعد الغيبي والتركيز على التفسيرات المادية البحتة. لذا كان هذا المبحث لتحليل ونقد تلك السلبيات وهى على النحو التالي:

المطلب الأول

فرية الدعوة الإسلامية أسطورة خيالية

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

تقول باتريشيا كرون[١] ومايكل كوك[٢]:"إن الرواية الإسلامية السائدة حول أصول الإسلام ما هي إلا صياغة أدبية متأخرة... فهي عبارة عن 'تاريخ خلاص ديني' (تاريخ وعظي) صِيغَ في ظل غياب كامل للأدلة التاريخية المعاصرة، بهدف تزويد العقيدة الجديدة بماضٍ مهيب. وفي واقع

---

(١) باتريسيا كرونPatricia Crone (١٩٤٥ – ١١ يوليو ٢٠١٥)هي عالمة ومؤلفة ومستشرقة ومؤرخة للتاريخ الإسلامي. عمِلت في الفترة من سنة ١٩٩٧ حتى تقاعدها في عام ٢٠١٤ في معهد الدراسات المتقدمة في برينستون في نيو جيرسي، عُرفت باعتبارها مؤرخة للدين الإسلامي، الذي عالج القرآن ككِتاب مُقدس مع التاريخ، كما هي الحال بالنسبة لتاريخ الكتاب المقدس.ألفت كتاب تجارة مكة وظهور الإسلام سنة ١٩٨٧، وكتاب الهاجرية: صناعة العالم الإسلامي سنة ١٩٧٧.انظر: باتريشيا كرون _ مستشرقة، المركز الإسلامى للدراسات الاستراتيجية.

(٢) مايكل كوكMichael Cook (ولد في ١٩٤٠)بريطاني مؤرخ وباحث في التاريخ الإسلامي. كان محاضرا في التاريخ الاقتصادي مع الإشارة إلى منطقة الشرق الأوسط في 1966-1984 SOAS والقارئ في تاريخ الشرق الأدنى والشرق الأوسط ١٩٨٤-١٩٨٦.من اعماله :الهاجرية: صناعة العالم الإسلامي، عام ١٩٧٧، مع باتريشيا كرون.محمد : (الماضي الماجستير)، ١٩٨٣.القرآن: مقدمة قصيرة جدا، عام ٢٠٠٠.الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي لعام ٢٠٠١ (الفائز في جائزة ألبرت حوراني كتاب). انظر: مايكل كوك _ مستشرق، المركز الإسلامى للدراسات الاستراتيجية.

الأمر، فإن معظم المعلومات التقليدية المتداولة حول حياة محمد ونشأة الإسلام هي معلومات أسطورية". [١]

“La Ka'bah, che la leggenda islamica vuole costruita da Abramo,sembra dovere le sue origini ad Arabi del Sud, ai quali ad ogni modo pare la togliesse poi”[2]

“ الكعبة، التي تزعم الرواية الإسلامية بأنها بناها إبراهيم– عليه السلام–، يبدو أن أصولها تعود إلى العرب الجنوبيين، الذين يعزون أصولهم إلى كل شيء”[٣]

“La critica storica moderna ci lascia profondamente scettici ri– spetto all' immenso materiale biografico che gli autori arabi ci hanno trasmesso: pur ammettendo, come io penso, che qualche recentissimo studioso abbia varcato il giusto segno nella sua cri– tica demolitrice della tradizione, rimane sempre fermo che assai poco di certo sappiamo intorno alla vita di Maometto prima della”[4]

---

[١] هاجرية: صناعة العالم الإسلامي، لباتريشيا كرون ومايكل كوك،(صـ١٩)،المترجم: نبيل فياض، دار التكوين، دمشق.

[2] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١

[٣] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ3

[4] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٤

"يتركنا النقد التاريخي الحديث بشكل عميق متشككين تجاه المواد الضخمة من السيرة الذاتية التي نقلها إلينا الكتاب العرب: على الرغم من أنني أعتقد أن بعض الدارسين الحديثين قد تجاوزوا الحد الصحيح في انتقادهم للتقليد، يظل الأمر دائمًا ثابتًا أننا نعلم القليل جدًا بشكل مؤكد عن حياة محمد –صلي الله عليه وسلم– قبل ذلك"[١]

ويتابع نالينو كذبه وتدليسه على سيدنا سيد ولد آدم ولا فخر فوصفه –صلي الله عليه وسلم– بأن مصادر دعوته مجموعة من اليهودية والمسيحية بل إن هذه المصادر مستقاه من الأساطير الشعبية اليهودية والأبوكريفا المسيحية[٢] لذا فاليهودية والمسيحية لاتعترف بنبوته –صلي الله عليه وسلم– ، **فيقول:**

"Un grande mistero avvolge le origini prime della sua voca- zione religiosa, che artifizi cronologici senza serio fondamento con- dussero a porre nel quarantesimo anno di sua vita. Nulla ci consta di certo intorno al processo psicologico sviluppatosi in lui in ma- teria religiosa، nulla intorno a coloro che influirono sul suo pas- saggio dal paganesimo meccano ad un rigido monoteismo, e che gli fornirono quelle idee e quelle leggende religiose, cristiane e giudaiche, le quali furono da lui poste a fondamento dell' islamismo. Ma senza dubbio le sue fonti dovettero essere ben magre e ben incerte, se del Cristo egli ebbe a

(١) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ6

(٢) كتابات توراتية أو ذات صلة لم تُدرج في الكتاب المقدس عند معظم الطوائف المسيحية. في حين أن البعض قد يكون مشكوكًا في تأليفه أو صحته، في المسيحية.انظر: الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد، لمحمود بن عبد الرحمن قدح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،(صـ٣٣٥)، الطبعة: السنة الثالثة والثلاثون – العدد (١١١) ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.بتصرف

formarsi il concetto proprio del sistema docetico، se del cristianesimo egli non riusci ad afferrare il dogma capitale della redenzione، se le narrazioni dell'Antico e del Nuovo Testamento appaiono in lui deformate talora da con- fusioni gravissime ovvero conformi alla haggādāh popolare giu- daica ed agli apocrifi cristiani anzichè ai testi biblici genuini، se in- fine, per tacere d'altro, egli potè a lungo illudersi d'essere rico- nosciuto da Ebrei e da Cristiani quale un apostolo di Dio agli Arabi"[1]

"تحيط بالأصول الأولى لدعوته الدينية غموض كبير، حيث قادت التقنيات الزمنية التي لا أساس لها بجدية إلى تحديد السنة الأربعين من عمره. ليس لدينا معلومات مؤكدة حول العملية النفسية التي طورها في المجال الديني، ولا شيء عن الأشخاص الذين أثروا في انتقاله من الوثنية القريشية إلى توحيد صارم، والذين قدموا له تلك الأفكار والأساطير الدينية، المسيحية واليهودية، التي وضعها أساسًا للإسلام. ولكن بلا شك كانت مصادره يجب أن تكون ضئيلة وغير مؤكدة بما يكفي، إذ كان يجب عليه تشكيل فهمه الخاص للمسيح بمفهوم نظامي خاطئ، لذا لم يتمكن من فهم العقيدة الرئيسية للفداء من المسيحية، إذاً أن نصوص العهد القديم والجديد تظهر عنده مشوهة أحيانًا باندماجات خطيرة أو متسقة مع الأساطير الشعبية اليهودية والأبوكريفا المسيحية بدلاً من النصوص الكتابية الأصلية، إذاً، بالإضافة إلى عدم الإشارة إلى أمور أخرى، كان بإمكانه أن يُخادع لفترة طويلة بأن يُعترفُ به من قبل اليهود والمسيحيين كرسول من الله للعرب" [٢]

ويتابع نالينو قائلاً أن النبي –صلى الله عليه وسلم– فرض أسطورته الإسلامية على المهاجرين والأنصار وأن أمره أمرٌ إلهى، فيقول:

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٥

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٦

A Medina Maometto aveva assunto senz'altro anche quel titolo di nabi profeta, che alla Mecca aveva ap- plicato soltanto ai patriarchi e profeti dell'Antico Testamento, a Gesù Cristo ed a san Giovanni Battista، profeta, s'intende, nel senso semitico, cioè di banditore di verità religiose e di precetti morali inspirato da Dio, e non già nel senso volgare di predicente l'av- venire. Anzi questa qualità di profeta, d'apostolo di Dio, era stata da lui messa come fondamento giuridico e morale della sua su- premazia, come giustificazione della sua autorità sugli immigrati meccani e sui Medinesi، sicchè il governo suo, affatto rudimen- tale da un lato, era concepito dall'altro come una perfetta teo- crazia, analoga a quella di Mosè sugl' Israeliti. (1)

"اعتبر محمد -صلى الله عليه وسلم- نفسه بالتأكيد أيضًا نبيًا، وهذا اللقب الذي كان يطبقه في مكة على الأنبياء من العهد القديم وعلى يسوع المسيح ويوحنا المعمدان، وبالطبع، النبي في المعنى السامي، أي كمن ينقل الحقائق الدينية والوصايا الأخلاقية المستوحاة من الله، وليس في المعنى الشائع للتنبؤ بالمستقبل. بل كان هذا الصفة كرسول من الله، قد وضعها كأساس قانوني وأخلاقي لتفوقه، كتبرير لسلطته على المهاجرين من مكة وعلى المدينيين، لذلك كانت حكومته، رغم بدائيتها من جهة، تصور من جهة أخرى كلاسيكية تمامًا، شبيهة بنظام الحكم اللاهوتي، مثل نظام موسى على بني إسرائيل. (٢)

(1) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٢١

(٢) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ23

٢- مضمون الشبهة:

- التشكيك في الروايات الإسلامية حول الكعبة وإبراهيم-عليه السلام-.
- التشكيك في المصادر الدينية للنبي **-صلى الله عليه وسلم-** قبل الدعوة، وادعاء محدوديتها وتأثره بالأساطير اليهودية والمسيحية.
- تصوير النبي **-صلى الله عليه وسلم-** على أنه استخدم هذه المصادر لتشكيل فهم خاطئ للعقائد المسيحية.
- وصف الدولة الإسلامية بأنها نسخة من النظام اللاهوتي اليهودي، وليس تأسيسًا إلهيًا مستقلًا.

٣-هدف الشبهة:

- تصوير السيرة النبوية والدولة الإسلامية الأولى على أنها استمدت أفكارها من مصادر دينية سابقة بشكل مشوه.
- التشكيك في أصالة الرسالة النبوية.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- التشكيك في الكعبة وإبراهيم عليه السلام، وفي المصادر الدينية للنبي **-صلى الله عليه وسلم-** .
- الادعاء بأن النبي **-صلى الله عليه وسلم-** خدع اليهود والمسيحيين.
- مقارنة الدولة الإسلامية بالنظام اللاهوتي اليهودي. [١]

٥-مصادر الشبهة:

- يحاول المستشرقون تحليل التحديات المتعلقة بسيرة النبي **-صلى الله عليه وسلم-** ، خصوصًا الغموض حول حياة النبي قبل البعثة، وأثر المصادر الدينية اليهودية والمسيحية على

---

[١] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ23

انظر: السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، لوليد بن بليهش العمرى،(صـ٢٠).

تكوين فهمه العقائدي فيحلل المستشرق بيترز المصادر التاريخية ويقارِن تطور الدعوة الإسلامية مع الديناميات الاجتماعية والسياسية في الجزيرة العربية، موضحًا التداخل بين الدوافع الدينية والاجتماعية والأمنية). [١]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: أثارت نقاشات حول أصول الكعبة والمصادر الدينية للنبي **-صلى الله عليه وسلم-** ، وخلقت اهتمامًا بالتحليل التاريخي والاجتماعي للدعوة الإسلامية. [(٢)]

في الوسط الإسلامي: أثارت تحفظات ورفضًا كبيرًا بسبب المغالطات التاريخية والدينية، وأدت إلى تعزيز الدراسات المنصفة للسيرة النبوية والقرآن الكريم لتفنيد هذه المزاعم. [(٣)]

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الإدعاء بأن النبي **-صلى الله عليه وسلم-** خدع اليهود والمسيحيين يتجاهل المنطق الواقعي، فلا توجد قدرة على اختلاق مصادر دينية متسقة ومعقدة بهذا الشكل في بيئة مكة قبل الدعوة.

---

[١] Peters, F. E. Muhammad and the Origins of Islam. Albany: SUNY Press, 1994, pp. 150–143

ف. إي. بيترز، محمد وبدايات الإسلام.(١٤٣-١٥٠) ألباني: مطبعة جامعة ولاية نيويورك، ١٩٩٤.

[(٢)] Wellhausen, Julius. Reste Arabischen Heidentums. Berlin: Reimer, 1897, pp. 75–90.

فلهاوزن، يوليوس. بقايا الوثنية العربية. برلين: رايمر، ١٨٩٧، ص ص ٧٥-٩٠.

[(٣)] انظر: موقف الاستشراق من السُنَّة والسيرة النبوية، لأكرم بن ضياء العمري،(صـ٧٥)،الجامعة الإسلامية

- مقارنة الدولة الإسلامية بالنظام اللاهوتي اليهودي دون مراعاة خصوصية الظروف التاريخية والاجتماعية غير دقيقة. (١)

٢-نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الدراسات الأثرية تؤكد مكانة مكة والكعبة كمركز ديني وتجاري قبل الإسلام.
- السيرة النبوية والنظام الاجتماعي والسياسي في المدينة يتوافق مع المصادر الإسلامية التقليدية، ولا يوجد دليل على وجود اختلاق. ٢

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يرى المستشرق و. مونتغمري وات أنّ يرى أن الدولة الإسلامية الأولى تطورت طبيعيًا من الدعوة الناجحة، وليس نتيجة تقليد. ٣

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس تجد أوجه شبه تنظيميه بين اليهودية والمسيحية والإسلام وهذا أمر طبيعي، لكن لا يعني أبداً استنساخاً أو تحريفًا، بل تطبيق المبادئ المشتركة لبناء مجتمع ديني:"وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ مُوسَى جَلَسَ لِيَقْضِيَ لِلشَّعْبِ. فَوَقَفَ الشَّعْبُ عِنْدَ مُوسَى مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ. فَلَمَّا رَأَى حَمُو مُوسَى كُلَّ مَا هُوَ صَانِعٌ لِلشَّعْبِ، قَالَ: «مَا هذَا الأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ صَانِعٌ لِلشَّعْبِ؟ مَا بَالُكَ جَالِسًا وَحْدَكَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ وَاقِفٌ عِنْدَكَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ؟» فَقَالَ مُوسَى

---

(١) انظر: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لحسن عبد الفتاح أحمد،(صـ٣٠)،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

٢ انظر: رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ) ،(صـ٨٨)،ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض،الطبعة: الأولى

٣ W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina (Oxford: Clarendon Press, 1956), pp. 227–240

محمد في المدينة ل و. مونتغمري وات،(٢٢٧–٢٤٠)، طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

لِحَمِيهِ: «إِنَّ الشَّعْبَ يَأْتِي إِلَيَّ لِيَسْأَلَ اللهَ. إِذَا كَانَ لَهُمْ دَعْوَى يَأْتُونَ إِلَيَّ فَأَقْضِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَصَاحِبِهِ، وَأُعَرِّفُهُمْ فَرَائِضَ اللهِ وَشَرَائِعَهُ»..". [١]

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

يتهم المستشرقون في هذا الفصل[٢] رسولنا رسول الإسلام والمسلمين محمداً -صلي الله عليه وسلم- بالكثير من الشبه والطعون في كتابه حياة محمد -صلي الله عليه وسلم- [٣]: فما يدعوه من استقاءه -صلي الله عليه وسلم- لمصادر العرب الجنوبيين واليهودية والنصرانية، مردود عليه:

أولاً: بالقرآن الكريم: فقال تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [٤]،وقال سبحانه ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾.[٥]

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [٦].وقال جل شأنه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ [٧]

---

[١] سفر الخروج، الإصحاح ١٨، الآيه ١٣-٢٧

[٢] فصل: موقف نالينو من رسول الإسلام محمد-صلي الله عليه وسلم- ،(صـ٥٢-٢٦٢).

[٣] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو، منشورات المعهد الشرقي، روما، ١٩٤٦م.

[٤] سورة الفرقان، الآية: ٥ .

[٥] سورة النحل، الآية: ١٠٣ .

[٦] سورة العنكبوت، الآية: ٤٨ .

[٧] سورة الفرقان، الآية: ٤.

ثانياً: إن هذه الدعوة مجردة من الدليل، خالية من التحديد والتعيين، ومثل هذه الدعاوي لا تقبل مادامت غير مدللة، وإلا فليخبرونا ما الذي سمعه محمد –صلي الله عليه وسلم– من اليهود والنصاري ؟ ومتى كان ذلك؟ وأين كان ذلك؟؟

ثالثاً: إن المعتمد في البحوث التي تتناول نتاجاً فكرياً لكاتب ما، ومحاولة معرفة مصادر أفكاره ومعلوماته، هو أن تستقصى حياته الشخصية والعلمية وحالة بيئته التي عاش فيها من جميع النواحي حتى يتمكن الباحث من استخلاص مصادر أفكار هذا الكاتب.

لكنهم لا يلقون بالاً لهذه المسألة عندما يتكلمون عن مصدر القرآن الكريم الذي يستقي منه نبينا –صلي الله عليه وسلم– ، لأنهم يعلمون قطعا اقتلاع شبهته من جذورها.

فلو كانت شبهته هذه حقا، للزم منها أن يكون النبي –صلي الله عليه وسلم– قد عاش في بلدة تعج بالمكتبات والكتب، بمختلف اللغات ومختلف التخصصات الدينية والتاريخية والقانونية وأدب الأساطير، وأن يكون النبي –صلي الله عليه وسلم– كان ملما بعدد من اللغات، وأن يكون قد امتلك قدرة على القراءة، ولظهر أثر هذه الكتب في القرآن الكريم من حيث الأسلوب ومن حيث المصطلحات وغير هذا.

وهذا الظلم في التعامل مع القرآن الكريم وعدم الإنصاف هو نفسه الذي وقع فيه كفار قريش، لأنه لم يكن همهم معرفة الحقيقة وإنما صرف الناس عنها، فعاب الله تعالى عليهم ذلك بقوله﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴾ [(١)]، **قال ابن القيم رحمه الله**[(٢)]: وقال في إثبات نبوة رسوله باعتبار التأمل لأحواله وتأمل دعوته وما جاء به﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦٨–٧٠.

(٢) سبق ترجمته، (صـ٧٠).

وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [1]، فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول، وتأمل حال القائل، فإن كون القول للشيء كذباً وزوراً يعلم من نفس القول تارة، وتناقضه واضطرابه وظهور شواهد الكذب عليه، فالكذب باد على صفحاته، وباد على ظاهره وباطنه، ويعرف من حال القائل تارة فإن المعروف بالكذب والفجور والمكر والخداع لا تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله، ولا يتأتى منه من القول والفعل ما يتأتى من البار الصادق المبرأ من كل فاحشة وغدر وكذب وفجور، بل قلب هذا وقصده وقوله وعمله يشبه بعضه بعضاً، وقلب ذلك وقوله وعمله وقصده يشبه بعضه بعضا. فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول وتأمل سيرة القائل وأحواله وحينئذ تتبين لهم حقيقة الأمر وأن ما جاء به في أعلى مراتب الصدق ".[2]

رابعاً: ورد الله تعالى هذه الشبهة أيضا، حيث قال سبحانه وتعالى﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [3]، **قال ابن القيم رحمه الله تعالى:**[4]الحجة الثانية: أني قد لبثت فيكم عمري إلى حين أتيتكم به، وأنتم تشاهدوني وتعرفون حالي، وتصحبوني حضراً وسفراً، وتعرفون دقيق أمري وجليله، وتتحققون سيرتي هل كانت سيرة من هو من أكذب الخلق وأفجرهم وأظلمهم؟! فإنه لا أكذب ولا أظلم ولا أقبح سيرة ممن جاهر ربه وخالفه بالكذب والفرية عليه وطلب إفساد العالم وظلم النفوس والبغي في الأرض بغير الحق. هذا وأنتم تعلمون أني لم أكن أقرأ كتاباً ولا أخطه بيميني، ولا صاحبت من أتعلم منه، بل صحبتكم أنتم في أسفاركم لمن تتعلمون منه وتسألونه عن أخبار الأمم والملوك

---

[1] سورة المؤمنون، الآية: ٦٨-٧٠.

[2] انظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ،(٤٦٩/٢ ومابعدها)،المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

[3] سورة يونس، الآية: ١٦ .

[4]سبق ترجمته، (صـ٧٠).

وغيرها ما لم أشارككم فيه بوجه، ثم جئتكم بهذا النبأ العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين وعلم ما كان وما سيكون على التفصيل فأي برهان أوضح من هذا! ".[١]

خامساً: قال الشيخ المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:[٢] في هذه الآية الكريمة حجة واضحة على كفار مكة، لأن النبي –صلي الله عليه وسلم– لم يبعث إليهم رسولاً حتى لبث فيهم عمراً من الزمن، وقدر ذلك أربعون سنة، فعرفوا صدقه، وأمانته، وعدله، وأنه بعيد كل البعد من أن يكون كاذباً على الله تعالى، وكانوا في الجاهلية يسمونه الأمين، وقد ألقمهم الله حجراً بهذه الحجة في موضع آخر، وهو قوله: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٣] ولذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان، ومن معه عن صفاته–صلي الله عليه وسلم– ، قال هرقل لأبي سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: فقلت: لا. وكان أبو سفيان في ذلك الوقت زعيم الكفار، ورأس المشركين ومع ذلك اعترف بالحق، والحق ما شهدت به الأعداء. فقال له هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله. . ولذلك وبخهم الله تعالى بقوله هنا: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ). [٤]

سادساً: إن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه –-صلي الله عليه وسلم– – سافر إلى الشام في تجارة مرتين، مرة في طفولته ومرة في شبابه، ولم يسافر غير هاتين المرتين، ولم يجاوز سوق

---

[١] مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،(صـ٨٦)،اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

[٢]سبق ترجمته، (صـ٧٠).

[٣] سورة المؤمنون، الآية: ٦٩.

[٤] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، (١٥٣/٢)،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ

بصرى فيهما، ولم يسمع من بحيرا ولا من غيره شيئا من الدين، ولم يكن أمره سراً هناك بل كان معه شاهد في المرة الأولى وهو عمه أبو طالب، وشاهد في المرة الثانية وهو ميسرة غلام خديجة التي خرج الرسول بتجارتها أيامئذ ، وكل ما هنالك أن بحيرا رأى سحابة تظلله –-صلي الله عليه وسلم- – من الشمس ، فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن، ثم حذره عليه من اليهود، وقد رجع به عمه خوفاً عليه ولم يتم رحلته. كذلك رُوي هذا الحديث من طرق في بعض أسانيدها ضعف، ورواية الترمذي ليس فيها اسم بحيرا، وليس في شيء من الروايات أنه صلى الله عليه وسلم سمع من بحيرا الراهب أو تلقى منه درساً واحداً أو كلمة واحدة لا في العقائد ولا في العبادات ولا في المعاملات ولا في الأخلاق، فأنى يؤفكون؟

سابعاً: إنه من المستحيل في مجرى العادة أن يتم إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته ثم ينضج النضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف، بحيث يصبح أستاذ العلم كله لمجرد أنه لقي مصادفة واتفاقاً راهباً من الرهبان مرتين، على حين أن هذا التلميذ كان في كلتا المرتين مشتغلا عن التعليم بالتجارة، وكان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكان صغيراً تابعاً لعمه في المرة الأولى، وكان حاملا لأمانة ثقيلة في عنقه لا بد أن يؤديها في المرة الثانية، وهي أمانة العهد والإخلاص في مال خديجة وتجارتها. [1]

ثامناً: إن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة، لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله (**-صلى الله عليه وسلم-**)، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة، ولكنهم كانوا أكرم على أنفسهم من هؤلاء الملاحدة فحين أرادوا طعنه بأنه تعلم القرآن من غيره لم يفكروا أن يقولوا أنه تعلم من بحيرا الراهب كما قال هؤلاء لأن العقل لا يصدق ذلك والهزل لا يسعه، بل لجأوا إلى رجل في نسبه الأستاذية إليه شيء من الطرافة والهزل، حتى إذا مجت العقول نسبة الأستاذية إليه لاستحالتها، قبلتها النفوس لهزلها وطرافتها،

---

[1] انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)،(٩٩/١)، دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧ هـ

فقالوا: إنما يعلمه بشر، وأرادوا بالبشر حداداً رومياً منهمكاً بين مطرقته وسندانه، ظالاً طول يومه في خبث الحديد وناره ودخانه، غير أنه اجتمع فيه أمران حسبوهما مناط ترويج [١]تهمتهم أحدهما: أنه مقيم بمكة إقامة تيسر لمحمد –صلي الله عليه وسلم– الاتصال الدائم الوثيق به، والتلقي عنه، والآخر: غريب عنهم وليس منهم، ليخيِّلوا إلى قومهم أن عند هذا الرجل علم مالم يعلموا هم ولا آباؤهم فيكون ذلك أدنى إلى التصديق بأستاذيته لمحمد –صلي الله عليه وسلم– ، وغاب عنهم أن الحق لا يزال نوره ساطعاً يدل عليه، لأن هذا الحداد الرومي أعجمي لا يحسن العربية، فليس بمعقول أن يكون مصدراً لهذا القرآن الذي هو أبلغ نصوص العربية بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية { لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين }.[٢]

---

[٢]انظر: السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،(١٤٠،١)،تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦م.

المطلب الثاني

فرية انتحار سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم–

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١–نص الشبهة:

يقول مارغليوث [١]:"إن تلك الروايات التي تتحدث عن رغبة محمد–صلي الله عليه وسلم– في الانتحار بإلقاء نفسه من شاهق جبل خلال فترة انقطاع الوحي، تشير بوضوح إلى حالة من الهياج العصبي أو الاضطراب العقلي. إنها توضح أن الرجل كان يمر بحالة من 'الهوس الديني' الذي يجعله غير قادر على التمييز بين تخيلاته والواقع، مما دفعه إلى حافة اليأس الكامل عندما توقفت تلك الهواجس عن مراودته". [٢]

“Ma se men che mediocre fu la sua cultura in materia di dogmi e racconti giudaici e cristiani, ben alto fu invece l'entusiasmo reli– gioso

---

[١] ديفيد صموئيل مرجليوث (١٨٥٨م–١٩٤٠م) David Samuel Margoliouth إنجليزى يهودى، من كبار المستشرقين، متعصب ضد الإسلام، ومن محررى (دائرة المعارف الإسلامية)، كان عضواً بالمجمع اللغوى المصرى، والمجمع العلمى فى دمشق، من كتبه:"التطورات المبكرة فى الإسلام"و"محمد ومطلع الإسلام"،و"الجامعة الإسلامية" وغير ذلك وفاته:مات سنة ١٩٤٠م. انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(٢٨٩/١). وانظر:موسوعة المستشرقين/للدكتور عبدالرحمن بدوى، (صـ٤١٧–٤١٨)، دار العلم للملايين–بيروت، ١٩٩٢م.

[٢] محمد وظهور الإسلام، لديفيد صموئيل مرجليوث،(صـ٩٦)، دار النشر الأصلية G.P. Putnam's Sons.نقلاً من: مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل مقارن)، لمحمد عبد الله دراز (نقلَهُ من الفرنسية إلى العربية د. محمد عبد العظيم علي، وراجعه الدكتور دراز بنفسه،(صـ١٢١)، دار القلم، الكويت و دار المختار، القاهرة، ١٩٨٤م.

monoteistico che s'agito nel suo petto, e che s'acui fino a produrgli visioni notturne, poco prima dell'alba, nelle quali ei si credette oggetto di particolari rivelazioni di Dio, trasmessegli per mezzo d'un essere sovrumano, cui i passi coranici più antichi chia- mano un nobile messaggero, un possente tenuto in gran conto presso il Signore del trono, uno spirito fidato, uno spirito di santità, e che solo in un periodo più tardo della sua vita Maometto identificherà con l'arcangelo Gabriele. Le parole di quel messaggero celeste sono quelle che Maometto poi testualmente ri pete، sono parole di Dio, sono un qur'an, ossia un testo sacro, un testo rivelato da recitare in forma solenne, salmodiata, a scopo di preghiera e di edificazione.

Nella cerchia assai ristretta della famiglia, Maometto sembra aver trovato subito credenti nelle sue rivelazioni، minor fortuna invece, anzi in qualche caso ostilità dichiarata, ebbe fra i parenti che vivevano fuori delle sue pareti domestiche. Nè, d'altro canto, sembra che a lui medesimo mancassero talora dubbi sulla verità delle sue visioni e momenti di grave scoramento، si che, forse non a torto, la tradizione gli attribuisce perfino velleita suicide" [1]

"ولو كانت ثقافته ضعيفة جدًا فيما يتعلق بالعقائد والقصص اليهودية والمسيحية، كانت الحماسة الدينية التوحيدية التي تحركت في صدره عالية بالتأكيد، وتصاعدت به، هذه هي كلمات الله، هذا

---

(1) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٥-٦

هو القرآن، أي نص مقدس، نص موحى به ليُتلو بشكل جلل، يُسَبِّح لأغراض الصلاة والتنمية. في الدوائر الضيقة للعائلة، يبدو أن محمداً –صلي الله عليه وسلم– وجد مؤمنين فوريين في وحيه، لكن الحظ لم يكن جيدًا دائمًا، بل في بعض الحالات كان هناك حتى عداء معلنٍ بين الأقارب الذين عاشوا خارج جدران منزله. ولكن في بعض الأحيان يبدو أنه شك في صحة رؤاه ولحظات من الإحباط الشديد حتى إن التقاليد ربما تُنسب له حتى رغبة في الانتحار" [١]

٢– مضمون الشبهة:

كذبوا ودلسوا على سيدنا محمّد **-صلى الله عليه وسلم-** عاش حالة حماسة توحيدية لكن تعلّقه بالنصّ لم يكن محصّناً من لحظات شكّ وارتباك وإحباط، وتذهب الشبهة إلى حد أن هناك روايات تُنسب له تصف شكًّا شديدًا أو حتى محاولات انتحارية أثناء فتراتِ انقطاع الوحي، وأن ثقافته الدينية السابقة لم تكن واسعة، فكان يتأثر بتقاليد يهودية ومسيحية متواضعة.

٣–هدف الشبـهة:

– تقليل منزلة النبوة عبر تصوير النبي **-صلى الله عليه وسلم-** كإنسان عرضة لشكوكٍ ونزعاتٍ مدمّرة.

– الإيحاء بأن تجربة الوحي كانت تجربة نفسية شخصية قابلة للخطأ والاضطراب، وليس وحيًا إلهيًا حاسمًا.

– تقويض ادعاء العصمة لسيرته عبر الإشارة إلى رواياتٍ موضوعة وضعيفة.

٤–مثارات النقد العقلي للشبهة:

– الزعم بأن النبي**-صلى الله عليه وسلم-** أراد الانتحار يُعدّ استنتاجًا غير علمي، لأنه يتطلّب أدلّة سندية ومتنية قوية لم تتوافر في النص. فليس من المنطقي الانتقال من وصف حالة نفسية إلى إثبات فعل أو نية من دون دليل موثوق ومعتبر.

[١] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٧

- الاستدلال بأن ثقافة النبي **-صلى الله عليه وسلم-** ضعيفة فيما يتعلق بالعقائد اليهودية والمسيحية لا يعني أنه لم يفهم طبيعة الوحي أو أن تجربته غير صادقة، هذا استنتاج غير مبرّر تاريخيًا دون إثبات تواصل معرفي موثق. [١]

٥-مصادر الشبهة:

- نصوص من السير تحتوي على روايات بعد بدء الوحي. [٢]
- بعض تفسيرات أو إضافات وردت في طبقات لاحقة من الروايات ضعّفها العلماء. [(٣)]
- قراءات واستنتاجات بعض النقّاد الغربيين التي توظف روايات ضعيفة أو مخرجات تفسيرية خارج سياقها. [٤]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: تُستخدم مثل هذه الشبهات كأداة نقدية لإعادة قراءات نفسية أو اجتماعية لتأسيس الإسلام وليس وحياً ربانياً. [١]

---

[١] انظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، لمحمد بن عبد الله العوشن،(ص٢٥ ومابعدها)، دار طيبة.

[٢] انظر: البداية والنهاية لابن كثير،(٣٨٥/١ ومابعدها)

[(٣)] انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،(٣٥٩/١٢)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

[٤]

Edward W. Said, Orientalism (New York: Pantheon Books, 1978), 67–72

إدوارد و. سعيد. الاستشراق. نيويورك: دار بانتheon للنشر، ١٩٧٨، ص ٦٧-٧٢.

Fred M. Donner, Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2010), 46–47

فريد م. دونر. محمد والمؤمنون: في بدايات الإسلام. برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ٢٠١٠، ص ٤٦-٤٧.

في الوسط الإسلامي: تثير الشبهة ردود فعل دفاعية بإثبات ضعف للروايات التي تُفهم على أنها تدل على انتحار أو نية انتحار، ويشرحون النصوص الصحيحة التي تُظهر خوفًا مؤقتًا.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١–نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الروايات التي يستند إليها المُشكّكون ضعيفة فبالتالي الاستدلال غير منطقي.
- الشعور بالإحباط أو الحزن لا يساوي السلوك الانتحاري، فهذا يحتاج بيانًا نصيًّا واضحًا وموثوقًا منطقًا.[٣]

٢– نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- سيرته -صلى الله عليه وسلم- مدوَّنة في مصادر مبكرة تؤكد وقوع أول وحي، خوفه من شدّته، كفالة خديجة وطمأنتها، زيارة ورقة بن نوفل وتأكيده، ثم فترة تدرّج في إعلان الرسالة. لا توجد في المصادر المعتبرة روايات سندية صحيحة تدعم محاولة انتحار مؤكدة.[١]

---

[١] Shoemaker, Stephen J. The Death of a Prophet: The End of Muhammad's Life and the Beginnings of Islam. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2011, 25–32.

شوميكر، ستيفن. موت نبي: ظهور الإسلام وإعادة تكوين السيرة المحمدية. فيلادلفيا: مطبعة جامعة بنسلفانيا، ٢٠١١، ٢٥–٣٢.

[٢] انظر: التعليق على الرحيق المختوم، لأبى عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح،(صـ٥٤ ومابعدها)،تَقْدِيم: فَضِيلَة الشَّيْخ عبد الله بن مَانع الروقي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

[٣] انظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، لمحمد بن عبد الله العوشن،(صـ٢٥ ومابعدها)، دار طيبة.

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يرى المستشرق و. مونتغمري وات أنّ سيرة النبي **-صلى الله عليه وسلم-** عباره عن تجربة الوحي في إطار إنساني تشرح عوامل الضغط الاجتماعي الذي لاقاه النبي **-صلى الله عليه وسلم-** ، ولا تستعمل نصوصًا لتأكيد انتحار أو ميول انتحارية مؤكدة.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس نفسه يذكر أن أنبياءً سابقين مرّوا بأوقات من اليأس الشديد والرغبة في الموت:" وأمّا هو فمضى في البرية مسيرة يوم، حتى جلس تحت رتمة، وطلب الموت لنفسه وقال: كفى الآن يا رب، خذ نفسي، لأنّي لست خيرًا من آبائي". [٣]

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

والرد هنا يكون من عدة وجوه:

أولاً: عصمة النبي -صلى الله عليه وسلم- من الوقوع في الخطأ:

الأنبياء هم صفوة البشر، وهم أكرم الخلق على الله تعالى، اصطفاهم الله تعالى لتبليغ الناس دعوة لا إله إلا الله، وجعلهم الله تعالى الواسطة بينه وبين خلقه في تبليغ الشرائع، قال الله تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ

---

[١] انظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، (٢/٢٧٢)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.

[٢] Armstrong, Karen. Muhammad: A Biography of the Prophet. London: Gollancz, 1991, pp. 61–68

كارين أرمسترون،محمد: سيرة النبي. لندن: دار غولانز، ١٩٩١، ص ٦١-٦٨.

[٣] سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٩، الآيه ٤

ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠ ﴾[1]، وقد اتفقت الأمة على أن رسل الله . صلوات الله وسلامه عليهم معصومون، **قال القاضي عياض رحمه الله**[2]: " الْأَنْبِيَاءُ مُنَزَّهُونَ عَنْ النَّقَائِصِ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ". [3]

والعصمة في الشرع: هي حفظ الله لأنبيائه ورسُلِه من الوقوع في الذُّنوب والمعاصي، وارتِكاب المنكرات والمحرَّمات. [4]

قال ابن حجر رحمه الله[5]: " وعصمة الأنبِياء – على نبيِّنا وعليْهِم الصَّلاة والسَّلام –: حِفْظُهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة والثَّبات في الأمور، وإنْزال السَّكينة " . [1]

---

(١) سورة الأنعام، الآية، ٩٠

(٢) القَاضِي عِيَاضٌ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبِيُّ الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الأَنْدَلُسِيُّ، ثُمَّ السَّبْتِيُّ، المَالِكِيُّ.وُلِدَ: فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ.تَحَوَّل جَدّهُم مِنَ الأَنْدَلُس إِلَى فَاس، ثُمَّ سَكَنَ سَبْتَة.من مؤلفاته: كِتَاب (الشفَا فِي شرف المُصْطَفَى) مُجَلّد ، وَكِتَاب (العقيدَة) ، تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ، بِمَرَّاكُشَ.انظر: طبقات النسابين، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، (صـ١١٣)،دار الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب ،لأبى الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، (٢٢٨/٢)، الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

(٤) انظر: آيات عتاب المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ضوء العصمة والاجتهاد، لعويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي، (صـ٣٧)،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة حرسها الله تعالى، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

(٥) ابن حَجَر العَسْقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م)أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر• من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة.• من تصانيفه(الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام - خ)• (ديوان شعر - خ)طبع في الهند.انظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية

وقد أجمعت الأمة على عصمة نبينا –صلي الله عليه وسلم– وحفظ الله له، وأن حياته قبل البعثة وبعدها لم تُحْص عليه فيها زلة، بل امتازت بسمو الخلق، **قال القاضى عياض:**[٢]" واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي –صلي الله عليه وسلم– من الشيطان وكفايته منه، لا في جسمه بأنواع الأذى – كالجنون والإغماء، ولا على خاطره بالوساوس".[٣]

وقال ابن كثير[٤]: " مَعْلُومٌ لكلِّ ذِي لُبٍّ أَنَّ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ أَعْقَلِ خَلْقِ اللَّهِ بَلْ أَعْقَلُهُمْ وَأَكْمَلُهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ " .[٥]

ولذلك فإن عصمة نبينا –صلي الله عليه وسلم– فى عقيدتنا أصل من أصول ديننا، وهى عقيدة لا تنفك عن شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والطعن فى هذه العصمة طعن فى هذه الشهادة .

ثانياً: كتاب البخاري أصح كتاب بعد القرآن الكريم:

نعم، فإن الصحيحين (البخاري ومسلم) أصح كتب بعد كتاب الله عز وجل، **والإمام البخاري**[١]**شيخ الإمام مسلم**[٢]**: قال ابن كثير**[٣]: " جاء مُسْلِمَ بْنَ الْحَجَّاجِ إِلَى الْبُخَارِيِّ فَقَبَّلَ بَيْنَ

الشَّيْخ حسن خالد،(١/٥١)، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م

[١] آيات عتاب المصطفى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في ضوء العصمة والاجتهاد، لعويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي، (صـ٣١).

[٢] سبق ترجمته، (صـ١٣٦)

[٣] انظر:شرح الشفا، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، (٢،٢١٤)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

[٤]سبق ترجمته، (صـ٥٠).

[٥] البداية والنهاية، لأبن كثير، (٦/٧٣)، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م

عينيه وقال: دعني أُقَبِّلَ رِجْلَيْكَ يَا أُسْتَاذَ الْأُسْتَاذِينَ، وَسَيِّدَ الْمُحَدِّثِينَ، وَطَبِيبَ الْحَدِيثِ فِي عِلَلِهِ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَدِيثِ كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ فَذَكَرَ لَهُ عِلَّتَهُ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ مُسْلِمٌ لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ".[٤]

وقال النووي رحمه الله [٥]:" اتفق العلماء على أنَّ أصحَّ الكُتب بعد القرآن الكريم الصحيحان: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد

---

[١] البُخاري،(١٩٤ – ٢٥٦هـ ، ٨١٠ – ٨٧٠م).محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدا لله. الإمام الحافظ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري. ولد في بخارى ونشأ يتيمًا. قام برحلة طويلة في طلب العلم. جمع البخاري في الجامع الصحيح نحو ستمائة ألف حديث اختار منها ما وثق برواته. انظر: تاريخ بغداد وذيوله،لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، (٢/٥برقم٤٢٤)،دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

[٢] الإمَام مُسْلِم(٢٠٤ – ٢٦١ هـ = ٨٢٠ – ٨٧٥ م)مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوريّ، أبو الحسين. ولد ومات بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، أشهر كتبه (صحيح مسلم – ط) جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة، في الحديث. انظر: تحفة اللبيب بمن تكلم فيهم الحافظ ابن حجر من الرواة في غير «التقريب»، لأبى عمرو نور الدين بن علي بن عبد الله السدعي الوصابي،(٢/٨٨ومابعدها)،قدم له: محمد بن عبد الله الإمام، مكتبة ابن عباس للنشر والتوزيع، المنصورة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م

[٣] سبق ترجمته، (صـ٥٠).

[٤] البداية والنهاية، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (١١/٣٢)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.بتصرف يسير.

[٥] سبق ترجمته، (صـ٧٤).

ومعارف"[١]، **وقال الإمام ابن خزيمة**[٢]:"ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله–صلي الله عليه وسلم– ولا أحفظ له من البخاري ".[٣]

وقال الإمام الذهبي رحمه الله[٤]:"وأما جامع البخاري الصحيح فأجَّل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى".[٥]

---

[١] انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للإمام أبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، (٩١/١) دار النشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٦م.

[٢] ابن خُزَيْمَة(٢٢٣ – ٣١١ هـ = ٨٣٨ – ٩٢٤ م)محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر: إمام نيسابور في عصره. مولده ووفاته بنيسابور. رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر، ولقبه السبكي بإمام الأئمة. له(مختصر المختصر) المسمى (صحيح ابن خزيمة – ط)مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.انظر: الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، لأبى الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، (١١٨٤/٢برقم١٠١٩)، قدم له: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعد بن عبد الله الحميد، فضلية الشيخ الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، قدم له وراجعه ولخص أحكامه: فضيلة الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

[٣] البداية والنهاية، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٢٦/١١)، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

[٤] الذَّهَبي (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ = ١٢٧٤ – ١٣٤٨ م)محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله• مولده ووفاته في دمشق.من تصانيفه«دول الإسلام – ط» جزآن• «المشتبه في الأسماء والأنساب، والكنى والألقاب–ط»•«العباب–خ»في التاريخ.وتوفي في ليلة ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.انظر: معجم الشيوخ، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي(المتوفى: ٧٧١هـ)،(٢١٩/١)، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي ٧٠٣ – ٧٥٩ هـ، المحقق: الدكتور بشار عواد – رائد يوسف العنبكي – مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤.

[٥] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)،(٢٤٢/١٩)،المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م

وقال الإمام أحمد شاكر رحمه الله:[١]"الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر: أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها، ليس في واحد منها مطعن أو ضعف".[٢]ومن ثم فلا يطعن في صحيح البخاري إلا مبتدِع ضال، يسعى إلى هدم السُنَّة النبوية المطهرة.

ثالثاً: بطلان رواية تردى النبي –صلي الله عليه وسلم– من أعلى الجبل:

١-بداية أذكر الرواية المذكورة في صحيح البخاري من أن النبي –صلي الله عليه وسلم– أراد أن يتردي من فوق الجبل:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ح و حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَالَ لَهُ النبي –صلي الله عليه وسلم– فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

---

[١] أحمد محمد شاكر(١٣٠٩ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٩٢ - ١٩٥٨ م)أحمد بن محمد شاكر بن أحمد ابن عبد القادر، من آل أبي علياء، يرفع نسبه إلى الحسين بن علي: عالم بالحديث والتفسير، مصري. مولده ووفاته في القاهرة. أعظم أعماله شرح (مسند الإمام أحمد بن حنبل - ط) خمسة عشر جزءا منه.انظر: الأعلام، لخير للزركلي،(١/٢٥٣).

[٢] فتاوى يسألونك، لحسام الدين بن موسى عفانة،(٨/٥٧٣)، مكتبة دنديس، الضفة الغربية - فلسطين، الطبعة: الأولى،١٤٢٧ - ١٤٣٠ هـ.

الَّذِي خَلَقَ} حَتَّى بَلَغَ {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنْ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيْ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ وَرَقَةُ ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النبي –صلي الله عليه وسلم– مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فَقَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النبي –صلي الله عليه وسلم– فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} ضَوْءُ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ.(١)

٢–هذه الزيادة المذكورة في رواية الإمام البخاري السابق ذكرها ليست من كلام عائشة رضي الله عنها، بل هي من كلام الزهري(٢)، وهو من التابعين لم يدرك تلك الحادثة، ولم يذكر هو

---

(١) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب التعبير، بَاب أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَ،(٤٢٥/١٧رقم٦٩٨٢).

(٢) محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عَبد الله بن شهاب الزُّهْرِيُّ. قيل ولد سنة خمسين بعد الهجرة، في آخر خلافة معاوية، ذكره ابن الأثير في اختصار كتاب الأنساب أنه كان مدلساً(أى كان يحدّث عن بعض شيوخه بما لم يسمعه منهم مباشرة ، بل بواسطة، لكنه أحيانًا يرويه بصيغة مباشرة: مثل:عن فلان)، توفي سنة ١٢٤ هـ ودفن بشغب بحوران جنوب سوريا الان، آخر حدّ الحجاز وأول حد فلسطين وقيل توفي سنة ١٢٣ هـ. انظر: أسماء

أن أحداً من الصحابة حدثه بها، ولذا نصَّ على ذلك في الرواية نفسها بقوله: " فيما بلَغنا":

قال ابن حجر – رحمه الله–[(١)]: ثم إن القائل " فيما بَلَغَنا " هو الزهري[(٢)]: ومعنى الكلام : أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله –صلي الله عليه وسلم– في هذه القصة. وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً ، **وقال الكرماني رحمه الله**[(٣)] : هذا هو الظاهر . [(٤)]

وقال أبو شامة المقدسي – رحمه الله –:[(٥)]هذا من كلام الزهري أو غيره، غير عائشة، والله أعلم، لقوله:" فيما بلغنا "، ولم تقل عائشة في شيء من هذا الحديث ذلك. [(١)]

المدلسين، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،(صـ٤٨برقم٨٤)،المحقق: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى.

[(١)] سبق ترجمته، (صـ ١٣٦).

[(٢)] سبق ترجمته، (صـ١٤١).

[(٣)] الكَرْماني(٧١٧ – ٧٨٦ هـ = ١٣١٧ – ١٣٨٤ م)محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني: عالم بالحديث. أصله من كرمان.اشتهر في بغداد، من كتبه (ضمائر القرآن – خ) ومات راجعا من الحج في محرم سنة ست وثمانين وسبعمائة فنقل إلى بغداد ودفن بقرب الشيخ أبي إسحق [الشّيرازي].انظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض،(٦٥٦/٢)،قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.

[(٤)] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،(٣٥٩/١٢)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

[(٥)] عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان أبو القاسم المقدسي الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة. الشيخ الإمام الحجة والحافظ ذو الفنون، ولد في أحد الربيعين سنة تسع وتسعين وخمسمائة.شرح الشاطبية.توفي في التاسع عشر سنة خمس وستين وستمائة من الهجرة ودفن خارج باب الفراديس بدمشق.انظر: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)،

٣-وبلاغات الزهري مقطوعة الإسناد فلا تُقبل، ووجودها في كتاب الإمام البخاري لا يعني أنها مما يصح أن يقال فيها: رواه البخاري. قال محمد الشنقيطي -رحمه الله-[٢]: وليس المراد بفترة الوحي المدة المذكورة عدم مجيء جِبريل إليه، بل تأخر نزول القرآن فقط. وفي البخاري في التعبير زيادة "حتى حَزِنَ رسول الله -صلي الله عليه وسلم- حزنًا غدا منه مرارًا يَتَرَدّى من رؤوس شواهقِ الجبال" ولكن هذه الزيادات من بلاغات الزهري، فهي ضعيفة.[٣]

٤- قد ثبت ضعف الأسانيد التي رويت في محاولة النبي -صلي الله عليه وسلم- الانتحار، بل وبطلان متنها، لأن فترة انقطاع الوحي كانت لإزالة الخوف الذي جاء لنبينا محمد-صلي الله عليه وسلم- أول ما جاءه الوحي، **قال ابن طولون الصالحي – رحمه الله –** [٤]: الحكمة في فترةِ الوحي – والله أعلم -: ليذهب عنه ما كان يجده -صلي الله عليه وسلم- من الروع

(١٦٥/٨برقم١١٦١)،المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

[١] شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، لأبى القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)،(صـ١٧٧)،المحقق: جمال عزون، مكتبة العمرين العلمية – الشارقة/ الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩ م.

[٢]سبق ترجمته، (صـ٧٠).

[٣] كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، لمحمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ)،(٢٤٤/١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

[٤] ابن طُولُون(٨٨٠ - ٩٥٣ هـ = ١٤٧٥ - ١٥٤٦ م)محمد بن علي بن أحمد ابن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقيّ الصالحي الحنفي، شمس الدين: مؤرخ، عالم بالتراجم والفقه. من أهل الصالحية بدمشق، له (الغرف العلية في تراجم متأخري الحنفية - خ) توفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة.انظر: الأعلام، للزركلي (٢٩١/٦).

وليحصل له التشوق إلى العود [1]. فكيف يلتقي هذا مع همّه –صلي الله عليه وسلم– بالانتحار. ! ؟

٥–والخلاصة:

لم تصح رواية همِّ النبي –صلي الله عليه وسلم– وسلم بالانتحار لتأخر الوحي عليه أول أمر الرسالة، والزيادة التي في البخاري ليست على شرطه فلا تنسب للصحيح، وقد أثبتها البخاري رحمه الله أنها من قول الزهري لا غيره، فهي بلاغ مقطوع الإسناد لا يصح، وقد ذكرنا للحديث روايات أخرى كلها يؤكد عدم صحة القصة لا سنداً ولا متناً. **وجملة القول:** كيف نسب بعض المستشرقين إلى رسول الله –صلي الله عليه وسلم– من الهم بقتل نفسه بالتردي من الجبل، وهو القائل –صلي الله عليه وسلم– : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النبي –صلي الله عليه وسلم– قَالَ: « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا».[2]

---

[1] سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، (٢/٢٧٢).

[2] صحيح البخاري، كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالخَبِيثِ(٧/١٣٩برقم٥٧٧٨).

المطلب الثالث

فرية أصل توحيد الأنصار جاء بمعايشتهم في معابد اليهود

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

"كان أهل المدينة يألفون فكرة التوحيد من خلال جيرانهم اليهود... وهذا الإلمام بالمفاهيم الدينية اليهودية جعل رسالة محمد غير غريبة عليهم تماماً كما كانت بالنسبة للمكيين." [١]

La fama della predicazione religiosa di Maometto, cosi insueta per " l' Arabia, era ormai da tempo arrivata agli abitanti della città che d'ora innanzi, con lievissimo anacronismo, chiameró Medina، parecchi avevano ascoltato alla Mecca la parola entusiasta del-l'apostolo e s'erano convertiti alla sua fede, la quale necessaria-mente doveva trovare a Yatrib un terreno ben più favorevole che nella città dei Coreisciti. Il quotidiano contatto con forti comunità giudaiche, celebranti il loro rito nella sinagoga sotto la guida dei rabbini, aveva reso gli Arabi medinesi famigliari con l' idea mo-

[١] محمد في مكة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ٢١٤).

noteistica e con pratiche di culto diverse da quelle dei pagani ed analoghe a quelle di Maometto" [١]

"وصلت شهرة الدعوة الدينية لمحمد –صلى الله عليه وسلم– ، التي كانت غير عادية بالنسبة للجزيرة العربية، منذ وقت طويل إلى سكان المدينة الذين سموها اعتبارًا من الآن بانتقال خفيف بالزمن، ودعوها المدينة المنورة. كثيرون كانوا قد استمعوا في مكة إلى كلمة المبشر المتحمس واعتنقوا إيمانه، الذي كان بالضرورة سيجد في يثرب تربة أكثر تسامحًا بكثير مما كان في مدينة قريش. **كان التواصل اليومي مع المجتمعات اليهودية القوية، التي كانت تحتفل بشعائرها في المعبد تحت إشراف الحاخامات، قد جعل العرب المدينيين على دراية بفكرة الوحدانية وبممارسات العبادة المختلفة عن تلك التي كان يمارسها وثنيون ومشابهة لتلك التي كان يمارسها محمد – صلى الله عليه وسلم–** " [٢]

٢– مضمون الشبهة:

– تُوحي الشبهة أن الدعوة المحمدية تأثرت باليهودية أو استفادت منها في بنيتها العقائدية، فترى أن انتشار دعوة النبي **-صلى الله عليه وسلم-** في يثرب لم يكن بسبب قوة الرسالة الإلهية في ذاتها فقط، بل بسبب التمهيد الديني والثقافي الذي صنعته الطوائف اليهودية المقيمة هناك، إذ جعلت فكرة التوحيد مألوفة عند العرب قبل الإسلام.

٣– هدف الشبهة:

– ردّ الظاهرة الإسلامية إلى أصل تاريخي وثقافي بشري، ونفي كونها ظاهرة وحيٍ مستقلّ، بل نتاجًا تراكميًا لاحتكاك ثقافي مع اليهودية في يثرب.

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١٥

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ١٤

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تفترض الشبهة أن مجرد الاتصال الثقافي يؤدي إلى التأثر الديني المباشر، وهو استنتاج غير مبرهن.
- تتجاهل الشبهة أن القرآن خالف العقيدة اليهودية في مسائل جوهرية (النبوة، الخلاص، التشريع).[١]

٥- مصادر الشبهة:

يناقش هوروفيتز بدايات الوحي القرآني، ويقدّم فرضيته أن محمدًا **-صلى الله عليه وسلم-** قد تأثر بالأوساط اليهودية في الحجاز، خصوصًا في يثرب وخيبر، وأن أفكار التوحيد والأخلاق الدينية في القرآن لها جذور في التراث الإسرائيلي، لكنه يعترف في الوقت ذاته بأن النبي **-صلى الله عليه وسلم-** صاغها في منظومة جديدة مستقلة.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: أثّرت فكرة التأثر اليهودي في المدرسة الألمانية ثم الإيطالية للاستشراق.[٣]

---

[١] انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبى عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)،(١٢/٥)،قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

[٢] Horovitz, Joseph. Koranische Untersuchungen. Berlin: Walter de Gruyter, 1926, pp. 12–17.

جوزيف هوروفيتز. دراسات قرآنية. برلين: دار فالتر دي غرويتَر، ١٩٢٦، ص ١٢–١٧.

[٣] Horovitz, Joseph. Koranische Untersuchungen. Berlin: Walter de Gruyter, 1926, pp. 12–17.

في الوسط الإسلامي: أثارت ردودًا قوية من العلماء المسلمين والمفكرين المحدثين، مثل: محمد حسين هيكل وعماد الدين خليل.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- لو كان محمد **-صلى الله عليه وسلم-** ناقلًا لأفكار اليهود، لما واجههم القرآن بنقدٍ شديد واتهام بالتحريف والمنطق العلمي يفرّق بين التمهيد المعرفي والتأثر العقدي، فوجود فكرة مشابهة لا يعني الاقتباس، بل يمكن أن يكون توافقًا في أصل الوحي أو استقلالًا في مصدر الرسالة.[2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر التاريخية تُثبت أن النبي **-صلى الله عليه وسلم-** لم يتلقَّ عن اليهود علمًا دينيًا منظّمًا، ولم تكن له علاقة فكرية بحاخامات المدينة قبل الهجرة، غير أن اليهود في يثرب كانوا منغلقين جماعيًا، ولا ينشرون تعاليمهم للعرب الوثنيين.[3]

جوزيف هوروفيتز. دراسات قرآنية. برلين: دار فالتر دي غرويتَر، ١٩٢٦، ص ١٢–١٧.

[1] حياة محمد، لمحمد حسين هيكل، صـ ١٠٣–١١٠، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٥م.

دراسات في السيرة النبوية، لعماد الدين خليل، صـ ٧٥–٨٠ ، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.

[2] انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)،(٥٦١/٣)،دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

[3] انظر: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون،(صـ٥١ ومابعدها)،محمد خليفة التونسي، أول ترجمة عربية أمينة كاملة، مع مقدمة تحليلية في مائة صفحة،تقدير الكتاب وترجمته للأستاذ الكبير: عباس محمود العقاد، الطبعة الخامسة،١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م.

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يرى دونر أن حركة النبي محمد **-صلى الله عليه وسلم-** لم تكن مجرد تكرار أو استمرار للتيار اليهودي–المسيحي القائم في شبه الجزيرة، بل كانت حركة إيمانية أصيلة نشأت في بيئة مغايرة، وأعادت صياغة فكرة الإيمان بالله الواحد ضمن رؤية جديدة شاملة.
- ويؤكد أن المجتمع الذي أسسه محمد **-صلى الله عليه وسلم-** كان "جماعة من المؤمنين" تتّحد حول مفهوم التوحيد العملي والأخلاقي، لا حول هوية قومية أو طائفية.
- وبذلك، فإن الوحي المحمدي مثّل مرحلة تجديد في مسار الإيمان الإبراهيمي، تجاوزت الإطار اليهودي–المسيحي الضيّق إلى دعوة توحيدية عالمية. [١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس يشير إلى أن الأنبياء يتوارثون رسالة التوحيد عبر العصور، مما يُظهر أن تشابه العقائد لا ينفي وحدة المصدر الإلهي، كما أن التوحيد الإلهي في الإسلام يُعيد تصحيح الانحراف اللاهوتي اليهودي لا أن يستمد منه:" أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ". [٢]

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

فهم بعض المستشرقين أصل توحيد الأنصار من الأوس والخزرج في يثرب فهماً خاطئاً، ويرد الباحث على هذا الفهم الخاطئ من خلال النقاط التالية:

Donner, Fred M. Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2010, pp. 46–47[١]

فريد م. دونر. محمد والمؤمنون: في بدايات الإسلام. برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ٢٠١٠، ص ٤٦–٤٧.

[٢]سفر التثنية، الإصحاح ١٨، الآيه ١٨

أولاً: مجتمع يثرب كان به ثلاثة أقسام: الأوس، والخزرج، واليهود، فبالرغم من تواجد الأنصار مع اليهود إلا أن الفكر السائد كانت الوثنية المشركة هذا من ناحية: (فكان أهل المدينة من الأوس والخزرج أصحاب نخوة وإباء[١] وفروسية وقوة وشكيمة[٢]، ألفوا الحرية، ولم يخضعوا لأحد، ولم يدفعوا إلى قبيلة أو حكومة إتاوة أو جباية، وقد جاء ذلك صريحاً في الكلمة التي قالها سعد بن معاذ–سيد الأوس– لرسول الله–صلي الله عليه وسلم– : قد كن نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً).

ثانياً: أما من الناحية الأخري فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار فبطبعهم لايقبلون تهود أحد من العرب: والسبب في ذلك أن طبيعة اليهود عنصريّة لا تشجّع غيرها في الدخول تحت لوائها، فينظرون إلى الشعوب الأخرى نظرة احتقار، ويعتقدون أنهم شعب الله المختار من بين العالمين، والبرغم من ذلك كان لديهم الكثير من معالم شريعتهم قد ضاع بسبب تحريف الأحبار، ومن الأمور التي ظلّت محفوظة في دينهم، البشارة بالنبي الذي سيُبعث آخر الزمان، وذكر صفته وأحواله، ويشير القرآن إلى ذلك في قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

---

[١] والمَعْرُوفٌ بِإِبَائِهِ" : مَعْرُوفٌ بعِزَّةِ نَفسِهِ وَأَنَفَتِهِ وَكِبْرِيائِه..انظر: الكامل للمبرد، لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)،(١٩٠/٢)، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

[٢] عزيز النفس لاينقاد.انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)،(٣٥٢٢/٦)،المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾[١].[٢]

ثالثاً: بل كان جُل الأمر هو استفسارات العرب من اليهود حول النبي المبعوث: (وَأخرج ابْن سعد وَأَبُو نعيم عَن عمَارَة بن خُزَيْمَة بن ثَابت عَن أَبِيه قَالَ مَا كَانَ فِي الْأَوْس والخزرج رجل أوصف لمُحَمد –صلي الله عليه وسلم– من أبي عَامر الراهب كَانَ يألف الْيَهُود ويسائلهم عَن الدّين ويخبرونه بِصفة رَسُول الله –صلي الله عليه وسلم– وَأَن هَذِه دَار هجرته ثمَّ خرج إِلَى يهود تيماء[٣]، فأخبروه بِمثل ذَلِك ثمَّ خرج إِلَى الشَّام فَسَأَلَ النَّصَارَى فأخبروه بِصفة النَّبِي –صلي الله عليه وسلم– وَأَن مهاجره يثرب فَرجع أَبُو عَامر وَهُوَ يَقُول أَنا على دين الحنيفية فَأَقَامَ مترهبا وَلبس المسوح وَزعم انه على دين ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَام وَأَنه ينْتَظر خُرُوج النَّبِي –صلي الله عليه وسلم– فَلَمَّا ظهر رَسُول الله –صلي الله عليه وسلم– بِمَكَّة لم يخرج إِلَيْهِ وَأقَام على مَا كَانَ عَلَيْهِ فَلَمَّا قدم النَّبِي –صلي الله عليه وسلم– الْمَدِينَة حسد وبغى ونافق فَأتى النَّبِي –صلي الله عليه وسلم– فَقَالَ يَا مُحَمَّد بِمَ بعثت فَقَالَ النَّبِي –صلي الله عليه وسلم– بالحنيفية فَقَالَ انت تخلطها بغَيْرهَا فَقَالَ لَهُ النَّبِي –صلي الله عليه وسلم– أتيت بهَا بَيْضَاء نقية ايْنَ مَا كَانَ يُخْبِرك الْأَخْبَار من الْيَهُود وَالنَّصَارَى من صِفَتي قَالَ لست بِالَّذِي وصفوا فَقَالَ رَسُول الله –صلي الله عليه وسلم– كذبت فَقَالَ مَا كذبت فَقَالَ رَسُول الله –صلي الله عليه وسلم– الْكَاذِب اماته الله طريدا وحيدا فَقَالَ آمين ثمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّة فَكَانَ مَعَ قُرَيْش يتبع دينهم وَترك مَا كَانَ عَلَيْهِ.واخرج ابو نعيم من طَرِيق

---

[١] سورة الأعراف ،الآية، ١٥٧

[٢] انظر: دروس وعبر من الهجرة النبوية (١/١٣٠) موقع جامع الكتب الإسلامية

[٣] تيماء: بالفتح والمد، بلدة على ثمان مراحل من المدينة، بينها وبين الشام، وهي مدينة حجازية تقع شمال المدينة على (٤٢٠) كيلا وتتبع إداريا منطقة تبوك.انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ)،(٤/٤٠)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

ابْن اسحاق عَن جَعْفَر بن عبد الله بن أبي الحكم نَحوه وَزَاد فَخرج إِلَى مَكَّة فَلَمَّا فتحت مَكَّة خرج إِلَى الطَّائِف فَلَمَّا أسلم أهل الطَّائِف لحق بِالشَّام فَمَاتَ بهَا طريدا غَرِيبا وحيدا)[(١)]

رابعاً: غير أن اليهود كانوا يعتقدون قدوم نبي منهم يتبعونه ويقاتلون معه العرب: (كان مما صنع الله لأنصاره من الأوس والخزرج أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبياً مبعوث في هذا الزمن، ويتوعدونهم به إذا حاربوهم، ويقولون: إنا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم، وكان الأنصار يحجون البيت، كما كانت العرب تحجه وأما اليهود فلا. فلما رأى الأنصار رسول الله – صلي الله عليه وسلم– يدعوالناس إلى الله تعالى، ورأوا أمارات الصدق عليه قالوا: والله هذا الذي توعدكم يهود به فلا يسبقنكم إليه. وكان سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بن الأوس قد قدم مكة فدعاه رسول الله –صلي الله عليه وسلم– فلم يبعد ولم يجب ثم انصرف إلى المدينة، فقتل في بعض حروبهم، وكان سويد هذا ابن خالة عبد المطلب. ثم قدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع في فتية من قومه من بني عبد الأشهل، يطلبون الحلف، فدعاهم رسول الله –صلي الله عليه وسلم– إلى الإسلام، فقال إياس بن معاذ منهم وكان شاباً حدثاً: يا قوم، هذا والله خير مما جئنا له، فضربه أبو الحيسر وانتهره، فسكت، ثم لم يتم لهم الحلف، فانصرفوا إلى بلادهم إلى المدينة، فيقال إن إياس بن معاذ مات مسلماً).[(٢)] **يقول العلامة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله[(٣)]:** (واليهود فى المدينة كانوا يذكرون ذلك متحدين به الوثنيين الذين يجاورونهم، وكانوا يستفتحون به

[(١)] الخصائص الكبرى، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،(٤٨/١)، دار الكتب العلمية – بيروت.

[(٢)] انظر: الفصول في السيرة، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(المتوفى: ٧٧٤هـ)، (صـ١٠٨–١٠٩)، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

[(٣)] محمد أبو زهرة (١٣١٥– ١٣٩٤هـ = ١٨٩٨ – ١٩٧٤م)ولد محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر. ومن أشهر مؤلفاته:تاريخ المذاهب الإسلامية.– العقوبة في الفقه الإسلامي.– الجريمة في الفقه الإسلامي.انظر: الأعلام، للزركلي،(٢٥/٦).

المشركين، زاعمين أنه سينصره عليهم، ويؤيد دينهم الذى يذكرون ذلك اخذيه من إشارات كتبهم. التى كانت مفسرة عندهم، حتى صارت علما توارثوه عن أسلافهم، وهو فى مطوى التركة التى أخذوها عنهم، مع أن اليهود عرفوا بأنهم يكتمون ما أنزل الله تعالى عليهم ليكون العلم حكرا عليهم، ويمكنهم من أن يكذبوا على الناس مدعين أنهم أبناء الله تعالى وأحباؤه، مع هذا يتناثر من أقوالهم ما يدل على أن نبياً من أبناء عمهم إسماعيل عليه السلام سيبعث. وإذا كانت الأثرة هى التى حملتهم على كتمان ما أنزل الله تعالى عن غيرهم، فالأثرة أيضا هى التى حملتهم على التحدث بخبر النبى المنتظر المكتوب عندهم فى التوراة، لأنهم كانوا فى حرب مع الأوس والخزرج الذين يجاورونهم، فكانوا يذكرون أمر النبى لهم لا ليعلنوا الحقائق، ولكن ليتغلبوا عليهم بما يسمى فى عصرنا الحرب النفسية التى تقارن الحرب المادية، لينالوا الفوز والغلب، وليتم لهم التعالى عليهم، وإعلان الاستهانة بهم ولإنذارهم بأن المستقبل معهم، وفى ذلك إلقاء بالرعب. وقد حكى القران الكريم عنهم ذكرهم لمن كانوا يجاورونهم أمر النبى المنتظر، فقال الله تعالى﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾[١].[٢]

خامساً: أخيراً فالأثر الروحي لجوار الأوس والخزرج من اليهود في يثرب كانت نتيجته تهيئة ودوام الاتصال والجوار والتجارة، بين اليهود والأوس والخزرج: (جعل اليهود، وهم أهل كتاب ودعاة وحدانية، يعيبون على جيرانهم الوثنيين اتخاذهم الأوثان زلفى إلى الله، وينذرونهم بعث نبي

---

[١] سورة البقرة،الآية، ٨٩، ٩٠.

[٢] خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)،(٢٤٩/١). دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥ هـ.

يقضي عليهم ويشايع اليهود. ولم تصل هذه الدعوة إلى تهويد العرب لسببين أحدهما أن ما كان بين النصرانية واليهودية من حرب جعل يهود يثرب لا يطمعون في أكثر من السلامة التي تهيئ لهم سعة التجارة. والآخر أن اليهود يحسبون أنفسهم شعب الله المختار، ولا يرضون أن تكون لشعب غيرهم هذه المكانة، وهم لذلك لا يدعون لدينهم ولا يرضونه يخرج من بني إسرائيل).[١]
وهذا لأن من طبيعة اليهود خيانة الأمانة ونقض العهود والمواثيق: يقول العلامة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله[٢](ولم يندمجوا فى الشعب العربى، بل اتخذوا حصونا تحتويهم حيثما أقاموا، وانتجعوا الخصيب من الأرض، فكان لهم النخيل والتمر فى يثرب، امتلكه الذين أقاموا فيها من بنى قينقاع والنضير، وقريظة. وامتلك أهل خيبر مثلها. وكانوا كشأنهم أثرين يحبون أنفسهم. ولا يتعاونون مع أهل البلاد، فكانوا لا يتعاملون مع العرب، وإن تعاملوا معهم بخسوهم وخانوهم عهودهم، كما قال تعالي: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[٣]فالعرب الذين أووهم وأنزلوهم أرضهم، أبواهم عليهم المعاملة الطيبة، ونظروا إليهم على أنهم دونهم وأنهم أميون، والأمى يؤكل حقه فى زعمهم الباطل، ومنطقهم الأثيم. وجانبوهم، وتحيزوا فى حيز دونهم، وعاشوا بجوارهم يأخذون ولا يعطون).[٤]

---

[١] انظر: حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد حسين هيكل(المتوفى: ١٣٧٦هـ)، (صـ١٣٥)، دار المعارف،١٩٧٧م.

[٢] سبق ترجمته،(صـ١٥٢).

[٣] سورة ال عمران،الآية، ٧٥، ٧٦.

[٤] خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، (١/٣٩-٤٠).

المطلب الرابع

فرية الطائف عقيدة وثنية لايجب الذهاب لها

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبـهة:

١-نص الشبـهة:

"إن اختيار محمد للطائف كان ينم عن سوء تقدير، فهي المدينة التي تدين بالولاء المطلق لربة الوثنية (اللات)، وكان من المستحيل على أهلها أن يقبلوا فكرة تحطيم ربّتهم من أجل إله غريب يشركهم فيه فقراء مكة." [١]

“d'altro canto, la posizione da lui ormai assunta rispetto al paga nesimo non gli avrebbe consentito di stringere accordi con una popolazione la cui maggioranza continuasse a professarsi ostina- tamente politeista، era indispensabile ottenere prima qualcosa di simile al cost detto semiproselitismo giudaico, che gli Ebrei po- nevano come condizione di convivenza ai pagani in Palestina, in Arabia ed altrove” [2]

“كانت التجربة القاسية في الطائف تحديًا حقيقيًا لمحمد -صلي الله عليه وسلم- بخطورة المغامرة في أرض غير مستعدة، ومن جهة أخرى، فإن هذا الموقف لن يسمح له بالاتفاق مع شعب أغلبيته ما زالت تدين بالوثنية بعناد، كان من الضروري الحصول أولاً على شيء يشبه الدعوة اليهودية

---

[١] محمد وظهور الإسلام، لديفيد ساموبل مرجليوث،(صـ١٧٨).

[2] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١٦

النصفية، التي وضعها اليهود كشرط للتعايش مع الوثنيين في فلسطين والجزيرة العربية ومكان آخر" (١)

٢- مضمون الشبهة:

- التجربة الفاشلة للنبي -صلى الله عليه وسلم- في الطائف أظهرت أن بيئة الجزيرة لم تكن جاهزة لتقبّل دعوة توحيدية خالصة، فكان لا بد أن تستند الدعوة إلى صيغة وسطية شبيهة بتسويات يهودية سابقة كي يمكن التعايش مع أغلبية وثنية.

٣-هدف الشبهة:

- جعل نشأة الإسلام كنتاج تكيُّف اجتماعي وسياسي بدلًا من كونه وحيًا إلهياً.
- تقليل عنصر الأصالة الإلهية للدعوة النبوية عبر القول بأنها اضطرت لاختيار صيغة وسطية من أنماط دينية قائمة خاصة اليهودية لكي تبقى قابلة للحياة ضمن مجتمعات وثنية.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- استنتاج في غير محله أن فشل دعوة في مكان واحد لا يُستدل تلقائياً على اعتمادها على نموذج ديني آخر.
- وجود ممارسات اجتماعية للتعايش لا يعني أن الرسالة فقدت مصدرها الإلهي. [٢]

٥-مصادر الشبهة:

- نجد أن جولدزيهر [١] من أوائل الدراسات التي ناقشت تأثرية الإسلام بالعناصر اليهودية والمسيحية المحلية. [٢]

---

(١) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ١٨

٢ انظر: صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: ١٤٢٥هـ)،(صـ١٠٠)،تقديم: د. عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مفقه السيرة النبوية لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)،(صـ٢٥٧)،جامعة أم القر، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: : الإسلام نتاج تلاقح ديني واجتماعي. هذا المنحى لا يزال موجودًا في بعض أدبيات الاستشراق التاريخي.[٣]

في الوسط الإسلامي: تُستقبل الشبهة بردّ دفاعي قوي من علماء السيرة والفقهاء وبيان أن القرآن يؤكد أصالة الرسالة ويدافع عنها أمام النقد ويشير إلى اختلافات جوهرية مع التراث اليهودي.[٤]

---

[١] إجناس جولدزيهر Ignaz Goldziher (١٨٥٠م – ١٩٢١م) مجري يهودى ، كتب عن الاسلام – القرآن – التقية – الشريعة – الحديث – وكتب عن الشيعة ، من آثاره : وفيرة منوعة نفيسة، عن الإسلام، وفقهه، والأدب العربي، أشهرها : اليهود، بالإنجليزية (ليبزيج ١٨٧٠) وآداب الجدل عند الشيعة، بالألمانية (ليبزيج ١٨٧٤) والأساطير عند اليهود (ليبزيج ١٨٧٦، ثم ترجمه إلى الإنجليزية ١٨٧٧) والإسلام، بالألمانية، وهو كتاب لم يضارع حتى الآن على ما فيه من هفوات في مقارنة التوحيد (بودابشت ١٨٨١. هايدلبرج ١٩١٠ ثم نقله أرن إلى الفرنسية.انظر :المستشرقون، لنجيب العقيقي،(٩٠٦/٣).

[٢] Ignaz Goldziher, Muhammedanische Studien, Halle: Niemeyer, 1889, pp. 13–14.

جولدزيهر، إجناس. دراسات محمدية. الجزء الأول. هاله: دار نيماير، ١٨٨٩م، ص ١٣-١٤.

[٣] Horovitz, Joseph. Koranische Untersuchungen. Berlin: Walter de Gruyter, 1926, pp. 12–17.

جوزيف هوروفيتز. دراسات قرآنية. برلين: دار فالتر دي غرويتَر، ١٩٢٦، ص ١٢-١٧.

[٤] انظر :حياة محمد، لمحمد حسين هيكل، صد ١٠٣-١١٠، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٥م.

دراسات في السيرة النبوية، لعماد الدين خليل، صد ٧٥-٨٠ ، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- من البديهي أن أي حركة دعوية قد تغير أساليبها لنجاحها، لكن هذا لا يعني أن أصل المعتقد مأخوذ مقتبسًا أو مُعادَ تشكيله من دين آخر. لذلك الخلط بين وسائل الدعوة وأصول العقيدة منطقًا ساقط.
- الشبهة تعانى من ضعف في الاستقراء المنهجي، إذ تعتمد على تعميم غير مبرَّر من واقعة محدودة — وهي فشل النبي **-صلي الله عليه وسلم-** في الطائف — إلى حكمٍ كليٍّ مفاده أن الدعوة الإسلامية اضطُرَّت إلى اتخاذ صيغة نصفية في منهجها.[١]

٢-نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر الميدانية والأثرية حول يثرب تُظهر وجود مجتمعات يهودية لكن ليس دليلًا على فرضية نقل العقيدة كما تدّعي الشبهة.
- مصادر السيرة تثبت حادثة الطائف تعرضه **-صلي الله عليه وسلم-** للرمي بالحجارة ورُفض من أهل الطائف، لكن السيرة تُظهر أن النبي **-صلي الله عليه وسلم-** استمر في دعوته لاحقًا وأن بيئات أخرى كالأنصار في يثرب استجابت له. هذا يبيّن أن فشل موضعٍ واحد لا يعني فشلًا جوهريًا للدعوة أو حاجتها إلى اعتماد مذهبي.[٢]

[١] انظر: فقه السيرة النبوية لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)،(صـ٢٥٧)،جامعة أم القر، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م

[٢] انظر: البدية والنهاية لابن كثير،(٣/٦٦٥).

٣–شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يرى فريد دونر أن الإسلام في بداياته لم يكن مجرد تسوية أو مزيجًا بين الديانات والطوائف القائمة آنذاك (اليهودية والمسيحية والحنفية)، بل كان حركة إيمانية جماعية جديدة، تهدف إلى إحياء التوحيد الخالص وإقامة مجتمع من المؤمنين على أساس أخلاقي وروحي.[١]

٤– نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس يظهر بدوره حالات تفاعل ديني بين الجماعات وعمليات تجديد نبوية، لكن هذا لا يحتم أن رسالة جديدة ناجحة هي نسخة قائمة سلفًا، فالتشابه في بعض المظاهر الإيمانية بين جماعات تاريخية لا يبرهن على تبعية عقائدية تامة:" هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا... وَأَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ".[٢]

٥–نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

بداية يجب أن يعرف بعض المستشرقين عمن يتحدثون؟ إنه من علمه ربه واصطفاه، واختاره للناس رحمة مهداه، فقال في وصفه رب البريات﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ ﴾[(٣)]، ثم لم يكن ذهاب النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى الطائف لأجل جعلها مركزاً للدعوة الإسلام

Fred M. Donner, Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam (Princeton: Princeton University Press, 2010), pp. 46–47[1]

فريد م. دونر. محمد والمؤمنون: في بدايات الإسلام. برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ٢٠١٠، ص ٤٦–٤٧.

[٢] سفر ارميا، الإصحاح ٣١، الآيه ٣١–٣٣

[(٣)] سورة النجم، الآية، ١–١١

كما يعتقد بعض المستشرقين، ولا لأجل اتّخاذها مقرّاً له وللمسلمين فراراً من أذى المشركين، بل لأجل أنّ قريشاً حاصروا النبي –صلي الله عليه وسلم– حصاراً شديداً، ومنعوا من نشر دعوته بين القبائل الأخرى بشتى الأساليب، فكان كلّ من يدخل مكّة من القبائل الأخرى يلتقى به المشركون من قريش، ويحذرونه من الاقتراب من النبي–صلي الله عليه وسلم– ، واستماع كلامه وكلام أصحابه باعتباره مجنوناً أو ساحراً أو معادياً للآلهة، ولَكِنَّ الِانْسِحَابَ لَا مَكَانَ لَهُ في مَنْهَجِ الرَّسُولِ–صلي الله عليه وسلم– ، وكَلِمَةُ مُسْتَحِيلٌ لَا وُجُودَ لَهَا في مُعْجَمِهِ–صلي الله عليه وسلم– ، وَإِذَا لَمْ يَنْجَحْ في مَكَّةَ فَلْيَنْتَقِلْ إِلَى غَيْرِهَا. فَإِنَّ الدَّعْوَةَ لِلدُّنْيَا كُلِّهَا، وَلِلْعُصُورِ كُلِّهَا[1]، فاضطرّ النبي صلّى الله عليه وآله إلى الخروج من مكّة لكي يلتقى بسائر الناس، فاختار طائف وقبيلة ثقيف، لأنّها قبيلة معروفة لها ارتباط وثيق بالقبائل الأخرى. فبلّغهم الدعوة، وقرأ عليهم القرآن، وكان هذا يكفي حتّى لو قابلوه بالرد والمعارضة [2]، لأن العقلاء منهم ومن سائر القبائل يضطرون بحكم العقل إلى الفحص عن الحقيقة ولو بالملاقاة مع النبي –صلي الله عليه وسلم– وأصحابه الكرام في مكّة، والسؤال عن حقيقة أمره.

فلما نُقِضَتِ الصحيفةُ وخرج المسلمون من الحصار وافق موتُ أبي طالب، موتُ خديجةَ – رضي الله عنها – فاشتد البلاء على رسول الله –صلي الله عليه وسلم– من سفهاء قومه، واجترؤوا عليه، وكاشفوه بالأذى، فخرج رسول الله –صلي الله عليه وسلم– إلى الطائف رجاء أن يؤوه وينصروه على قومه، ويمنعوه منهم، ودعاهم إلى الله عَزَّ وجَلَّ، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصرًا، وآذوه أذًى عظيمًا لم ينل قومه منه أكثر مّما نالوا منه، وكان معه مولاه زيد بن حارثة، وكان قد عمد إلى نفرٍ من ثقيف، ثم سادات ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، بنو عمرو بن عمير بن عوف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم، فدعاهم

---

[1] انظر: رجال من التاريخ، لعلى الطنطاوى،(صـ٢٨)، دار المنارة–جدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

[2] انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبو شهبة (١٤٢٧)، (١/٤٠١–٤٠٢)، دمشق:دار القلم، الطبعةالثامنة، بتصرّف.

إلى الله، وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم: هو يمرطُ ثياب الكعبة إن كان الله قد أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا ليرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلّمك أبدًا، لئِن كنتَ رسولًا من الله كما تقول، لأنت أعظم خطرًا من أن أردَّ عليك الكلام، ولئن كنتَ تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلّمك. فقام رسول الله –صلي الله عليه وسلم– من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم: "إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ". وقد أقام في الطائف عشرة أيام لا يدعُ أحدًا من أشرافهم إلَّا جاءه وكلَّمه، فقالوا: اخرجْ من بلدنا. وأغْرَوا به سفهاءهم، فوقفوا له صفين، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دمِيَتْ قدماه، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شِجاج في رأسه، فانصرف راجعًا من الطائف إلى مكة محزونًا، وفي مرجعه ذلك دعا بالدعاء المشهور دعاء المهموم: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلّة حيلتي، وهوَاني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربِّي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدوٍ ملَّكْتَه أمري، إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصَلُحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة، أن يَحُلَّ عليَّ غضبُك، أو أن ينزلَ بي سخطُكَ، لك العُتْبَى حتّى ترضى، ولا حولَ ولا قوّة إلَّا بك"[١]. [٢]

---

[١] الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبى بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، كتاب:الدعاء، مَا جَاءَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا دَعَا مِمَّا بَقِيَ مِنْ دُعَائِهِ، (٦/٦٦ برقم ٢٩٥٢١)،المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

[٢] انظر: الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)،(صـ١١٣)،دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى.

الفصل الثانى

آراء المستشرقين

حول السيرة النبوية في المدينة المنورة.

وفيه مبحثين:

المبحث الأول

آراء المستشرقين الإيجابية حول السيرة النبوية في المدينة المنورة.

المبحث الثاني

آراء المستشرقين السلبية حول السيرة النبوية في المدينة المنورة.

المبحث الأول

آراء المستشرقين الإيجابية حول السيرة النبوية في المدينة المنورة

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الهجرة النبوية ليست هروياً، بل لإقامة دولة.

المطلب الثاني: وثيقة المدينة منافية لتقاليد العرب وآبائهم.

المطلب الثالث: حكمه –صلي الله عليه وسلم– في أسري بدر.

المبحث الأول

آراء المستشرقين الإيجابية حول السيرة النبوية في المدينة المنورة

سلط بعض المستشرقين الضوء في المدينة المنورة على الجانب السياسي والعسكري، فتحدثوا عن الغزوات والمعاهدات كغزوة بدر، مركزًا على السياقات الاجتماعية والسياسية، مما أغنى الدراسات الغربية والأوروبية عن المدينة. غير أنهم أبراز الطابع التنظيمي للمجتمع المدني في لفت الانتباه إلى إعلان وثيقة المدينة ودور الرسول **-صلى الله عليه وسلم-** في تأسيس مجتمع جديد قائم على عقد اجتماعي وديني، وهو جانب مهم أغفله بعض الدارسين السابقين من المستشرقين.

المطلب الأول

الهجرة النبوية ليست هروباً، بل لإقامة دولة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

يقول ليوليوس فلهاوزن[١]:"إن الهجرة قد قطعت روابط الدم (القبلية) وحلت محلها روابط العقيدة كقاعدة للتنظيم السياسي. ففي المدينة لم يعد محمد مجرد نبي، بل أصبح رئيس دولة (Head of State) يدير شؤون السلم والحرب والقضاء بموجب الصحيفة التي وحدت الأوس والخزرج مع المهاجرين".[٢]

“In addietro i maggiorenti Coreisciti non avrebbero chiesto nulla di meglio che egli se ne fosse andato، anzi, entro i limiti della legalità araba, aveano fatto di tutto perché ció accadesse. Ma ora la cosa appariva molto diversa. Il contenuto e la portata degli accordi d'al-'Aqabah non dovevano piú essere un segreto، in base ad essi

---

[١] يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen (١٨٤٤م – ١٩١٨م) كتب عن الشيعة، وناقد للكتاب المقدس ومؤرخ لليهودية ولصدر الإسلام، ألماني مسيحي. ولد في ١٧ مايو سنة ١٨٤٤ في قرية هاملن Hameln (بنواحي هانوفر Hanover)، من كتبه: تاريخ إسرائيل، تأليف الأسفار الستة والأسفار التاريخية في الكتاب المقدس، وتوفي في ٧ يناير سنة ١٩١٨ في مدينة جيتنجن.انظر: التشيع والاستشراق، لعبد الجبار ناجي،(صـ١٥٧)،منشورات الجمل، بيروت،، الطبعة: الأولى،٢٠١١م.

[٢] تاريخ الدولة العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ليوليوس فلهاوزن،(صـ٢٠-٢١)، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

Maometto stava per lasciare la patria non come un fuggiasco, ma come un uomo che, infrangendo i suoi vincoli naturali di tribù per divenir capo d'un gruppo in maggioranza straniero, si apprestava forse a rendere Medina un focolare di agitazione contro i Coreisciti, a turbare di là le vie carovaniere percorse necessariamente dai Meccani nel loro commercio con la Palestina e la Siria, a rendere meno cospicua l'affluenza dei pel- legrini alla Ka'bah. Di fronte alla gravità del pericolo sembra che gli ottimati coreisciti non esitassero più, e risolvessero all'ul- timo momento di catturare Maometto e fors'anco di ucciderlo، cosa ormai lecita perchè, in base all'ordinamento sociale arabo, chi si scioglieva dal legame della tribù diveniva per i suoi una persona fuori legge e priva quindi d'ogni tutela giuridica da parte loro. Senonchè Maometto ed Abū Bakr riuscirono a porsi in salvo in un modo che il Corano indica come miracoloso, , e nell'autunno, forse nel settembre, del 622 d. Cr. giungevano a Medina. Cosi si compieva la famosa ègira (higrah)" [1]

"في الماضي، لم يكن القادة القريشيون الكبار يرغبون في شيء أكثر من مغادرته، بل، ضمن حدود القانون العربي، كانوا يبذلون قصارى جهدهم لحدوث ذلك. ولكن الآن، بدا الأمر مختلفًا تمامًا.

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١٧

محتوى ونطاق اتفاقيات العقبة لم يعد يجب أن يكون سرًا، حسب هذه الاتفاقيات، كان محمد – صلي الله عليه وسلم– على وشك مغادرة وطنه ليس كمنفي، وإنما كرجل يستعد لكي يصبح زعيمًا لمجموعة غالبيتها أجانب، وربما كان على وشك جعل المدينة مركزًا للاضطراب ضد قريشيي مكة، وعلى إحداث اضطرابات في طرق القوافل التي كان يجب على قريشيي مكة استخدامها بالضرورة في تجارتهم مع فلسطين وسوريا، وجعل تدفق الحجاج إلى الكعبة أقل بروزًا. يبدو أن قادة قريش لم يترددوا أمام خطورة الوضع بعد الآن، وقرروا في اللحظة الأخيرة اعتقال محمد – صلي الله عليه وسلم– وربما قتله، وهو الأمر الذي أصبح مشروعًا الآن، لأنه في إطار التنظيم الاجتماعي العربي، يُعتبر أن من ينفصل عن قبيلته يصبح شخصًا خارج القانون وبالتالي بلا حماية قانونية من قبلهم. ومع ذلك، نجح محمد –صلي الله عليه وسلم– وأبو بكر في الهروب بطريقة يصفها القرآن بأنها خارقة، وفي خريف عام ٦٢٢ ميلادي وصلوا إلى المدينة. وهكذا تمت الهجرة الشهيرة، أي الانتقال المدروس والفصل عن أهله، وليس كـ"هروب"[١]

" a Medina l'islamismo divenne anche uno Stato, e Maometto, oltre che un profeta, un guerriero ed un legislatore, il cui influsso perdura sovrano su più che 205 milioni di credenti" [2]

"في المدينة أصبح الإسلام أيضًا دولة، ومحمد –صلي الله عليه وسلم– ، بجانب كونه نبيًا، كان أيضًا محاربًا ومشرعًا، وتأثيره السيادي لا يزال قائمًا على أكثر من ٢٠٥ مليون مؤمن" [٣]

٢– مضمون الشبهة:

– النبي -صلي الله عليه وسلم- خطط استراتيجيًا للهجرة لتكون خطوة تأسيسية للدولة.

---

[١] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٠

[2] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١٨

[٣] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٠

- أن الإسلام في المدينة أصبح نظامًا سياسيًا له مؤسسات، وجيش، وتشريعات.
- أن هذا التحول جعل الإسلام يخرج من كونه دينًا محليًا إلى مشروع عالمي.

٣-هدف الشبهة:

- الهدف غير العدائي لهذه الفكرة هو فهم الإسلام كقوة حضارية منظَّمة، إلا أن بعض المستشرقين من منظورٍ استشراقي يحاولون تفسير البعد الديني من خلال التحليل السياسي والاجتماعي، أي ربط النبوة بالقيادة الدنيوية لا بالوحي.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- افتراض أن النجاح السياسي نتيجة تخطيط بشري خالص، لا تفاعل ديني اجتماعي مركب.
- بعض المستشرقين يفترض أن النبي **-صلى الله عليه وسلم-** كان يتحرك وفق عقلٍ سياسي محض، مع إغفال الإيمان بوحيٍ إلهي يوجه القرار.
- الخلط بين الوسيلة والغاية فالهجرة كانت وسيلة لحماية العقيدة، لا مشروعًا سياسياً محضًا.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- نجد أن الشبهة استندت إلى أعمال المستشرقين التي ترى الدين ظاهرة اجتماعية سياسية.[٢]

---

[١] انظر: فقه السيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)،(صـ٣٤٢).

[٢] Wellhausen, Julius. Muhammed in Medina (Berlin: Georg Reimer, 1882), pp. 3–7

فلهاوزن، يوليوس. محمد في المدينة. برلين: دار جورج رايمر، ١٨٨٢م، ص ٣-٧.

Goldziher, Ignaz. Muhammedanische Studien (Halle: Niemeyer, 1889), pp. 112–116

جولدزيهر، إغناتس،الدراسات المحمدية، هاله: دار نشر نيماير، ١٨٨٩م، ص ١١٢-١١٦.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: : صارت فكرة الإسلام كدولة أساسًا لدراساتٍ سياسية عن الخلافة والسلطة في الإسلام. [١]

في الوسط الإسلامي: لاقت هذه القراءة ردًّا فكريًا قويًا من مفكرين مسلمين، مثل: محمد عبد الله دراز ومحمد عمارة، الذين أكدوا أن الإسلام جمع بين الدعوة والدولة بوحيٍ واحدٍ ومنهجٍ واحد.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- التحول من الدعوة إلى الدولة لا يُعد انفصالًا عن الدين بل امتدادًا طبيعيًا له، فكل منظومة إيمانية تسعى لحماية نفسها ببنية اجتماعية.
- العقل يقضي أن التنظيم السياسي لا ينفي البعد الروحي، بل يعبّر عن تطبيق عملي للمبادئ الأخلاقية التي جاء بها الوحي. [٣]

---

[١] Crone, Patricia. Meccan Trade and the Rise of Islam. Princeton: Princeton University Press, 1987, especially chapter "The Rise of Islam," beginning around pp. 231 and following

كرون، باتريشيا. تجارة مكة ونشأة الإسلام. برنستون: دار نشر جامعة برنستون، ١٩٨٧م، انظر على وجه الخصوص فصل «نشوء الإسلام» ابتداءً من الصفحة (٢٣١) وما بعدها.

[٢] انظر: الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، لمحمد عمارة، صـ ٧٥-٧٧، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

[٣] انظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١هـ)،(صـ١٧٤ ومابعدها)،دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- النصوص التاريخية تشير إلى أن الهجرة كانت استجابة لأمرٍ إلهي {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٧٢) }[١] ولم تُصوّر قط كخطة سياسية دنيوية.
- حتى بعد تأسيس الدولة، ظل النبي -صلى الله عليه وسلم- يمارس دور المعلّم والمبلّغ قبل دور القائد، ما يعني أن الرسالة كانت الأساس، والدولة كانت الحارس.[٢]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يؤكد مونتغمري وات: الهجرة لم تكن مناورة سياسية، بل انتقالًا ضروريًا لحماية الرسالة من الفناء.[٣]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس يربط بين الرسالة الدينية وبناء الجماعة:"وأنا أقول لك أيضًا: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت

---

[١] سورة الأنفال، الآية ٧٢

[٢] انظر: البدية والنهاية لابن كثير،(٣/٦٦٥).

[٣] W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina (Oxford: Clarendon Press, 1956), pp. 54

محمد في المدينة ل و. مونتغمري وات،(صـ ٤٥)، طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولًا في السماوات ". [1]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

إن هجرة النبي –صلي الله عليه وسلم– لم تكن هروباً كما اعتقد كفار قريش ومن على شاكلتهم، بل كانت لإقامة دول الإسلام، ويتبين ذلك من خلال الأمور التالية:

الأمر الأول: لو كان –صلي الله عليه وسلم– خرج من مكة هارباً من بطش قريش لكان من باب أولى أن يرضي ويقبل عرض كفار قريش من المال والشرف والمُلك: أما أسلوب الترغيب، فقد استخدمته قريش لإثناء النبي –صلي الله عليه وسلم– عن دعوته، ومن ذلك أنها أرسلت عتبة بن ربيعة للرسول –صلي الله عليه وسلم– فقال له: يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع منى أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ. فلما فرغ من قوله تلا رسول الله –صلي الله عليه وسلم– صدر سورة «فصلت» إلى قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} "فصلت: ١٣"، وعندها وضع عتبة يده على فيه، وقام كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش مخبراً إياهم، بأن ما سمع ليس شعراً، ولا سحراً، ولا كهانة، واقترح على قريش أن تدع محمداً –صلي الله عليه وسلم– وشأنه).[(٢)]

---

[1] انجيل متى، الإصحاح ١٦، الآيه ١٨-١٩

[(٢)] انظر: السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، لمحمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي، ٣٥٨-٣٥٩)، رسالة دكتوراة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة، إشراف: الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

الأمر الثانى: لو كان –صلي الله عليه وسلم– خرج من مكة هارباً من بطش قريش لكان من باب أولى أن يستسلم هو وأصحابه لضغوطات كفار قريش، ويؤثروا السلامة لأنفسهم وأهليهم بترك هذا الدين، لكن الواقع خلاف ذلك: لما عرض عليه كفار قريش كل مطامع الدنيا من سلطة، ومال، وأملاك، لعله يرجع عن الدين الذي جاء به، أو يتنازل عن بعض الحق الذي يدعو إليه، فلم يفلحوا، وحرضوا عليه عمه الذي كان يدافع عنه ويحميه، لكنه –صلي الله عليه وسلم– ثبت كأنه جبل أشم، أمام الإغراءات والمساومات ولم يناقشها، ولم يثنه ذو نسب أو قرابة، ولم تشفع عنده محبة حبيب أو رجاء قريب، بل قال في وضوح وحسم وثبات أنه لن يترك هذا الأمر الذي بعثه الله عز وجل به، فقال –صلي الله عليه وسلم– : (وَاَللهِ لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ.)[١]

الأمر الثالث: لو كان –صلي الله عليه وسلم– خرج من مكة هارباً من بطش قريش لكان من باب أولى أن يهاجر إلى بلد يخلد فيها للراحة ويعتزل الناس، فتموت أفكاره وقيمه وأهدافه ويرضخ للواقع، ولكن الواقع خلاف ذلك، فكانت الهجرة النبوية إلى بلد تحفاظ على الدين وتبليغ الرسالة وبناء الأمة وتواجه الباطل وتحدياته من جديد، فكانت حدثًا غيّر مجرى التاريخ، حمل في طياته معاني القيم العظيمة، والاعتزاز بالله وحده، ورفع راية الإسلام: ولذلك قرن الله عز وجل الهجرة بالإيمان والجهاد، كما في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[٣]، وقوله عز وجل﴿ ٱلَّذِينَ

---

[١] الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، (٣/٤٦). دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ

[٢] سورة البقرة،الآية،٢١٨

[٣] سورة الأنفال، الآية،٧٤

ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾.[1]

الأمر الرابع: لو كان –صلي الله عليه وسلم– خرج من مكة هارباً من بطش قريش لكان النبي –صلي الله عليه وسلم– أول المهاجرين، لكن كان هناك هجرتان قبله –صلي الله عليه وسلم– ، وفي هذا يقول العلامة ابن القيم رحمه الله[2]: (لَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَخَافَ مِنْهُمُ الْكُفَّارُ اشْتَدَّ أَذَاهُمْ لَهُ –صلي الله عليه وسلم– وَفِتْنَتُهُمْ إِيَّاهُمْ فَأَذِنَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ وَقَالَ:«إِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ النَّاسُ عِنْدَهُ» فَهَاجَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ، مِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ رقية بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– ، فَأَقَامُوا فِي الْحَبَشَةِ فِي أَحْسَنِ جِوارٍ، فَبَلَغَهُمْ أَنَّ قُرَيْشًا أَسْلَمَتْ، وَكَانَ هَذَا الْخَبَرُ كَذِبًا فَرَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ أَنَّ الْأَمْرَ أَشَدُّ مِمَّا كَانَ رَجَعَ مِنْهُمْ مَنْ رَجَعَ وَدَخَلَ جَمَاعَةٌ، فَلَقُوا مِنْ قُرَيْشٍ أَذًى شَدِيدًا، وَكَانَ مِمَّنْ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ. ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ فِي الْهِجْرَةِ ثَانِيًا إِلَى الْحَبَشَةِ، فَهَاجَرَ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا، إِنْ كَانَ فِيهِمْ عمار، فَإِنَّهُ يُشَكُّ فِيهِ، وَمِنَ النِّسَاءِ ثَمَانِ عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَأَقَامُوا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، فَأَرْسَلُوا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وعبد الله بن أبي ربيعة فِي جَمَاعَةٍ، لِيَكِيدُوهُمْ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ).[3] ولو كان الخوف والهروب هو الدافع للهجرة لكن رسول الله –صلي الله عليه وسلم– أول المهاجرين إلى الحبشة التي لا يُظلم عند ملكها أحد، لكنه –صلي الله عليه وسلم– ذهب إلى المدينة المنورة حيث الجهد والتعب من أجل إقامة دولة الإسلام.

---

[1] سورة التوبة،الآية،٢٠–٢٢

[2]سبق ترجمته، (صـ٧٠).

[3] زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (٩٥/١).

الأمر الخامس: الهجرة النبوية لم تكن هروباً من بطش قريش، بل كانت انتصاراً على النفس حيث مفارقة المال والأهل والبلد وذلك البلاء لا يستطيعه إلا أصحاب النفوس القوية:

فالناظر إلى المهاجرين من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين تركوا حياة الدعة والراحة، وخرجوا من ديارهم وأهلهم وأموالهم، ليعيشوا حياة الصبر والجهد، وليس لشيء إلا ابتغاء وجهه سبحانه، ونصرة رسوله –صلي الله عليه وسلم– ، كما قال تعالى﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [١] فهذا صهيب الرومي الصحابي الجليل لما أراد الهجرة إلى المدينة، وهو التاجر صاحب المال الوفير، تبعته قريش وقالوا: والله لا ندعك تلحق بصاحبك، لقد أتيتنا صعلوكًا لا مال لديك، والآن تريد أن تهاجر، والله لن ندعك، فقال: يا معشر قريش: أرأيتم إن أخبرتكم أين مالي أتخلون سبيلي؟! قالوا: نعم، فدلهم على ماله وهاجر بدينه إلى رسول الله –صلي الله عليه وسلم– ، فلما رآه سلم عليه وقال له: "ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى، وأنزل الله قوله تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [٢].[٣]

الأمر السادس: الهجرة النبوية لم تكن هروباً من بطش قريش، فالأنبياء والمرسلون عليهم السلام أقوى الناس إيماناً وشجاعة: فقد هاجر الكثير من أنبياء ورسل الله عليهم السلام، ولم تكن هجرتهم خوفاً لأنه لايستقيم مع اختيار الله إياهم رسلاً سيتحملون أعظم رسالة، ومنهم إبراهيم عليه

---

[١] سورة الحشر ،الآية،٨

[٢] سورة البقرة،الآية،٢٠٧

[٣] السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثيْنَ فِيْ نَقْدِ روَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ، للدكتور/. أكرم ضياء العمري،(٢٣٤/١–٢٣٥)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

السلام، قال الله تعالى﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ ﴾[1].

وهكذا حادث الهجرة النبوية لم يكن أبداً هروباً ولاخوفاً بل كان لإقامة دولة الإسلام، فرسول الإسلام –صلي الله عليه وسلم– ليس رسولاً إلى مكة فحسب، بل جاء بدعوة عالمية، قال جل في علاه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[2]،وقال جل شأنه﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾[3].

---

[1] سورة العنكبوت،الآية،٢٦

[2] سورة الأنبياء،الآية،١٠٧

[3] سورة السبأ،الآية،٢٨

المطلب الثانى

وثيقة المدينة منافية لتقاليد العرب وآبائـهم

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن هذه الوثيقة لم تكن مجرد معاهدة بين قبائل، بل كانت إعلاناً عن قيام أمة تُبنى على العقيدة لا على النسب. إن الفقرة التي تنص على أن "المؤمنين أمة واحدة من دون الناس" كانت بمثابة ضربة قاصمة للتقاليد العربية العريقة؛ فالقبيلة التي كانت هي الوحدة السياسية والاجتماعية الوحيدة التي عرفها العرب، قد أُزيحت لتخلي مكانها لكيان جديد يتجاوز حدود الدم." [١]

"لقد انتزعت الوثيقة من القبيلة أقدس حقوقها التقليدية التي ورثتها عن الآباء، وهو حق الثأر وحق الجوار (الحماية القبيلة)، وجعلت المرجع في ذلك إلى الله وإلى محمد-**صلى الله عليه وسلم**-. وهذا الانتقال من الحق القبلي المشاع إلى السلطة المركزية كان أمراً منافياً تماماً لروح البداوة العربية واستقلاليتها." [٢]

“nel documento di cui ci occupiamo, i vari elementi della popolazione medinese (tribŭ arabe del luogo, im- migrati coreisciti od altri, tribù giudaiche), elementi affatto ete- rogenei fra loro secondo le idee arabe, sono dichiarati formanti < un'unica ummah o nazione rispetto agli altri uomini. Le controversie gravi, di qualsiasi genere, che accadano fra i

---

[١] تاريخ الدولة العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ليوليوس فلهاوزن،(صـ٢٠-٢١).

[٢] المرجع السابق،(صـ٢١).

diversi gruppi e che diano timore di disordini dovranno essere portate <davanti a Dio e davanti a Maometto >، il quale per conseguenza è il giudice supremo della nazione, non in base al libero volere degli uomini (com'era il caso degli arbitri scelti per dirimere contese fra le tribù arabe preislamiche), ma in virtù della sua stessa missione divina. Tuttavia nessuno sarà impedito dal trarre vendetta per ferita ricevuta، nessuno invece potrà uscire per im- prese militari o razzie se non per disposizione di Maometto, che dunque, anche nei rapporti, per cosi dire, di politica estera e bel- lica, è il capo dello Stato medinese. I membri delle singole tribú continuano, come in passato, ad essere solidali nel pagamento del prezzo del sangue e nel riscatto dei loro prigionieri di guerra، ma quando si tratti di sangue versato nella via di Dio, ossia combattendo i politeisti meccani nemici di Maometto, la solida- rietà di tribù deve scomparire davanti alla nuova solidarietà fra tutti i credenti, che in tal caso prendono vendetta l'uno per l'altro. Il nostro documento afferma pure in modo certo quel principio che diverrà il cardine di molta parte della morale e del diritto islamici, cioè che i credenti sono fratelli rispetto ai rimanenti uomini، stabilisce inoltre, in pieno contrasto con le idee arabe fino allora vigenti, che non sia lecito uccidere un credente a motivo di un miscredente. Il nuovo Stato comprende ancora un cerfo numero di pagani، ma l'editto vieta loro in modo asso- luto d'applicare le norme arabe della protezione ai beni o alle persone dei pagani Coreisciti. Gli Ebrei conservano la loro

re- ligione, e provvedono alle loro spese, cosi come i Musulmani provvedono alle proprie، ma in caso di guerra, e fin che la guerra duri, debbono concorrere nelle spese con i credenti. Tutti i membri della nazione sono obbligati a darsi reciproco aiuto con- tro chi assalisse la città di Yatrib. L'editto infine non parla di mezzi coercitivi materiali affidati al capo dello Stato، ma, in com- penso, ai credenti che dessero aiuto od asilo ad un fomentatore di disordini minaccia la maledizione e la collera di Dio nel giorno della risurrezione.

L'editto è pure un documento prezioso dell'azione politico- militare che Maometto ormai si proponeva di svolgere nei riguardi della Mecca sua patria، poichè varie frasi mostrano ch'egli non aveva più di mira soltanto la difesa armata contro i persecutori, come nel patto di al-'Aqabah, ma anche l'iniziativa di guerra ai suoi concittadini pagani، guerra per sè stessa parricida, ma da lui giustificata come avvenente per la causa di Dio" [1]

"في الوثيقة التي نعالجها، يتم إعلان أن مختلف عناصر سكان المدينة (القبائل العربية المحلية، المهاجرون من قريش وغيرهم، القبائل اليهودية)، العناصر التي تعتبر تماما متباينة وفقًا للأفكار العربية، تشكل "أمة واحدة" أو "أمة" بالنسبة إلى البشر الآخرين. يجب أن تُحل النزاعات الخطيرة، مهما كان نوعها، التي تحدث بين المجموعات المختلفة وتثير مخاوف أفراد القبائل المختلفة كما في الماضي، يتضامنون في دفع ثمن الدم وفدية أسراهم من الحرب، ولكن عندما يتعلق الأمر

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٢٢-٢٣

بسفك الدماء في سبيل الله، أي بمحاربة وثنيي مكة أعداء محمد –صلي الله عليه وسلم– ، يجب أن تتلاشى التضامن القبلي أمام التضامن الجديد بين جميع المؤمنين، الذين في هذه الحالة ينتقمون بعضهم من البعض. (١)

تؤكد وثيقتنا أيضًا بشكل قاطع تلك القاعدة التي ستصبح محورًا للكثير من الأخلاق والقانون الإسلامي، وهو أن المؤمنين إخوة لباقي البشر، كما ينص أيضًا، على خلاف تام مع الأفكار العربية السائدة حتى ذلك الحين، على عدم جواز قتل مؤمن بسبب كافر. يضم الدولة الجديدة لا يزال عدد كبير من الوثنيين، ولكن الفتوى تمنعهم بشكل قاطع من تطبيق القوانين العربية لحماية ممتلكات أو أشخاص وثنيين من قريش. يحتفظ اليهود بدينهم، ويعتنون بنفقاتهم، تمامًا كما يعتني المسلمون بنفقاتهم، ولكن في حالة الحرب، وطالما استمرت الحرب، يجب عليهم المساهمة في النفقات مع المؤمنين. يجب على جميع أفراد الأمة أن يقدموا المساعدة المتبادلة ضد من يهاجم مدينة يثرب. وأخيرًا، لا تتحدث الوثيقة عن وسائل تعسفية مادية تُسند إلى رئيس الدولة، ولكن بدلاً من ذلك، يهدد المؤمنين الذين يقدمون مساعدة أو ملجأ لمحرض على الفوضى بلعنة الله وغضبه في يوم القيامة.

المرسوم هو أيضًا وثيقة قيمة للعمل السياسي والعسكري الذي كان محمد –صلي الله عليه وسلم– يعتزم القيام به تجاه مكة وطنه، حيث تظهر عبارات مختلفة أنه لم يكن يهدف فقط إلى الدفاع المسلح ضد المضطهدين، كما في ميثاق العقبة، ولكن أيضًا إلى بدء الحرب ضد خصومه الوثنيين، حربًا قتالية بالنسبة لنفسه، ولكن من قبله تبررت بأنها تتم بسبب الله" (٢)

٢– مضمون الشبهة:

– ميثاق المدينة صُمم ليحول رابطة قبلية متعددة الطوائف إلى كيان سياسي ديني تحت قيادة محمد-صلي الله عليه وسلم- .

(١) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٥

(٢) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٦

- ميثاق المدينة يجيز استخدام القوة العسكرية المنظمة ضد خصومه.
- ميثاق المدينة يُؤسس لقاعدة قانونية وأخلاقية تُفضل تضامن المؤمنين على التضامن القبلي.

٣-هدف الشبهة:

- إظهار أن نشأة الدولة الإسلامية كانت عملية سياسية اجتماعية مدروسة اعتمدت على وثيقة تأسيسية.
- عند بعض المستشرقين تفسير صعود الإسلام كظاهرة سياسية-دينية أكثر منه وحييًا بحتًا.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

من حيث المنطق والتحليل، يمكن أن نطرح عدة أسئلة ونقاط نقدية:

- هل الميثاق ميثاق دولة بالمعنى الحديث أم عقد تآلف وقواعد اجتماعية؟
- هل البنود التي تنظم المصالح المشتركة (دم، فدية، نفقات حرب) تبرر استنتاج نوايا لمباشرة حرب عدوانية أم أنها إجراءات دفاعية تنظيمية بحتة؟[١]

٥- مصادر الشبهة:

- نجد أن الشبهة استندت إلى كتب السير[٢]، وأعمال المستشرقين التي ترى الميثاق باعتباره وثيقة لتأسيس جماعة المؤمنين لا مجرد دولة سياسية. [٣]

---

[١] انظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، لمحمد بن عبد الله العوشن،(صـ٩١)، دَارُ طَيبة

[٢] انظر: السيرة النبوية لابن هشام،(٥٠١/١)،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

[٣] Fred M. Donner, Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam (Harvard University Press, 2010), pp. 6–62

فريد م. دونر، محمد وجماعة المؤمنين: في أصول الإسلام، جامعة هارفارد، ٢٠١٠م، ص ٦٢-٦٦.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: : الميثاق أعطى مادة مركزية لقراءات تقول إن الإسلام أسّس شكلًا جديدًا من السلطة السياسية، فصارت دراسته مدخلاً لأبحاث عن تكوين الدولة في الإسلام. [١]

في الوسط الإسلامي: أثارت الوثيقة نقاشًا بين مفسِّرين ومؤرخين مسلمين حول طبيعتها ودورها في تأسيس الأُمّة، وُلدت عنها دراسات دفاعية تؤكد أنها وثيقة تعايش تعددي تنظم علاقة الجماعات ولا تمنح سلطة استبدادية. [٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الاستنتاج بأن الميثاق يعني نية لبدء حرب عدوانية منظمة ضد مكة يتطلب دليلًا إضافيًا كوثائق أو أوامر صريحة تأكد نوايا الحرب وهو غير موجود صراحة في النص.
- وجود بنود تنظيمية عن المشاركة في النفقات ونفقات الحرب لا يعني أن الهدف منها هو العدوان، بل تعطيها القراءة العقلية البسيطة وظيفة دفاعية مشتركه. [٣]

٢-نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

---

[١] J. Wellhausen, “Muhammads Gemeindeordnung von Medina,” in Skizzen und Vorarbeiten, vol. IV (Berlin: G. Reimer, 1889), pp. 83–65

يوليوس فِلهاوزن، نظام جماعة محمد في المدينة (ميثاق المدينة)،ضمن كتابه ملاحظات ومسودات، المجلد الرابع،(برلين: دار النشر ج. رايمر، ١٨٨٩م). ص ٦٥-٨٣.

[٢] انظر: أول دستور مكتوب في العالم – وثيقة المدينة المنورة، لمحمد حميد الله، ص ١٠-٢٥ في طبعة باريس ١٩٤١. ص ١٥-٣٥ في طبعة دار النفائس، بيروت.

[٣] انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)،(٢/٢١٦)،مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء الطبعة: السادسة، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

- نص الميثاق كما نقله ابن هشام ينصّ بوضوح على بنود عن التعاون والدفاع المشترك لتنظيم العيش المشترك، لا نصًا يُخوّل سلطةٍ استبدادية مطلقة.
- لا أثر أثريٌّ مستقل يثبت مخططات غزو انطلقت مباشرة من الميثاق، فالغارات والمعارك لها أسباب متعددة كانتقام ووحروب قوافل، وتهديدات اقتصادية وسياسية، لا يمكن حصرها فقط كإخراج منطقي من ميثاقٍ واحد.[١]

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يقرأ مونتغمري وات: الميثاق كأداة لتنظيم المجتمع في المدينة ويعتبر أن تأسيس مؤسساتٍ محلية لا ينفي البعد الديني ويؤكد أن استعمال القوة اللاحقه مرتبطه بسياقاتٍ تاريخية متعددة.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

في الكتاب المقدّس يؤكد أن إقامة تنظيم اجتماعي/قانوني بناءً على رسالة دينية أمر مألوف في التقاليد الإبراهيمية:" فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة.هذه هي الكلمات التي تكلم بها الرب لموسى". [٣]

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

بداية يعلم الجميع أن وثيقة المدينة التي وضعها النبي -صلى الله عليه وسلم- منذ ألف وأربعمائة سنة، تقرر حرية العقيدة وحرية الرأي، وحرمة المال وحرمة الدماء، وتقضي على العصبية

---

[١] انظر: السيرة النبوية لابن هشام،(٥٠١/١)

[٢] W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina (Oxford: Clarendon Press, 1956), pp. 221-226-228

محمد في المدينة ل و. مونتغمري وات،(صـ ٤٥)، طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

[٣] سفر الخروج ، الإصحاح ١٩، الآيه ٥-٦

والطبقية، فتقرر جميع حقوق الإنسان الذى تتحدث عنه القوانين الدولية اليوم في بناء التعايش السلمي مع جميع صنوف وألوان البشر، ويظهر ذلك جلياُ من خلال الأمور الآتية:

الأمر الأول: أن وثيقة المدينة تمت فور وصوله –صلي الله عليه وسلم– المدنيه، يعنى في وقت لم تكن شوكة المسلمين قد قويت، وكانت مع سكان المدينة جميعهم بما فيهم اليهود: وقال أبو عبيد القاسم بن سلام[(١)]:« وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا الْكِتَابُ فِيمَا نَرَى حِدْثَانَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– الْمَدِينَةَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ الْإِسْلَامُ وَيَقْوَى، وَقَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِأَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَانُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ: بَنُو الْقَيْنُقَاعِ، وَالنَّضِيرِ، وَقُرَيْظَةَ »[(٢)]. فالوثيقة كُتبت حال قدوم النبي –صلي الله عليه وسلم– إلى المدينة، ولم يخص بالذكر اليهود، وإنما كان هذا الكتاب عبارة صريحة وواضحة لا تحتمل التفسير أو التأويل بأن الكتاب تناول طرفا دون الآخر، وإنما تم بين جميع المتساكنين لتنظيم حياتهم وسبل عيشهم جنبا إلى جنب. ويدل على ذلك أيضاً ما **قال ابن زنجويه**[(٣)]:« إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْكِتَابُ – فِيمَا يُرْوَى – حِدْثَانَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم–

[(١)] أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (١٥٠ – ٢٢٤هـ، ٧٦٧–٨٣٨م)فقيه محدّث ونحويّ على مذهب الكوفيين، ومن علماء القراءات.ولد بهراة، وعمل بتأديب أولاد الولاة والأمراء، وولي قضاء طرسوس ثماني عشرة سنة.له: فضائل القرآن؛ القراءات؛ خلق الإنسان؛ الناسخ والمنسوخ؛ قَدِم أبو عبيد مكة حاجًا، وجاور بها إلى أن مات.انظر: المدارس النحوية.نقلا عن الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net

[(٢)] انظر: كتاب الأموال، لأبى عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، (٢٦٦برقم٥١٩)، المحقق: خليل محمد هراس، دار الفكر. – بيروت.

[(٣)] ابن زنجويه (٠٠٠ – ٢٥١ هـ = ٠٠٠ – ٨٦٥ م)حيمد بن مخلد (زنجويه) بن قتيبة الأزدي النسائي: صاحب :كتاب الأموال،والترغيب،والآداب،محدث مشهور سمع بدمشق أبا مسهر وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن ودحيما وبمصر عبد الله بن صالح وأبا الأسود النضر بن عبد الجبار وغيرهم كثير، توفي سنة إحدى وخمسين ومائتين.

الْمَدِينَةَ، قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ الْإِسْلَامُ وَيَقْوَى، وَقَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِأَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَانُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ: بَنُو الْقَيْنُقَاعِ، وَالنَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ».[1]

الأمر الثانى: كانت وثيقة المدينة قبل غزوة بدر، وفور عودته -صلي الله عليه وسلم- منتصراً غدر اليهود العهد: يقول البلاذري[2]: « أن رَسُول اللَّه -صلي الله عليه وسلم- لما قدم المدينة. وادعته يهود كلها، وكتب بينه وبينها كتابًا. فلما أصاب -صلي الله عليه وسلم- أصحاب بدر وقدم المدينة سالمًا غانمًا موفورًا، بغت وقطعت العهد. فجمعهم رَسُول اللَّه -صلي الله عليه وسلم- ، ثُمَّ قَالَ: "يا معشر يهود، أسلموا فو الله إنكم لتعلمون أنى نبى وإلا أوقع أصبكم أكثر مما أوقع بقريش." فقالوا: يا مُحَمَّد، لا يغرّنك من لقيتَ، فإنما قهرتَ قومًا أغمارًا، ونحن بنو الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا».[3]

انظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،(٧/٢٧٤)،المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م.

[1] الأموال لابن زنجويه، لأبى أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفى: ٢٥١هـ)،(٢/٤٦٦برقم٧٥٠)،تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض الأستاذ المساعد - بجامعة الملك سعود، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

[2] البَلَاذُري (٠٠٠ - ٢٧٩ هـ = ٠٠٠ - ٨٩٢ م)أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري: مؤرخ، جغرافي، من أهل بغداد.جالس المتوكل العباسى، ومات في أيام المعتمد، وله في المأمون مدائح. من كتبه (فتوح البلدان – ط) و (القرابة وتاريخ الأشراف – ط) أجزاء منه.انظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)،(٢/٥٣٠)،المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣ م.

[3] جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، (٣٠٨/١)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

وهكذا أكد البلاذري [١]**أن** موادعة الرسول –صلي الله عليه وسلم– لليهود كانت قبل غزوة بدر، نلاحظ أيضاً أن **الإمام الطبري**[٢] يتفق مع البلاذري في مناسبة ذكر موادعة اليهود وهي عودة النبي من موقعة بدر غانما وظهور غدر اليهود بنقضهم العهد، وهذا ما سار **الإمام الطبري**: إذ يقول:« ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– بِالْمَدِينَةِ، مُنْصَرَفَهُ مِنْ بَدْرٍ، وَكَانَ قَدْ وَادَعَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يَهُودَهَا، عَلَى أَنْ لا يُعِينُوا عَلَيْهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ إِنْ دَهَمَهُ بِهَا عدو نصروه فلما قتل رسول الله –صلي الله عليه وسلم– مَنْ قَتَلَ بِبَدْرٍ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، أَظْهَرُوا لَهُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ، وَقَالُوا: لَمْ يَلْقَ مُحَمَّدٌ مَنْ يُحْسِنُ الْقِتَالَ، وَلَوْ لَقِيَنَا لاقَى عِنْدَنَا قِتَالا لا يُشْبِهُهُ قِتَالُ أَحَدٍ، وَأَظْهَرُوا نَقْضَ الْعَهْدِ».[٣]

الأمر الثالث: أذكر البند والقانون الذي إدعى بعض المستشرقين ظُلم النبي –صلي الله عليه وسلم– فى وثيقة المدينة المنورة وهو:" وَلَا يَقتلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا ينصرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ"[٤]**: فما رجحه الإم ابن حجر العسلاقي**[٥] (يقتل الكافر بالمسلم ولا يقتل المسلم بالكافر

---

[١] سبق ترجمته، (صـ١٨٤).

[٢] ابن جَرِير الطَّبَري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ = ٨٣٩ – ٩٢٣ م)محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر،المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. له: (أخبار الرسل والملوك – ط) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءا• (جامع البيان في تفسير القرآن – ط) يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءا• انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، (٨٩/٣)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م.

[٣] تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (٤٧٩/٢)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ.

[٤] السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، (١٠٧/٢).

[٥]سبق ترجمته، (صـ ١٣٦).

لحديث علي –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلي الله عليه وسلم– قال: "لا يقتل مسلم بكافر" [١]، وذلك لأن الكافر غير مكافئ للمسلم في الدين، وهذا مذهب الأئمة الثلاثة: مالك والشافعيُّ وأحمدُ. وذهب أبو حنيفة إلى أن المسلم يقتل بالذمي ولا يقتل بالكافر الحربي، لأن النصوص جاءت بعقوبة القصاص عامة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [٢]. وقال تعالى﴿ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ [٣]..**وقال الإمام الشافعى رحمه**[٤]: أن دماء أهل الذمة والعهد محرمة عليهم بغير حق[٥] كما في حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النبي –صلي الله عليه وسلم– قَالَ فِي خُطْبَتِهِ، وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ: " لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ

---

[١] صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَكَاكِ الأَسِيرِ،(٦٩/٤برقم٣٠٤٧).

[٢] سورة البقرة: ١٧٨.

[٣] سورة المائدة: ٤٥.

[٤] أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المُطَّلِبِيّ القُرَشِيّ . (١٥٠ هـ – ٢٠٤ هـ / ٧٦٧م – ٨٢٠م) هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة،. توفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ.من مؤلفاته: كتاب الرسالة القديمة (كتبه في بغداد)–كتاب الرسالة الجديدة (كتبه في مصر).انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، (١٥٦/٢)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

[٥] فتح الباري، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، (٢٦١/١٢)،المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

"[1])[2]، ويتبين مما سبق أن هذا الأمر ليس فيه ظُلم لأيٍ من أطراف وحلفاء وثيقة المدينة، غير أنه لم يظهر من أحدهم اعتراض على هذا القانون.

الأمر الرابع: أما إدعاء بعض المستشرقين أن النبي –صلي الله عليه وسلم– لما قويت شوكة المسلمين فأصبح في غنى عن اليهود، حول قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، فهذا خلاف الواقع لأن النبي –صلي الله عليه وسلم– كان يعجبه أن تكون القبلة تجاه البلد الذى هاجر منها وهي الكعبة المكرمة: فعن البَرَاء بن عازبٍ رضي الله عنه: أنَّ النبي –صلي الله عليه وسلم– كان أولَ ما قَدِمَ المدينة نزل على أجداده – أو قال: أخواله – من الأنصار، وأنَّه –صلي الله عليه وسلم– صلَّى قِبَلَ بيت المقدس ستةَ عَشَرَ شهراً، أو سبعةَ عَشَرَ شهراً، وكان يُعجبه أن تكون قبلتُه قِبَلَ البيت، وأنَّه –صلي الله عليه وسلم– صلَّى أوَّل صلاةٍ صلاها، صلاةَ العصر، وصلَّى معه قومٌ، فخرج رجلٌ ممَّن صلَّى معه، فمرَّ على أهل مسجدٍ، وهم راكعون، فقال: أشهد بالله! لقد صليت مع رسول الله –صلي الله عليه وسلم– قِبَلَ مكَّة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم أنَّه كان يُصلِّي قِبَلَ بيت المقدس، وأهلُ الكتاب، فلمَّا ولَّى وجهه قِبَلَ

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ،(المتوفى: ٢٤١هـ)،(٢٨٧/١١برقم٦٦٩٠)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،(٧٠/٤برقم١٦٩٧)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

[2] انظر: الفِقهُ الميَسَّر، أ. د. عَبد الله بن محمد الطيّار، أ. د. عبد الله بن محمّد المطلق، د. محمَّد بن إبراهيم الموسَى،(٧٠/٧)،مَدَارُ الوَطن للنَّشر، الرياض،الطبعة:جـ ٧ و ١١ – ١٣: الأولى ١٤٣٢/ ٢٠١١باقي الأجزاء: الثانية، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.بتصرف

البيت، أنكروا ذلك[١]، قال تعالى﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٩ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٠ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝١٥١ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢ ﴾[٢]، وقد أخبر الله عز وجل بما سيقوله اليهود عند تحوُّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة من آثارة الشُّكوك، والتَّساؤلات قبل وقوع الأمر، فيقول سبحانه﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٤٢ ﴾ [٣] وهذا أيضاً يدلُّ على نبوّته –صلي الله عليه وسلم– ، إذ هو أمر غيبيٌّ، فأخبر عنه قبل وقوعه.

---

[١] صحيح البخاري، بَابٌ: الصَّلاَةُ مِنَ الإِيمَانِ، بَابٌ: الصَّلاَةُ مِنَ الإِيمَانِ ، (١/١٧برقم٤٠).

[٢] سورة البقرة: ١٤٩–١٥٢

[٣] سورة البقرة: ١٤٢

المطلب الثالث

حكمه -صلي الله عليه وسلم- في أسري بدر

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن معاملة الأسرى كانت من المسائل التي تتطلب حكمة بالغة؛ فمن الناحية السياسية كان من الأفضل لمحمد أن يبقي على حياة هؤلاء الرجال؛ فالفدية التي ستُدفع مقابل إطلاق سراحهم ستكون مورداً مالياً ضخماً للمسلمين الذين كانوا في أمسّ الحاجة إلى المال. ولكن الأهم من ذلك هو الأثر الذي سيتركه هذا العفو أو 'الفداء' في نفوس المكيين؛ فقد كان محمد يطمح دائماً إلى كسب مكة في النهاية، ولم يكن يرغب في خلق ثارات شخصية لا يمكن محوها، ولذلك آثر مصلحة 'الدولة' والسياسة بعيدة المدى على الانتقام الفوري." [١]

“Altre deliberazioni prese da Maometto in vario senso circa i prigionieri fatti in battaglia divennero poi la base d'altre norme del diritto di guerra islamico” [2]

[١] محمد النبي ورجل الدولة، لوليام مونتغمري وات،(صـ١٣٥)، ترجمة:عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٥م.

[2] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٢٥

"اتُخذت قرارات أخرى من قبل محمد –صلي الله عليه وسلم– في مختلف الاتجاهات بخصوص الأسرى الذين يتم أسرهم في المعارك، وأصبحت فيما بعد أساسًا لقوانين أخرى في القانون الحربي الإسلامي" [1]

٢– مضمون الشبهة:

- النبي -**صلى الله عليه وسلم**- اتخذ أحكاماً عملية متنوعة بشأن الأسرى، وهذه الأحكام العملية تحولت لاحقًا إلى أصول وقواعد معتمدة في الفقه الإسلامي المتعلق بالحرب عند المسلمين.
- سلوك النبي -**صلى الله عليه وسلم**- الميداني شكل أساساً تقنياً لقواعد الحرب الإسلامية اللاحقة.

٣– هدف الشبهة:

- تأييد فكرة أن القواعد الحربية الإسلامية ليست مجرد نص بل نتاج ممارسة وتطبيق نبوي مرن وعملي.

٤– مثارات النقد العقلي للشبهة:

- وجود فعل نبوي زائد تقيده في الفقه لاحقًا لا يعني بالضرورة أن الفقه اقتصر أو استمد منه وحده بدون أقوال قرآنية، قياس شرعي، أو مقارَنات فقهية لاحقة.
- بعض القرارات النبوية كانت خاصة بحالة معينة مثل غزوة بدر وغزوة خيبر، فالتعميم منها يحتاج برهان. [2]

---

(١) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٢٨

[2] انظر: رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ)،(صـ٦٨٣)،ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى.

٥- مصادر الشبهة:

- نجد أن الشبهة استندت إلى كتب السير[١]، التى تروي وقائع أسرى وقرارات نَبوية، وحديثها عن الفقه الحربي الإسلامي، وكتُب الفقه السياسي.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: تُستخدم الشبهة لدى بعضهم دليلًا على أن الفقه مرن وتاريخي. وبعض المستشرقين استخدموها نقداً لاستقلالية الشريعة عن الواقع السياسي.[٣]

في الوسط الإسلامي: تُستعمل الشبهة أحيانًا دفاعًا عن الشريعة في تطبيقها في ظروف الحرب المعاصرة في مسائل الأسرى، الحماية المدنية، معاملة المدنيين.[٤]

---

[١] انظر: السيرة النبوية لابن هشام،(٦٧٦/١).

[٢] انظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،(٣٣٢/٢ ومابعدها)،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

[٣] Joseph Schacht, The Origins of Muhammadan Jurisprudence, Oxford: Clarendon Press, 1950, p. 17

شاخت، جوزيف، أصول الفقه المحمدي، أكسفورد: منشورات كلارندون، سنة النشر ١٩٥٠م، ص ١٧.

[٤] Suleiman A. Mourad, War and Peace in the Medieval Islamic World, 622–1453, Smith College Studies in History, 2004, pp. 3–5

سليمان مراد. مراد، «الحرب والسلام في العالم الإسلامي في العصور الوسطى (٦٢٢-١٤٥٣م)».دراسات كلية سميث في التاريخ ، المجلد ٦٩، العدد ١، سنة النشر ٢٠٠٤م. ص (٣-٥)

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- منطقياً وجود مواقف متباينة في مواقف معارك معينة كفداء أسرى بدر، واسترقاق أسرى أخر، وحكم قتل في حادثة بني قريظة لا يبرر تلقائياً إطلاق قاعدة موحدة عن قانون حربي إسلامي يستقي أحكامه من فعل واحد.
- الفعل النبوي قد يكون مبنيًا على معطى ظرفي كالخيانة و التهديد أمني، فاستقراءه كقاعدة عامة يتطلّب برهنة تأصيلية.[١]

٢-نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الوقائع التاريخية تظهر أن مواقف المعالَجة القانونية للأسرى في القرون الأولى تغيّرت بتأثير عوامل سياسية وتاريخية ليس هناك خط واحد ثابت.
- الدراسات الأثرية والنصوص الحربية القديمة كالرومان والفرس والقبائل العربية تُظهر المعاملة المتباينة للأسرى من ذبح واسترقاق وفداء، لذا لا يمكن عزو كل سلوك لتفرد فقهي.[٢]

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يقول مايكل بونر كانت معاملة المسلمين الأوائل للأسرى تعكس التنوع نفسه الذي يظهر في القرآن الكريم: القتل، أو الفداء، أو الاسترقاق، أو الإطلاق. وكان الاختيار الفعلي يعتمد على السياق وظروف الجماعة، مما يُظهر مرونة مميّزة للحرب الإسلامية في بداياتها.[١]

---

[١] انظر: إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم، لحسن بن محمد المشاط المالكي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)،(١٤٣-١٤٤)،دار المنهاج – جدة، الطبعة: الثانية – ١٤٢٦ هـ

[٢] Bonner, M. (2006). Jihad in Islamic history: Doctrines and practicePrinceton University Press (pp. 20–22).

مايكل بونر، الجهاد في التاريخ الإسلامي: العقائد والممارسة، مطبعة جامعة برنستون، ٢٠٠٦، الصفحات ٢٠-٢٢.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدّس يؤكد على:

- قتل كل الذكور من الرجال:"فَتَجَنَّدُواعَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ، وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ "[٢]
- تذكر أسر النساء والأطفال ونقل الأسرى وغنائم الحرب:"وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُنَّ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ وَكُلَّ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْوَالِهِمْ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ مَسَاكِنِهِمْ وَكُلَّ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ.وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى وَإِلَى أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى عَرَبَاتِ مُوآبَ الَّتِي عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا".[٣]
- التمييز الصريح بين المرأة الثيب والبكر "فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ، وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. وَلكِنْ كُلُّ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ، أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ". [٤]

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

لم يجد نالينو مثيلاً في قوانين الإسلام الحربية، كقوانين أسري(١) الحروب والمعارك الإسلامية، لذا فلم يستطرد لبيان عظم هذه القوانين، فأشار أن النبي -صلي الله عليه وسلم-

---

[١] W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina (Oxford: Clarendon Press, 1956), pp. 221-226-228

محمد في المدينة ل و. مونتغمري وات،(صـ ٤٥)، طبعة كلارندون، جامعة أكسفورد،١٩٥٣م.

[٢] سفر العدد ، الإصحاح ٣١، الآيه ٧

[٣] سفر العدد ، الإصحاح ٣١، الآيه ٩-١٢

[٤] سفر العدد ، الإصحاح ٣١، الآيه ١٧-١٨

إتخذ قوانينا في الأسري أصبحت فيما بعد قوانينا خاصة في أسري القانون الحربي الإسلامي، لذا كان من الجدير بالذكر لفت انتباه الباحثين عن بعض قوانين الإسلام في أسري الحروب والمعارك الإسلامية، وإنى أشرح كلام نالينو كما يأتى:

لما تكالبت العرب على المسلمين تبغى فتنتهم وأعلنت على النبى –صلي الله عليه وسلم– وأصحابه الكرام حربا شعواء، كان القتل والأسر طبيعة محتومة فى كل قتال، والعُرف السائد يومئذ أن الأسرى لا حرمة لهم ولا حق، وأنهم بين أمرين أحلاهما مر، القتل أو الاسترقاق. فماذا فعل المسلمون بما لديهم من أسرى؟[٢]

١–**النصح للأسري**: نجد القرآن ينصح أولئك الأسرى فى أول معركة بين المسلمين والمشركين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾[٣]، ومن هذا الخطاب ندرك الروح التى يصدر الإسلام عنها فى معاملته لمن حشدوا الجموع لقتله، ولمن ظلموا بضعة عشر عاما يوقعون المظالم الفاجعة بجمهور المسلمين يريدون إنفاءهم، أو إضلالهم. فهل من حسن السياسة أن يطلق سراح الأسرى فورا ؟

---

[١] الأسير: هم الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء.انظر: الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، للأستاذ الدكتور/ وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ،باب: السبي، (٨/٥٩١٠)،دار الفكر – سوريَّة – دمشق، الطبعة: الرَّابعة.

والأسير في القانون الدولي: هو كل شخص يؤخذ لا لجريمة ارتكبها وأنما لأسباب عسكرية.انظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، للأستاذ الدكتور/ وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، (صـ٤٠٣)، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٨م.

[٢] الإسلام والإستبداد السياسي، لمحمد الغزالي، (صـ١١٦)، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولي.

[٣] سورة الأنفال،الآيات،٧٠-٧١

ذلك أمر يتعلق بمصلحة الدولة العامة، ففى بدر قَبِلَ المسلمون الفداء[١]، وفى الفتح قال الرسول –صلي الله عليه وسلم– لأهل مكة:" اذهبوا فأنتم الطلقاء "[٢]، وفى غزوة بنى المصطلق رأى النبى –صلي الله عليه وسلم– أن يتزوج أسيرة من هذا الحى المغلوب ليرفع مكانته، وتم له ما أراد[٣]، وتحرج الناس من استرقاق الأصهار الجدد فأطلقوهم.[١]

---

[١] كانت غزوة بدر رداً للعدوان الذى وقع للمهاجرين، حيث عذبوا أشد العذاب، وسلبوا أموالهم وديارهم ، وبعد أن نصرهم الله عز وجل نزلوا من حكم القتل إلى حكم الفداء، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «جَعَلَ فِدَاءَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعَ مِائَةٍ»انظر: المستدرك على الصحيحين، لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، كِتَابُ الْجِهَادِ، وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ،(٢/١٣٥برقم٢٥٧٣)،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، كتاب السّير، الحَدِيث السَّادِس بعد الْخمسين، (٩/١١٥–١١٦)،المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م .

[٢] حَكَى الشّافِعِيُّ عن أبى يوسُفَ فى هذه القِصَّةِ أنَّه قال لَهُم حينَ اجتَمَعوا فى المَسجِدِ: "ما تَرَونَ أنِّى صانِعٌ بكُم؟ ". قالوا: خَيرًا، أخٌ كَريمٌ وابنُ أخ كَريمٍ. قال: "اذهَبوا فأَنتُمُ الطُّلَقاءُ". قال الشيخُ: وإنَّما أطلَقَهُم بالأمانِ الأوَّلِ الَّذِى عَقَدَه على شَرطِ قَبولِهِم، فلَمّا قَبِلوه قال: "أنتُمُ الطُّلَقاءُ". يَعنِى بالأمانِ الأوَّلِ، واللَّهُ أعلَمُ.

انظر: السنن الكبير، لأبى بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ)، كِتابُ القَسمِ، بأَبِى سُفيانَ ابنِ حَربٍ فأَسلَمَ بمَرِّ الظَّهرانِ، فقالَ له العباسُ: يا رسولَ اللَّهِ،،(١٨/٣٨٥برقم١٨٣٢٣)،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

[٣] فعن عائشة رضي الله عنها(أن جويرية أتت إلى النبي . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقالت له: قد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس، فكاتبته على نفسي ، فجئت أستعينك على كتابي .. فقال النبي . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . : فهل لك في خير من ذلك ؟! ، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ ، قال : أقض عنك كتابك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت .. قالت عائشة : وخرج الخبر

٢-**الحرية الدينية للأسرى:** فمن حسن مكارم الأخلاق التى دعا إليها الإسلام حسن التعامل مع الأسري وترك الحريد الدينية له، كان لذلك الأثر البليغ في نشر الإسلام، والنصرة له وللمسلمين، قال تعالى﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ

إلى الناس أن رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فأرسلوا ما في أيديهم من سبايا بني المصطلق .. فلقد أعتق تزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها) .

انظر: سنن أبي داود، لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، أول كتاب العتاق ، باب بَيع المكاتب إذا فُسخت المكاتبة ،(٦/٧٤-٧٥برقم٣٩٣١)،المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.بإسنادٍ حسن.انظر: رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ)، (صـ٤٢٤)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى

[١] حقوق الإنسان، لمحمد الغزالي،(صـ٨١-٨٢)، دار نهضة مصر ، الطبعة: الأولي.

[٢] سورة البقرة،الآية،٢٥٦

تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– : «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– ".[١]فالمتأمل في حواره –صلي الله عليه وسلم– مع ثمامة وكيف أثرت المعاملة الحسنة في ثمامة إلى أن اقتادته إلى الإسلام، وما كان ذلك ليحصل لولا توفيق الله عز وجل ثم المعاملة الحسنة التي لقيها ثمامة: كانت سبباً في إسلامه، ونصرته للإسلام والمسلمين.

٣–**إطعام الأسري**: أشار القرآن الكريم إلى أحد طرق مكارم الأخلاق وهو إطعام الطعام لاسيما إن كان لأسير، فقال تعالى﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ ﴾[٢]، **قال الإمام ابن كثير**[٣]: " وَأَمَّا الْأَسِيرُ: فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ: الْأَسِيرُ: مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ أُسَرَاؤُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكِينَ. وَيَشْهَدُ لِهَذَا أن رسول الله –صلي الله عليه وسلم– أَمَرَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ يُكْرِمُوا الْأُسَارَى، فَكَانُوا يُقَدِّمُونَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عِنْدَ الْغَدَاءِ، وَهَكَذَا قال

---

[١] صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ رَبْطِ الْأَسِيرِ وَحَبْسِهِ، وَجَوَازِ الْمَنِّ عَلَيْهِ، (٣/١٣٨٦برقم١٧٦٤)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٢] سورة الإنسان،الآيات،٨–٩

[٣] سبق ترجمته، (صـ٥٠).

سعيد بن جبير، وعطاء، والحس، وقتادة. قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْمَحْبُوسُ، أَيْ: يُطْعِمُونَ لِهَؤُلَاءِ الطَّعَامَ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ وَيُحِبُّونَهُ، قَائِلِينَ بِلِسَانِ الْحَالِ: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ} أَيْ: رجاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضَاهُ {لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا} أَيْ: لَا نَطْلُبُ مِنْكُمْ مُجَازَاةً تُكَافِئُونَا بِهَا وَلَا أَنْ تَشْكُرُونَا عِنْدَ النَّاسِ.قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَمَا وَاللَّهِ مَا قَالُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَكِنْ عَلِمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِهِ لِيَرْغَبَ فِي ذَلِكَ رَاغِبٌ".(١) فقد امتثل الصحابة الكرام وصية النبي –صلي الله عليه وسلم– وضربوا أروع الأمثلة في معاملة الأسرى: يقول أخٌ لمصعب بن عمير رضي الله عنه: " وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني البر، لوصية رسول الله –صلي الله عليه وسلم– ".(٢)

٤–**إطلاق سراح الأسرى**: وهذا مصداقاً لقول رسول الله –صلي الله عليه وسلم– في حضه على مكارم الأخلاق إطلاق سراح الأسرى دون مقابل، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النبي –صلي الله عليه وسلم– قَالَ: «أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وَفُكُّوا العَانِيَ»قَالَ سُفْيَانُ:" وَالعَانِي: الأَسِيرُ".(٣)

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،(٤/٥٤٨).

(٢) صحيح وضعيف تاريخ الطبري، للإمام أبو جعفر بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)،(٢/١١٣)،حققه وخرج رواياته وعلق عليه: محمد بن طاهر البرزنجي، إشراف ومراجعة: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَطْعِمَةِ ،باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ٥٧] وَقَوْلِهِ: {أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ} [البقرة: ٢٦٧] وَقَوْلِهِ: {كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١] ،(٧/٦٧برقم٥٣٧٣).

ختاماً: لم يثبت أن أمة من الأمم تعرف قانونًا لمعاملة الأسرى قبل الإسلام، فقد راعى النبي – صلي الله عليه وسلم– جل معاني الرحمة والكرامة الإنسانية مع الأسرى من أعدائه، فقال–صلي الله عليه وسلم– وصيته المشهورة:(اسْتَوْصُوا بِالأُسَارَى خَيْرًا)[١]

[١] تاريخ الطبري، لأبى جعفر الطبري،(٢/٤٦٠).

المبحث الثانى

آراء المستشرقين السلبية حول السيرة النبوية في المدينة المنورة

ويشتمل على أربعة عشر مطلباً:

المطلب الأول: فرية غنائم المسلمين مصدرٌ لزيادة إيرادات خزينة الدولة الإسلامية.

المطلب الثانى: فرية ممارسة سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– لشعائر اليهود لتحبيبهم في الدين الإسلامي.

المطلب الثالث: فرية نقض سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– لدستور المدينة.

المطلب الرابع: فرية سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– الرسول المُبَشَّرُ به في الإنجيل.

المطلب الخامس: فرية غزوة الخندق وغدر سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– بيهود المدينة.

المطلب السادس: فرية صلح الحديبية وتعويضه –صلي الله عليه وسلم– أصحابه بغنائم اليهود.

المطلب السابع: فرية خداع سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– لإبطال صلح الحديبية واحتلال مكة.

المطلب الثامن: فرية الجهاد من أجل الاحتلال والنهب.

المطلب التاسع: فرية توفي سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– وترك أمته على أسس غير معروفه.

المطلب العاشر: فرية قصيدة البردة نموذجاً من أسطورة سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– .

المطلب الحادى عشر: فرية سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– شخصية معقدة.

المطلب الثانى عشر: فرية الاشمئزاز من تدخل الدين في الحياة المدنية.

المطلب الثالث عشر: فرية الشهيد من يسقط في الجهاد.

المطلب الرابع عشر: فرية الإسلام دين شكلى.

المبحث الرابع

آراء المستشرقين السلبية حول السيرة النبوية في المدينة المنورة

في حديث نالينو عن أهمية المرحلة المدنية في السيرة النبوية في بناء الدولة والتنظيم الاجتماعي، حاول تفسير السيرة وكأنها مجرد وقائع تاريخية بشرية منفصلة عن الوحي، وهو ما يتعارض مع التصور الإسلامي لطبيعة النبوة. فقد قرأ اقتصر في الأحداث على العوامل الاجتماعية والسياسية، وتجاهل البعد الإيماني والنبوي الذي يعد أساس السيرة عند المسلمين. ونتج عن ذلك اعتماده المفرط على المنهج الاستشراقي الغربي وانحيازاته الاستشراقية في التشكيك في المصادر الإسلامية، وإقصاء البعد الغيبي والديني مما أضعف حياديته.

المطلب الأول

فرية غنائم المسلمين مصدرٌ لزيادة إيرادات خزينة الدولة الإسلامية

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن المحرك الحقيقي للفتوحات المبكرة لم يكن مجرد العقيدة، بل كان البحث عن الموارد الغنائم. لقد قدم الإسلام للقبائل العربية الجائعة مشروعاً سياسياً يضمن لها زيادة في الإيرادات من خلال السيطرة على طرق التجارة وغنائم الحروب، وهو ما جعل الدولة الجديدة كياناً جاذباً من الناحية الاقتصادية." [١]

"l'inizio dell'intervento legislativo divino in materia pro- fana، il bottino di guerra come fonte regolare d'entrate per l'erario, e l'acuirsi del carattere bellicoso dell'islamismo" [2]

"بداية التدخل التشريعي الإلهي في الشؤون الدنيوية، واعتبار الغنائم الحربية مصدرًا منتظمًا للإيرادات العامة، إلى جانب تصاعد الطابع العسكري للإسلام" [٣]

---

[١] تجارة مكة ونشأة الإسلام، لباتريشيا كرون،(صـ٢٣١)، ترجمة: آمال الروبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

[2] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١٩

[٣] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٢١

Le campagne di guerra contro le oasi ebraiche del Hiǧāz settentrionale، vantaggi per l'erario e norme per il futuro diritto islamico” [1]

“الحملات العسكرية ضد الواحات اليهودية في شمال الحجاز: فوائد مالية للخزانة العامة وأسس للتشريعات المستقبلية في القانون الإسلامي”[٢]

“Pertanto l'attività di Maometto e dei suoi più ragguardevoli compagni coreisciti fu subito diretta ad estendere e raffermare la supremazia del profeta sull'intera cittadinanza” [3]

“لذلك، كانت جهود محمد –صلى الله عليه وسلم– ورفاقه الأكثر بريقًا من قريش موجهة على الفور نحو توسيع وتعزيز سيادة النبي على جميع المواطنين” [٤]

“assicurò l'avvenire dell' islami- smo ed ebbe grande importanza sotto molteplici aspetti.

Anzi tutto è da notare che la grande questione sorta dopo il combattimento riguardo il modo di spartire il bottino. I dissensi a tale proposito furono fatti cessare da Maometto con un provve- dimento di cui invano cercheremmo le tracce nel periodo meccano della sua vita, e che invece diverrà sempre più frequente nel periodo medinese: ossia

---

(1) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P١٩

(٢) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٢

(3) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٢٠

(٤) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٢

mediante una rivelazione divina. L'argo- mento delia divisione delle prede, che agli occhi nostri parrebbe del tutto profano, trovò quindi posto nel libro sacro dell' islami- smo, e divenne più tardi uno dei capitoli obbligatori nella trat- tazione della guerra santa per parte dei libri di diritto canonico، con esso si iniziò il fenomeno d'una saltuaria e frammentaria le- gislazione emanante direttamente da Dio, che corre parallela a quella personale di Maometto e non ha riscontro fuori dell'isla- mismo. Il precetto a cui qui accenno stabili che un quinto del bottino fosse riservato a Dio, ossia al suo apostolo, che l'avrebbe erogato a favore dei suoi parenti, a scopi di beneficenza pubblica e, implicitamente, nell'interesse generale dello Stato. - La portata di siffatta disposizione fu assai maggiore di quel che possa sem-brare a primo aspetto. Fino allora unico provento del Governo medinese erano state le elargizioni volontarie (sadaqah, sakāh) dei credenti, alle quali s'aggiungevano, nell'eventualità di guerre, contributi straordinari da parte di tutti i cittadini, musulmani o non، adesso a questo provento si aggiunse il quinto delle prede, stabilito da Dio medesimo come cosa normale, e si ebbe quindi il primo passo verso quell'ordine di idee che, facendo del bottino di guerra uno dei principali cespiti d'entrata della cassa di Stato, doveva spingere ineluttabilmente quest'ultimo sulla via dell'espan- sione militare. Vedremo più innanzi come altre disposizioni ve- nissero in seguito a completare

questo primo passo e a dare defi- nitivamente all'islamismo un carattere aggressivo"[1]

"وكانت الغنيمة التي جرى تحقيقها من الخاسرين كبيرة، ضمنت مستقبل الإسلام وكان لها أهمية كبيرة من مختلف النواحي.

يجب أن نلاحظ أن الجدل الكبير الذي نشأ بعد المعركة كان يتعلق بطريقة تقسيم الغنيمة. حُسمت الخلافات في هذا الصدد من قبل محمد -صلي الله عليه وسلم- بإجراء لن نجد آثاره عبثًا في فترة مكة من حياته، بل ستصبح أكثر تكرارًا في الفترة المدينية: أي من خلال وحي إلهي. لذلك، وجد موضوع تقسيم الغنيمة، الذي يبدو لنا تمامًا دنيويًا، مكانًا في الكتاب المقدس للإسلام، وأصبح في وقت لاحق أحد الفصول الإلزامية في معاملة الجهاد من جانب كتب الفقه الكنسي، وبه بدأ ظاهرة التشريع العفوي والمتناقض الناتج مباشرة من الله، التي تسير جنبًا إلى جنب مع تلك الشخصية لمحمد -صلي الله عليه وسلم- وليس لها تطابق خارج الإسلام.

حتى ذلك الحين، كانت المساهمات الطوعية (الصدقة، الزكاة) من المؤمنين هي العائد الوحيد للحكومة المدينية، بالإضافة إلى التبرعات الاستثنائية من جميع المواطنين، سواء كانوا مسلمين أم لا في حالات الحروب. وفي ذلك الوقت تم إضافة خُمس الغنائم إلى هذا العائد، والذي وُضع من قبل الله نفسه كشيء طبيعي، وبذلك تم اتخاذ الخطوة الأولى نحو تلك الفكرة التي كانت ستجعل من النهب في الحروب أحد العوائد الرئيسية لخزينة الدولة، وهو ما كان سيدفع هذه الأخيرة بشكل لا مفر منه نحو طريق التوسع العسكري. سنرى فيما بعد كيف وضعت تدابير أخرى تلك الخطوة الأولى وكيف منحت للإسلامية خصائص هجومية بشكل نهائي" [٢]

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٢٤-٢٥

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٧

٢- مضمون الشبهة:

- الشبهة تفيد بأن التشريع الإسلامي المتعلق بالغنائم الحربية كان ليس مجرد تدبير فقهي أو أخلاقي، بل كان محركاً اقتصادياً وعسكرياً أساسياً، إذ أن الغنائم أصبحت إحدى مصادر الإيرادات العامة لدولة المسلمين منذ بدايتها، وبالتالي شجّعت التوسع العسكري وجعلت من الحروب وسيلة للإثراء والهيمنة أكثر من ضرورة دفاعية أو دينية..

٣- هدف الشبهة:

- الطعن في التراث الإسلامي عن طريق تصوير الإسلام كمشروع سياسي اقتصادي استعماري وليس فقط ديني روحي، فنظام الغنائم والحروب لم يكن مجرد استجابة تاريخية أو فقهية، بل كان موجهًا من البداية نحو الاستغلال الاقتصادي والتوسع السياسي .

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- القول بأن الغنائم شكّلت دخلًا منتظمًا لخزينة الدولة تعميمًا غير مسنود بالمصادر الأولى، ويتجاهل المقارنة التاريخية مع النظم الحربية المعاصرة، مما يضعف قيمته التحليلية.
- تضخيم العلاقة بين الغنيمة والتوسع بالقول إنها مصدرًا منتظمًا للإيرادات العامة، مع إغفال الدوافع الأخرى الكثيرة مثل الدعوة والرد على العدوان. [١]

٥- مصادر الشبهة:

- يرجع مصدر هذه الشبهة الي المستشرق كارل هاينريش بيكر، الذي يقول: لم تكن الغزوات العربية مدفوعة فقط بالحماسة الدينية، بل كان للحاجات الاقتصادية والرغبات دورٌ مهم في دفع هذه الحملات. [٢]

---

[١] انظر: من معارك الإسلام الفاصلة، لمحمد بن أحمد باشميل،(١٨٣/٦)،المكتبة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

[٢] Becker, C. H. (1924). Die Welt des Islams im Mittelalter Berlin: Verlag von Reim

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: تُستعمل هذه الشبهة كأحد الأدوات لنقد الإسلام السياسي والاقتصادي برسم صورة أن الفتوحات الإسلامية اشتركت في منطق الاستغلال السياسي والاقتصادي أقرب من مفهوم الجهاد والدعوة.[١]

في الوسط الإسلامي: تُستقبل الشبهة غالبًا برفض أو نقد من داخل الفكر الإسلامي، حيث يُرد أن الغنيمة كانت نشاطًا حربيًا معترفًا به وفقًا لظروف عصرها، لكنها لم تكن المحرك الوحيد أو الأساسي للتوسع، ويُوضح أن التشريع لم يكن محض اقتصاد بل كان ضابطاً ضمن ضوابط شرعية.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١-نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- منطقياً الدافع للحروب ليس الغنيمة فقط، بل التاريخ البشري يشير إلى أن الحوافز للحرب متعددة منها: دينية وسياسية ودفاعية واقتصادية.

, p. 57

بيكر، كارل هاينريش. (١٩٢٤). عالم الإسلام في العصور الوسطى، برلين: دار النشر ريمر. ص ٥٧.

[١] Patricia Crone & Michael Cook — Hagarism: The Making of the Islamic World 1977 , p. 42-45

باتريشيا كرون ومايكل كوك — هاجاريسم: صناعة العالم الإسلامي (١٩٧٧).ص. ٤٢-٤٥

[٢] Majid Khadduri,War and Peace in the Law of Islam, Johns Hopkins Press, Baltimore, 1955, p. 128

ماجد خضوري، الحرب والسلام في القانون الإسلامي، مطبعة جونز هوبكنز، بالتيمور، ١٩٥٥.ص ١٢٨.

- إذا كان الغنيمة مصدرًا أساسيًا للخزينة، فمن المنطقي أن يكون هناك مصادر أخرى معترف بها في التشريع الإسلامي كالزكاة والخراج والجِزيّة، لذا القول بأنها المحرك الأساسي يحتاج دليلًا مقارنًا. [١]

٢-نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- دراسات التاريخ للإسلام تبيّن أن الدولة الإسلامية الأولى اعتمدت على مصادر متعددة للدخل مثل غنائم الحروب و الجِزيّة و الخراج و الزكاة وليس الحروب وحدها.
- وأن بعض الفتوحات جاءت في ظروف دفاعية أو استجابة لعدوان أو اضطراب سياسي، وليس دائماً توسعية اقتصادية بحتة. [٢]

٣-شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يري بعض المستشرقين مثل إدوارد جي: أن الميزة العسكرية والرغبات الاقتصادية والمحاولة لتعزيز سلطة الدولة وتوسيع سيادتها هي بعض العوامل المحددة في الفتوحات الإسلامية . [٣]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدّس لا يعتبر فكرة الغنيمة أو الغنائم في الحروب منحصرًا بالإسلام، فالعهد القديم يحتوي تشريعات تتعامل مع الحروب و الأسرى و الغنائم:" بَعْدَ حِصَارِ مَدِينَةِ أَرِيحَا، يُتَمَّ

[١] انظر: من معارك الإسلام الفاصلة، لمحمد بن أحمد باشميل،(٦/١٨٣)،المكتبة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

[٢] انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام، لمسفر علي القحطاني،ص ٩،جامعة الملك فهد،١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

[٣] Edward J. Jurji, “The Islamic Theory of War,” The Muslim World, Vol. 30, No. 4, 1940, pp. 332-342

إدوارد ج. جُرجِي،نظرية الحرب في الإسلام، العالم الإسلامي، المجلد ٣٠، العدد ٤، ١٩٤٠، الصفحات ٣٣٢-٣٤٢.

تَخْصِيصُ الْغَنَائِمِ لِأَغْرَاضٍ مُعَيَّنَةٍ، مِثْلَ تَكْرِيسِ جُزْءٍ لِلرَّبِّ "الْقُدْسُ لِلَّهِ" وَتَوْزِيعِ الْبَاقِي بَيْنَ الْجَيْشِ.[1] بَعْدَ هَزِيمَةِ مَدِينَةِ عَيْنٍ، يُتَمَّ تَقْسِيمُ الْغَنَائِمِ بَيْنَ الْجَيْشِ وَالْمُقَدَّسَاتِ. يُظْهِرُ مَبْدَأُ الْخُمْسِ أَوْ تَخْصِيصُ جُزْءٍ لِلَّهِ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، وَهُوَ يُشْبِهُ إِلَى حَدٍّ مَا مَفْهُومَ "الْخُمْسِ" فِي الإِسْلَامِ مِنْ حَيْثُ تَخْصِيصِ جُزْءٍ لِلْجِهَةِ الدِّينِيَّةِ أَوْ الْعَامَّةِ".[2]

٥-نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

لم تكن أبداً سرايا وغزوات النبي -صلي الله عليه وسلم- من أجل الغنيمة والحصول على المال، ولم تكن من أجل فرض سلطانه -صلي الله عليه وسلم- وسيادته على العرب كما ذكر نالينو، بل كانت فقط من أجل إعلاء كلمة الحق سبحانه وتعالى، ويظهر جلياً بيان الحق من هذا الإدعاء المغرض من خلال النقاط التالية:

أولاً: إن القارئ للقرآن الكريم يجد أنه برأ النبى -صلي الله عليه وسلم- من تلك الفرية، فقال سبحانه﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ ﴾[3]، وكان **النبى** -صلي الله عليه وسلم- يمتثل لأمر ربه إذ يقول سبحانه﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ ﴾[4]، فقدم **النبى** -صلي الله عليه وسلم- التضحيات في سبيل نشر الإسلام.

ثانياً: والناظر في سيرة النبي -صلي الله عليه وسلم- **يعلم أنه** -صلي الله عليه وسلم- **لم يكن يسعى من وراء غزواته لتحقيق مكاسب دنيوية، إذ لو كان كما قيل لعاش عيش الملوك، في القصور الفارهة، ولاتخذ من الخدم ما يكون على المستوى المتناسب مع تلك المطامع**

---

[1] سفر يشوع ، الإصحاح ١٧، الآيه ٦-٢١

[2] سفر يشوع ، الإصحاح ٢٤، الآيه ٨-٢٧

(٣) سورة الأنعام،الآية،٥٠

(٤) سورة الحجر ،الآية،٩٤

المزعومة، بينما الواقع يشهد بخلاف ذلك: فبيوته –صلي الله عليه وسلم– كانت عبارة عن غرف بسيطة لا تكاد تتسع له ولزوجاته. وكذلك الحال بالنسبة لطعامه وشرابه، فقد كان يمر عليه الشهر والشهران لا توقد نارٌ في بيته، ولم يكن له من الطعام إلا الأسودان – التمر والماء–، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة[1]: " ابْنَ أُخْتِي.. إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– نَارٌ، فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ[2]، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا"[3]

والناظر أيضاً في سيرته –صلي الله عليه وسلم– يعرف زهده –صلي الله عليه وسلم– وحث أصحابه الكرام على الزهد : فقد أتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ عَلَى حَصِيرٍ

---

[1] عُرْوَة بن الزبير (٢٢ - ٩٣ هـ = ٦٤٣ - ٧١٢ م)عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها. انظر: جامع التحصيل في أحكام المراسيل، لصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: ٧٦١هـ)، (٢٣٦برقم٥١٥)، المحقق: حمدي عبد المجيد، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٦.

[2] منائح: جمع منيحة وهي الشاة أو الناقة التي تُعطَى للغير ليحلبها وينتفع بلبنها، ثم يردها على صاحبها، وقد تكون عطيةً مؤبدة بعينها ومنافعها كالهبة.انظر: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (المتوفى: ٦٥٠ هـ)،باب(ب و ح)،(١٠/٢)،حققه إبراهيم إسماعيل الأبياري، راجعه محمد خلف الله أحمد، ، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١ م.

[3] صحيح البخاري ، كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا ،(١٥٣/٣برقم٢٥٦٧).

قَدْ أَثَّرَ الْحَصِيرُ بِظَهْرِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كِسْرَى يَشْرَبُونَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْتَ هَكَذَا فَقَالَ النبي –صلي الله عليه وسلم– : "إِنَّهُمْ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا"(١).

ثالثاً: ثم إن أهل مكة عرضوا عليه –صلي الله عليه وسلم– المال والسيادة والملك والجاه من أجل أن يتخلى عن دعوته، فرفض ذلك كله، وفضل أن يبقى على شظف العيش مع الاستمرار في دعوته: فلو كان –صلي الله عليه وسلم– من الراغبين في الدنيا لما رفضها وقد أتته من غير عناء. لكنه –صلي الله عليه وسلم– ثبت كأنه جبل أشم، أمام الإغراءات والمساومات ولم يناقشها، ولم يثنه ذو نسب أو قرابة، ولم تشفع عنده محبة حبيب أو رجاء قريب، فقد اجْتَمَعَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَالنَّضْرُ ابْن الْحَارِثِ (بْنِ كَلَدَةَ)، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلِ ابْن هِشَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَالْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ، وَنَبِيهٌ وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ السَّهْمِيَّانِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، أَوْ مَنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ. قَالَ: اجْتَمِعُوا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْعَثُوا إلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ، فَبَعَثُوا إلَيْهِ: إنَّ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيُكَلِّمُوكَ، فَأْتِهِمْ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– سَرِيعًا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنْ قَدْ بَدَا لَهُمْ فِيمَا كَلَّمَهُمْ فِيهِ بَدَاءٌ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا يُحِبُّ رُشْدَهُمْ، وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ، حَتَّى جَلَسَ إلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إنَّا قَدْ بَعَثْنَا إلَيْكَ لِنُكَلِّمَكَ، وَإِنَّا وَاَللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ، لَقَدْ شَتَمْتَ الْآبَاءَ، وَعِبْتَ الدِّينَ، وَشَتَمْتَ الْآلِهَةَ، وَسَفَّهْتَ الْأَحْلَامَ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَةَ، فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إلَّا قَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ– أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ– فَإِنْ

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث/ عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنه، (٨٣/٨برقم٧٩٥٠)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٥م. إسنادة صحيح.انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبى الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)،(٣٢٧/١٠برقم١٨٣٠٢)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ بِهِ الشَّرَفَ فِينَا، فَنَحْنُ نُسَوِّدُكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ– وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّابِعَ مِنَ الْجِنِّ رِئْيًا– فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ، بَذَلْنَا لَكَ أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطِّبِّ لَكَ حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، أَوْ نُعْذِرَ فِيكَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– : مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، أَوْ كَمَا قَالَ –صلي الله عليه وسلم– .[(١)]

رابعاً: إن النبي –صلي الله عليه وسلم– كان دائم الوصايا لقواده بمايدل أنه –صلي الله عليه وسلم– لم يكن طالب مغنم ولا سيادة، بل كان هدفه الوحيد إبلاغ دين الله للناس، وإزالة العوائق المعترضة سبيل الدَّعوة: فقد وصى النبي –صلي الله عليه وسلم– معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[(٢)] فهو –صلي الله عليه وسلم– لم يقاتل أحداً، قبل دعوته إلى الإسلام، الذي تصان به الدماء والحرمات.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ)،(١/٢٩٥–٢٩٦)،تحقيق: مصطفى السقا [ت ١٣٨٩ هـ]– إبراهيم الأبياري [ت ١٤١٤ هـ]– عبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ لاَ تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ، (١١٩/٢برقم١٤٥٨).

خامساً: والفتوحات والمعارك تُظهر كيف ربي النبي –صلي الله عليه وسلم– أصحابه الكرام على إعلاء كلمة الله عز وجل، وترك الدنيا ومافيها من جاه ومال وسلطان: ولنا في فتح مصرنا الحبيبة أفضل مثال:

وصف المقوقس المسلمين الفاتحين فقال: (والله إنهم على قلتهم وضعفهم –يريد المسلمين– أقوى وأشد منا، على كثرتنا وقوتنا.. إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل، يتمنى ألا يرجع إلى أهله ولا بلده، ويرون أن لهم أجرا عظيما، فيمن قتلوا منا، ويقولون إنهم إن قتلوا، دخلوا الجنة، وليس لهم لذة في الدنيا ولا رغبة، إلا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس، ونحن قوم نكره الموت، ونحب الحياة ولذتها، فكيف نستقيم نحن وهؤلاء؟ وكيف صبرنا معهم؟

ومهما يقال في تأييد هذين القولين: قول رسل المقوقس، وقول المقوقس، في وصف المسلمين الفاتحين، تصديقا، أو تشكيكا، فإن أفعال المسلمين الفاتحين، تصدق هذين القولين، والأفعال أبلغ وأصدق من الأقوال وأجدى، فالتطبيق العملي للفتح هو الحكم الفصل في تصديق هذين القولين، وغيرهما من أمثالهما من الأقوال، والسيف أصدق إنباء من الكتب.

لقد انتصر العرب بالإسلام، ولن ينتصروا بغيره في يوم من الأيام، والتاريخ خير دليل على ذلك، وكانت انتصارات المسلمين الفاتحين انتصارات عقيدة بدون شك، جعلت من المجتمع الإسلامي الأول، مجتمعا يضم قادة متميزين، وجنوداً متميزين، ولم يكونوا كذلك، قبل أن يعتنقوا هذه العقيدة، ويتمسكوا بتعاليمها، كما هو معروف، فلما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر، عزا سبب الإبطاء إلى تغيير الفاتحين ما بأنفسهم.[١]

---

[١] انظر: فتوح مصر والمغرب، لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (المتوفى: ٢٥٧هـ)، (صـ٩٤)، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ.

سادساً: والحق ماشهدت به الأعداء يقول المستشرق وليم وات[1]، في كتابه محمد –صلي الله عليه وسلم– في المدينة: (إن النبي –صلي الله عليه وسلم– كان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد[2]).[3]

سابعاً: أن دوافع الجهاد في المعارك والغزوات تتمحور حول ثلاثة عناصر:

- **رد الاعتداء**[4]: ومثاله ماحدث في غزوة بدر، حيث سُلبت أملاك المهاجرين فخرجوا من مكة لايجدون قوت طعامهم، فكانت قافلة قريش رداً على الاعتداء، قال تعالى﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[5]
- **قتال من يقاتلنا**[1]: ومثاله ماحدث في غزوة أُحد كان سببها مجيء قريش بجيشها لقتال المسلمين وأخذ الثأر منهم، ومعركة الخندق كان سببها تحريض اليهود لقريش على قتال

---

[1] ويليام مونتغمري وات (١٣٢٧ – ١٤٢٧ هـ = ١٩٠٩ – ٢٠٠٦ م)William Montogmery Watt مستشرق إنجليزي معاصر، عمل أستاذا الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة أدنبرة .قام خلال هذه الفترة بتدريس الإسلام عقيدة وتاريخا وحضارة لعدة أجيال من الطلبة وكثير منهم مسلمون (عرب وباكستانيون)، توفي في ٢٠٠٦ م .

انظر: رؤية إسلامية للاستشراق، للأستاذ أحمد غراب، (صـ ١١٥ – ١٢٦)، المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة: الثانية،١٩٩٠م.

[2] شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)،(١١٦/٨برقم٥٥٧٢)،حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

[3] انظر: محمد في المدينة، لويليم مونتجمري وات،(صـ٥)، ترجمة:شعبان بركات، دار المطبعة العصرية للطابعة والنشر، صيدا، ١٩٩٥م.

[4] الذى وقع وقت الضعف.

[5] سورة الحج،الآية،٣٩

المسلمين، قال تعالى﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾.[2]

– **الفتوحات**[3]: فمن واجب الدولة الإسلامية أن تزيل كل حكم باطل في الأرض وإخضاعه لسلطان المسلمين لأن ذلك من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [4] فإذا رفض الإسلام ورفض أهله إعطاء الجزية وجريان القانون الإسلامي عليهم فَيُقَاتَلُون، قال تعالى﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [5]

ولبيان فرية إدعاء تقسيم الغنيمة الإجباري لله ورسوله –صلي الله عليه وسلم– ، أقول من خلال الأمور الآتية:

الأمر الأول: تحريم الغنيمة لأهل الكتاب وحلها للمسلمين: الله عز وجل أحل للمسلمين الغنيمة[6] والفيئ[1] والجزية[2]، وقد استحل أهل الكتاب النهب والغنيمة وهى محرمة عليهم، قال

---

[1] إذا قويت شوكتنا.

[2] سورة البقرة،الآية،١٩٠

[3] إذا كانت الدولة الإسلامية بقوة كافية.

[4] سورة الحج،الآية،٤١

[5] سورة التوبة،الآية،٢٩

[6] الغنيمة: هي الأموال التي اغتنمتها المسلمون واكتسبوها من الكفار بالحرب.انظر: مُوْسُوعَة القَواعِدُ الفِقْهِيَّة، لمحمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي،(٤٨٨/١)،مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

تعالى﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾[٣]، **قال الإمام القرطبي**[٤]:(وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كِتَابِ اللَّهِ السَّابِقِ عَلَى أَقْوَالٍ، أَصَحُّهَا مَا سَبَقَ مِنْ إِحْلَالِ الْغَنَائِمِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى مَنْ قَبْلَنَا. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، أَسْرَعَ النَّاسُ إِلَى الْغَنَائِمِ فأنزل الله عز وجل" لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ" أَيْ بِتَحْلِيلِ الْغَنَائِمِ).[٥]

الأمر الثانى: الفريضة الإلهية في تقسيم الغنائم: الإسلام دين رباني، فليست قراراته بشرية كما يتوقع نالينو، بل من قِبل حكيمٍ عليم سبحانه وتعالى، لذا فمن قوانين الله عز وجل فرض قانون تقسيم غنائم الغزوات، فقال جل في علاه﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ

---

[١] الفيئ: كل مال وصل المسلمين من المشركين من غير قتال.انظر: سيرة عمر بن الخطاب، للدكتور/ محمد على الصلابي،(صـ٣٦٠)، دار الإيمان، الاسكندرية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

[٢] الجزية: ضريبة سنوية على أهل الذمة يقدر الإمام الخليفة قيمتها، وتفرض على الرجال البالغين الأقولاء، كما يعفي منها من يحارب ويقاتل مع جيش المسلمين. والجزية بالنسبة لأهل الذمة، في مقابلة زكاة الأموال عند المسلمين.انظر: ترتيب الفروق واختصارها، لأبى عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري (المتوفى: ٧٠٧ هـ)،(٤٣٢/١)،المحقق: الأستاذ عمر ابن عباد، خريج دار الحديث الحسينية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

[٣] سورة الأنفال،الآية، ٦٨

[٤] القرطبي(٦٠٠ - ٦٧١هـ، ١٢٠٤ - ١٢٧٣م)أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. فقيه مفسر عالم باللغة وُلد في مدينة قرطبة، وقد رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية، ثم إلى صعيد مصر حيث استقر ومات فيها. من كتبه تفسيره الكبير الجامع لأحكام القرآن الكريم.

انظر: السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (المتوفى: ٧٠٣هـ)،(٥٨٥/٢)،المحقق: ٥٨٥إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة: ١، ١٩٦٥م.

[٥] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،(٥٠/٨).

وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾[١]، **يقول العلامة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله**[٢]: (هذا تعليم الله تعالى بشأن توزيع الغنائم، فالله سبحانه وتعالى تعهد الحرب من وقت الإعداد لها إلى الإقدام عليها إلى اللقاء فيها حتى الانتهاء، ثم علمنا توزيع غنائمها ليكون التوزيع حكما شرعيا نخضع له، فلا نختلف ولا نتأثر، وقسمة الله تعالى هي العادلة وغيرها قسمة باطلة، وقسمة ضيزى لَا صلاح فيها، ولا خير).[٣]

الأمر الثالث: النبي -صلي الله عليه وسلم- يقسم الغنائم في التوراة: فالناظر إلى نصوص التوراة والإنجيل يجد أن رسولنا -صلي الله عليه وسلم- موصوف في التوراة يقسم الغنائم، ففي نبوءة العبد المتألم: (ومن العظماء يقسم غنيمتة) إشيعاء ١٢:٥٣، ولكن النصاري يفسرونها على المسيح مع أنه لم يحارب أحدا، ففي المزمور عن محمد -صلي الله عليه وسلم-:(الملازمة البيت تقسم الغنائم) سفر المزامير ١٢:٢٨.[٤]

الأمر الرابع: كيفية تقسيم الغنائم: ومصارف تقسيم الغنيمة والفيئ خمسة كما في الآية الكريمة السابق ذكرها، وهم:

١- سهم لله عز وجل ولرسوله -صلي الله عليه وسلم- : يُصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين، لأن الله جعله له سبحانه ولرسوله -صلي الله عليه وسلم- ، والله تعالى

---

[١] سورة الأنفال،الآية، ٤١

[٢] سبق ترجمته، (صـ١٥٢).

[٣] زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)،(٦/٣١٢٩-٣١٣٠)،دار الفكر العربي.

[٤] حقائق الإسلام في مواجهة المشككين، للدكتور/ حمدى زقزوق، (صـ٥٣٥)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

ورسوله –صلي الله عليه وسلم– غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله، فإذا لم يعين الله له مصرفاً، دلَّ على أن مصرفه للمصالح العامة.

٢–سهم منه لقرابة النبي –صلي الله عليه وسلم– وآل بيته الكرام: من بني هاشم وبني المطلب، ويستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

٣–اليتامى : وهم الذين فقدوا آباءهم وهم صغار دون البلوغ.

٤–الفقراء المحتاجون : من صغار وكبار، ذكور وإناث.

٥–ابن السبيل: وهو المسافر المنقطع الذي يحتاج إلى مال ليرجع إلى بلده.

وقال بعض المفسرين: إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ، ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء، بل ذلك تبع للمصلحة، **وهذا ما رجحه الإمام السعدي رحمه الله**[١] .[٢]

ختاماً: يتبين مما سبق: أنه لا حُجَّة لنالينو في إدعاءاته المغرضة أنَّ حروب النبي –صلي الله عليه وسلم– كانت لجمع المال والحرص على توسيع سيادته –صلي الله عليه وسلم– ، وإنما كان –صلي الله عليه وسلم– صاحب دعوة صالحة نافعة، تعود بالخير على متّبعيها في الدنيا والآخرة. وأن إدعاءات نالينو ليس لها دليل، ونصوص التوراة والإنجيل خير شاهد على القانون الإلهي في جواز امتلاك غنيمة الحرب، وأن تقسيمها بدون تدخل بشري بل من عند حكيم خبير.

---

[١] السَّعْدي(١٣٠٧ – ١٣٧٦هـ)عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. عالم ومفسّر سعودي،طلب العلم وجدّ فيه فحفظ القرآن الكريم والمتون فاشتهر أمره وعلت منزلته وكثر تلاميذه، ترك عدة كتب نافعة، أكثرها في تفسير القرآن وعلومه، أبرزها تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

انظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض،(٢٧٩/١)،قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م

[٢]تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، (صـ٣٢١)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.

المطلب الثاني

فرية ممارسة النبي محمد –صلي الله عليه وسلم– لشعائر اليهود لتحبيبهم في الدين الإسلامي

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن تبني الشعائر اليهودية في الفترة الأولى بالمدينة كان محاولة واضحة لخلق نوع من التفاهم الديني والسياسي مع يهود يثرب، وعندما أدرك محمد أن اليهود لن يعترفوا به وبدأت معارضتهم تشتد، قام بتحويل القبلة من القدس إلى مكة، وهو ما يمثل بداية 'تأصيل' الإسلام وفصله عن اليهودية." [١]

"Agli Ebrei Mao– metto non domandava una professione di islamismo, perché era ancora convinto, come alla Mecca, dell'identità sostanziale del suo credo con quello degli Ebrei e dei Cristiani، chiedeva soltanto che lo riconoscessero come l'apostolo arabo della vera fede, in– viato da Dio agli Arabi. Ma se, alla Mecca, qualche isolato e poco colto ebreo e cristiano aveva potuto accogliere siffatta tesi e con– fermare Maometto nella sua ingenua credenza, a Medina, di fronte ad una cospicua comunità giudaica con rabbini e sinagoga, ogni illusione

---

[١] مقدمة القرآن، لريتشارد بل،(صـ١٥٥)، ترجمة: موسى علي، إبراهيم شبوح، ومنير بعبلكي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٠م.

doveva subito tramontare. Un profeta di Dio sorto fuori del popolo d'Israele od un Messia non uscente dalla stirpe di Da- vide erano inconcepibili per i seguaci del giudaismo، i quali poi, meno che mai potevano riconoscere una missione divina in chi proclamava Gesù Cristo e san Giovanni Battista profeti di Dio, e del primo ammetteva la nascita miracolosa per virtù dello Spirito Santo. Troppo evidenti erano infine i gravi errori di Maometto in materia biblica, perché non dessero luogo a dispute incresciose ed a facili derisioni da parte degli Ebrei. Invano il profeta arabo cercò dapprima d'accostarsi a quei riti giudaici dei quali egli poco a poco veniva a conoscenza، invano, come gli Ebrei, si vol- geva in direzione di Gerusalemme nella preghiera rituale، in- vano, come essi, celebrò il digiuno della 'ašūra' o kippür، in- vano, con un versetto coranico, prescrisse ai suoi seguaci: «Nondisputate con la gente della "sacra" Scrittura se non nel modo più cortese... e dite: Noi crediamo in ciò che fu fatto scendere "dal cielo" a noi ed in ciò che fu fatto scendere a voi، il nostro Dio e il Dio vostro sono uno solo, ed a Lui siamo sottomessi,. ,. Malgrado tutte queste concessioni il dissidio era insanabile, pur non prendendo ancora una forma acuta e violenta" [1]

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٢٢

"لم يطلب محمد –صلي الله عليه وسلم– من اليهود الاعتناق للإسلام، لأنه كان مقتنعًا كما كان في مكة بالتطابق الجوهري بين عقيدته وعقيدة اليهود والمسيحيين، فقط طلب منهم أن يعترفوا به كرسول عربي للإيمان الحقيقي، مرسلًا من الله إلى العرب" [١]

"كانت نق محمد –صلي الله عليه وسلم– للأخطاء الجسيمة في الكتاب المقدس واضحة للغاية أخيرًا، وحتى لا تؤدي إلى نزاعات محرجة وسخرية سهلة من قبل اليهود. عبثًا سعى النبي العربي أولاً للتقرب من تلك الشعائر اليهودية التي كان يتعرف عليها تدريجيا، عبثًا توجه في الصلاة الطقوسية نحو القدس كما يفعل اليهود، عبثًا احتفل بصوم العاشوراء أو يوم الكفارة، عبثًا، بآية قرآنية، أمر أتباعه: «لا تجادلوا مع أهل الكتاب إلا بالطريقة الأكثر لطفًا... وقولوا: نحن نؤمن بما أنزل إلينا وبما أنزل إليكم، إن إلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون. على الرغم من كل هذه التنازلات، لم يكن الخلاف قابلًا للتصالح، على الرغم من عدم اتخاذ شكل حاد وعنيف بعد" [٢]

"A questo profondo rivolgimento corsero subito parallele nuove disposizioni nel rituale musulmano per differenziarlo sempre più da quello giudaico: nella preghiera non bisognerà più rivolgere il viso verso Gerusalemme، al digiuno della āśūrā o del kippür giu– daico si sostituisce quello del ramadan, ossia del mese in cui Mao– metto sembra avesse ricevuto la prima rivelazione da Dio، le leggi restrittive ebraiche sui cibi vengono proclamate punizioni inflitte da Allah al popolo israelita per le sue colpe, e sostituite da altre molto più semplici" [3]

---

[١] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٤

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ٢٤

[3] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٢٧

"وعلى إثر هذه الثورة العميقة، جرت ترتيبات جديدة متوازية في الشعائر الإسلامية لتمييزها أكثر فأكثر عن الشعائر اليهودية: لم يعد من الضروري أن يُوجه الإنسان وجهه نحو القدس أثناء الصلاة، يحل صيام رمضان محل صوم العاشوراء أو يوم كيبور اليهودي، أي الشهر الذي فيه يبدو أن محمداً –صلي الله عليه وسلم– تلقى أول وحي من الله، تُعلن القوانين اليهودية القاصرة بشأن الأطعمة عقوبات يفرضها الله على الشعب الإسرائيلي لذنوبه، وتُحل محلها قوانين أُخرى أبسط بكثير" [1]

٢- مضمون الشبهة:

- تصوير النبي محمد **-صلي الله عليه وسلم-** على أنه لم يكن يسعى إلى تصحيح عقائدية، بل كان مجرد تقليد أو مجاملة لليهود والمسيحيين.
- وصف تعديلات الشعائر الإسلامية بأنها عبثية نتيجة ضعف وتهاون في الدين، وليس كحكمة تشريعية.

٣- هدف الشبهة:

- الطعن في أصالة الرسالة الإسلامية ومرونة الشريعة، وربطها بمحاولات التكيف مع اليهودية والمسيحية، مما يُظهر الإسلام وكأنه استجابة ظرفية أو تكميلية، وليس رسالته مستقلة.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- مغالطة الاعتماد على تفسير واحد دون السياق التاريخي الكامل.
- إسقاط نوايا شخصية على النبي **-صلي الله عليه وسلم-** دون دليل منطقي أو تاريخي.
- تجاهل الهدف التشريعي والروحي لتغييرات الشعائر. [٢]

---

[1] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٣٠

[٢] انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)،(٣/٤٣٤)،المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

٥- **مصادر الشبهة:**

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين عن التفسيرات الاستشراقية العامة للنصوص الإسلامية وعلاقات النبي **-صلي الله عليه وسلم-** مع اليهود في المدينة. وأنّ الإسلام متأثر إلى حد كبير باليهودية، واستسلام محمد **-صلي الله عليه وسلم-** لبعض المفاهيم اليهودية الربّانية.[١]

٦- **أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:**

في الوسط الاستشراقي: تُستخدم لتأكيد فكرة أن الإسلام نشأ جزئيًا كاستجابة لليهودية والمسيحية وليس كرسالة مستقلة.[٢]

في الوسط الإسلامي: تُستقبل هذه الشبهة بالنقد والرفض، مع توضيح الحكمة والتشريع الإسلامي المستقل، وعدم إسقاط الأحداث التاريخية على شخصية النبي **-صلي الله عليه وسلم-** بسوء نية.[٣]

---

[١] Geiger, Abraham Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen Bonn: F. Baaden, 1833,?

, p. 12-14

أبراهام غايغر ،ما الذي أخذه محمد من اليهودية؟، طُبع في مدينة بون، دار بادن سنة ١٨٣٣م، الصفحات ١٢ إلى ١٤

[٢] Theodor Nöldeke. Geschichte des Qorâns. Göttingen. Dieterich.1860.p.10-11

نولدِكه، تيودور ، تاريخ القرآن، غوتنغن، دار نشر ديتريخ، سنة ١٨٦٠م، ص ١٠-١١

[٣] انظر: موسوعة بيان الإسلام "شبهات حول التشريع الإسلامي"، نخبة من العلماء، (١٦/٣-٤)، دار نهضة مصر، ٢٠١١م.

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- من الناحية المنطقية، فإن الادعاء بوجود عبثية في التشريع يفتقر إلى أي دليل موضوعي أو برهان عقلي، فالتشريعات والتغييرات التي طرأت على بعض الشعائر لم تكن عشوائية، بل جاءت ضمن منظومة حكيمة تهدف إلى تمييز الرسالة الإسلامية عن الرسالات السابقة، مع مراعاة الجوانب الدعوية والاجتماعية التي تقتضيها طبيعة المرحلة. [١]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- دراسات التاريخ للإسلام تبيّن أن النبي **-صلى الله عليه وسلم-** قام بتعديلات شعائرية واضحة وهادفة: مثل تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، وتحديد شهر رمضان للصيام، ووضوح التشريع في صيام يوم العاشر "عاشوراء" بما يحقق التفريق عن اليهودية.
- المعطيات الأثرية تؤكد أن التعديلات كانت جزءًا من تنظيم الدولة والمجتمع، وليست عبثية. [٢]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين مثل باتريشيا كرون وميخائيل كوك: يشيرون إلى أن النبي **-صلى الله عليه وسلم-** تعامل مع اليهود بطريقة حكيمة لتجنب النزاعات، لكن الهدف كان إقامة رسالة مستقلة واضحة.

---

[١] انظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبى عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)،(٢٧٦/١١)،دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

[٢] انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، (٤٣/١٣برقم٢٥١٩)، دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م

- المستشرقون المنصفون يؤكدون استقلال الرسالة الإسلامية عن محاولات التقليد العبثي لليهودية أو المسيحية.[1]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدّس يظهر أن الرسالات السماوية كلها تحتوي على تعديلات وتشريعات متعلقة بالطقوس والشعائر بحسب الظروف،فكانت دائمًا جزءًا من السنّة الإلهية في الوحي، وليست عبثية:" بَلْ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَخْتَارُهُ ٱلرَّبُّ إِلٰهُكُمْ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِكُمْ لِيَضَعَ ٱسْمَهُ فِيهِ، تَذْهَبُونَ، وَتُقَرِّبُونَ هُنَاكَ مُحْرَقَاتِكُمْ وَذَبَائِحَكُمْ وَعُشُورَكُمْ وَرُفُوعَ أَيْدِيكُمْ وَنُذُورَكُمْ وَتَبَرُّعَاتِكُمْ وَأَبْكَارَ بَقَرِكُمْ وَغَنَمِكُمْ... اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُصْعِدَ مُحْرَقَاتِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَرَاهُ. بَلْ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَخْتَارُهُ ٱلرَّبُّ فِي أَحَدِ أَسْبَاطِكَ، هُنَاكَ تُصْعِدُ مُحْرَقَاتِكَ، وَهُنَاكَ تَعْمَلُ كُلَّ مَا آمُرُكَ بِهِ".[2] "نَادُوا بِصَوْمٍ، نَادُوا بِٱعْتِكَافٍ، ٱجْمَعُوا ٱلشُّيُوخَ وَجَمِيعَ سُكَّانِ ٱلْأَرْضِ إِلَى بَيْتِ ٱلرَّبِّ إِلٰهِكُمْ، وَٱصْرُخُوا إِلَى ٱلرَّبِّ ".[3]"وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا لَهُمَا: قُولَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: هَذِهِ ٱلْحَيَوَانَاتُ ٱلَّتِي تَأْكُلُونَهَا مِنْ جَمِيعِ ٱلْبَهَائِمِ ٱلَّتِي عَلَى ٱلْأَرْضِ. كُلُّ مَا شَقَّ ظِلْفًا وَقَسَمَهُ ظِلْفَيْنِ وَيَجْتَرُّ مِنَ ٱلْبَهَائِمِ فَإِيَّاهُ تَأْكُلُونَ. أَمَّا ٱلْجَمَلُ... فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ".[4]فالتوراة نفسها تُظهر أن التشريع الإلهي متدرج حسب الواقع، والتغيير في الشعائر لا يُعد عبثًا بل تكيّفًا إلهيًا تربويًا مع الزمان والمكان.

---

[1] Patricia Crone & Michael Cook Hagarism: The Making of the Islamic World (Cambridge University Press, 1977), P.17-19

باتريشيا كرون وميخائيل كوك، هاجريّة: تكوين العالم الإسلامي، دار النشر: جامعة كامبريدج، سنة النشر: ١٩٧٧م، ص ١٧-١٩

[2] سفر التثنية ، الإصحاح ١٢ ، الآيه ٥-١٤

[3] سفر اللاويين ، الإصحاح ١٦، الآيه ٢٩-٣١

[4] سفر اللاويين ، الإصحاح ١١، الآيه ١-٤

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ويمكن الرد على هذه الشبهة من خلال النقاط التالية:

أولاً: إن التعايش والتفاهم والتعاون بين الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين أمر تحتاجه الإنسانية: فالرسالة المحمدية حفظت كرامة الإنسان، فالناس بنو آدم سواء المسلم وغير المسلم، وقد كرم الله بني آدم جميعا، فقال في قرآنه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[١]، لذا حرص النبي – صلي الله عليه وسلم– على إبراز هذا المعنى الإنساني في تعاملاته وسلوكياته مع غير المسلمين عامة ومع اليهود في المدينة خاصة حيث كانوا يعيشون معه.

ففي الحديث الثابت قول نبينا محمد–صلي الله عليه وسلم– :«إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم»، فمرت به يوما جنازة، فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا».[٢] لذا فميزان حسن معاملته –صلي الله عليه وسلم– مع اليهود أنهم بشر من بنى آدم عليه السلام.

ثانياً: يستحيل أن يتقرب النبي –صلي الله عليه وسلم– من اليهود بممارسة شعائرهم طمعاً في إسلامهم: فلو جاز ذلك أصلاً لنُقل إلينا من قبل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، فهم لم يغفلوا شيئاً من أخباره –صلي الله عليه وسلم– .

ثالثاً: ولو صح ذلك لاتخذه أعداؤه من المشركين حجة لهم، بهدف الطعن فيه، وهم الذين تعلقوا بأوهى التهم كزعمهم أنه تعلم من رومي أعجمي، ولكن لم يفعل النبي –صلي الله عليه وسلم– ذلك، ورد عليهم القرآن الكريم، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾.[٣]

---

[١] سورة الإسراء، الآية، ٧٠

[٢] صحيح البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ،(٢/٨٥برقم١٣١٢).

[٣] سورة النحل، الآية،١٠٣

رابعاً: ولأن النبي –صلي الله عليه وسلم– لُقِّبَ بالأميِّ فلا يقرأ ولا يكتب، ولم يثبت أنه رأى التوراة والإنجيل أو قرأ فيهما أو نقل منهما، وهذه صفة كان يتَّصف بها غالب العرب في ذلك الوقت، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [(١)]، وفي "الصحيحين" عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ».[(٢)]ولو كان –صلي الله عليه وسلم– يُحسن الخط والقراءة لصار متهمًا في أنه ربما طالع كتب الأولين فحصَّل هذه العلوم من تلك المطالعة، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة، كان ذلك من المعجزات، وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.[(٣)]

خامساً: ولأن القرآن الكريم فضح اليهود والنصارى، وهتك أستارهم، وذمهم، كما في قوله تعالى﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾[(٤)]، ولو كانوا معلِّمين للنبي –صلي الله عليه وسلم– شعائرهم لمدحهم القرآن وأثنى عليهم.

---

(١) سورة الجمعة، الآية،٢

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ»، (٢٧/٣برقم١٩١٣).

(٣) سورة العنكبوت، الآية،٤٨

(٤) سورة النساء، الآية،١٧١

سادساً: ولأن أحكام الشريعة الإسلامية كانت تتنزَّل متدرجة حسب الحوادث، وكان الرسول – صلي الله عليه وسلم– يتوقف في الحكم على بعض الأمور حتى ينزل الوحي عليه، مما يدل على أنه ليس لديه علم سابق، ولم يسأل اليهود عن شئ عنها.

سابعاً: ولوجود الكثير من الاختلافات مع اليهود في كثيرٍ من الأحكام، بل إن مخالفتهم مقصدٌ شرعي كما جاء في الحديث الصحيح:(خَالِفُوا الْيَهُودَ وَالنصَارَى، فَإِنَّهُمْ لا يُصَلُّونَ فِي خِفَافِهِمْ وَلا فِي نِعَالِهِمْ) [(١)]وما حصل من توافق في بعض الأحكام لا يدل على أن الرسول –صلي الله عليه وسلم– تعلم على أيديهم شيئا أو تقرب إليهم في شئ، وإنما لكون كتاب أهل الكتاب أصلهما صحيح يتفق مع أصول الإسلام، لولا ما اعتراهما من تحريف.

ثامناً: ولم يثبت أنه –صلي الله عليه وسلم– إلتقى بأحد من الأحبار والرهبان غير ورقة بن نوفل مرة واحدة وتوفي بعد اللقاء بثلاث سنوات ورسول الله –صلي الله عليه وسلم– لم يجهر بدعوته بعد، وألتقي ببحيرى الراهب مرتين وذلك لا يكفي للتلقي عنه، فكان في المرة الأولى أثناء دعوة طعام عندما كان مع عمه أبي طالب، والكل كان منشغلاً بالحديث والطعام، لا مجال للتعلم والتلقي، فضلاً عن صغر سن النبي –صلي الله عليه وسلم– ، حيث كان في الثانية عشر من عمره، وفي المرة الثانية كان النبي –صلي الله عليه وسلم– منشغلاً بالتجارة لخديجة، ولم يُنقل شئ من أخبار التلقي حتى بعد رجوع القوم إلى مكة. ولم يأخذ –صلي الله عليه وسلم– عن الحاشية اليهودية والمسيحية المسلمة شيئاً، لأنه–صلي الله عليه وسلم– لم يلتق بهم إلا بعد

---

(١) المستدرك على الصحيحين، لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، كِتَابُ الطَّهَارَةِ ، أَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، (١/٣٩١برقم٩٥٦)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.إسنادة حسن صحيح. انظر: جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد، لمحمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، كتاب الصلاة، شرائط الصلاة من استقبال وطهارة وستر،(١/٢١٣برقم١٢٨٢)،تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع، مكتبة ابن كثير، الكويت – دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

الهجرة ودخولهم في الإسلام، فالتقى بهم تابعين له آخذين عنه متعلمين منه، مؤمنين مصدقين غير مكذبين. [١]

تاسعاً: وقد أكد ذلك بعض المفكرين الغربيين أمثال الفرنسي "**الكونت هنري دي كاستري**"[٢]حيث قال:"ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي محمد من مطالعة التوراة والإنجيل.[٣]

ويقول المستشرق دوزي[٤]: "أما أواسط بلاد العرب، وفي قلب جزيرتهم...فلم تتجح فيه الدعاية للدين المسيحي. [٥] وصدق الحق إذ يقول﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣ ﴾.[٦]

---

[١] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)،(١/١٨٧). المحقق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

[٢] هنري دي كاستري، ولد عام ١٨٥٠م، وتوفي في سنة ١٩٢٧م، كاتب مسيحي فرنسي، عاش بين الجزائريين زمنًا طويلاً، و من خلال مطالعته لأحوال المسلمين.وله "مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب" و"الأشراف السعديون" و "رحلة هولندي إلى المغرب" و "الإسلام خواطر وسوانح" وغيرها.

انظر: الدراسة الاستشراقيّة الفرنسيّة في المغرب من خلال "هنري دو كاستري"، لسليماني رضوان، مجلة : دراسات استشراقية، العدد : ٣٣، ٢٠٢٣م / ١٤٤٤هـ.

[٣] انظر: شبهات النصاري حول الإسلام، لوليد كمال شكر، (صـ٩)، المكتبة الشملة الذهبية، الطبعة: الأولى، ٢٠١٩م.

[٤] 'رَينْهَارْت دُوزِي' (بالهولندية: Reinhart Dozy)ولد في ليدن، هولندا، ٢١ فبراير ١٨٢٠ . وتوفي في الإسكندرية، مصر، ٢٩ أبريل ١٨٨٣) مستشرق هولندي وأستاذ العربية في جامعة لَيْدَن،اشتهر بدراسة تاريخ شمال أفريقيا والأندلس.من مؤلفات: تكملة المعاجم العربية. وتاريخ المسلمين في أسبانيا، إلى فتح المرابطين لها.

انظر :المستشرقون، للنجيب العقيقي ،(٢/٣٠٨-٣١١).

[٥] انظر :شبهات النصاري حول الإسلام، لوليد كمال شكر،(صـ٩).

[٦] سورة التوبة، الآية،٣٢-٣٣

المطلب الثالث

فرية نقض محمد –صلي الله عليه وسلم– لدستور المدينة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١– نص الشبهة:

"لقد كان دستور المدينة عند محمد مجرد هدنة تكتيكية. وبمجرد أن شعر بقوته، لم يتردد في نقض العهود مع القبائل اليهودية الواحدة تلو الأخرى تحت ذرائع مختلفة، والهدف الحقيقي كان الاستيلاء على ممتلكاتهم وتطهير المدينة من أي معارضة سياسية." [١]

"Infine la grande autorità morale che la vittoria di Badr pro- curò a Maometto, permise a quest'ultimo di far cosa che prima sarebbe stata assai grave di pericoli, ossia di romperla definiti- vamente col giudaismo e con parte degli obblighi impostisi nel- l'editto di cui ci siamo occupati. Nel campo materiale si ebbe, un mese o due dopo la battaglia, per un futile pretesto, la violenta espulsione di quello fra i gruppi ebraici che occupava il centro di Medina, e la confisca dei suoi beni. Nel campo spirituale av- venne l'emancipazione di Maometto dal giudaismo e dal cristia- nesimo e quindi, di fatto, la nascita dell' islamismo come religione indipendente ed a quelle antagonista. L'immensa importanza di ció per la

---

[١] محمد وظهور الإسلام، لديفيد مرجليوث،،(ص١٧٢)، نقلاً من كتاب: المستشرقون والسيرة النبوية، لعماد الدين خليل، دار المناهل، بيروت.

storia universale,sia politica che religiosa,esige che vi fermiamo la nostra attenzione"[1]

"أخيرًا، فإن المكانة الأخلاقية العظيمة التي منحها انتصار بدر لمحمد مكّنته من القيام بخطوة كانت ستشكل سابقًا خطرًا كبيرًا، وهي القطيعة النهائية مع اليهودية والتخلي عن بعض الالتزامات التي فرضها على نفسه في المرسوم الذي سبق التطرق إليه. على الصعيد المادي، وبعد شهر أو شهرين من المعركة، تم طرد إحدى الجماعات اليهودية التي كانت تقيم في وسط المدينة المنورة بالقوة، وذلك استنادًا إلى ذريعة واهية، مع مصادرة ممتلكاتها. أما على الصعيد الروحي، فقد شهدت هذه المرحلة تحرر محمد من التأثيرين اليهودي والمسيحي، مما أدى فعليًا إلى ظهور الإسلام كديانة مستقلة ومناهضة لهاتين الديانتين. إن الأهمية البالغة لهذا الحدث في سياق التاريخ العالمي، سواء من الناحية السياسية أو الدينية، تستوجب منا التوقف عنده بتمعن" [٢]

٢- مضمون الشبهة:

- الشبهة تفيد بأن الانتصار في غزوة بدر أعطى للنبي **-صلى الله عليه وسلم-** قيمة أخلاقية عالية مكنته من إنهاء التزامه تجاه الجماعات اليهودية في المدينة المنورة، وطرد إحدى الجماعات اليهودية بعد المعركة، واستيلاء على ممتلكاتها، وأن هذا بمثابة اللحظة التي تحرّر فيها النبي **-صلى الله عليه وسلم-** من التأثير اليهودي والمسيحي، فظهر الإسلام كديانة مستقلة ومناهضة لليهودية والمسيحية.

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٢٥

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٨

٣- **هدف الشبهة:**

- تسليط الضوء على جانب سلبي في علاقة النبي **-صلى الله عليه وسلم-** مع الجماعات اليهودية في المدينة المنورة، والتشكيك في نبل التعايش بين الإسلام واليهود، وظهور أن الإسلام لم يكن في البداية متسامحًا تجاه اليهود.

٤- **مثارات النقد العقلي للشبهة:**

ويكون ذلك عن طرح بعض الأسئلة:

- هل حصل فعلاً طرد جماعة يهودية بعد شهر أو شهرين بعد غزوة بدر؟ فما الدليل الزمني عل هذه المدة؟
- هل ظهور الإسلام كديانة مناهضة لليهودية والمسيحية هو التوصيف الأدق؟ أم أن الأمر أعقد من هذا؟
- ما هي الوثائق أو المصادر التي تثبت أن ذلك هو السبب في الانفصال؟
- هل هناك مسح شامل للتفاعلات قبل وبعد هذه الحادثة يظهر أنها خطوة حاسمة وفارقة بمفهوم انفصال نهائي؟[١]

٥- **مصادر الشبهة:**

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى مصادر الاستشراق الغربي أو بعض الدراسات التي ترى أن الجماعات اليهودية قد طُردت من المدينة بعد غزوة بدر، بما في ذلك العهود والمعاهدات

---

[١] انظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)،(١/٣٤٣)،تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣م.

بينهم، والأحداث التي وقعت مع قبائل بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظ، وطبيعة العلاقة السياسية والاقتصادية بين المسلمين واليهود في المدينة. [1]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: قد تُستخدم هذه الشبهة كمؤشّر على أن الإسلام بدأ بتصادم مع اليهودية، وليس بالشكل المُرضي للتعايش أو الاحترام المتبادل، مما يعطي بعض الدراسات الاستشراقية مادة لتأكيد أن الإسلام نشأ جزئياً من سياق سياسي صراعٍ مع اليهودية. [2]

في الوسط الإسلامي: قد تُثير هذه الشبهة من قبل البعض لتشكيك في سلوك النبي **-صلى الله عليه وسلم-** مع اليهودية بشكل سلبي. [3]

---

[1] Michael Lecker ,Muslims, Jews and Pagans: Studies on Early Islamic Medina , Islamic History and Civilization, vol. 13, E.J. Brill, Leiden, 1995,p 50-73،

ليكر، مايكل، المسلمون واليهود والوثنيون: دراسات في المدينة المنوّرة في صدر الإسلام. السلسلة:تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار النشر إي. جاي. بريل، سنة النشر: ١٩٩٥م، ص ٥٠-٧٣.إلى ١٤

[2] Pasto, James. "Islam's 'Strange Secret Sharer': Orientalism, Judaism, and the Jewish Question".

Comparative Studies in Society and History, Vol. 40, No. 3 (July 1998), pp. 437-474

جيمس باستو،القرين الغريب السري للإسلام: الاستشراق، اليهودية، والمسألة اليهودية، في: دراسات مقارنة في المجتمع والتاريخ، المجلد ٤٠، العدد ٣ (يوليو ١٩٩٨)، الصفحات ٤٣٧-٤٧٤.

[3] انظر: دستور المدينة المنوّرة: قراءة في المضمون والوظيفة، لعماد الدين خليل، مجلة إسلامية المعرفة، صـ٥٦-٥٨. العدد ١٦، ٢٠٠١م.

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- وصف ذريعة واهية وهو تقييم مسبق، وليس مجرد عرض حقيقة، هذا يحول الشبهة من عرض واقعي إلى تفسير مشبوه أو منحاز.
- القول بأن الإسلام تحرر من التأثير اليهودي والمسيحي يفترض أن التأثيرين كانا قويين إلى هذا الحد، ما يحتاج إثباتاً، وإلا يكون الادعاء بمثابة استنتاج غير منطقي.
- من الناحية المنطقية إذا طُردت جماعة يهودية ولم تُذكر بالاسم، فهذا يعني أن هناك فجوة في المصدر: لماذا لم تُسجل بالاسم؟ هذا يُثير تساؤلات حول دقة الادعاء أو تحجيمه.[١]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر التاريخية تشير إلى أن العلاقات بين النبي -صلى الله عليه وسلم- والجماعات اليهودية في المدينة كانت متعددة المراحل.
- ليس هناك في المصادر الإسلامية أو الاستشراقية ما يشير إلى أن طرداً شاملاً أو مصادرة ممتلكات جرى مباشرة بعد شهر أو شهرين من غزوة بدر.
- لذا الشبهة تفوّت الكثير من التفاصيل التاريخية: تفاوت المعاملات، تفاوت القبائل، تفاوت الأزمنة، والاختلاف بين الطرد الفوري والمصادر الرسمية وبين الاستيعاب السياسي والاجتماعي.[٢]

---

[١] انظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)،(١٢٢/١)،المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

[٢] انظر: السيرة النبوية ،ن لابن هشام،(٤٧/٢).

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يشير بعض المستشرقين: أن هناك جدلاً كبيراً في المصادر حول مدى اتفاق النبي **-صلي الله عليه وسلم-** مع القبائل اليهودية، وأن بعض الطرق تشير إلى أن المعاهدات قد اختلت أو لم تنفّذ بالكامل.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

النصوص اليهودية أو النصرانية لا تتطرّق مباشرة إلى هذا الحدث التاريخي (العلاقة بين الإسلام واليهودية فيي المدينة) لذا من منظور الكتاب المقدّس لا توجد إشارة مباشرة تدعم أو تنكر دقيقة هذه الحادثة. لكن في عموم الشرائع تجد أن طرد جماعة أو مصادرة ممتلكاتها لأسباب دينية تنافي فكرة العدل والرحمة تجاه الأقليات " لا تفعل ظلماً في الحكم، لا تنحاز إلى الضعيف ولا تحابي الغني، في الحق تمشِ، ولا تحابي أي أحد ".[٢] " اقم قضاةً وشيوخًا لكل مدينة، ليحكموا الشعب بالعدل. لا تحيد عن الحق، لا تحابي شخصًا، ولا تأخذ رشوة، احكم بالعدل، لكي تحيا وتنال الأرض التي يعطيك الرب ".[٣] فالتوراة نفسها تؤكد على أن الظلم أو المحاباة مخالفان للشريعة، والعدالة شرط للبقاء والبركة.

---

[١] Lecker, Michael. The “Constitution of Medina”: Muhammad’s First Legal Document. Academia/Princeton, 2004. p.1-21

ليكر، مايكل. صحيفة المدينة: أول وثيقة قانونية للنبي محمد. أكاديميا/دار داروين، ٢٠٠٤. ص ١-٢١

[٢] سفر الخروج ، الإصحاح ٢٣ ، الآيه ٢-٣

[٣] سفر التثنية ، الإصحاح ١٨، الآيه ١٦-٢٠

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ويرد الباحث على هذه الفرية من وجوه:

أولاً: دستور المدينة يشمل اليهود: فقد تم دستور المدينة أول قدوم الرسول -صلي الله عليه وسلم- إلى المدينة وألحقت كل قوم بحلفائهم ومنهم اليهود، قال الإمام الواقدي[(١)]:« لَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ -صلي الله عليه وسلم- الْمَدِينَةَ، وَادَعَتْهُ يَهُودُ كُلّهَا، وَكَتَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كِتَابًا. وَأَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ -صلي الله عليه وسلم- كُلّ قَوْمٍ بِحُلَفَائِهِمْ، وَجَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَمَانًا، وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ شُرُوطًا، فَكَانَ فِيمَا شَرَطَ أَلّا يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ عَدُوّا".[(٢)]

ثانياً: حقد اليهود على رسول الإسلام أولى أسباب نقضهم دستور المدينة: وفور انتصار النبي -صلي الله عليه وسلم- في غزوة بدر نقض اليهود عهدهم في المدينة لأنهم كانوا ينتظرون هزيمته -صلي الله عليه وسلم- ، فكان الدافع الأساسي لنقض عهدهم هو الحقد والحسد لرسول الإسلام -صلي الله عليه وسلم- خاصة بعد ما تبين أن النبي المبشر به خرج من العرب ولم يخرج من بني إسرائيل، قال الواقدي[(٣)] : " فَلَمّا أَصَابَ رَسُولُ اللهِ -صلي الله عليه وسلم- أَصْحَابَ بَدْرٍ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، بَغَتْ يَهُودُ وَقَطَعَتْ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ -صلي الله

---

(١) الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧ هـ = ٧٤٧ - ٨٢٣ م) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث.ولد بالمدينة، ولي القضاء ببغداد. واستمر إلى أن توفي فيها.من كتبه (المغازي النبوية - ط) و (فتح إفريقية - ط) جزآن.
انظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض،(٢/٥٩٤)، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

(٢) المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، (١/١٧٦)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/١٩٨٩.

(٣) سبق ترجمته، (صـ٢٣٦).

عليه وسلم– مِنْ الْعَهْدِ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– إلَيْهِمْ فَجَمَعَهُمْ، ثُمّ قال: يا معشر يهود، أسلموا، فو الله إنّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنّي رَسُولُ اللهِ، قَبْلَ أَنْ يُوقِعَ اللهُ بِكُمْ مِثْلَ وَقْعَةِ قُرَيْشٍ.فَقَالُوا: يَا مُحَمّدُ، لَا يَغُرّنّكَ مَنْ لَقِيت، إنّك قَهَرْت قَوْمًا أَغْمَارًا[١]. وَإِنّا وَاَللّهِ أَصْحَابُ الْحَرْبِ، وَلَئِنْ قَاتَلْتنَا لَتَعْلَمَنّ أَنّك لَمْ تُقَاتِلْ مِثْلَنَا» [٢].

يقول البلاذري (ت ٢٧٦ هـ) [٣]: « أن رَسُول اللَّه –صلي الله عليه وسلم– لما قدم المدينة. وادعته يهود كلها، وكتب بينه وبينها كتابًا. فلما أصاب –صلي الله عليه وسلم– أصحاب بدر وقدم المدينة سالمًا غانمًا موفورًا، بغت وقطعت العهد. فجمعهم رَسُول اللَّه –صلي الله عليه وسلم– ، ثُمَّ قَالَ: "يا معشر يهود، أسلموا فو الله إنكم لتعلمون أنى نبى وإلا أوقع أصبكم أكثر مما أوقع بقريش. فقالوا: يا مُحَمَّد، لا يغرّنك من لقيتَ، فإنما قهرتَ قومًا أغمارًا، ونحن بنو الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا».[٤]وهكذا أكد البلاذري أن موادعة الرسول –صلي الله عليه وسلم– لليهود كانت قبل غزوة بدر، نلاحظ أيضاً أن الإمام الطبري يتفق مع البلاذري في مناسبة ذكر موادعة اليهود وهي عودة النبي من موقعة بدر غانما وظهور غدر اليهود بنقضهم العهد.، **وهذا ما سار عليه** الإمام **الطبري**[٥]: إذ يقول:« ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– بِالْمَدِينَةِ، مُنْصَرَفَهُ مِنْ بَدْرٍ، وَكَانَ قَدْ وَادَعَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يَهُودَهَا، عَلَى أَنْ لا يُعِينُوا عَلَيْهِ أَحَدًا،

---

[١] الأغمار: جمع غمر بالضم والتسكين وهو الجاهل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (٣٨٥/٣)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

[٢] المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، (١٧٦/١).

[٣]سبق ترجمته، (صـ١٨٤).

[٤] جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، (٣٠٨/١).

[٥] سبق ترجمته، (صـ١٨٥).

وَإِنَّهُ إِنْ دَهَمَهُ بِهَا عدو نصروه فلما قتل رسول الله ص مَنْ قَتَلَ بِبَدْرٍ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، أَظْهَرُوا لَهُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ، وَقَالُوا: لَمْ يَلْقَ مُحَمَّدُ مَنْ يُحْسِنُ الْقِتَالَ، وَلَوْ لَقِينَا لاقَى عِنْدَنَا قِتَالا لا يُشْبِهُهُ قِتَالُ أَحَدٍ، وَأَظْهَرُوا نَقْضَ الْعَهْدِ».[١]

ثالثاً: إظهار ماكمن إخفاؤه من حقد وكره اليهود للإسلام ورسوله –صلي الله عليه وسلم– : فلم يمر من الوقت الكثير حتى جاء السبب الرئيسي لإظهار عداوة يهود ونقض العهد، قال الواقدي[٢]: " فَبَيْنَا هُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ إظْهَارِ الْعَدَاوَةِ وَنَبْذِ الْعَهْدِ، جَاءَتْ امْرَأَةٌ نَزِيعَةٌ[٣] مِنْ الْعَرَبِ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ إلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَجَلَسَتْ عِنْدَ صَائِغٍ فِي حُلِيّ لَهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ قَيْنُقَاعَ فَجَلَسَ مِنْ وَرَائِهَا وَلَا تَشْعُرُ، فَخَلّ دِرْعَهَا إلَى ظَهْرِهَا بِشَوْكَةٍ، فَلَمّا قَامَتْ الْمَرْأَةُ بَدَتْ عورتها فضحكوا منها. فقام إليه رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَاتّبَعَهُ فَقَتَلَهُ، فَاجْتَمَعَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ، وَتَحَايَشُوا فَقَتَلُوا الرّجُلَ، وَنَبَذُوا الْعَهْدَ إلَى النبي –صلي الله عليه وسلم– وَحَارَبُوا، وَتَحَصّنُوا فِي حِصْنِهِمْ، فَسَارَ إلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– فَحَاصَرَهُمْ، فَكَانُوا أَوّلَ مَنْ سَارَ إلَيْهِ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– ، وأجلى يهود قينقاع، وكانوا أوّل يهود حَارَبَتْ".[٤].

وبهذا يتبين أن اليهود هم من نقضوا الميثاق، وغدروا بالعهد، بخلاف ما كان يدعيه نالينو الغامض الذي يغض الطرف عن الحقيقة، وينظر بنظر يهود، نظرة الحقد والحسد على الإسلام ورسوله–صلي الله عليه وسلم– .

---

[١]انظر: تاريخ الرسل والملوك، للطبري، (٢/٤٧٩).

[٢] سبق ترجمته،(صـ٢٣٦).

[٣] فى الأصل: «ربعة» ، وما أثبتناه عن سائر النسخ. والنزيعة: المرأة التي تزوج فى غير عشيرتها فتنقل. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي(المتوفى: ١٢٠٥هـ)، فصل:النون، (١١/٤٧٤)، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى /١٤١٤ هـ

[٤] المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، (١/١٧٦-١٧٧).

المطلب الرابع

فرية محمد -صلي الله عليه وسلم- الرسول المُبَشَّرُ به في الإنجيل

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن القول بأن عيسى بشّر بنبي يأتي من بعده اسمه (أحمد) هو نتيجة سوء فهم أو تحريف مقصود للفظ اليوناني (Parakletos) الذي ورد في إنجيل يوحنا بمعنى "المعزي". لقد اعتقد المسلمون أن الكلمة هي (Periklutos) أي "المشهور" أو "المحمود"، ومن هنا اشتقوا اسم أحمد. ولكن الحقيقة العلمية هي أن هذا النص الإنجيلي لا يشير من قريب أو بعيد إلى شخص بشري أو نبي مستقبلي، بل يشير إلى "الروح القدس" وفقاً للسياق المسيحي الأصيل." [١]

"لا يوجد في الأناجيل القانونية المعترف بها أي نص يتنبأ بظهور محمد-صلي الله عليه وسلم-. إن المحاولات التي بذلها المفسرون المسلمون لإيجاد نبوءات في العهد الجديد هي محاولات تفتقر إلى الأساس التاريخي والنصي؛ فهي تعتمد على تلاعب بالألفاظ اليونانية والسريانية لإسقاط صفات محمد-صلي الله عليه وسلم- على نصوص تتحدث عن موضوعات لاهوتية مسيحية صرفة لا علاقة لها بنبوة تالية." [٢]

"إن ادعاء محمد-صلي الله عليه وسلم- بأن اسمه مكتوب في الإنجيل والتوراة كان يهدف إلى إحراج اليهود والنصارى ومطالبتهم بالاعتراف به. ولكن عند فحص هذه الكتب، لم يجد الباحثون

---

[١] مقدمة القرآن، لريتشارد بل،(صـ١٥٤).

[٢] محمد في مكة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ١٦٣).

أي أثر لهذه التنبؤات، مما دفع المسلمين لاحقاً إلى اتهام أهل الكتاب بتحريف كتبهم وحذف اسم النبي منها لتبرير غيابه النصي." (١)

A Medina Maometto venne a conoscere che Abramo, il restauratore del mo- noteismo, non solo è chiamato nella Bibbia l'amico di Dio, e dato come padre al popolo giudaico, il quale pertanto riceve il nome diseme d'Abramo, ma anche, secondo il Genesi, è il progeni tore di varie popolazioni dell'Arabia di nord-ovest, sovra tutto attraverso la linea genealogica di suo figlio Ismaele. Apprese inoltre che Abramo era vissuto prima di Mosė, ossia prima della legisla- zione religiosa giudaica, e cosi pure prima di Gesù, ossia del cri- stianesimo. Conobbe infine che l'Antico Testamento annunzia la futura venuta d'un Messia, e che il Vangelo di san Giovanni fa predire da Gesù ai discepoli l'invio del Paracleto, dopo la sua propria morte, per istruirli ed assisterli. Da queste notizie Mao- metto trasse inattese conseguenze. La religione ch'egli predica, afferma egli adesso, è quella d'Abramo, capostipite del popolo arabo, prototipo degli avversari del politeismo e dell' idolatria, non ebreo nè cristiano, ma sottomesso ai voleri di Dio, cioè muslim mu- sulmano. I successivi profeti hanno tutti calcato le orme di lui، quindi tutti i libri sacri da loro ricevuti sono veri e si corrobo- rano l'un l'altro, cosi come essi alla loro volta sono corroborati o confermati dal Corano. V'ha di più: l'Antico Testamento

(١) محمد وظهور الإسلام، لديفيد مرجليوث،،(صـ١٥٨).

(at- Tawrah) ed il Nuovo (al-Ingil) preannunziano la venuta d'un apostolo che sarà chiamato Ahmad, cioè lodatissimo, sinonimo quindi di Muhammad Maometto». Perchè dunque Ebrei e Cri- stiani non riconoscono ora l'apparizione dell'apostolo vaticinato nei loro testi sacri? Egli è che i loro capi malvagiamente occultano parte di ciò che le Sacre Scritture contengono، oppure ai testi rivelati apportano alterazioni che vorrebbero far risultare inesatti o falsi i racconti ed i precetti d'origine biblica contenuti nel Co- rano e che Dio stesso direttamente rivela al nuovo apostolo arabo. Cosi Maometto sfugge d'ora in poi alle obbiezioni fastidiose di Cristiani e di Ebrei, ed al tempo stesso allarga il piano della sua missione، giacché questa non sarà più rivolta semplicemente aconvertire i pagani arabi al monoteismo” [1]

“عرف محمد –صلي الله عليه وسلم– أن إبراهيم عليه السلام، معيد الديانة الوحيدة، ليس فقط يُدعى في الكتاب المقدس صديق الله، ويُعطى كأب للشعب اليهودي، الذي بناءً على ذلك يُسمى بذرية إبراهيم عليه السلام، ولكن أيضًا، وفقًا لسفر التكوين، هو سلف لعدة شعوب في شمال غرب الجزيرة العربية، خاصة من خلال نسب ابنه إسماعيل. علم أيضًا أن إبراهيم عليه السلام عاش قبل موسى، أي قبل التشريع الديني اليهودي، وبالتالي قبل يسوع، أي قبل المسيحية. عرف أيضًا أن العهد القديم ينبئ بقدوم مسيح مستقبلي، وأن إنجيل يوحنا يتنبأ من يسوع للتلاميذ بإرسال الباراقليت بعد وفاته لتعليمهم ومساعدتهم. استنتج محمد –صلي الله عليه وسلم– من هذه المعلومات نتائج غير متوقعة. الدين الذي يبشر به الآن، يقول إنه هو دين إبراهيم عليه السلام،

---

(1) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٢٦-٢٧

سلف الشعب العربي، نموذج لمعارضي الشرك والوثنية، ليس يهوديًا ولا مسيحيًا، بل الأنبياء اللاحقون جميعًا ساروا على خطاه، لذا جميع الكتب المقدسة التي تلقوها صحيحة وتؤكد بعضها البعض، تمامًا كما يتم تأكيدها أو تثبيتها بواسطة القرآن. وهناك المزيد: تنبأ التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) بقدوم رسول يُدعى أحمد، أي المحمد –صلي الله عليه وسلم– ، الذي يعني المحمد –صلي الله عليه وسلم– بالثناء، ويعتبر مرادفاً لاسم محمد –صلي الله عليه وسلم– . فلماذا إذا لا يعترف اليهود والمسيحيون الآن بظهور الرسول الذي تنبأ به في كتبهم المقدسة؟ السبب هو أن قادتهم يخفون بشكل شرير جزءًا من محتويات الكتب المقدسة، أو يقومون بتحريف نصوص الوحي لتجعل القصص والتعاليم الإلهية الأصلية الموجودة في القرآن غير صحيحة أو كاذبة، والتي يكشف الله نفسه عنها مباشرة للرسول العربي الجديد. وبهذا يتجنب محمد –صلي الله عليه وسلم– الآن الاعتراضات المزعجة من المسيحيين واليهود، وفي الوقت نفسه يوسع نطاق مهمته، حيث لن تكون هذه المهمة موجهة ببساطة إليهم، بل أيضاً لتحويل العرب الوثنيين إلى التوحيد" [١]

٢ – مضمون الشبهة:

- أن النبي –صلي الله عليه وسلم– جاء بما كان عليه إبراهيم (عليه السلام)، فرسالة الإسلام هي تكملة لدين إبراهيم (عليه السلام) الذي سبقه على اليهودية والمسيحية، وأن كلّ الكتب المقدّسة السابقة صحيحة ولكن تم تحريفها من قِبَل اليهود والمسيحيين، وأن هذا ما يجعل اليهود والنصارى لا يعترفون بظهور النبي –صلي الله عليه وسلم– ورسالته.

٣– هدف الشبهة:

- تقديم رؤية يُنظر إليها كدعم إسلامي بأن رسالة النبي –صلي الله عليه وسلم– هي استمرارية وتثبيت لدين إبراهيم(عليه السلام)، مما يمنحها مشروعية أعمّ من كونه مجرد دين منفصل.

---

[١] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٢٩-٣٠

- إضعاف حجّة اليهود والمسيحيين في رفض النبوة الإسلامية، من خلال القول بأنهم قد حرفوا النصوص الأصلية.
- دفع العرب الوثنيين إلى اعتناق التوحيد من منظور أن دينهم الأصلي هو دين إبراهيم(عليه السلام)، وليس ديناً جديداً خارجيّاً بالكامل.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

من جهة التفكير والعقل، يمكن أن تُثار عدة ملاحظات نقدية، منها:

- مدى صحة استنتاج أن التوراة أو الإنجيل تنبَّآ برسول يسمى بالعربية أحمد، وكيف يمكن إثبات ذلك من نصوص غير عربية.
- مدى صحة الافتراض بأن جميع الكتب المقدسة لم تحرف إلا اليهود والمسيحيون بلا دليل قاطع معين، أو ما هي المقاييس التي تستخدمها الشبهة لإثبات التحريف.
- ما إذا كان الربط بين إبراهيم(عليه السلام) والعرب و إسماعيل(عليه السلام)والنبي –صلي الله عليه وسلم– من نصوص العهد القديم أو الإنجيل قائمًا بالفعل، أو أنه استنتاج تبعى لاحق بدون نصوص مباشرة.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يشيرون أن بعض نصوص الإنجيل، خصوصاً في إنجيل يوحنا التي تشير إلى "الباراقليت" هو (الرّوح القدس) الذي سيُرسل بعد يسوع.[٢]

---

[١] انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،(١/٣٣٠ ومابعها)،المحقق: محمد أحمد الحاج، دار القلم– دار الشامية، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

[٢] A. Guthrie & E. F. F. Bishop — The Paraclete, Almunhamanna and Aḥmad

٦- **أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:**

في الوسط الاستشراقي: تُستخدم كجزء من النقاش الديني الإسلامي لتفسير الذات الدينية أكثر منه كحقائق تاريخية أو نصية مدعمة.[١]

- **في الوسط الإسلامي:** تُستخدم هذه الشبهة كمحور حوار مع اليهود والنصاري، إذ تدعو إلى أن يكون هناك اعتراف من قبلهم برسالة النبي -صلي الله عليه وسلم- ، ففي بعض البيئات تعزز فكرة وحدة الرسالات السماوية، وأن الإسلام ليس ديناً منفصلاً بالكامل، بل تكملة واستئنافٌ لدين إبراهيم(عليه السلام).[٢]

The Muslim World, Vol. 41, No. 4 (1951), pp. 251–256

أ. غَثري وإ. ف. ف. بيشُب — الباراقليت، المنحمّنا، وأحمد، مجلة العالم الإسلامي ، المجلد ٤١، العدد ٤، سنة ١٩٥١م، الصفحات ٢٥١–٢٥٦

[١] Sean W. Anthony — Muḥammad, Menaḥem, and the Paraclete

BSOAS, Vol. 79, No. 2 (2016), pp. 255–278

شون و. أنطوني — محمد، مناحم، والباراقليت، نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية المجلد ٧٩، العدد ٢، سنة ٢٠١٦م، الصفحات ٢٥٥–٢٧٨

[٢] انظر: وحدة المصدر بين الرسالات السماوية الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام،لحسام محمد توني محمد ،مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط،(٣٠٢-٣٢٩)، العدد ٣، المجلد ٣٨، ٢٠٢٠م.

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- إذا افترضنا أن الكتب السابقة تحتوي على بشارات للنبي **-صلي الله عليه وسلم-** وإذا افترضنا أن هذه الكتب تعرضت للتحريف أو الحذف، فإن غياب اسم النبي **-صلي الله عليه وسلم-** في النصوص الحالية لا ينفي وجوده في الأصل.
- وقد تختلف النسخ القديمة في التفاصيل، وبعضها حُذف أو أزيلت منه نصوص.
- والتحريف البشري يجعل لديهم دوافع سياسية أو دينية أحيانًا لحذف أو تعديل نصوص.
- والتوافق بين النصوص القديمة والقرآن كبعض القصص والنبوات في القرآن تشير إلى وجود بشرى بأنبياء بعد موسى وعيسى عليهما السلام، مما يجعل احتمال وجود إشارات للنبي **-صلي الله عليه وسلم-** منطقيًا في النسخ الأصلية غير المحرفة. [١]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المؤرخون والباحثون يعترفون بأن النصوص القديمة خضعت لنسخ متعددة وتحرير بشري ككالتوراة والإنجيل نقلا عبر آلاف السنين عبر نسخ يدوية قبل اختراع الطباعة. الأخطاء أو الحذف كان أمرًا طبيعيًا.
- مخطوطات مثل سفر إشعيا، سفر دانيال، مخطوطات البحر الميت أظهرت اختلافات نصية بين النسخ.هذا يؤكد أن النصوص لم تكن موحدة تمامًا وأن بعض المعاني أو الإشارات قد تكون حُذفت أو تغيرت.
- القرآن يؤكد أن الله عز وجل أرسل الرسل وأنبياء من قبله، وأن الرسل السابقين تبعوا منهجًا واحدًا.

---

[١] انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ)،(صـ٢٤)،دار الفيحاء – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٢٥ هـ

- وإذا كانت الرسالات متتابعة، فمن الطبيعي أن يكون هناك إشارة إلى الرسول الأخير في الرسالات السابقة كما يذكر القرآن:"وَكَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ".[1][2]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يبني حُجَّة بأن بعض فقرات التوراة والإنجيل يمكن أن تفهم كبشارة لمحمد -صلى الله عليه وسلم- ، ويُعد من المصادر الدعوية أكثر من البحث الأكاديمي المعاصر.[3]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدّس يظهر أن النصوص التي تشير إلى "الذي يأتي بعدي"[4] أو "الباراقليت"[5] في إنجيل يوحنا يُفسَّرها المسيحيون أنه الروح القدس، وليس رسولاً بشريّاً مستقلاً يُكمّل رسالة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- .

---

[1] سورة الأنبياء:١٠٥

[2] انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١هـ)،(صـ١٠٦)،الجامعة الإسلامية – المدينةالمنورة.

[3] William Goldsack — Muhammad and the Bible: Being an Inquiry into the Christian ،Allegation that Certain Passages in the Bible Foretell Muhammad | Literature Society for India (Madras/Allahabad (1915), pp. 36–33

ويليام غولدساك — محمد والكتاب المقدس: دراسة حول الادعاء بأن بعض المقاطع في الكتاب المقدس تتنبأ بمحمد، الناشر: جمعية الأدب المسيحي في الهند (مدراس / الله أباد)،سنة النشر: ١٩١٥.الصفحات ٣٣-٣٦

[4] انجيل يوحنا، الإصحاح ١٩ ، الآيه ١-٢١

[5] انجيل يوحنا، الإصحاح ١٦ ، الآيه ١٤-١٧

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

قام أهل الكتاب بحذف بشارات النبي محمد –صلي الله عليه وسلم– من كتبهم أو صرفها عن وجهها، ويزعمون أنه لا يوجد بشارات تشير إلى النبي محمد –صلي الله عليه وسلم– ، وإن وجد شيء صرفه النصارى إلى عيسى ابن مريم، وصرفه اليهود إلى المسيح الذي ينتظرونه، وهي في الواقع لا تنطبق إلا على نبي هذه الأمة سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– ، وقد بقي من هذه البشارات الشيء الكثير مع تحريفهم لكتبهم، ولبيان دحض إدعاءات نالينو وصدق بشارات النبي –صلي الله عليه وسلم– في القرآن والتوراة والإنجيل، أذكر مايلي:

أولاً: دليل بشارته –صلي الله عليه وسلم– في القرآن والتوراة والإنجيل:

١–**في القرآن**: قال جل شأنه﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ ﴾[(١)]،وقال سبحانه ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧ ﴾[(٢)]، فهاتان الآيتان تدلان على أن النبي –صلي الله عليه وسلم– مذكور في التوراة والإنجيل، مهما ادعى أهل الكتاب خلاف ذلك، فإن كلام رب العالمين أحسن حديثاً، وأصدق قيلا.

٢–**في التوراة**: (اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه).[(٣)]

---

(١) سورة الصف،الآية،٦

(٢) سورة الأعراف،الآية،١٥٧

(٣) سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر ، الفقرات ١٨،١٩.

وهذا النص موجود عندهم الآن، فقوله: "من إخوانهم"، لو كان منهم من بني إسرائيل لقال سأقيم لهم نبياً منهم، لكنه قال من إخوتهم أي أبناء إسماعيل.

٣-**في الإنجيل:**

- **جاء في إنجيل يوحنا** :(وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ)[١]، وهذا لا ينطبق إلا على النبي –صلي الله عليه وسلم– .
- **وجاء في إنجيل لوقا**:(بل ماذا خرجتم لتنظروا، أنبياً؟ نعم أقول لكم: وأفضل من نبي، هذا هو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك، لأني أقول لكم: إنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه)[٢].
- **وجاء في إنجيل متى**:(الحق الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه.. لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبؤوا، وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع).[٣] فالأصغر في ملكوت السماوات هو إيلياء المزمع أن يأتي، الذي تنبأ به الأنبياء، نبياً تلو نبي، وكان آخرهم يوحنا المعمدان. فمن هو إيليّا الأصغر في ملكوت السماوات؟ إنه محمد رسول الله –صلي الله عليه وسلم– الذي صغر بتأخره في الزمان عن سائر الأنبياء، لكنه فاقهم جميعاً باكتمال رسالته ورضا الله بدينه ديناً خاتماً إلى قيام الساعة، فإن لم يكن محمداً –صلي الله عليه وسلم– فمن ذا يكون؟ ولا يمكن لنصراني أن يدعي بأن عيسى هو آخر الرسل والأنبياء لإيمانهم برسالة تلاميذه بل وغيرهم كبولس، كما لم تكمل رسالته عليه

---

(١) إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر، الفقرات ١٣

(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح السابع، الفقرات ٢٦

(٣) إنجيل متى، الإصحاح الحادى عشر، الفقرات ١١-١٥

السلام بدليل التعديل والنسخ الذي أجراه الحواريون عليها في المجمع الأورشليمي الأول بزعم التيسير على المتنصرين، فأبطلوا الختان، وأحلوا بعض محرمات التوراة... وهذا الأصغر إنما يأتي في ملكوت السماوات التي لم تكن قد قامت يوم ذاك، وهو مزمع أن يأتي ولما يأت بعد، إنه محمد –صلي الله عليه وسلم– .[1]

- **نفرد يوحنا في إنجيله بذكر هذه البشارات المتوالية من المسيح بهذا النبي المنتظر، حيث يقول المسيح موصياً تلاميذه:** (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً[2] آخر، ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم، ويكون فيكم... إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً. الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم .... قلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون، لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيّ شيء). [3]

---

[1] هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟، لمنقذ بن محمود السقار،(صـ١٢٣)، دار الإسلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

[2] فهو يقصد أن الروح القدس سيعوض ترك السيد المسيح لهم في وجوده بينهم بالجسد، وانطلاقه إلى السماء ليجلس عن يمين الآب، وليخدم في المقدس السماوي ويشفع من أجل مغفرة الخطايا بصفة دائمة عند الآب.

انظر: كتاب المسيح مشتهى الأجيال: منظور أرثوذكسي (مع حياة وخدمة يسوع) – الأنبا بيشوي، نقلاً من المكتبة القبطية الأرثوذوكسية.

[3] إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، الفقرات ١٥-٣٠

ثانياً: أقوال علماء الإسلام في المواضع التي ذكر فيها وصف النبي –صلي الله عليه وسلم– :

١–**قال ابن القيم رحمه الله**[١]:قال في التوراة: "فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ "[٢]، وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة: نبوة موسى، ونبوة عيسى، ونبوة محمد –صلي الله عليه وسلم– ، فمجيئه من "**سينا**": وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، ونبأه عليه إخبار عن نبوته، وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس، **و"ساعير"**: قرية معروفة هناك إلى اليوم، وهذه بشارة بنبوة المسيح.

"**وفاران**": هي مكة، وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه ونبوة خاتم الأنبياء باستعلاء الشمس، وظهور ضوءها في الآفاق، ووقع الأمر كما أخبر به سواء. فإن الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم، وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ ﴾[٣]" أ.هـ[٤]

---

[١]سبق ترجمته، (صـ٧٠).

[٢]سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون، الفقرة ٢.

[٣] سورة التين، الآيات، ١–٣

[٤] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (١/٣١٩–٣٢٠)، المحقق: محمد أحمد الحاج، دار القلم– دار الشامية، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٢-**ذكر الشيخ رحمة الله الهندي رحمه الله**[(١)]: ثماني عشرة بشارة، منها إحدى عشرة بشارة في العهد القديم، وسبع بشارات في العهد الجديد، ومن هذه البشارات: **(البشارة السادسة)** الزبور الخامس والأربعون[(٢)]: (فاض قلبي كلمة صالحة أنا أقول أعمالي للملك) ١ (لساني قلم كاتب سريع الكتابة) ٢ (بهي في الحسن أفضل من بني البشر) ٣ (انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الدهر) ٤ (تقلد سيفك على فخذك أيها القوي بحسنك وجمالك) ٥ (أستله وأنجح وأملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك) ٦ (نبلك مسنونة أيها القوي في قلب أعداء الملك الشعوب تحتك يسقطون) ٧ (كرسيك يا الله إلى دهر الداهرين عصا الاستقامة عصا ملكك) ٨ (أحببت البر وأبغضت الإثم لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك) ٩ (المر والميعة والسليخة من ثيابك من منازلك الشريفة العاج التي أبهجتك) ١٠ (بنات الملوك في كرامتك قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشى) ١١ (اسمعي يا بنت وانظري وأنصتي بأذنيك وانسي شعبك وبنت أبيك) ١٢ (فيشتهي الملك حسنك لأنه هو الرب إلهك وله تسجدين) ١٣ (بنات صور يأتينك بالهدايا لوجهك يصلي كل أغنياء الشعب) ١٤ (كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى)[(٣)] ١٥ (يبلغن إلى الملك عذارى في أثرها قريباتها إليك يقدمن) ١٦ (يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن إلى

---

(١) رحمت الله الهندي(١٢٣٣ - ١٣٠٨ هـ = ١٨١٨ م - ١٨٩١ م)محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكَيْرانَوي العثماني الهندي الحنفي، باحث، عالم بالدين والمناظرة. ولد في كَيْرانة في الهند ١٨١٨ م، توفي بمكة عام ١٣٠٨ هـ. عن عمر يقارب خمسا وسبعين سنة، من كتبه(إظهار الحق).انظر: الأعلام، للزركلي،(١٨/٣).

(٢) التوراة، العهد القديم، سفر المزامير، المزمور الخامس والأربعون

(٣) إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (١١٤٣/٤)، دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود - الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

هيكل الملك) ١٧ (ويكون بنوك عوضاً من آبائك وتقيمهم رؤساء على سائر الأرض) ١٨ (سأذكر اسمك في كل جيل وجيل من أجل ذلك تعترف لك الشعوب إلى الدهر والى دهر الداهرين). وهذا الأمر مسلم عند أهل الكتاب أن داود عليه السلام يبشر في هذا الزبور بنبي يكون ظهوره بعد زمانه، ولم يظهر إلى هذا الحين عند اليهود نبي يكون موصوفاً بالصفات المذكورة في هذا الزبور، ويدعى علماء بروتستنت أن هذا النبي عيسى عليه السلام، ويدعي أهل الإسلام سلفاً وخلفاً أن هذا النبي محمد –صلي الله عليه وسلم– . **فأقول أنه ذكر في هذا الزبور من صفات النبي المبشر به هذه الصفات:**

"١" كونه حسناً. "٢" كونه أفضل البشر. "٣" كون النعمة منسكبة على شفتيه. "٤" كونه مباركاً إلى الدهر. "٥" كونه متقلداً بالسيف. "٦" كونه قويا "٧" [١] كونه ذا حق ودعة وصدق. "٨" كونه هداية يمينه بالعجب. "٩" كون نبله مسنونة. "١٠" سقوط الشعب تحته. "١١" كونه محباً للبر ومبغضاً للإثم. "١٢" خدمة بنات الملوك إياه. "١٣" إتيان الهدايا إليه. "١٤" انقياد كل أغنياء الشعب له. "١٥" كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم. "١٦" كون اسمه مذكوراً جيلاً بعد جيل. "١٧" مدح الشعوب إياه إلى دهر الداهرين.**وهذه الأوصاف كلها توجد في محمد –صلي الله عليه وسلم– على أكمل وجه:**

أما الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ".[٢]. [١] وعن أم معبد رضي

---

[١] إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (١١٤٤/٤).

[٢] مسند الإمام أحمد بن حنبل، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ،(١٤/٥٠٦برقم٨٩٤٢).إسناده حسن.انظر: أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري لأبى حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي، حرف

الله عنها قالت في بعض ما وصفته به: (أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَجْلاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ المَنْطِقِ).[٢]

وأما الثاني: فلأن الله تعالى قال في كلامه المحكم: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾[٣]. وقال أهل التفسير أراد بقوله {ورفع بعضهم درجات} محمداً – صلي الله عليه وسلم– أي رفعه على سائر الأنبياء من وجوه متعددة، وقد أشبع الكلام في تفسير هذه الآية الإمام الهمام **الفخر الرازي**[٤] **في تفسيره الكبير**. [١] وقال:–صلي الله عليه وسلم– :(أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٢]أي لا أقول ذلك فخراً لنفسي بل تحدثاً بنعمة ربي.

الميم،(٧/٤٦٣٤–٤٦٣٥برقم٣٣٠٦)، المحقق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

[١] إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (٤/١١٤٥).

[٢] شرح السنة، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، كتاب الْفَضَائِل، بَاب جَامع صِفَاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،(١٣/٢٦٣برقم٣٧٠٤)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.إسناده صحيح.انظر: جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد، لمحمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، كتاب السير والمغازي ، هجرته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى المدينة ،(٢/٥٥٨برقم٦٤٣٧)،تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع، مكتبة ابن كثير، الكويت – دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

[٣] سورة البقرة، الآية، ٢٥٣

[٤] الرَّازي(٥٤٤ – ٦٠٦هـ، ١١٥٠ – ١٢١٠م)أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد في الري بطبرستان وتوفي الرازي في مدينة هراة سنة ٦٠٦ هـ، وكان عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها.من تصانيفه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب.

وأما الثالث: فغير محتاج إلى البيان حتى أقر بفصاحته الموافق والمخالف، وقال الرواة في وصف كلامه: إنه كان أصدق الناس لهجة فكان من الفصاحة بالمحل الأفضل والموضع الأكمل[٣].

وأما الرابع: فلأن الله تعالى قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[٤] وألوف ألوف من الناس يصلون عليه في الصلوات الخمس.

وأما الخامس: فظاهر وقد قال هو بنفسه أنا رسول الله بالسيف.

وأما السادس: فكانت قوته الجسمانية على الكمال، كما ثبت أن ركانة خلا برسول الله –صلي الله عليه وسلم– في بعض شعاب مكة قبل أن يسلم فقال: يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه. فقال: لو أعلم والله ما تقول حقاً لاتبعتك. فقال: أرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق قال: نعم، فلما بطش به صلى الله تعالى عليه وسلم أضجعه لا يملك من أمره شيئاً، ثم قال: يا محمد عد فصرعه أيضاً فقال: يا محمد إن ذا لعجب. فقال –صلي الله عليه وسلم– : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله وتبعت أمري. قال: ما هو قال: أدعو لك هذه الشجرة فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال لها: ارجعي مكانك. فرجع ركانة

انظر: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)،(٨/٨١برقم١٠٨٩)،المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

[١] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)،(٦/٥٢٧)،دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

[٢] صحيح مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ ، بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، (٤/١٧٨٢برقم٢٢٧٨).

[٣] إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (٤/١١٤٦).

[٤] سورة الأحزاب، الآية، ٥٦

إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف ما رأيت أسحر منه ثم أخبرهم بما رأى. وركانة هذا كان من الأقوياء والمصارعين المشهورين. [١] وأما شجاعته –صلي الله عليه وسلم– فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما: (مَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ وَلا أَنْجَدَ وَلا أَجْوَدَ وَلا أَرْضَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) [٢] وقال علي كرم الله وجهه: (كُنَّا إِذَا حَمِيَ أَوِ اشْتَدَّ الْيَأْسُ وَاحْمَرَّتِ الْحُدُقُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا) [٣]. [٤]

وأما السابع: فلأن الأمانة والصدق من الصفات الجليلة له –صلي الله عليه وسلم– ، كما قال النضر بن الحارث لقريش: (قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة. حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم إنه ساحر، لا والله ما

---

[١] محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة، لسامى عامرى،(صـ٣٢٥)، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م.

[٢] انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، ذِكْرِ طَوَائِفَ مِنْ جَمَاهِيرِ النُّسَّاكِ وَالْعُبَّادِ ، وَرَوَى مِسْعَرٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ السُّدِّيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ نَشِيطٍ ،(٧/٢٤٤)،السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

[٣] انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،مسند العشرة المبشرين بالجنة، ومن مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، (١/٤٤٩برقم٦٥٢).

[٤] إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (١١٤٧/٤).

هو بساحر) [١]. [٢] وسأل هرقل عن حال النبي –صلي الله عليه وسلم– أبا سفيان فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال. قال: لا. [٣]

وأما الثامن: فلأنه رمى يوم بدر وكذا يوم حنين وجوه الكفار بقبضة تراب فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وتمكن المسلمون منهم قتلاً وأسراً فأمثال هذه من عجيب هداية يمينه. [٤]

وأما التاسع: فلأن كون أولاد إسماعيل أصحاب النبل في سالف الزمان، غير محتاج إلى البيان وكان هذا الأمر مرغوباً له وكان يقول: (ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه).[٥] ويقول: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً). [٦] ويقول عليه السلام:" مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا» أَوْ «قَدْ عَصَى»". [٧]

وأما العاشر: فلأن الناس دخلوا أفواجاً في دين الله في مدة حياته.

وأما الحادي عشر: فمشهور يعترف به المعاندون أيضاً، كما عرفت في المسلك الثاني.

---

[١] سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، (صـ٢٠٠-٢٠١)،تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

[٢] إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (١١٤٨/٤).

[٣] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، (١٥٣/٢)

[٤] إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (١١٤٩/٤).

[٥] محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة، لسامى عامرى،(صـ٣٢٦).

[٦] المرجع السابق،(صـ٣٢٦).

[٧] المرجع السابق،(صـ٣٢٦).وانظر :صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ،(١٥٢٢/٣برقم١٩١٩).

وأما الثاني عشر: فقد صارت بنات الملوك والأمراء، خادمة للمسلمين في الطبقة الأولى، ومنها شهربانو بنت يزدجرد، كسرى فارس، كانت تحت الإمام الهمام الحسين رضي الله عنه. [١]

وأما الثالث عشر والرابع عشر: فلأن النجاشي ملك الحبشة ومنذر بن ساوى ملك البحرين وملك عمان انقادوا وأسلموا، وهرقل قيصر الروم أرسل إليه بهدية، والمقوقس ملك القبط أرسل إليه ثلاث جوار، وغلاماً أسود وبغلة شهباء، وحمار أشهب، وفرساً وثياباً وغيرها.

وأما الخامس عشر: فقد وصل من أبناء الإمام الحسن رضي الله عنه إلى الخلافة، وألوف في أقاليم مختلفة من الحجاز واليمن ومصر والمغرب والشام وفارس والهند وغيرها. وفازوا بالسلطنة والإمارة العلية، وإلى الآن أيضاً في ديار الحجاز واليمن، وفي غيرهما توجد الأمراء والحكام من نسله –صلي الله عليه وسلم– ، وسيظهر إن شاء الله المهدي رضي الله عنه من نسله، ويكون خليفة الله في الأرض، ويكون الدين كله لله في عهده الشريف. [٢]

وأما السادس عشر والسابع عشر: فلأنه ينادي ألوف ألوف جيلاً بعد جيل في الأوقات الخمسة، بصوت رفيع في أقاليم مختلفة: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) . ويصلي عليه في الأوقات المذكورة الغير المحصورين من المصلين، والقراء يحفظون منشوره، والمفسرين يفسرون معاني فرقانه، والوعاظ يبلغون وعظه، والعلماء والسلاطين يصلون إلى خدمته، ويسلمون عليه من وراء الباب، ويمسحون وجوههم بتراب روضته ويرجون شفاعته.

ولا يصدق هذا الخبر في حق عيسى عليه السلام. كما يدعيه علماء بروتستنت ادعاء باطلاً، لأنهم يدعون أن الخبر المندرج، في الباب الثالث والخمسين من كتاب أشعيا، في حق عيسى عليه السلام، ووقع في هذا الخبر في حقه هكذا: (ليس له منظر وجمال ورأيناه ولم يكن له منظر

---

[١] إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (١١٥٠/٤).

[٢] إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (١١٥١/٤).

واشتهيناه مهاناً، وآخر الرجال رجل الأوجاع مختبراً بالأمراض، وكان مكتوماً وجهه ومزدولاً ولم نحسبه، ونحن حسبناه كأبرص ومضروباً من الله ومخضوعاً، والرب شاء أن يستحقه). [١]

وهذه الأوصاف ضد الأوصاف التي في الزبور المذكور، فلا يصدق عليه كونه حسناً، ولا كونه قوياً. وكذا لا يصدق عليه كونه متقلداً بالسيف، ولا كون نبله مسنونة، ولا انقياد الأغنياء، ولا إرسالهم إليه الهدايا، بل هو على زعم النصارى، أخذوه وأهانوه واستهزؤوا به، وضربوه بالسياط، ثم صلبوه. وما كان له زوجة ولا ابن، فلا يصدق دخول البنات في بيته، ولا كون أبنائه بدل آبائه رؤساء الأرض.

(فائدة) ترجمة الآية الثامنة التي نقلتها مطابقة للترجمة الفارسية للزبور كانت عندي، ولتراجم أردو للزبور، وموافقة لنقل مقدسهم بولس، لأنه نقل هذه الآية في الباب الأول من رسالته العبرانية. هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٢١، وسنة ١٨٣١، وسنة ١٨٤٤: (أحببت البر وأبغضت الإثم، لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك). [٢] والتراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦، وسنة ١٨٢٨، وسنة ١٨٤١. وتراجم أردو المطبوعة سنة ١٨٣٩، وسنة ١٨٤٠، وسنة ١٨٤١. مطابقة للتراجم العربية. فالترجمة التي تكون مخالفة لما نقلت تكون غير صحيحة. ويكفي لردها إلزاماً كلام مقدسهم. [٣] وقد عرفت في مقدمة الباب الرابع أن إطلاق لفظ الإله والرب وأمثالهما، جاء على العوام فضلاً عن الخواص. والآية السادسة من الزبور الثاني والثمانين هكذا: (أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم):[٤] فلا يرد ما قال صاحب مفتاح الأسرار أنه وقع في الآية المذكورة هكذا: (أحببت البر وأبغضت الشر، من أجل ذلك يا الله مسح إلهك بدهن البهجة أفضل من رفقائك، ولا يقال لشخص غير المسيح يا الله مسح إلهك) الخ، لأنا لا نسلم **أولاً**: صحة ترجمته

---

[١] المرجع السابق، (١١٥٢/٤).

[٢] سفر المزامير، المزمور الخامس والأربعون، الفقرة ٧.

[٣] إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (١١٥٣/٤).

[٤] سفر المزامير، المزمور الثاني والثمانون، الفقرة ٦.

لكونها مخالفة لكلام مقدسهم. **وثانياً:** لو قطعنا النظر عن عدم صحتها، أقول ادعاؤه صريح البطلان. لأن لفظ الله ههنا بالمعنى المجازي لا الحقيقي ويدل عليه قوله إلهك، لأن الإله الحقيقي لا إله له. فإذا كان بالمعنى المجازي يصدق في حق محمد –صلي الله عليه وسلم– كما يصدق في حق عيسى عليه السلام.[(١)]

ختاماً: الإنجيل المترجَم من اليونانية إلي الإنجليزية والعربية وغيرها يعبر عن النبي–صلي الله عليه وسلم– بـ :" المعزي، و الفارقليط " وهي معربة من كلمة : (بيركليتوس) اليونانية (periqlytos) التي تعني اسم: " أحمد "، صيغة المبالغة من الحمد، **وقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار**[(٢)] **في كتابه قصص الأنبياء:** أنه كان في سنة ١٨٩٤م زميل دراسة اللغة العربية للمستشرق الإيطالي **كارلو نالينو** وقد سأله النجار في ليلة ١٣١١/٧/٢٧هـ ما معنى: (بيريكلتوس)؟. فأجابه قائلاً: إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها: (المعزي). فقال النجار: إني أسأل الدكتور كارلو نالينو الحاصل على الدكتوراه في آداب اليهود باللغة اليونانية القديمة.ولست أسأل قسيساً.فقال:إن معناها:"الذي له حمد كثير".فقال النجار: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد؟ فقال الدكتور: نعم. فقال النجار: إن رسول الله من أسمائه (أحمد)".[(٣)]

وهكذا يظهر لكل باحث منصف أن النبي الذي تنبَّأ عنه موسى وعيسي عليهما السلام لم تتحقق أوصافه لا في المسيح عيسي عليه السلام، ولا في المسيح الذي ينتظره اليهود، بل ما زالوا ينتظرونه، إذ لما بعث يحيى عليه السلام ظنَّه اليهود النبي الموعود، وأقبلوا عليه يسألونه:(النبي

---

(١) إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، (١١٥٤/٤).

(٢) عبد الوهاب بن أحمد النجار، (١٢٧٨ هـ - ١٣٦٠ هـ) / (١٨٦٢م - ١٩٤١م). ولد في محافظة الغربية بمصر عمل أستاذًا للتاريخ في الجامعة المصرية، واشترك في أكثر الجمعيات الإسلامية وتوفي بالقاهرة. له:قصص الأنبياء، أوسع مؤلفاته.انظر: الأعلام،للزركلي،(١٨٢/٤).

(٣) قصص الأنبياء، للدكتور/عبدالوهاب النجار، (صـ٤٧٣)، مطبعة النصر–مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م.

أنت؟ فأجابهم: لا)[١] أي: لست النبي الذي تنتظره اليهود. ومما يؤكد أن هذه الصفات والبشارات مجتمعة لم تتوافر في نبي من الأنبياء، وتحققت في نبينا محمد –صلي الله عليه وسلم– .

[١]إنجيل يوحنا، الاصحاح الأول، الفقرة ٢١.

المطلب الخامس

فرية غزوة الخندق وغدر سيدنا محمد –صلي الله عليه وسلم– بيهود المدينة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"لم يكن محمد–صلي الله عليه وسلم– لينسى لبني قريظة وقوفهم موقف الحياد في لحظة حرجة من تاريخه، فقرر أن ينهي وجودهم. لقد سار إليهم فور انسحاب الأحزاب ولم يمنحهم فرصة للدفاع عن أنفسهم أو التفاوض، بل حاصرهم حتى استسلموا، ثم ترك الحكم لصديقهم السابق سعد بن معاذ الذي كان يعلم أنه سيحكم بما يرضي محمد–صلي الله عليه وسلم–، وهو القتل العام." [١]

i Coreisciti preparano una coalizione militare con due fra le maggiori tribù del Higāz e del Nagd, e con 10,000 uomini circa compaiono davanti a Medina nel penultimo mese del quinto anno dell'ègira, ossia nel marzo–aprile 627 d. Cr. Tuttavia un modesto fossato, che agli Arabi apparve cosa meravigliosa, scavato frettolosamente per consiglio d' uno schiavo straniero, bastó a trattenere gli assedianti, che, dopo trenta o quaranta giorni, levarono il campo e rinunziarono all' impresa. Le perdite d'entrambe le parti si ridussero in tutto a una decina d' uomini. La partenza degli assedianti non fu soltanto una momentanea liberazione dal pericolo grave che avea minacciato la città، ben più essa segnò il definitivo miserando fallimento d'ogni sforzo co– reiscita diretto a

---

(١) محمد وظهور الإسلام، لديفيد مرجليوث،(صـ١٧٧).

fiaccare lo Stato musulmano, sicché non a torto furono allora rivelati alcuni versetti coranici esaltanti la vittoria in un inno di giubilo e di trionfo. Ed il giorno stesso della par– tenza, o l'indomani, Maometto, nella baldanza del successo otte– nuto, si getta all' improvviso sulle dimore dell'ultimo gruppo ebraico che ancora risiedeva nell'oasi di Medina, e che negli ultimi giorni dell'assedio aveva tenuto un contegno sospetto di eccessivo favore verso gli assalitori. I miseri si arrendono a discrezione dopo 15 o 25 giorni، gli uomini, da 600 a 900, vengono tutti decapitati senza pietà, le donne e i bambini venduti come schiavi, l' introito della vendita e il bottino divisi secondo le solite regole, gli immobili (case e palmeti) spartiti per un quinto a Maometto e per quattro quinti tra le famiglie musulmane. Ed una rivelazione coranica celebró anche questo arricchimento considerevole dei fedeli come voluto da Dio. Medina, col suo territorio, fu cosi sbarazzata comple– tamente dagli Ebrei، le comunità giudaiche delle oasi settentrio– nali del Higāz furono pervase dallo spavento، ed il posteriore diritto pubblico islamico ebbe la base principale per la norma che è le– cito al capo dello Stato di far uccidere i prigionieri di guerra non musulmani, maschi e capaci di portare le armi, siano essi combattenti o non”[1]

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٠–٣١

"بدأ القريشيون في تحضير تحالف عسكري مع إحدى أكبر قبيلتي الحجاز والنجد، وظهر حوالي ١٠,٠٠٠ رجل أمام المدينة في الشهر قبل الأخير من السنة الخامسة للهجرة، أي في مارس- أبريل ٦٢٧ م. ومع ذلك، كانت حفرة ترابية بسيطة، بدت للعرب شيئًا عجيبًا، كافية لصد المحاصرين، الذين بعد ثلاثين أو أربعين يومًا، رفعوا المعسكر وتخلوا عن المهمة. كانت خسائر الجانبين تقتصر على ما يقارب العشرة رجال تمامًا. رحيل المحاصرين لم يكن فقط تحريرًا مؤقتًا من الخطر الكبير الذي كان يهدد المدينة، بل كان أيضًا علامة على الفشل النهائي المؤسف لجميع محاولات قريش في تقويض الدولة الإسلامية، حتى تم الكشف عن بعض آيات القرآن المباركة الرافعة للانتصار في نشيد فرح وانتصار. وفي نفس اليوم لرحيل المحاصرين، أو في اليوم التالي، واستقر الذين كانوا لا يزالون يعيشون في واحة المدينة، والذين كانوا قد أظهروا تصرفاً مشبوهاً نحو المهاجمين في الأيام الأخيرة من الحصار. الفقراء استسلموا تحت الاختيار بعد ١٥ أو ٢٥ يومًا، يتم قتل الرجال، من ٦٠٠ إلى ٩٠٠ شخص، جميعًا بلا رحمة، ويتم بيع النساء والأطفال كعبيد، ويتم تقسيم عائدات البيع والغنائم وفق القواعد المعتادة، وتوزيع العقارات (المنازل والنخيل) بنسبة خمس أجزاء لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وأربعة أجزاء للعائلات المسلمة. وأحدث إعلان قرآني احتفالاً بهذا الثراء الكبير للمؤمنين كما شاءه الله. وهكذا تم تطهير المدينة، مع أراضيها، تمامًا من اليهود، وانتابت جماعات اليهود في واحات الحجاز الشمالية الرعب، وحصل النظام الإسلامي العام فيما بعد على الأساس الرئيسي للقاعدة التي تسمح لرئيس الدولة بقتل الأسرى الحربيين غير المسلمين، الذكور القادرين على حمل السلاح، سواء كانوا مقاتلين أم لا" [1]

[1] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٣٤-٣٥

٢- مضمون الشبهة:

- أن حادثة بني قريظة تتضمن مجزرة واسعة النطاق (٦٠٠-٩٠٠ قتيل) وبيع شامل للنساء والأطفال، وأنها كانت خطوة منهجية للتطهير العرقي والديني للمدينة، وتبرير شرعي لقتل الأسرى.

٣- هدف الشبهة:

- تشويه صورة تعامل النبي-صلي الله عليه وسلم- والدولة الإسلامية.
- تصوير الحدث كمجزرة جماعية وحملة إبادة مدفوعة بدافع ديني وعرقي.
- إظهار أن الشريعة الإسلامية تبرّر القتل الجماعي للأسرى غير المسلمين.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تناقض في تقدير عدد القتلى بين المصادر (٤٠٠، ٦٠٠، ٧٠٠، ٩٠٠).
- افتراض أن توزيع الغنيمة خمس أرباع تلقائيًا يدل على هدف التطهير: هذا استدلال تفسيري يحتاج برهنة لأن القواعد الفقهية لتقسيم الغنائم لها سياقها ولا تثبت بالضرورة نية إبادة قبلية.
- إسقاط قواعد أحكام الحروب على حدث تاريخي واحد دون فحص مصادره وسياقه الزمني.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يشيرون أن النبي **-صلى الله عليه وسلم-** خطّط مسبقًا لإبادة جماعية لليهود في المدينة بعد الخندق، رغم أن النصوص التاريخية لا تذكر تخطيطًا مسبقًا.[٢]

---

[١] انظر: صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: ١٤٢٥هـ)،(صـ٢٦٥)، تقديم: د. عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

[٢] Peters, F. E. Muhammad and the Origins of Islam. Albany, NY: State University of New York Press, 1994, 221–224

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

في الوسط الاستشراقي: استخدمت لإثبات صورة العنف في بداية الإسلام. [١]

- **في الوسط الإسلامي:** أثارت نقاشات دفاعية ونقدية ودراسات تحليلية. [٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ - نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- التناقض في الأرقام يُضعف حجّة الشبهة التي تعرض الأرقام بدقّة مطلقة.
- كون الغنيمة قُسمت وفق القواعد خمس أرباع لا يعني بالضرورة أن الهدف الأساسي كان تطهيراً، فتوزيع الغنيمة إجراء متبع بعد أي غزوة.
- افتراض الإبادة يحتاج برهانًا مباشراً، أمّا الروابط التي تسقط هذا الاستنتاج فهي استنتاجية وضعيفة منطقيًا. [٣]

ف. إي. بيترز، محمد وبدايات الإسلام،جامعة ولاية نيويورك – ألباني، سنة النشر: ١٩٩٤، الصفحات: ٢٢١-٢٢٤

[١] Stillman, Norman A. The Jews of Arab Lands: A History and Source Book. Philadelphia: Jewish Publication Society, 1979, 18–21

ستيلمان، نورمان أ. يهود الأراضي العربية: كتاب تاريخي ومصادر. فيلادلفيا: جمعية النشر اليهودية ١٩٧٩، الصفحات: ١٨-٢١.

[٢] انظر: السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبوِيَّةِ، لأكرم ضياء العمري،(٢/٤٢٧-٤٣٤)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

[٣] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)،(٢/٢١٤)،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الحروب القبلية مثل قتل الأسرى أو بيعهم كانت جزءًا من منطق الحروب في ذلك العصر في شبه الجزيرة العربية. لذلك، وصف الحدث الآن بمعايير القرن الحادي والعشرين يجب أن يأخذ بعين الاعتبار عادات العصر. ذلك لا يبرر أخلاقياً، لكنه يفسر سلوكًا تاريخيًا.
- لا توجد تنقيبات أثرية في المدينة تُثبت مقابر جماعية بهذا الحجم تعود لتلك السنة يمكن الاعتماد عليها بشكل قاطع، ذلك يُضعف ادعاء اليقين المطلق بالأرقام الكبيرة.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يدعون للحذر من تفاصيل الرواية ويشككون بالأعداد، وينفون الإبادة الجماعية.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدّس يظهر نظام الحرب كالحصار والقتال مع شعوب معادية"متى اقتربت من مدينة لتحاربها، فأرسل لها سلاماً. فإذا أجابتك السلام واستسلمت لك، فكل الشعب الذي فيها يكون لك للخدمة. أما إذا لم ترسل لك سلاماً بل حاربتك، فاضرب الرجال بالسيف، أما النساء والأطفال والأغنام والبقر وكل ما فيها فخذ لنفسك غنيمة من المدينة"[٣]

---

[١] انظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي،(صـ٤٤٣-٤٥٣)،دار الفكر – دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ هـ

[٢] W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina, Oxford: Clarendon Press, (1956), pp. 216–213

وات، و. مونتغومري، محمد في المدينة، أكسفورد: مطبعة كلارندون، ١٩٥٦، ص. ٢١٣–٢١٦.

[٣] سفر التثنية، الإصحاح ٢٠ ، الآيه ١٠-١٨

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ما زعمه نالينو من أنَّ انتقامَ النبي –صلي الله عليه وسلم– من يهودِ المدينة كان لأسباب مصطنعة وغير كافية، فجوابه أن الواقع خلاف ذلك:

أولاً: إبرام النبي –صلي الله عليه وسلم– مع اليهود معاهدة[(١)] تقرهم على دينهم، وتؤمنهم في أنفسهم وأموالهم، بل تكفل لهم نصرة مظلومهم، وحمايتهم، ورعاية حقوقهم.

ثانياً: لم يكن في سياسته –صلي الله عليه وسلم– إبعاد اليهود عن المدينة، ومصادرة أموالهم إلا بعد نقضهم العهود والمواثيق، ووقوعهم في الخيانة والمؤامرة:

---

(١) من بنود وثيقة المدنية المتعلقة باليهود: بُنُودُ الصَّحِيفَةِ المُتَعَلِّقَةِ باليَهُودِ:

١ – يُنْفِقُ اليَهُودُ مَعَ المُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ. ٢ – يَهُودُ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ المُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وأنْفُسُهُمْ، إلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُهْلِكُ إلَّا نَفْسَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِه.٣ – لِبَقِيَّهِ اليَهُودِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَبَنِي الحَارِثِ، وَبَنِي سَاعِدَةَ، وَبَنِي جُشَمٍ، وَبَنِي الأَوْسِ، وَبَنِي ثَعْلَبَةَ، وَجَفْنَةَ، وَبَنِي الشُّطَيْبَةِ، مِثْلُ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وأَنَّ بِطَانَةَ يَهُودٍ كَأَنْفُسِهِمْ.٤ – لَا يَخْرُجُ مِنْ يَهُودٍ أَحَدٌ إلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.٥ – عَلَى اليَهُودِ نَفَقَتُهُمْ، وَعَلَى المُسْلِمِينَ نَفَقَتُهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النُّصْحَ والنَّصِيحَةَ، وَالبِرَّ دُونَ الإِثْمِ.

د– بُنُودُ الصَّحِيفَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِالقَوَاعِدِ العَامَّةِ:

١ – المَدِينَةُ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ الجَارَ كَالنَّفْسِ، غَيْرُ مُضَارٍّ، وَلَا آثِمٍ، وإنَّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا.٢ – مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوِ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.٣ – أَنَّ بَيْنَهُمْ –أيْ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ– النَّصْرُ عَلَى مَنْ دَهَمَ الْمَدِينَةَ.٤ – مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالمَدِينَةِ، إلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ، وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى، ومُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.انظر: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية»، لموسى بن راشد العازمي، (٢/٢٠٤–٢٠٦)، تقريظ: الدكتور محمد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

١-**ظهور الحقد والحسد للنبي -صلي الله عليه وسلم- فور وصوله من بدر منتصرا: يقول البلاذري**[١]: « أإن رَسُول اللَّه -صلي الله عليه وسلم- لما قدم المدينة. وادعته يهود كلها، وكتب بينه وبينها كتابًا. فلما أصاب -صلي الله عليه وسلم- أصحاب بدر وقدم المدينة سالمًا غانمًا موفورًا، بغت وقطعت العهد. فجمعهم رَسُول اللَّه -صلي الله عليه وسلم- ، ثُمَّ قَالَ: "يا معشر يهود، أسلموا فو الله إنكم لتعلمون أنى نبى وإلا أوقع أصبكم أكثر مما أوقع بقريش." فقالوا: يا مُحَمَّد، لا يغرّنك من لقيتَ، فإنما قهرتَ قومًا أغمارًا، ونحن بنو الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا».[٢]**وهكذا أكد البلاذري** [٣]أن موادعة الرسول -صلي الله عليه وسلم- لليهود كانت قبل غزوة بدر، نلاحظ أيضاً أن **الإمام الطبري**[٤] يتفق مع البلاذري في مناسبة ذكر موادعة اليهود وهي عودة النبي من موقعة بدر غانما وظهور غدر اليهود بنقضهم العهد، **وهذا الإمام الطبري** إذ يقول:« ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْمَدِينَةِ، مُنْصَرَفَهُ مِنْ بَدْرٍ، وَكَانَ قَدْ وَادَعَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يَهُودَهَا، عَلَى أَنْ لا يُعِينُوا عَلَيْهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ إِنْ دَهَمَهُ بِهَا عدو نصروه فلما قتل رسول الله ص مَنْ قَتَلَ بِبَدْرٍ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، أَظْهَرُوا لَهُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ، وَقَالُوا: لَمْ يَلْقَ مُحَمَّدٌ مَنْ يُحْسِنُ الْقِتَالَ، وَلَوْ لَقِيَنَا لاقَى عِنْدَنَا قِتَالا لا يُشْبِهُهُ قِتَالُ أَحَدٍ، وَأَظْهَرُوا نَقْضَ الْعَهْدِ».[٥]

٢-**نقض يهود بني قينقاع لميثاق المدنية**: روى ابن هشام عن عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عوانة: «أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من

---

[١]سبق ترجمته، (صـ١٨٤).

[٢] جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)،(٣٠٨/١).

[٣]سبق ترجمته، (صـ١٨٤).

[٤]سبق ترجمته، (صـ١٨٥).

[٥] تاريخ الرسل والملوك، للطبري ،(٤٧٩/٢).

المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على يهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع. فكان هؤلاء أول يهود نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله –صلي الله عليه وسلم– » وكان ذلك، فيما رواه الطبري والواقدي في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة.

فحاصرهم رسول الله –صلي الله عليه وسلم– مدة من الزمن، حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول فقال: «يا محمد، أحسن في مواليّ! .. فلم يلتفت إليه رسول الله –صلي الله عليه وسلم– ، وكرر ثانية فأعرض عنه رسول الله –صلي الله عليه وسلم– ، فأدخل يده في جيب درعه –صلي الله عليه وسلم– فقال له: أرسلني، وغضب رسول الله –صلي الله عليه وسلم– حتى رأوا لوجهه ظللا، ثم قال له: ويحك أرسلني، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ: أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال له رسول الله –صلي الله عليه وسلم– : هم لك، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات الشام، وهلك أكثرهم فيها».[(١)]

٣–**نقض يهود بني قريظة لميثاق المدنية:** إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْب كَلَّمَ حُيَيَّ بْنَ أَخْطَبَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يَسْأَلُهُمْ أَنْ يَنْقُضُوا الْعَهْدَ الذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– ، وَيَكُونُوا مَعَهُمْ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ حَتَّى أَتَى كَعْبَ بْنَ أَسَدٍ الْقُرَظِيَّ –سَيِّدَ بَنِي قُرَيْظَةَ– فَأَغْلَقَ كَعْبٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ حِصْنِهِ، وَأَبَى أَنْ يُقَابِلَ حُيَيَّ بْنَ أَخْطَبَ، لَكِنَّ حُيَيَّ بْنَ أَخْطَبَ أَلَحَّ عَلَى كَعْبِ بْنِ أَسَد وَأَخَذَ يَضْربُ عَلَى بَابِهِ وَيُنَادِيه: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ! افتحْ لِي، فَقَالَ كَعْبٌ: وَيْحَكَ يَا حُيَيُّ إِنَّكَ امْرُؤٌ مَشْؤُومٌ، وَإِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ إِلَّا وَفَاءً وَصِدْقًا.[(٢)]

---

(١) فقه السيرة، لمحمد الغزالي السقا(المتوفى: ١٤١٦هـ)، (صـ٢٤٧)، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

(٢) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية»، لموسى بن راشد العازمي، (١٥٩/٣).

فَقَالَ حُيَيٌّ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ! افتحْ لِي أُكَلِّمْكَ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، فَقَالَ حُيَيٌّ: وَاللَّهِ مَا أَغْلَقْتَ الْحِصْنَ دُونِي إِلَّا تَخَوُّفَكَ مِنْ أَنْ آكُلَ مِنْ جَشِيشَتِكَ[(١)]، فَفَتَحَ لَهُ البَابَ، وَدَخَلَ حُيَيٌّ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا كُعْبُ! جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ وَبِبَحْرٍ طَامٍ [(٢)]، جِئْتُكَ بِقُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، وَبِغَطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، وَقَدْ عَاهَدُونِي عَلَى أَنْ لَا يَبْرَحُوا [(٣)] حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ: جِئتُنِي وَاللَّهِ بِذُلِّ الدَّهْرِ وَبِجَهَامٍ [(٤)] قَدْ هَرَاقَ مَاءَهُ فَهُوْ يَرْعُدُ وَيَبْرُقُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيْحَكَ يَا حُيَيُّ فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً، وَاللَّهِ مَا أَكْرَهَنَا عَلَى دِينٍ، وَلَا غَصَبَنَا مَالًا، وَلَا نَنْقِمُ [(٥)] مِنْ مُحَمَّدٍ وَعَمَلِهِ شَيْئًا، وَأَنْتَ تَدْعُو إِلَى الْهَلَكَةِ، فَنُذَكِّرُكَ اللَّهَ إِلَّا مَا أَعْفَيْتَنَا مِنْ نَفْسِكَ. وَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ سَعْدِي الْقُرَظِيُّ فَذَكَرَ وَفَاءَ الرَّسُولِ –صلى الله عليه وسلم– وَمُعَاهَدَتَهُمْ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! إِنَّكُمْ قَدْ حَالفتُمْ مُحَمَّدًا عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتُمْ أَنْ لَا تَخُونُوهُ وَلَا تَنْصُرُوا عَلَيْهِ

---

(١) الجَشِيشَةُ: هي نوعٌ من أنواع الطعام: وهي أنْ تُطْحَنَ الحِنطَةُ طَحْنًا جَلِيلًا، ثم تُجْعَلَ في القُدورِ ويُلقى عليها لَحْمٌ أو تَمر وتُطْبَخُ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (١/ ٢٦٤).

(٢) طَمَا البحرُ: ارتفعَ بأمواجِهِ. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، فصل: الألف، (صـ٢٣٥). عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة ،الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

(٣) بَرِحَ مكانَهُ: أي زَالَ عنهُ. انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، لمحمد حسن حسن جبل، مادة برح، (١٠٢/١)، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

(٤) الجَهَامُ: بفتح الجيم السَّحابُ الذي لا ماءَ فيهِ. انظر: المخصص، لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، السَّحابُ الذي لا ماءَ فيهِ، (٤٢٣/٢)، المحقق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٥) نَقِمَ الشَّيْءَ: أنكرَهُ. انظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة:(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ،باب: النون،(٩٤٩/٢)، دار الدعوة .

عَدُوًّا، وَأَنْ تَنْصُرُوهُ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، فَأَوْفُوا عَلَى مَا عَاهَدْتُمُوهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ وَاعْتَزِلُوهُمْ.[١]

وَلَكِنَّ حُيَيًّا مَا زَالَ بِكَعْبٍ يَفْتِلُهُ فِي الذُّرْوَةِ وَالْغَارِبِ [٢]، حَتَّى سَمَحَ لَهُ عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا وَمِيثَاقًا، لَئِنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ وَلَمْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُ فِي حِصنهِ يُصِيبُهُ مَا يُصِيبُ بَنِي قُرَيْظَةَ، فنَقَضَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ وَبَرِئَ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– . ثُمَّ قَامَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ وَمَزَّقَتِ الصَّحِيفَةَ التِي كَانَ فِيهَا العَقْدُ، وَدَخَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ حِرْصَ بَنِي قُرَيْظَةَ الْأَوَّلَ عَلَى الْتِزَامِ الْعَهْدِ كَانَ خَوْفًا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ فَقَطْ، فَلَمَّا ظَنَّتْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أُحِيطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبِ وَأَنَّهَا لَنْ تُؤَاخَذَ عَلَى خِيَانَةٍ، أَسْفَرَتْ عَلَى خِيَانَتِهَا وَانْضَمَّتْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ الْمُهَاجِمِينَ [٣]

يتبين مما سبق غدر وخيانة يهود بنى قريظة وتعاونهم مع مشركى قريش ضد النبي –صلي الله عليه وسلم– ومع ما حدث من مخاطر تهدد مستقبل الدولة الإسلامية في المدينة، إلا أن النبي –صلي الله عليه وسلم– كان حريصا على إسلام اليهود، وعرض عليهم الإسلام، لكن للأسف وجد التآمر والخيانة والغدر منهم، ومع ذلك تعامل معهم وفق شرع الله تعالى فلم يبدأهم بقتال قبل أن يشترط عليهم الإسلام والرجوع عن غدرهم: عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ،

---

[١] اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية»، لموسى بن راشد العازمي، (١٦٠/٣).

[٢] الذُّرْوَةُ: أعلاهُ، أراد أنَّه ما زالَ يُخادِعهُ ويتلطَّفُ حتى أجابَهُ. والغَارِبُ: مُقَدَّمُ السّنَانِ للبعير ومراده هنا الرُّمْحُ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، غرب، (٤٧٩/٣)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

[٣] اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية»، لموسى بن راشد العازمي، (١٦١/٣).

قَالَ: «فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ». فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».[١]

---

[١] صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي ، بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، (٥/١٣٤برقم٤٢١٠).

المطلب السادس

فرية صلح الحديبية وتعويضه –صلي الله عليه وسلم– أصحابه بغنائم اليهود

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن صلح الحديبية، الذي بدا في أعين الكثير من أتباع محمد –صلي الله عليه وسلم– بمثابة استسلام لقريش، وضع النبي–صلي الله عليه وسلم– في موقف حرج تجاه جيشه الذي كان يمني النفس بالغنائم. ولكي يمتص محمد–صلي الله عليه وسلم– هذا التذمر ويصرف الأنظار عن التنازلات التي قدمها في مكة، وجد في خيبر التعويض اللازم؛ فخيبر كانت واحة غنية يسكنها اليهود، والتحرك نحوها بعد الحديبية مباشرة لم يكن مصادفة، بل كان استراتيجية تهدف إلى تقديم 'ترضية مادية' فورية للمقاتلين، وبث روح الثقة فيهم من جديد من خلال نصر سهل ومربح." [١]

Ora, di ritorno da al–Hudaybiyah, marcia con la sua schiera contro la magnifica ed ampia oasi giudaica di Haybar, a circa 120 chilometri in linea retta a nord di Medina, e fa promettere da Dio ai suoi ampie prede le quali siano un segno “da parte di Dio” per i credenti. Nello spazio d'un mese circa i singoli castelli furono espugnati con perdite insignificanti da parte dei Musulmani, e la popolazione costretta a capitolare, abbandonando ai vincitori un enorme bottino di beni mobili ed

---

(١) مقدمة القرآن، لريتشارد بل،(صـ١٥٩).

accettando l'im- posizione di continuar la coltura dei campi e dei palmeti, e di versare in perpetuo all'erario musulmano la metà dell'annuo rac- colto" [١]

"على أي حال، لتعويض أتباعه عن الهدف الذي لم يتحقق، فعند عودته من الحديبه قدم محمد - صلى الله عليه وسلم- لهم فوراً غنيمة غير متوقعة. توجه ضد المجموعة اليهودية الساكنة في واحة خيبر اليهودية الرائعة والواسعة، التي تبعد حوالي ١٢٠ كيلومترًا شمال المدينة بالخط المستقيم، تم اقتحام القلاع الفردية خلال حوالي شهر بخسائر ضئيلة من جانب المسلمين، وتم إجبار السكان على الاستسلام، مهجرين معهم غنائم ضخمة من الممتلكات المتنقلة، وقبول فرض مواصلة زراعة الحقول والنخيل، وتحويل نصف حصادهم السنوي إلى خزينة المسلمين إلى الأبد"[٢]

٢- مضمون الشبهة:

- ادعاء أن غزوة خيبر كانت عملًا انتقاميًا تعويضيًا من النبي -صلى الله عليه وسلم- لأتباعه بعد إخفاق أو إحباط صلح الحديبية، وأن النتيجة كانت إخضاعًا نهائيًا لليهود في خيبر، ونهبٌ كبير، وفرضُ نظام يجعلهم يدفعون نصف حصادهم سنويًا إلى الأبد لصالح المسلمين.

٣- هدف الشبهة:

- تصوير فتح خيبر كعملية انتقامية مكافأة سياسية بحتة، لا كحدث ديني أو نظام تعامل متوافق مع الأعراف.

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٢

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٣٦

- الإيحاء بأن النبي–صلي الله عليه وسلم– تصرف كقائد غنيمة يهدف إلى إثراء الجماعة المسلمة وخزائنها بشكل دائم وسلبي تجاه اليهود.
- تقوية قراءة استشراقية نقدية تصف سلوك النبي–صلي الله عليه وسلم– والمجتمع الإسلامى بأنه سعي للغنيمة والاستغلال الاقتصادي لشعوب أهل الكتاب.

٤- **مثارات النقد العقلي للشبهة:**

- الشبهة تفترض أن وقوع خيبر بعد الحديبية يعني بالضرورة أن الدافع الرئيسي كان تعويض الأتباع لكن التتابع الزمني لا يثبت السبب.
- الشبهة تُعمم أن يهود خيبر مهجَّرون نهائياً والخزينة تأخذ نصف الحصاد إلى الأبد، وهذا كلام مطلق لا يتطابق مع النصوص التفصيلية التى تعد ذلك اتفاقاً في مزاولة مهنة المزارعة مقابل نصف المحصول وليس أخذاً مطلقاً للأملاك المنقولة كلها.
- الشبهة تخلط بين الغنيمة التي تُقَسم طبقا لأحكام وبين نظام المزارعة الذي هو اتفاق مشاركة في المحصول وبين فرض جزية ونفي دائم، هذه أمور قانونية واقتصادية مختلفة.[١]

٥- **مصادر الشبهة:**

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين فسّروا السيرة وفق منظور سياسي اقتصادي، وأن خيبر منطقة زراعية ثرية، وأن العلاقة مع اليهود كانت تحمل أبعادًا تتجاوز الدين إلى صراع قبلي–اقتصادي.[٢]

---

[١] انظر : الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى:الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي،(١٢٩/١٧)، دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

[٢] Reuven Firestone Journeys in Holy Lands: The Evolution of the Abraham–Ishmael Legends in Islamic Exegesis State University of New York Press, 1990 – p. 83–85

٦- **أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:**

في الوسط الاستشراقي: تُستخدم كنموذج لقراءة التحركات العسكرية للمجتمع النبوي منوطاً بمصالح دنيوية وسعي لتثبيت الموارد.[١]

- **في الوسط الإسلامي:** بعض الدعاة والباحثين الإسلاميين يردون بتوضيح أن ما جرى في خيبر كان عقدًا للمزارعة على أرضهم مع شرط المشاركة في المحصول لا طرد دائم ولا مصادرة إجبارية للأملاك المتنقلة.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- القياس على الترتيب الزمني غير مُثبت سببيًّا، فبمجرد أن حدثًا كالحديبية تلاه حدثٌ آخر كخيبر لا يعني أن الأول تسبب في الثاني كدافع أساسي.

روفين فايرستون، رحلات في الأراضي المقدسة: تطور أساطير إبراهيم وإسماعيل في التفسير الإسلامي، دار نشر جامعة ولاية نيويورك، سنة النشر: ١٩٩٠، الصفحات: ٨٣-٨٥

١

The Early Islamic Conquests, Princeton University Press, Fred M. Donner،1981

. pp. 61-63-87-110

فريد م. دينر ، الفتوحات الإسلامية المبكرة، الناشر: مطبعة جامعة برنستون، سنة النشر: ١٩٨١، الصفحات: ٦١-٦٣، ٨٧-١١٠

٢ انظر: السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثيْنَ فِيْ نَقْدِ روَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ، لأكرم ضياء العمري،(٢/٤٢٧-٤٣٤)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

- هناك أسباب سياسية واستراتيجية واقتصادية متعددة قد تشرح التحرك نحو خيبر كتحصين موقف المدينة، وقطع دعم ممكن للعدو، وموارد زراعية مهمة.
- المصادر التاريخية تتناول أسبابًا متعددة، ولا تثبت أن الدافع الوحيد أو الرئيسي هو تعويض الأتباع كما تزعم الشبهة.
- التعميم المطلق عن النهب والتهجير إلى الأبد منطقيًّا ضعيف، فالنصوص التقليدية تحدِد نوعًا من الترتيب الاقتصادي كالمزارعة مقابل نصف المحصول أو ثلث، وليس سلب كل شيء بلا قيد. إذًا الشبهة تُضعف نفسها بتعميمها. [١]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الروايات الإسلامية الأساسية بها نقول متكررة في السيرة والأحاديث تفيد أن أهل خيبر سُمح لهم بالبقاء والعمل في نخلهم وأراضيهم مقابل إعطاء شطر ثمرتها. أي أن النظام كان شكلاً من أشكال المزارعة/المعاملة لا مصادرة كلية.
- لا توجد دلائل أثرية قوية تشير إلى تدمير واسع في خيبر تتوافق مع فرضية نهب مطلق، فالأدلة المتاحة تُظهر أن السكان بقوا يعملون في أراضيهم بعد ذلك وفق شروطٍ متفق عليها. [٢]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين ناقشوا موقع خيبر فلم ينكروا أن فتح خيبر أعطى موارد مالية وسياسية مهمة للمجتمع الإسلامي، لكنهم لا يقدمونها بوصفها غنيمة أو إبادة وتهجير دائم بالكيفية التي تفيدها الشبهة. [١]

---

[١] انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين،(٧/٣٣٥)،دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

[٢] انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، (١٥/٢٤٤برقم٢٣٢٨)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدّس يشير إلى فتوحات وأحكام تقاسم الغنائم وفرض شروط على الشعوب المغلوبة ، لذلك مقارنة حدث إسلامي في القرن السابع بممارسات قديمة لا تُثبت تفردًا أخلاقيًا أو استثنائية سلبية فريدة بالإسلام:" فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ. خُذْ مَعَكَ جَمِيعَ رِجَالِ الْحَرْبِ، وَقُمِ اصْعَدْ إِلَى عَايَ. انْظُرْ. قَدْ دَفَعْتُ بِيَدِكَ مَلِكَ عَايٍ وَشَعْبَهُ وَمَدِينَتَهُ وَأَرْضَهُ، فَتَفْعَلُ بِعَايٍ وَمَلِكِهَا كَمَا فَعَلْتَ بِأَرِيحَا وَمَلِكِهَا. غَيْرَ أَنَّ غَنِيمَتَهَا وَبَهَائِمَهَا تَنْهَبُونَهَا لِنُفُوسِكُمْ..وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلاًّ أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ"[٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

بداية عندما يسمع القارئ نالينو خاصة إن كان على غير ملة الإسلام يستشعر ما صدعنا به الغرب إلى يومنا هذا أن الإسلام دين الدم المنتشر بالسيف، دين نهب وسلب وعدوان للجميع، هكذا أسلوب نالينو، وهكذا عرضه في دس السم في العسل ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

ولمتابعة دحض فرية نالينو في قتاله –صلي الله عليه وسلم– لليهود، وسلب ونهب ثرواتهم، وإجلائهم من أراضيهم، وفرض نصف الخارج من الأرض ليهود خيبر، نرد عليه فيما يأتي:

أولاً: حرص النبي –صلي الله عليه وسلم– على عدم الغدر ونقض العهد خاصة مع اليهود وفرقهم الثلاثة في المدينة(بنو قينقاع، بنو قريظة، بنو النضير) ويهود خيبر في جوار المدينة:

كان هؤلاء اليهود أعداء للأوس والخزرج –الأنصار قبل أن يدخلوا الإسلام– فلما دخلوا الإسلام وقوي أمرهم بمجيء إخوانهم المهاجرين ازدادت عدواتهم وحقدهم عليهم ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ

---

[١] W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina, Oxford: Clarendon Press, 1956 – pp. 213–219

وات، و. مونتغومري، محمد في المدينة، أكسفورد: مطبعة كلارندون، ١٩٥٦، ص. ٢١٣–٢١٩.

[٢] سفر يوشع، الإصحاح ٨ ، الآيه ١–٢٨

عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ [(١)]، فكان من سياسة الرسول –صلي الله عليه وسلم– وحسن تدبيره أن يبدأ هؤلاء اليهود بالمودة، ويبسط لهم يد الأخوة، ويتفق معهم على التضامن والتعاون حتى تكون المدينة كلها صفًّا واحدًا وقوة واحدة، وحتى لا يطمع في المدينة طامع وينال منها عدو.

وقد كتب الرسول –صلي الله عليه وسلم– معاهدة بين فيها حقوق المسلمين وواجباتهم وحقوق اليهود وواجباتهم، وكان أساس هذه المعاهدة الأخوة في السلم، والدفاع عن المدينة وقت الحرب، والتعاون التام بين الفريقين إذا نزلت شدة بأحدهما أو كليهما. [(٢)]

وقد جاءت هذه المعاهدة: تقرر حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرمة المدينة، وتحرم الجرائم، وتحارب الظلم والإثم، وقد وضعها رسول الله –صلي الله عليه وسلم– منذ قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان، ولكن لا تزال إلى هذا العصر الذي نعيش فيه نبراساً يهتدي به الساسة والقادة إذا اضطربت الأمور وأظلم السبيل.

ولا شك أن هذه المعاهدات الخالدة كانت ذات أثر كبير في تقوية عزائم المسلمين، وحفظ المدينة من مطامع المشركين المعتدين، ولولا أن اليهود غدروا وخانوا العهد والمواثيق، وبدأوا بالعدوان على المسلمين، لما وقف رسول الله –صلي الله عليه وسلم– والمسلمون منهم موقف العداء، ولظلت المدينة يغمرها الوئام والصفاء.

ولكن اليهود غدروا وخانوا وبدأوا بالعدوان، فرد الرسول –صلي الله عليه وسلم– والمسلمون على إساءتهم وظلمهم بما جعلهم عبرة أمام القرون والأجيال، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم ظالمين.[(١)]

[(١)] سورة المائدة، الآية ٨٢.

[(٢)]القول المبين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١هـ)،(صـ١٩٧)،دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

ثانياً: كانت سياسته –صلي الله عليه وسلم– مع اليهود المعاهدات والوفاء بها حتى يغدروا، فمن غدر أنهاه: وسكت عن يهود خيبر وأبقاهم محاربين حتى تفرغ لهم بعد صلح الحديبية فأنهى كيانهم السياسي.

ثالثاً: يجب ألا ينسى نالينو أن هذه الغزوة من أولها إلى آخرها جاءت عقاباً لليهود على خياناتهم المتكررة، وتأليبهم القبائل العربية على حرب المدينة المنورة، ومحاولاتهم المستمرة لاستئصال أهل المدينة المنورة، واغتيال الرسول –صلي الله عليه وسلم– ، وكون الرسول عليه الصلاة والسلام يقبل بخروج يهود خيبر أحياء، فهذا تفضل منه –صلي الله عليه وسلم– ، وكان من حقه أن يعاملهم بالمثل وبالقصاص بأن يقتل المقاتلة الذين يقاتلون منهم.[٢]

رابعاً: فالناظر إلى معاملته –صلي الله عليه وسلم– ليهود خيبر بعد فتحها: فقد تعاونوا مع مشركي قريش في غزوة الخندق، وحاولوا اغتياله –صلي الله عليه وسلم– ومع ذلك أعطاهم النبي–صلي الله عليه وسلم– البقاء في ديارهم ومزارعهم يزرعونها وما خرج منها يأخذون منه شطراً لهم والشطر الباقي للمسلمين[٣]، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:" أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– خَيْبَرَ اليَهُودَ: أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا، وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا". [٤]

ثانياً: عودة يهود خيبر إلى أراضيهم وديارهم بعد خروجهم منها أحياء: لقد ترك اليهود غنائم ضخمة جداً، تركوا أموالاً وديارًا، وتركوا أهم من ذلك النخيل، وكانت خيبر بلاداً غنية جداً بالزراعة، فتركوا كل هذا وراءهم وبدءوا في عملية الخروج. ثم إن اليهود بعد قرار المعاهدة وقرار الخروج من خيبر قدموا عرضاً إلى رسول الله –صلي الله عليه وسلم– ، قالوا: (يا محمد! دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم). وقد كانت أراضيها كبيرة جداً،

---

[١] القول المبين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١هـ)،(صـ١٩٨-١٩٩)،

[٢] فقه السيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، (صـ٦٣٤).

[٣] انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش، (صـ ٥٣٨). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م. بتصرّف.

[٤] صحيح البخاري ، كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَابُ مُشَارَكَةِ الذِّمِّيِّ وَالمُشْرِكِينَ فِي المُزَارَعَةِ، (٣/١٤٠برقم٢٤٩٩).

والصحابة لم يكن لهم علم كبير بالزراعة، وهي بعيدة عن المدينة المنورة، واليهود يستطيعون أن يصلحوا هذه الأراضي ويخرجوا منها الثمار، فقالوا: دعنا نقوم على إصلاح هذه الأراضي، ثم نقيم معاهدة بيننا وبينك على اقتسام هذا الثمار، فوجد الرسول عليه الصلاة والسلام أن هذا العرض عرض مناسب للمسلمين، فأقر اليهود على أن يعطيهم الشطر من كل زرع ومن كل ثمرة، ما بدا لرسول الله –صلي الله عليه وسلم– أن يقرهم في خيبر، فإذا أمر –صلي الله عليه وسلم– في يوم من الأيام دون تحديد في هذه المعاهدة بخروج اليهود من خيبر فعليهم أن يخرجوا، وهو ما تم بعد ذلك في عهد عمر بن الخطاب[١] كما يعلم الجميع. [٢]

ختاماً: إنَّ هذِهِ الوثيقَة تدُلُّ على مدى العَدَالَةِ التي اتَّسَمَتْ بها مُعاملة النبي –صلى الله عليه وسلم– لليهود: وكان بالإمكان أن تُؤْتِي هذه المسألة العَادِلَة ثِمارها فيما بين المسلمين واليهود، لو لم تَتَغَلَّبْ على اليهود طبيعتهم من حُبٍّ للمَكر، والغَدْرِ، والخَدِيعَة، فما هي إلا فترةٌ وجيزةٌ حتى ضَاقُوا ذَرْعًا بما تضمَّنَتْه بنُودُ هذه الوثيقَةِ التي التزمُوا بها، فخرجوا على الرسول –صلى الله عليه

---

[١] حيث إن يهود خيبر مكثوا يزرعون الأرض على النصف من نتاجها، إلى أن كانت خلافة عمر رضي الله عنه، فقتلوا أحد الأنصار وعدوا على عبد الله بن عمر ففدعت يداه، فقال رضي الله عنه للناس: «إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قد عامل يهود خيبر على أن نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما قد بلغكم، مع عدوهم على الأنصاري قبله، لا نشك أنهم أصحابه، ليس لنا عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فإني مخرج يهود». وهكذا تمّ إخراج اليهود من الجزيرة العربية، ولولا بغيهم وعدوانهم واستكبارهم على الحق لما طوردوا ولما أخرجوا. ولكن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.انظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي،(صـ٢٥٠). دار الفكر – دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون– ١٤٢٦ هـ.

[٢]انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،(صـ٤٢٦)،دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الثانية عشرة – ١٤٢٥ هـ.بتصرف.

وسلم- والمسلمين بألوانٍ من الغَدْرِ والخِيَانَةِ، فكان المسلمون بذلك في حِلٍّ بما التزموا به تِجَاهَهُم.[١]

[١] فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي، (صـ١٥٣).بتصرف يسير.

المطلب السابع

فرية خداع محمد –صلي الله عليه وسلم– لإبطال صلح الحديبية واحتلال مكة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١– نص الشبهة:

"إن صلح الحديبية لم يكن في نظر محمد–صلي الله عليه وسلم– إلا مرحلة انتقال، وقد استطاع بمهارته السياسية أن يجعل من هذا الصلح فخاً سقطت فيه قريش؛ فعندما وقع النزاع بين بكر وخزاعة، لم يتردد محمد–صلي الله عليه وسلم– في اعتبار ذلك نقضاً للمؤاهدة من جانب مكة، متخذاً منها الذريعة التي كان ينتظرها للزحف نحو المدينة المقدسة. لقد رفض كل محاولات أبي سفيان لاستدراك الموقف وتجديد الصلح، لأنه كان قد قرر بالفعل أن الوقت قد حان لضم مكة وتصفية حساباته القديمة معها تحت ستار حماية حلفائه." [١]

“Intanto Maometto freme d'impazienza per l'annessione della Mecca, contrastatagli dal patto di tregua decenne firmato ad al–Hudaybiyah. Come eluderlo? Una piccola zuffa tra Beduini gliene porge l'agognato pretesto، calcando le tinte, facendo la voce grossa, egli qualifica il piccolo incidente come una viola– zione dei patti، alcuni versetti coranici scendono dal cielo a to– gliere gli scrupoli, a rassicurare le coscienze titubanti، e cosi, con rapida decisione, egli marcia senz'altro verso la Mecca, con una schiera che si va ingrossando per via fino a raggiungere quasi 10.000 uomini. Salvo un piccolo conflitto di truppe ausiliarie, la

---

[١] تاريخ الدولة العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ليوليوس فلهاوزن،(صـ٢٩).

città non oppose resistenza, e Maometto, nel ramadan dell'anno 8 dell'ègira, ossia ai primi di gennaio del 630, vi fece l'ingresso trionfale. Purificó tosto la città da ogni traccia di culto pagano, ordinando la distruzione di tutti gl'idoli، poca cosa invero se si pensa che gl'idoli, al contrario di quel che tradizioni posteriori narrano, non eran molti, e che invece tanta parte degli elementi e dei riti pagani, compresa la famosa pietra nera incastrata in un muro della Ka'bah, era già stata da lui, come si vide, accolta in blocco nella nuova religione. Un'amnistia quasi generale fu proclamata، niun bottino fu permesso, con amara delusione di non pochi Medinesi e sovra tutto delle cupide milizie beduine. Quasi senza eccezione gli abitanti si convertirono, almeno esteriormente, all'islam، mentre l'oligarchia degli ottimati meccani scompariva ad un tratto, per far posto alla monarchia assoluta e teocratica dell'antico orfanello, obbligato otto anni prima a lasciar la città" [1]

"كان محمد –صلي الله عليه وسلم– يتوق لضم مكة، ولكنه واجه عراقيل بسبب اتفاق وقف إطلاق النار لمدة عشر سنوات تم التوقيع عليه في الحديبية. كيف يمكن تجاوزه؟ نشوب معركة صغيرة بين البدو يعطيه الذريعة المرغوبة، من خلال التضخم والتهديد، صنف الحادث الصغير كانتهاكٍ للاتفاقات، ونزلت بعض آيات القرآن من السماء لتزيل الشكوك، ولتهدئة الضمائر المترددة، وهكذا، بقرار سريع، مشى نحو مكة بلا تردد، محمد –صلي الله عليه وسلم– ، في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، أي في بداية يناير من عام ٦٣٠، دخل المدينة بانتصار.

---

(1) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٤

قام على الفور بتطهير مكة من كل آثار العبادة الوثنية، وأمر بتدمير جميع الأصنام، وهو أمر بالحقيقة ليس بالكبير إذا تم التفكير في أن الأصنام، على عكس ما تحكيه الروايات اللاحقة، لم تكن كثيرة، وبأن الكثير من العناصر والطقوس الوثنية، بما في ذلك الحجر الأسود الشهير المدمج في جدار الكعبة، قد قبلها هو بالفعل بشكل جماعي في الدين الجديد. تم الإعلان عن عفو شبه عام، ولم يُسمح بنهب أي غنيمة، مما أدى إلى خيبة أمل مريرة للعديد من أهالي المدينة، وبشكل خاص للقوات الجائرة من البدو. تحول تقريبًا جميع السكان، على الأقل ظاهريًا، إلى الإسلام، في حين اختفت فجأة شريحة النخبة من أهالي مكة، لتفسح المجال للنظام الملكي السلطوي لليتيم القديم،الذي اضطر منذ ثماني سنوات لمغادرة المدينة[١]" [٢]

٢- مضمون الشبهة:

- الشبهة تدعي أن فتح مكة لم يكن فقط نتيجة خروقات ووقائع تاريخية واقعية، بل كان نتيجة تخطيط سياسي متعمد من قِبل النبي-صلي الله عليه وسلم- : خلق حادث مناسب لبيان بطلان العهد للاستيلاء على مكة.

٣- هدف الشبهة:

- الطرح يظهر النبي -صلي الله عليه وسلم- كسياسي محنّك يستخدم وسائل دينية لصياغة غطاء لعملٍ عسكري سياسي.
- تقويض صورة النية النقية الدينية والأخلاقية للفتح، وإظهار السيرة كمصلحة سياسية محضّة.
- إظهار أن النصوص الدينية توظّف لتبرير إجراءات سياسية.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- افتراض قصد مسبق لا تثبتها المصادر.

---

[١] يقصد مدينة مكة:أى مكة، تكررت لفظة المدينة في مواطن عديدة ويقصد بها مدينة مكة.

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٣٨

- تهميش شهادات عدّة وروايات مستقلة تذكر أسباباً مباشرة لخرق العهد بسبب القِتال بين بَنِي بَكْر وبَنِي خُزاعَة.
- تجاهل نتائجٍ لا تتوافق مع فرضية المؤامرة كإعلان العفو العام.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين قرأوا السيرة من زاوية سياسية عقلانية، لكنه لا يذهب أحد منهم إلى القول بأن حادث فتح مكة مفبرك، بل يشرح الدوافع السياسية والاجتماعية.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تكرّس نوعان من القراءة: واحدة نقدية تفحص الدوافع السياسية والاجتماعية، وأخرى أكثر تشكيكاً تصل إلى تواطؤ أو تلفيق التهم.[٣]

---

[١] انظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ - ١٤٣٦ هـ)

[٢] Fred M. Donner, , Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam, Harvard .University Press, 2010, pp. 82–84

فريد إم. دونر. سرديّات أصول الإسلام: بدايات الكتابة التاريخية الإسلامية.منشورات جامعة برنستون، ٢٠١٠، الصفحات ٨٢–٨٤.

[٣] Fred M. Donner Narratives of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing Princeton University Press, 1998 pp. 25–30

فريد إم. دونر. سرديّات أصول الإسلام: بدايات الكتابة التاريخية الإسلامية.منشورات جامعة برنستون، ١٩٩٨، الصفحات ٢٥–٣٠.

- **في الوسط الإسلامي:** كثير من الباحثين المسلمين كتبوا ردوداً تفنّد هذا النوع من الشبه المنسوبه للنبي–صلي الله عليه وسلم– ، لذلك استُخدمت ردود تفصيلية تعتمد على النصوص النقلية من السيرة والأحاديث، تبين أن أسباب فتح مكة كانت معللة بنحوٍ متسق في المصادر.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الشبهة تفترض أن وقوع حادث بين القبائل، ثم نزول آيات بعده(يعني أن الآيات نزلت لتبرير نقض العهد)، فهذا استنتاج غير صحيح، لأن تزامن حدثين لا يعني أن أحدهما سبب للآخر. ولكي يثبت أي شخص أن الوحي استُخدم لتغطية الحدث، يجب أن يقدّم دليلاً نصياً واضحاً يثبت أن النبي –صلي الله عليه وسلم– أو الصحابة الكرام قالوا إن الوحي صُنع أو غُيّر، وهذا غير موجود مطلقًا في الروايات الثابتة.
- الشبهة تقوم على فكرة أن النبي –صلي الله عليه وسلم– كان يخطط سراً لاختلاق ذريعة، لكن هذا افتراض بلا دليل،. لكن السبب الواضح للفتح هو نقض بني بكر للعهد باعتداءهم على خزاعة.[٢]

---

[١] انظر: جوامع السيرة النبوية، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)،(صـ١٧٧ومابعدها)،دار الكتب العلمية – بيروت.

[٢] انظر: فتح الباري، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، (٥١٩/٧)،المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

٢- **نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:**

- الأسباب التاريخية المصرّح بها توضح أن نقض العهد حصل بواسطة قتال بين بني بكر وبني خزاعة، وأن قبيلة خزاعة حظيت بحماية المسلمين، فكانت ذريعة قانونية تحالفية لنقض العهد، وهذا سردٌ متكرر في روايات متنوعة.
- غياب أثر أثري يدعم فرضية أن هناك مخططات داخلية سرية أو بيانات رسمية تُكشف عن اختلاق ذريعة، وما يوجد إلا تقارير حديثية متداخلة.
- نتائج الفعل لا تتوافق مع غاية النهب: لو كانت خطة للنهب أو مكاسب شخصية، لكان من المتوقع سياسة مختلفة بعد الفتح مثل: الغنيمة والعقوبات القاسية، لكن الواقع: أن النبي–صلى الله عليه وسلم– أمر بالعفو.[١]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين عرض قراءة سياسية عقلانية لصلح الحديبية ولفتح مكة، لكنه عمومًا رأى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان صاحب نية دينية صادقة رغم استخدامه للسياسة.[٢]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدّس يؤكد على ثبات الأنبياء في الوفاء بالعهد مع الله وعدم نقضهم له، وهو ما يمكن استخدامه للدلالة على أن الأنبياء لا يبتدعون ذريعة أو يخلقون حدثًا لتبرير تصرفاتهم:" فَيَكُونُ لِمَا فَعَلْتُ هذَا أَنِّي أَسْجِلُ فِي قَلْبِهِمْ لِئَلَّا يَنْسَوْا وَيَخْرِقُوا الْعَهْدَ بِرَبِّهِمْ إِلَهِهِمْ.."[١]

---

[١] انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير، للنمري، الحافظ يوسف بن البر،(صـ٢١١ ومابعدها)،المحقق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ

[٢] W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina, Oxford: Clarendon Press, 1956 – pp. 93–90

وات، و. مونتغومري، محمد في المدينة، أكسفورد: مطبعة كلارندون، ١٩٥٦، ص. ٩٠–٩٣.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

إن اتهام نالينو بانتهازه –صلي الله عليه وسلم- للفرص لنقض العهود، من أجل التسلط على القوم ونهبهم وسلبهم الحياة والمال، وفرض السيادة عليهم، كل هذا مردود عليه من خلال النقاط التالية:

أولاً: أن شريعتنا الإسلامية تدعوا دائماً وأبداً إلى الوفاء بالعهود والمواثيق: قال تعالى ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ [٢]،وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾.[٣]والوفاء بالعهد من صفات الأنبياء والمرسلين،كان –صلي الله عليه وسلم- أوفى الأوفياء بالعهود، فها هو يأمر عليَّ بن أبي طالب أن يَبِيت في فراشه ليلةَ الهجرة ليرُدَّ الأمانات إلى أهلها، أوَلَيس هو القائل كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلي الله عليه وسلم- : "أدِّ الأمانةَ إلى مَنِ ائْتَمَنكَ، ولا تَخُن مَنْ خَانَك"[٤] والإسلام أمر بالوفاء بالعهد مع غير المسلمين المقيمين في ديار الإسلام، مع حفظ حقوقهم كاملة، وفي مقدمتها الأمان لهم، وحرم الاعتداء على أعراضهم وممتلكاتهم، وأماكن عبادتهم. قال تعالى ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [٥]وهذا ماكان يفعله

---

[١] سفر يوشع، الإصحاح ٨ ، الآيه ١-٢٨

(٢) سورة الإسراء،الآية،٣٤

(٣) سورة المائدة،الآية،١

(٤) سنن أبي داود، لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، أول كتاب البيوع ، باب في قَبول الهدايا ،(٣٩٥/٥برقم٣٥٣٥)،المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.بإسناد حسن.انظر: جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد، لمحمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، كتاب القضاء ، الوقف والصلح والأمانة ،(٢٦٣/٢برقم٤٩٨٢).

(٥) سورة الممتحنة،الآية،٨

النبي –صلي الله عليه وسلم– مع المعاهدين عامة واليهود خاصة. بل حذر النبي –صلي الله عليه وسلم– لكل من تسول له نفسه بإيذاء معاهد: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النبي –صلي الله عليه وسلم– قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» "[1]، **قال ابن حجر**[2]:" قوله: (مَن قتل معاهَدًا) المراد به مَن له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزيةٍ، أو هدنةٍ من سلطانٍ، أو أمانٍ من مسلمٍ " .[3]

ثانياً: وفاء النبي –صلي الله عليه وسلم– بشروط صلح الحديبية: لقد وفى النبي –صلي الله عليه وسلم– بشروط صلح الحديبية فكان من شروط الصلح أن من جاء من عند النبي –صلي الله عليه وسلم– إلى قريش لاترده قريش، وأن من جاء من قريش للنبي –صلي الله عليه وسلم– رده إلى قريش، فجاء أبي جندل من قريش إلى النبي –صلي الله عليه وسلم– فرده لقريش: فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– يَكْتُبُ الْكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ، قَدْ انْفَلَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِي الْفَتْحِ، لِرُؤْيَا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنْ الصُّلْحِ وَالرُّجُوعِ، وَمَا تَحَمَّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– فِي نَفْسِهِ دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، حَتَّى كَادُوا يُهْلِكُونَ، فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلٌ أَبَا جَنْدَلٍ قَامَ إلَيْهِ فَضَرَبَ وَجْهَهُ، وَأَخَذَ بِتَلْبِيبِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ

---

[1] صحيح البخاري، كِتَابُ الجِزْيَةِ ، بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ ، (٤/٩٩برقم٣١٦٦).

[2] سبق ترجمته، (صـ ١٣٦).

[3] فتح الباري، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، (٢٥٩/١٢).

لَجَّتْ[(١)] الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَجَعَلَ يَنْتُرُهُ[(٢)] بِتَلْبِيبِهِ، وَيَجُرُّهُ لِيَرُدَّهُ إِلَى قُرَيْشٍ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَأُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي؟ فَزَادَ ذَلِكَ النَّاسَ إِلَى مَا بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– : يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ".[(٣)]

ثالثاً: نقض مشركي قريش لصلح الحديبية: فإن مشركى قريش هم الذين نقضوا الصلح الذي وقعه النبي –صلي الله عليه وسلم– مع سهيل بن عمرو في الحديبية، فكان من شروط صلح الحديبية أن القبيلة التى تنضم إلى أى حلف سواء كانت قريش أو النبي –صلي الله عليه وسلم– تكون جزء منه، ولايجوز الاعتداء عليها، فدخلت قبيلة بنو بكر في عهد قريش ودخلت قبيلة بنو خزاعة في عهد النبي –صلي الله عليه وسلم– ، ثم اعتدت قبيلة بنو بكر على قبيلة بنو خزاعة، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتلت معهم خزاعة التي كانت في عهد رسول الله –صلي الله عليه وسلم– ، فكان ذلك نقضا للصلح الذي أبرمته مع رسول الله –صلي الله عليه وسلم– بالحديبية: ثم حدث الأمر الذى أوجب نقص عهد قريش المعقود يوم الحديبية، وهو: أن خزاعة كانت فى عقد رسول الله –صلي الله عليه وسلم– : مؤمنها وكافرها، وكانت كفار بنى بكر

---

(١) لجت الْقَضِيَّة: تمت.انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)مادة لجج، (٤/٤٦٨). مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

(٢) ينتره: يجذبه جذبا شَدِيدا. انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]،مادة مقلوبه،(٩/٤٧٦)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٣) انظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، (١/٢٨٤)، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٧ هـ.

بن عبد مناة ابن كنانة فى عقد قريش، فعدت بنو بكر بن عبد مناة على قوم من خزاعة، على ماء لهم يقال له: الوتير، بأسفل مكة. وكان سبب ذلك: أن رجلا يقال له: مالك بن عباد الحضرمى، حليفا لآل الأسود بن رزن، خرج تاجرا، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، وذلك قبل الإسلام بمدة، فعدت بنو بكر بن عبد مناة، رهط الأسود بن رزن، على رجل من بنى خزاعة، فقتلوه بمالك بن عباد. فعدت خزاعة على سلمى وكلثوم وذؤيب، بنى الأسود بن رزن، فقتلوهم، وهؤلاء الإخوة أشراف بنى كنانة، كانوا يودون فى الجاهلية ديتين، ويودى سائر قومهم دية دية.

وكل هذه المقاتل قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام حجز ما بين من ذكرنا، واشتغل الناس به. فلما كانت الهدنة المنعقدة يوم الحديبية أمن الناس بعضهم بعضا، فاغتنم بنو الديل من بنى بكر بن عبد مناة تلك الفرصة، وغفلة خزاعة، وأرادوا إدراك ثأر بنى الأسود بن رزن. فخرج نوفل بن معاوية الديلى بمن أطاعه من بنى بكر بن عبد مناة، وليس كلهم تابعه، جاء حتى بيت خزاعة، وهم على الوتير، فاقتتلوا، ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح وأعانهم قوم من قريش بأنفسهم مستخفين، وانهزمت خزاعة إلى الحرم. فقال قوم نوفل بن معاوية: يا نوفل، الحرم، اتق الله إلهك. فقال الكافر: لا إله له اليوم، والله يا بنى كنانة إنكم لتسرقون فى الحرم، أفلا تدركون فيه ثأركم؟ فقتلوا رجلا من خزاعة يقال له: منبه، وانجحرت فى دور مكة، فدخلوا دار بديل بن ورقاء الخزاعى، ودار مولى لهم اسمه رافع، وكان هذا نقضا للعهد الواقع يوم الحديبية.[١]

فقريش هم الغادرون الناقضون للعهد والصلح، أما رسول الله –صلي الله عليه وسلم– فأبعد الناس عن تلك النقيصة، وهذه سيرته وسنته النبوية المطهرة حاضرة بين أيدينا لمن أراد أن يعرف ذلك عنه –صلي الله عليه وسلم– ، وبهذا تم نقض صلح الحديبية من قبل قريش فكان فتح مكة.

---

[١] جوامع السيرة النبوية، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، (صـ١٧٧). دار الكتب العلمية – بيروت.

المطلب الثامن

فرية الجهاد من أجل الاحتلال والنهب

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن العرب الذين لم يجدوا في تجارتهم المحلية ما يكفي، وجدوا في الجهاد برنامجاً سياسياً واقتصادياً ناجحاً. لقد كان الدافع وراء الفتوحات هو الرغبة في النهب والاستيلاء على ثروات الإمبراطوريات المجاورة (البيزنطية والفارسية)، ولم يكن الدين إلا غطاءً أيديولوجياً لتبرير هذا الغزو الجماعي وتحويله من نهب قبلي فوضوي إلى احتلال منظم للدول." [١]

“ma patti nuovi non si faranno più. Ormaiè la guerra aperta contro gl'infedeli perchè tali, e non soltanto,come in passato,perchè fedifraghi o pericolosi. La teoria dellaguerra santa è spinta cosi alle sue estreme conseguenze” [2]

“ولكن لن يتم إبرام اتفاقيات جديدة. الحرب مفتوحة الآن ضد الكفار لأنهم كفرة، وليس فقط، كما كان في الماضي، بسبب خيانتهم أو خطورتهم. تم دفع نظرية الجهاد إلى آفاقها النهائية” [٣]

٢- مضمون الشبهة:

- الشبهة تزعم أن الإسلام يتبنّى موقفًا دائمًا وغير قابل للتسوية تجاه الكفار، بحيث لن يتم عقد معاهدات جديدة معهم، وأن حالة الحرب مع غير المسلمين أصبحت حالة مستمرة.

---

(١) تجارة مكة ونشأة الإسلام، لباتريشيا كرون،(صـ١٣٣).

(2) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٥

(٣) حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٣٩

٣- هدف الشبهة:

- تبرير أعمال عدائية دائمة ضد غير المسلمين سياسياً أو فكرياً.
- تصوير الإسلام كعقيدة توسعية لا تقبل التعايش أو المعاهدات إلا استثناءً.
- التحريض على رفض أي سلمية أو تفاهم مع غير المسلمين.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تعميم مغلوط، حيث ينتقل النص من حالات واجتهادات تاريخية، أو نزعات لفئات معينه، إلى تعميم على الدين ككل.
- إشكال تعريفي: من غير الواضح من يقصد بالكفار؟ أهل الكتاب؟ مشركون؟ حكومات غير مسلمة؟ أفراد لا يُعاملون كأعداء؟، غموض المصطلح يجعل الاستنتاج غير معتبر عقليًا.
- مغالطة النتيجة: استنتاج أن إيجاد نصوص عن قتال، أو أن جوهر الإسلام هو القتال الدائم، فهذا تجاهل لسياق النصوص، والقيود التشريعية والشرعية.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يصفون الإسلام كونه عناصر جهادية متطرفة، وأن بعض المفكرين الجهاديين المعاصرين مثل: بن لادن يصورون الجهاد كواجب دائم، وكيف يُبرّر الجهاديون استعمال العنف، الأمر المحتمل ربطه بفكرة صراع طويل الأمد.[٢]

---

[١] انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين،(١٧٥/٧ومابعدها).

[٢] Cook, David. Understanding Jihad. 2nd ed. Berkeley: University of California Press, 2015, pp. 97–107.

كوك، ديفيد. فهم الجهاد. الطبعة الثانية. بركلي: جامعة كاليفورنيا برس، ٢٠١٥، الصفحات ٩٧–١٠٧.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

-**في الوسط الاستشراقي:** مثل هذه الشبه تزيد من تعميق الصور النمطية لدى قرّاء غير متخصصين وتكرّس قراءة سلبية مبسطة عن مفهوم الجهاد، لكنها عادة تُرفض أو تُعاد قراءتها في البحوث الجادة التي تميّز بين أبعاد الجهاد الروحانية، والقانونية، والسياسية.[١]

- **في الوسط الإسلامي:** تُحدث انقساماً: فئة متشددة تميل لتبنّي قراءات جهادية لتبرير السياسة والعنف، وفئة وسطيّة ترفض التعميم وتؤكد إطاراً ضابطاً شرعياً وقانونياً للجهاد والمعاملات مع غير المسلمين.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ - نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- مغالطة التعميم في تعميم سلوك أو فتوى فئة على كامل النص الإسلامي، فالاستدلال بصفة عامة على نظام تفكير ديني أو سياسي يجب عرض دليل عام مُثبت على ذلك.
- فقدان شرط الدليل السياقي، فالنصوص الشريعة تُقرأ وفق أسباب النزول والقيود النحوية والشرعية والاجتهادية، وأخذ جملة قصيرة خارج سياقها يفسد الاستدلال.

---

[١] Peters, Rudolph. Jihad in Classical and Modern Islam: A Reader. Princeton: Markus Wiener Publishers, 2005, pp. 9–11.

بترس، رودي. الجهاد في الإسلام الكلاسيكي والحديث: قراءات مختارة. برنستون: منشورات ماركوس وينر، ٢٠٠٥، الصفحات ٩-١١.

[٢] انظر: الجهاد في الإسلام، لمحمد عمارة،(صـ٥٥-٦٢، ٨٩-٩٤) ، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢م.

- التناقض الداخلي: إذا كان لا تُبرم اتفاقيات جديدة قاعدة ثابتة، فهذا مخل بالأدلة التاريخية العديدة على معاهدات ودية أو مؤقتة بين حكومة إسلامية وأطراف غير مسلمة، إذًا الشبهة تنهار منطقيًا أمام حقائق تاريخية موثقة.[١]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الوثائق التاريخية تُظهر أن المسلمين أجازوا وعقدوا معاهدات، حتى مع من هم في خلاف عقائدي كصلح الحديبية.[٢]
- الدول الإسلامية التاريخية الأمويون والعباسيون والعثمانيون عقدوا معاهدات تجارية وعسكرية مع دولٍ وممالك غير مسلمة عبر التاريخ فهذا يُنافي فكرة حرب دائمة.[٣]
- معاهدات بين دول إسلامية وغير إسلامية موجودة في سجلات الأرشيف العثماني تؤكد ممارسة السياسة والاتفاق.[٤]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يوضحون أن سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم- والسياسة الإسلامية تضمنت صيغاً للتعايش، معاهدات مؤقتة واستراتيجيات دفاعية وليس مقولة حرب دائمة.[٥]

---

[١] انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين،(١٧٥/٧ومابعدها).

[٢] انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ،(صـ٣٨٦ ومابعدها)،دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الثانية عشرة – ١٤٢٥ هـ.

[٣] انظر: تاريخ العرب العام،لحسين مؤنس ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٧م.

[٤] انظر: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،لسليم حسن، (صـ ٢١٥-٢٣٤)،مكتبة نحو، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

[٥] W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina, Oxford: Clarendon Press, 1956 – pp. 186–185

وات، و. مونتغومري، محمد في المدينة، أكسفورد: مطبعة كلارندون، ١٩٥٦، ص. ١٨٥–١٨٦.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدّس يؤكد من جهة العهد الجديد دعوة إلى التسامح والسلم مع الخصم، ومن جهة العهد القديم يتضمن نصوصاً عن حروب في سياقات تاريخية، لذا لا يمكن اختزال الكتاب المقدس كله في دعوة دائمة للحرب، كما لا يمكن اختزال الإسلام في دعوة دائمة للحرب:" أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَبَارِكُوا لِعَانِيكُمْ، وَأَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ"[١]:" وَعِنْدَمَا يُقُودُكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي تَدْخُلُ لِتَمْلِكَهَا، وَأَخَذَ الشَّعْبُ الأَرْضَ مِنْ أَمَامِكَ، فَادْفَعْ عَنْهُمْ كُلَّ السَّاكِنِينَ فِيهَا. لاَ تَصْنَعْ مَعَهُمْ عَهْدًا وَلاَ تَرْحَمْهُمْ."[٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

هذا فهم مغلوط، بل فرية من نالينو في طياتها الحقد والكراهية للإسلام ورسوله –صلي الله عليه وسلم– ، فالنبي –صلي الله عليه وسلم– لم تكن غزواته لغرض دنيويٍ أبداً، بل كانت أولاً:

١- **رد الاعتداء**[(٣)]: ومثاله ماحدث في غزوة بدر، حيث سُلبت أملاك المهاجرين فخرجوا من مكة لايجدون قوت طعامهم، فكانت قافلة قريش رداً على الإعتداء، قال تعالى﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [(٤)]

٢-**قتال من يقاتلنا**[(٥)]: ومثاله ماحدث في غزوة أُحد كان سببها مجيء قريش بجيشها لقتال المسلمين وأخذ الثأر منهم، ومعركة الخندق كان سببها تحريض اليهود لقريش على قتال

---

[١] انجيل متى، الإصحاح ٥ ، الآيه ٤٤

[٢] سفر التثنية، الإصحاح ٧ ، الآيه ١-٢

(٣) الذى وقع وقت الضعف.

(٤) سورة الحج،الآية،٣٩

(٥) إذا قويت شوكتنا.

المسلمين، قال تعالى﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾.[١]

٣-**الفتوحات**[٢]: فمن واجب الدولة الإسلامية أن تزيل كل حكم باطل في الأرض وإخضاعه لسلطان المسلمين لأن ذلك من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [٣]، فإذا رفض الإسلام ورفض أهله إعطاء الجزية وجريان القانون الإسلامي عليهم فَيُقَاتَلُون، قال تعالى﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [٤]

ثانياً: والناظر في سيرة النبي –صلي الله عليه وسلم– يعلم أنه لم يعش عيش الملوك والرفاهية:
فقد أتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ الْحَصِيرُ بِظَهْرِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كِسْرَى يَشْرَبُونَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْتَ هَكَذَا فَقَالَ النبي –صلي الله عليه وسلم– :"إِنَّهُمْ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا".[٥]

---

[١] سورة البقرة،الآية،١٩٠

[٢] إذا كانت الدولة الإسلامية بقوة كافية.

[٣] سورة الحج،الآية،٤١

[٤] سورة التوبة،الآية،٢٩

[٥] مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث/ عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، (٨٣/٨برقم٧٩٥٠).إسنادة صحيح. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبى الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، (٣٢٧/١٠برقم١٨٣٠٢).

ثالثاً: إن النبي –صلي الله عليه وسلم– كان دائم الوصايا لقواده بمايدل أنه –صلي الله عليه وسلم– لم يكن طالب مغنم ولا سيادة، بل كان هدفه الوحيد إبلاغ دين الله للناس، وإزالة العوائق المعترضة سبيل الدَّعوة: فقد وصى النبي –صلي الله عليه وسلم– معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[(١)] فهو –صلي الله عليه وسلم– لم يقاتل أحداً، قبل دعوته إلى الإسلام، الذي تصان به الدماء والحرمات.

رابعاً: والفتوحات والمعارك تُظهر كيف ربي النبي –صلي الله عليه وسلم– أصحابه الكرام على إعلاء كلمة الله عز وجل، وترك الدنيا ومافيها من جاه ومال وسلطان: ولنا في فتح مصرنا الحبيبة أفضل مثال:

وصف المقوقس المسلمين الفاتحين فقال: (والله إنهم على قلتهم وضعفهم –يريد المسلمين– أقوى وأشد منا، على كثرتنا وقوتنا.. إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل، يتمنى ألا يرجع إلى أهله ولا بلده، ويرون أن لهم أجرا عظيما، فيمن قتلوا منا، ويقولون إنهم إن قتلوا، دخلوا الجنة، وليس لهم لذة في الدنيا ولا رغبة، إلا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس، ونحن قوم نكره الموت، ونحب الحياة ولذتها، فكيف نستقيم نحن وهؤلاء؟ وكيف صبرنا معهم؟

ومهما يقال في تأييد هذين القولين: قول رسل المقوقس، وقول المقوقس، في وصف المسلمين الفاتحين، تصديقا، أو تشكيكا، فإن أفعال المسلمين الفاتحين، تصدق هذين القولين، والأفعال أبلغ

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ لاَ تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ، (١١٩/٢برقم١٤٥٨).

وأصدق من الأقوال وأجدى، فالتطبيق العملي للفتح هو الحكم الفصل في تصديق هذين القولين، وغيرهما من أمثالهما من الأقوال، والسيف أصدق إنباء من الكتب.

لقد انتصر العرب بالإسلام، ولن ينتصروا بغيره في يوم من الأيام، والتاريخ خير دليل على ذلك، وكانت انتصارات المسلمين الفاتحين انتصارات عقيدة بدون شك، جعلت من المجتمع الإسلامي الأول، مجتمعا يضم قادة متميزين، وجنودا متميزين، ولم يكونوا كذلك، قبل أن يعتنقوا هذه العقيدة، ويتمسكوا بتعاليمها، كما هو معروف، فلما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر، عزا سبب الإبطاء إلى تغيير الفاتحين ما بأنفسهم.[١]

خامساً: والحق ماشهدت به الأعداء يقول المستشرق وليام وات[٢]، في كتابه محمد –صلي الله عليه وسلم– في المدينة: (أن النبي –صلي الله عليه وسلم– كان يقول أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد[٣]).[٤]

سادساً: والناظر فى تاريخ الحروب في الأرض يجد أن حروب الرسول عليه الصلاة والسلام هي من أرحم الحروب مطلقاً في تاريخ الإنسانية: ولو نظرتم إلى حال الإنجليز والفرنسيين في الحروب، تجد أن ملايين المدنيين قتلوا في مقابل آلاف الجنود فقط، بينما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل مدنياً واحداً، بل كان يأمر الناس أن (اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ

---

[١] انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)، (١١٧/١). المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

[٢] سبق ترجمته، (صـ٤٤).

[٣] شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، (١١٦/٨برقم٥٥٧٢).

[٤] انظر: محمد في المدينة، لويليم مونتجمري وات،(صـ٥).

كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا)[١]، فالأمر ليس على إطلاقه أننا نحارب كل الكفار ونقتل كل الكفار، بل نقف أمام كل من يعتدى علينا.

[١] صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ، وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا ،(١٣٥٧/٣برقم ١٧٣١).

المطلب التاسع

فرية توفي سيدنا محمد-صلي الله عليه وسلم-وترك أمته على أسس غير معروفه

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن محمداً-صلي الله عليه وسلم- لم يعين خليفة له، ولم يضع أي إجراءات دستورية لانتخاب رئيس للدولة من بعده. ويبدو أنه كان يعتقد أن الجماعة ستستمر بتوجيه إلهي، لكنه من الناحية العملية ترك الأمة في فراغ سياسي خطير. إن هذا الغياب للأسس الواضحة هو الذي أدى إلى انفجار التناقضات القبلية في سقيفة بني ساعدة بين المهاجرين والأنصار." [١]

“male spiró il lunedi 8 giugno 632, dopo breve delirio, lasciando nella costernazione la comunità ch'egli aveva creata su basi e con forme sino allora sconosciute in Arabia.

Dio stesso aveva proclamato nel Corano che Maometto era un uomo come gli altri, non dotato di poteri soprannaturali, e che il solo miracolo suo era quello di ricevere messaggi divini. Mal- grado ciò, per istintivo bisogno dell'anima popolare e dei nuovi convertiti dapprima, con il consenso e l'ausilio dei dotti dipoi, le successive generazioni musulmane andarono elaborando la leg- genda miracolosa di Maometto, sulla base di elementi folkloristici, di racconti degli apocrifi cristiani, di leggende

---

(١) محمد في المدينة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ٣٧٠) ،الترجمة: تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية.، ٢٠٠٢م .

talmudiche e rab– biniche, d'arbitrarie interpretazioni di passi coranici e perfino di concetti derivati dal parsismo e da teorie gnostiche e neoplato–niche” [1]

"توفي يوم الاثنين ٨ يونيو ٦٣٢، بعد فترة قصيرة من الهذيان، تاركاً المجتمع الذي أسسه على أسس وبأشكال غير معروفة حتى ذلك الحين في الجزيرة العربية في حالة من الصدمة. نفس الله قد أعلن في القرآن أن محمد –صلي الله عليه وسلم– كان إنساناً مثل الآخرين، ليس لديه قوى خارقة، وأن معجزته الوحيدة كانت استقبال رسائل إلهية. وعلى الرغم من ذلك، نظرًا للحاجة الطبيعية والأولية للشعب والمعتنقين الجدد، ذهبت الأجيال اللاحقة من المسلمين، في البداية بموافقة ومساعدة العلماء لاحقًا، إلى صقل أسطورة معجزات محمد –صلي الله عليه وسلم– ، استنادًا إلى عناصر شعبية وقصص مسيحية غير كنسية وأساطير تلمودية وربانية وتفسيرات استباحية للآيات القرآنية وحتى مفاهيم مأخوذة من الزرادشتية والنظريات الغنوصية والأفلاطونية الجديدة" [٢]

٢ – مضمون الشبهة:

- تزعم أن وفاة النبي –صلي الله عليه وسلم– كانت طبيعية، وليس موتًا بمعجزة أو استثنائيًا، فالقرآن نفسه يعتبر النبي –صلي الله عليه وسلم– إنسانًا عاديًا، وأن المعجزة الوحيدة للنبي –صلي الله عليه وسلم– هي الوحي.
- تزعم أن الاعتقاد في المعجزات الكبرى للنبي –صلي الله عليه وسلم– هو اصطناع لاحق من الأجيال، بدعم من العلماء، استنادًا إلى مصادر غير إسلامية كالقصص الشعبية، والأساطير المسيحية، والزرادشتية، والغنوصية، ووالفلسفة الأفلاطونية.

---

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٦

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٤٠

٣- هدف الشبهة:

- تقليص البعد الإعجازي للنبي -صلى الله عليه وسلم- من خلال القول إن المعجزات التي يؤمن بها المسلمون هي في الأصل أسطورة متشكّلة لاحقًا.
- تقديم صورة للنبي -صلى الله عليه وسلم- كإنسان عادي تمامًا، ليس بالضرورة مميزًا بكثير من المعجزات الخارقة، مما قد يقلّل من قداسة صورته في الفكر الإسلامي.
- تقويض بعض الأسس العقائدية للإعجاز في الإسلام من خلال نسبة تلك المعجزات إلى التأثر بالخرافات والأساطير الدينية الأخرى.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- سؤال منطقي: إذا لم يكن لدى النبي -صلى الله عليه وسلم- معجزات خارقة، فلماذا ورد في المصادر الإسلامية كالسيرة والأحاديث كثير من الروايات التي تروي معجزات مثل الإسراء والمعراج، شقّ القمر، الشفاء..؟
- الشبهة تفترض أن كل هذا اصطناع لاحق بسبب مصادر غير إسلامية، لكن هذا يحتاج إلى دليل تاريخي موثق، وإلا فما المصادر غير الإسلامية التي استخدمها علماء مسلمون؟ وهل هناك كتب في الفقه أو التفسير الإسلامي أو السيرة الأولى تدعم هذا الزعم؟[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يقولون أن معجزات النبي -صلى الله عليه وسلم- مأخوذة من تأثر خارجي وليس حقيقتها الأصلية.[٢]

---

[١] انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)،(٥/٧٢)،مكتبة الخانجي – القاهرة.

[٢] Zilio-Grandi, Ida. “Maria Nallino (1908-1974) and the Birth of Arabic and Islamic Studies at Ca’ Foscari.” In 150 Years of Oriental Studies at Ca’ Foscari, edited by Laura De Giorgi and Federico Greselin, 85-94. Venice: Edizioni Ca’ Foscari, 2018.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تُستخدم لتبرير رؤية علمانية أو نقدية للإسلام، تقول إن المعجزات التي يؤمن بها المسلمون جزء من تراث شعبي أو تأثر خارجي وليس حقيقتها الأصلية.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** قد تثير هذه الشبهة ردودًا دفاعية قوية، لأنها تمس أحد أركان العقيدة (المعجزة).[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- من المنطقي جدًا أن الأجيال الأولى من المسلمين روت معجزات النبي-صلي الله عليه وسلم-لأنها رأت فيها دلالة قوية على صدق الرسالة، وليست أسطورة مخترعة لاحقًا دون أساس.

زيلو-غراندّي، إيدا. ٢٠١٨. «ماريا نالينو (١٩٠٨-١٩٧٤) ونشأة الدراسات العربية والإسلامية في جامعة فوسكاري». في ١٥٠ عامًا من الدراسات الشرقية في فوسكاري ، تحرير لورا دي جيورجي وفيديريكو جريسلين، ٨٥-٩٤. البندقية: قصر فوسكاري.

[١] Hoyland, Robert G. In God's Path: The Arab Conquests and the Creation of an Islamic Empire. Oxford: Oxford University Press, 2015, pp.105.

هويلاند، روبرت ج. في سبيل الله: الفتوحات العربية وقيام الإمبراطورية الإسلامية. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠١٥.الصفحات ١٠٥

[٢] انظر: رسالة الإسلام في الدفاع عن السنة والمعجزات النبوي، لمحمد رشيد رضا،(صـ ١١٢-١١٣) ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٣٠م.

- ادعاء أن كل معجزة نُسِجت من مصادر غير إسلامية يتطلب دليلًا قويًا من علماء مسلمين يقولون هذه المعجزة من الأساطير، وهذا غير واضح من المصادر الأساسية الإسلامية.
- من الناحية المنطقية وجود تشابه بين مفاهيم دينية عبر الأديان، لكن لا يعني بالضرورة أن الإسلام استعار المعجزات من هذه الأديان.[١]

٢- **نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:**

- هناك عدد كبير من روايات السيرة النبوية والأحاديث الشريفة تروي معجزات النبي – صلي الله عليه وسلم– كالإسراء والمعراج، شقّ القمر..، وقد جمعها المحدثون في الأسانيد، وهذا يجعل من الصعب جدًا أن تكون كل هذه المعجزات مجرد أسطورة لاحقة.
- لا يوجد دليل أثري يثبت أن المسلمين في بداياتهم قالوا إن معجزات النبي –صلي الله عليه وسلم– كلها من عناصر تلمودية أو زرادشتية مثل هذا المدّعاة يُمكن أن تكون نظرية حديثة جدًا أو تحليل لجيل استشراقي وليس وصف لتاريخ المسلمين الأوائل بناءً على مصادر تاريخية موثقة.[٢]

---

[١] انظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي،(٤٥/٣٣٦)، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ - ١٤٣٦ هـ)

[٢] انظر: السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد[ت: ٢١٣هـ]، (٤/١٧٣)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد،، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يقرون أن المصادر الأدبية الخاصة بأوائل الجماعة الإسلامية لا تقدم رواية تاريخية لبدايات الإسلام، بل تمثّل تاريخًا أصلياً صيغ في وقت متأخر، وتشكل وفق احتياجات تفسيرية، ويُعبر عنه من خلال مجموعة من الروايات هدفها لاهوتي أكثر منه تاريخي.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدّس يؤكد أن الأديان غالبًا ما تشترك في مفاهيم روحانية مشتركة مثل المعجزات، دون أن تكون مطابقة تامة:" فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَسَاقَ الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً، وَانْشَقَّ الْمَاءُ"[٢]:" فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلًا: أُرِيدُ، فَاطْهُرْ! فَلِلْوَقْتِ طَهُرَ بَرَصُهُ."[٣]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

في خواتيم اتهامات نالينو لرسولنا –صلى الله عليه وسلم– أنه ترك أمته على أسس غير معروفة أشكالها وملامحها، ويُدين علماء الإسلام في تناقلهم لدين الإسلام ووصوله إلينا على أنه أسطورة مزيفة مستمدة من أساطير وأمثال شعبية، وقصص مسيحية غير كنسية، وأساطير تلمودية،

---

[١] Wansbrough, John. Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation. Oxford: Oxford University Press, 1977, p. 22

وانزبرو، جون، دراسات قرآنية: المصادر وطرائق التفسير النصّي، أوكسفورد: منشورات جامعة أوكسفورد، ١٩٧٧، ص. ٢٢.

[٢] سفر الخروج، الإصحاح ١٤ ، الآيه ٢١

[٣] انجيل متى ، الإصحاح ٨ ، الآيه ٣

وتفسيرات استباحية للآيات القرآنية، وحتى مفاهيم مأخوذة من الزرادشتية[١]، والنظريات الغنوصية[٢]

والأفلاطونية الجديدة[٣]، لذا أشعر وكأن نالينو لفظ أنفاسه الآخيرة في نهاية كتابه عن حياة سيد المرسلين –صلي الله عليه وسلم– في مكة والمدينة، فأقول:

---

[١]وترجع الزرادشتية إلى مؤسسها زرادشت بن اسبتمان، ولد زرادشت في مدينة أذربيجان الواقعة غربي بحر قزوين في منتصف القرن السابع قبل الميلاد،.وقد اختلف علماء الدين في حقيقة شخصية زرادشت فمنهم من يرى أنها شخصية أسطورية صنعها الكهنة ورجال الدين الفارسي في خيال الناس لتدعيم عملهم وتحقيق مكاسب لهم، وقد حدد القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين رسولا ليس منهم زرادشت.انظر: الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة)، ليوسف العاصي إبراهيم الطويل،(٢٣٥/١)،صوت القلم العربي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م

[٢] الغنوصية : اسم يطلقه النصارى على فرق عديدة، تجمع في عقيدتها بين إلهين اثنين أو أكثر، وتبني مطالبها على المعرفة، وهى فرقة دينية فلسفية متعددة الصور مبدؤها أن المعرفة الحقة هو الكشف عن طريق الحدس الحاصل عن اتحاد العارف بالمعروف وليس عن طريق العلم والإستدلال ، وقد نشأت في القرن الأول الميلادي بتأثير اختلاط الثقافة اليونانية بثقافة الشرق ومن زعمائها (أفلوطين) فيلسوف القرن الثالث الميلادي.انظر: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي، إدوارد براوان (المتوفى: ١٩٢٦ م)،(٤٥٥/٦)،تعريب: إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة،ن الطبعة: الأولى – ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م

[٣] تأسست الأفلاطونية الجديدة في مدينة الإسكندرية على يد أفلوطين ٢٠٥ – ٢٧٠م الذي درس الفلسفة () اليونانية واطلع على الديانات القديمة والأساطير والسحر والشعوذة.وهي تختلف اختلافاً جوهريًّا عن آراء أفلاطون اليوناني: إذ إنها تؤمن بإله مفارق للكون. وهذا الإله يفيض عنه الكون والوجود كله بما فيه من مخلوقات.فالأفلاطونية الجديدة خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية واليهودية والنصرانية، والأساطير، وغيرها.انظر: حاشية كتاب: التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي)،للدكتور مصطفى خالدي – الدكتور عمر فروخ، (صـ٢٢٣)،المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٩٧٣

أولاً: ما كانت معجزات رسولنا -صلي الله عليه وسلم- من قصص المسيحية ولا أساطير تلمودية، ولا حتى مقتبسة كما يقول نالينو من الزرادشتية والنظريات الغنوصية والأفلاطونية الجديدة، بل وحى من الله عز وجل لنبيه -صلي الله عليه وسلم- : قال جل شأنه: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ ﴾ [(١)]، وقال سبحانه﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾[(٢)]، و قال سبحانه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [(٣)]،وقال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾.[(٤)]وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨ ﴾ [(٥)].

ثانياً:إن المعتمد في البحوث التي تتناول إنتاجاً فكرياً لكاتب ما، ومحاولة معرفة مصادر أفكاره ومعلوماته، هو أن تستقصى حياته الشخصية والعلمية وحالة بيئته التي عاش فيها من جميع النواحي حتى يتمكن الباحث من استخلاص مصادر أفكار هذا الكاتب: لكن نالينو لا يلقى بالاً لهذه المسألة عندما يتكلم عن مصدر القرآن الكريم الذي يستقي منه نبينا -صلي الله عليه وسلم- ، لأنه يعلم قطعاً اقتلاع شبهته من جذورها. فلو كانت شبهته هذه حقا، للزم منها أن يكون النبي

---

(١) سورة النجم، الآية: ١-١١.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥ .

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٣ .

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨ .

-صلي الله عليه وسلم- قد عاش في بلدة تعج بالمكتبات والكتب، بمختلف اللغات ومختلف التخصصات الدينية والتاريخية والقانونية وأدب الأساطير، وأن يكون النبي -صلي الله عليه وسلم- ملماً بعدد من اللغات، وأن يكون قد امتلك قدرة على القراءة، ولظهر أثر هذه الكتب في القرآن الكريم من حيث الأسلوب ومن حيث المصطلحات وغير هذا.

وهذا الظلم في التعامل مع القرآن الكريم وعدم الإنصاف هو نفسه الذي وقع فيه كفار قريش، لأنه لم يكن همهم معرفة الحقيقة وإنما صرف الناس عنها، فعاب الله تعالى عليهم ذلك بقوله﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [١]، **قال ابن القيم رحمه الله تعالى**[٢]: وقال في إثبات نبوة رسوله باعتبار التأمل لأحواله وتأمل دعوته وما جاء به: (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ) [٣] الآيات.فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول، وتأمل حال القائل، فإن كون القول للشيء كذبا وزورا يعلم من نفس القول تارة، وتناقضه واضطرابه وظهور شواهد الكذب عليه، فالكذب باد على صفحاته، وباد على ظاهره وباطنه، ويعرف من حال القائل تارة فإن المعروف بالكذب والفجور والمكر والخداع لا تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله، ولا يتأتى منه من القول والفعل ما يتأتى من البار الصادق المبرأ من كل فاحشة وغدر وكذب وفجور، بل قلب هذا وقصده وقوله وعمله يشبه بعضه بعضا، وقلب ذلك وقوله وعمله وقصده يشبه بعضه بعضا. فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول وتأمل سيرة القائل وأحواله وحينئذ تتبين لهم حقيقة الأمر وأن ما جاء به في أعلى مراتب الصدق".[٤]

---

[١] سورة المؤمنون، الآية: ٦٨-٧٠.

[٢]سبق ترجمته، (صـ٧٠).

[٣] سورة المؤمنون، الآية: ٦٨ .

[٤] انظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ،(٢/٤٦٩ ومابعدها).

ثالثاً: **فالنبي –صلي الله عليه وسلم– كان يعيش في قريش ولم يثبت أنه ذهب وتعلم من المسيحية ولا أساطير تلمودية، ولا الزرادشتية والنظريات الغنوصية والأفلاطونية الجديدة**: حيث قال سبحانه وتعالى ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(١)،

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:(٢) أني قد لبثت فيكم عمري إلى حين أتيتكم به، وأنتم تشاهدوني وتعرفون حالي، وتصحبوني حضرا وسفرا، وتعرفون دقيق أمري وجليله، وتتحققون سيرتي هل كانت سيرة من هو من أكذب الخلق وأفجرهم وأظلمهم؟! فإنه لا أكذب ولا أظلم ولا أقبح سيرة ممن جاهر ربه وخالفه بالكذب والفرية عليه وطلب إفساد العالم وظلم النفوس والبغي في الأرض بغير الحق. هذا وأنتم تعلمون أني لم أكن أقرأ كتابا ولا أخطه بيميني، ولا صاحبت من أتعلم منه، بل صحبتكم أنتم في أسفاركم لمن تتعلمون منه وتسألونه عن أخبار الأمم والملوك وغيرها ما لم أشارككم فيه بوجه، ثم جئتكم بهذا النبأ العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين وعلم ما كان وما سيكون على التفصيل فأي برهان أوضح من هذا! ".(٣)

وقال الشيخ المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:(٤) في هذه الآية الكريمة حجة واضحة على كفار مكة، لأن النبي –صلي الله عليه وسلم– لم يبعث إليهم رسولا حتى لبث فيهم عمرا من الزمن، وقدر ذلك أربعون سنة، فعرفوا صدقه، وأمانته، وعدله، وأنه بعيد كل البعد من أن يكون كاذبا على الله تعالى، وكانوا في الجاهلية يسمونه الأمين، وقد ألقمهم الله حجرا بهذه الحجة

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٦ .

(٢)سبق ترجمته، (صـ٧٠).

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،)،(صـ٨٦).

(٤)سبق ترجمته، (صـ٧٠).

في موضع آخر، وهو قوله: ﴿ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[1] ولذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان، ومن معه عن صفاته –صلي الله عليه وسلم– ، قال هرقل لأبي سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: فقلت: لا. وكان أبو سفيان في ذلك الوقت زعيم الكفار، ورأس المشركين ومع ذلك اعترف بالحق، والحق ما شهدت به الأعداء. فقال له هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله..ولذلك وبخهم الله تعالى بقوله هنا: (أَفَلَا تَعۡقِلُونَ).[2]

رابعاً: إنه من المستحيل في مجرى العادة أن يتم إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته ثم ينضج النضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف، بحيث يصبح أستاذ العلم كله لمجرد أنه لقي مصادفة واتفاقاً راهباً من الرهبان مرتين، على حين أن هذا التلميذ كان في كلتا المرتين مشتغلا عن التعليم بالتجارة، وكان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكان صغيراً تابعاً لعمه في المرة الأولى، وكان حاملا لأمانة ثقيلة في عنقه لا بد أن يؤديها في المرة الثانية، وهي أمانة العهد والإخلاص في مال خديجة وتجارتها.[3]

خامساً: أما بالمسبة للزرادشتية فبالرغم من أن تاريخها قديم قبل بعثة النبي –صلي الله عليه وسلم– ، إلا أن مصادرهم قد كتبت بعد ظهور الإسلام بقرنين وزيادة. وبعد بعثة النبي –صلي الله عليه وسلم– وظهور الإسلام وسيطرته على بلاد فارس، كانت القوة والغلبة للإسلام، فالواقع أنهم كتبوا مصادرهم التي فيها وصف صلاتهم وعباداتهم، تحت ظل الإسلام، متأثرين بتعاليمه وشرائعه، والعادة أن المهزوم يقتبس من المنتصر الكثير .وقد نص عدد من المراجع والدراسات

---

[1] سورة المؤمنون، الآية: ٦٩ .

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، (١٥٣/٢)،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ

[3] انظر:السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)،(٩٩/١).

على أن الزرادشتية أخذت من الإسلام، بعد أن سيطر الإسلام على دولة فارس، وعدلوا في دياناتهم ليقربوها إلى التوحيد، ليحاجوا أهل الديانات الأخرى وخصوصًا الإسلام.[١]

سادساً: وأما بالنسبة للنظريات الغنوصية فلم تأمل الغنوصية في بلاد ما بين النهرين خيرًا من الإسلام الذي شكَّل النقيض لها من خلال عقيدته التوحيدية. لذلك سقطت العقيدة المعرفية (الغنوصية) أمام الاضطهادات الإسلامية، إذ أُبيدَت المانوية[٢] ودُحِرَتْ إلى خلف الحدود، فاضطرت إلى اللجوء إلى أواسط آسيا. ولم يبدأ اضطهاد غنوصيي بلاد ما بين النهرين بعد الفتح العربي مباشرة، إذ لم تكن اضطهادات الخلفاء الأمويين (حتى سنة ٧٥٠ ميلادية) منظمة، وكان هؤلاء الخلفاء يطاردون دعاة الرسالة العباسية إلى الزنادقة المسلمين ذوي التعاليم القائلة بالغنوصية. وبلغت موجة الاضطهادات ذروتها بين العامين ٧٨٠ و٧٨٦، أي في عهد المنصور بن المهدي. وكبَّدتْ عملياتُ الإعدام والهجرةُ والدعوةُ إلى الإسلام، بين القرنين الثامن والعاشر للميلاد، الزنادقة والمانويين الغنوصيين خسائر فادحة، فأدَّتْ في النهاية إلى زوالهم. وأعلن المسلمون أن منهج اليونان أو منهج الغنوصية الشرقي كلاهما باطل وأن للإسلام منهجاً خاصاً مستقلاً كما نفعل نحن اليوم إزاء ما يقدمه التغريبيون من فكر الشرق والغرب مما هو ليس مقبولاً في الإسلام بحال.[٣]

---

[١] انظر: ايران في عهد الساسانيين، لارثر كريستنسن،(صـ٥٤٧،١٢٢)،ترجمة: يحيى الخشاب، راجعه: عبد الوهاب عزام، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م.

[٢] المانوية: هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم،أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، يزعم أن صانع العالم اثنان: أحدهما فاعل الخير وهو النور، وثانيهما فاعل الشر وهو الظلمة، وهما قديمان أزليان لم يزالا، ولن يزالا، وهما مختلفان في النفس والصورة، متضادان في الفعل والتدبير.

انظر: الرد على الجهمية والزنادقة، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،(صـ٥٨)،المحقق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

[٣] انظر:الغنوصية في الإسلام، لهاينس هالم،(صـ٦)، ترجمة،رائد الباش، مراجعة د،سالمة صالح، مكتبة التنوير، منشورات دار الجمل، بيروت،الطبعة: الثانية، ٢٠١٠م.

سابعاً: وأما بالنسبة للنظريات الأفلاطونية الجديدة فهي خلاصة آراء بعض الفلاسفة الملحدين، وهي خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية واليهودية والنصرانية والأساطير وغيرها، فتقول بوجود إله "هو المبدأ الأسمى للوجود، بسيط لا نظير له، وهو الخير المطلق عند أتباعها، وهذا الإله تفيض عنه الأشياء جميعاً ولا تنفصل عنه، والعقل هو الأساس الوحيد لإدراك حقيقة الألوهية التي لا يمكن الوصول إليها عن طريق نوع آخر من أنواع المعرفة". ولا شك أن هذه الآراء مرفوضة من وجهة النظر الإسلامية وقد أبان مفكرو الإسلام تهافتها من أكثر من وجه.[(١)] لأن الأفلاطونية الجديدة من أهم أهدافها إبعاد المسلمين عن الإسلام الحقيقي وتعاليمه الصافية النقية المعتدلة وباسم الإسلام، لقتل روح الجهاد وفكرة إعلاء كلمة الله وأن يكون الدين كله لله، وتبليغ رسالات الله وأدائها إلى الأمم والملل كافة في أنحاء المعمورة كلها. [(٢)]

ختاماً: ترك النبي –صلي الله عليه وسلم– أمته وقد أكمل الله عز وجل لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غيره –صلي الله عليه وسلم– ، قال تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [(٣)]، وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَقَدْ خَطَبَنَا النبي –صلي الله عليه وسلم– خُطْبَةً، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ»[(٤)] وعن أَبي زَيْدٍ يَعْنِي عَمْرَو بْنَ أَخْطَبَ، قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ

---

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)،(صـ٧٧)،المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: ١٤١٣هـ

(٢) انظر: دراسات في التصوف، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)،(صـ١٢٦)،دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٣) سورة المائدة،الآية،٣

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ القَدَرِ ، بَابُ {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [الأحزاب: ٣٨]،(٨/١٢٣برقم٦٦٠٤).

وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ»[1]وهكذا تركنا نبينا محمد –صلي الله عليه وسلم– على الطريق البين الواضح لكل مبتغى رضاه سبحانه وتعالى، فعن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: " قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، فمَنْ يَعِش مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ".[2]

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ،(٢٢١٧/٤برقم٢٨٩٢).

[2] سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، لابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، أَبْوَابُ السُّنَّةِ ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، (٢٩/١برقم٤٣)،المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م،بإسناد صحيح.انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)،الباب الثاني: في الاعتصام بالكتاب والسنة، في الاعتصام بالكتاب والسنة ، (١٨٢/١برقم٩٢٠)، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

المطلب العاشر

فرية قصيدة البردة نموذجاً من أسطورة سيدنا محمد-صلي الله عليه وسلم-

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن قصيدة البردة تعكس حاجة الجماهير المسلمة إلى وسيط إلهي. لقد ساهمت هذه القصائد في تحويل محمد من مُبلغ للوحي إلى كيان كوني. وهذه 'الأسطورة' التي بدأت بالبردة وتطورت مع البوصيري، جعلت من شخصية النبي مركزاً للكون، وهي صورة تختلف تماماً عن الصورة البسيطة التي يقدمها القرآن لمحمد كبشر يوحى إليه." [١]

"Leggenda di cui lo stesso poemetto la Burdah, composto nel secolo XIII d. Cr. ed ancor oggi abitualmente recitato nelle sere del ramadan, non offre se non un saggio modesto، poichè non mancano gli scrittori autorevoli che fanno ascendere i suoi miracoli ad oltre tremila e li classificano in diverse categorie. Sovra tutto notevoli per la loro popolarità e per il posto che oe- cupano nei catechismi moderni, sono i vari portenti che prean- nunziarono la nascita di Maometto, i miracoli della sua infanzia, il viaggio notturno (isra') a Gerusalemme, la salita al cielo (mi

(١) مقدمة القرآن، لريتشارد بل،(صـ١٦٥).

'rāg) sulla cavalcatura al-Buraq, e la scissione della luna (inšiqaq al-qamar) operatasi in seguito a preghiera di Maometto. [1]

"تعد قصيدة البردة نموذجًا متواضعًا من هذه الأسطورة، حيث لا يزال يُلازم تلاوتها بانتظام في أمسيات رمضان، إذ لا ينقصها الكتّاب المرموقون الذين يصعدون معجزاتها إلى أكثر من ثلاثة آلاف ويصنفونها في فئات مختلفة. ومن بين الأمور الملحوظة بشدة لشهرتها وللمكانة التي تحتلها في المناهج الدينية الحديثة، تظهر المعجزات المختلفة التي تنبأت بولادة محمد -صلي الله عليه وسلم- ، ومعجزات طفولته، والرحلة الليلية (الإسراء) إلى القدس، وصعوده إلى السماء (المعراج) على جواد البراق، وانشقاق القمر (انشقاق القمر) الذي حدث بعد دعاء محمد -صلي الله عليه وسلم- . [٢]

٢- مضمون الشبهة:

- تفترض الشبهة أن قصيدة البردة جزء من تراث أسطوري حول النبي-صلي الله عليه وسلم-.
- التراث الشعبي هو الذي ضخّم المعجزات وجعلها بالآلاف.
- هذه الروايات ليست أصيلة، بل تطوّرت متأخرًا.

٣- هدف الشبهة:

- الهدف الخفي هو نزع القيمة التاريخية للمعجزات.
- الادعاء بأن السيرة تطورت أدبيًا وشعبيًا وليس وحيًا أو تاريخًا.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- خلط بين الأدب الشعري (البردة) وبين المصادر الأصلية (القرآن – الحديث).
- تجاهل أن القرآن نفسه يحتوي على معجزات.

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٦

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٤٠-٤١

- ادعاء ٣٠٠٠ معجزة غير موثق علميًا.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يقولون أن النبي -صلي الله عليه وسلم- ترك على مدى قرونٍ طويلة أدبًا ضخمًا وعددًا كبيرًا من المعجزات والوقائع الخارقة، وكثيرٌ منها نشأ ضمن التديّن الشعبي أكثر منه في أقدم المصادر التاريخية.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** الشبهة تفيد بأن معجزات النبي -صلي الله عليه وسلم- وأحداث سيرته ليست أصلية بالكامل، بل نتاج تراكمات شعبية وأدبية لاحقة، وهذا النوع من الشبهة يُستخدم في الدراسات الاستشراقية لدعم نظرية التطور الأسطوري للدين.[٣]
- **في الوسط الإسلامي** الشبهة تُعتبر قراءة غير دقيقة لأنها تُخلط بين الأدب الديني المتأخر (مثل قصيدة البردة) وبين النصوص القرآنية والحديثية الأصلية. وتُغفل أن المعجزات واردة في

---

[١] انظر: العمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري،تحقيق: عبد الله أحمد جاجة،(صـ٥٧)، تقديم: محمد علي سلطاني، دار اليمامة للطباعة والنشر – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ

[٢] Goldziher, Ignaz. Muslim Studies Muhammedanische Studien Trans. C. R. Barber & S. M. Stern. London: Allen & Unwin, 1971, vol. 2, p. 356

جولدزيهر، إغناس.دراسات إسلامية .ترجمة: سي. آر. باربر وس. إم. ستيرن.لندن: دار ألن وأونوين، ١٩٧١،المجلد الثاني، ص ٣٥٦.

[٣] Wansbrough, John. Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation. Oxford: Oxford University Press, 1977, p. 22

جون وانزبروغ، دراسات قرآنية: مصادر وطرائق التفسير النصّي، أوكسفورد: جامعة أوكسفورد، ١٩٧٧، ص ٢٢.

القرآن والسنة الصحيحة، وتوثّق في كتب السيرة القديمة كابن إسحاق، وابن هشام، والطبري، والبخاري.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- وجود شعر يمدح النبي -صلي الله عليه وسلم- لا يعني اختلاق المعجزات.
- المعجزات ذُكرت قبل البردة بقرون (في القرآن).
- لا يمكن لآلاف العلماء والمحدثين أن يتواطؤوا على أسطرة التراث الإسلامي.[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- شق القمر مذكور في القرآن قبل البردة بقرون.
- الإسراء والمعراج مثبت بنص قرآني قطعي.
- المعجزات وردت في أقدم مصادر السيرة قبل الشعر الأبي كله.[٣]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يقرون أن بعض المعجزات الواردة في النصوص الإسلامية لها جذور مبكرة، لكنه يوضح كيف أن بعض الروايات الشعبية أُضيفت لاحقًا، وهو مثال على قراءة استشراقية تحليلية.[١]

---

[١] انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)،(٤٧٩/١ ومابعدها)،دار القلم – دمشق،الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧ هـ

[٢] انظر: العمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري،تحقيق: عبد الله أحمد جاجة،(صـ٢١ ومابعدها).

[٣] انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،(٢٥/٣)،المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدّس نفسه يحتوي على معجزات، ويبين أن المعجزات جزء من دين الأنبياء جميعًا، وأن هناك فرق بين المعجزات الخارقة المرتبطة بالأنبياء والنصوص الأدبية أو الشعرية، فالمعجزات:" فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَسَاقَ الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً، وَانْشَقَّ الْمَاءُ"[٢] والنصوص الأدبية:" تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ. فِي جَمِيعِ طُرُقِكَ اعْرِفْهُ، وَهُوَ يُقَوِّمُ سُبُلَكَ."[٣]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

يجد القارئ أن نالينو حينما يري ويسمع أحباب المصطفي -صلي الله عليه وسلم- في مشارق الأرض ومغاربها ينشدون قصيدة البردة للإمام البوصيري رحمه الله:[(٤)]يشتد حساً للإسلم وأهله.ولذا أقول:

أولاً: فهذا يا نالينو صدق محبتهم لسيد الثقلين -صلي الله عليه وسلم- ، حيث قال سبحانه ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

---

١ Montgomery Watt, W. Muhammad at Mecca. Oxford: Oxford University Press, 1953, pp. 103–105

مونتغمري واط، محمد في مكة، أوكسفورد: جامعة أوكسفورد، ١٩٥٣، ص ١٠٣-١٠٥.

٢ سفر الخروج، الإصحاح ١٤ ، الآيه ٢١

٣ سفر الأمثال، الإصحاح ٣ ، الآيه ٥-٦

(٤) الشرف البوصيري صاحب البردة(الكواكب الدرية في مدح خير البرية) محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي المولد المغربي الأصل سنة ثمان وستمائة البوصيري المنشأ. ، وبرع في النظم.تولى مديرية الشرقية. توفي بالإسكندرية عام ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م.تقع البردة في اثنين وستين ومائة بيت.ومات سنة خمس وتسعين وستمائة.انظر: معجم أعلام شعراء المدح النبوي، محمد أحمد درنيقة،(صـ٣٤٥)،تقديم: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى.

وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ". [2]

ثانياً: قصيدة البردة شِّعْرُ ينصَبُّ على مدح النبي –صلي الله عليه وسلم– بتعداد صفاته الخِلْقِيَّة والخُلُقِيَّة، قال الشيخ الباجوري رحمه الله[3]: (إن كمالاتِه صلى الله عليه وسلم لا تُحْصَى، وشمائله لا تُسْتَقصى، فالمادحون لجنابه العلي، والواصفون لكماله الجلي، مُقصِّرون عمَّا هنالك، قاصرون عن أداء ذلك، كيف وقد وصفه الله في كتبه بما يبهر العقول، ولا يُسْتَطاع إليه الوصول، فلو بالغ الأوَّلون والآخرون في إحصاء مناقبه، لعجزوا عن ضبط ما حباه مولاه من مواهبه). [4]

ثالثاً: وقصيدة البردة أمر مشروع: قال تعالى: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [5]، والتعزير هو التعظيم، ومدحه –صلي الله عليه وسلم– من مظاهر تعزيزه

---

[1] سورة التوبة، الآية،٢٤

[2] صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ،بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ، بَابُ وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَالْوَالِدِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ، وَإِطْلَاقِ عَدَمِ الْإِيمَانِ عَلَى مَنْ لَمْ يُحِبَّهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ ،(١/٧٦برقم٤٤).

[3] البَاجُوري(١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ = ١٧٨٤ - ١٨٦٠ م)إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: شيخ الجامع الأزهر. من فقهاء الشافعية. نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية، بمصر) ولد ونشأ فيها، تقلد مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣ هـ واستمر إلى أن توفي بالقاهرة، من كتبه (التحفة الخيرية - ط).انظر: معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، لعلي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، (١/٨٢برقم٢٢٧). دار العقبة، قيصري – تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

[4] انظر: شرحه للبردة، لشيخ الازهر الشريف إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، (صـ ٥- ٦)، مكتبة الآداب–القاهرة.

[5] سورة الفتح ، الآية، ٩ .

وتعظيمه، وجاءت نصوص السنة النبوية تقرر مشروعية ذلك، ففى صحيح البخاري عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً»[1]

وممَّن مدح النبي –صلي الله عليه وسلم– من الصحابة: حسّانُ بن ثابت، وكعبُ بن مالك، وكعبُ بن زُهَيْر، وعبدُ الله بن رَوَاحَةَ رضي الله عنهم[2]، وقد أقرَّهم النبي –صلي الله عليه وسلم– ، بل وأحب ذلك ودعا لِمَادحه، وكسا كعبَ بنَ زهيرِ بنِ أبي سُلمى بُرْدَتَه الشريفةَ مكافأةً له على مدحه، ولم ينهه عن ذلك ولا عن إنشاده في المسجد. [3]

رابعاً: ومن أجل الدراسات القرآنية والشعرية تعددت المناظرات، واحتدم النقاش وكثر الجدل، وفاضت كتب النحو بمعين لا ينضب من هذه المناظرات والمناقشات، وقصيدة «البردة» للبوصيري من أهم القصائد الشعرية في المديح النبوي: فهي مصدر وحي لكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول، ومن جوانب الأهمية في قصيدة البردة شراحها من علماء العربية البارزين وفي شروحهم من الفوائد النحوية، والصرفية، والبلاغية، واللغوية، والأدبية والتاريخية، الشيء الكثير.[4]

---

[1] صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ ،بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالحُدَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ ،(٨/٣٤برقم٦١٤٥).

[2] انظر:سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)،(٢/٥٢٥)،المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

[3]انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)،(٤٩٨/٢) دار الفيحاء – عمان، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ.

[4] انظر: العمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري، مؤلف (العمدة في إعراب البردة) – مجهول،(صـ٩)، تحقيق: عبد الله أحمد جاجة، تقديم: محمد علي سلطاني، دار اليمامة للطباعة والنشر– دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ

المطلب الحاى عشر

فرية سيدنا محمد -صلي الله عليه وسلم- شخصية معقدة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"لا يمكن فهم التاريخ الإسلامي دون الاعتراف بأن محمداً-صلي الله عليه وسلم- كان صاحب شخصية معقدة، فالدوافع عنده تتداخل بين الوحي الديني والمصلحة القومية العربية. هذا التعقيد جعل من الصعب على المعاصرين له -وحتى الباحثين اليوم- التنبؤ بخطواته، حيث كان قادراً على تغيير استراتيجياته الشعائرية والسياسية (مثل تحويل القبلة أو الصلح في الحديبية) بما يتناسب مع أهدافه الكبرى." [١]

“L'angustia del tempo non mi consente d'affrontare il complesso problema psicologico di Maometto، di quest'uomo che indubbia- mente sincero sotto certi rispetti, poté sotto altri venir sospettato d'impostura e di facile opportunismo، di quest'uomo volta a volta dominato dalle circostanze esteriori e nondimeno prorto sempre a sfruttarle e padroneggiarle, impulsivo in certi casi e freddo calcolatore in altri، di quest'uomo che, senza averne spesso chiara coscienza, subi le più straordinarie metamorfosi: da predicatore di antiche verità religiose e morali ai suoi concittadini, a fonda- tore d'una nuova religione universale, da tranquillo ed umile bor- ghese ad uomo di Stato e capitano audace e politico

(١) تاريخ الدولة العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ليوليوس فلهاوزن،(صـ١٦٠).

sottile, con una pieghevolezza ed una adattabilità di spirito veramente me– raviglios e” [1]

“لا يسمح لي ضيق الوقت بمواجهة المشكلة النفسية المعقدة لمحمد –صلى الله عليه وسلم– ، هذا الرجل الذي بالتأكيد كان صادقًا في بعض الجوانب، لكن يمكن اشتباهه في النصب وكان يتحكم في الظروف الخارجية ودائمًا مستعد لاستغلالها والسيطرة عليها، متقلب في بعض الحالات ومحتسب بارد في حالات أخرى، هذا الرجل الذي، دون وعي واضح في كثير من الأحيان، تعرض لأكثر التحولات غرابة: من واعظ للحقائق الدينية والأخلاقية القديمة لمواطنيه، إلى مؤسس دين عالمي جديد، من مواطن هادئ ومتواضع إلى رجل دولة وقائد جريء وسياسي ذكي، بمرونة وقدرة على التكيف بشكل حقاً مدهش” [٢]

٢– مضمون الشبهة:

- الشبهة تقدم قراءة نفسية وسلوكية للنبي–صلى الله عليه وسلم– تضع احتمالاً أن صفاته الأخلاقية والدينية قد تغايرت عبر الزمن، وأن شخصًا واحدًا تغير من واعظ متواضع إلى مؤسس دين ودولة عبر استغلال للظروف وتحكّم سياسي فيه شئ من الخداع أو التحولات غير الواعية بدلاً من الوحي الإلهي المستمر .

٣– هدف الشبهة:

- تقويض مصداقية النبي–صلى الله عليه وسلم– عبر الإيحاء بأنه لم يكن رسولًا صادقًا بل شخصية متغيرة استجابت للظروف السياسية.
- إحالة تفسير السيرة إلى تفسيرات نفسية بشرية بدلًا من تفسيرها بوحي إلهي.

[1] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٦–٣٧

[٢] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٤١

- جعل ظهور الإسلام نتيجة ظروف تاريخية وسياسية أكثر من كونه حدثًا دينيًّا.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- التحول من دور واعظ إلى قائد سياسي يمكن تفسيره بتغير ظروف الهجرة، الحرب، بناء دولة، ولا يثبت تلقائيًا تغير النية .
- مرور شخص بمراحل مهنية لا يعني تناقضًا داخليًا في رسالته، كذلك تغير الظروف لا يساوي اختلاق الرسالة. [1]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين تناولوا سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- بنمط نقدي تاريخي نفسي، ووصفوها بأنها تراكيب تحليلية لاحقة تزاوج بين علم النفس التاريخي والنقد السياسي لظهور الأديان. [2]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تعزّز مثل هذه الشبهات روايات نقديّة تُحاول تفسير الأديان بوصفها نتائج اجتماعي سياسي. [3]

---

[1] انظر: مواقف النبي – صلى الله عليه وسلم – في الدعوة إلى اللّٰه تعالى، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، (صـ ٨٦ ومابعدها).

[2] William Muir — The Life of Mahomet, London: Smith, Elder & Co., 1858, vol. 2, p. 285

ويليام ميور،،حياة محمد،لندن، سميث وإيلدر وشركاؤهم، ١٨٥، المجلد: الثاني الصفحة: ٢٨٥

[3] William Muir — The Life of Mahomet, London: Smith, Elder & Co., 1858, vol. 3, p. 24

ويليام ميور،،حياة محمد،لندن، سميث وإيلدر وشركاؤهم، ١٨٥، المجلد: الثالث الصفحة: ٢٤

- **في الوسط الإسلامي** تُستقبل الشبهات عادةً بالرفض والدفاع العلمي على القراءات النفسية والسياسية في إطار تاريخي سليم.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- تفسير التحول كاستجابة لظروف سياسية واجتماعية هو أبسط وأقوى من تفسيره كدليل على الخداع المعمّد.
- كثير من القادة الدينيين يتحولون إلى قادة اجتماعيين وسياسيين عندما تتطلب الظروف ذلك، هذا بديهي ومنطقي.
- افتراض النية السلبية كالتحكم في الظروف واستغلالها غير مثبت فالعقل يتطلب دليلًا على النية .[2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر الإسلامية والبحوث الحديثة تظهر أن السيرة تتكون من مراحل: دعوة سرّية بالعرض الأخلاقي، ثم دعوة جهرية، ثم المواجهة، ثم الهجرة، ثم بناء دولة. هذه المراحل تُفسر تاريخيًّا بسياقات سياسية واقتصادية واجتماعية (حِصار، مفاوضات، حروب). تفسير هذه المراحل بوصفها (تزويرًا) يتجاهل الأدلة الميدانية على استمرار عناصر ثابتة في الرسالة (التوحيد، الأخلاق..).

[1] انظر: دراسة في السيرة، لعماد الدين خليل،(١١-١٧)، دار النفائس – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٤٢٥ هـ.

[2] انظر: مواقف النبي – صلى الله عليه وسلم – في الدعوة إلى اللَّه تعالى، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، (صـ٣٦،٥)، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

- لا توجد دلائل أثرية مادية تُثبت أن النبي –صلي الله عليه وسلم– اختلق الرسالة كطرف محتال، فالمصادر المعاصرة تؤكد بروز حركة عربية إسلامية جديدة في القرن السابع بطريقة تتوافق مع رواية التحولات التاريخية أكثر من كونها عملية احتيال.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يقرون أن النبي –صلي الله عليه وسلم– جمع بين صفات نبي ورجل دولة، وأن تغير الأدوار منطقي وسياقي لكنهم لا يرونه محتالًا، بل شخصًا ذا دعوة دينية واجه تحديات سياسية واستعمل استراتيجيات.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يوضح أن الأنبياء كانوا:(قادة دولة–قادة سياسيين واجتماعيين– مصلحين) وليسوا محتالين ولا مخادعين:" تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ"[٣]:" وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هكَذَا، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي."[٤]

---

[١] انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، (صـ٣٧–٤٥،٥٥–٦٠)، ترجمة: د. محمود شاكر، دار النفائس.و رؤية الإسلام كما رآه الآخرون،لروبرت هويْلَند، (صـ ٥٣–٦٧،٧١–٨٢، ١١٩–١٣٥)، ترجمة: رضوان السيد، دار الكتاب الجديد.

[٢] Montgomery Watt, W. Muhammad at Mecca. Oxford: Oxford University Press, 1953, pp.74

مونتغمري واط، محمد في مكة، أوكسفورد: جامعة أوكسفورد، ١٩٥٣، ص ٧٤.

[٣] سفر أشيعاء، الإصحاح ١ ، الآيه ١٧

[٤] سفر العدد ، الإصحاح ١٢ ، الآيه ٧

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

نالينو المسكين، معذورٌ من صدمة ما قرأ في سيرة رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، فرأى من صفاته -صلي الله عليه وسلم- من لم ولن يجد في مثلها قط، فما الحيلة إلا في وصفه بصاحب العقد النفسية!؟ ولا تصدر هذه الفكرة إلا عن بعض العوام الجهلة الذين لا يدركون معنى كلامهم هذا، فمثلهم كمثل الذي ينكر حقائق التاريخ لأنه لم يرها !! وللرد على عقد المسكين أقول: **أولاً: أذكر بعضاً من صفاته -صلي الله عليه وسلم- كما تحكى لنا السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها عند عودته -صلي الله عليه وسلم- من غار حراء ونزول جبريل عليه السلام عليه -صلي الله عليه وسلم- :** (..فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلي الله عليه وسلم- تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ..) [١]

ثانياً: والنبي -صلي الله عليه وسلم- كان مُتمَتِّعًا بخصائص البشرية، لكنَّ الله عز وجل عَصَمَه قبل البعثة وبعدها عن كُلِّ ما لا يَتَّفِق مع مقتضيات الرِّسالة التي هيَّأَهُ لها: فعن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلي الله عليه وسلم- أَتَاهُ جِبْرِيلُ -صلي الله عليه وسلم- وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ

---

[١] صحيح البخاري،كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ،بَابُ {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[الضحى: ٣]، (١٧٣/٦برقم٤٩٥٣).

الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ"، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ».[1]

ثالثاً: نزول الفيض الإلهى على سيدنا رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ليصل إلى أعلى مراتب الكمال لأداء رسالة الإسلام، فيكون سيد هذه الأمة بلا منازع: يقول الحق ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[2]

رابعاً: التمكين في الأرضي للنبي -صلي الله عليه وسلم- ، وانتشار دين الإسلام: يحكى العباس بن عبدالمطلب قوة التمكين لدى رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فيقول: (ثمَّ أَمر رَسُول اللَّه - صلي الله عليه وسلم- الْعَبَّاس أَن يُوقف أَبَا سُفْيَان بخطم[3] الْوَادي ليرى جيوش اللَّه تَعَالَى، فَفعل ذَلِك الْعَبَّاس، وَعرض عَلَيْهِ قَبيلَة قَبيلَة، يَقُول: هَؤُلَاءِ سليم، هَؤُلَاءِ غفار، هَؤُلَاءِ تَمِيم، هَؤُلَاءِ مزينة، إِلَى أَن جَاءَ موكب النَّبِي -صلي الله عليه وسلم- فِي الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار خَاصَّة، كلهم فِي الدروع وَالْبيض، فَقَالَ أَبُو سُفْيَان: من هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَذَا رَسُول اللَّهِ -صلي الله عليه وسلم- فِي الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار، فَقَالَ أَبُو سُفْيَان: وَالله مَا لأحد بهؤلاء قبل، وَالله يَا أَبَا الْفضل لقد أصبح ملك ابْن أَخِيك عَظِيما، فَقَالَ الْعَبَّاس: يَا أَبَا سُفْيَان إِنَّهَا النُّبُوَّة، قَالَ: فَنعم إِذن). [4]

---

[1] صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ،(١/١٤٧برقم١٦٢).

[2] سورة النساء،الآية،١١٣

[3] خطم الْوَادي: أَنفه البارز مِنْهُ، وَفِي ابْن هِشَام: بمضيق الْوَادي عِنْد خطم الْجَبَل.انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، (١/٥٣٥).

[4] كتاب دلائل النبوة، لإسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)،(صـ٧٤)،المحقق: محمد محمد الحداد، دار طيبة – الرياض، الطبعة:

خامساً: شهادة زعماء قريش للنبي –صلي الله عليه وسلم– : فعمرو بن هشام بن المغيرة المخزوميّ، كنيته"أبو جهل" كنَّاه بها النبي –صلي الله عليه وسلم– لشدة محاربته له وعداوته للإسلام. فقد سأل المسور بن مخرمة خاله أبا جهل عن حقيقة محمد –صلي الله عليه وسلم– ، إذ قال: يا خالي! هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي، والله! لقد كان محمد فينا وهو شاب يدعى الأمين، فما جربنا عليه كذباً قط، قال: يا خال! فما لكم لا تتبعونه؟ قال: يا ابن أختي! تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب (جلسنا على الركب للخصومة) كنا كفرسي رهان (متساويين في الفضل)، قالوا: مِنا نبي، فمتى ندرك مثل هذه؟!. وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟".[(١)]

سادساً: شهادة المستشرقين للنبي –صلي الله عليه وسلم– : يقول الدكتور زويمر[(٢)]:"إن محمدا كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضا بأنه كان مصلحا قديرا وبليغا فصيحا وجريئا مغوارا، ومفكرا عظيما، ولا يجوز أن ننسب إليه ما

الأولى، ١٤٠٩.وانظر: وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، لأحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس القسنطيني، ابن قنفذ (المتوفى: ٨١٠هـ)،(صـ١٠٩)،المحقق: سليمان العيد المحامي، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

[(١)]انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،(٢٤٦/١).

[(٢)] الدكتور صمويل زويمر الكندي مستشرق كندي ولد ١٨١٣ . ١٩٠٠ له (الشرق وعاداته). انظر: موقع شبكة الألوكة: https://www.alukah.net/culture

ينافى هذه الصفات، وهذا قرآنه الذى جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء"[١]، **ويقول سانت هيلر**[٢]:"كان محمد رئيسا للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التى كان يعيش النبى بين ظهرانيها، فكان النبى داعياً إلى ديانة الإله الواحد وكان فى دعوته هذه لطيفا ورحيما حتى مع أعدائه، وإن فى شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التى تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة".[٣]

ويقول المفكر الفرنسي لامرتين[٤]:"إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد –صلي الله عليه وسلم– في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم. لكن هذا الرجل (محمدا –صلي الله عليه وسلم–) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة. لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي –صلي

---

[١] الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، لحسين حسينى معدى (المتوفي: معاصر)، (صـ١٨٢) ، دار الكتاب العربى – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤١٩.

[٢] العلامة برتلي سانت هيلر الألماني، مستشرق ألماني، ولد في درسدن ١٧٩٣ – ١٨٨٤؛ له: الشرقيون وعقائدهم.انظر: موقع شبكة الألوكة: https://www.alukah.net/culture

[٣] الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، لحسين حسينى معدى(المتوفي: معاصر)، (صـ١٨٢–١٨٣).

[٤] الفونس دي لامارتين.(بالفرنسية: Alphonse de Lamartine) ؛ (٢١ أكتوبر ١٧٩٠ – ٢٨ فبراير ١٨٦٩) شاعر وسياسي فرنسي. يُعدّ أحد أكبر شعراء المدرسة الرومانسية الفرنسية. ومن أشهر قصائده قصيدة البحيرة التي ترجمها للعربية نقولا فياض.انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki

الله عليه وسلم- موجها بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته -صلي الله عليه وسلم- وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث. فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة). هذا هو محمد -صلي الله عليه وسلم- الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد -صلي الله عليه وسلم- . بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد -صلي الله عليه وسلم- ؟.[١]

ويقول المؤرخ الأرماني سيبيوس Sebeos: الذي عاصر النبي(٦٦١:٦٢٦م): [٢] أن رجلاً اسمه محمد من أصول إسماعيلية إدعى النبوة وعلم ابناء بلده الرجوع إلى دين إبراهيم). [٣]

---

[١] انظر:"تاريخ تركيا"، للامرتين، الجزء الثاني، (صـ ٢٧٦-٢٧٧)، باريس، ١٨٥٤م.وانظر: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، حسين حسينى معدى (المتوفي: معاصر)،(صـ١٨٠-١٨١).

[٢] سيبيوس أو سبيوس (بالأرمينية Սեբեոս) كان أسقف أرميني ومؤرخ عاش في النصف الثاني من القرن السابع. لفترة طويلة كان يعتبر مؤلفًا لكتاب تاريخ هرقل (بالأرمينية Patmowt'iwn i Herakln). إلا أنه في البحث الحديث ينسب النص ذي الصلة لمؤلف مجهول، وبالتالي يشار إلى العمل التاريخي باسم سبيوس المنحول. انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki

[3] Arthur, Jeffery The Quest of the Historical Muhammad The Muslim World, vol. xvi, Issue(October7) p 330

و في المدة ما بين عامي (٦٣٤:٦٤٠ م) أعرب القس ماكسيموس Maximus the Confessor:[١] عن ذهوله من إنتشار الإسلام في رسالة أرسلها لزميله القس بيتر Peter the Illustrious[٢]

وهكذا يتبين من هو صاحب العقد النفسية!؟ فرسولنا –صلي الله عليه وسلم– صاحب الصفات الرفيعة، الذى وصفه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[٣]

آرثر، جيفري البحث عن محمد التاريخي العالم الإسلامي، المجلد السادس عشر، العدد (أكتوبر ٧) ص ٣٣٠

Thomson R. W. Historical, commentary by James Howard –Johnston Assistance The Armenian History,attributed to Sebeos,translated, with notes, Liverpool,University Press,Oxford1998, p49–35

تومسون ر. و. تاريخي، تعليق جيمس هوارد – جونستون أسيستانس التاريخ الأرمني، المنسوب إلى سيبيوس، مترجم، مع ملاحظات، ليفربول، مطبعة الجامعة، أكسفورد ١٩٩٨، ص ٤٩–٣٥

(١) ماكسيموس المعترف ويُعرف أيضاً باسم مكسيموس اللاهوتي أو مكسيموس القسطنطينية (ق. ٥٨٠ – ١٣ أغسطس ٦٦٢) راهب مسيحي ولاهوتي وباحث ديني. اعتزل الحياة السياسية واتجه نحو الحياة الرهبانية. وتوفي في ١٣ من أغسطس آب في مدينة تساغيري التي تقع في جورجيا اليوم.انظر:

Maximus the Confessor (Q206842) :https://www.wikidata.org/wiki/Q20684

الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، مكسيمون المعترف

(2) Walter ,Emil Kaegi, Initial Byzantine Reactions to the Arab Conquest Cambridge University Press on behalf of the American Society of Church History, Church History, Vol 38 No. (Jun 1969) P 142:145

والتر، إميل كايجي، ردود الفعل البيزنطية الأولية على الفتح العربي، مطبعة جامعة كامبريدج نيابة عن الجمعية الأمريكية لتاريخ الكنيسة، تاريخ الكنيسة، المجلد ٣٨، العدد ١ (يونيو ١٩٦٩) ص ١٤٢: ١٤٥

(٣) سورة القلم،الآية،٤

المطلب الثانى عشر

فرية الاشمئزاز من تدخل الدين في الحياة المدنية

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"لقد واجه محمد صعوبة كبيرة في فرض النظام الإسلامي الجديد على مجتمع يثرب؛ فالعرب الذين اعتادوا على استقلاليتهم القبلية شعروا بنوع من الضيق والاشمئزاز من تدخل الوحي في أدق تفاصيل حياتهم المدنية والقانونية. هذا التدخل الذي حول النبي-صلي الله عليه وسلم- إلى قاضٍ ومشرع كان غريباً على البيئة العربية، ولذلك ظهرت طبقة (المنافقين) كتعبير عن هذه المقاومة الاجتماعية ضد شمولية الدين وسيطرته على الشأن العام." [١]

“Le rivelazioni contenute nel Corano non scesero a regolare soltanto l'attività spirituale e morale dell'uomo, ma anche cose per le quali al sentimento nostro ripugna l'idea d'un inter- vento di Dio . La commistione del sacro e del profano, talora per- sino del volgare” [2]

“لم تقتصر الوحيات الواردة في القرآن على تنظيم النشاط الروحي والأخلاقي للإنسان فحسب، بل تدخلت أيضًا في أمور تثير الاشمئزاز في نفوسنا عند التفكير في تدخل إلهي. تدمج الأشياء المقدسة بالدنيوية، وأحيانًا حتى الشائعة” [٣]

---

[١] محمد في المدينة ، لوليام مونتغمري وات،(صـ٢٤٢).

[2] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٧

[٣] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٤١

٢- مضمون الشبهة:

- إن القرآن لا يقتصر على الرسالة الروحية والأخلاقية، بل يتدخل في تفاصيل دنيوية وشائعة، وربما تثير مشاعر اشمئزاز لدى الغرب أو غير المسلمين عند التفكير في أن هذا التدخل إلهي.

٣- هدف الشبهة:

- التشكيك في قدسية القرآن الكريم، فإذا كان القرآن يتدخل في تفاصيل دنيوية يصبح أقل قداس مما يقلل من أنه كلام الله بصفته منفصلاً عن العالم المادي.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- هل يمكن حصر دور القرآن الكريم في مجرد التوجيه الروحي أو الأخلاقي فقط، أم أنه منطقياً أن يتناول مواضيع دنيوية؟
- هل وصف هذا التدخل بالاشمئزاز يعكس تحيزًا ثقافيًا أو فهما مغلوطًا لطبيعة الوحي؟
- هل الخلط بين المقدس والدنيوي بالضرورة يقلل من قدسية النص، أم أن النص المقدس قد يشمل جوانب دنيوية كمجزء من مهمة الوحي؟[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين نقدوا تدخل القرآن الكريم في الحياة الدنيوية.[٢]

---

[١] انظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي،(٢٧٢/٣٦)،دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ - ١٤٣٦ هـ)

[٢] Ernest Renan. L’Islamisme et la science. Calmann Lévy .1883.p. 24

إرنست رينان، الإسلامية والعلم، كالمان ليفي، ١٨٨٣، الصفحات: ٢٤

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** هذه الشبهة قد تُستخدم من قبل نقّاد المستشرقين أنفسهم لتبيان كيف يفسّر بعضهم القرآن ككتاب يدمج المقدس بالدنيوي.[١]
- **في الوسط الإسلامي** مثل هذه الشبهة تُستخدم غالبًا للدفاع عن المنهج الإسلامي لكل من يثير جدلاً حول مدى فهم الوحي الإلهي من قبل المستشرقين وما إذا كانوا يبالغون في تسليط الضوء على الجوانب الدنيوية للوحي.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- ليس من المنطقي افتراض أن القرآن الكريم لا يمكن أن يناقش مواضيع دنيوية. لكن من المنطقي أن القرآن الكريم يشمل جميع جوانب حياة الإنسان: الروحي، الأخلاقي، الاجتماعي، الدنيوي.وهذا لأن القرآن الكريم يُعنَى بتنظيم الحياة البشرية من جميع جوانبها، وذلك لأنه ليس مجرد رسالة أخلاقية بل نظام حياة.[٣]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- القرآن نزل في سياق حياة بشرية يومية، في بيئة جزئية اجتماعية وسياسية واقتصادية، لذا من الطبيعي جدًا أن يتطرق إلى الجوانب الدنيوية.

---

[١] Lewis, Bernard. The Arabs in History. Oxford: Oxford University Press, 2002, 45–47.

لويس، برنارد. العرب في التاريخ. أكسفورد: دار نشر جامعة أكسفورد، ٢٠٠٢. ص. ٤٥–٤٧.

[٢] انظر: المستشرقون والقرآن الكريم، لعماد الدين خليل،(صـ ٥٥–٦٣)، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

[٣] انظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي،(٣٦/٢٧٢)،دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ - ١٤٣٦ هـ)

- النص القرآني يشتمل على آيات تتحدث عن التجارة، المعاملات، المواريث، الأحكام القانونية، العلاقات الاجتماعية وغيرها، وهذا دليل على أن القرآن متداخل مع الحياة الدنيوية.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين لديهم نظرة إيجابية بالقرآن كنص ثقافي كبير، وليس فقط كنص روحي منفصل عن الواقع.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس به أمثلة كثيرة تتداخل فيها الأمور الروحية والدنيوية: وصف حياة الناس، علاقاتهم، حكمهم، تجارة، أخلاق، قوانين، فالدمج بين النص المقدس والدنيوي ليس ظاهرة فريدة في القرآن الكريم فقط:" وَإِذَا بَعْتُمْ مَبِيعًا لِقَرِيبِكُمْ... فَلَا يَغْتَصِبْ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ"[٣]:" وَجَاءَ عَشَّارُونَ... لَا تُجَابُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ... لَا تَظْلِمُوا أَحَدًا... وَاكْتَفُوا بِعَلَائِفِكُمْ"[٤]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

أعتقد أن نالينو لم يجد ماكان يرجوه في النصرانية، فلم يجد شريعة تحوى شؤون حياته بداية من متعلقاته الشخصية، فيشمئز لكون دين الإسلام يتدخل في شؤون الحياة، وهذا يا نالينو لأن الإسلام:

---

[١] انظر: التفسير والمفسرون، لمحمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)،(١/٢٥١-٢٥٥)، مكتبة وهبة، القاهرة.

[٢] Blachère, Régis. Le Coran. Paris: Maisonneuve & Larose, 1966, pp. 23–21
بلاشير، ريجيس. القرآن. باريس: منشورات ميزونوف ولاروز، ١٩٦٦م.ص ٢١-٢٣.

[٣] سفر اللاويين، الإصحاح ٢٥ ، الآيه ١٤

[٤] انجيل لوقا ، الإصحاح ٣ ، الآيه ١٢-١٤

أولاً: دين هذب الشأن الشخصي: كغسل اليدين، والاغتسال الكامل، والتسوك، ونتف الإبط، وحلق العانة، وتنظيف الأنف، وتجميل الثياب، فعَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ –صلي الله عليه وسلم– كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ «لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ».[1]

ثانياً: دين وصل الرحم: فشرع صلة الرحم وحث ذوي القرابات أن يصل بعضهم ببعض، فقال جل شأنه ﴿ **فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢** ﴾ [2] فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[3] وتوعد الدين على ترك ذلك، فعَنْ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: إِنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النبي –صلي الله عليه وسلم– يَقُولُ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»[4] يعني قاطع رحم.

ثالثاً: دين وصل المسلمين بحسن المعاملة: فشرع العلاقات الطيبة بين المسلمين في جميع المعاملات، فجعلهم إخوة يتحابون في الله ويتعاونون على الخير في جميع المجالات، قال جل وعلا ﴿ **وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١** ﴾. [5]

---

[1] صحيح مسلم، كِتَابِ الطَّهَارَةِ ، بَابُ الِاسْتِطَابَةِ ،(٢٢٣/١برقم٢٦٢).

[2] سورة محمد، الآية،٢٢

[3] صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ،بَابُ مَنْ بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصِلَةِ الرَّحِمِ ،(٥/٨برقم٥٩٨٥).

[4] المرجع السابق، كِتَابُ الأَدَبِ،بَابُ إِثْمِ القَاطِعِ،(٥/٨برقم٥٩٨٤).

[5] سورة ال عمران، الآية،١٠٣

رابعاً: دين وصل الناس جميعاً بحسن المعاملة: فشرع للجميع أن يتعاملوا بالعدل والإنصاف، وأن يقيموا الحق فيما بينهم على طريق العدل والقسط، من دون محاباة لأحد، قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[2].

وما تم ذكره غيض من فيض من شؤون الحياة في ضوء ومضمون دين الإسلام، فجاء الدين شاملاً كاملاً من غير نقص أو فوت، قال تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3]، لذا فلا حاجة للإشمئزاز، فلا حياة مستقيمة بدون دين الإسلام.

---

(١) سورة المائدة، الآية،٨

(٢) سورة الأنعام، الآية،١٥٢

(٣) سورة الأنعام، الآية،٣٨

المطلب الثالث عشر

فرية الشهيد من يسقط في الجهاد

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"لقد أدرك محمد-صلي الله عليه وسلم- أن الإغراء بالمغانم المادية وحده قد لا يكفي لاستمرار تدفق المقاتلين، خاصة في الحروب التي تنطوي على مخاطر جسيمة. لذا، فقد كان ابتكار مفهوم الشهيد ضربة عبقرية في الإدارة العسكرية؛ إذ نجح في إقناع أتباعه بأن الموت في ساحة المعركة ليس نهاية، بل هو ربح مؤكد يفوق أي غنيمة دنيوية. إن الوعد بالجنة والملذات الحسية التي تنتظر من يسقط في القتال جعل من جيشه قوة لا تُبالي بالموت، بل تطلبه، مما منح المسلمين تفوقاً سيكولوجياً حاسماً على خصومهم الذين كانوا يقاتلون من أجل البقاء، بينما كان المسلمون يقاتلون من أجل الفوز بالشهادة." [١]

"Agli esempi del periodo medinese del nascente islam si deve se questo ignora il concetto delle qualità così dette eroiche della santità, ed ignora quello del martirio passivo cristiano per l'affermazione della propria fede e vi sostituisce il concetto che martire sia colui che cade nella guerra santa" [2]

---

[١] محمد وظهور الإسلام، لديفيد مرجليوث،،(صـ١٥٨).

[2] Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٧

"يعود تجاهل الإسلام لمفهوم الصفات البطولية المقدسة وتجاهل مفهوم الاستشهاد السلبي المسيحي لتأكيد الإيمان الخاص به، واستبداله بمفهوم الشهيد كمن يسقط في الجهاد. كدين وحيد في العالم، اضطر الإسلام إلى وضع تعاليم دقيقة للجهاد" [١]

٢- مضمون الشبهة:

- الإسلام تخلى عن فكرة الاستشهاد المسيحية التقليدية (الذي يُفهم غالبًا كنضال روحي، أو استشهاد سلبي بمعنى قبول المعاناة والشهادة للمسيحية)، وأنه استبدل هذا المفهوم بفكرة الجهاد المسلح، بحيث جعل الشهيد في الإسلام مرتبطًا بالجهاد، وأن هذا كان تكيفًا لدين عقدهُ الإسلام ليصبح دينًا فاعلًا سياسيًا وعسكريًا وليس فقط روحانيًا.

٣- هدف الشبهة:

- التقليل من بعد الروحاني في الإسلام، وصبغ الإسلام بنظرة عسكرية.
- تصوير الإسلام على أنه دين سياسى أكثر منه دين إيمانى فقط.
- تأكيد فكرة أن الجهاد عند المسلمين ليس مجرد مفهوم روحاني ، وإنما غرضه الظاهر هو قتال الكفار، مما قد يُستخدم لتبرير صور نمطية سلبية عن الإسلام.
- تشويه مكانة الشهيد في الإسلام من كونه شاهد إيمان إلى مقاتل فقط.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- هل صحيح أن الإسلام لا يعترف بضحية غير مسلحة، أي استشهاد سلبي كما يفهمه بعض النصاري؟
- هل الجهاد في الإسلام مساوي دائمًا للعنف المسلح، أم أن له معانٍ أوسع (نفسية، روحية، دفاعية...)؟
- هل هناك تشريع دقيق للجهاد كما يدعى نالينو، أم أن الجهاد مفهوم متنوع عبر التاريخ الإسلامي؟

---

[١] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٤١

- هل الربط بين الجهاد والشهادة يعني أن الشهيد في الإسلام هو فقط من يموت في المعركة؟
- ما هي الأدلة من القرآن والسنة التي تدعم أو تنفي هذا التصور؟[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين طرحوا تحليلات فكرية وسياسية لفقه الجهاد.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تُستخدم مثل هذه الشبهات كأداة لفهم التهديد الإسلامي في مفاهيم القوة والمعارك، وقد تُستخدم لتبرير رؤية الغرب للدين الإسلامي كدين سياسي أو غريب عما اعتادوا عليه من مفاهيم دينية غربية (روحانية، استشهاد كرهاً، معاناة).[٣]
- **في الوسط الإسلامي:** قد تولِّد هذه الشبة ردود فعل دفاعية من المسلمين الذين يرون أن هذا تصوير غير دقيق لتعاليم الإسلام، كما تشجع المفكرين والمجاهدين على إعادة تأكيد البعد

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)،(١٠٣/١٦)،دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

[٢]

Rudi Paret, Mohammed und der Koran Kohlhammer Verlag .1957.p. 127-130

رودي بارت، محمد والقرآن، كول هامير، ١٩٥٧، الصفحات: ١٢٧-١٣٠

[٣] Bernard Lewis, The Political Language of University of Chicago Press, 1988, Islam,

.P 76-72

برنارد لويس ، اللغة السياسية للإسلام، جامعة شيكاغو، ١٩٨٨، الصفحات: ٧٢-٧٦

الروحي للجهاد (وليس فقط الجانب المسلح)، وكذلك الدفاع عن مفهوم الشهادة كشهادة إيمان، ليس فقط كموت في القتال.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- في الإسلام الجهاد ليس مفهومًا موحدًا فقط على القتال المسلح، بل هناك ما يُعرف بالجهاد الأكبر (جهاد النفس)، وهو مفهوم ذهني وروحي.
- القول بأن الإسلام اضطر لتعديل مفهوم الاستشهاد المسيحي ليكون جهاديًا يفترض أن هناك تكييف طارئ، لكن هذا التفسير يغفل أن الجهاد كان جزءًا من التاريخ الإسلامي منذ بداياته وليس مجرد تكيف بعدي.
- المنطقي أيضًا أن نقول إن أي دين يتطور في سياقه التاريخي سياسي كان أو اجتماعي، فوجود تنظيمات للقتال (مثل الدولة الإسلامية الأولى) لا يعني بالضرورة أن الدين كله مجرد آلية قتال.[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الجهاد في الإسلام نُظمه فقهيًا منذ قرون، فهناك فقهاء تحدثوا عن شروط الحرب، الغنائم، الأهلية، الأسرى، وغير ذلك، مما يدل على أن الجهاد ليس مفهومًا فوضويًا أو بلا تنظيم.
- هناك مواقف كثيرة من الخلفاء والفقهاء الذين اعتبروا الجهاد واجبًا دفاعيًا في كثير من الأحيان، وليس فقط هجومًا. بعض الفقهاء كتبوا عن الجهاد كوسيلة للحماية والدعوة.

---

[١] انظر: تطور مفهوم الجهاد، لمحمود محمد أحمد، (صـ239)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٥م.

[٢] انظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،(٢/٣٣٨)،الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

- من الناحية الأثرية والتاريخية، المجتمعات الإسلامية القديمة لم تكن دائماً في حالة حرب مستمرة: إنما كان هناك فترات من سلم والتعايش مع غير المسلمين، مما يبيِّن أن الجهاد لم يكن دائمًا الهدف الوحيد للمسلمين.[1]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين يعترفون أن الجهاد مفهوم مركب وليس مجرد حرب مقدسة بلا قيد.[2]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس به بعض النصوص التي تربط الشهادة بالجهاد:" فَلَمَّا فُتِحَ الخَتْمُ الخامِسُ رَأَيْتُ تَحْتَ المِذْبَحِ أَرْواحَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ وَالشَّهَادَةِ الَّتِي حَمَلُوهَا"[3]:" وَمَنْ لَمْ يَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ تَلْمِيذِي.."[4]

---

[1] انظر: الجهاد بين عقيدة المسلمين وشبه المستشرقين، لعوض عبد الهادي العطا،(صـ٧٩ ومابعدها)،الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة،الطبعة: السنة السابعة عشرة العددان السابع والستون والثامن والستون رجب . ذو الحجة ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.و تاريخ الفكر السياسي في الإسلام، لعلي عبدالحميد،(صـ١٤٥-١٦٢)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

[2] Meir Hatina & Meir Litvak ,Martyrdom and Sacrifice in Islam: Theological, Political and Social Contexts, I.B. Tauris, London / New York , 2017,p: 244

مير هاتينا و مير ليتفاك، الاستشهاد والتضحية في الإسلام: السياقات اللاهوتية والسياسية والاجتماعية، آي. بي. توريس، لندن / نيويورك، ٢٠١٧، الصفحات ٢٤٤

[3] سفر رؤيا، الإصحاح ٦ ، الآيه ٩-١١

[4] انجيل لوقا ، الإصحاح ١٤ ، الآيه ٢٧

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

بداية إن المسلمين والمسيحيين أخوة بحكم المواطنة، وهذا مايشار إليه في قول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾.[١]

أولاً: فإن تحدثنا عنهم بصورة الدنيا فهم شهداء الوطن يعاملون معاملة الشهداء من حقوق لهم ولأسرهم، وإن تحدثنا عنهم يصورة الآخرة فليس من شأننا أن الحكم على أحد في علم الغيب.

ثانياً: الشهيد في الإسلام:

١-الشهيد في المعركة (شهيد الدنيا والآخرة) من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومعنى (في سبيل الله) أنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، هذا هو حد شهيد المعركة كما بينه النبي -صلي الله عليه وسلم- .[٢] فعن أَبى مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِلنَّبِيِّ -صلي الله عليه وسلم- : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَيُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، مَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».[٣]

٢-الشهيد في غير المعركة (شهيد الآخرة) :

المطعون : من مات بالطاعون كالفيرس.
المبطون : من مات بأمراض البطن .
الغريق : من مات غرقًا.

---

[١] سورة الحجرات،الآية،١٣

[٢] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، (صـ٢٤٥)المحقق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

[٣] صحيح البخاري ،كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ،بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلْمَغْنَمِ، هَلْ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ؟ (٨٦/٤برقم٣١٢٦).

صاحب الهدم : من مات تحت أنقاض سقوط بيت أو نحو ذلك.

الحريق : من مات محترقًا.

صاحب ذات الجنب : وهي قرحة تكون في الجنب

المرأة في الولادة : تموت وهي تضع مولودها.

المقتول دون ماله أو نفسه أو عرضه : دفاعًا عن حق مشروع.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: " الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ "[١]وفي روايات أخرى أُضيف: **المرأة تموت بجُمع** (أي في النفاس)، **والحريق**:اللهِ، فعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ ثَابِتٍ لَمَّا مَاتَ قَالَتْ ابْنَتُهُ: وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ شَهِيدًا، أَمَا إِنَّكَ قَدْ كُنْتَ قَضَيْتَ جِهَازَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ، وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟ " قَالُوا: قَتْلٌ فِي سَبِيلِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ "[٢]

ومن قُتل دون ماله، أو دون دمه، أو دون أهله، أو دون دينه: فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» [٣]

ثالثاً: الشهيد في المسيحية: وهو كل مَنْ سلَّم حياته للموت من أجل الإيمان بالسيد المسيح، سواء كان كاهنًا أو من الشعب، أيا كان جنسه أو سنه.[1]

---

[١] صحيح البخاري ،بَابٌ: الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى القَتْلِ (٤/٢٤برقم٢٨٢٩).

[٢]مسند الإمام أحمد بن حنبل،حَدِيثُ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ، (١٦٢/٣٩برقم٢٣٦٧٤).

[٣]المرجع السابق، مسند سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل رضي الله عنه ، (٢٩٨/٢برقم١٦٥٢).

مماسبق يتبين أن الشهيد يكون في أحكام الآخرة كمايعتقد كل من الطرفين من المسلمين والمسيحيين ، أما في أحكام الدنيا فإذا قام أحد من غير المسلمين بالمشاركة بالدفاع عن بلاد المسلمين دون تقديم أي تنازلات من المسلمين عن الحق فلا بأس أن يُشكر ويكافأ على ذلك.

---

(١) انظر: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض شخصيات كنسية، للقمص تادرس يعقوب ملطي، مقدمة الكتاب، مطبعة الكرنك، الإسكندرية، ١٩٨٥ م.

المطلب الرابع عشر

فرية الإسلام دين شكلى

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"لقد وضع محمد-صلي الله عليه وسلم- نظاماً دقيقاً من العبادات الشكلية التي تهدف في المقام الأول إلى خلق روح الانضباط في الجماعة. فالصلاة بحركاتها الرتيبة والوضوء المتكرر لم تكن تهدف إلى عمق روحي بقدر ما كانت تهدف إلى تعويد الأتباع على الطاعة العمياء وتنفيذ الأوامر بدقة، مما حول الإسلام إلى دين قانوني وشكلي يفتقر إلى الحرية الروحية التي نجدها في الأديان الأخرى." (١)

"Alle origini storiche del decennio medinese dob- biamo il carattere più che altro formale di tanta parte dell'isla- mismo, contro il quale carattere, solo dopo alcuni secoli, reagirono i mistici، carattere formale per cui, ad esempio, basta, per divenir musulmani, pronunziare davanti a testimoni le poche parole della professione di fede: Non v'è Dio fuori di Allah, Maometto è l'inviato di Allah, senza bisogno di preparazione spirituale, di catecumenato، mentre d'altro canto mille impedimenti e pene terribili sono posti a chi tenti di uscire dall' islam. (2)

---

(١) محمد وظهور الإسلام، لديفيد مرجليوث،،(صـ١٦٥).

(2) Nallino, C. A. (1946). *Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916*. Istituto per l'Oriente.P٣٨

"في الأصول التاريخية للعقد المديني، لدينا الطابع الشكلي الذي يتسم به الكثير من الإسلام، والذي لم يتصدى له المتصوفة إلا بعد بضعة قرون. فلكي يصبح المرء مسلماً، يكفي مثلاً أن ينطق أمام الشهود بالكلمات القليلة من إقرار الإيمان: لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله، دون الحاجة إلى استعداد روحي، أو دراسة دينية، في حين أن هناك آلاف العوائق والعقوبات الرهيبة تفرض على من يحاول الخروج من الإسلام. [١]

٢-مضمون الشبهة:

- الإسلام ارتباط شكلي فقط، بمجرد لفظ الشهادة أمام شهود يكفي ليكون المرء مسلمًا، بدون عمق إيماني أو دراسة دينية حقيقية.
- في المقابل الإسلام يفرض عقوبات شديدة على من يتركه (الردة)، فالدخول سهل جدًا، والخروج صعب جدًا.

٣-هدف الشبهة:

- التقليل من عمق البُعد الروحي للإسلام، وجعله دينًا يشبه القوانين المدنية البحتة، لا دين إيمان عميق.
- تصوير الإسلام كمؤسسة قانونية صارمة أكثر منه مجتمعًا روحيًا، وذلك قد يخدم انتقادًا غربيًا للعقوبات على الردة أو لحرية المعتقد.
- تعزيز فكرة أن إنكار الإسلام أو تركه ليس فقط مسألة دينية، بل قد يكون خطرًا قانونيًا واجتماعيًا، مما يعزز وصمة السلطوية الدينية في الإسلام.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- هل صحيح أن مجرد نطق الشهادة بدون نية أو فهم أو التزام يكفي؟ ما معنى الإسلام عند أولئك الذين ينطقون دون علم أو في طفولتهم؟

---

[١] حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٤٢

- هل يُفرض بالفعل آلاف العقوبات الرهيبة على من يترك الإسلام في جميع الدول الإسلامية، أو أن ذلك يعتمد على الدولة والتشريع ؟
- هل يمكن رسم مقارنة عادلة بين عقد مدني وفقًا للفكر الغربي غير مرتبط دائمًا بالمعتقد الديني ؟
- ما مكان النية (الإسلام بالقلب) في التأسيس العقدي للإسلام؟ هل العقد مجرد لفظ، أم أن القلب مهم؟[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يؤيدون فكرة الدخول السطحي للإسلام.[٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** قد يستخدمها بعض الباحثين أو النقاد لتأكيد وجهة نظر يرى فيها الإسلام كدين قوي قانونيًا، مع التركيز على السلطة والعقوبات، وليس فقط كدين روحاني.[٣]

---

[١] انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)،(١/١٠٤)،المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

[٢]

Rudi Paret, Mohammed und der Koran Kohlhammer Verlag .1957.p. 127-130

رودي بارت، محمد والقرآن، كول هامير ، ١٩٥٧، الصفحات: ١٢٧-١٣٠

[٣] Jessica Sylvan Mutter, By the Book: Conversion and Religious Identity in Early Islamic Bilād al-Shām and al-Jazīra,(PhD). University of Chicago Press, 2018, .P 248

موتر، جيسيكا سيلفان. بشكّل كتابي: التحول والهوية الدينية في بلاد الشام والجَزيرة في أوائل الإسلام. أطروحة دكتوراه، جامعة شيكاغو ، ٢٠١٨.الصفحات ٢٤٨

- **في الوسط الإسلامي:** قد تُثير ردودًا دفاعية قوية من المفكرين الإسلاميين، الذين يؤكدون أن الإسلام ليس مجرد عقد شكلي بل دعوة روحية، وأن النية (الإسلام بالقلب) مهمة جدًا، وأن معالجة قضايا الردة يجب أن تُفهم في سياق تفسيرات شرعية متعددة.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- من العقل المنطقي أي دين كبير مثل الإسلام لا يمكن اختزاله فقط في نطق الشهادة، فالبعض قد يقول أشهد دون فهم أو التزام حقيقي، وهذا لا يجعل منه مسلمًا بمعنى كامل الدين.
- إذا كان الدخول يسير كشهادة فقط والخروج معاقب بشدة، فهل هناك توازن؟ من المنطقي أن يكون هناك معايير داخلية كالقلب والنية لتحديد ما إذا كان الشخص مسلمًا حقًا، وليس مجرد لفظ.
- فكرة أن الإسلام عقد قانوني محض تنكر البُعد الإيماني والروحي، وهو بُعد غير قابل للاختزال بمنطق العقد المدني البحت.[2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الإسلام لم يكن دائمًا فقط شكلي في ممارسته، بل هناك تأكيدات من الفقهاء على نية القلب، وأهمية التصديق بها، ليس فقط نطقًا جهريًا.
- عقوبات الردة ليست موحدة في كل التاريخ الإسلامي ولا في كل الدولة الإسلامية المعاصِرة، فبعض الدول الإسلامية ليس لديها تطبيق عقوبة الردة.

[1] انظر: إحياء علوم الدين، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(٤/٣٦١-٣٦٦)،دار المعرفة – بيروت

[2] انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)،(١/١٩٤)،مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

- كثير من المسلمين يدخلون الإسلام بدعوة روحية أو دراسة، ولا يكون الأمر مجرد نطق بسيط أمام الشهود.[1]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين يوضح كيف أن أنظمة الحكم في الشرق القديم كانت تجمع بين البُعد الديني والمدني، مما يدل على أن العقد الديني والمدني ليس فكرة غريبة على المجتمعات القديمة، لكنها ليست مجرد نزعة شكلية فارغة.[2]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس يحتوي على دعوات للإيمان الداخلي مثل ايمان القلب وليس فقط الاعتراف الشفهي. لهذا فكرة أن الدين يمكن أن يكون عقدًا شكليًا فقط لا تتطابق مع فهم المسيحية للإيمان:" هذَا الشَّعْبُ يَكْرِمُنِي بِشِفَاهِهِمْ وَقُلُوبُهُمْ بَعِيدَةٌ عَنِّي. فَإِنَّهُمْ يَسْتَعْبِدُونَنِي بِنَظْمٍ كَلِمَاتِهِمْ، وَتَعْلِيمَاتِ النَّاسِ يَعْبُدُونَنِي"[3]:" فَإِنْ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الرَّبُّ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ تَخْلُصُ. لأَنَّهُ بِالْقَلْبِ يُؤْمَنُ لِلْبِرِّ، وَبِالْفَمِ يُعْتَرَفُ لِلْخلاص"[4]

---

[1] انظر: المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، لأبى يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ)،(صـ٥٣٩-٥٥٠)،مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

[2] Meir Hatina & Meir Litvak ,Martyrdom and Sacrifice in Islam: Theological, Political and Social Contexts, I.B. Tauris, London / New York , 2017,p: 248

مير هاتينا و مير ليتفاك، الاستشهاد والتضحية في الإسلام: السياقات اللاهوتية والسياسية والاجتماعية، آي. بي. توريس، لندن / نيويورك، ٢٠١٧، الصفحات ٢٤٨

[3] انجيل متى، الإصحاح ١٥ ، الآيه ٨-٩

[4] رسالة رومية ، الإصحاح ١٠ ، الآيه ٩-١٠

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

تلك الشبهة المغرضة لها شقان:

الأول: الإسلام دين شكلى.والثانى:الإسلام يعاقب المرتد.ويرأى الباحث على هذه الشبهة من خلال النقاط التالية:

الشق الأول: الإسلام دين شكلى:

أولاً: بداية ليعلم نالينو ومن تأثر به أن تعاليم الإسلام لم تكن مجرد عظات وإرشادات نظرية مجردة في نطاق شكلى، وإنما صيغت في قوالب تشريعية وقانونية لتمارس على المستوى الرسمي في الأرض يُذعن لها المسلمون، ويتعاملون بها مع غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى.

ثانياً: الإسلام ليس ديناً شكلياً ولا إقراراً بالشهادتين فقط كما يعتقد نالينو، بل دين جوهره ثمين ومظهره رصين، يحتاج من ينتمي إليه إلى استعداد روحى خلافاً لمعتقد نالينو، لذا أكد النبي – صلي الله عليه وسلم– ذلك: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–صلي الله عليه وسلم– :«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[(١)]

ثالثاً: فلاتتحرك الأعمال الظاهرية حتى تتحرك الأعمال الباطنية(القلبية): لأن الظاهر لايستقيم إلا بستقامة الباطن أولاً، فعَنْ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلي الله عليه وسلم– يقُولُ:" الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ ،(١٩٨٧/٤برقم ٢٥٦٤).

لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، **أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ".**[١]

ويقول العز بن عبدالسلام[٢]**:"** مَبْدَأُ التَّكَالِيفِ كُلِّهَا وَمَحَلُّهَا أَوْ مَصْدَرُهَا الْقُلُوبُ، وَأَوَّلُ وَاجِبٍ يَجِبُ – بَعْدَ النَّظَرِ – مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ صِفَاتِهِ، وَهِيَ شَرْطٌ فِي جَمِيعِ عِبَادَاتِهِ وَطَاعَاتِهِ، وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا مَشْرُوعَةٌ لِإِصْلَاحِ الْقُلُوبِ وَالْأَجْسَادِ، وَلِنَفْعِ الْعِبَادِ فِي الْآجِلِ وَالْمَعَادِ إمَّا بِالتَّسَبُّبِ أَوْ بِالْمُبَاشَرَةِ، وَصَلَاحُ الْأَجْسَادِ مَوْقُوفٌ عَلَى صَلَاحِ الْقُلُوبِ، وَفَسَادُ الْأَجْسَادِ مَوْقُوفٌ عَلَى فَسَادِ الْقُلُوبِ.

وَلِذَلِكَ قَالَ النبي –صلي الله عليه وسلم– : «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[٣]، أَيْ إذَا صَلَحَتْ بِالْمَعَارِفِ وَمَحَاسِنِ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِذْعَانِ، وَإِذَا فَسَدَتْ بِالْجَهَالَاتِ وَمَسَاوِئِ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ بِالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ".[٤]

---

[١] صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ، فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ ، (١/٢٠برقم٥٢).

[٢] ابن عبد السَّلام(٥٧٧ - ٦٦٠ هـ = ١١٨١ - ١٢٦٢ م)عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء• فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق.من كتبه:• التفسير الكبير• الإلمام في أدلة الاحكام• قواعد الشريعة – خ• الفوائد – خ [طُبع].

انظر: طبقات الشافعيين، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (١/٨٧٣)،.

[٣] صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ ، (١/٢٠برقم٥٢).

[٤] قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)،(١/١٩٧-١٩٨)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.

ويقول ابن رجب[١]:" إنَّ صلاحَ حركاتِ العبدِ بجوارِحِه، واجتنابِه للمحرَّماتِ واتِّقائِهِ للشُّبهاتِ بحسبِ صلاح حركةِ قلبهِ. فإنْ كانَ قلبُه سليمًا، ليسَ فيه إلا محبةُ اللَّهِ ومحبةُ ما يُحبُّه اللَّهِ، وخشيةُ اللَّهِ وخشيةُ الوقوع فيما يكرهُهُ، صلحَتْ حركاتُ الجوارح كلها، ونشأ عن ذلكَ اجتنابُ المحرَّماتِ كلِّها، وتوقِّي الشبهاتِ حذرًا مِنَ الوقوع في المحرَّماتِ. وإن كانَ القلبُ فاسِدًا، قدِ استولى عليه اتِّباعُ هواه، وطلبُ ما يحبُه، ولو كرهَهُ اللَّهُ، فسدتْ حركاتُ الجوارح كلِّها، وانبعثتْ إلى كل المعاصِي والمشتبهاتِ بحسبِ اتِّباع هوى القلبِ. ولهذا يقالُ: القلبُ ملكُ الأعضاء، وبقيَّةُ الأعضاءِ جنودُه، وهم مع هذا جنودٌ طائعونَ لهُ، منبعثونَ في طاعتِهِ، وتنفيذِ أوامر، لا يخالفونَهُ في شيءٍ من ذلكَ، فإنْ كانَ الملكُ صالحًا كانتْ هذه الجنودُ صالحةً، وإن كان فاسدًا كانت جنوده بهذه المثابةِ فاسدةً، ولا ينفع عندَ اللَّهِ إلا القلبُ السليمُ، كما قالَ تعالَى ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝** ﴾[٢]". [٣]

---

[١] ابن رجب الحنبلي(٧٣٦ – ٧٩٥هـ، ١٣٣٦ – ١٣٩٣م)زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الواعظ. الإمام الحافظ، المحدّث، الفقيه، ولد في بغداد وسمع من أبي الفتح الميدومي. له مصنفات عديدة، منها: شرح الترمذي؛ شرح علل الترمذي؛ ونشأ وتوفي بدمشق.

انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)،(٢٤٩/٢برقم٢٤٨٢).المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح،إعداد الفهارس:صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ٢٠١٠ م.

[٢] سورة الشعراء، الآية،٨٨-٨٩

[٣] روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، (٥٣/٢)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١ م.

رابعاً: ويشهد مستشرقوا الغرب بأن الإسلام دين واقعى شامل صالح لكل مكان وزمان: فيقول المستشرق هنري دي كاستري[1]:

١-إن رافعي راية الإسلام هم في العادة تجار، وهذا لا يوجب عند الامم الجاهلية خوفا منهم، ولا فرقا لمقدمهم، كما يحصل لهم ذلك من المبشرين المسيحيين.

٢-ينتشر الإسلام بمجرد الاختلاط والمعاشرة وحب التقليد، بدون أدنى إكراه، ولا تعيين رسل، أو مبشرين. ويتعسر بيان اللحظة التي يسير فيها الشخص مسلماً حقيقياً، لأن إسلامه يأتيه تدريجيا.

٣-الإسلام دين الفطرة والعقل الصحيح. وقد شاهدنا الوثنيين المتمدنين تركوا دينهم الهمجي، لعدم موافقته لما وصلت إليه عقولهم من التهذيب، وكان لهم من تهذيبهم معين على تلقي المعقولات المحضة، فسهل ذلك على المسلمين عرض مذهبهم بطريق التقرير المنطقي، وتمكنوا من إقناعهم. [2]

الشق الثانى: الإسلام يعاقب المرتد:

أولاً: بداية أذكر نالينو بما يعلمه وقرأه في الإسلام: أن الإسلام يقرر في أقدس نصوصه: أن المخالفة في الفكر والرأي والعقيدة والدين والمذاهب لا تستلزم العداوة والعدوان بأي شكل، بل دعا إلى الإحسان إليهم في المعاملة والمعاشرة، والتودد والبر والإنصاف قال تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ

وانظر: جامع العلوم والحكم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، (صـ٧٤)، دار المعرفة بيروت/ الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ

[1] سبق ترجمته،(صـ٢٢٩).

[2] انظر: الإسلام خواطر وسوانح، لهنري دي كاستري، (صـ٥)، ترجمة/ أحمد فتحى زغلول، تقديم/ محمود النجيري، مكتبة النافذة، الطبع: الأولى، ٢٠٠٨م.

عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ ﴾.[1]

ثانياً: الإسلام دين يسر وتيسير، دين واقعي في كل صوره ومجالاته، فالله عز وجل خلق الإنسان وهو أعلم بطاقاته التكليفية، وقدرته على الاحتمال في كل ظرف وحال، لذلك فمن المحال الاعتقاد بأن الله يكلفه بما لا يطيق، أو يشرع ما لم يكن قابلًا للتطبيق، قال جل شأنه ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤ ﴾[2]، ولذا فإن الله تعالى أكد أن أحكام الشريعة الإسلامية في حدود طاقات المسلم، فقال سبحانه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ ﴾ [4]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النبي –صلي الله عليه وسلم– قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[5] وعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– : «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»[6]، ولذا فإن من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية: التيسير على الناس، فما يخرج من التيسير إلى العسر، يخرج من نور الإسلام إلى ظلمات الإلحاد فهو ظالم لنفسه.

ثالثاً: الإسلام دائم التنبيه على ظواهر الانحرافات الفكرية، وتصحيحها وتفنيد الشبهات المثارة ضد سماحة الإسلام وبيان أن الفكر المغلوط والمنحرف ليس من الإسلام، وإن النبي –صلي الله عليه وسلم– حذر من التعصب والغلو: فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلي الله عليه وسلم– غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ: "الْقُطْ لِي حَصًى" فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ،

---

(1) سورة الممتحنة،الآية،٨

(2) سورة الملك،الآية،١٤

(3) سورة البقرة،الآية،٢٨٦

(4) سورة الطلاق،الآية،٧

(5) صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ،(١٦/١برقم٣٩).

(6) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ،(١٣٥٩/٣برقم١٧٣٤).

فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ: "أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا" ثُمَّ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"[١]، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– :«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا[٢]، أي: المغالون والمتجاوزون في الأقوال والأفعال.

رابعاً: المرتد المبطن لعقيدته ليس عليه عقوبه: فالإسلام لا يُحاسِبُ على الباطن بل الظاهر فقط، فمن ارتدَّ بينه وبين نفسه دون أن يُعْلِمَ أحداً لا عقوبةَ عليه، فهو بذلك حُرٌّ فيما يعتقد، لكنه مسؤول أمام الله تعالى فيما يعتقد، أمَّا إنْ أظهرَ ارتِدادَه أعلنه، فقد خرج على النَّسق العام للمجتمع والنظام العام، وهذا في عُرف الجميع يستحق العقاب والردع، لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣٤ ﴾[٣]

خامساً:الخيانة العظمى للقوانين تكون موجبة للقتل، والمرتد المعلن لرتداده هو محارب للإسلام:

"إن الإسلام يقرر حرية اختيار الدين، فالإسلام لا يكره أحداً على أن يعتنق أى دين يقول الله تعالى **(لا إكراه فى الدين)**[٤].غاية ما هنالك أن الإسلام لا يقبل الشرك بالله ولا يقبل عبادة غير الله وهذا من صلب حقيقة الإسلام باعتبار كونه دين من عند الله جل وعلا، ومع ذلك يقبل النصارى واليهود ولا يقاتلهم على ما هم عليه ولكن يدعوهم إلى الإسلام. كما أن الإسلام لا يبيح

---

[١] سنن ابن ماجة،أَبْوَابُ الْمَنَاسِكِ، بَاب مِنْ أَيْنَ تُرْمَى جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ، (٢٢٨/٤برقم٣٠٢٩)،.بإسناد صحيح.انظر: المسند الجامع، حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل، حرف العين، عبد الله بن عبّاس الهاشمي، (٩٤/٩برقم٦٣٣٠)، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة:الأولى، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.

[٢] صحيح مسلم، كتاب الْعِلْمِ، بَابُ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، (٢٠٥٥/٤برقم٢٦٧٠).

[٣] سورة المائدة،الآية،٣٣-٣٤

[٤] سورة البقرة،الآية ، ١٥٦

الخروج لمن دخل فى دين الله لا يكلف أحداً أن يجهر بنصرة الإسلام، ولكنه لا يقبل من أحدٍ أن يخذل الإسلام، والذى يرتد عن الإسلام ويجهر بذلك فإنه يكون عدوًّا للإسلام والمسلمين ويعلن حرباً على الإسلام والمسلمين ولا عجب أن يفرض الإسلام قتل المرتد، فإن كل نظام فى العالم حتى الذى لا ينتمى لأى دين تنص قوانينه أن الخارج عن النظام العام له عقوبة القتل لا غير فيما يسمونه بالخيانة العظمى. وهذا الذى يرتد عن الإسلام فى معالنة وجهر بارتداده، إنما يعلن بهذا حرباً على الإسلام ويرفع راية الضلال ويدعو إليها المنفلتين من غير أهل الإسلام وهو بهذا محارب للمسلمين يؤخذ بما يؤخذ به المحاربون لدين الله.

والمجتمع المسلم يقوم أول ما يقوم على العقيدة والإيمان. فالعقيدة أساس هويته ومحور حياته وروح وجوده، ولهذا لا يسمح لأحد أن ينال من هذا الأساس أو يمس هذه الهوية. ومن هنا كانت الردة المعلنة كبرى الجرائم فى نظر الإسلام لأنها خطر على شخصية المجتمع وكيانه المعنوى، وخطر على الضرورة الأولى من الضرورات الخمس " الدين والنفس والنسل والعقل والمال "[١].

والإسلام لا يقبل أن يكون الدين ألعوبة يُدخل فيه اليوم ويُخرج منه غداً على طريقة بعض اليهود الذين قالوا ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢ ﴾[٢].

والردة عن الإسلام ليست مجرد موقف عقلى، بل هى أيضاً تغير للولاء وتبديل للهوية وتحويل للانتماء. فالمرتد ينقل ولاءه وانتماءه من أمة إلى أمة أخرى فهو يخلع نفسه من أمة الإسلام التى كان عضواً فى جسدها وينقم بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها ويعبر عن ذلك الحديث النبوى بقول

[١] شبهات المشككين، لمجموعة من المؤلفين، (صـ١٢٤)، موقع وزارة الأوقاف المصرية، فى ١٨ من صفر ١٤٢٣هـ - ١ مايو ٢٠٠٢م.

[٢] سورة ال عمران، الآية، ٧٢

رسول الله –صلي الله عليه وسلم– فيه: "التارك لدينه المفارق للجماعة" [(١)]، وكلمة المفارق للجماعة وصف كاشف لا منشئ، فكل مرتد عن دينه مفارق للجماعة.

ومهما يكن جرم المرتد فإن المسلمين لا يتبعون عورات أحدٍ ولا يتسورون على أحدٍ بيته ولا يحاسبون إلا من جاهر بلسانه أو قلمه أو فعله مما يكون كفراً بواحاً صريحاً لا مجال فيه لتأويل أو احتمال فأى شك فى ذلك يفسر لمصلحة المتهم بالردة.

إن التهاون فى عقوبة المرتد المعالن لردته يعرض المجتمع كله للخطر ويفتح عليه باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه. فلا يلبث المرتد أن يغرر بغيره، وخصوصاً من الضعفاء من الناس، وتتكون جماعة مناوئة للأمة تستبيح لنفسها الاستعانة بأعداء الأمة عليها وبذلك تقع فى صراع وتمزق فكرى واجتماعى وسياسى، وقد يتطور إلى صراع دموى بل حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس.

وجمهور الفقهاء قالوا بوجوب استتابة المرتد قبل تنفيذ العقوبة فيه فبعض الفقهاء حددها بثلاثة أيام وبعضهم بأقل وبعضهم بأكثر ومنهم من قال يُستتاب أبداً[(٢)]، واستثنوا من ذلك الزنديق[(٣)]، لأنه

[(١)] صحيح مسلم، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَابُ مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ، (١٣٠٢/٣برقم١٦٧٦).

[(٢)] قال ابن قدامة رحمه الله:المرتد لا يُقْتَلُ حَتَّى يُسْتَتَابَ ثَلاثًا . هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ مِنْهُمْ عُمَرُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعَطَاءٌ ، وَالنَّخَعِيُّ ، وَمَالِكٌ ، وَالثَّوْرِيُّ ، وَالأَوْزَاعِيُّ ، وَإِسْحَاقُ ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ..لأَنَّ الرِّدَّةَ إنَّمَا تَكُونُ لِشُبْهَةٍ ، وَلا تَزُولُ فِي الْحَالِ ، فَوَجَبَ أَنْ يُنْتَظَرَ مُدَّةً يَرْتَئِي فِيهَا ، وَأَوْلَى ذَلِكَ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ اهـ .

انظر: المغني شرح مختصر الخرقي، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) (١٨/٩)، دار إحيار التراث العربي، الطبعة الأولى سنة١٤٠٥هـ

[(٣)] والحلاّج من أشهر الزنادقة الذين تمّ قتلهم دون استتابة، قال القاضي عياض: وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول، وقوله:"أنا الحق" مع تمسكه في الظاهر

يظهر خلاف ما يبطن فلا توبة له وكذلك سابّ الرسول –صلي الله عليه وسلم– لحرمة رسول الله وكرامته فلا تقبل منه توبة. والمقصود بهذه الاستتابة إعطاؤه فرصة ليراجع نفسه عسى أن تزول عنه الشبهة وتقوم عليه الحُجة ويكلف العلماء بالرد على ما فى نفسه من شبهة حتى تقوم عليه الحُجة إن كان يطلب الحقيقة بإخلاص وإن كان له هوى أو يعمل لحساب آخرين، يوليه الله ما تولى".[١]

سادساً: الكفر بنفسه ليس مبيحًا للدم، وإنما المبيح هو محاربة المسلمين ومحاولة فتنتهم عن دينهم:

وهذا الذي ينبغي أن نفهمه من حديث عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صلي الله عليه وسلم– : " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، **وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**"[٢]، **يؤكد الشيخ شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق رحمه الله**[٣] أن قتل المرتد ليس حدًّا فيقول:"وقد يتغير وجه النظر في المسألة، إذ لوحظ أن كثيرًا من العلماء يرى أن الحدود لا تثبُت بحديث الآحاد، وأن الكفر بنفسه ليس مبيحًا للدم،

بالشريعة، ولم يقبلوا توبته.انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، (٢ / ٦٣٢) .

[١] شبهات المشككين، لمجموعة من المؤلفين، (صـ١٢٤).

[٢] صحيح مسلم، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَابُ مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ، (١٣٠٢/٣برقم١٦٧٦)،

[٣] شَلْتُوت(١٣١٠ - ١٣٨٣ هـ = ١٨٩٣ - ١٩٦٣ م)محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري. ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) تقلد شيخ للأزهر (١٩٥٨) الى وفاته. له ٢٦ مؤلفا مطبوعا، منها (التفسير) أجزاء منه في مجلد، ولم يتم،و (حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي) و (القرآن والمرأة) رسالة، و (هذا هو الإسلام) . انظر: الأعلام ، للزركلي (١٧٣/٧).

وإنما المبيح هو محاربة المسلمين والعدوان عليهم ومحاولة فتنتهم عن دينهم، وأن ظواهر القرآن الكريم في كثير من الآيات تأبى الإكراه في الدين".[١]

فقتل المرتد لم يكن لمجرد الارتداد، وإنما للإتيان بأمر زائد مما يفرق جماعة المسلمين، حيث يستخدمون الردة ليردوا المسلمين عن دينهم، فهي حرب في الدين كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٧٢﴾.[٢] فالنبي –صلي الله عليه وسلم– قد قبل توبة جماعة من المرتدين: كعبدالله بن أبي سرح فقد تاب ورجع من ردته وعفى عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما قام به من الطعن والافتراء. وأمر بقتل جماعة آخرين: ضموا إلى الردة أمورًا أخرى تتضمن الأذى والضرر للإسلام والمسلمين، مثل أمره بقتل مقيس بن صبابة يوم الفتح، لمَّا ضم إلى ردته قتل المسلم وأخذ المال، ولم يتب قبل القدرة عليه، وكذلك أمر بقتل ابن خطل لمَّا ضم إلى ردته السبَّ وقتل المسلم".[٣]

ومما سبق يتبين أن "قضية قتل المرتد" في المصادر التشريعية لم يكن عقوبة ضد حرية الفكر والعقيدة، بل بما تضم من محاربة وطعن وافتراء على دين الإسلام.

ختاماً: كنت في البداية أتحسس كلمات نالينو ويكأنه يريد أن يسمع من يجيب على تساؤلاته، وبعد النظر في هذه النصوص ومافيها من كلمات تحمل في أسلوبها الغموض وغض الطرف عن الحق تارة، والاستهزاء والاتهام لشخص رسول الله –صلي الله عليه وسلم– تارة أخري: جلعنى

---

[١] الإسلام عقيدة وشريعة، للإمام الأكبر محمود شلتوت، (ص١٠٣)، دار الشروق، الطبعة:الثامنة عشر، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

[٢] سورة ال عمران، الآية، ٧٢

[٣] انظر: تهذيب الأسماء واللغات، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(المتوفى: ٦٧٦هـ)، (٢٧٠/١)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

أتأكد من تعصب نالينو الشديد، وكرهه وحقده على الإسلام ورسوله –صلي الله عليه وسلم– ، بما لايدع مجالاً للشك أن مبتغاه هو تشكيك القارئ المسلم في دينه وسيرة رسوله –صلي الله عليه وسلم– ، وغير المسلم في تشويه صورة الإسلام ورسول الإسلام محمد –صلي الله عليه وسلم– ، وهذا النهج كان له أثر كبير لأبناء وأحفاد نالينو من أصحاب الفكر الحداثي المعاصر الآن، وهذا ما سنتعرف عليه في الفصل الثانى: مدى تأثر الفكر الحداثي المعاصر من إثارة شبهات المستشرقين حول رسول الإسلام محمد –صلي الله عليه وسلم– .

الفصل الثالث

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين في قراءتهم للسيرة النبوية

ويتضمن سبعة مباحث:

المبحث الأول: إحياء الأساطير في سيرة الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

المبحث الثانى: النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أخذ القرآن عن اليهود والنصارى.

المبحث الثالث: انتحار النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

المبحث الرابع: سِحْرُ النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

المبحث الخامس:غزوات محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لسلب الغنائم وجمع الثروات والسلطان.

المبحث السادس: محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ناقض للعهود والمواثيق.

المبحث السابع: فصل الدين عن الدنيا.

الفصل الثالث

مدى تأثر الفكر الحداثي المعاصر من إثارة شبهات المستشرقين

حول رسول الإسلام محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

تأثَّر أصحاب الفكر الحداثي المعاصر من العرب والمسلمين بالفكر الاستشراقي، فتبنوا أفكارهم في بث السموم في قضايا الإسلام بوجه عام، وبوجه خاص قضايا السيرة النبوية والطعن في رسول الإسلام – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وحول استمداد الفقه الإسلامي من القانون الروماني كما سأذكر في الباب الثالث(موقف المستشرقين من قضايا الشريعة الإسلامية). وقد استخدم أصحاب الفكر الحداثي المعاصر كل الطرق والوسائل الباطلة والمناهج الزائفة لإلصاق التهم بالإسلام ورسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، لكن حزب الله هم الغالبون. ويبدأ الباحث بفضل الله سبحانه في الرد على المباحث التالية، وأولها (إحياء الأساطير في سيرة الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) مستعين به وحده جل في علاه:

المبحث الأول

إحياء الأساطير في سيرة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

كان من بين من سقط في غفلات الفكر الحداثي المعاصر، وشرب من سقى المستشرقين، بل من كؤوس الغربيين، وتأثر بكتابات المبشرين والمستشرقين ما كتبه **الدكتور طه حسين**[(١)] في كتابه(على هامش السيرة)[(٢)]، فقد أساء للسيرة عندما سمى كتابه (على هامش السيرة) فإذا كان قد أشار في المقدمة إلى أنه اهتم باختراع الأحاديث فإنَّ الحرية التي أباحها لنفسه لم تكن إلا لهوى معين وهدف واضح، هو أن يقدم عن طريق القصص من السموم ما عجز عنه عن طريق النقد والكتابة الأدبية: و**يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:**

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

فيدعى طه حسين قائلاً:" لقد حاولت أن أقص بعض الأساطير المتصلة بالفترة التي سبقت ظهور النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ثم قصصت مولده وطفولته.[(٣)]

---

(١) طه حسين علي بن سلامة (١٤ نوفمبر ١٨٨٩ - ١٣٠٦ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣م-١٣٩٣هـ)، وشهرته «طه حسين»، أديب وناقد مصري، لا تزال أفكار ومواقف طه حسين تثير الجدل حتى اليوم. عمل عميدًا لكلية الآداب، ثم مديرًا لجامعة الإسكندرية، ثم وزيرًا للمعارف. من أشهر كتبه: في الشعر الجاهلي (١٩٢٦) ومستقبل الثقافة في مصر (١٩٣٨). وقد رُشح لجائزة نوبل في الأدب إحدى وعشرين مرة.**انظر**: سارق النار، لمحمود السمرة، (١٦-٢٢)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م.

(٢) كتاب: على هامش السيرة، للدكتور/طه حسين، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٤٦م.

(٣)انظر: على هامش السيرة : لطه حسين،(٢٦٠-٢٦١)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٤م. وانظر: على هامش السيرة، لطه حسين، (٧-٨)، دار المعارف، القاهرة. وقالها في بحث نشره في كتاب (الإسلام والغرب)الصادر عام (١٩٤٦) في باريس، ونشرت هذه السلسلة بعنوان مقتبس من جيل لوميتر

٢-مضمون الشبهة:

يُفهم من هذا النص أن طه حسين:

- يُدرج الأحداث السابقة لبعثة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بل وحتى مولده وطفولته، في إطار الأساطير.
- يتعامل مع السيرة النبوية بمنهج أدبي نقدي لا بمنهج تاريخي توثيقي.
- يلمّح إلى أن كثيرًا مما ورد في السيرة غير ثابت تاريخيًا، وإنما صيغ لاحقًا لأغراض دينية أو فنية.

٣-هدف الشبهة:

- نزع الصفة التاريخية الموثوقة عن السيرة النبوية.
- إخضاع السيرة للمنهج الاستشراقي الغربي القائم على الشك.
- إعادة تفسير النبوة تفسيرًا بشريًا بعيدًا عن الوحي.
- تهيئة القارئ المسلم لقبول فكرة أن السيرة نتاج خيال ديني أو أسطوري.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين الأسطورة والخبر التاريخي المروي بالأسانيد.
- تجاهل المنهج الإسلامي الدقيق في نقد الروايات.
- تطبيق مناهج النقد الغربي على نصوص ذات طبيعة عقدية ووحيية.

وهو(على هامش السيرة) ويتحتم أن نعترف بأن كتابين فرنسيين كانا بمثابة الشرارتين اللتين أشعلت موقدين كبيرين: أحد الكتابين لجيل لوميتر عنوان (على هامش الكتب القديمة) والثاني: (حياة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأميل درمنجم)، فقد عمد الكتاب الكبار الثلاثة إلى البدء في كتابة السيرة من منطلق غربي استشراقي. أما كتاب جيل لوميتر فإني بعد أن شغفت به كثيراً وضعت في نفسي الأسئلة الآتية:هل يمكن إعادة كتابة مآثر الفترة البطولية في تاريخ الإسلام في أسلوب جديد أم أنه يتعذر ذلك؟ وهل تصلح اللغة العربية لإحياء هذه المآثر؟وانظر: نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، لرفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (المتوفى: ١٢٩٠هـ)، (صـ٦٤)، دار الذخائر – القاهرة، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

- تعميم الحكم بالأسطورية دون برهان تاريخي قاطع.[1]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين يستخدمون المنهج الغربي في دراسة التراث.[2]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استُخدم كلام طه حسين كدليل داخلي من مفكر مسلم لتدعيم الطرح الاستشراقي، وتعزيز دعوى أن المسلمين أنفسهم يشككون في مصادرهم.[3]
- **في الوسط الإسلامي:** إثارة البلبلة الفكرية بين المثقفين، وظهور ردود علمية قوية من علماء الأزهر، وصدور قرارات رسمية بمصادرة بعض كتبه.[4]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الأسطورة تقوم على الخيال الجمعي، بينما السيرة النبوية قائمة على:
- روايات متصلة الأسانيد.

---

[1] انظر: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، لأنور الجندي، (١/٢١ ومابعدها)، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٨م.

[2] D. S. Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam, London: Williams and Norgate, 1905.p27-18.

مرجليوث، ديفيد صموئيل. محمد ونشأة الإسلام. لندن: دار نشر ويليام بلاك وود، ١٩٠٥، ص ١٨-٢٧.

[3] D. S. Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam, London: Williams and Norgate, 1905.p27-18.

مرجليوث، ديفيد صموئيل. محمد ونشأة الإسلام. لندن: دار نشر ويليام بلاك وود، ١٩٠٥، ص ١٨-٢٧.

[4] انظر: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، لأنور الجندي، (١/٢١ ومابعدها).

- تعدد طرق النقل.
- لا يعقل أن تتواطأ أجيال متعددة على اختلاق تاريخ متكامل دون تناقض.[1]

٢- **نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:**

- ثبوت: وجود مكة تاريخيًا.
- ثبوت:نسب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قريش.
- ثبوت:أحداث كعام الفيل.[2]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين يوضح كيف أن محمدًا شخصية تاريخية لا يمكن إنكارها، والسيرة الأساسية له موثوقة في خطوطها الكبرى.[3]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس ذاته يقرّ بوجود أنبياء ذُكرت حياتهم مع معجزاتهم، فرفض السيرة بدعوى المعجزات يلزم منه رفض التوراة والإنجيل:" أَمَّا وِلادَةُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَىٰ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ..فَيُوسُفُ رَجُلُهَا، إِذْ كَانَ بَارًّا وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا.

..وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ، إِذَا مَلَاكُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: يَا يُوسُفُ ٱبْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ ٱمْرَأَتَكَ، لِأَنَّ ٱلَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ..فَسَتَلِدُ ٱبْنًا

---

[1] انظر: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)،(٥٣/١ ومابعدها)، دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

[2] انظر: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)،(٥٣/١ ومابعدها).

[3] W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca (Oxford: Oxford University Press, 1953), 52

وليم مونتجمري وات، محمد في مكة (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٥٣م)، ٥٢

وَتَدْعُو ٱسْمَهُ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ"[1]:" وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ ٱلْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ ٱلْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَىٰ أُورُشَلِيمَ، قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ ٱلْمَوْلُودُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي ٱلْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ"[2]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ويرأى الباحث على سوء كتابات الدكتور طه حسين فيقول:

أولاً: تحول كتابات الدكتور طه حسين من الكتابات الأدبية إلى الكتابات الإسلامية ضَرْبٌ للإسلام في رسول الهداية – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: وهذا الذي كشفه الدكتور محمد حسين هيكل(٣) ما زال كثيرون يجهلونه، وما زال المتابعون لحياة الدكتور طه حسين(٤) وتحوّلاته يرون أن هذا أخطر تحول له، وأن **هذا التحول جاء ليخدع الناس عن ماضيه وسابقته في إذاعة مذهب الشك وطارت الدعوات تقول: إن طه حسين (٥)عاد إلى الإسلام، وإنه يكتب حياة الرَّسُولِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ولم يكن هذا صحيحاً على الإطلاق، ولكنه كان تحولاً خطيراً وفق أسلوب جديد لضرب الإسلام في أعز فلذات حياته، وهي سيرة الرَّسُول الأمين – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.**

---

[1] انجيل متى، الإصحاح ١ ، الآيه ١٨-٢٥

[2] رسالة رومية ، الإصحاح ٢ ، الآيه ١-١٢

(٣) محمد حسين هيكل شاعر وأديب وسياسي كبير مصري، ولد في ٢٠ أغسطس ١٨٨٨ الموافق ١٢ ذو الحجة ١٣٠٥ هـ في قرية حنين الخضراء في مدينة المنصورة ، محافظة الدقهلية، مصر.عمل بالصحافة. اتصل بأحمد لطفي السيد وتأثر بأفكاره، والتزم بتوجيهاته، كما تأثر بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وغيرهم. من مؤلفات: حياة محمد – ١٩٣٣ في منزل الوحى – ١٩٣٩. الصديق أبو بكر. الفاروق عمر – ١٩٤٤ / ١٩٤٥. **انظر**: حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد حسين هيكل (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،المقدمة.بدون طبعة،بدون تاريخ.

(٤) سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

(٥) سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

ثانياً: اتبع الدكتور طه حسين[١] في كتاباته ما يوافق هواه آخذاً بالأحاديث الموضوعة راداً للأحاديث الصحيحة المخالفة هواه: فقد وعوّل كثيراً على الإسرائيليات التي جاءت في تاريخ الطبري وأكثر من إيرادها وحشد قدراً كبيراً من الأساطير في قصة (حفر زمزم) على يد عبد المطلب، وبالغ في قصة ولادة الرَّسُول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مع أنه لم يثبت منها إلا حديث واحد، وأخذ بالأخبار الموضوعة في قصة (زينب بنت جحش) وجسم بعض المعجزات التي حدثت للرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عند مرضعته حليمة السعدية، وأثناء سفر النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في تجارة خديجة -رضي الله عنها-.وقد خصَّ الشياطين باهتمام بالغ فتوسع في الحديث عنهم وصور مؤتمراً يتصدره إبليس للشياطين، ورسم صورة للشيطان الذي حضر خلاف قريش على الحجر الأسود وكان على شكل شيخ نجدي. [٢]

ثالثاً: وعلى ندرة الصفحات التي خصصها لسيرة الرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جاءت هذه الصفحات مملوءة بالمغالطات: ومن أخطر مزاعمه أن النَّبيّ قد أحبَّ زينب وهي زوجة لزيد وهذا بهتان عظيم. ففي عرضه لقصة زواج الرَّسُول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من زينب -رضي الله عنها- يردد مزاعم المستشرقين الذين عجزوا عن ذكر رواية صحيحة في هذه المسألة. ولو كنا نعلم أن لأقوال طه حسين[٣] في هذه المسألة أهمية لتتبعنا شبهات المستشرقين وطلابهم شبهة شبهة، ولكنه أخبرنا في مقدمة كتابه أنه منح نفسه حرية الكذب واختلاق القصص، ولم يخاطب به العقول وإنما العواطف، ولا نريد إعطاءه أكثر مما وصف به نفسه.... ومع ذلك لا بد لنا من ذكر الملاحظات التالية:[٤]

---

[١] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

[٢]انظر: على هامش السيرة : لطه حسين،(٢٦٠-٢٦١)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٤م.

[٣] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

[٤] انظر: على هامش السيرة : لطه حسين،(صـ ٤١٠)، طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

١- في كتابه في الشعر الجاهلي بالغ في المنهج العقلي المادي، فاعتبر قصة إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام- أسطورة من الأساطير، وزعم أن القرآن من وضع محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفي كتابه على هامش السيرة بالغ في المذهب العاطفي الخيالي... وفي هذا دليل على تناقض **الدكتور طه حسين**[١] واضطراب عقله.

٢- قد يقول تلامذته: إن صياغة الأسطورة لا تعني أن الكاتب أصبح كذاباً، فأقول لهم: لماذا لم يكتب أسطورة عن المستشرقين وجامعاتهم ومناهجهم، أو عن الفرعونية وآثارها... ألم يجد ما يسخر به غير سيرة المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ}[٢]

٣- حشر قصص الفراعنة المصريين بسيرة المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذكر قيصر وحاكمه أندرو كليس، ثم ذكر قصة الفيلسوف (كلكراتيس) وأسهب في الحديث عن القساوسة والرهبان الذين كانوا يتوافدون على مصر من سائر أصقاع الأرض. وعندما وصل في حديثه إلى باخوم الذي زعم أنه أقام بمكة فترة من الزمن كأنه وجد كنزاً ثميناً **فقال: والعجب أن أكثر المصريين يجهلون أن لهم في بناء الكعبة يداً، وأنهم قد اشتركوا فيه**[٣] **وطبعاً الدكتور طه حسين**[٤] **يعتقد بأن المصريين أمة واحدة وأنهم من نسل الفراعنة، والمسلمون - في نظره - مستعمرون لمصر كأي مستعمر فكيف نجمع بين القولين؟!**

---

[١] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

[٢] سورة التوبة، الآية،٦٥

[٣] على هامش السيرة، للدكتور/طه حسين،(صـ٣٣٨)، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٤٦م.وانظر: على هامش السيرة : لطه حسين،(الفصل الثالث،حديث باخوم،صـ٢٥١)، طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

[٤] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

رابعاً: أقوال المفكرين والأدباء في الدكتور طه حسين[١]:

١-يقول صديقه وزميل دربه الدكتور محمد حسين هيكل[٢] في دراسة لهامش السيرة الجزء الثاني (ملحق السياسة ٣٧/١٢/٢٥): إن اليهود لهم باع طويل في دس الإسرائيليات في الإسلام. [٣] وقد عرف تبعية الدكتور طه حسين[٤] لمفهوم الإسرائيليات ووجهة نظر اليهود في قضايا كثيرة مثل موقفه من عبد الله بن سبأ في كتاب الفتنة الكبرى.[٥]

ولا ريب أن كلام الدكتور محمد حسين هيكل [٦]هذا هو اتهام صريح لطه حسين[٧]في اتجاهه وتحميله مسؤولية من أخطر المسؤوليات، وهي:إعادة إضافة الأساطير التي حرر المفكرون المسلمون سيرة النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - منها طول العصور. وإعادتها مرة أخرى لخلق جو معين يؤدي إلى إفساد العقول في سواد الشعب، وتشكيك المستنيرين، ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

---

[١] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

[٢] سبق ترجمته، صـ٣٧٠

[٣] انظر: محاكمة فكر طه حسين، لأنور الجندى، (صـ ١٩٠)، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى.

[٤] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

[٥] انظر: الفتنة الكبري، لطه حسين، الفصل الثالث عشر(١/١١٣)، طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٣م.

[٦] سبق ترجمته، ص٣٧٠

[٧] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

٢-يقول (غازي التوبة) [١] في دراسته عن الدكتور طه حسين[٢]وهامش السيرة:

إنَّ طه حسين[٣]ينصب نفسه إماماً للأساطير اليونانية، ويضع السيرة في مصاف الإلياذة ويطلب من المؤلفين والكتاب أن يفتنوا في الحديث عنها افتنان أوروبا بأساطير اليونان كي يرضوا بميول الناس إلى السذاجة ويمتعوا عواطفهم وأخيلتهم. ولكن هل يتساوى الأثران في المجتمعين (الإلياذة في المجتمع اليوناني والسيرة في المجتمع الإسلاميّ؟ وهل كانت السيرة يوماً في التاريخ موضوعاً لتسلية قصصية أو مباراة لفظية؟).[٤]ولم تكن السيرة يوماً من الأيام وسيلةً للتسلية والترفية كما يهدف طه حسين[٥] ولكنها كانت مصدراً لابتعاث الهمم ودفع النفوس المؤمنة إلى النهوض بالمجتمعات في ضوء حياة النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وسننه.

---

[١] غازي التوبة (ولد في ١٥ أيار ١٩٣٩ في دمشق)، كاتب ومفكر إسلامي، عضو في هيئة علماء فلسطين في الخارج والمجلس الإسلامي السوري، ورئيس رابطة العلماء السوريين، وله عدة مؤلفات في الفكر الإسلامي ونقد التجارب الإسلامية.منها:الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم- صدر عام ١٩٦٩.وجذور أزمة المسلم المعاصر: الجانب النفسي – صدر عام ١٩٩٤.والأمة الإسلامية بين القرآن والتاريخ – صدر عام ١٩٩٥. انظر: السيرة الذاتية للداعية الدكتور غازى التوبة ، رابطة أدباء الشام، العدد٧١٦ ، ٢٠-٤-٢٠١٧م.

[٢] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

[٣] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

[٤] انظر: محاكمة فكر طه حسين، لأنور الجندى، (صـ ١٨٨ – ١٨٩).

[٥] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

٣-**ويصف الأستاذ مصطفى صادق الرافعي [١] الشبهات الواردة في (على هامش السيرة) بأنـها (تهكم صريح)** [٢] وقد ألف كتاباً أسماه على هامش السيرة (يعني السِّيرة النَّبَوِيَّة المطهرة فملأه من الأساطير اليونانية الوثنية، وكتب ما كتب في السيرة الكريمة على منوالها، فأظهرها بمظهر الخرافات الباطلة وأساطير الخيال حَتَّى يخيل للقارئ أنَّ سيرة النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما هي إلا أسطورة من الأساطير، وفي هذا من الدس والبهت ما فيه. **الدكتور طه حسين**[٣] الذي كان يقول في الإسلام ما شاء ولا يبالي بالمسلمين أصبح اليوم يحسب للمسلمين حساباً، فلا يكتب إلا ويقول:إنه مسلم، وإنه يعظم الإسلام، ولكن ما انطوى عليه صدره يأبى إلا الظهور كما بدا جلياً في كتابه هذا(على هامش السيرة).[٤]

٤-**ويقول الدكتور زكي مبارك:**[٥] وأنا أوصي قرائي أن يقرأوا هذا الكتاب (على هامش السيرة) بروية فإن فيه نواحي مستورة من حرية العقل عرف الدكتور كيف يكتمها على الناس بعد أن

---

[١] الرافعي (١٢٩٨- ١٣٥٦ هـ / ١٨٨٠- ١٩٣٧ م) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، أديب ومفكر مصري، لقِّب بمعجزة الأدب العربي، وبشيخ أدباء العربية،.من مؤلفاته: ديوان الرافعي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.حديث القمر.المساكين.نشيد سعد باشا زغلول.النشيد الوطني المصري.رسائل الأحزان.**انظر**: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(٧/٢٣٥).

[٢] انظر: محاكمة فكر طه حسين، لأنور الجندى، (صـ ١٨٩).

[٣] سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

[٤] انظر: دسائس طه حسين، مجلة الشهاب، ج ٣ م١١ ربيع الأول ١٣٥٤هـ، يونية ١٩٣٥

[٥] محمد زكي عبد السلام مبارك (٥ أغسطس ١٨٩٢ - ٢٣ يناير ١٩٥٢) هو أديب وشاعر وصحفي وأكاديمي عربي مصري، حصل على ثلاث درجات دكتوراه متتالية فلقبه البعض إثر ذلك بالدكاترة زكي مبارك. درّس في الجامعة المصرية لعدة سنوات وعمل مفتشا عاما للغة العربية. وفاته:في ٢٢ يناير،١٩٥٢.من مؤلفاته:التَّصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق،الأخلاق عند الغزالي، الموازنة بين الشعراء،اللغة والدين والتقاليد.**انظر**: السيرة الذاتية،لزكى مبارك، موقع المعرفة https://www.marefa.org/

راضته الأيام على إيثار الرمز على التأليف (بعد ضربة الشعر الجاهلي) آثر أسلوب الرمز لتغطية أهدافه. [١]

أخيراً: اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية، وعلى رأسها الدكتور طه حسين[٢] الذي تشهد كتبه أنه لم يكن إلَّا بوقاً من أبواق الغرب، وواحداً من عملائه الذين أقامهم على حراسة السجن الكبير: يروِّج لثقافاته ويعظمها، ويؤلف قلوب العبيد ليجمعهم على عبادة جلاديهم. طه حسين الذي لم يملّ من الكلام عن جامعة البحر الأبيض المتوسط، التي دعت إليها فرنسا بالأمس والتي تدعو إليها أمريكا اليوم. طه حسين الذي يزعم لمصر أنها جزء من البحر الأبيض التوسط في مقوِّمات شخصيتها، وليست جزءاً من عرب نجد واليمن والبحرين والعراق والسودان. طه حسين الذي لم يَبْدُ العربُ في وهمه أمة، لأن قِوام الدول في زعمه هو المنافع المادية، ولأن (تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية، ولا قِواماً لتكوين الدول).[٣]

ومما سبق يتبين مدى تأثر أصحاب الفكر الحداثي المعاصر من أستاذهم الأول نالينو، وما بث في كتاباته السموم والغموض، خاصة في طلابه بجامعة القاهرة، ومانتج عن ذلك خروج أتباع له من قلب الجامعة يتبعون النهج الحاقد والحاسد للإسلام ورسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ولكن الجديد البين أنهم في ثوب الإسلام، وهوايات تحمل ديانة الإسلام كأمثال الدكتور طه حسين.

---

(١) انظر: محاكمة فكر طه حسين، لأنور الجندى، (صـ ١٩٠).

(٢) سبق ترجمته، (صـ٣٦٦)

(٣) انظر: مستقبل الثقافة في مصر، للدكتور/ طه حسين، (صـ١٢، ١٩،٢٠)، دار المعارف، ١٩٤٤م. وانظر: حُصُوُننا مهدَّدة من دَاخِلِهَا، لمحمد محمد حسين (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، (صـ١٢٢-١٢٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٠٤ هـ -١٩٨٣ م.

المبحث الثاني

النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أخذ القرآن عن اليهود والنصارى

قد استفاد أصحاب الفكر الحداثي المعاصر من طعون المستشرقين في رسولنا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فقاموا يغردون بها ومن تغريداتهم: أن محمداً – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أخذ القرآن، وأصول دينه، وأخبار الأنبياء والمرسلين عن الراهب بحيرا عندما لقيه في الشام، وعن ورقة بن نوفل الذي كان من متنصرة العرب وأحد أقرباء خديجة(رَضِيَ اللهُ عَنْهُا)، وعن الغلام الرومي الأعجمي الذي كان يعمل حداداً في مكة المكرمة.

ويتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

ومن المغردين لهذا الفكر محمد أركون[(١)] **حيث قال**:"والقصص القرآني مأخوذ من التراث اليهودي والمسيحي".[(٢)] **وقال هاشم صالح**[(٣)]:" إن القرآن متأثر أيضا بالإنجيل وليس فقط بالتوراة على

[(١)] محمد أركون (١ فبراير ١٩٢٨ بتاوريرت ميمون ببلدية بني يني الحالية، ولاية تيزي وزو (الجزائر)– في ١٤ سبتمبر ٢٠١٠ في الدائرة الخامسة عشرة في باريس)هو مفكر ومؤرخ وعالم دراسات إسلامية وفيلسوف وباحث أكاديمي جزائري،له: فكر العربي؛ الإسلام: أصالة وممارسة؛ تاريخية الفكر العربي الإسلامي أو «نقد العقل الإسلامي»؛ الفكر الإسلامي وغيرهم،وفاته في ٢٠١٠م عن عمر ناهز ٨٢ عاما في باريس ودفن في المغرب.انظر: وفاة المفكر والأكاديمي الجزائري محمد أركون، الموقع الإخباري(بي بي سي عربي)، ١٥_سبتمبر_٢٠١٠م.

[(٢)] نحو نقد العقل الإسلامي، لمحمد أركون (صـ٧٨)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٩م.

[(٣)] هاشم صالح ولد عام(١٩٥٠م) كاتب وباحث ومفكر ومترجم تنويري سوري، يهتم في قضايا التجديد الديني ونقد الأصولية ويناقش قضايا الحداثة وما بعدها، حاصل على الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث من جامعة

عكس ما يظن البعض".[١] **و قال طيب تيزيني**[٢]:"بحيث يمكن القول بأن الإسلام أخذ الكثير من الأعراف العربية الوثنية والمسيحية والنصرانية واليهودية إلخ ... التي كانت سائدة في المرحلة السابقة عليه".[٣] وجعل **محمد أركون**[٤] النبي – صلى الله عليه وسلم – في نظره قلد نموذجا نبوياً راسخاً في ذاكرة شعوب الشرق الوسط، فقال: ولكن هذه التجربة تصبح ضمن المنظور الانتربولوجي[٥] الواسع الذي نتبناه عبارة عن تقليد محاكاتي للنموذج النبوي المحفوظ في ذاكرة شعوب الشرق الأوسط القديم، ولكن بعد إرفاقه ببعض التعديلات الملائمة واللازمة لكي تتناسب مع الوسط العربي".[٦] **وقال صادق جلال العظم**[٧]:"ويحتوى الدين بالإضافة إلى ذلك على عدد

السوربون ١٩٨٢. وعلى دبلوم الدراسات العليا من جامعة دمشق ١٩٧٥نقل هاشم صالح العديد من مؤلفات محمد أركون إلى اللغة العربية. من بين مؤلفاته كتاب "مدخل إلى التنوير الأوروبي" وكتاب "معضلة الأصولية الإسلامية" وكتاب "الانسداد التاريخي ".انظر: هاشم صالح، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات الأبحاث.

[١] الإسلام والإنغلاق اللاهوتي، لهاشم صالح،(صـ١٦٩)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.

[٢] محمد طيب تيزيني (١٠ أغسطس ١٩٣٤– ١٨ مايو ٢٠١٩) هو مفكر سوري من مواليد مدينة حمص، من أنصار الفكر القومي الماركسي، يعتمد على الجدلية التاريخية في مشروعه الفلسفي لإعادة قراءة الفكر العربي منذ ما قبل الإسلام حتى الآن توفي عن عمر يناهز الـ٨٥ عاماً بعد صراع مع المرض في مدينته حمص.له: من ثلاثية الفساد إلى قضايا المجتمع المدني، بيان في النهضة والتنوير العربي وغيرهم.انظر:السيرة الذاتية للدكتور محمد طيب تيزيني، موقع مجمع اللغة العربية بدمشق.

[٣] مقدمات اولية في الاسلام المحمدي الباكر(نشأة وتأسيساً)، لطيب تيزيني، (صـ٢٦٩)، دار دمشق للنشر ، ١٩٩٤م.

[٤] سبق ترجمته، (صـ٣٧٧)

[٥] أو الانثربولوجى وهو التركيز على التنوع البشري من جانب الثقافة.

[٦] نحو نقد العقل الإسلامي،، لمحمد أركون، (المقدمة،صـ١)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٩م.

[٧] صادق جلال العظم (١٩٣٤ – ١١ ديسمبر ٢٠١٦) هو مفكر سوري علماني من مواليد دمشق وأستاذ فخري بجامعة دمشق في الفلسفة الأوروبية الحديثة. أستاذاً في قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون حتى

كبير من القصص والأساطير والروايات والآراء عن نشوء الكون وبنيانه، وعن الإنسان وأصله ومصيره، وعن التاريخ وأحداثه، وعن الأشخاص الذين لعبوا دوراً في تسيير هذه الأحداث".[(١)] **وحسب حسن حنفي**[(٢)] **إذيقول:**" لا يجوز تصديق الأنبياء في الأمور النظرية لأنهم جهلوا أشياء كثيرة، وكثير من أقوالهم تناقض العلم ".[(٣)] وقال:" بل لا يجوز عنده تصديقهم في غاية الوحي وجوهره".[(٤)]**غير أن الوحي المكتوب عند حسن حنفي** قابل للتغيير والتبديل، وخاضع للتحريف والتزييف".[(٥)]**ويقول طه حسين**[(٦)]**:**" للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا أيضا، لكن ورود هذين الاسمين في التوراة لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ونحن

٢٠٠٧. كتب العظم في الفلسفة ولديه دراسات ومؤلفات عن المجتمع والفكر العربي المعاصر. له: النقد الذاتي بعد الهزيمة، نقد الفكر الديني،دفاعا عن المادية والتاريخ وغيرهم،توفي في ٢٠١٦ عن عمر يناهز الـ ٨٢ عاما في منفاه برلين، ألمانيا».انظر :ويكيبيديا الموسوعة الحرة

(١) نقد الفكر الديني، لصادق جلال العظم،(صـ١٧)،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الثانية،١٩٧٠م.

(٢) حسن حنفي حسنين (٢٣ فبراير ١٩٣٥ – ٢١ أكتوبر ٢٠٢١) هو مفكر مصري، وأستاذ جامعي يُعدّ واحدًا من منظّري تيار اليسار الإسلامي، وتيار علم الاستغراب، وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشروعات الفكرية العربية.له: سلسلة "موقفنا من التراث القديم: التراث والتجديد،من العقيدة إلى الثورة وغيرهم،انظر : الدكتور حسن حنفي، لسمير أبوزيد، موقع فلاسفة العرب.

(٣)انظر : رسالة في اللاهوت والسياسة، لباروخ سبينوزا، ترجمة وتقديم:حسن حنفي، مراجعة:فؤاد زكريا،(صـ٥٠)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة:الأولى، ٢٠٠٥م.

(٤) المرجع السابق، (٥١).

(٥) انظر : رسالة في اللاهوت والسياسة، لباروخ سبينوزا، ترجمة وتقديم:حسن حنفي، (٧٣).

(٦) سبق ترجمته، (صـ٣٦٦).

مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى ".[(١)]

٢-مضمون الشبهة:

تقوم الشبهة على دعوى أن:

- القرآن نتاج ثقافي تاريخي.
- القصص القرآني مستمد من اليهودية والمسيحية.
- النبوة ظاهرة أنثروبولوجية مقلَّدة.
- الوحي غير معصوم وقابل للتغيير.
- شخصيات القرآن غير ثابتة تاريخيًا.

٣- هدف الشبهة:

- نزع الصفة الإلهية عن القرآن.
- إسقاط حجية الوحي والنبوة.
- إخضاع النص القرآني للمناهج الاستشراقية والتاريخية.
- إعادة تفسير الإسلام بوصفه بناءً ثقافيًا بشريًا.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين التشابه والاقتباس.
- تجاهل دعوى القرآن نفسه بالوحي.
- تطبيق مناهج أنثروبولوجية نسبية[٢] على نص عقدي.
- التناقض: إنكار الوحي مع الاعتماد عليه في التحليل.[٣]

---

(١) في الشعر الجاهلى، لطه حسين، (صـ٢٦)، دار الكتب المصرية، ١٩٢٦م.

٢ ينظر إلى الدين بوصفه ظاهرة اجتماعية بشرية ، ولا يُعترف بالوحي أو الغيب كحقيقة موضوعية.

٣ انظر: الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية، لإدريس مقبول، (صـ٣ ومابعدها)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الرياض، ٢٠٠٦م.

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين يجعلون المواد الدينية في القرآن لا يمكن فهمها إلا في سياق ما كان شائعًا من اليهودية والمسيحية.[١]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** اعتُبرت هذه الأقوال شهادات داخلية استُخدمت لتأكيد دعوى أن الإسلام تطور من أديان سابقة.[٢]
- **في الوسط الإسلامي:** إثارة البلبلة الفكرية بين المثقفين، ونشوء تيار نقدي إسلامي مضاد، وظهور ردود علمية قوية من علماء الأزهر.[٣]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- التشابه لا يستلزم النقل.
- وحدة المصدر الإلهي تفسر وحدة القصص.
- لو كان القرآن مقتبسًا لوافقهم في العقائد، وهو مخالف لهم.[١]

---

[١] Theodor Nöldeke, Geschichte des Qorans (Leipzig: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung, 1860), 9–15.

نولدكه، تيودور. تاريخ القرآن. لايبزيغ: دار ديتريش، ١٨٦٠م، ص ٩–١٥.

[٢] H. A. R. Gibb, Modern Trends in Islam (Chicago: University of Chicago Press, 1947), 34.

جب، هاملتون ألكسندر روسكين. الاتجاهات الحديثة في الإسلام (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٤٧م)، ص ٣٤

[٣] انظر: الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية، لإدريس مقبول، (صـ٣ ومابعدها).

٢- **نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:**

- القرآن صحّح الروايات التوراتية (قصة الأنبياء).
- غياب النصوص الإنجيلية العربية زمن البعثة.
- أُميّة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.[٢]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين يوضح كيف أن القرآن نص أصيل ذو بنية مستقلة.[٣]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس نفسه يعترف بالوحي والمعجزات، وتشابه القصص لا يلغي الوحي:" أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَىٰ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ..فَيُوسُفُ رَجُلُهَا، إِذْ كَانَ بَارًّا وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا..وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ، إِذَا مَلَاكُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: يَا يُوسُفُ ٱبْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ ٱمْرَأَتَكَ، لِأَنَّ ٱلَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ..فَسَتَلِدُ ٱبْنًا وَتَدْعُو ٱسْمَهُ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ"[٤]:" وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ ٱلْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ ٱلْمَلِكِ،

---

[١] انظر: دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)،(١/١٩١)،مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

[٢] انظر: دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)،(١/١٩١).

[٣] Karen Armstrong, Muhammad: A Prophet for Our Time (London: HarperCollins Publishers, 2006), 15.

كارين أرمسترونغ، محمد: نبي لعصرنا (لندن: دار هاربر كولنز للنشر، ٢٠٠٦م)، ص ١٥.

[٤] انجيل متى، الإصحاح ١ ، الآيه ١٨-٢٥

إِذَا مَجُوسٌ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَىٰ أُورُشَلِيمَ، قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ ٱلْمَوْلُودُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي ٱلْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ"[1]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

بداية تلك الادعاءات التى تبناها أصحاب الفكر الحداثي المعاصر قد رددها المشركون في مكة واليهود في المدينة، قال تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [٢]، وقال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[٣]

أولاً: إن صياغة القرآن الكريم ليست كصياغات التوراة والإنجيل وغيرهم: وهذا لأن لغاتهم أعجمية، ولغة القرآن عربية في مستوى الإعجاز وهي الصياغة، فيكون دليلاً كافياً على أنه من عند الله عز وجل، قال تعالى﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ .[٤]

ثانياً: إن تلك الروايات التاريخية نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب موقف المعلم لمحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لأنه بشره أو بشر عمه بنبوته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها ثم ينصب نفسه أستاذاً لصاحبها الذي سيأخذ عن الله ويتلقى

---

[1] رسالة رومية ، الإصحاح ٢ ، الآيه ١-١٢

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥ .

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣ .

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٣ .

من جبريل ويكون هو أستاذ الأستاذين وهادي الهداة والمرشدين وإلا كان هذا الراهب متناقضاً مع نفسه. [١]

ثالثاً: إن بحيرا الراهب لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامي المعجز لكان هو الأحرى بالنبوة والرسالة والانتداب لهذا الأمر العظيم. [٢]

رابعاً: إن طبيعة الدين الذي ينتمي إليه الراهب بحيرا، تأبى أن تكون مصدراً للقرآن وهدايته، خصوصا بعدما أصاب ذلك الدين ما أصابه من تغيير وتحريف: فحسبك أدلة على ذلك أن القرآن قد صور علوم أهل الكتاب في زمانه بأنها الجهالات ثم تصدى لتصحيحها، وصور عقائدهم بأنها الضلالات ثم عمل على تقويمها، وصور أعمالهم بأنها المخازي والمنكرات ثم حض على تركها، ثم تذكر أن فاقد الشيء لا يعطيه، وأن الخطأ لا يمكن أن يكون مصدراً للصواب، وأن الظلام لا يمكن أن يكون مشرقاً للنور. [٣]

خامساً: إن أصحاب هذه الشبهة يقولون: إن القرآن هو الأثر التاريخي الوحيد الذي يمثل روح عصره أصدق تمثيل. فإذا كانوا صادقين في هذه الكلمة فإننا نحاكمهم في هذه الشبهة إلى القرآن نفسه: وندعوهم ليقرأوا ولو مرة واحدة بتعقل ونَصْفِه، ليعرفوا منه كيف كانت الأديان وعلماؤها وكُتَّابها في عصره؟ وليعلموا أنها ما كانت لتصلح لأستاذية رشيدة، بل كانت هي في أشد الحاجة إلى أستاذية رشيدة. إنهم إن فعلوا ذلك فسيستريحون ويريحون الناس من هذا الضلال

---

[١] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني،(٣٢٦/٢)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،الطبعة: الطبعة الثالثة.

[٢] مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني،(٣٢٦/٢).

[٣]مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، (٤٢٢/٢).

والزيغ، ومن ذلك الخبط والخلط، هدانا وهداهم الله ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝ ﴾ [١]

ومما سبق يتضح أن طعن من تأثر بفكر نالينو من أصحاب الفكر الحداثي المعاصر هو طعن مردود بكل الطرق والوسائل، وندعوهم للرجوع مرة أخري لقراءة آيات الخالق عز وجل بتدبر وإنصاف، وحينها سيجدون الحق الذي خالفوه.

---

(١) سورة النور : الآية ٤٠

المبحث الثالث

انتحار النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

لقد سار الكثير من أصحاب الفكر الحداثي خلف شبهات المستشرقين، فأشعلوا سهام الطعن في هذا الدين الحنيف، مستخدمين في ذلك طرقاً وأساليباً مختلفة، فتارة يوجهون سهامهم للتشكيك في القرآن الكريم كما في المبحث السابق، وتارة يحاولون النيل من شخصية الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في المبحث الأول، قاصدين بذلك الانتقاص من حق قدره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.وفى هذا المبحث نقف مع شبهة جديدة أثارها أصحاب الفكر الحداثي في حقه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وحاصلها اتهامهم محاولته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الانتحار في العهد المكي، في فترة انقطاع الوحي بعد اللقاء الأول بينه وبين جبريل عليه السلام.

ويتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

فيدعى طيب تيزينى[١] **قائلاً:**" بيد أنه يبدو أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- في الإرهاصات الأولى من حركته- مر بأحوال من الشك والارتياب فيما نيط به من مهمات تبشيرية إنذارية".[٢] **وقال بعد إيراده أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان به مس من الجنون:**" إذا، بدا الأمر وكأن الرجل يعاني من فقدان التوازن النفسي والعضوي والعقلي، أو أنه يعيش حالما في يقظته،

---

[١] سبق ترجمته، (صـ٣٧٨)

[٢] مقدمات اولية في الاسلام المحمدي الباكر (نشأة وتأسيسا)، لطيب تيزيني، (صـ٥٢٢)، دار دمشق للنشر ، ١٩٩٤م.

وأنه من ثم يريد أن يجعل من هذا الحلم نبوة، بينما هو أجدى به أن يؤخذ إلى من يعالجه".[١] **إلى أن قال:**" ومن الملفت أن يكون محمد–صلى الله عليه وسلم– قد وصل –في تطوره الدرامي– إلى أن يضيق ذرعا برسالته ويشعر بثقلها عليه ...".[٢] **وقال:**" بيد أنه يبدو أن محمداً –صلى الله عليه وسلم– في الإرهاصات الأولى من حركته– مر بأحوال من الشك والارتياب فيما نيط به من مهمات تبشيرية إنذارية".[٣] **وقال:**" وقال: يبدو أن حدة المواقف كانت تتعاظم إلى درجة تقود محمداً–صلى الله عليه وسلم– إلى الشك والارتياب في ما يطرحه على الناس، وإلى أن يضيق ذرعا من دعوته ويشعر بالإحباط والوحدة".[٤] **ويقول جعفر مرتضى العاملي**[٥]:" كيف يجوز إرسال نبى يجهل نبوة نفسه، ويحتاج في تحقيقها إلى الاستعانة بامرأة، أو نصرانى؟ ألم تكن هي فضلاً عن ذلك النصراني أجدر بمقام النبوة من ذلك الخائف المرعوب الشاك؟ ثم كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقى نفسه من شواهق الجبال".[٦]

٢– مضمون الشبهة:

– التشكيك في عقيدة النبوة للنبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -.
– تصوير النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - على أنه مر باضطراب نفسي في بداية دعوته.

---

(١) مقدمات اولية في الاسلام المحمدي الباكر(نشأة وتأسيساً)، لطيب تيزيني، (صـ٥٢٣).
(٢) المرجع السابق ،(صـ٥٢٤).
(٣) مقدمات اولية في الاسلام المحمدي الباكر(نشأة وتأسيساً)، لطيب تيزيني، (صـ٥٢٢).
(٤) المرجع السابق، (صـ٥٥٩).
(٥) جعفر بن مصطفى بن مرتضى الحسيني العاملي. (٢٥ صفر ١٣٦٤ هـ قضاء صور – ٢٧ صفر ١٤٤١) رجل دين شيعي ومؤرخ لبناني، من مؤلفاته : الحياة السياسية للإمام الرضا، والصحيح من سيرة النبي الأعظم، نال به جائزة الكتاب الأول فى بحال كتابة السيرة من الجمهورية الإسلامية بإيران لعام. ١٤١٣هـ. توفي في ٢٠١٩ في بلدة عيتا الجبل العاملية.انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة
(٦) الصحيح من سيرة النبي الأعظم، لجعفر مرتضي العاملي، (٢/٢٩٨–٢٩٩)، دار الهادى للطباعة والنشر، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ،١٩٩٥م.

- الزعم بأن دعوته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كانت نتاج تجربة شخصية وليست وحيًا إلهيًا.
- شخصيات القرآن غير ثابتة تاريخيًا.

٣- هدف الشبهة:

- تقويض الثقة بالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ووحيه.
- التشكيك في مصداقية الرسالة الإسلامية.
- محاولة ربط النبوة بظواهر نفسية بشرية لا علاقة لها بالإلهام والوحي.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- كيف يمكن للمرء أن ينكر عصمة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في تبليغ الرسالة؟
- الادعاء بالجنون أو الشك يتناقض مع ثبات الرسالة ومعجزاتها.
- التناقض المنهجي: الشبهة تعتمد على نصوص ومصادر تاريخية وتفسيرية لكنها تحكم مسبقًا بأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ضعيف نفسيًا. [١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين قالوا إن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يواجه تحديات نفسية وارتباكًا في بداية دعوته، لكنه صاغ ذلك بأسلوب نقد تاريخي. [٢]

---

[١] انظر: الاستشراق والمستشرقون ، لمصطفى السباعي، (صـ ٣٥-٥٠/ صـ ١٢٠-١٣)، دار النشر: دمشق: دار القلم، ١٩٦٥م.

[٢] Margoliouth, D. S. Mohammed and the Rise of Islam. London: Williams and Norgate, 1905, 18–27.

مرجليوث، ديفيد صموئيل. محمد ونشأة الإسلام. لندن: ويليامز ونورغيت، ١٩٠٥م، ص ١٨-٢٧.

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** اعتمد بعض المستشرقين على هذه الشبهة لتشويه صورة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والربط بين النبوة والتجربة النفسية.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** أثارت ردود فعل نقدية قوية، وأدت إلى بروز تيارات دفاعية إسلامية من العلماء لتفنيد هذه الشبهة.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الادعاء بالجنون أو الشك يستند إلى تأويل شخصي غير منطقي، ولا يفسر كيف استطاع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تبليغ رسالة عظيمة بدون خطأ منهجي.
- التجربة النفسية لا تلغي قدرة الإنسان على الفهم والنقل، لكن الرسالة الإسلامية تتجاوز التجربة الشخصية.[٣]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- السيرة النبوية مليئة بأدلة على ثبات النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وصبره على الابتلاءات.
- مواقف النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في مكة والمدينة تظهر ثباته النفسي والاجتماعي والعقلي.

---

[١] Margoliouth, D. S. Mohammed and the Rise of Islam. London: Williams and Norgate, 1905, 18–27.

مرجليوث، ديفيد صموئيل. محمد ونشأة الإسلام. لندن: ويليامز ونورغيت، ١٩٠٥م، ص ١٨–٢٧.

[٢] انظر: الاستشراق والمستشرقون ، لمصطفى السباعي، (صـ ٣٥–٥٠/ صـ ١٢٠–١٣).

[٣] انظر: تهذيب التهذيب، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (١٥٣/٤)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ

- النصوص التاريخية لا تدعم الادعاء بأنه كان "شاكًا" أو "جنونًا".[١]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين يوضح أن الروايات المبكرة عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أقرب إلى التاريخ من الأسطورة، ولا تدعم مزاعم الجنون أو الشك النفسي.[٢]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس يعترف بالوحي والمعجزات، وتشابه القصص لا ينفي صحة الرسالة، وبالتالي الادعاء بأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يخلق نبوة من أحلامه يتناقض مع مبدأ الوحي التاريخي الثابت:" أَمَّا وِلادَةُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَىٰ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ..فَيُوسُفُ رَجُلُهَا، إِذْ كَانَ بَارًّا وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا..وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ، إِذَا مَلَاكُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: يَا يُوسُفُ ٱبْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ ٱمْرَأَتَكَ، لِأَنَّ ٱلَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ..فَسَتَلِدُ ٱبْنًا وَتَدْعُو ٱسْمَهُ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ"[٣]:" وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ ٱلْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ ٱلْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَىٰ أُورُشَلِيمَ، قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ ٱلْمَوْلُودُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي ٱلْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ"[٤]. فالآيات تظهر نقل الأحداث التاريخية والمعجزات دون انتقاص من صحتها.

---

[١] انظر: تهذيب التهذيب، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (١٥٣/٤).

[٢] Karen Armstrong, Muhammad: A Prophet for Our Time (London: HarperCollins Publishers, 2006), 15.

كارين أرمسترونغ، محمد: نبي لعصرنا (لندن: دار هاربر كولنز للنشر، ٢٠٠٦م)، ص ١٥.

[٣] انجيل متى، الإصحاح ١ ، الآيه ١٨-٢٥

[٤] رسالة رومية ، الإصحاح ٢ ، الآيه ١-١٢

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ولدحض هذه الشبهة المثارة من أتباع المستشرقين، ينبغي أن أقول:

أولاً: الروايات التى استند عليها أصحاب الفكر الحداثي المعاصر:

١-**قال ابن سعد- رحمه الله -**:[(١)] " أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ بَعْضَ عُلَمَائِنَا يَقُولُ: كَانَ أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» العلق: ١- ٥. فَهَذَا صَدْرُهَا الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ حِرَاءٍ. ثُمَّ نَزَلَ آخِرُهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ.أَخْبَرَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكِنَانِيُّ. أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قال: أول سورة أنزلت على النبي. - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» العلق: ١.أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ عَنْ أَبِي غَطَفَانَ بْنِ طَرِيفٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِحِرَاءٍ مَكَثَ أَيَّامًا لا يَرَى جِبْرِيلَ. فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا حَتَّى كَانَ يَغْدُو إِلَى ثَبِيرٍ مَرَّةً وَإِلَى حِرَاءٍ مَرَّةً يُرِيدُ أَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ. فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَذَلِكَ عَامِدًا لِبَعْضِ تِلْكَ الْجِبَالِ إِلَى أَنْ سَمِعَ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ. فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَعِقًا لِلصَّوْتِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا جِبْرِيلُ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مُتَرَبِّعًا عَلَيْهِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) ابن سعد(١٦٨-٢٣٠ هـ ، ٨٤٥ م-٧٨٥ م)محمد بن سعد بن منيع، الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، أبو عبد الله لقب بابن سعد، وبـ «كاتب الواقدي».كان محدثا، حافظا، مؤرخا، ولد ابن سعد بالبصرة سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ : ٧٨٥ م ،ولازم شيخه إمام المغازي والسير محمد بن عمر الواقدي حتى لقب بكاتب الواقدي.وتوفي ابن سعد سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ : ٨٤٥ م، من كتبه: «الطبقات الكبرى و«الطبقات الصغرى».**انظر**: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلل، (٢٦٣/٣برقم٢٣٣٠)، مع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري - أحمد عبد الرزاق عيد - محمود محمد خليل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

حَقًّا وَأَنَا جِبْرِيلُ. قَالَ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَدْ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ وَرَبَطَ جَأْشَهُ. ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ بَعْدُ وَحَمِيَ".[(١)]

٢–**قال الطبري– رحمه الله –**:[(٢)] " حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ: حَدِّثْنَا يَا عُبَيْدُ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من النبوه حين جاء جبريل عليه السلام؟ فَقَالَ عُبَيْدٌ– وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ: كَانَ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يجاور في حراء من كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّثَ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ– وَالتَّحَنُّثُ: التَّبَرُّرُ– وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:وَرَاقٍ لَيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٌ.فكان رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعِمُ من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جِوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ، كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ– إِذَا انْصَرَفَ مِنْ جِوَارِهِ– الْكَعْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، مِنَ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ فِيهَا، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، خَرَجَ رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى حِرَاءٍ– كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِجِوَارِهِ– مَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ وَرُحِمَ الْعِبَادُ بِهَا، جَاءَهُ جبريل بأمر الله "فقال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ، فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ:اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ فَغَتَّنِي، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ وَمَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ إِلَيَّ بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، قَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» إِلَى قَوْلِهِ: «عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» ، قَالَ: فَقَرَأْتُهُ، قَالَ: ثُمَّ انْتَهَى، ثُمَّ انْصَرَفَ

---

(١) الطبقات الكبرى، لأبى عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، (١/١٥٤).

(٢) سبق ترجمته، (صـ١٨٥).

عَنِّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي، وَكَأَنَّمَا كُتِبَ فِي قَلْبِي كِتَابًا" ."قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ شَاعِرٍ أَوْ مَجْنُونٍ، كُنْتُ لا أُطِيقُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِمَا، قَالَ: قُلْتُ إِنَّ الأَبْعَدَ- يَعْنِي نَفْسَهُ- لَشَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، لا تُحَدِّثُ بِهَا عَنِّي قُرَيْشٌ أَبَدًا! لأَعْمَدَنَّ إِلَى حَالِقٍ مِنَ الْجَبَلِ فَلأَطْرَحَنَّ نَفْسِي مِنْهُ فَلأَقْتُلَنَّهَا فَلأَسْتَرِيحَنَّ قَالَ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسَطٍ مِنَ الْجَبَلِ، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ.[(١)]

٣-**وقال الإمام البخاري- رحمه الله -:**[(٢)] حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ح و حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} حَتَّى بَلَغَ {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنْ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، للطبري، (٢/٣٠٠-٣٠٢).

(٢) سبق ترجمته، (صـ١٣٨).

قَدْ عَمِي فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيْ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ وَرَقَةُ ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فَقَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} ضَوْءُ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ .[١]

وخلاصة هذه الشبهة عند أصحاب الفكر الحداثي المعاصر: أن هذه الروايات المذكورة تدل على أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حاول أن يُلقي بنفسه من أعلى الجبل، فهي إذاً محاولة منه للانتحار، وهذا لا يليق بشخصٍ من هو في مقام النبوة.

ثانياً: بطلان تلك الرواية التى استند عليها أصحاب الفكر الحداثي المعاصر:

والأصل عدم صحة تلك الروايات المنقولة، وبيان ذلك فيما يلي:

١–**رواية الإمام ابن سعد–رحمه الله–:**[٢]" حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فقد جاء من طريق محمد بن عمر الواقدي، ومعلوم عند علماء الجرح والتعديل أن الواقدي متروك الحديث،

---

[١] صحيح البخاري، كتاب التعبير، بَاب أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَ،(١٧/٤٢٥رقم٦٩٨٢).

[٢] سبق ترجمته، (صـ٣٩١).

فقد **قال عنه الإمام البخاري-رحمه الله-**[١]:"متروك الحديث".[٢]ومن المعلوم أن وجود راوٍ متروك في حديث، يجعله مردوداً غير قابل للتصحيح بالشواهد الأخرى.

٢- **رواية الإمام الطبري-رحمه الله-:**[٣]" فهي مردودة سنداً ومتناً؛ فإن المتن فيه نكارة ظاهرة، حيث جعل الرؤيا الأولى لجبريل عليه السلام رؤيا منامية، وهذا مخالف لبقية النصوص التي تُثبت أنها رؤية حقيقية، ثم كان من جواب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :(ماذا أقرأ ؟)، وهذا لم يحصل؛ فإن الثابت في صحيح البخاري وغيره أنه كان يقول:(ما أنا بقاريء)، دعك من إغفال هذه الرواية لذكر ذهاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى خديجة و ورقة بن نوفل رضي الله عنهما، وما ذُكر في الروايات الصحيحة أن الرؤية الثانية لجبريل عليه السلام كانت بعد فتور الوحي وانقطاعه. وإذا نظرنا إلى سند هذه الرواية وجدنا فيه عدة علل : الإرسال ؛ فإن عبيد بن عمير ليس صحابيّاً، إنما هو من كبار التابعين، كما أنّ في السند راويان متكلم فيهما : سلمة -وهو ابن فضل الأبرش- **قال عنه الإمام ابن حجر:**[٤]صدوق كثير الخطأ"، و ابن حميد الرازي كذّبه جماعة من العلماء كأبي زرعة وغيره .[٥]

٣-**رواية الإمام البخاري-رحمه الله-:**[٦]"وذكره قول الإمام الزهري في حديث عائشة رضي الله عنها، فقد وردت القصة على كيفيات مختلفة في البخاري ومسند الإمام أحمد ومصنف الإمام عبدالرزاق وغيرهم، لكن الناظر إلى رواية الإمام الزهري يجد أنها باطلة، ووجه ذلك أن معظم

---

(١) سبق ترجمته، (صـ١٣٨).

(٢) كتاب الضعفاء، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري،(المتوفى: ٢٥٦هـ)، (صـ١٢٣)، المحقق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٣) سبق ترجمته، (صـ١٨٥).

(٤) سبق ترجمته، (صـ١٣٨).

(٥) تهذيب التهذيب، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (١٥٣/٤).

(٦) سبق ترجمته، (صـ١٣٨).

روايات هذا الحديث لم تذكر ذلك الحدث، وقد روى الإمام البخاري حديث نزول الوحي أكثر من مرة في صحيحه دون أن يشير إلى هذه القصة. لم يذكره في صحيحه على أنه حديث مسند مرفوع وإنما قال: وقال الزهري: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. فيما بلغنا . **ولعل الإمام البخاري–رحمه الله–**[1]وغيره ممن أخرج هذه الزيادة أرادوا بذلك التنبيه إلى مخالفتها لما صح من حديث بدء الوحي الذي لم تذكر فيه هذه الزيادة، وخصوصاً أن البخاري لم يذكر هذه الزيادة في بدء الوحي ولا التفسير، وإنما ذكرها في التعبير.[2]

وقال العلامة أحمد شاكر–رحمه الله–[3]: " الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر: أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها، ليس في واحد منها مطعن أو ضعف ".[4]

وهكذا يتبيّن لأصحاب الفكر الحداثي المعاصر ومن يتأثر بشبههم وطعنهم لديننا الحنيف أن هذه الشبهة ليس لها أدنى حظ من النظر، فلا هي ثابتة سنداً، ولا هي صالحةٌ للطعن فى سمو أخلاقه ورجاحة عقله وطهارة روحه صلي الله عليه وسلم.

---

(١) سبق ترجمته، (صـ١٣٨).

(٢) رد شبهات حول عصمة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، (صـ٣٠٧–٣٠٨)، قدم له: عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مطابع دار الصحيفة المصرية، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣

(٣) سبق ترجمته،(صـ١٤٠).

(٤) صحيفة أبي الزبير المكي عن جابر – رضي الله عنه –، لصالح بن أحمد رضا، (٨ / ٤٨)،مجلة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة علمية محكمة، العدد الثامن،رجب ١٤١٣ هيناير ١٩٩٣ م

المبحث الرابع

سِحْرُ النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

تابع أصحاب الفكر الحداثي اتهاماتهم حول شخص رسول الإسلام - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - متأثرين بالمستشرقين الذى اتهموا سيدنا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأنه ساحر حكاية عن كفار قريش، وقد قال الله عز وجل عنهم ﴿ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾[(١)]، ثم يقولون أن الله عز وجل نفي تهمة السحر التي نسبها الظالمون لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧ ﴾[(٢)]وأنتم تخرجون في صحاحكم أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مسحور. فهل نصدقكم أم نصدق الله عز وجل وكيف يسيغ لكم الأمر أن تتهموا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه مسحور؟ وكيف تجوزون أن يكون الشيطان سيطر على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لفترة طويلة لأن السحر من عمل الشيطان؟

ويتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

قال أركون[(٣)]:"وكان السحر والدين ممتزجين."[(١)]**وقال خليل عبد الكريم**[(٢)]:" مثل هؤلاء كانت تسيطر عليهم الغيبيات والماورائيات واللازمانيات والكائنات المستقرة في العوالم العليا، والتي هي

(١) سورة يونس، الآية: ٢ .

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٤٧ .

(٣) سبق ترجمته، (صـ٣٧٧).

بطبيعتها مفارقة للإنسان، والمخلوقات العجيبة المدهشة، مثل الجن والغول والعنقاء، وكانوا يؤمنون بالحسد والعين والنفث في العقد والرقى والتعاويذ والتمائم ... إلخ. ومن كانت تلك حالتهم العقلية والفكرية والثقافية والمعرفية ... تشيع بينهم الأساطير والتوهمات والتخيلات والقيم اللاعقلانية البعيدة عن المنطق أو ارتباط النتيجة بالسبب أو المعلول بالعلة وتتحكم في أفعالهم وإحجاماتهم الخشية الهائلة من المجهول المهيب والرهبة البالغة من غضب قوى لا تعرف كنهها، ولذا نراها تؤمن بالصدفة والحظ والبخت والنصيب. ولانتشار يقينهم في السحر كانوا يمارسون العمل والشبشبة والعكوسات (ج عكس) والنفث في العقد. وتقرأ في سيرهم أخبارا وحوادث مكدسة تؤكد إيمانهم المطلق بهذه الأمور واعتبارها حقائق مؤكدة لا يرقى إليها أي شك. ومثل ذلك المجتمع الساذج لا عجب أن يتشائم أفراده ويتفاءلون ويربطون كافة شؤون حياتهم بتلك المعتقدات ".(٣)

٢- مضمون الشبهة:

- تصوير العرب قبل الإسلام على أنهم مجتمع ساذج، غير عقلاني، وخاضع للخرافة والسحر.
- ضمنيًا، محاولة القول بأن الإسلام جاء ليُصلح مجتمعًا جاهليًا مليئًا بالغرائب والخرافات.

---

(١) تاريخية الفكر العربي، لمحمد أركون، (صـ٢٩٢)، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م.

(٢) خليل عبد الكريم (١٩٣٠ - ٢٠٠٢)كاتب مصري ليبرالي وقد ألف كتب كثيرة حول تاريخ الإسلام وخاصة الفترات الأولى منه. ولد ودفن في أسوان بمصر، درس القانون في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً)وعمل محامياً في القاهرة، وقام بالدفاع عن زميله نصر حامد أبو زيد عندما أتهم بالكفر واضطر أن يدافع عن كتبه وأفكاره أمام المحكمة.له: الإسلام بين الدولة الدينية والمدنية،العرب والمرأة، دولة يثرب، توفي في القاهرة ودفن في أسوان.انظر: التعرّف بالمفكر خليل عبدالكريم، لعبدالله عاشور، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، العدد ٥١، ٢٠٢٣م.

(٣) شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، لخليل عبدالكريم،السفر الأول(محمد وأصحابه) (صـ١٨٣)، سينا للنشر –القاهرة،١٩٩٨م.

٣- هدف الشبهة:

- التشكيك في أصالة الفكر العربي القديم وإضفاء طابع ساذج على مجتمعه.
- إظهار أن الإسلام جاء كتصحيح للعقل الجمعي المغلوط.
- خلق انطباع بأن العرب قبل الإسلام كانوا غير مؤهلين للفهم العقلاني والديني.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- المبالغة في تصوير المجتمع قبل الإسلام على أنه غير عقلاني تمامًا.
- التعميم على جميع الأفراد دون تمييز بين طبقات المجتمع أو الخلفيات الثقافية.
- الخلط بين الممارسات الخرافية والاعتقادات الدينية الصحيحة.
- إغفال أن بعض هذه الممارسات كانت متقطعة أو محدودة ولم تُهيمن على كل المجتمع.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين تناولوا وضع العرب قبل الإسلام من الناحية الدينية والاجتماعية، وذكروا أن الممارسات السحرية والخيالية كانت موجودة لكن لم تكن قاعدة عامة لكل المجتمع.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استُخدمت هذه الشبهة لتأكيد النظرة الاستشراقية القائلة بأن العرب قبل الإسلام مجهولون العقلية والسلوك، ولتبرير دراسة الإسلام بوصفه "إصلاحًا حضاريًا".[١]

---

[١] انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، لمحمد محمد حسين، (٢/ ٢١٠-٢٣٠)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م

[٢] H. A. R. Gibb, Modern Trends in Islam (London: Oxford University Press, 1947), 34.

جيب، هـ. أ. ر. الاتجاهات الحديثة في الإسلام. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٤٧م، ص ٣٤.

- **في الوسط الإسلامي:** أثارت هذه الشبهة ردود فعل نقدية قوية من علماء الإسلام والمفكرين لتفنيد هذه الادعاءات.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- لا يمكن تعميم السذاجة والخرافة على كل أفراد المجتمع.
- بعض الممارسات مثل السحر أو الأساطير كانت محدودة ولم تُغلق المجال للفكر العقلاني أو الديني.
- وصف المجتمع كله بالخرافة يعكس مغالطة تعميم.[٣]

٢– نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- السجلات التاريخية والأثرية تشير إلى وجود طبقات من المتعلمين والفلاسفة والشعراء، مثل الشعراء الجاهليين والفلاسفة العرب قبل الإسلام، وهم لم يكونوا خاضعين للخرافات بشكل مطلق.
- بعض الممارسات الخرافية كانت متداولة لكنها لم تكن قاعدة عامة.[٤]

---

[١] H. A. R. Gibb, Modern Trends in Islam (London: Oxford University Press, 1947), .34

جيب، هـ. أ. ر. الاتجاهات الحديثة في الإسلام. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٤٧م، ص ٣٤.

[٢] انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، لمحمد محمد حسين، (٢/ ٢١٠–٢٣٠).

[٣] انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ)، (١٢٦/١٦)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.

[٤] انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ)، (١٢٦/١٦).

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يوضح أن العرب قبل الإسلام لديهم نظام اجتماعي وديني متنوع، وليس كله سذاجة وخرافة.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

بعض القصص في الكتاب المقدس تظهر أن المجتمعات القديمة كان بها مزيج من الغيبيات والطقوس الدينية، لكن هذا لا ينفي وجود الوحي والمعجزات:" أَمَّا وِلادَةُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَىٰ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ..فَيُوسُفُ رَجُلُهَا، إِذْ كَانَ بَارًّا وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا..وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ، إِذَا مَلَاكُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: يَا يُوسُفُ ٱبْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ ٱمْرَأَتَكَ، لِأَنَّ ٱلَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ..فَسَتَلِدُ ٱبْنًا وَتَدْعُو ٱسْمَهُ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ"[٢]:" وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ ٱلْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ ٱلْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَىٰ أُورُشَلِيمَ، قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ ٱلْمَوْلُودُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي ٱلْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ"[٣]. فالآيات تظهر نقل الأحداث التاريخية والمعجزات دون انتقاص من صحتها.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

وردُ شبهة سِحْرُ النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يتمثل في النقاط التالية:

---

[١] Watt, W. Montgomery. Muhammad at Mecca. Oxford: Oxford University Press, 1953, 52.

وات، وليم مونتجمري. محمد في مكة. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٥٣م، ص ٥٢.

[٢] انجيل متى، الإصحاح ١ ، الآيه ١٨-٢٥

[٣] رسالة رومية ، الإصحاح ٢ ، الآيه ١-١٢

أولاً: من المعلوم أن النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بشر، فيصيبه ما يصيب البشر من الأوجاع والأمراض والظلم من الآخرين كسائر البشر إلي غير ذلك من الأمثلة مما يتعلق ببعض أمور الدنيا، فقد كان رسولنا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يصيبه ما يصيب الرسل من أنواع البلاء وغير ذلك، فغير بعيد أن يصاب بمرض أو اعتداء أحد عليه بسحر ونحوه يُخيل إليه بسببه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له، كأن يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وهو لم يطأهن، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: «أَجَلْ، إِنِّي لَأُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ الرَّجُلاَنِ مِنْكُمْ» قَالَ: قُلْتُ: لِأَنَّ لَكَ أَجْرَانِ؟ قَالَ: " نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يُصِيبُهُ أَذًى: مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ مِنْ خَطَايَاهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا" (١) إلا أن الإصابة أو المرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلي تلقي الوحي عن الله سبحانه وتعالى ولا إلي البلاغ عن ربه إلي الناس لقيام الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على عصمته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في تلقي الوحي وإبلاغه وسائر ما يتعلق بشؤون الدين.(٢)

فلا يظن تلامذة نالينو من أصحاب الفكر الحداثي أن ما أصاب الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من السحر هو نقص وعيب وليس الأمر كما يظنون، لأن ما وقع له هو من جنس ما كان يعتريه من الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾(٣)

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ المَرْضَى، بَابٌ: أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، (٧/١١٥رقم٥٦٤٨).

(٢) راجع: انتحار محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صـ٣٧،

(٣) سورة ابراهيم، الآية: ١١ .

واستدل **ابن القصار**:[١] على أن الذي أصاب الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –كان من جنس المرض بقول الرسول في حديث آخر: "أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ" [٢] ويؤيد ذلك حديث ابن عباس عند **ابن سعد**[٣]:

(مرض النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان).[٤]

قال المازري[٥]: إن الدليل قد قام على صدق النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فيما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض

---

[١] علي بْن عُمَر بْن أَحْمَد، أَبُو الحسن الفقيه المالكي المعروف بابن القصار :سمع علي بْن الفضل الستوري السامري. حَدَّثَنَا عنه القاضي أَبُو الحسين بْن المهتدي بالله الخطيب، وكان ثقة. ولي قضاء بغداد. وقال أبو ذر: هو أفقه من رأيت من المالكيين. وكان ثقة قليل الحديث. توفي أَبُو الحسن بن القصار فِي يوم السبت السابع من ذي القعدة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة. **انظر**: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، (١٠٠/٢).

[٢] صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، (١٢٢/٤رقم٣٢٦٨).

[٣] سبق ترجمته، (صـ٢٨٠).

[٤] أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، لأبى حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي، (٤٨٢١/٧برقم٣٤٤٣).

[٥] المازَري(٤٥٣ - ٥٣٦ هـ = ١٠٦١ - ١١٤١ م)محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية. نسبته إلى (مازر) (**Mazzara**) بجزيرة صقلّيّة، ووفاته بالمهدية. له (المعلم بفوائد مسلم - خ) في الحديث، و (التلقين - خ) في الفروع، و (الكشف والإنباء) في الرد على الإحياء للغزالي، و (إيضاح المحصول في الأصول)وتسلسل السند العلمي بإفريقية، من لدن العهد العربيّ إلى القرن الثامن للهجرة . **انظر**: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)،(٢٨٥/٤)،المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة:الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١

البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطئهن، وهذا كثيراً ما يقع تخليه للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.[١]

قال القاضي عياض رحمه الله[٢]: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده.[٣]

ثانياً: ذكر الحديث على لسان السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا يُفيد انحصار أمر التخيل بينه وبين زوجاته، ومن حاول التضليل بقول أنه كان يتماسك بنفسه ويحاول إخفاء هذا الأمر على الصحابة فهو في هذه الحالة مُضلل، لأن المسحور يخضع للسحر وليس لديه القدرة على السيطرة على نفسه، ولو حاولوا هذا المُضلل التأكيد على ذلك، فأقول له: أنكم أجبتم على حجتكم لأن من حاول السيطرة على نفسه فهو في كامل قواه أليس كذلك؟ وهذا دليل يبطل وقوع السحر على رسولنا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

ثالثاً: تأثر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالسحر لم يؤثر على الوحي وإنما كان له تأثير على الجانب البشري كما حدث لموسى عليه السلام، قال تعالى:(فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)[٤]. فالقرآن أثبت تأثر موسى عليه السلام بالسحر، ولو كان في هذا مساسٌ بجناب النبوة أوتأثيرٌعلى وحي الله لما أذن له بهذا التأثر أن يقع.

---

[١] انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ)، (١٢٦/١٦).

[٢] سبق ترجمته، (صـ٨٩).

[٣] انظر: فتح الباري، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، (٢٢٧/١٠).

[٤] سورة طه، الآية: ٦٦ .

رابعاً: الآية التي استدلوا بها في قوله تعالى ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾[(١)] في غير محلها، فسببها أن الكفار كانوا يقصدون به "مسحورا" أن الشياطين تملي عليه وتكتب له كما قال تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾.[(٢)]

خامساً: الحديث المذكور في سحر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان على لسان زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقط[(٣)]، وهذا يوضح بأن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم تظهر عليه أي أعراض أو لم يظهر عليه أنه كان يُخيل إليه أمام الصحابة شئ، وهذا دليل يثبت سقوط فعل السحر على رسولنا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

سادساً: والرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عندما أصابه السحر كان يعي كل شيء فكان يعرف أنه سُحِرَ، وعلم أين مكان السحر، وقال أن الله عز وجل شفاه قبل إخراج السحر لا بعد إخراجه. فادعاء تلامذة نالينو بأن السحر أثر على الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو نوع من أنواع تجاهل العلم وتكذيبه. فمن نصدق العلم أم تلامذة المستشرقين من أصحاب الفكر الحداثي.

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٤٧ .

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥ .

(٣) عَنْ عَائِشَةَ قالَتْ: سُحِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتَّى كانَ يُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّه يَفْعَلُ الشَّيْءَ وما يَفْعَلُهُ، حتَّى كانَ ذَاتَ يَومٍ دَعَا ودَعَا، ثُمَّ قالَ: أشَعَرْتِ أنَّ اللَّهَ أفْتَانِي فِيما فيه شِفَائِي، أتَانِي رَجُلَانِ: فَقَعَدَ أحَدُهُما عِنْدَ رَأْسِي والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقالَ أحَدُهُما لِلْآخَرِ ما وجَعُ الرَّجُلِ؟ قالَ: مَطْبُوبٌ، قالَ: ومَن طَبَّهُ؟ قالَ لَبِيدُ بنُ الأعْصَمِ، قالَ: فِيما ذَا، قالَ: في مُشُطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قالَ فأيْنَ هُوَ؟ قالَ: في بئْرِ ذَرْوَانَ فَخَرَجَ إلَيْهَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: نَخْلُهَا كَأنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَقُلتُ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقالَ: لَا، أمَّا أنَا فقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وخَشِيتُ أنْ يُثِيرَ ذلكَ علَى النَّاسِ شَرًّا ثُمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ صِفَةِ إبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، (١٢٢/٤رقم٣٢٦٨).

المبحث الخامس

غزوات محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لسلب الغنائم وجمع الثروات والسلطان

من الشبه التي أثارها أصحاب الفكر الحداثي، وروَّجوا لها كثيراً بهدف تشويه شخصية نبينا محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – للوصول إلى الطعن في دعوته، وإبعاد النَّاس عنها، ما يدَّعونه من أنه كان صاحب مطامع دنيوية، لم يكن يظهرها في بداية دعوته في مكة، ولكنه بعد هجرته إلى المدينة بدأ يعمل على جمع الأموال والغنائم من خلال الحروب التي خاضها هو وأصحابه، ابتغاء تحصيل مكاسب مادية وفوائد معنوية. وممن صرح بذلك من قبل **ديفيد صموئيل مرجليوث المستشرق الإنجليزي اليهودي**[١]، **حيث قال**:"عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب..وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التي أثرت على نفس محمد، والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبل ونابليون من بعد".[٢] **وقد قال الشاعر**:[٣]

[4] قد تُنْكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَدٍ ... وينكرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سقمِ

ويتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

---

[١] سبق ترجمته، (صـ١٣٠).

[٢] انظر :موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، لأحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، (٢٠٨/٨)، فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.وانظر: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، لفالح بن محمد بن فالح الصغير، (صـ٤٤)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة:الأولى.

[٣] سبق ترجمته،(صـ٢٣٤).

[٤] ديوان البوصيري، لمحمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، لشرف الدين، أبو عبد الله (المتوفى: ٦٩٦هـ)، (صـ٢٤٧)، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، الطبعة: الاولى، ١٤٢٨ هـ،٢٠٠٧ م.

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

وممن تبني هذا الفكر علي حرب[١] حيث قال:" إن الإسلام في حد ذاته يؤول إلى التعصب والضيق والإلغاء والإرهاب".[٢] **وقال محمد الشرفي**[٣]:".. ليس الإسلام فقط، وإنما جميع الأديان تشترك في عدم التسامح والركون إلى العنف ".[٤] **وذكر سيد القمني**[٥] أن العرب في جاهليتهم

---

[١] علي حرب هو كاتب ومفكر وفيلسوف لبناني، شديد التأثر بجاك دريدا وخاصة في مذهبة في التفكيك. وقد اعتمد كتابه «نقد النص» مقررًا دراسيًّا في جامعة باريس. وهو يقف موقفاً معادياً من النخبوية والأصولية الفكرية، ويتبع منهج كانط في نقد العقل وآلياته وبنيته الفكرية،له: التأويل والحقيقة،أصل العنف والدولة،الحب والفناء،نقد الحقيقة،نقد النص.انظر: المفكر اللبناني علي حرب، منظر الثورات الناعمة وناقد الحقيقة والنص، لأنغير بوبكر، موقع صوت العروبة، ٢٠١٨/٧/٨م.

[٢] الممنوع والممتنع (نقد الذات المفكرِة)، لعلى حرب، (صـ١٧٨)، المركز الثقافي العربي، الطبعة: الأولى،١٩٩٥م.

[٣] محمد الشرفي (صفاقس، ١١ أكتوبر ١٩٣٦ – تونس العاصمة، ٦ جوان ٢٠٠٨)، سياسي وجامعي وحقوقي وناشط يساري تونسي سابق تولى وزارة التربية والتعليم العالي بين ١٩٨٩ و١٩٩٤. وقد شهدت فترة توليه المنصب توتر علاقته بحركة النهضة التي اتهمته بإحداث تغييرات في مناهج التربية الإسلامية.من أشهر كتبه: الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي. توفي في ٦ جوان ٢٠٠٨ إثر مرض عضال ودفن في مقبرة الجلاز.انظر: محمد الشرفي... كان يريد إحلال فلاسفة الأنوار العرب محل الظلاميين،على هامش كتاب وزير التربية والتعليم العالي السابق في تونس، لهاشم صالح، موقع صحيفة الشرق الأوسط، ٢٧ يوليو ٢٠٢٢ م . ٢٧ ذو الحِجّة ١٤٤٣ هـ.

[٤] الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، لمحمد الشرفي، (صـ١٩٤)، دار بترا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

[٥] سيد القمني (١٣ مارس ١٩٤٧ – ٦ فبراير ٢٠٢٢)، هو كاتب علماني مصري (من مواليد ١٣ مارس ١٩٤٧ بمدينة الواسطى في محافظة بني سويف) معظم أعماله الأكاديمية تناولت مرحلة حساسة في التاريخ الإسلامي.له: أهل الدين والديمقراطية،الجماعات الإسلامية رؤية من الداخل،الإسلاميات،الإسرائيليات،

الأولى سادت فيهم قيم الغزو والسلب والنهب، وفي جاهليتهم الثانية سادت فيهم قيم النخوة والمروءة والأمانة والنجدة والإجارة والكرم والوفاء بالعهد. فلما جاء الإسلام ماذا فعل يا ترى؟ قال القمني: والذي انتهى العصر الجاهلي الثاني، بظهور الإسلام والعودة بالعرب إلى قيم الجاهلية الأولى حيث الغزو والسلب والنهب والسبي والحرب".[1]

٢- مضمون الشبهة:

- تصوير الإسلام كدين عنيف بطبعه.
- الربط بين ظهور الإسلام وعودة العرب إلى قيم الجاهلية الأولى السلبية.
- القول بأن العنف والتعصب مساوٍ لكل الأديان.

٣- هدف الشبهة:

- تشويه صورة الإسلام كدين سماوي معتدل.
- تعزيز الانطباع بأن الإسلام دين عنف وتسلط.
- المزاوجة بين الجاهلية والإسلام لخلق استنتاج أن المجتمع العربي ظل عنيفًا بالرغم من الرسالة الإسلامية.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- التعميم على جميع المسلمين وجميع الأديان بأنه عنيف وغير متسامح.
- الخلط بين قيم عصر الجاهلية وظهور الإسلام، متجاهلين التطور الأخلاقي والديني الذي جاء به الإسلام.
- إنكار تأثير الإسلام الإصلاحي على قيم المجتمع وأخلاقه.

إسرائيل،الثورة التاريخ التضليل، قصة الخلق وغيرهم. وفاته في ٢٠١٠م عن عمر ناهز ٧٤ عاما في القاهرة.انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة

[1] انتكاسة المسلمين، لسيد القمني،(صـ١٦٩-١٧٠)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة: الأولى،٢٠١٠م.

- استخدام التاريخ بطريقة انتقائية لدعم الادعاءات المسبقة.[1]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين قالوا أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عاش هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب.[2]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدمت الشبهة لتأكيد النظرة القائلة بأن الإسلام دين عنف وصراع.[3]
- **في الوسط الإسلامي:** أثارت ردود فعل نقدية قوية من علماء الإسلام والمفكرين، لتفنيد هذه الادعاءات وتوضيح الرسالة الحقيقية للإسلام ومبادئه الأخلاقية.[4]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ - نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- تعميم العنف على جميع الأديان هو مغالطة منطقية.
- مقارنة قيم الجاهلية بقيم الإسلام انتقائية وغير دقيقة، إذ أن الإسلام جاء لتقويم الأخلاق ووقف الممارسات الجاهلية السلبية.
- الربط بين ظهور الإسلام وعودة العرب للعنف غير منطقي تاريخيًا.[1]

---

[1] انظر: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، لأنور الجندي، (صـ ٢١-٣٠، صـ ٢١٥-٢٢٠)، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٨م

[2] انظر:المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، لعلي بن نايف الشحود، (٢٦٩/٩)، جامع الكتب الإسلامية، الطبعة: الأولى.

[3] انظر:المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، لعلي بن نايف الشحود، (٢٦٩/٩).

[4] انظر: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، لأنور الجندي، (صـ ٢١-٣٠، صـ ٢١٥-٢٢٠).

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي المبكر يظهران أن الإسلام قلل من العنف وأرسى قيم التسامح والأمانة والكرم.
- الحرب في الإسلام كانت محدودة ووفق ضوابط شرعية واضحة، وليس عشوائية.[٢]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أشار إلى أن المجتمع العربي قبل الإسلام كان متنوعًا اجتماعيًا وثقافيًا، وليس كله عنفًا وخرافة.[٣]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يحتوي على معايير أخلاقية واضحة، وكذلك نصوص عن الحرب والعدل، مما يوضح أن تعميم العنف على جميع الأديان أمر غير صحيح، فالأحداث التاريخية والأنبياء في الإنجيل يعكسون قيماً تعلي الأخلاق والتسامح رغم وجود الحروب، فلا يمكن استخدام الحوادث المحدودة لتعميم العنف:" فقال له يسوع: «أَحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ

[١] انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، (٣/٥٤٤برقم٤٢٧٠)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

[٢] انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، (٣/٥٤٤برقم٤٢٧٠).

[٣] Watt, W. Montgomery. Muhammad at Mecca. Oxford: Oxford University Press, 1953, 52.

وات، وليم مونتجمري. محمد في مكة. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٥٣م، ص ٥٢.

فِكْرِكَ» هذه هي الوصية الأولى والعظمى.والثانية مثلها: «أَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ».عَلَى هاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَعْمَدُ كُلُّ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ."[1]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

بداية: من عادة أعداء الإسلام شن الحملات التي تهدف إلى التشكيك في الإسلام ورسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛ منتحلين في هذا الصدد الأكاذيب والأساطير.. فتناولوا سيرة الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالتجريح تارة، والكذب تارة أخرى!!

أولاً: ثم إن هذه الشبهة تتناقض مع الزهد الذي عُرف به النَّبيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وحث عليه صحابته الكرام، فعَنْ سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى المِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ:«إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»(٢)

ثانياً: قرن النَّبيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في التحذير بين فتنة الدنيا وفتنة النساء، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(٣)، فالدنيا حلوة خضرة: أي مشتهاة تعجب الناظرين فمن استكثر منها أهلكته كالبهيمة إذا أكثرت من رعي الزرع الأخضر أهلكها، ففي تشبيه الدنيا بالخضرة التي ترعاها الأنعام إشارة

---

[1] انجيل متى، الإصحاح ٢٢ ، الآيه ٣٧-٤٠

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ عَلَى اليَتَامَى، (١٢١/٢برقم١٤٦٥).

(٣) صحيح مسلم، كِتَابُ الرِّقَاقِ ، بَابُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ، (٢٠٩٨/٤برقم٢٧٤٢).

إلى أن المستكثر منها كالبهائم فعلى العاقل القناعة بما تدعو الحاجة منها.[(١)] فليس لعاقل بعد ذم النَّبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للدنيا أن يقول أنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يحب الدنيا أو أن غزواته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان للسلب والغنائم!

ثالثاً: ويرد أيضاً هذه الشبهة أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد ارتحل من هذه الدنيا ولم يكن له فيها إلا أقل القليل: فعَنْ عَمْرِو بْنِ الحَارِثِ، قَالَ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دِينَارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَلاَ عَبْدًا، وَلاَ أَمَةً، إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلاَحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً»[(٢)]، وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ»[(٣)]

رابعاً: والحق ما شهدت به الأعداء، فقد أجرى الله عز وجل على ألسنة بعض عقلائهم عبارات تُكذِّب هذه الشبهة: يقول المستشرق توماس كارليل:[(٤)] أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، (٣/٥٤٤برقم٤٢٧٠).

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، (٦/١٥برقم٤٤٦١).

(٣) المرجع السابق، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، (٤/٢٢٨٢برقم٢٩٧٣).

(٤) توماس كارليل (بالإنجليزية: **Thomas Carlyle**، م. ٤ ديسمبر ١٧٩٥ – ٥ فبراير ١٨٨١) كاتب إسكتلندي وناقد ساخر ومؤرخ. كتابه (الأبطال) في مقدمة مؤلفاته الرائعة. وفيه عنوان: (البطل في صورة رسول – محمد – الإسلام)، حيث يرى فيها أن الرسالة التي أداها محمد رسول الله ما زالت السراج المنير لملايين الناس.توفي توماس كارليل في ٥ فبراير ١٨٨١ في لندن وكانت أمنيته أن يدفن بجانب والديه في مسقط رأسه اكلفيشن. **انظر**:المستشرقون، للنجيب العقيقي ،(٢/ ٥٣). وانظر: عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. المفكر الإسكتلندي (كارلايل): محمد أهم الأبطال،المجلة العربية، العدد (٥٧٦)، سبتمبر ٢٠٢٤ م– ربيع الأول ١٤٤٦ هـ.

الذي أقام محمداً وأثاره، حمق وايم الله، وسخافة وهوس[١]، **ويقول كارليل:** [٢] لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار، وإنهم ليذكرون -ونعم مايذكرون- إنه كان يصلح ويرفوا ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الله، قائمٍ النهار، ساهرٍ الليل، دائب في نشر دين الله، غير طامع إلى ما يطمع إليه أصاغر الرجال، من رتبة، أو دولة، أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهوة.[٣]

---

[١] الأبطال، لتوماس كارليل، (صـ٧١)، ترجمة: محمد السباعي، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م.

[٢] سبق ترجمته: (صـ٤١٢).

[٣] الأبطال، لتوماس كارليل،(صـ٨٩).

المبحث السادس

محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ناقض للعهود والمواثيق

يدعى أصحاب الفكر الحداثي متبنين إدعائهم فكر المستشرقين الأُوَل أن النبي محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نقض صلح الحديبية بعدم رد النساء المهاجرات من قريش إلى المدينة وقد ذكر **سهيل بن عمرو-وهو سفير قريش في عقد الصلح-: "وَعَلَى أَنَّهُ لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا"**[(١)]، ومن ثم غدر النبي محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفتح مكة.

ويتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

فيدعى سيد القمنى[(٢)] **قائلاً:**" أن نبينا– صلى الله عليه وسلم - أول ناقض للعهد مع معاهديه اليهود،". [(٣)] وأن الإسلام نقض عهود الأسرة فقتل الابن أباه كما فعل أبو عبيدة والأخ أخاه ". [(٤)]

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الشُّرُوطِ،بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ،(١٩٣/٣برقم ٢٧٣١).

(٢) سيد القمني (١٣ مارس ١٩٤٧ – ٦ فبراير ٢٠٢٢)، هو كاتب علماني مصري (من مواليد ١٣ مارس ١٩٤٧ بمدينة الواسطى في محافظة بني سويف) معظم أعماله الأكاديمية تناولت مرحلة حساسة في التاريخ الإسلامي.له: أهل الدين والديمقراطية،الجماعات الإسلامية رؤية من الداخل،الإسلاميات،الإسرائيليات، إسرائيل،الثورة التضليل، التاريخ التضليل، قصة الخلق وغيرهم. وفاته في ٢٠١٠م عن عمر ناهز ٧٤ عاما في القاهرة.انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة

(٣) انتكاسة المسلمين، لسيد القمني،(صـ١٨١)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة: الأولى،٢٠١٠م.

(٤) المرجع السابق،(صـ١٨٨.).

وأن نقض النبي – صلى الله عليه وسلم – للعهد انتهى بمجزرة قريظة ". [١] واعتبر أن ما فعله النبي – صلى الله عليه وسلم – في حق قريظة لما نقضوا العهد جريمة في حق الإنسانية". [٢] وأنه مجزرة بكل المعاني". [٣]**وقال محمد أركون**[٤]**:**" تبين لنا هذه السورة (يقصد سورة التوبة) كيف أن الطائفة الجديدة الوليدة (يقصد النبي– صلى الله عليه وسلم– وصحابته الكرام) قد انخرطت بعد فتح مكة في عملية بناء المؤسسات، وهي تستطيع أن تنقض العهود أو الاتفاقيات الموقعة سابقاً مع الفئات المعارضة وتفرض عليها شروطها الجديدة تحت التهديد بإشعال الحرب ضد كل هؤلاء المشركين الذين يرفضون شرع الله ورسوله".[٥] وقال:" إن الأعراب قد أدينوا بقسوة في تلك السورة[٦]، وأن من تاب بعد ذلك فلا يتمتع بنفس الحقوق السياسية داخل الجماعة الجديدة المنتصرة".[٧]

٢– مضمون الشبهة:

تدور الشبهة حول:

- اتهام النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بنقض العهود.
- تصوير الفتوحات والإجراءات الشرعية على أنها عنف سياسي وديني.
- إسقاط مفاهيم القانون الدولي الحديث على أحداث تاريخية قديمة.

٣– هدف الشبهة:

- نزع الصفة الأخلاقية عن النبوة.

---

[١] المرجع السابق،(صـ١٩٠).

[٢] المرجع السابق،(صـ١٩٥).

[٣] المرجع السابق،(صـ١٩٦).

[٤] سبق ترجمته، (صـ٣٧٧).

[٥] التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، لمحمد أركون، (صـ٤٩)، ترجمة وتعليق:هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

[٦] المرجع السابق، (صـ٤٩–٥٠).

[٧] المرجع السابق، (صـ٥٠).

- تشويه التشريع الإسلامي في باب العلاقات الدولية.
- تقديم الإسلام كنظام عنيف وغير إنساني.
- خدمة الخطاب الاستشراقي التفكيكي.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين نقض العهد والرد على نقضه.
- إسقاط مفاهيم حديثة (جريمة ضد الإنسانية) على سياق تاريخي مختلف.
- تجاهل وثيقة المدينة وبنودها.
- تجاهل أن الحكم في قريظة صدر من سعد بن معاذ لا النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين قالوا أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – استخدم العهود تكتيكًا سياسيًا مؤقتًا، ثم نقضها بعد تقوية سلطته، ووصفوا ما جرى لبني قريظة بأنه إبادة سياسية قاسية.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدمت الشبهة لتأكيد صورة الإسلام العنيف.[٣]

---

[١] انظر: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، لأبي سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي،(صـ٢١٠ ومابعدها)،المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

[٢] Wellhausen, Julius. Muhammad at Medina. Oxford: Clarendon Press, 1882.
Pages: 324–327

فلهاوزن، يوليوس. محمد في المدينة. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٥٧م.
الصفحات: ٢١٠–٢١٤

[٣] محمد ونشأة الإسلام. لديفيد صموئيل مرجليوث،(صـ ٢٨٧–٢٩٠)، ترجمة حسن إبراهيم حسن، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م.

- **في الوسط الإسلامي:** بث الشك في السيرة النبوية، خاصة لدى الشباب غير المتخصص.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- العهد لا يُنقض إلا إذا نقضه الطرف الآخر.
- بنو قريظة: خانوا العهد، تآمروا عسكريًا أثناء غزوة الأحزاب.
- الرد على الخيانة ليس عدوانًا بل عدلًا.
- من نقض العهد فلا حرمة له.[2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- وثيقة المدينة:"وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين...".
- بنو قريظة: خانوا زمن الحرب، وحكم فيهم سعد بن معاذ بحكم التوراة نفسها.[3]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أشار إلى أن محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان أرحم القادة في معاملة المهزومين.[4]

---

[1] انظر: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، لأبي سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي،(صـ٢١٠ ومابعدها).

[2] انظر: أحكام أهل الذمة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،(٨٨٦/٢)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م.

[3] انظر: السيرة النبوية لابن هشام،(٢٤٠/٢).

[4] قصة الحضارة، لديورانت، وِل،(١٣/ ٢١٨.)، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، دار التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م،

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يؤكد على حكم سعد بن معاذ في التوراة، حيث كانت نفس العقوبة تشريعًا يهوديًا، فاتهام النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو اتهام للتوراة ذاتها:" وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا.وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى يَدِكَ، فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.أَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهُ لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ".[١]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

إن تبني أمثال تلك الشبه المغرضة، والإدعاءات الكاذبة، والتشكيك في شخص رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وزعزعة الإيمان في صدور المسلمين من ذكر تلك الشبه في سيرته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لهو ضرب بالباطل، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: تنزه النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من آفة نقض العهود: إذ هو صاحب الخلق العظيم، والله تعالى يقول في حقّه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[٢]وقال سبحانه وتعالى في حقه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾[٣]، وعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؟ فَقَالَتْ:" كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ".[٤] فما من

[١] سفر التثنية، الإصحاح ٢٠ ، الآيه ١٢-١٤

[٢] سورة القلم،الآية،٤

[٣] سورة الأحزاب،الآية،٢١

[٤] مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند النساء، مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،(١٨٣/٤٢برقم٢٥٣٠٢).**بإسناد صحيح.انظر:** تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين أبو محمد عبد الله

فضيلة محمودة مأمور بها في القرآن إلا وكانت متجسدةً في شخص النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وما من رذيلةٍ مذمومةٍ منهيٍّ عنها إلا وكان النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هو أبعدَ الناس عنها؛ ولهذا فقد التزم النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –الوفاء في جميع عهوده، بل ذم ونفي الديانة عن من لا عهد له؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ فِي الْخُطْبَةِ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ».(١) وفي الحديث الذي دار بين أبي سفيان –قبل أن يسلم– وهرقل، حينما كان يسأله عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ليتحقق من أمر نبوته، قال هرقل لأبي سفيان: " وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ يَغْدِرُونَ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا، وَيُدَالُ عَلَيْكُمُ المَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الأُخْرَى، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا العَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ

بن يوسف بن محمد الزيلعي(المتوفى: ٧٦٢هـ)، باب:سورة ن، (٧٥/٤برقم٣١٩١). المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فَرْضِ الْإِيمَانِ، ذِكْرُ خَبَرٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ نَفْيُ الْأَمْرِ عَنِ الشَّيْءِ لِلنَّقْصِ عَنِ الْكَمَالِ، (٤٢٢/١برقم١٩٤)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.**بإسناد حسن**. **انظر**: كَشْفُ المنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ في تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ المَصَابِيحِ، لمحمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبو المعالي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، كتاب الإيمان، من الحسان، (٨٢/١برقم٣٢)، دِرَاسَة وتحقيق: د. مُحمَّد إِسْحَاق مُحَمَّد إِبْرَاهِيم، تقديم: الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ".[(١)]

الأمر الثانى: النساء المهاجرات خارج شروط صلح الحديبية: لقد ذكر العلماء مايوافق عدم رده – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – للنساء المهاجرات إن تيقين النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من إيمانهن، عملاً بقوله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ [(٢)] لأنه لو كان الامتناعُ عن ردِّ النساء المهاجرات نقضًا للعهد من طرف المسلمين لشنعت بذلك قريش عليهم واتخذتها سبة لهم، ولأعلنت حقَّها في الحرب، ولكنَّ كل ذلك لم يكن إلى أن نقضت قريش بنفسها العهد، فكان فتح مكة. والأمر كمايلى:

١– **قال العلامة الفقيه ابن بطال:**[(٣)]"وَعَلَى أَنَّه لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ هُو عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا» ولم يذكر النساء، فصحَّ بهذا أن أَخْذَه لابنة حمزة كان لهذه العلة، ألا تراه ردَّ أبا جندل إلى أبيه، وهو العاقد لهذه المقاضاة". [(١)]

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَنْ لاَ يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ،(٤/٤٥برقم٢٩٤٠).

(٢) سورة الممتحنة،الآية،١٠

(٣) ابن بطال (٠٠٠ – ٤٤٩ هـ = ٠٠٠ – ١٠٥٧ م) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: أصله من قرطبة، وأخرجته الفتنة إلى بَلَنْسِيَة، وكان عالمًا فقيهًا، عني بالحديث، وولي قضاء لُورْقَة، وروى عنه جماعة، وله شرح على "صحيح البخاري"، وله كتاب "الاعتصام" في الحديث،و«شرح البخاري – خ» الجزء الأول منه والثالث والرابع في الأزهرية، وكانت وفاته سنة ٤٤٤، أو سنة ٤٤٩هـ.**انظر:** التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبى الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري

٢-**وقال الإمام العيني:**[٢]"فإن قلت: خرجت بنت حمزة ومضت معه؟ قلت: النساء لم يدخلن في العهد، والشرط إنما وقع في الرجال فقط، وقد بيَّنه البخاري في كتاب (الشروط) بعد هذا، وفي بعض طرقه: فقال سهيل: "وعلى أن لا يأتيك منا رجل هو على دينك إلا رددته إلينا"، ولم يذكر النساء، فصحَّ بهذا أن أَخْذَه لابنة حمزة رضي الله تعالى عنهما كان لهذه العلة. ألا تراه ردَّ أبا جندل إلى أبيه، وهو العاقد لهذه المقاضاة؟".[٣]

- **وقد اختلف العلماء في تكييف الامتناع عن ردِّ النساء المؤمنات إلى الكفار في فترة صلح الحديبية:**

القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)،(صـ٢٨٧)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

[١] شرح صحيح البخارى لابن بطال، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)،(٨/١٠٤)،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.**وانظر**: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)،(١٢/٢٤)،دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

[٢] بدر الدين العيني(٧٦٢ - ٨٥٥ هـ = ١٣٦١ - ١٤٥١ م)محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي: مؤرخ، من كبار المحدثين.أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس.وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية، وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه. من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري - ط) أحد عشر مجلدا.**انظر**: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، (صـ٢٠٧)،عنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، دار السعادة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٢٤ هـ.

[٣] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)،(١٣/٢٧٧)،دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣- **قال العلامة ابن حجر:**[١]"واختلف في ترك رد النساء إلى أهل مكة مع وقوع الصلح بينهم وبين المسلمين في الحديبية على أن من جاء منهم إلى المسلمين ردوه ومن جاء من المسلمين إليهم لم يردوه، هل نسخ حكم النساء من ذلك، فمنع المسلمون من ردهن، أو لم يدخلن في أصل الصلح، أو هو عام أريد به الخصوص، وبين ذلك عند نزول الآية، وقد تمسك من قال بالثاني بما وقع في بعض طرقه "على أن لا يأتيك منا رجل إلا رددته"، فمفهومه أن النساء لم يدخلن، وقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان: إن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : رُدَّ علينا من هاجر من نسائنا فإنا شرطنا أن من أتاك منا أن ترده علينا، فقال: «كَانَ الشَّرْطُ فِي الرِّجَالِ وَلَمْ يَكُن فِي النِّسَاء»، وهذا لو ثبت كان قاطعًا للنزاع، لكن يؤيد الأولَ والثالثَ ما تقدَّم في أول الشروط أنَّ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط لما هاجرت جاء أهلها يسألون ردَّها فلم يردها لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾.. الآية". [٢]

- **أغفل الله قريشاً في أخذ الحيطة بذكر رد النساء فذكروا الرجال دونهن:**

٤-**قال الإمام الطاهر بن عاشور:**[٣]" وَشَأْنُ شُرُوطُ الصُّلْحِ الصَّرَاحَةُ لِعِظَمِ أَمْرِ الْمُصَالَحَاتِ وَالْحُقُوقِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَيْهَا، وَقَدْ أَذْهَلَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ عَنْ الِاحْتِيَاطِ فِي شَرْطِهِمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ رَحْمَةً بِالنِّسَاءِ الْمُهَاجِرَاتِ إِذْ جَعَلَ لَهُنَّ مخرجا". [١]

---

[١] سبق ترجمته، (صـ ٩٠).

[٢] فتح الباري، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، (٩/٤١٩).

[٣] ابن عاشُور(١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣ م)محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء.**انظر:** تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨ هـ)،(٣/٣٠٤برقم٣٣٩)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٩٩٤ م.

- **رد المرأة إن كانت مشركة إلى قريش:**

٥-**وقد ورد عن الضحاك**(٢) أنه قال: كان بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبين المشركين عهد: أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا، فإن دخلت في دينك ولها زوج أن ترد على زوجها الذي أنفق عليها، وللنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الشرط مثل ذلك. (٣)

٦-**يقول الشيخ محمد علي السايس**(٤)" ومن العلماء من يرى أن العهد كان على غير الصيغة المتقدمة، وأنه كان يشتمل على نصّ خاص بالنساء، صورته أن لا تأتيك منا امرأة ليست على

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، (١٥٥/٢٨) ، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

(٢) أَبُو عاصِم النَّبِيل(١٢٢ – ٢١٢ هـ = ٧٤٠ – ٨٢٨ م)الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيبانيّ، بالولاء، البصري، المعروف بالنبيل: وَأُمُّهُ: مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ يَبِيْعُ الحَرِيْرَ. وُلِدَ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِيْنَ وَمائَةٍ. كان إماما في الحديث وأخرج له البخاري في «صحيحه» وأجمعوا على توثيقه. تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْحَكَمُ بْنُ أَحْمَدَ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ دُوشَابَاذَ.**انظر**: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، (٣٢٥/٢)،تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، (٢٧١/١٤)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

(٤) الشيخ محمد علي علي السايس (١٣١٩ – ١٣٩٦هـ / ١٨٩٩ – ١٩٧٦م) ولد الشيخ محمد علي السايس في مدينة مطوبس التابعة لمحافظة كفر الشيخ بمصر سنة ١٣١٩هـ – ١٨٩٩م ، وكان عضواً في جماعة كبار العلماء عام ١٩٥٠م . وكان عضواً في المجلس الأعلى للأزهر من سنة ١٩٥٤م حتى توفي.من مؤلفاته: تاريخ التشريع الإسلامي. تحديد أوائل الشهور العربية .وقد توفي بالقاهرة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م. **انظر**: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي،(٤٦٢/٢)، طبع بإذن رئاسة إدارات

دينك إلا رددتها إلينا، فإن دخلت في دينك ولها زوج ردّت على زوجها ما أنفق، وللنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من العهد مثل ذلك، وعلى هذا فالآية موافقة للعهد مقرّرة له.

٧–وهذا هو الذي عليه المعوّل، وأما الأقوال قبله فإنّها تنافي روح التشريع الإسلامي من جهة أنّ الوفاء بالعهد واجب، ولا ينبغي لأحد الطرفين أن يستبدّ بتخصيص نصوصه أو إلغائها دون موافقة الطرف الثاني". [(١)] وعلى هذا فإذا كانت قريشاً تصالحت مع النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في ردِّ النساء، فالمقصود حينئذٍ النساء غير المسلمات، وهذا يؤكد أن من هاجر من قريش إلى المدينة من المسلمات لم يذكرن في نص المعاهدة.

مماسبق يتبين أنَّ النساء المهاجرات لم يدخلن أصلًا في نص المعاهدة؛ فلم يثبت تاريخياً أن قريشًا اتهمت المسلمين بذلك، فلا يصح أن التصريح بالنساء كان مذكورًا في نص المعاهدة، وإن وردت بعض الأراء في ذكر المرأة فقد جاءت بدون تقييد إن كانت المرأة مسلمة فلاترجعوهن إلى الكفار.

البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م.
وانظر: ترجمة الشيخ محمد علي علي السايس، منصة حفظ التراث الإسلامي.

[(١)] انظر:تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي السايس، (صـ٧٥٩)، المحقق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م. وانظر:روائع البيان تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي الصابوني، (٢/٥٦٠)، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

المبحث السابع

فصل الدين عن الدنيا

إن مايقلق أصحاب الفكر الحداثي المعاصر على مدار الوقت متبنين قلقهم من أستاذتهم المستشرقين هو حكم الشريعة الإسلامية، ولو في بعض الأحكام المتعلقة بشؤون الدنيا، فالدين محله المساجد والبيوت، والدولة تفعل ما تشاء وتحكم بما تشاء ولا دخل للدين في هذا، فما تدهورت المجتمعات إلا بتدخل الدين.

ويتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

قال محمد أركون[١]، حيث قال:" ونحن نعلم أن كلمة إسلام هي كليا وبدون أيّ تردد أو حصر عبارة عن سلسلة من التركيبات المصطنعة والتلاعبات والاستخدامات الاستغلالية التي يقوم بها البشر (الإنسان) بصفتهم فاعلين حاسمين وشبه حصريين للتاريخ الأرضي المحسوس ".[٢] وقال عن الإسلام:" واجترار مقدس متفكك ومدنس بألف طريقة وطريقة في نفس اللحظة ".[٣] وقال:" ثم يزداد الطين بلة فيما يخص الإسلام، فهو يزيد إلى هذه العاهة المشتركة مع الدينين الآخرين، أقصد عاهة التعصب واحتكار الحقيقة الإلهية المطلقة، عاهة أخرى إذ يرفض مناهج ونتائج علوم الإنسان والمجتمع بحجة أنها ولدت في الغرب ومن أجل الغرب فقط ... ثم إن الإسلام يذهب إلى

---

(١) سبق ترجمته، (صـ٣٧٧).

(٢)نحو نقد العقل الإسلامي، لمحمد أركون (صـ٢١٤)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٩م.

(٣) المرجع السابق، (صـ٢٤٢).

أبعد من ذلك في نسيان العقل والتشكيك به ثم رفضه في نهاية المطاف ".[1] **وقال علي عبد الرازق**[2]: "دعوة دينية إلى الله تعالى، ومذهب من مذاهب الإصلاح لهذا النوع البشريّ وهدايته إلى ما يدنيه من الله جل شأنه".[3] **ولا يَقِل صادق جلال العظم**[4] **في التطرف عمن سبقه**، فجعل الإسلام الأيديولوجية الرسمية للقوى الرجعية المتخلفة في الوطن العربي، وأنه المصدر الرئيس لتبرير الأنظمة الرجعية وأنه مؤهل لأن يلعب هذا الدور، وقد لعبه في جميع العصور بنجاح".[5]

٢-مضمون الشبهة:

تقوم الشبهة على:

- نزع القداسة عن الإسلام بوصفه وحيًا إلهيًا.
- اختزال الإسلام في نتاج تاريخي بشري.
- اتهام الإسلام بمعاداة العقل والعلم.
- تصويره كأداة أيديولوجية للهيمنة والتخلف.

٣-هدف الشبهة:

- تفكيك المرجعية الإسلامية عقديًا وفكريًا.

---

(١) المرجع السابق ، (صـ٢٥٢).

(٢) علي حسن أحمد عبد الرازق (١٣٠٥ هـ / ١٨٨٨ - ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦) ولد في قرية أبو جرج بمحافظة المنيا و حصل على درجة العالمية في الأزهر. ثم ذهب إلى جامعة أوكسفورد البريطانية. وعقب عودته عُين قاضيا شرعيا حتى وصل وزيراً للأوقاف، وعين عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.من أشهر مؤلفاته: الإسلام وأصول الحكم،.توفي في جمادى الآخرة من عام ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م.انظر :مقال:" علي عبد الرازق"، موقع المعرفة.

(٣) الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، لعبد الرازق علي، (صـ٧٦)، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٣٤٤هـ.

(٤) سبق ترجمته، (صـ٣٧٨).

(٥) انظر: نقد الفكر الديني، لصادق جلال العظم،(صـ١٧)،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الثانية،١٩٧٠م.

- إسقاط مفهوم الوحي والقداسة.
- تبرير القطيعة مع الشريعة والتراث.
- إعادة تأويل الإسلام وفق المناهج الغربية.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- التناقض بين الاعتراف بتاريخية الفهم وإنكار أصل الوحي.
- الخلط بين الدين وسوء توظيفه التاريخي.
- التعميم الأيديولوجي دون برهان علمي.
- إسقاط التجربة الكنسية الغربية على الإسلام.
- مصادرة المطلوب: افتراض بشرية الإسلام ثم بناء النقد عليها. [١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين ذهبوا إلى فصل نسبي بين الدين والدنيا، لكن التحليل غالبًا كان أيديولوجيًا وتاريخيًا وليس تشريعيًا بالمعنى الإسلامي.[٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدمت الشبهة لتعزيز القراءة التاريخية للإسلام، ونفي البعد التشريعي، وتبرير الدعوة إلى علمنة الإسلام.[٣]

---

[١] انظر: العلمانية – المفهوم والمظاهر والأسباب لأبى سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي،(صـ٢٠)،جريدة السبيل، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

[٢] محمد ونشأة الإسلام. لديفيد صموئيل مرجليوث،(صـ ٢١٠-٢١٥)، ترجمة حسن إبراهيم حسن، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م.

[٣] محمد ونشأة الإسلام. لديفيد صموئيل مرجليوث،(صـ ٢١٠-٢١٥)، ترجمة حسن إبراهيم حسن، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م.

- **في الوسط الإسلامي:** بث الشك في قداسة الدين، وزعزعة ثقة الشباب غير المتخصص بالتراث، وخلق قطيعة معرفية مع النصوص الشرعية.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- القول ببشرية الإسلام يناقض دعوى شموليته التاريخية.
- لا يمكن لمنتج بشري محض أن يصنع حضارة عالمية قرونًا.
- التناقض بين نقد "احتكار الحقيقة" وفرض قراءة واحدة (الحداثية).[2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- يشهد التاريخ أن الإسلام لم يكن مجرد منظومة دينية نظرية، بل كان نظامًا متكاملاً يجمع بين العقل، والعلم، والتشريع، حيث أتاح للإنسان إطارًا عمليًا للتفكير والتطبيق.
- كما أثبت الواقع الحضاري أن الحضارة الإسلامية شهدت ازدهارًا علميًا ملحوظًا في مختلف المجالات، بما في ذلك الطب والفلك والمنطق والرياضيات، مما يؤكد قدرة الإسلام على دمج المبادئ الروحية مع معطيات الواقع العملي والعلمي، ويضعف أي ادعاء بأن الإسلام مجرد تركيب بشري متفكك أو اجترار مقدس بلا أثر حضاري ملموس.[3]

---

[1] انظر: العِلمانيَّة – نشأتها وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة، لسفر بن عبد الرحمن الحوالي،(صـ٢٤-٥٨٠-)،دار الهجرة.

[2] انظر: درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،(١٩/٣)، تحقيق: محمد رشاد سالم دار الكنوز الأدبية – الرياض، ١٣٩١هـ.

[3] انظر: درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،(١٩/٣).

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين اعتبروا أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أسس نظامًا سياسيًا متكاملاً في المدينة، قائمًا على المبادئ الدينية، دون أن يكون الدين عائقًا على الحكم أو الإدارة المدنية.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس نفسه يقوم على: الوحي، احتكار الحقيقة الدينية، رفض الوثنية:"أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ، لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي".[٢]

الوحي: النص يعلن أن المسيح هو الطريق إلى الله، ما يؤكد الأساس الإلهي للرسالة.

احتكار الحقيقة الدينية: الآية تظهر أن الحقائق الروحية محصورة في الشخص (يسوع)، أي أن المسيحية أيضًا تزعم احتكار الطريق إلى الله، تمامًا كما يفعل الإسلام.

رفض الوثنية: النص يوضح أن الإيمان بالوثنية لا ينقلك إلى الله، وهو ما يشبه رفض الإسلام للوثنية والمعتقدات الباطلة.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

هؤلاء يرفعون الصيحات، وينفقون الأموال لإطفاء نور الشريعة الإسلامية ولكن نورها ساطع إلى يوم الدين، قال تعالى﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٨** ﴾[(٣)]، فمن قبل ما يناسبه من الدين كالأحوال الشخصية وبعض العبادات وردَّ ما لا

---

[١] الدعوة إلى الإسلام: تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، لتوماس ووكر أرنولد، (صـ ١٥٢-١٥٥)، ترجمة حسن إبراهيم حسن. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٤م.

[٢] سفر يوحنا، الإصحاح ١٤ ، الآيه ٦

(٣) سورة الصف،الآية، ٨

تهواه نفسه دخل في الآية، وهكذا يقول الله تعالى﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ ﴾.[1] وتفنيد تلك الشبهة يكون عبر النقاط الآتية:

أولاً: هؤلاء يظنون أنه بين الاسلام و علمائه والمسيحية و رجال الكنيسة في القرون الوسطى مماثلة: لأن واقع فصل الدين عن المجتمع المدنى في أوربا جاء نتيجة ردة فعل على ما كان يصدر عن رجال الكنيسة من تحالفهم مع الملوك والأفراد أنذاك انعكس سلباً على بقية أفراد المجتمع ووصل الأمر ذروته باصدارهم ما يعرف بصكوك الغفران مما أدى الى التمرد على الكنيسة ورجالها وتحجيم دورهم وجعل الدين في واد وكل ما يتعلق بشؤون الناس في كافة المجالات في واد آخر. بينما الرؤيا تختلف إلى الإسلام فهو في الواقع دين ودولة، ومن ينظر في كتاب الله وسنّة رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يجد بأن الحديث جاء عن كل أنواع العبادات وأيضاً عن شؤون الدنيا وعن القوانين والنظم التي ينبغي على المسلمين الالتزام بها. فمثال ما ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [2]، وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ [3]، وهذا غيض من فيض يؤكد على عدم اقتصار تنظيم العلاقة بين الانسان و ربه فحسب، و لو كان الأمر كما يدعون لكان من الممكن ترك شؤون هذا الدين كله لله تعالى يراقبها ولا علاقة للإنسان به، ولكن على العكس من ذلك نجد في الإسلام جانباً كبيراً ينظم علاقة الإنسان بالإنسان، ويرتب سبل العيش في مختلف شؤون الحياة. إضافة إلى ذلك لم يكن الإسلام في يوم من الأيام حكراً لأحد أو على أحد ولا لفئة على حساب أخرى بل هو دين كل متبع له مؤمن بتعالميه، دون امتيازات ولا خصوصيات ودون تفريق

---

(١) سورة هود،الآية، ١٥

(٢) سورة البقرة، الآية، ٢٧٥

(٣) سورة البقرة، الآية، ٢٨٢

بين الأجناس والعروق، وبين الألوان واللغات. قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [١].[٢]

فالإسلام دين النور والهداية في جميع شؤون الحياة، فالقرآن الكريم منهج حياة، والسنة النبوية طريق الهدى والرشاد، ولم يكن الدين يوماً محدوداً في إطار شخصي أو عمل قلبي داخلي فحسب، بل جاء بالتشريعات العامة التي ترسم معالم الهداية من ميلاد الإنسان إلى وفاته، فشريعة الإسلام هيا المهيمنة والناسخة لماقبلها من الشرائع، لذا أمر الله بالاحتكام بها وعدم قبول غيرها، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [٣]، ومنع الله أهل الإسلام أن يتبعوا غير الشريعة الإسلامية، فقال جل في علاه: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾.[٤]

ولقد عاب القرآن الكريم كل من يتبع منهج المجتمع المدنى ويفصل أحكام الدين عن أحكام الدنيا، فيصلِّي ويصوم ثم يرفض الإسلام بصورته الكاملة بدعوى غير قابلة التطبيق في العصر الحديث، ومن ثم يستَنزِف عُمره في مُعارَضة القطعيَّات بتَفاهات عقليَّة محضة، ويلجأ إلى الأحاديث الضعيفة والآراء الشاذَّة عندما يخشى افتِضاحه ليكسب جولةً من معركةٍ مع النصوص الثابتة الصريحة؟! فمثل هذا توعَّد سبحانه تعالى فقال: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا

---

[١] سورة الحجرات، الآية، ١٣

[٢] انظر: النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها – دراسة نقدية، حسن بن محمد حسن الأسمري، (١٢٠٥/٢)، أصل الكتاب: رسالة علميَّة تقدَّم بها المؤلِّف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، طبع على نفقة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م بتصرف.

[٣] سورة ال عمران،الآية، ٨٥

[٤] سورة الأعراف،الآية، ٣

جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [1]

ومما سبق يتبين أن الحق في هذه الشبهة المغرضة يُعرف ابتداءً بإقرارنا بأن البشر جميعهم إذا كانوا من خلق الله، يفتقرون لنعمه عليهم، ولايقدروا أن يخرجوا عن شريعته، فهم في حاجة لها، لأن فيها مايصلحهم وينفعهم، وإذا كان الله عز وجل انفرد بالخلق والإيجاد، فلا يصح أن يُشرَك معه غيره في الأمر والنهي، قال تعالى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾.[2]

قال الإمام الرازي[3]: ظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُ كَمَا لَا خَلْقَ إِلَّا لِلَّهِ، فَكَذَلِكَ لَا أَمْرَ إِلَّا لِلَّهِ، وَهَذَا يَتَأَكَّدُ بِقَوْلِهِ تعالى: إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ {الأنعام: ٥٧} وَقَوْلِهِ: فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ {غافر: ١٢} وَقَوْلِهِ: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ". [4]

وقال ابن كثير[5]: "يُرْشِدُ تَعَالَى بِهَذَا إِلَى أَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، فَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ، فَكَمَا خَلَقَهُمْ كَمَا يَشَاءُ، وَيُسْعِدُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُشْقِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُصِحُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُمْرِضُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ، كَذَلِكَ يَحْكُمُ فِي عِبَادِهِ بِمَا يَشَاءُ، فَيَحِلُّ مَا يَشَاءُ، وَيُحَرِّمُ مَا يَشَاءُ، وَيُبِيحُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْظُرُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ الذي يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ. وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. وَيَخْتَبِرُ عِبَادَهُ وَطَاعَتَهُمْ لِرُسُلِهِ بِالنَّسْخِ، فَيَأْمُرُ بِالشَّيْءِ لِمَا فِيهِ مِنَ

---

[1] سورة البقرة،الآية، ٨٥

[2] سورة الأعراف،الآية، ٥٤

[3] سبق ترجمته، (صـ٢٥٣).

[4] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)،(١٤/٢٧٧).

[5] سبق ترجمته، (صـ٥٠).

الْمَصْلَحَةِ التِي يَعْلَمُهَا تَعَالَى، ثُمَّ يَنْهَى عَنْهُ لِمَا يَعْلَمُهُ تَعَالَى.. فَالطَّاعَةُ كُلُّ الطَّاعَةِ فِي امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ فِي تَصْدِيقِ مَا أَخْبَرُوا. وَامْتِثَالِ مَا أَمَرُوا. وَتَرْكِ مَا عَنْهُ زَجَرُوا". [١]

وإذا تبين هذا، أمكننا الحكم بأن الفصل بين الدين والدولة لا يستقيم إلا على مبدئ الإلحاد، وإنكار انفراد الله تعالى بالخلق والإيجاد، أو على التدين بدين باطل يتعارض مع العلم أو الفطرة، أو ظهور أصحاب الفكر الحداثي المعاصر الآن.

في ختام هذا الباب:

نجد الكثير من أعداء الله عز وجل يأبى الحقَّ جحدًا وعنادًا، مع شكِّه فيما جاء به الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ولكن يحمله الجحد والعناد، أو حبُّ المال والشهرة، وأمثال هؤلاء نالينو وتابعوه من أصحاب الفكر الحداثي المعاصر، وقد قال عنهم ربنا سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾.[٢] فمَن أراد الله شقاوته فلا حيلةَ فيه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [٣]، فتلك رسالة لكل داعٍ لرسالة الإسلام ورسوله– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:" ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.[٤]

وأخيراً: إن الأزهر الشريف دائم الاهتمام بتجديد خطابه ومناهجه التعليمية، لبيان سماحة الإسلام في معاملة الأديان الأخرى، واحترام تعاليم الإسلام للأديان، وبيان مشيئة الله تعالى في اختلاف أجناس الناس وألسنتهم وألوانهم، وإن اختلاف المسلم عن غيره لا يعني انعزاله عنه، وأن

---

[١] تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٣٧٨/١).

[٢] سورة يونس،الآيات، ٩٦-٩٧

[٣] سورة يونس،الآيه، ١٠١

[٤] سورة الأنعام،الآيه، ٣٣

أول تعاليم الإسلام ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [١] والعدل في التعامل مع الناس مسلمين وغير المسلمين وأن الاختلاف في الدين لا يبيح الظلم لغير المسلمين، أو التعدي عليهم وأن الإسلام يحترم إنسانية الإنسان دون النظر إلى دينه أو مذهبه أو لونه، أو لغته، لأن الإنسانية أسرة واحدة في ظل مواطنة عالمية تقوم على التعارف والتآلف والتواصل كل ذلك وغيره من الموضوعات العلمية التي ترسخ لثقافة التعددية والتنوع في مواجهة الغلو والتعصب. [٢]

---

[١] سورة البقرة : الآية ٢٥٦

[٢] دور الأزهر الشريف في مواجهة ظاهرة التعصب، مجمع البحوث الإسلامية، بوابة الأزهر الإلكترونية، ٢٢-٢-٢٠١٧م.

الباب الثاني

موقف المستشرقين

من قضايا الفرق والمذاهب الإسلامية:

ويتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

آراء المستشرقين حول فرقة المعتزلة.

الفصل الثانى:

آراء المستشرقين حول ما نُسب إلي الجاحظ في خلق القرآن، ومحاولة المسلمين لإيجاد فلسفة شرقية.

الفصل الثالث:

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين وإحياء المنهج الاعتزالي في قراءة النص الديني.

الفصل الأول

آراء المستشرقين حول فرقة المعتزلة

وفيه مبحثين:

المبحث الأول:

نبذة مختصرة عن فرقة المعتزلة.

المبحث الثاني:

موقف المستشرقين من أصل تسمية المعتزلة.

المبحث الأول

نبذة مختصرة عن فرقة المعتزلة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالمعتزلة.

المطلب الثانى: نشـأة المعتزلة.

المطلب الأول

التعريف بالمعتزلة

يرجع تعريف المعتزلة في اللغة والاصطلاح إلى عدة معانٍ نستقي منها أقربها إلى مايراه الباحث صواباً:

١- **تعريف المعتزلة في اللغة:** الاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون.[١]

٢-**أما المعتزلة في الاصطلاح:** فهو اسم يطلق على مدرسة كلامية ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري، وسلكت منهجاً عقلياً في بحث العقائد الإسلامية. [٢] **وهم أصحاب الأصول الخمسة: التوحيد:** نفوا الصفات عن الله حتى لا تشابه صفات المخلوقين، فمثلاً قالوا إن الله لا يرى في الآخرة.**والعدل:** قالوا إن الإنسان مسؤول عن أفعاله تمامًا، وأن الله لا يخلق أفعال العباد، بل العباد يخلقون أفعالهم بإرادتهم.**والوعد والوعيد:** رأوا أن الله يجب عليه تنفيذ وعده ووعيده، فلا مغفرة لمن مات على كبيرة دون توبة.**والمنزلة بين المنزلتين:** قالوا إن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا ولا كافرًا، بل في منزلة بينهما، ويخلد في النار إن مات بدون توبة.**والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** أوجبوا التدخل لتغيير الظلم حتى لو كان ضد الحكام..[٣]

---

[١] انظر: معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، مادة عزل، (٤/٩٦)، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.

[٢] انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة،(١/ ١٣٨)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٩٧١م.

[٣] انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة،(١/١٤٠-١٤٤).

تسمية المعتزلة

تعددت الآراء للسادة المؤرخين والدارسين للفرق والمذاهب عامة، والمعتزلة بشكل خاص، وقد جمع الباحث تلك الأراء في النقاط التالية:

أولها: ما ذهب إليه **المسعودي (ت ٣٤٦هـ)** [(١)] دون أن يحدد من أطلق عليهم ذلك ذاكرا بأنهم سموا معتزلة لاعتزال صاحب الكبيرة المؤمنين والكافرين[(٢)]

ثانيها: أطلقها عليهم أهل السنة، فقيل لواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ولأتباعهما معتزلة لأنهم اعتزلوا قول الأمة حين قالوا: إن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر [(٣)]

ثالثها: يؤكد أن الحسن البصري هو الذي أطلق عليهم هذا الاسم إثر تجنب واصل حلقته فقال له عندئذ: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة[(٤)]

[(١)] المسعودي (٠٠٠ - ٣٤٦ هـ = ٠٠٠ - ٩٥٧ م) علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود: مؤرخ، رحالة، بحاثة، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها. قال الذهبي: «عداده في أهل بغداد، نزل مصر مدة، وكان معتزليا.» من تصانيفه «مروج الذهب - ط» .

انظر: الأعلام، للزركلي ،(٢٧٧/٤).

[(٢)] انظر مروج الذهب، لأبي الحسن على بن الحسين على المسعودى، (٢٧٧/٣)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر، ١٩٨٩م.

[(٣)] انظر: الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي، (صـ ٢١).

[(٤)] انظر: الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٦٢/١)، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة.

رابعها: نسبت التسمية إلى **قتادة بن دعامة السدوسي**[١] الذي دخل مسجد البصرة فأمّ حلقة لواصل بن عطاء معتقدا أنها حلقة الحسن البصري، فلما تبين له الأمر قال: إنما هؤلاء المعتزلة.[٢]

خامسها: ما ذكره المعتزلة أنفسهم **كابن المرتضى الزيدي اليمني**[٣] من أن المعتزلة هم الذين سموا أنفسهم كذلك لا غيرهم، وقال بأنهم لم يخالفوا إجماع الأمة، وإنما عملوا بالمجمع عليه في الصدر الأول من الإسلام، ولم تكن مخالفتهم إلّا للأقوال المحدثة والمبتدعة، فاعتزلوها.[٤]

ويتضح بعد ذكر هذه الآراء أن ألقاب المعتزلة تتوزع بين ما أطلقه عليهم الخصوم وبين ما رضوه هم لأنفسهم، فمنها ما يقتصر على بعض فرقهم، ومنها ما اشتق من إحدى عقائدهم الثانوية.

---

(١) من أعلام البصرة وهو تابعي من أصحاب الحسن البصري وأخذ عنه وكانت له مناظرات بالكوفة والبصرة، من الطبقة الرابعة. انظر: المنيه والامل شرح الملل والنحل، لأحمد بن يحيي بن المرتضى(صـ ٢٤)، باب ذكر المعتزلة، دار الندى، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ،١٩٩٠م.

(٢) انظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لأحمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ)، (٣٢/٢)، تحقيق كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة القاهرة، ١٩٦٨م.

(٣) المَهْدي الزَّيْدي(728 - 000)هـ = ٠٠٠ - ١٣٢٨ م) محمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى، من سلالة الهادي إلى الحَقّ: إمام زيدي. بويع بالخلافة عند موت والده (سنة ٦٩٠ هـ) ووفاته في ذي مرمر. من كتبه(المنهاج الجلي في فقه زيد بن علي)و(النكتة الكافية والنغبة الشافية - خ) في الفرائض.

انظر: معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، إعداد: علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط،(٣٢٥٣/٥برقم٨٥٠٠).

(٤) انظر: المعتزلة، لزهدي جار الله، (صـ٣٧٨). مكتبة روائع الفكر الإنساني، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٧م.

المطلب الثانى

نشـأة المعتـزلـــة

لقد اختلف المؤرخون والدارسون في أصل نشأة المعتزلة، فمنهم من رده إلى الظروف السياسية، وبعضهم ربطه بالزهد والعزوف عن زخارف الدنيا، وبعضهم ربطه بموقف ديني ذي غاية سياسية: وهو القضية التى أُثيرت في مجلس الحسن البصري في القدر والمنزلة بين المنزلتين مع تلميذه واصل الذي انضم إليه عمرو بن عبيد.[(١)]

ويظهر اختلاف المؤرخين فى نشأة المعتزلة من خلال النقاط التالية:

١- نشأة المعتزلة يرجع إلى الظروف السياسية:

فقد **ذكر الإمام الطبري**[(٢)]: في مراسلة قيس بن سعد (ت ٦٠هـ) للإمام علي بن أبي طالب يخبره عن رجال معتزلين طلبوا منه الكف عنهم ولأن يتركهم وحالهم إلى وضع يكون فيهم بعد ذلك رأي، فذكر له بأنه لا ينوي التعجيل في حربهم بل فضّل ملاينتهم بين ذلك لعل الله يفرّق بينهم وبين ضلالهم.[(٣)]

وقد عزا الطبري في موقف آخر التسمية بالاعتزال إلى تجنب الناس الحرب والقتال، قال: «أما عن الأحنف بن قيس: قال: وَاللَّهِ لا أُقَاتِلُكُمْ وَمَعَكُمْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وَلا أُقَاتِلُ رَجُلا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَمَرْتُمُونِي بِبَيْعَتِهِ، اخْتَارُوا مِنِّي وَاحِدَةً مِنْ ثَلاثِ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ تَفْتَحُوا لِي الْجِسْرَ فَأَلْحَقَ بِأَرْضِ الأَعَاجِمِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَمْرِهِ

(١) انظر: الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي، (صـ ٢٠، ١١٨، ١٢١)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.

(٢) سبق ترجمته، (صـ١٨٥).

(٣) تاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري، (٥٤٦/٤).

مَا قَضَى، أَوْ أَلْحَقُ بِمَكَّةَ فَأَكُونُ فِيهَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَضَى، أَوْ أَعْتَزِلَ فَأَكُونُ قَرِيبًا".[١]

وعلل بعضهم تلقيب المعتزلة بهذا الاسم لاعتزال أتباع الحسن بن علي لما بايع معاوية واعتزلوا معه معاوية والناس جميعا ولزموا منازلهم[٢] واكتفوا معها بالمساجد للعلم والعبادة في موقف حيادي سلبي. وقيل: إنّ التسمية راجعة إلى اعتزال بيعة الإمام علي، وهو ما ذكره أحمد أمين[٣]: «وسموا هؤلاء المعتزلة لاعتزالهم بيعة علي» [٤]

إذن فالتسمية اعتمدت في الصدر الأول للإسلام لمعنى مخصوص هو تجنب الدخول في النزاع بين المتنازعين لأحد أمرين: إما لأن الرأي لم يتبلور بعد أمام النزاع القائم أو اقتنع بعدم إصابة الطرفين كليهما، لهذا دأب المؤرخون على إطلاق هذه التسمية على الجماعة التي لم تشارك في القتال بين علي وعائشة رضي الله عنهما يوم الجمل وعلى الذين لم يدخلوا في النزاع بين علي ومعاوية [٥]

---

[١] التاريخ للطبري،(٤٩٨/٤).

[٢] انظر: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، لعلي عبد الفتاح المغربي، (صـ ١٩٨)، مكتبة وهيبه، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

[٣] أحمد أَمِين (١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٤ م) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب. مولده ووفاته بالقاهرة.قرأ مدة قصيرة في الأزهر. وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية. وعيُن مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية (سنة ٤٧) واستمر إلى أن توفي. من كتبه (فجر الإسلام.

انظر: الأعلام، للزركلي ،(١٠٠/١-١٠١).

[٤] فجر الإسلام، لأحمد أمين، (صـ ٢٩٠). مؤسسة هنداوى، الطبعة:الأولى، ١٩٢٩م.

[٥] انظر: مدرسة البصرة الاعتزالية، لسعيد مراد، (صـ ٢١). مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م.

ولا مراء في أن هذه الأقوال تدل على أن كلمة «الاعتزال» قد أطلقت قبل مدرسة الحسن البصري بوقت طويل بمعناها اللغوي: «التجنب والتنحّي»، وليس بالمعنى الاصطلاحي الذي يعني جماعة تتبنّى خمسة أصول من ترك أحدها لم يكن منهم.

وهذا يجعلنا نستبعد أن يرجع أصل التسمية إلى الظروف السياسية الناتجة عن اعتزال المتحاربين لتجنب الفتنة لأن القول به يدخل كثيرا من الناس لا يعتقدون مايراه المعتزلة في أصولهم الخمسة.

٢- نشأة المعتزلة يرجع إلى الزهد والعزوف عن زخارف الدنيا: [١]

يري الباحث أن تأسيس التسمية على هذا الأساس مردودٌ لأني لا أعتقد أن يكون مشتقاً من اعتزال أمور الدنيا من جهة التصوف لفقد الدليل. فالزهد لون من السلوك دعا إليه الإسلام وحث عليه، فقد قال الله عز وجل ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [٢] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «إِذَا أَدَّى الْعَبْدُ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، كَانَ لَهُ أَجْرَانِ»، قَالَ: فَحَدَّثْتُهَا كَعْبًا، فَقَالَ كَعْبٌ: «لَيْسَ عَلَيْهِ حِسَابٌ وَلَا عَلَى مُؤْمِنٍ مُزْهِدٍ»[٣]. والزهد مرحلة من مراحل التصوف الإسلامي يتفق مع الشريعة، ولا ينكر أصلا من أصولها ولا فرعا من فروعها ولا يلغيها في أي طور من أطواره [٤]، بالإضافة إلى أن الفرق واضح بين التصوف والاعتزال لأن المتصوفة

---

[١] ذهب بعض الدارسين المحدثين أمثال جولد زيهر الذي علل تلقيبهم كذلك بزهد رؤسائهم الأوائل وعزوفهم عن نعومة الحياة منطلقين من ميل تعبّدي صوفي اعتزالي زاهد أوصلهم لاحقا إلى هذه الدائرة العقلية التي عكست موقفا لحركة معارضة للمعتقدات الشائعة يومئذ.انظر: بحوث في المعتزلة من التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، (صـ ١٧٩)، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٦٥م.

[٢] سورة الأعراف،الآية، ٣١

[٣] صحيح مسلم،كِتَابُ الْأَيْمَانِ ، بَابُ ثَوَابِ الْعَبْدِ وَأَجْرِهِ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ ،(١٢٨٥/٣برقم١٦٦٦).

[٤] انظر: مذاهب التفسير الإسلامي، لجولد زيهر، (صـ ٢٠٢)، المركو القومى للترجمة، ٢٠١٣م.

يثبتون الصفات، ولا يقولون بحرية الإرادة الإنسانية ويقولون بقدم القرآن ويثبتون الرؤية في الدنيا والآخرة والمعتزلة على النقيض من ذلك.[١]

٣- نشأة المعتزلة يرجع إلى ربطها بموقف ديني ذى بعد سياسي:

وهو أقرب الآراء إلى الصحة فقد وقع حوله شبه إجماع بين المؤرخين والدارسين في مجلس الحسن البصري وذلك لعدة أسباب:

الأول: أنّه مهما اختلف في نسبة الانفصال فإن منشأه تمحور حول مجلس الحسن البصري وتلميذيه واصل وعمرو ابن عبيد، وهذه مسألة ذائعة ترجح صحته.

الثاني: أنّ جوهر الجدل ديني لأن الناس اختلفوا في أصحاب الذنوب لا سيما إثر فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز فحكم فيه واصل بالفسق والخوارج كالأزارقة[٢] بأنه مشرك ومعهم الصفرية[٣]

الذين استثنوا الأطفال، وكالنجدات[٤] الذين رأوا صاحب الذنب المجمع عليه من الأمة بالتحريم كافرا، بيد أنهم عذروا من لم يعلم التحريم بجهل حتى تقوم عليه الحجة، ورآه الإباضية [٥] كافرا كفر نعمة لا كفر شرك، وذهب غيرهم إلى أنه منافق، وقال علماء التابعين مع أكثر الأمة: صاحب الكبيرة مؤمن لأنه عارف بالرسل والكتب المنزلة من الله تعالى، غير أنه فاسق وفسقه لا ينفي عنه إيمانه وإسلامه[٦]. الثالث: أنّ الجدل بني في الأصل على أمر سياسي لارتباطه

---

[١] انظر: مدرسة البصرة الاعتزالية، لسعيد مراد، (صـ ٢٦).

[٢] نسبة إلى نافع بن الأزرق الحنفي. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن الأشعري، (١٦٧/١)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

[٣] نسبة إلى أصحاب زياد بن الأصفر. المرجع السابق، (١٦٧/١).

[٤] نسبة إلى أصحاب (نجدة الحروري بن عامر): المرجع السابق، (١٦٧/١ومابعدها).

[٥] نسبة إلى رئيسهم عبد الله بن إباض التميمي.

[٦] انظر: الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي، (صـ ١١٧، ١١٨).

بالخلافة. الرابع: أنّ جذور المسألة سياسي، هذا صحيح لكنه تلوّن بلون ديني لأن الأحداث يومئذ لم تكن لتخلو من الاصطباغ به.[١] وهو الملحوظ في تاريخ المذاهب الإسلامية.

---

[١] انظر: ضحى الإسلام، لأحمد أمين، (٣/٦-٧)، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٦٤م.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من أصل تسمية المعتزلة

ويتمثل في أربعة مطالب:

المطلب الأول: المعتزلة المحايدة بين السنة والخوارج.

المطلب الثانى: المعتزلة وليدة النزاعات السياسية والحروب الأهلية.

المطلب الثالث:المعتزلة الناشئة عن العقائد الغير واضحة.

المطلب الرابع: المعتزلة امتداد للقدرية.

المطلب الأول

المعتزلة المحايدة بين السنة والخوارج

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن لفظ المعتزلة لم يُطلق في الأصل على أصحاب واصل بن عطاء بالمعنى الديني الذي عُرفوا به فيما بعد، بل أُطلق على أولئك الذين اعتزلوا الفتنة بين علي ومعاوية، والذين لم ينحازوا إلى أي من الفريقين المتصارعين. لقد أراد هؤلاء أن يقفوا موقفاً وسطاً، فكان اعتزالهم سياسياً في المقام الأول، ثم تطور هذا الاعتزال إلى موقف نظري عقلاني يحاول إيجاد منزلة بين المنزلتين في الحكم على المسلم." [١]

" **لم يكن اسم المعتزلة فى ميدان الكلام مأخوذاً من فكرة الانفصال عن مذهب أهل السنة والجماعة**، ولم يكن إذا قد اخترعه أهل السنة مضمنين إياه معنى ذم أو سخرية باعتبارهم خارجين على مذهب أهل السنة، وإنما اختار المعتزلة الأولون هذا الاسم، أو على الأقل تقبلوه، بمعنى «**المحايدين**» أو الذين لا ينصرون أحد الفريقين المتنازعين(أهل السنة والخوارج)، على الآخر في المسألة السياسية الدينية الخطيرة، مسألة (الفاسق)". [٢]

٢- مضمون الشبهة:

- اسم المعتزلة ليس بسبب اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري.

---

[١] أحزاب المعارضة الدينية السياسية في الإسلام (الشيعة والخوارج): لجوليوس فلهاوزن، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي،(صـ٢٠٢)،وكالة المطبوعات (الكويت) بالاشتراك مع دار القلم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٨م.

[٢] بحوث في المعتزلة وخلق القرآن،لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٣٣ - ٣٤، ترجمة: د.عبدالرحمن بدوى، دار بيبليون، باريس، ٢٠١٩م

- الاسم لم يكن ذمًّا من أهل السنّة.
- المعتزلة اختاروا أو قبلوا هذا الاسم باعتبارهم محايدين في النزاع حول حكم الفاسق.

٣- هدف الشبهة:

- نزع البعد العقدي والتاريخي عن نشأة الاسم.
- إعادة تفسير نشأة المدارس الكلامية بمعايير سياسية لا دينية.
- إضعاف الرواية الإسلامية التقليدية المتفق عليها عند المحدّثين والمتكلمين والمؤرخين.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- غياب أي دليل تاريخي أولي يؤيد أن المعتزلة اختاروا الاسم.
- مخالفة الشبهة لجميع المصادر الأولى (بداية من القرن الثالث القن الخامس الهجري) التي تذكر سبب التسمية.
- تناقض الادعاء مع استعمال المعتزلة أنفسهم لمصطلح أهل العدل والتوحيد بدل المعتزلة. [١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يناقشون نشأة الفرق الكلامية ضمن سياق الصراع السياسي، ويشيرون أن كثيرًا من الفرق (ومنها المعتزلة) نشأت من الموقف من مرتكب الكبيرة والحياد السياسي. [٢]

---

[١] انظر: التأويل في التفسير بين المعتزلة والسنة، لسعيد شنوقة،(صـ٨٤)،المحقق / مقدم: د. مختار الأحمدي، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

[٢]

Julius Wellhausen The Religious–Political Opposition Parties in Early Islam (English Summary Translation) Bombay: Islamic Tracts Society, 1927 .p36–31

يوليوس فلهاوزن ، الأحزاب الدينية–السياسية المعارضة في الإسلام المبكّر، (ترجمة ملخّصة باللغة الإنجليزية)، بومباي: جمعية الرسائل الإسلامية ، ١٩٢٧، الصفحات٣١--٣٦

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** قد يستخدمها بعض الباحثين في الاستشراق لوجود هوى في تفسير الظواهر الدينية سياسيًا.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** ترويج بعض الكتّاب الحداثيين للشبهة لتسويغ روايات جديدة عن تاريخ الفرق الإسلامية.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- لو كان الاسم بمعنى الحياد لذكره أحد من المعتزلة أو خصومهم الأوائل، لكن لا يوجد أي نص واحد يقول بذلك.
- الاسم نفسه اعتزال، وهو فعل يدل على مفارقة وانفصال لا على حياد.
- المصطلحات السياسية في النزاعات كمحايدين لم تكن تُستعمل بهذه الصيغة في القرن الثانى الهجري.[٣]

---

[١]

D. S. Margoliouth The Early Development of Mohammedanism

London: Williams & Norgate, 1914, P 118-96

د. ص. مرجليوث ، تطور الإسلام المبكّر، لندن، ويليامز آند نورغيت، ١٩١٤، الصفحات ٩٦-١١٨

[٢] انظر: تيارات الفكر الإسلامي المعاصر، لمحمد محسن محمد محجوب،(٢/ ٩٣-١٧٢) مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، المجلد ٢١، ٢٠١٩م.

[٣] انظر: التأويل في التفسير بين المعتزلة والسنة، لسعيد شنوقة،(صـ٨٤).

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر الأصيلة تشير جميعها إلى سبب واحد للتسمية، وهو السبب المشهور: اعتزال واصل مجلس الحسن.[١]
- استعمال المعتزلة لأنفسهم اسم أهل العدل والتوحيد، ولا يوجد أي مصدر تراثي يدل على أن الاسم يعني الحياد السياسي.[٢]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يعالجون نشأة الاعتزال في البصرة في القرن الثاني الهجري، ويركزوا خصوصًا على دور واصل بن عطاء، وعلى تحليل الروايات التي تشرح سبب تسمية المعتزلة فلا ينفون الرواية المشهوره، ولا يقطعون بصحتها التاريخية الكاملة، لكنهم يرون أنها تعبّر بشكل موثوق عن الجو الفكري الذي نشأ فيه الاعتزال.[٣]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

رفض علماء الكتاب المقدس محاولات تغيير المعاني الأصلية للأسماء الدينية مثل إعادة تفسير كلمة بمعانٍ سياسية بحتة:" لَا تَزِيدُوا عَلَى ٱلْكَلِمَةِ ٱلَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا، وَلَا تَنْقُصُوا مِنْهَا..."[٤]: ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا حَقَّ ٱللّٰهِ بِٱلْكَذِبِ..."[١]

---

[١] انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق ،لمحمد با كريم محمد با عبد الله،،(صـ٢٩٦)، رسالة دكتوراة،دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

[٢] انظر: الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٤٣/١)،مؤسسة الحلبي.

[٣] Josef van Ess,Theologie und Gesellschaft, Band I, Berlin: De Gruyter, 1991, p. 120–123

يوسف فان إيس ، اللاهوت والمجتمع، المجلد الأول، برلين: دار دي غرويتر، ١٩٩١، الصفحات ١٢٠-١٢٣.

[٤] سفر التثنية، الإصحاح ٤ ، الآيه ٢

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

يحاول نالينو كما تعودنا عليه وضع السم في العسل(منهج التشكيك) فيخلط بين فرقة المعتزلة المعروفة، وبين الممسكين عن الفتنة المعتزلين لها من الصحابة وغيرهم، واعتبر كل من وقف على الحياد في الفتن معتزلياً، ويريد بذلك التشكيك في الروايات التى وردت على لسان الإمام الحسن البصري[٢]وهى كما ذكرها الإمام الشهرستانى[٣]: "دخل رجل على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء[٤]: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، بل

---

[١]رسالة رومية ، الإصحاح ١ ، الآيه ٢٥

[٢] سبق ترجمته،(صـ٧٣).

[٣]أبو الفتح الشهرستانى (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ = ١٠٨٦ - ١١٥٣ م)محمد بن عبد الكريم بن أحمد، من فلاسفة الإسلام. ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ، فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده ، وتوفي بها. من كتبه (الملل والنحل - ط) (مصارعات الفلاسفة - خ) و (تاريخ الحكماء - خ) و (المبدأ والمعاد).

انظر: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)،(صـ١٥٠٢ ومابعدها)،دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

[٤] واصِل بن عَطَاء(80 - 131)هـ = ٧٠٠ - ٧٤٨ م) واصل بن عطاء الغزّال، أبو حذيفة، رأس المعتزلة ومنهم طائفة تنسب إليه، تسمى " الواصلية " وهو الّذي نشر مذهب " الاعتزال " في الآفاق. له تصانيف، منها " أصناف المرجئة " و " المنزلة بين المنزلتين " و " معاني القرآن ".مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.

هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى إسطوانة[(١)] من إسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعْتَزَلَنا واصل، فسمي هو وأصحابه المعتزلة".[(٢)]

غير أن وصف نالينو للمعتزلة على أنهم محايدون لهو وصف واهٍ مخالفٍ لدلالات الكلمة التى تقضي بالخروج على أهل السنة، وليس بمعنى الحياد: ومن ذلك القول بالمنزلة بين المنزلتين، وأوضح الإمام الشهرستانى[(٣)] وجه تقرير واصل بن عطاء لهذا الحكم ودليل خروجه على أهل السنة فقال: ووجه تقريره أنه قال: إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا وهو اسم مدح. والفاسق لم يستجمع خصال الخير وما استحق اسم المدح، فلا يسمى مؤمنا، وليس هو بكافر مطلقا أيضا، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه، لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة، فهو من أهل النار خالد فيها، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار.[(٤)]

انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، (٣٢٩/٤) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

(١) الأسطوانة: العمود أو السارية.

(٢) انظر: الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٤٧/١-٤٨).

(٣) سبق ترجمته، (صـ٤٥١).

(٤) انظر: الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٤٨/١).

المطلب الثانى

المعتزلة وليدة النزاعات السياسية والحروب الأهلية

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

يقول إجناس جولدزيهر:[(١)]"لقد كان من الضروري أن تنشأ المعتزلة من قلب الصراعات السياسية، فالقضايا التي ناقشوها، مثل القدر والعدل والمنزلة بين المنزلتين، كانت في جوهرها ردود فعل على الواقع المرير الذي خلفته الحروب الأهلية والاضطهاد الأموي." [(٢)]

" وما دامت هذه المسألة قد أخذت حظها من الأهمية بسبب المنازعات السياسية والحروب الأهلية فى القرن الأول، فمن الطبيعي أن يكون اسم المعتزلة قد أخذ عن لغة السياسة في ذلك العصر فكان المعتزلة الجدد المتكلمون فى الأصل استمراراً فى ميدان الفكر والنظر، للمعتزلة السياسيين أو العمليين". [(٣)]

٢- مضمون الشبهة:

- أصل اسم المعتزلة جاء بسبب النزاعات السياسية والحروب الأهلية.
- أصل اسم المعتزلة ليس بالضرورة نتيجة انسحاب علمي عند خلاف مع الحسن البصري، بل إن الاسم يعود إلى موقف سياسي.

---

(١) سبق ترجمته، (صـ١٥٧).

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام،لإجناس جولدزيهر،(صـ٩٨)، ترجمة: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، د. عبد العزيز عبد الحق، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٤٦م.

(٣) بحوث في المعتزلة وخلق القرآن، لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٣٤.

- المدرسة الكلامية للقرن الثاني والثالث الهجري تمثل استمرارية لذلك الموقف السياسي العملي.

٣- هدف الشبهة:

- تقليل الطابع العقائدي التكويني لتسمية المعتزلة، وربطها بأصل سياسي.
- الإيحاء بأن المكون السياسي والظروف التاريخية هي التي صنعت تسمية المدرسة وليس انقسام منهجي في علم الكلام.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الانتقال من ملاحظة وجود أفراد محايدين سياسياً إلى الاستنتاج بأن هذا هو سبب تسمية مدرسة كلامية كاملة يحتاج بينة تاريخية مباشرة.
- الخلط بين معانٍ لغوية متعدّدة: كانقطاع وانسحاب أو امتناع واعتزال أو إلى موقف حيادي، فالقول بأن أحد المعاني هو الوحيد الصحيح يحتاج دلائل نصية. [١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يرون أن أصل تسمية المعتزلة ناشئة من النزاعات السياسية.[٢]

---

[١] انظر: أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، لمصطفى بن محمد بن مصطفى،(٢٩٦/١)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

[٢]

Nyberg, H. S Muʿtazila, in Shorter Encyclopaedia of Islam, ed. H. A. R. Gibb & J. H. Kramers Leiden: E. J. Brill, 1953, pp. 421–427

نيبرغ، هـ. س.المعتزلة، في الموسوعة المختصرة للإسلام، بتحرير هـ. أ. ر. غيب وجي. هـ. كرومرز.

لايدن: دار النشر إ. ج. بريل، ١٩٥٣، صص ٤٢١–٤٢٧.

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** كثير من المداخل المعاصرة تذكر تفسير نالينو كأحد التفسيرات المقبولة والمعتبرة بأن أصل اسم المعتزلة قد يكون مرتبطًا بالحياد السياسي أو الانفصال عن النزاعات السياسية في صدر الإسلام.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** رد العلماء المسلمون على ذلك الشبهة بالاستشهاد بالروايات التي تذكر انسحاب واصل بن عطاء من حلقة الحسن البصري، وما رُوِي عن تسمية الاعتزال بهذا المعنى الدلالي. كذلك أعاد الباحثون قراءة العلاقة بين الجذور السياسية والبعد الفكري ولا يرون التفسير السياسي وحده كافياً.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- القول بأن وجود حياد سياسي بين بعض الصحابة أدى وحده إلى تسمية مدرسة كلامية يتطلب إثبات أن التسمية استُخدمت بنفس المعنى السياسي في مصادر زمنية قريبة، وإثبات أن تلك التسمية انتقلت دون تحول دلالي إلى الدائرة الكلامية لاحقاً، فغياب أحدهما يضعف الحُجة.[٣]

---

[١] Brill Encyclopedia of Islam (EIEO .)Muʿtazila. Brill: Leiden, Netherlands , 2012, P : 1–5

المعتزلة مدخل في الموسوعة الإسلامية العالمية، لموسوعة بريل للعلوم الإسلامية،،ليدن،هولندا،٢٠١٢ الصفحات: ١–٥

[٢] انظر:الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٤٨/١).

[٣] انظر:أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، لمصطفى بن محمد بن مصطفى،(٢٩٦/١).

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر الأصلية التي تذكر سبب التسمية وتصور مرويات عن موقف واصل بن عطاء وحلقة الحسن البصري، تُبرز روايات الانسحاب والاعتزال، وليس تفسيراً سياسياً بحتاً مبنيّاً على قراءة لاحقة.
- الأحداث السياسية كالفتن بين علي ومعاوية، ومعارك صفين والجمل أنتجت فئات حيادية أو منسحبة، لكن ربط هذه الحالات مباشرةً باسم مدرسة كلامية كاملة يحتاج برهان تاريخي يوضح تتابع الاستخدام.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- يشير بعض المستشرقين إلى أن مصطلح الاعتزال كان معروفًا في البصرة، وأن لقب المعتزلة في أصله مرتبط بانفصال واصل بن عطاء، كما جاء في الأدبيات العربية القديمة.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس لا يوجد فيه مادة تاريخية تقدم دليلاً على تسمية عربية ظهرت في سياق خلافات الصحابة، فلا يقوّي الشبهة ولا يضعفها لأنه خارج نطاق الأدلة اللغوية والتاريخية المطلوبة هنا. غير أن علماء الكتاب المقدس رفضوا محاولات تغيير المعاني الأصلية للأسماء الدينية مثل إعادة

---

[١] انظر:الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)،(صـ٢٠٩)،المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

[٢] Louis Massignon ,L es Origines du lexique technique de la mystique musulmane Paris, Vrin , 1922, p;66

لويس ماسينيون، أصول المعجم الفني للتصوف الإسلامي، الدار: باريس، دار فْرَان، ١٩٢٢، الصفحات: ٦٦

تفسير كلمة بمعانٍ سياسية بحتة:" لَا تَزِيدُوا عَلَى ٱلْكَلِمَةِ ٱلَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا، وَلَا تَنْقُصُوا مِنْهَا..."[١]: " ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا حَقَّ ٱللَّهِ بِٱلْكَذِبِ..."[٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

أصل تسمية المعتزلة يرجع إلى موقف رئيسهم واصل بن عطاء مع شيخه الحسن البصري وهى كما ذكرها **الإمام الشهرستانى**(٣): "دخل رجل على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى إسطوانة(٤) من إسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعْتَزَلَنا واصل، فسمي هو وأصحابه المعتزلة".(٥) فيتبين أن أصل تسمية المعتزلة تولد من النزاعات والأحداث الجارية يومئذ.

---

١ سفر التثنية، الإصحاح ٤ ، الآيه ٢

٢ رسالة رومية ، الإصحاح ١ ، الآيه ٢٥

(٣) سبق ترجمته، (صـ٤٥١).

(٤) الأسطوانة: العمود أو السارية.

(٥) انظر: الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٤٧/١-٤٨).

المطلب الثالث

المعتزلة الناشئة عن العقائد الغير واضحة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"لقد كانت العناصر العقدية في الإسلام الباكر تفتقر إلى التحديد الدقيق، وكانت تترك الباب مفتوحاً لتفسيرات متضاربة... وفي هذه الأجواء من عدم الوضوح، نشأ تيار المعتزلة ليكون أول من حاول إخضاع هذه التصورات للنقد العقلي وتنسيقها في مذهب كلامي واضح. لقد أرادوا تخليص فكرة التوحيد مما علق بها من تشبيه وتجسيم نتج عن الفهم الحرفي لنصوص لم تكن قد حُددت معانيها الكلامية بعد." [١]

"كانت الجماعة الأولى من المعتزلة المتكلمين تشمل على وجه الاحتمال أشخاصاً اختلفت آراؤهم حول بعض المسائل الدينية الأخرى. حتى إنه في القرن الأول وأوائل القرن الثانى كانت بعض المسائل الدينية(مثل الجبر والاختيار)غير واضحة المعالم والحدود، ولم يكن من المستطاع القطع بأى الآراء المتعارضه يجب اعتباره من أقوال أهل السنة أو أقوال غيرهم. فلم يكن الإجماع قد تم بعد في هذا الباب بطريقة قطعية". [٢]

ويتابع قائلاً:" فكان اسم المعتزلة المتكلمين فى الأصل يشير إذاً إلى النقطة الوحيدة المميزة لمذهبهم عن مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه النقطة قد فقدت أهميتها من بعد بانقضاء الحروب الأهلية بالنسبة لمسائل الخلاف الدينية الأخرى، التي رسخت شيئاً فشيئاً، وطغت على تلك النقطة

---

[١] العقيدة والشريعة في الإسلام،لإجناس جولدزيهر،(صـ٩٢).

[٢] بحوث في المعتزلة وخلق القرآن،لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٣٤.

من جراء رد الفعل المتزايد ضد إثبات مذهب أهل السنة ورسوخه(القدرة، الصفات، خلق القرآن، العقل والنقل). أو بعبارة أخرى كانت هذه التسمية تسمية جزئية في وقت من الأوقات مثل التسميات الأخرى التي اتخذها المعتزلة من بعد أحياناً للدلالة على بعض النقط الخاصة فى تعاليمهم دلالة خاصة مثل(القدرية، العدلية، الموحدة)مشيرين بذلك إلى مذاهبهم في القدر وفي العدل وفي التوحيد على الترتيب".[(١)]

ويكمل قائلاً:" لعل ذكر الأصل الحقيقي لاسم المعتزلة قد بدأ يضعف في النصف الثاني من القرن الثاني. وعلى هذا النحو اعتقد الكثيرون، حتى من بين المعتزلة أنفسهم، شيئاً فشيئاً أن هذا الاسم يدل على أنهم انشقوا على أهل السنة والجماعة، وأن هؤلاء هم الذين اخترعوه. وقليل من الذين أبقوا على السبب الأصلى فى هذه التسمية".[(٢)]

٢- **مضمون الشبهة:**

- نالينو يرى أن اسم المعتزلة تسمية متغيرة المعنى عبر الزمن.
- وأن الأصل التنشئة كان دلالة على نقطة واحدة غير واضحة بين المدارس العقدية.
- ثم بدأ يُعتقد لاحقاً أن الاسم منسوب إلى انشقاق عن جمهور الأمّة.
- وأن سبب التسمية الحقيقي ضاع أو تلاشى في الوعي الإسلامي.

٣- **هدف الشبهة:**

- التشكيك في الرواية الإسلامية القديمة .
- إظهار أن نشأة المعتزلة ليست تطوراً فكرياً ناضجاً.
- إعادة قراءة تاريخ علم الكلام باعتباره ظاهرة سياسية أكثر منه فكرية.

---

(١) بحوث في المعتزلة وخلق القرآن،لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٣٥.

(٢) بحوث في المعتزلة وخلق القرآن،لكارلو ألفونسو نالينو،صـ٣٥.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- ادعاء نالينو بأن الأصل الحقيقي للاسم قد بدأ يضعف يحتاج إلى دليل تاريخي صريح ولم يقدمه.
- تجاهل المصادر الإسلامية الأولى التي تذكر التسمية بوضوح.
- يخلط بين أصل التسمية و تطور دلالاتها لاحقاً.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يشيرون أن كثيرًا من الفرق (ومنها المعتزلة) نشأت في فترة لم تتضح فيها الحدود بين الفرق، ولم تُحسم فيها المسائل العقدية الكبرى، وكان هناك تداخل بين الآراء (الجبر والاختيار، الصفات، القدر...).[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** قد يستخدمها بعض الباحثين في الاستشراق أن التسمية قد تكون اكتسبت معاني متعددة قبل أن تستقر.[٣]

---

[١] انظر:الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)،(صـ١٥)،دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م

[٢] انظر:الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٤٧/١-٤٨).

R. A. Nicholson A Literary History of the Arabs Cambridge University Press 1907 .p . 216

رينهارت آرثر نيكلسون، التاريخ الأدبي للعرب، مطبعة جامعة كامبردج،١٩٠٧، الصفحات: ٢١٦

[٣] Arthur Jeffery The Term Muʿtazila Journal of the American Oriental Society American Oriental Society,1936 .p . 100-98

- **في الوسط الإسلامي:** بعض الباحثين الحداثيين استخدموا كلام نالينو لإعادة تفسير تاريخ المعتزلة اجتماعيًا، أما العلماء والباحثون التراثيون فتمسكوا بنصوص كتب الفرق الأصلية التي تُثبت سبب التسمية بدقة.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- تغير دلالة الاسم عبر الزمن لا ينقض أصل التسمية بل هو أمر لغوي طبيعي.
- عدم وضوح بعض المسائل العقدية في القرن الأول لا يغير معانٍ في التسمية.
- لو كان أصل التسمية مجهولًا حقًا، لماذا تتفق جميع المصادر الأصلية عليه؟
- المنطق التاريخي يلزم بأن تُقدّم دلائل مكتوبة ولم يفعل نالينو ذلك.[٢]

٢– نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر التاريخية الأقرب زمنيًا للمعتزلة هى الأكثر حجية فكلها مصادر تسبق نالينو بألف سنة، وهي نصوص فرق معتمدة وقريبة من الزمن الأصلي، وتنص صراحة على سبب التسمية.[٣]

٣– شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أقرّوا مباشرةً بأن الاسم من اعتزال واصل مجلس الحسن.[١]

آرثر جفري، مصطلح المعتزلة، المجلة: مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، الجمعية الشرقية الأمريكية، ١٩٣٦، الصفحات: ٩٨–١٠٠

[١] انظر:الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)،(صـ١٥).

[٢] انظر: الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٤٧/١–٤٨).

[٣] المرجع السابق، (٤٧/١–٤٨).

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس نفسه يشهد بأن الأسماء تطلق على أساس الوقائع التاريخية، وتغير دلالات الأسماء لاحقًا لا ينسف أصلها، وهذا يهدم فكرة نالينو أن تغير الدلالة يعني ضعف الأصل: "وَحَدَثَ أَنَّ تَلْمِيذِي الْمَسِيحِ اجْتَمَعُوا فِي أَنْطَاكِيَةَ، فَسُمُّوا أَوَّلًا تَلْمِيذًا بِالْمَسِيحِ الْمَسِيحِيِّينَ"[٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

هذا إدعاء باطل، حيث إن العقائد واضحة تامة الوضوح منذ عهد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فإذ تأملنا القرآن الكريم، وسيرة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نصل إلى حقيقة واضحة كل الوضوح وهي:[(٣)]

١-أن غالب آيات القرآن الكريم جاءت في تقرير عقيدة التوحيد، توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والدعوة إلى إخلاص العبادة والدين لله وحده لا شريك له، وتثبيت أصول الاعتقاد (الإيمان والإسلام).

٢-أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قضى غالب وقته - بعد النبوة - في تقرير الاعتقاد والدعوة إلى توحيد الله - تعالى - بالعبادة والطاعة، وهذا هو مقتضى (لا إله إلا الله محمد رسول الله). فالدعوة إلى العقيدة تأصيلاً وتصحيحاً شملت الجزء الأكبر من جهد الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ووقته في عهد النبوة.

---

١ Goldziher, Ignaz. Vorlesungen über den Islam. Winter, Heidelberg, 1910, pp. 107–108

جولدزيهر، إجناس. محاضرات عن الإسلام. هايدلبرغ، دار وينتر، ١٩١٠، ص. ١٠٧–١٠٨.

٢ سفر أعمال الرسل، الإصحاح ١١ ، الآيه ٢٦

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، (٢٤/١)، دارالسلاسل – الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ.

٣-فالرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قضى ثلاثا وعشرين سنة في الدعوة إلى الله وهي عهد النبوة - منها ثلاث عشرة سنة في مكة، جلها كانت في الدعوة إلى تحقيق (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي الدعوة إلى توحيد الله -تعالى- بالعبادة والإلوهية وحده لا شريك له، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وسائر الوسطاء، ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة.

٤-ومنها عشر سنين في المدينة، وكانت موزعة بين تشريع الأحكام، وتثبيت العقيدة، والحفاظ عليها، وحمايتها من الشبهات، والجهاد في سبيلها، أي أن أغلبها في تقرير عقيدة التوحيد وأصول الدين، ومن ذلك مجادلة أهل الكتاب، وبيان بطلان معتقداتهم المحرفة، والتصدي لشبهاتهم وشبهات المنافقين، وصد كيدهم للإسلام والمسلمين، وكل هذا في حماية العقيدة قبل كل شيء.

٥-فأي دعوة لا تولي أمر العقيدة من الاهتمام كما أولاها رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - - علماً وعملاً - فهي ناقصة. فالرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إنما قاتل الناس على العقيدة (عقيدة التوحيد) حتى يكون الدين لله وحده، تلك العقيدة المتمثلة في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، على الرغم أن سائر المفاسد والشرور كانت سائدة في ذلك الوقت، ومع ذلك فإن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، جعل الغاية من قتال الناس تحقيق التوحيد، وأركان الإسلام، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».[١]

٦-**وأخيراً نستخلص** أنه ليس بصحيح أن المعتزلة كانوا في الأصل فرعاً أو استمراراً للقدرية فى القرن الأول، وأن نقطة ابتدائهم كانت مذهب الاختيار وحرية الإرادة.

---

[١] صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة: ٥]،(١/٤/١برقم٢٥).

المطلب الرابع

المعتزلة امتداد للقدرية

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن المعتزلة في الحقيقة هم الورثة الشرعيون للقدريين الأوائل... فالقدريون هم الذين مهدوا الطريق للمعتزلة، بل إن اسم 'القدرية' ظل يطلق على المعتزلة في كتب الخصوم كلقب تشنيع، لأن المعتزلة تبنوا المبدأ الأساسي للقدرية وهو القول بحرية الإرادة والمسؤولية الإنسانية ضد القول بالجبر." [١]

"ونقولاً في المواقف[٢] لعضد الدين الإيجى[٣] أن المعتزلة سمو أيضاً بالقدرية "لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وإنكارهم القدر فيها "إلا أن القول الأكثر احتمالا هو أن القدرية اتخذوا اسمهم من أنهم أنكروا الجبر وأضافوا إلي الإنسان قدرة أو قدراً علي فعل الخير والشر". [١]

---

[١] العقيدة والشريعة في الإسلام،لإجناس جولدزيهر،(صـ٩٤)

[٢] انظر: شرح مواقف الإيجي، لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف (المتوفى: ٨١٦ هـ)، (٨/٣٧٧)، طبعة القاهرة، ١٣٢٥هـ

[٣] عَضُد الدين الإيجي(٠٠٠ - ٧٥٦ هـ = ٠٠٠ - ١٣٥٥ م)عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عَضُد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء، من تصانيفه (المواقف - ط) في علم الكلام، و (العقائد العضدية - ط) و (الرسالة العضدية - ط).

٢- مضمون الشبهة:

- تفسير تسمية المعتزلة بالقدرية ليس نتيجة لجذر تاريخي أو واقعة سياسية، بل مرتبط بالجانب العقائدي والفكري: أي موقفهم من الجبر والاختيار.

٣- هدف الشبهة:

- تقديم قراءة تفسيرية لاسم القدرية وارتباطه بالموقف العقدي.
- محاولة فهم تطور التسمية من الناحية الفكرية بدلًا من التاريخية.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- هل يمكن ربط التسمية مباشرة بالعقيدة أم أن هناك عوامل تاريخية وسياسية؟
- هل تفسير الاسم على أساس الفكر فقط يغفل البيئة الاجتماعية والسياسية التي ظهرت فيها الفرق؟[٢]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يشيرون في تحليل أسماء الفرق إلى استمرار الفكر القدري في مواقف المعتزلة مايدل على تتابع فكري بين القدرية والمعتزلة.[٣]

انظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب، لكمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (المتوفى: ٧٢٣ هـ)،(١/٤١١برقم٦٣٤)، المحقق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

(١) بحوث في المعتزلة وخلق القرآن، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٤٢-٤٣).

[٢] انظر:فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، لغالب بن علي عواجي،(٣/١١٦٦)، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

[٣] Arthur Jeffery The Term Muʿtazila Journal of the American Oriental Society American Oriental Society,1936 .p . 100-98

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** اعتمد بعض المستشرقين الإيطاليين والألمان تفسير جولدزيهر وناللينو كأحد التفسيرات المقبولة للقدرية والمعتزلة، وصنفوه كتفسير عقائدي لتسمية الفرق.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** الباحثون التراثيون تمسكوا بالنصوص الأصلية، وأن سبب تسمية المعتزلة يعود إلى الانفصال عن حلقة الحسن البصري، مؤكدون الطابع العملي للاسم قبل أي تفسير عقائدي لاحق.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- المنطق العقلي يقول إن تسمية مجموعة لا يمكن أن تكون مرتبطة بعقيدة واحدة فقط إذا ظهرت عوامل اجتماعية وسياسية وعملية أخرى.

آرثر جفري، مصطلح المعتزلة، المجلة: مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، الجمعية الشرقية الأمريكية، ١٩٣٦، الصفحات: ٩٨-١٠٠

[١]

Louis Massignon Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane, Vrin, Paris, 1922, p. 17

لويس ماسينيون، بحث في أصول المعجم الفني للتصوف الإسلامي، باريس، دار فْرَان ، ١٩٢٢، الصفحة: ١٧

[٢] انظر:الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)،(صـ١٥).

- تفسير الاسم على أساس الفكر فقط يتجاهل أسباب التسمية الواقعية، مثل الانسحاب أو المواقف الجماعية.[١]

٢- **نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:**

- الواقع التاريخي يُظهر أن أسماء الفرق غالبًا ارتبطت بسلوكيات أو مواقف محددة مثل اعتزال واصل أو مواقف سياسية أو اجتماعية.
- التسمية لم تُخلق من الفراغ العقائدي وحده، بل تفاعلت مع الأحداث التاريخية.[٢]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين يشيروا إلى أن أسماء الفرق غالبًا مرتبطة بسلوكيات واقعية، وليس تفسيرًا نظريًا فقط.[٣]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس يؤكد أن التسمية تتأصل في الفعل والسلوك، وليس مجرد تغيير دلالة لاحق:" وَحَدَثَ أَنَّ تَلْمِيذِي الْمَسِيحِ اجْتَمَعُوا فِي أَنْطَاكِيَةَ، فَسُمُّوا أَوَّلًا تَلْمِيذًا بِالْمَسِيحِ الْمَسِيحِيِّينَ" [٤]

---

[١] انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، لغالب بن علي عواجي،(٣/١١٦٦).

[٢] انظر:الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٤٧/١-٤٨).

[٣] Nyberg, H. S Muʿtazila, in Shorter Encyclopaedia of Islam, ed. H. A. R. Gibb & J. H. Kramers Leiden: E. J. Brill, 1953, pp. 421–427

نيبرغ، هـ. س.المعتزلة، في الموسوعة المختصرة للإسلام، بتحرير هـ. أ. ر. غيب وجي. هـ. كرومرز. لايدن: دار النشر إ. ج. بريل، ١٩٥٣، صص ٤٢١-٤٢٧.

[٤] سفر أعمال الرسل، الإصحاح ١١ ، الآيه ٢٦

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

هذا إدعاء باطل، حيث إن هناك اختلافاً فارقاً بين المعتزلة والقدرية[١]، فعبارة جولدزيهر ونالينو لاتعبر عن الحقيقة، فالمعتزلة وإن أضافوا إلى العبد قدرة على فعل الخير والشر كالقدرية إلا أن هذه القدرة مقطوعة الصلة بالقدر الإلهي: وقد قال الإمام البغدادي[٢]: يحتوي لفظ «القدرية» معنيين:

الأول: يرتاح إليه المعتزلة وهو الذي ينسب فيه الفعل إلى قدرة الإنسان وإرادته واختياره.

والثاني: يرفضونه لأنه ينفي حرية الإرادة والاختيار.

وقد سموا قدرية لقولهم بقدرة العبد على أفعاله بمفرده وباستقلال من دون الله تعالى، وبهذا نفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه.[٣] إلّا أنه رد على المعتزلة مفهومهم في قدرة العبد بما يراه أهل

---

[١] القدرية: هم نفاة القدر، وكان أوائلهم أنكروا علم الله السابق، وأول من قال بالقدر معبد الجهني، ظهرت هذه الفرقة في آخر عهد الصحابة –رضي الله عنهم –، ولذا يلقبون أحياناً بالقدرية الأولى، وقد كان موقف الصحابة منهم شديداً، حيث تبرؤا منهم وانتشر القول بالقدر على يد المعتزلة، حتى عرفوا بالقدرية.

انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: ٣٧٧هـ)،(صـ١٧٦)،المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر.

[٢] الْخَطِيب البَغْدَادي(463 - 392)هـ = ١٠٠٢ - ١٠٧٢ م)أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في (غزية) - بصيغة التصغير - منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته ببغداد. ومن كتبه (البخلاء - ط) و (الكفاية في علم الرواية - ط).

انظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، لتَقِيُّ الدِّيْنِ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الأَزْهَرِ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ العِرَاقِيُّ، الصَّرِيْفِيْنِيُّ، الحَنْبَلِيُّ (المتوفى: ٦٤١هـ)،(صـ١١٢برقم٢٣٦)،المحقق: خالد حيدر، : دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، ١٤١٤هـ.

[٣] انظر: الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادى، (صـ ٩٤، ١١٤- ١١٥).

السنة «أن لا خالق إلّا الله، ولا يكون إلّا ما شاء الله، وأن الاستطاعة مع الفعل، وأكفروا الميمونية[١] الذين قالوا في باب القدر والاستطاعة بقول القدرية عن الحق»،

ونصّ الشهرستاني[٢] على هذا اللقب حين قال: «ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية».[٣] وهذا ما جعل جولدزيهر ونالينو يعتمدان علي تسمية المعتزلة بالقدرية!

غير أن المعتزلة رفضوا هذه التسمية وذهبوا إلى أنّ خصومهم أولى بها منهم لأنهم رأوا أن من يثبت القدر لله تعالى أحق أن ينسب إليه من نافيه أي أن التسمية أولى بأن تطلق على الذين قالوا بالقدر وخيره وشره من الله تعالى. بيد أن **ابن قتيبة**[٤]قال: إنّ المعتزلة لما رأوا أن الذي يثبت القدر لله تعالى أحق أن ينسب إليه من نافيه، فإنهم أثبتوا القدر لأنفسهم ونفوه عن الله عز وجل. فهم

---

[١] نسبة إلى ميمون بن عمران الذي قال بالقدر والاستطاعة قبل الفعل: انظر: التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)،(صـ٢٤٨)،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

[٢] سبق ترجمته، (صـ٤٥١).

[٣]الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٥٦/١).

[٤] ابن قُتَيْبَة(213 - 276)هـ = ٨٢٨ - ٨٨٩ م) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، أبو محمد: من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد. من كتبه " تأويل مختلف الحديث – ط " و " أدب الكاتب – ط " و " المعارف – ط ".

انظر: موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله، لمجموعة من المؤلفين (الدكتور محمد مهدي المسلمي - أشرف منصور عبد الرحمن - عصام عبد الهادي محمود - أحمد عبد الرزاق عيد - أيمن إبراهيم الزاملي - محمود محمد خليل)، (٣٧٨/٢برقم١٩٦٩).

أحق بأن يسموا قدرية.[١] وهذا مما يستشهد به جولدزيهر ونالينو في إلزام تسمية المعتزلة بالقدرية.[٢]

وثمة ما يدل على تنصل المعتزلة وأهل السنة كليهما من هذه التسمية **قال الإمام الباقلاني**[٣]: «فإن قالوا أي المعتزلة فأنتم تكثرون ذكر القدر والقول بأن كل شيء قضاء وقدر فيجب لزوم هذا الاسم لكم. قيل لهم: نحن محقون في هذا القول ولا يلزم المحق اسم الذم وأنتم تكثرون ذكر تقديركم لأفعالكم وتفرّدكم بملكها وخلقها وتكذبون وتقرون في هذه الدعوى فوجب لزوم الاسم لكم» ثم قال: «وجملة القول أن «قدريا» نسبة إلى القول بالباطل في القدر».[٤]

---

[١] انظر: تأويل مختلف الحديث، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، (صـ٨٢)، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل بيروت = مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى سنة١٣٩٣ هـ.

[٢] حاشية بحوث في المعتزلة وخلق القرآن،لكارلو ألفونسو نالينو،صـ ٤٣.

[٣] القاضي الباقِلَّانِي(403 – 338)هـ = ٩٥٠ – ١٠١٣ م)محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت اليه الرياسه في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. من كتبه (إعجاز القرآن – ط) و (الإنصاف – ط) و (مناقب الأئمة – خ) و (دقائق الكلام) .

انظر: معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)،(٢٧٨١/٤برقم٧٤٥٨).

[٤] انظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، (صـ٣٦٥)، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

الفصل الثانى

آراء المستشرقين حول ما نُسب إلي الجاحظ في خلق القرآن، ومحاولة المسلمين لإيجاد فلسفة شرقية.

وفيه مبحثين:

المبحث الأول:

موقف المستشرقين مما نُسب إلي الجاحظ في خلق القرآن.

المبحث الثاني:

موقف المستشرقين من محاولة المسلمين لإيجاد فلسفة شرقية.

المبحث الأول

موقف المستشرقين مما نُسب إلي الجاحظ في خلق القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن العلامة الجاحظ .

المطلب الثانى: نفي مانُسب إلى الجاحظ في خلق القرآن.

المطلب الثالث: تعريف القرآن الكريم .

المطلب الأول

نبذة مختصرة عن العلامة الجاحظ

اسمه ولقبه: [١]

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة.

مولده:

ولد في مدينة البصرة نشأ فقيرًا، وكان دميمًا قبيحًا جاحظ العينين عرف عنه خفة الروح وميله إلى الهزل والفكاهة، ومن ثم كانت كتاباته على اختلاف مواضيعها لا تخلو من الهزل والتهكم. طلب العلم في سن مبكّرة، فقرأ القرآن ومبادئ اللغة على شيوخ بلده، ولكن اليتم والفقر حال دون تفرغه لطلب العلم، فصار يبيع السمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين الورّاقين في الليل فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته. وكانت ولادة الجاحظ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين سنة ١٥٠ هـ وقيل ١٥٩ هـ وقيل ١٦٣ هـ.

شيوخه:

- في ميدان علوم اللغة والأدب والشِّعر والرِّواية: أبو عبيدة معمر بن المثنَّى والأصمعي وأبو زيد بن أوس الأنصاري ومحمد بن زياد بن الأعرابي وخلف الأحمر وأبو عمرو الشَّيباني وأبو الحسن الأخفش وعلي بن محمد المدائني وزيد بن كثوة التميمي.
- في علوم الفقه والحديث: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي ويزيد بن هارون والسري بن عبدويه والحجَّاج بن محمد بن حماد بن سلمه بالإضافة إلى ثمامة بن الأشرس الذي لازمه الجاحظ في بغداد.

---

[١] تاريخ بغداد وذيوله، لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،(١٢/٢٠٨-٢١٤برقم٦٦٦٩).

- في الاعتزال وعلم الكلام: أبو الهذيل العلاف والنظام وموسى بن عمران وضرار بن عمرو والكندي وبشر بن المعتمر الهلالي وثمامة بن أشرس النُّميري.

تلاميذه: أَبو بَكْر بْن أبي داود، مُحَمَّد بْن يزيد المبرد، وأبو العيناء، ويموت بن المزرع ابن أخته، وكان أحد الأذكياء.

مؤلفاته: له تصانيف كثيرة، منها: الحيوان – ط " أربعة مجلدات، و " البيان والتبيين – ط " و " سحر البيان – خ " و " التاج – ط " ويسمى أخلاق الملوك، و " البخلاء – ط " و " المحاسن والأضداد – ط " و " التبصر بالتجارة – ط " رسالة نشرت في مجلة المجمع العلمي العربيّ، و " مجموع رسائل – ط " اشتمل على أربع، هي: المعاد والمعاش، وكتمان السر وحفظ اللسان، والجد والهزل، والحسد والعداوة.

وله " ذم القوّاد – ط " رسالة صغيرة، و " تنبيه الملوك – خ " في ٤٤٠ ورقة، و " الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير – ط " و " فضائل الأتراك – ط " و " العرافة والفراسة – خ " و " الربيع والخريف – ط " و " الحنين إلى الأوطان – ط " رسالة. و " النبي والمتنبي " و " مسائل القرآن " و " العبر والاعتبار في النظر في معرفة الصانع وإبطال مقالة أهل الطبائع – خ " و " فضيلة المعتزلة " و " صياغة الكلام " و " الأصنام " و " كتاب المعلمين " و " الجواري " و " النساء " و " البلدان " و " جمهرة الملوك " و " الفرق في اللغة – خ " في تذكرة النوادر، و " البرصان والعرجان والعميان والحولان – ط " و " القول في البغال – ط " و " كتاب المغنين " و " الاستبداد والمشاورة في الحرب". ومن رسائله أيضاً: الرد على النصارى ، أخلاق الكتّاب، السكّان/السقيان وغيرهم.

وفاته:(255 هـ = ٨٦٩ م) وتوفي في البصرة في خلافة المهتدي بالله سنة ٢٥٥ هجرية، فعاصر بذلك ١٢ خليفة عباسيًا هم: المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي بالله، وعاش القرن الذي كانت فيه الثقافة العربية

في ذروة ازدهارها. ويتحدّث كتّاب السير عن وفاته في عام ٨٦٩م الموافق لسنة ٢٥٥ هـ وقد جاوز على التسعين سنة. وله مقالة في أصول الدين وإليه تنسب الجاحظية. وقد هدّه شلل أقعده وشيخوخة صالحة، عندما كان جالسا في مكتبته يطالع بعض الكتب المحببة إليه، فوقع عليه صف من الكتب أردته ميتاً، لقد مات الجاحظ مدفونا بالكتب والمجلدات، مخلفاً وراءه كتباً ومقالات وأفكاراً ما زالت خالدةً حتى الآن.

المطلب الثانى

نفي مانُسب إلى الجاحظ في خلق القرآن

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

يقول هنري كوربان[(١)]:" يجب أن نولي عناية خاصة للجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، وهو تلميذ النظام.. إن مذهب الجاحظ يبتعد في نقاط جوهرية عن مذهب المعتزلة الرسمي. ففيما يخص المسألة الكبرى، أي خلق القرآن، لم يكن الجاحظ يرى أن القرآن مخلوق بالمعنى الذي ذهب إليه الجمهور، بل كان يرى أن القرآن (جسم صوّته الله)؛ أي أنه طبيعة عرضية تتحول إلى جسم بصورة ما عند النطق بها. ومن هنا، فإن نسبة القول الشائع بخلق القرآن إليه (بمعناه البسيط) تُعد تسطيحاً لفكره، إذ إن نظريته في 'الطبائع' تجعل من القرآن كياناً لا يخضع لمقولة المخلوق والموجَد بالمعنى الزماني التقليدي." [(٢)]

---

(١) هنري كوربان HENRY CORBIN (١٩٠٣م – ١٩٧٨م) فرنسي يهتم بالفلسفة الاشراقية والتجربة الصوفية، من آثاره: ابن سينا والحكاية ذات الرؤيا، والتخيّل الخالق في تصوف ابن عربي. هذا وقد خلّف بعد وفاته تحقيقات ودراسات، يجري إعدادها للنشر. وقد كتب فصلاً في تاريخ الفلسفة الإسلامية ضمن «تاريخ الفلسفة» الذي صدر في مجموعة La pleiade (لدى الناشر جاليمار، باريس)، وهذا الفصل طبع أيضاً على حدة كتاباً قائماً برأسه في مجموعة «أفكار» Idees (لدى الناشر نفسه). وفي هذا الفصل . الكتاب بالغ مبالغة شديدة في إبراز نصيب الفكر الشيعي، وأجحف بالفكر السني إجحافاً غريباً. موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بديوي،(صـ٤٨٥).

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية، لهنري كوربان،(صـ١٩٣)، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، منشورات عويدات- بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦م

"ومن الجلي أنَّا هنا بإزاء نفس الرأى المنسوب إلى الجاحظ المعتزلى في نص ابن الروندى[١] الذى حفظه لنا الشهرستاني[٢]. وعلى ذلك فالمسألة هنا ليست مسألة فرض تحول القرآن تحولاً طبيعياً حقيقياً (كما قد يبدو من نص الإيجى المحرف، وكما ذهب إليه الباحثون الأوربيون) ولكنها مسألة إمكان تحوله نظرياً بوساطة الله، فحسب. ومن جهة أخرى فإن نص الأشعرى يجعلنا نفترض أن القول المنسوب إلى الجاحظ فى تحولات القرآن، والذي لا يوجد في أى مؤلف من مؤلفاته التي طبعت حتى الآن، ليس نظرية من نظرياته الكلامية، ولكنه إلزام استخلصه خصومه من مذهبه في أن القرآن مخلوق، وفي أن كلام الله إلى الناس مادى، وقصدهم من ذلك جدلى وخبثهم ظاهر. والواقع أن مصدر هذه الرواية ابن الروندى[٣] الفيلسوف الملحد الذي طردته المعتزلة فألف ضدهم كتابه الموسوم بهذا العنوان العنيف: (فضائح المعتزلة)". [٤]

٢- مضمون الشبهة:

- ادعاء أن ثمة نصوص أو أقوال من العلامة الجاحظ منسوبة إليه عبر ابن الراوندي تُفيد أن القرآن يمكن أن يتحول.
- تصغير منزلة القرآن، وتمهيد لاتهام المعتزلة بقول متطرف حول خلق القرآن.

---

(١) الرَّاوَنْدي(298 – 000)هـ = ٠٠٠ - ٩١٠ م) أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين الراونديّ، أو ابن الراونديّ: فيلسوف مجاهر بالإلحاد. من سكان بغداد. نسبته إلى (راوند) من قرى أصبهان. وتناقل مترجموه أن له نحو ١١٤ كتابا، منها (فضيحة المعتزلة) و (التاج) و (والزمرد) و (نعت الحكمة) و (قضيب الذهب).

انظر: تحفة اللبيب بمن تكلم فيهم الحافظ ابن حجر من الرواة في غير «التقريب، لأبى عمرو نور الدين بن علي بن عبد الله السدعي الوصابي،(٢/٢٥٤).

(٢) سبق ترجمته، (صـ٤٥١).

(٣) سبق ترجمته، (صـ٤٧٧).

(٤) بحوث في المعتزلة وخلق القرآن،لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ٥٩.

٣- هدف الشبهة:

- تشويه المعتزلة والعلامة الجاحظ وإسقاط حجية النص.
- إظهار وجود تيارات عقلية داخل التاريخ الإسلامي تُسهل تفسير القرآن كوثيقة تاريخية قابلة للتحول.
- ضرب مصداقية المعتزلة وبيان خطورتهم العقدية أمام الجماهير.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- أقوال ابن الراوندي وصلت إلينا عبر خصومه، فهل النص مرجعي أم تهجمي؟
- الانتقال من عبارة أو محاورة فرضية إلى ادعاء قَطعي عن مذهب كامل أمر منطقياً غير مبني.[1]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين ينقلون عن ابن الراوندي تشويه أقوال العلامة الجاحظ حول خلق القرآن.[2]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** الشبهة تُستخدم أحيانًا كحجة لاقتراح أن النص القرآني قد يكون مدوّناً أو أنه يخضع لقراءات تاريخانية.[1]

---

[1] انظر:الفهرست، لأبى الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)،(صـ٢١٦).

[2] انظر:التأويل في التفسير بين المعتزلة والسنة، لسعيد شنوقة،(صـ٨٩).

Sarah Stroumsa, Freethinkers of Medieval Islam: Ibn al-Rāwandī, Abū Bakr al-Rāzī and Their Impact on Islamic Thought (Leiden and New York: Brill, 1999), chapter 2, 34-72.

سارة سترومسا، الزنادقة في الإسلام الوسيط: ابن الراوندي، أبو بكر الرازي وتأثيرهما في الفكر الإسلامي. ليدن/نيويورك: دار بريل، ١٩٩٩. الفصل الثاني كاملاً، الصفحات ٣٤-٧٢.

- **في الوسط الإسلامي:** تُستغلّ كسلاحٍ لحشد الرأي ضد المعتزلة أو ضد من يُفهم منهم على أنهم نزّاعون في ثبات النص، وتؤدي إلى تحفّز دفاعي وقراءات عقدية تُثبت مسألة ثبات القرآن ونفي أي تفسير يوهم التحول.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ - نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الانتقال من نص موصوف بأنه نقلٌ في كتاب هجومي إلى إثبات مذهبٍ متكامل لدى العلامة الجاحظ أو المعتزلة لا يكفي وجود عبارة مفترضة ليثبت مذهبًا عقائدياً واسعًا.
- ابن الراوندي معروف بأن خصومه هم مصدر حفظ نصوصه، فثمة احتمال قوي أن تضاف أو تُحرف أقوال لتبدو أَفظع.[٣]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- لم يظهر في المطبوع من مؤلفات للعلامة الجاحظ نص صريح يقول بما يُفهم من تحول القرآن بهذا المعنى، لذلك الاعتماد على نسبةٍ متواترةٍ ضعيفةٍ غير كافية.

---

[١]

John Wansbrough, Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (Oxford: Oxford University Press, 1977), 68–69

جون ونسبروغ، الدراسات القرآنية: المصادر وطرائق تفسير النصّ المقدّس، أكسفورد: دار نشر جامعة أكسفورد، ١٩٧٧، ص ٦٨-٦٩.

[٢] انظر: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية،(١/١٢-١٤)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

[٣] انظر: التأويل في التفسير بين المعتزلة والسنة، لسعيد شنوقة،(صـ٨٩).

- كتابات ابن الراوندي الأصلية لم تبقَ كاملة، ما وصل منها أعيد بناؤه من اقتباسات وردت في مصادرٍ معادية، وهذا يؤثر على سلامة الاستدلال التاريخي من تلك المقاطع.[١]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين يؤكدون أن أقوال ابن الراوندى يجب قراءتها بحذر لأن نصوصه تُعرف عادةً من خلال نقض خصومه، وأن إعادة بناء موقفه يحتاج تدقيقًا نقديًا.[٢]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس يؤكد تثبيت نزاهة ووثوقية نص الوحي، ولا يوجد فيها فكرة أن الوحي يتحول:" لِلْعُشْبِ يَبِيدُ، وَالزَّهْرُ يَذْبُلُ، وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلَهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ" [٣]:" لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ الحَقَّ، حَتَّى تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ، لَن يَزُولَ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ" [٤]

٥- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:**

الذي يظهر لى أن هنري كوربان ونالينو دافعا عن العلامة الجاحظ ما نسُب إليه فيما يُسمي بتحولات القرآن الكريم.

---

[١] انظر:الفهرست، لأبى الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)،(صـ٢١٦).

[٢] Sarah Stroumsa, Freethinkers of Medieval Islam: Ibn al-Rāwandī, Abū Bakr al-Rāzī and Their Impact on Islamic Thought (Leiden and New York: Brill, 1999), chapter 2, 34–72.

سارة سترومسا، الزنادقة في الإسلام الوسيط: ابن الراوندي، أبو بكر الرازي وتأثيرهما في الفكر الإسلامي. ليدن/نيويورك: دار بريل، ١٩٩٩. الفصل الثاني كاملاً، الصفحات ٣٤–٧٢.

[٣] سفر أشيعاء، الإصحاح ٤٠ ، الآيه ٨

[٤] انجيل متى، الإصحاح ٥ ، الآيه ١٨

فقد لاحظ هنري كوربان وناللينو أن روايات **ابن الروندى**[(١)] مليئة بالتزوير فيما نُسب إلى المعتزلة عامة وإلى العلامة الجاحظ خاصة، فبين زيف هذا الإتهام المنسوب للعلامة الجاحظ من قبل ابن الروندى المعروف بإلحاده وما نقله من أقرناءه المستشرقين، وكتاب الانتصار يؤكد ذلك جيداً[(٢)]:

ومنه **ماذكره الخياط**[(٣)] في الرد على مايرويه **ابن الروندى**[(٤)] كذباً على المعتزلة ومنه ادعاوءه على العلامة الجاحظ من أنه يقول:" إنه محال أن يعدم الله الأجسام بعد وجودها، وإن كان هو الذي أوجدها بعد عدمها"، وهذا كذب على العلامة الجاحظ، وذلك أن قول الرجل إنما يُعرف بحكاية أصحابه عنه، أو بكتبه، فهل وجد هذا القول في كتاب من كتبه؟ فإن كُتب العلامة الجاحظ معروفة ومشهورة في أيدى الناس. أو هل حكاه أحد من أصحابه؟ فإذا كان الرجل ميتاً فكتبه وأصحابه تخبر بخلاف ماقرفه به الماجن الكذاب:فقد تبين كذبه وبهته وجهله".[(٥)]

---

(١) سبق ترجمته، (صـ٤٧٧).

(٢) الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد، لأبي الحسين عبدالرحيم محمد عثمان الخياط المعتزلى، تقديم وتحقيق دكتور نيبرج، الدار العربية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٢٥م.

(٣) الخياط المعتزلى(٨٣٥م-٩٣٣م)أبو الحسين عبد الرحيم بن محمَّد بن عثمان الخياط، شيخ المعتزلة البغداديِّين وهو من نظراء الجُبَّائي، صنَّف كتاب «الاستدلال»، ونقض كتاب ابن الراوندي في فضائح المعتزلة وغيرها،من مؤلفاته: «الإنتصار والرد على ابن الراوندي الملحد«.

انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،(٦/٩٩-١٠٠)،دار صادر بيروت، الطبعة الأولى سنة١٣٥٨ هـ

(٤) سبق ترجمته، (صـ٤٧٧).

(٥) الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد، لأبي الحسين عبدالرحيم محمد عثمان الخياط المعتزلى، تقديم وتحقيق دكتور نيبرج، (صـ٢٢).

المطلب الثالث

تعريف القرآن الكريم

أولاً: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً:

القرآن في اللغة: مصدر قرأ يقرأ قراءة أو قرآناً، ومعناه في اللغة: الجمع والضم قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)} القيامة: ١٨، أي جمعناه لك في صدرك فاتبع ذلك الذي جمع تلاوة وبلاغاً وعملاً".[١]

والقرآن في الاصطلاح: هو كلام الله عز وجل المعجِز بلفظه ومعناه، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس .[٢]

وهذا التعريف موافق لتعريف أهل السنة: بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن كلام الله صفة لله، قائمة بذاته، على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلماً، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو متكلم بحرف وصوت يُسمع.[٣]

---

[١] انظر: الجاسوس على القاموس، لأحمد فارس أفندي، صاحب الجوائب، (صـ١١)، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ١٢٩٩ هـ.

[٢] انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة(المتوفى: ١٤٠٣هـ)، (صـ٢١)، مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

[٣] انظر: خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، (صـ٩٦)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف– الرياض. وانظر: تدوين السنة النبوية نشأته

ثانياً: الفرق بين القرآن وبين الحديث والكتب الأولى:

فلا تُسمى الأحاديث النبوية[(١)] قرآناً لأن ألفاظها من الرسول وإن كان معناها وحياً، ولا تُسمى الكتب الأولى كالتوراة قرآناً لنزولها على غيره من الأنبياء، ولا يُسمى الحديث القدسي قرآناً لأنه ليس مما يتعبد بتلاوته. [(٢)]

ثالثاً: تسمية القرآن الكريم:

سبب تسمية القرآن بهذا الاسم يرجع إلى : جمعه ما تحتاج إليه الأمة في من عقائد وعبادات وأخلاق ونظم المعاملات....، قال تعالى﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[(٣)]، وقال﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ

وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، لأبى ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، (صـ١٨)، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

[(١)] والحديث النبوي: ما أضيف إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف. انظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، (صـ٦١)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان.

[(٢)] والحديث القدسي: هو ما رواه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه باللفظ والمعنى ونقل إلينا آحاداً أو متواتراً ولم يبلغ تواتر القرآن. انظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، (صـ٦٤).

والفرق بين الحديث القدس والنبوي: أن الحديث القدسي من كلام الله بلفظه ومعناه بخلاف الحديث النبوي فهو من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفظًا ومعنى، وأن الحديث القدسي أفضل من الحديث النبوي وذلك لفضل كلام الله على كلام المخلوقين. انظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، (صـ٦٦-٦٧)

[(٣)] سورة يوسف،الآية، ١١١

شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[١]، ولما فيه من الجمع بين السور والآيات".[٢]ولأن القارئ يظهره ويبينه ويلفظه من فيه، ولأنه يجمع السور فيضمها، وقيل سمي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض.[٣]

رابعاً: صفات القرآن الكريم:

ولكتاب الله المنزل على محمد – – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -- اسم واحد، علم عليه هو القرآن، وما عداه مما ظنه بعض المصنفين أسماء للقرآن لا يخرج عن دائرة الصفات مثل:

١-الفرقان: قال تعالى عن القرآن﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[٤] فهذا الوصف ورد لغيره من الكتب السماوية كقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٥]، كما وصفه بالفرقان يوم بدر قال تعالى﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ ﴾[٦] فالفرقان وصف يعتمد على المعنى للجذر اللغوي (فرق) لا تسمية خاصة بالقرآن ويتصل بهذا أيضا أن يوصف بأنه.

---

[١] سورة النحل،الآية، ٨٩

[٢] انظر: الإحكام في أصول الأحكام، لأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، (١٦٢/٤)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

[٣] انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل(المتوفى: ٥٤٤هـ)، (١٧٥/٢)، المكتبة العتيقة ودار التراث.

[٤] سورة الفرقان،الآية، ١

[٥] سورة الكهف،الآية، ٤٩

[٦] سورة الأنفال، الآية، ٤١

٢-الذكر: لقوله تعالى﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨ ﴾ [(١)]

٣-الصحف: يقول في كتابه عن القرآن﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ ﴾ [(٢)]، وقد قال على كتب سماوية سابقة﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ [(٣)]

٤-هدى، وشفاء، ورحمة، وموعظة: بناء على قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ ﴾ [(٤)]

٥-التنزيل: لقوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ ﴾ [(٥)]

٦-المثاني: لقوله تعالى﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [(٦)]

إلى آخر هذه الصفات التي ظنوها أسماء، ويكفي أن نحيل لاختبارها على كتاب الزركشي (البرهان في علوم القرآن) الجزء الأول (ص ٢٧٣) لتجد بابا تحت عنوان النوع الخامس عشر: معرفة أسمائه واشتقاقاتها، وقد جمع فيه أكثر من تسعين اسما أو وصفا للقرآن.[(٧)]

[(١)] سورة ال عمران الآية، ٥٨

[(٢)] سورة عبس الآية، ١٢-١٣

[(٣)] سورة الأعلى الآية، ١٨-١٩

[(٤)] سورة يونس الآية، ٥٧

[(٥)] سورة الشعراء الآية، ١٩٢

[(٦)] سورة الزمر الآية، ٢٣

[(٧)] نقلاً من كتاب: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم (شرح واف لمتني الجزرية وتحفة الأطفال)،(صـ٢١٢)، لأحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

خامساً: خصائص القرآن الكريم:

يذكر الباحث بعضاً من خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى مما لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملًا، وهي[(١)]:

١- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس لا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شرع فيه. قال تعالى﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾[(٢)]. وقال تعالى مخبرًا على لسان نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[(٣)]. وقال تعالى إخبارًا عن الجن﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾[(٤)].

٢-اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء به، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حرم فيه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥ ﴾[(٥)].وقال تعالى﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥ ﴾.[(٦)]

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية،(صـ١٤٤-١٤٩)، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ

(٢) سورة الفرقان،الآية، ١

(٣) سورة الأنعام،الآية، ١٩

(٤) سورة الجن،الآية، ١-٢

(٥) سورة ال عمران،الآية، ٨٥

(٦) سورة النساء،الآية، ١٠٥

٣–سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها، بخلاف الشرائع في الكتب السابقة. فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال التي فرضت على أصحابها. قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.[(١)]

٤–أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي. قال تعالى﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.[(٢)] وقال تعالى﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾.[(٣)]وقال عز وجل مبينًا تكفله بتفسيره وتوضيحه على ما أراده وشرعه ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾.[(٤)]

قال الإمام ابن كثير[(٥)] في تفسير الآية الأخيرة: " أي بَعْدَ حِفْظِهِ وَتِلَاوَتِهِ نُبَيِّنُهُ لَكَ وَنُوَضِّحُهُ، وَنُلْهِمُكَ مَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَدْنَا وَشَرَعْنَا ".[(٦)]

٥–أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب المنزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) سورة الأعراف،الآية، ١٥٧

(٢) سورة الحجر ،الآية، ٩

(٣) سورة فصلت،الآية، ٤٢

(٤) سورة القيامة،الآية، ١٦–١٩

(٥) سبق ترجمته، (صـ٥٠).

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/٢٧٨).

- وأتباعه إلى قيام الساعة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ».[١]ومن صور إعجاز القرآن حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته وقد وقع التحدي للإنس والجن على أن يأتوابمثله أو ببعضه على مراتب ثلاث: فقد تحداهم الله على أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا. قال تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢]وقال عز وجل مقررًا عجزهم عن ذلك ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾.[٣] ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما قدروا. قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[٤] ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه فما استطاعوا. قال تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[٥] فثبت بهذا إعجاز القرآن على أبلغ وآكده، لما عجز الخلق عن معارضته بأدنى مراتب التحدي، وهو الإتيان بسورة من مثله، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات.

---

[١] صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ ، بَابٌ: كَيْفَ نَزَلَ الوَحْيُ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ، (١٨٢/٦برقم٤٩٨١).

[٢] سورة الطور،الآية، ٣٣-٣٤

[٣] سورة الإسراء،الآية، ٨٨

[٤] سورة هود،الآية، ١٣

[٥] سورة يونس،الآية، ٣٨

٦-أن الله تعالى بين في القرآن كل شيء مما يحتاج له الناس في أمر دينهم، ودنياهم، ومعاشهم، ومعادهم. قال تعالى﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.[١] وقال تعالى﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٢]

٧-أن الله تعالى يسر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه. قال تعالى﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾.[٣]وقال تعالى﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٤]قال **مجاهد**[٥] في تفسير الآية الأولى: يعني" هونًا قراءته ".[٦] و**قال السدي**[٧]: يسرنا تلاوته على الألسن. **وقال ابن عباس**[١]: " لولا أن الله يسره على لسان

---

[١] سورة النحل،الآية، ٨٩

[٢] سورة الأنعام،الآية، ٣٨

[٣] سورة القمر ،الآية، ١٧

[٤] سورة ص،الآية، ٢٩

[٥] مجاهد بن جبر (٢١-١٠٤هـ، ٦٤٢-٧٢٢م)مجاهد بن جبر أبو الحجاج، المكي، المخزومي. شيخ القراء والمفسرين. إمام، ثقة، فقيه، عالم، كثير الحديث، برع في التفسير وقراءة القرآن والحديث. روى عن ابن عباس فأكثر، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه.

. انظر: التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، (٤١١/٧برقم١٨٠٥)،الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

[٦] تفسير مجاهد، لأبى الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، (صـ٦٣٤)،المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

[٧] السُّدِّيُّ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي كَرِيْمَةَ، الإِمَامُ، المُفَسِّرُ، أَبُو مُحَمَّدٍ الحِجَازِيُّ، ثُمَّ الكُوْفِيُّ، الأَعْوَرُ، السُّدِّيُّ، أَحَدُ مَوَالِي قُرَيْشٍ. حَدَّثَ عَنْ: أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ قال الشيخ: والسدي له أحاديث يرويها عن عدة شيوخ له، وَهو عندي مستقيم الحديث صدوق لا بأس به. توفي في عام ١٢٨ هـ.

الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله ".[٢] وقد ذكر الطبري[٣] وغيره من أئمة التفسير أن تيسير القرآن يشمل تيسير اللفظ للتلاوة وتيسير المعاني للتفكر والتدبر والاتعاظ [٤] وهو كذلك كما هو ملاحظ ومشاهد.

٨-أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل. قال تعالى﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [٥]وقال تعالى﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [٦]

انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)،(٣/١٣٢برقم٤٦٢) المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

[١] عبد الله بن عَبَّاس بن عبد الْمطلب بن هَاشم بن عبد منَاف أَبُو الْعَبَّاس الْهَاشِمِي الْمَكِّيّ سمع النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوَى عَن عمر بن الْخطاب وَأبي طَلْحَة وغيرهم، قَالَ يَحْيَى بن بكير مَاتَ ابْن عَبَّاس بِالطَّائِف سنة ثَمَان وَسِتِّينَ وسنه إِحْدَى أَو اثْنَان وَسبعين سنة.

انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، (٣/٣٣١برقم٥١).

[٢] تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٧/٤٧٨).

[٣] سبق ترجمته، (صـ١٨٥).

[٤] انظر: تفسير الطبري لأبي جعفر الطبري، (١/٧٦).

[٥] سورة المائدة،الآية، ٤٨

[٦] سورة الشوري،الآية، ١٣

٩-أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله. قال تعالى﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1] وقال تعالى﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾.[2]وقال تعالى﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾.[3]

١٠- أن القرآن الكريم هو آخر كتب الله نزولا وخاتمها والشاهد عليها. قال تعالى﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَۗ ﴾.[4] وقال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ ﴾[5]

سادساً: القرآن كلام الله عز وجل:

والأدلة على أن القرآن كلام الله ثابتة في الكتاب والسنة والعقل: [6]

- **أدلة الكتاب على أن القرآن كلام الله عز وجل: وأذكر منه ثلاث آيات:**

الآية الأولى: فيها إثبات أن القرآن كلام الله جل وعلا، وأن الله هو المتكلم، قال الله تعالى﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾.[1]جاء بعض المعتزلة أهل البدعة والضلالة إلى أحد القراء

---

[1] سورة هود،الآية، ١٢٠

[2] سورة هود،الآية، ١٠٠

[3] سورة طه،الآية، ٩٩

[4] سورة ال عمران،الآية، ٣-٤

[5] سورة المائدة،الآية، ٤٨

[6] انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، لمحمد حسن عبد الغفار، (٦-٩/٤)، وقفية الأمين غازى للفكر القرآنى، ٢٠١٩م.

السبعة فقال: أريدك أن تقرأ هذه الآية: (وكلم اللهَ) بفتح لفظ الجلالة لا بالرفع، ليكون لفظ (الله) مفعولاً به، فقال: إن فعلت فماذا تفعل بقول الله تعالى﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾.[٢]، فبهت المعتزلي.

الآية الثانية: قال الله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾.[٣] جل وعلا. وقال عن الكفار أيضاً﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾.[٤]

إذاً: أهل الكفر لا يكلمهم الله، فمفهوم المخالفة: أن أهل الإيمان لا يستوون مع أهل الكفر فلا يكلمهم الله. فالفارق بين أهل السنة والجماعة: أن الله يشرف أهل السنة والجماعة وأهل الإيمان بالكلام منه جل وعلا.

الآية الثالثة: قال الله تعالى﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦ ﴾.[٥] كلام الله إضافة صفة إلى موصوف، الشاهد من هذا: أن القرآن كلام الله، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [٦]إضافة الصفة إلى الموصوف.

- **أدلة السنة على أن القرآن كلام الله عز وجل:**

---

[١] سورة النساء،الآية، ١٦٤

[٢] سورة الأعراف،الآية، ١٤٣

[٣] سورة ال عمران،الآية، ٧٧

[٤] سورة المؤمنون،الآية، ١٠٨

[٥] سورة التوبة،الآية، ٦

[٦] سورة التوبة،الآية، ٦

والأحاديث النبوية كثيرة في أن الله جل وعلا يتكلم، وأن القرآن كلام الله عز وجل، وأذكر منها ثلاثة أحاديث:

الحديث الأول: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الحَقُّ وَنَادَوْا»: {مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ} [سبأ: ٢٣] وَيُذْكَرُ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: " يَحْشُرُ اللَّهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ".[١]

الحديث الثانى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ ".[٢]الشاهد: أن الله ناداه، والنداء معناه الكلام، ونثبت بعد ذلك أنه بصوت الحق.

الحديث الثالث: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، يَقُولُ: " إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ ".[٣] فكلمات الله هى القرآن وهو كلام الله، والنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قد استعاذ بصفة من صفاته سبحانه، وكلمات المضافة إليه سبحانه صفة مضافة إلى الموصوف.

---

[١] صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ} [سبأ: ٢٣]،" وَلَمْ يَقُلْ: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ "، (١٤١/٩برقم٧٤٨٠).

[٢] صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ ، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، وَنِدَاءِ اللَّهِ المَلاَئِكَةَ، (١٤٢/٩برقم٧٤٨٥).

[٣] صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابٌ فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ، (٢٠٨١/٤برقم٢٧٠٨).

- **أدلة العقل على أن القرآن كلام الله عز وجل:** [(١)]

والأدلة العقلية كثيرة في أن الله جل وعلا يتكلم، وأن القرآن كلام الله عز وجل، وأذكر منها ثلاثة أدلة:

الدليل الأول: فالأخرس أو الساكت لا يتكلم لا بخير ولا بشر، فليس بأكمل من المتكلم، إذاً المتكلم كامل الصفات فإذا قلت: إن له صفات هل له صفات النقص أم صفات الكمال؟ فإذا قلنا بالعقل: إن الله جل وعلا له الكمال والجلال المطلق وصفات الكمال، فمن صفات الكمال أن يكون متكلماً، لأنه إذا لم يقدر على الكلام فإن هذا نقص، ألم تروا أن الله جل وعلا أنكر على بني إسرائيل أنهم عبدوا العجل، والعجل لا يتكلم ولا يرجع إليهم قولاً، قال الله تعالى﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.[(٢)] وقال﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾.[(٣)] إذاً الله جل وعلا بين لهم أنه إذا لم يتكلم فهو ناقص، والله جل وعلا له الكمال المطلق والقدرة على الكلام.

الدليل الثانى: قال الله تعالى﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾.[(٤)] فجعل القول قول الرسول الكريم وهو جبريل، وفي الآية الأخرى جعله من قول النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فالله جل وعلا نسب القول له على أنه مبلغ عن الله جل وعلا، لأنه هو الذي يبلغ عمن أرسله، فهو رسول والصفة هذه هي التي تحل الإشكال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾.[(٥)] ونسبته إلى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وليس النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هو القائل بل هو

---

(١) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لمحمد حسن عبد الغفار، (٤/٨–٩)،مؤسسة خزائن الرحمن،٢٠٢١م.

(٢) سورة الأعراف،الآية، ١٤٨

(٣) سورة طه،الآية، ٨٩

(٤) سورة التكوير،الآية، ١٩–٢٠

(٥) سورة التكوير،الآية، ١٩

الناقل عن الله جل وعلا﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾.[1]أى نزل به بعدما سمع من الله جل وعلا وحفظه فنزل به.

الدليل الثالث: ماذا تقول في قول الله جل وعلا ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾.[2] والله لا يتوفى ولكنه أمر ملك الموت، كما تقول: بنى عمرو بن العاص الفسطاط [3]في القاهرة في مصر، فهل عمرو بن العاص هو الذي بناه بيديه؟ لا. بل بأمر منه ولذلك نسب إليه.

- **أدلة الإجماع على أن القرآن كلام الله عز وجل:**

وإجماع سلف الأمة أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود:

فالقرآن كلام الله غير مخلوق: لأن الكلام غير الخلق فالكلام صفة لا تقوم بذاتها، أما المخلوق فيقوم بذاته، فالمضاف إلى الله نوعان:

النوع الأول: إضافة صفة إلى موصوف، وهو ما لا يقوم بذاته، وهذا غير مخلوق كالكلام وكالرحمة وكالنعمة وكالكرم، فهل نعمة الله تقوم بذاتها وتراها تمشي وتسير وتأمر وتنهى؟ لا.

النوع الثاني: مضاف إلى الله يقوم بذاته فهذا مخلوق، مثل عيسى روح الله، فعيسى عليه السلام رآه الناس أمامهم يدعوهم إلى الله جل وعلا، وهو قائم بذاته، والأوضح من ذلك: الكعبة بيت الله،

---

(1) سورة الشعراء،الآية، ١٩٣

(2) سورة الزمر،الآية، ٤٢

(3) الفسطاط هي شياخة من شياخات حي مصر القديمة الواقعة في جنوب محافظة القاهرة، وكانت أول عاصمة لمصر تحت الحكم الإسلامي. بناه القائد المسلم عمرو بن العاص مباشرة بعد الفتح الإسلامي لمصر عام ٦٤١ م، وكان يضم جامع عمرو بن العاص، وهو أول مسجد بني في مصر.

انظر: التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي،(صـ١٦٤)، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

فهذا إضافة شيء قائم بذاته منفصل عن الله جل وعلا، من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، أما الشيء المعنوي الذي لا يقوم بذاته فهو غير مخلوق، لأنه إضافة صفة إلى موصوف.

وقال الله تعالى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾.[1]وواو العطف –في الأصل– للمغايرة، فيكون الخلق غير الأمر، والأمر هو الكلام، والخلق هو أثر الفعل المترتب عليه، يقول الله جل وعلا: {كُنْ فَيَكُونُ}.[2] المكون هذا هو المخلوق، وأثر كلمة (كن) غير مخلوق.

(منه بدأ): أي: الله جل وعلا هو الذي ابتدأ الكلام، وهذه صفة أزلية أبدية قديمة.

(وإليه يعود): أي: هذه إشارة إلى علامات الساعة، وأن الله جل وعلا يوم القيامة يقبض القرآن من الصدور ومن السطور يقبضه من الصدور بقبض الحفظة، ومن السطور من المصاحف، فلا يبقى على وجه الأرض مصحف فيه ذكر الله جل وعلا، بل لا يبقى واحد يقول: الله الله، ولن تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، وتهدم أيضاً الكعبة، نسأل الله العفو والعافية.

ختاماً: يتضح مما سبق حول بيان أن القرآن الكريم ماهو إلا كلام الله عز وجل وليس بمخلوق، وقال الإمام النووي[3]: وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأن كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيلُهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ. [4]وقال الحافظ ابن

---

[1] سورة الأعراف،الآية، ٥٤

[2] سورة البقرة،الآية، ١١٧

[3]سبق ترجمته، (صـ٧٤).

[4] انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري(المتوفى: ٨٠٤هـ)، (٣/٢٤٣)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

حجر العسقلاني[١]: والمحفوظ عن جمهور السلف ترك الخوض في ذلك والتعمق فيه، والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله، وأنه غير مخلوق، ثم السكوت عما وراء ذلك.[٢]

---

[١]سبق ترجمته، (صـ ١٣٦).

[٢]فتح الباري، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني(المتوفى : ٨٥٢هـ)، (٤٥٥/١٣).

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من محاولة المسلمين لإيجاد فلسفة شرقية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

نبذة مختصرة عن ابن الطفيل

المطلب الثانى:

موقف المستشرقين من محاولة المسلمين لإيجاد فلسفة شرقية.

المطلب الثالث:

التوفيق بين الفلسفة والدين.

المطلب الأول

نبذة مختصرة عن ابن الطفيل

ترجمة ابن الطفيل:[1]

الاسم واللقلب:

أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي (٤٩٤ – ٥٨١ هـ = ١١٠٠ – ١١٨٥ م)، المعروف بِابْنِ طُفَيْل، فيلسوف وعالم وطبيب عربي مسلم ورجل دولة وهو من أشهر المفكرين العرب الذين خلفوا آثاراً خالدة في عدة ميادين منها: الفلسفة والأدب والرياضيات والفلك والطب، وكان من وزراء دولة الموحدين[2] في وقت عظمتهم.

---

[1] انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: ٧٧٦هـ)،(٢/٣٣٤)،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

[2] الدَّوْلَةُ الْمُوَحِّدِيَّةُ دولة إسلامية أسسها الموحدون وهم من قبيلة مصمودة المغربية وذلك خلالة القرن الثاني عشر. حكمت بلاد المغرب (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا) والأندلس بين سنتي ١١٢١م و١٢٦٩م، وقد أسسها محمد بن تومرت المصمودي على شكل حركة دينية قبل أن يتمكن تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي (١١٣٠م / ١١٣٣م – ١١٦٣م)

انظر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،(١/٢١٢)،تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.وانظر:حاشية تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨ هـ)،(٢/١٧).

مولده: ولد بمدينة وادي آش[١]، وتلقّى تعليمه من قبل ابن باجة[٢]. شغل منصب معاون حاكم غرناطة[٣].، وبعد ذلك عمل كوزير وطبيب لأبي يعقوب، الخليفة الموحد، الذي أوصى به ابن رشد كخلف له في المستقبل في عام ١١٦٩. قام ابن رشد في وقت لاحق بالإبلاغ عن هذا الحدث ووصف كيف قام ابن طفيل بإلهامه، ومن ثم كتب تعليقاته الأرسطية الشهيرة: استدعاني أبو بكر بن طفيل يوماً وأخبرني أنه سمع قائد المؤمنين يشكو من خلل وضع في التعبير –أو ما يبدر عن المترجمين– وما ينتج عنه من غموض في النوايا/الأهداف. قال أنه إذا أخذ شخص ما هذه الكتب فسيمكنه تلخيصها وتوضيح أهدافها بعد أن يفهمها جيداً أولاً، مما سيسهل عمليه فهمها من قبل الناس. قال لي ابن طفيل: «إذا كان لديك الطاقة، فافعل ذلك بنفسك. أنا واثق من قدرتك على ذلك لأنني أعرف التفكير الجيد الذي تملكه وإخلاصك وتفانيك في هذا المجال. أنت تدرك

---

[١] مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شلير، وهو في شرقيها، وهي على ضفته، ولها عليه أرحاء لاصقة بسورها، وهي كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون، والقطن بها كثير.

انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)،(صـ٦٠٤)،المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠ م.

[٢] هو محمد بن يحيي بن الصائغ بن باجة أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي المالكي الحكيم الفيلسوف الطبيب الموسيقي الرياضي الأديب المعروف بابن باجة المتوفي ٥٣٣/ ١١٣٨.انظر: معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، لعلي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط،(٥/٣٢٨٥برقم٨٦١٢)

[٣]كانت غرناطة تدعى إلبيرا حتى منتصف القرن الثامن الميلادي. تسمية غرناطة تأتي من أيام الحكم الإسلامي الإسلامي للأندلس بعد أن فتحها المسلمون الأمويون عام ٧١١ ميلادي وأسسوا قلعة غرناطة. من أهم معالم المدينة قصر الحمراء.انظر: معجم البلدان،لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)،(١٩٥/٤).

أن عمري الكبير –ومهاراتي المكتبية والتزامي بمهمة أخرى أعتقد أنها أكثر حيوية– يمنعونني من القيام بذلك بنفسي.»

دراسته: درس الفلسفة والطب في غرناطة. أعظم فلاسفة الأندلس ورياضيها وأطبائها. تولى منصب الوزارة ومنصب الطبيب الخاص للسلطان أبي يعقوب يوسف أمير الموحدين، وكانت له حظوة عظيمة عنده. كان معاصرا لابن رشد وصديقا له. لم يصل إلينا من كتبه سوى قصة حي بن يقظان أو (أسرار الحكمة الإشراقية) [١] وقد ترجم إلى عدة لغات أجنبية وهي قصة تشتمل على فلسفة ابن طفيل وقد ضمنها آراءه ونظرياته، وتدور القصة حول «حي بن يقظان» الذي نشأ في جزيرة من جزر الهند تحت خط الاستواء، منعزلا عن الناس، في حضن ظبية قامت على تربيته وتأمين الغذاء له من لبنها وما زال معها، وقد تدرج في المشي وأخذ يحكي أصوات الظباء ويقلد أصوات الطيور ويهتدي إلى مثل أفعال الحيوانات بتقليد غرائزها، ويقايس بينها وبينه حتى

---

[١] الحقيقة أن ابن طفيل تناول عالم ما وراء الطبيعة بهدف الكشف والوصول إلى "الحكمة المشرقية" التي ذكرها ابن سينا، باعتباره أن الحكمة المشرقية هي قمة المعرفة الإنسانية. والإشراق في مفهوم الحكماء هو ظهور الأنوار العقلية وفيضانها على النفس الكاملة عند التَّجرد عن المواد الجسمية والمحسوسة. والإشراقيون مجموعة من الفلاسفة الفارسيين وقدماء اليونان يترأسهم أفلاطون، وقد تطورت ظاهرة الإشراق في اوساط الفلاسفة المسلمين. لا ينكر الإشراقيون مصادر المعرفة الأخرى كالحس، العقل، والوحيّ الذي جاء به الأنبياء. وتعتمد الفلسفة الإشراقية على الذوق والحدس. ويذكر ابن طفيل أسباب كتابة هذه القصة، وهي أسباب تعليمية بهدف الإجابة على سؤال صديقه عن الحكمة المشرقية التي ذكرها ابن سينا، لذلك فينصحه قائلا: "فاعلم أن من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه، فعليه بطلبه والجد في اقتنائه" وهذا ما قام به بطل قصته (حيّ) حيّن بذل جهده ليصل إلى الحقيقة. وتعكس قصة حيّ بن يقظان مراحل وسير المعرفة الإنسانية، بواسطة استخدام فن القصة واسْتحضار عالم الخيال والرَّمز لعرض الأفكار الفلسفية في قالب فن، وهذا الأسلوب الفني استعمل من قبل فلاسفة سابقين للتعبير عن أفكارهم الفلسفية، على سبيل الذكر استعمال أفلاطون للترهات الإغريقية وللأساطير إطارًا لعرض أفكاره الفلسفية.

انظر: حى بن يقظان، لابن سينا وابن الطفيل والسهرودى،(صـ١٦٤ ومابعدها)، تحقيق وتعليق، أحمد أمين، أقلام عربية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ٢٠١٩م.

كبر وترعرع واستطاع بالملاحظة والفكر والتأمل أن يحصل على غرائزه الإنسانية وأن يكشف مذهبا فلسفيا يوضح به سائر حقائق الطبيعة.

الأساس الفلسفي لهذه القصة هو الطريق الذي كان عليه فلاسفة المسلمين الذين نهجوا على مذهب الأفلاطونية الحديثة وقد صور ابن طفيل الإنسان، الذي هو رمز العقل، في صورة حي بن يقظان وقد رمى ابن طفيل من ورائها إلى بيان الاتفاق بين الدين والفلسفة وهو موضوع شغل أذهان فلاسفة الإسلام. لقد كانت لابن طفيل آراء مبتكرة في علم الفلك. وقد ذكر البطروجي (ت: ٥٨١هـ) أنه أخذ عن ابن طفيل قوله في الدوائر الداخلية في حركات الأفلاك.

من أساتذته: أبي محمد الرّشاطي، وعبد الحق بن عطية وغيرهما.

من تلامذته: ابن رشد، و البطروجي وغيرهما.

مؤلفاته:

١-أرجوزة في الطب.[١]

٢-رسالة في الحكمة والنجوم.[٢]

٣-قصيدة لابن الطفيل – في الأدب.[٣]

٤-حي بن يقظان – في أسرار الحكمة المشرقية.[٤]

---

[١] نشرت في جامعة القرويين بفاس ٣١٥٨، ٧٧٠٠ بيتا تقريبًا.

[٢] نشرت في بانكبور خدابخش ٥٢٦٤٨/ ٥ ورقة ٢١، ١١٠٠ هـ؛

[٣] نشرت في مدريد ١٩٥٣؛

[٤] نشرت في آياصوفيا ٢٣٨٣؛ ٤٨٠٧ خزينه رقم ٣٣٠ ورقة ٦٤؛ جار اللَّه أفندي ١٢٧٥ ورقة ٧٥ – ٩٠، ٨٨٢ هـ؛ آستان قدس رضوي ٥٩٠٦، ١٢٤١ هـ؛ طبع في أوروبا ١٦٧١ وفي London 1751 ؛ وفي الجزائر ١٣١٨/ ١٩٠٠ وفي القاهرة ١٢٩٩، ١٣٢٧ وفي دمشق ١٣٥٤ وفي تونس ١٩٧٧ وفي بيروت ١٩٨٠ وفي

وفاته: توفي ابن طفيل في مراكش عن ٨٧ عاما.

الجزائر ١٩٠٠، ١٩٣٦ وفي القاهرة ١٩٥٢ وفي بيروت ١٤٠٠/ ١٩٨٠، ١٩٨٦ وفي أستانبول ١٣٤٠؛ إستخلصها ابن الطفيل من ألفاظ الرئيس ابن سينا.

المطلب الثانى

موقف المستشرقين من محاولة المسلمين لإيجاد فلسفة شرقية

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن الفكر الإسلامي في جوهره كان ينزع دائماً نحو إيجاد «فلسفة شرقية» لا تكتفي بالتحليل العقلاني البارد الذي ورثته عن اليونان، بل تمزج بين المعرفة والشهود. إن هذه الفلسفة الشرقية هي محاولة لربط «الكلمة» بالتجربة الحية، وهي التي تجعل من المفهوم الديني واقعاً روحياً يتجاوز حدود المنطق الصوري. إن عبقرية الشرق تكمن في هذا البحث الدؤوب عن فكر لا يفصل بين العقل والإيمان، وهو ما يظهر بجلاء في محاولات الفلاسفة الإشراقيين الذين أرادوا بناء صرح معرفي يخص العالم الإسلامي وحده." (١)

" بقى علينا أن نوضح نقطة واحدة..وقصة ابن طفيل – كما هو معروف – تريد أن تبين كيف يستطيع إنسان انعزل عن كل جماعة إنسانية وظل دائماً محروماً من تعليم الآخرين، أن يرتقى بعقله هو إلى معرفة حقائق الدين الجوهرية بالتدريج، وأن يبلغ في النهاية حالة الاتحاد الصوفى شبه الدائم بالله". (٢)

---

(١) قوس (مختارات من آثار ماسينيون)، للويس ماسينيون،(صـ١٥٨)، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، دار الإنسانية القاهرة، ١٩٩٤م

(٢) بحوث في المعتزلة وخلق القرآن،لكارلو ألفونسو نالينو ،صـ١٠٧.

٢- مضمون الشبهة:

- الشبهة تطرح فكرة الاكتفاء بالعقل الفردي المستقل للوصول إلى المعرفة الدينية الجوهرية، بعيداً عن التعليم التقليدي أو الجماعي، وأن هذا يمكن أن يؤدي إلى تجربة صوفية شبه دائمة مع الله.

٣- هدف الشبهة:

- التقليل من أهمية التعليم الجماعي والديني في الإسلام.
- إبراز دور التجربة الفردية والعقل المستقل كطريقة للوصول إلى الحقائق الدينية.
- محاولة إظهار الصوفية الإسلامية بطريقة فلسفية عقلية بعيداً عن النصوص الشرعية.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- هل العقل البشري بمفرده قادر على الوصول إلى حقائق الدين الجوهرية دون وحي أو تعليم؟
- هل تجربة الانعزال الفردي كافية للوصول إلى معرفة صحيحة؟
- إمكانية خلط التجربة الصوفية الفردية مع الحقائق العقدية. [١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين جعلوا من قصة ابن الطفيل دليلاً على انعزال العقل بعيداً عن الدين. [٢]

---

[١] انظر: دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، للدكتور صالح الرقب - والدكتور محمود الشوبكي، (صـ٢١٣)، قسم العقيدة- كلية أصول الدين . الجامعة الإسلامية- غزة، الطبعة : الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

[٢] Ernest Renan, Histoire des langues sémitiques (Paris: Hachette, 1878), 210–215.

إرنست رينان، تاريخ اللغات السامية، باريس: هاشيت، ١٨٧٨، ص ٢١٠-٢١٥.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تُستخدم الشبهة في تفسير حي بن يقظان والفلسفة الإسلامية على أنها تعتمد على العقل الفردي المعزول عن الدين والنصوص الشرعية.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** تُستخدم أحيانًا هذه القصة لبيان قيمة العقل والاستدلال العقلي في الفكر الإسلامي، لكن قد يسيء البعض فهمها على أنها تقلل من أهمية التعاليم الشرعية.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- العقل وحده لا يمكنه تحديد كل الحقائق العقدية بدون مرشد أو وحي، لأن العقل البشري محدود.
- الانعزال الكامل عن المجتمع لا يضمن الوصول إلى معرفة صحيحة، فالتجربة الفردية قد تؤدي إلى الانحراف أو التأويل الشخصي.[٣]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- القصة رمزية وفلسفية وليست تقريرًا تاريخيًا عن حياة فعلية.

---

[١]

Nalino, Luciano. La conoscenza del divino nell'Islam classico: Ibn Tufayl e la filosofia araba. Milano: Jaca Book, 1995, 45–60

نالينو، لوتشيانو. معرفة الإله في الإسلام الكلاسيكي: ابن طفيل والفلسفة العربية. ميلانو: جاكا بوك، ١٩٩٥، ص ٤٥-٦٠.

[٢] انظر: حي بن يقظان، محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر (المتوفى: ٥٨١هـ)،(صـ١٤)، دار المعارف، الطبعة: الثالثة، ١٩٥٢م.

[٣] انظر: دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، للدكتور صالح الرقب – والدكتور محمود الشوبكي، (صـ٢١٣).

- في التراث الإسلامي التعلم الجماعي والاعتماد على العلماء كان الأساس لنقل المعرفة الدينية الصحيحة. [١]
- ابن طفيل نفسه لم يزعم أن العقل المنعزل يصل إلى الكمال المطلق، بل ركز على مرحلة النمو العقلي الفردي والاتصال بالله ضمن إطار فلسفي. [٢]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يفسرون القصة كتمثيل فلسفي لتطور العقل الفردي، وليس كدعوى واقعية بأن العقل البشري وحده كافٍ. [٣]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يؤكد أن المعرفة الدينية الأساسية لا تعتمد على التجربة الفردية فقط، بل على الوحي والتعليم:" لِأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلَا طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ..لِأَنَّهُ كَمَا تَعْلُو السَّمَاوَاتُ عَنِ الْأَرْضِ، هكَذَا تَعْلُو طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ، وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" [٤]

---

[١] انظر: المنقذ من الضلال ، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(صـ٣١)،تحقيق: محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية – بيروت.

[٢] انظر: حي بن يقظان، محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر (المتوفى: ٥٨١هـ)،(صـ٩٢).

[٣] Stroumsa, Sarah. Freethinkers of Medieval Islam: Ibn al-Rāwandī, Abū Bakr al-Rāzī and Their Impact on Islamic Thought. Leiden/New York: Brill, 1999, 59-62.

سترومسا، سارة. الزنادقة في الإسلام الوسيط: ابن الراوندي والرازي وأثرهما في الفكر الإسلامي. ليدن/نيويورك: بريل، ١٩٩٩، ص ٥٩-٦٢.

[٤] سفر أشيعاء، الإصحاح ٥٥ ، الآيه ٨-٩

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

تحدث لويس ماسينيون ونالينو طويلاً حول محاولة المسلمين لإيجاد فلسفة شرقية، وذلك بما ورد عن ابن الطفيل في قصة حي بن يقظان، والتى أصبحت أحد أهم الكتب التي بشرت بالثورة العلمية والتنوير الأوروبي، لينتهى به الأمر إلى إثبات اتفاق الدين مع الفلسفة اتفاقاً جوهرياً، يتمثل الرد على هذه الشبهة من خلال:

أولاً: بيان قصة (حي بن يقظان):

وفي التراث العربي يوجد أكثر من قصة بعنوان (حي بن يقظان) وهي قصة رمزية تدور حوادثها حول شخص نشأ في جزيرة وحده، ويتصور علاقته بالكون والدين، وأول منشئ لقصة (حي بن يقظان) هو الفيلسوف ابن سينا، ثم أعاد كتابتها شهاب الدين السهروردي، وبعدها صاغها من جديد فيلسوف أندلسي بن الطفيل، ثم كانت آخر رواية القصة بقلم ابن النفيس. على أن أشهر مؤلف بين هؤلاء الأربعة هو ابن الطفيل، وبسبب شهرة هذه الرواية قيل: إن قصصًا غريبة مثل قصة (روبنسون كروزو) و (طرزان) قد نُسِجت على منوالها.

وقد صَبَّ ابن الطفيل في هذه القصة آراءه القائلة بعدم التعارض بين العقل والشريعة، أو بين الفلسفة والدين في قالب روائي قصصي، إذ نشأ بطل القصة (حي بن يقظان) في جزيرة معزولة، وكان قد ألقي فيها طفلًا، أو نشأ بشكل طبيعي من مادتها وترابها حسب الروايتين المختلفتين، وبعد أن نما وترعرع تأمل الكون من حوله، فوصل إلى حقيقة التوحيد بالفطرة.[١]

ثم انتقل إلى جزيرة أخرى، فالتقي بشخصين هما: سلامان وأبسال، فوجد الأول منهما يعلم أهل الجزيرة –الذين يتدينون تدينًا سطحيًّا– يعلمهم الحقائق الإلهية والوجودية عن طريق ضرب الأمثال، بينما يميل الثاني إلى التأمل والنظر العقلي وفيه نزعة صوفية. ويُدرك حي بعد أن يتفاهم

---

[١] الأدب المقارن – قصة حي بن يقظان وتأثيرها في الأدب العالمي، لمناهج جامعة المدينة العالمية،(صـ٣١٤)، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

مع أبسال أنّ مَا توصل إليه من إدراك لحقائق الوجود والكون بالفطرة، وما ورِثه أبسال عن طريق النبوة، إن هو إلا وجهان لحقيقة واحدة، فالكون واحد، والخالق واحد، وهو رب السماوات والأرض وصانع الموجودات، قد نصل إليه عن طريق التأمل الذاتي كأفراد، لكن الجماعات بحاجة إلى طريقة أبسال في ضرب الأمثال الحسية لمعرفة ذلك، لأنه لا قدرةَ للعامة على إدراك الحقيقة المجردة التي قد يصل إليها أصحاب التأمل الذاتي والنظر العقلي.

والنبوة حق ولا بد منها، والخليقة بحاجة إليها للوصول إلى معرفة الخالق، إلا أن (حي بن يقظان) لا يكاشف أهل الجزيرة بالحقيقة كلها، بل يعود مع أبسال إلى الجزيرة الأخرى، ليَعْبُد الله عبادة رُوحيّة خالصة، حتى يأتيهما اليقين.

وتمثل القصة العقل الإنساني الذي يغمره نور العالم العلوي، فيصل إلى حقائق الكون والوجود بالفطرة والتأمل بعد أن تلقاها الإنسان عن طريق النبوة، وتُؤَكِّد قِصّة (حي بن يقظان) على أهمية التجربة الذاتية في الخبرة الفكرية والدينية، وقد تركت آثارها على كثير من الجماعات والمفكرين، وترجمت إلى اللاتينية واللغات الأوربية الحديثة. وتتجلى براعة ابن طُفيل في مَزْجِه الأفكار الفلسفية الدقيقة بالقصص الشعبي، وفي جهده لتصوير هذه الأفكار منطقيًّا وفنيًا.[١]

ثانياً: نقض فكرة محاولة المسلمين لإيجاد فلسفة شرقية:

يمكن استخلاص نقض فكرة محاولة المسلمين لإيجاد فلسفة شرقية من خلال ماعتمد عليه الفيلسوف نالينو من قصة حي بن يقظان لابن الطفيل أنه وصل إلى معرفة الله عز وجل بالعقل، وذلك من خلال النقاط التالية:

---

(١) الأدب المقارن – قصة حي بن يقظان وتأثيرها في الأدب العالمي، لمناهج جامعة المدينة العالمية،(صـ٣١٥)

أولاً: بيان منزلة العقل(١) في الإسلام:

فالله عز وجل كرَّم العقل وجعله مناط التكليف، فعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – – قَالَ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أَوْ يُفِيقَ". (٢)

---

(١) العقل في اللغة يطلق على الحِجا والنُّهى، وهو ضد الحمق، ويطلق ويراد منه: الفهم والتمييز. قال الراغب في "المفردات" (٢/ ١١٠، مادة: ع ق ل، ط. دار القلم): [العَقْلُ: يقال للقُوَّةِ المُتَهَيِّئَةِ لقَبولِ العِلم، ويقال للذي يَسْتَنبِطُه الإنسانُ بتلكَ القوَّةِ: عَقْلٌ] اهـ.

انظر: أدب الدنيا والدين، لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،(صـ١٨ ومابعدها)،دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، ١٩٨٦م

أقوال العلماء في تحديد محل العقل: اختلف العلماء في تحديد محلّ العقل، فقيل: محلّه القلب، وإلى هذا ذهب الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة. انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،(٥٢١/٧)،المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

وقيل: محله الرأس، وهذا القول منسوب إلى الحنفية، ونسبه الباجي إلى الإمام أبي حنيفة، وهو المشهور عن الإمام أحمد. انظر: التمهيد في أصول الفقه، لمحفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذاني الحنبلي (المتوفى: ٥١٠ هـ)،(٤٨/١برقم٤٧)،المحقق: مفيد محمد أبو عمشة (الجزء ١ – ٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (الجزء ٣ – ٤)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م

(٢) سنن ابن ماجه، لابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، أَبْوَابُ الطَّلَاقِ ، بَابُ طَلَاقِ الْمَعْتُوهِ وَالصَّغِيرِ وَالنَّائِمِ ،(١٩٨/٣برقم٢٠٤١). والحديث صحيح الإسناد.انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، الفصل الخامس: في أحكام متفرقة ،(٦١١/٣برقم١٩٤٥) تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى.

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تدعو إلى النظر العقلي والتفكر والتأمل، قال تعالى﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [١]، كما حرَّم الإسلام الاعتداء على العقل، فحرَّم المُسْكِر والمُفتِّر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [٢]، عن أمِّ سلمة، قالت: نهى رسولُ الله – – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – – عن كُلِّ مُسْكِرٍ ومُفَتِّرٍ "[٣]

ثانياً: معرفة الله واجبة بالشرع:

فإذا نظرنا إلى التوحيد كعلم من العلوم: نعرفه على أنه علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية مكتسب من أدلتها اليقينية."[٤]

ووظيفة العقل هي النظر في العالم الخارجي للتعرُّف على وجود الله، أي: على أنَّ الله موجود، ولكنَّ وجوب الإيمان بالله تعالى –بحيث يعاقب مَن لا يؤمن ويثاب مَن يؤمن– إنما يُعْرَف من

---

(١) سورة عبس، الآية، ٢٤-٣٢

(٢) سورة المائدة، الآية، ٩٠

(٣) سنن أبي داود، لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، أول كتاب الأشربة، باب النهي عن المُسكر، (٥/٥٢٩برقم٣٦٨٦)،المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. والحديث صحيح الإسناد.انظر: أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، لأبى حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي(٨/٥٧١٣برقم٣٩٩٩).

(٤) حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم البيجوري، (صـ٣٨)، دار السلام، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ،٢٠٠٢م.

الشَّرع لا من العقل. معرفة الله عند أهل السنة وجبت بالشرع، وكذلك سائر الأحكام، إذ لا حكم قبل الشرع لا أصليًّا ولا فرعيًّا."[١]

فأهل السنة يستدلون على العقائد بالدليل العقلي، ومرادهم بذلك إثبات حقيقتها ومطابقتها للواقع، لا إثبات التكليف بها بالعقل، فإثبات التكليف بها يكون بالشرع، والعقابَ على تركها يتأخَّرُ إلى حينِ ورودِ الشَّرعِ، كما دلَّ عليه قولُه تعالى﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[٤]، وقوله تعالى﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [٥]، فالحُجَّةُ إنما قامت على النَّاسِ بالقرآنِ وبالرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ. وبذلك تتمُّ حُجَّةُ اللهِ على عبادِه، وهذا مَذهَبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ.[٦]

---

[١] حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم البيجوري، (صـ٧٠).

[٢] سورة الإسراء، الآية، ١٥

[٣] سورة الملك، الآية، ٨-٩

[٤] سورة النساء، الآية، ١٦٥

[٥] سورة طه، الآية، ١٣٤

[٦] انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (٣/ ٤٥٣)، دار الكتاب العربي بيروت/ الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ بتصرف.

وبوَّب **اللَّالَكائيُّ**[(١)] فقال: (سياقُ ما يدُلُّ من كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وما رُوِي عن النبي على أنَّ وجوبَ مَعرفةِ اللهِ تعالى وصفاتِه بالسَّمعِ لا بالعَقلِ)، ثمَّ قال:..وهذا مَذهَبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ).[(٢)]وقال **أبو المظَفَّرِ السَّمعانيُّ**[(٣)]: (إنَّ العَقلَ لا يوجبُ شيئًا، ولا يحَرِّمُ شيئًا، ولا حَظَّ له في شيءٍ من ذلك، ولو لم يَرِدِ الشَّرعُ بحُكمٍ ما وَجَب على أحدٍ شَيءٌ... ونحن لا نُنكِرُ أنَّ العقلَ يُرشِدُ إلى التَّوحيدِ، وإنما نُنكِرُ أنَّه يستقِلُّ بإيجابِ ذلك). [(٤)]وبهذا يتبين من صريح الآياتُ السابقة عدم تعذيبِ من لم تبلُغْه دعوةُ الرُّسُلِ عليهم السَّلامُ، وأنها دليل على أنَّ وجوبَ المعرفةِ والتَّكليفِ والثَّوابِ والعقابِ، بالشَّرعِ لا بالعَقلِ.

---

(١) اللّالكائي(418 - 000)هـ = ٠٠٠ - ١٠٢٧ م)هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازيّ، أبو القاسم اللالكائي: حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية. من أهل طبرستان. استوطن بغداد. وخرج في آخر أيامه إلى الدينور: فمات بها كهلا. من كتبه " شرح السنّة " مجلدان، و " أسماء رجال الصحيحين ".

انظر: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤ هـ)، (١٨٧/٧٩برقم١٨٩). المحقق: أيمن نصر الأزهري – سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) انظر: شرح أصول، اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت ٤١٨هـ)، (٢ /٢١٩)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

(٣) السَّمْعاني(489 - 426)هـ = ١٠٣٥ - ١٠٩٦ م) منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعيّ، أبو المظفر: مفسر، من العلماء بالحديث. من أهل مرو، مولدا ووفاة. كان مفتي خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو. له (المنهاج لأهل السنّة).

انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)،(٣/٢١٦برقم٧١٥) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.

(٤) فتح الباري، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، (٣٥٣/١٣).

المطلب الثانى

التوفيق بين الفلسفة والدين

تعد مسألة التوفيق بين الفلسفة والدين أو العقل والنقل، موضع جدل كبير بين الفلاسفة عامة وفلاسفة المسلمين خاصه في ضرورة التوفيق بين الفلسفة والدين.

فقد احتلت ظاهرة التوفيق بين الفلسفة والدين مكانة هامة بالنسبة لفلاسفة المشرق غير أنّها كانت أكثر أهمية بالنسبة لفلاسفة المغرب، ولعل هذا يظهر بالخصوص في أنّ فلاسفة المشرق لم يفرد منهم أحد هذه المسألة بكتاب خاص في حين أننا نجد من فلاسفة المغرب **كابن طفيل**[(١)] الذي أفرد لهذا الموضوع كتاباً خاصاً هو قصته المشهورة "حي بن يقظان". ولقد أدّت محاولات الجمع بين الشرائع السماوية السابقة وبين الفلسفة من جانب هؤلاء إلى زيادة تحريف للدين والعقيدة التي جاء بها رسل الله تعالى، وكانت سبباً قوياً في تسرب الإلحاد إلى أتباعها. وفلاسفة الإسلام شغلوا بهذا التوفيق، وقد بدأه **الكندي**[(٢)]، لأنّه أولّ الفلاسفة وتبعه غيره من فلاسفة المشرق **كالفارابي**[(٣)] **وابن**

---

(١) سبق ترجمته، (صـ٢٢٩)

(٢) أبو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بنُ إِسْحاقَ الكِنْدِيُّ (١٨٥– ٢٥٦ هـ / ٨٠١– ٨٧٣ م) عالم عربي مسلم، برع في الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق الذي كان يُعرَف بعلم الكلام. كان لاطلاعه على ما كان يسميه علماء المسلمين آنذاك «بالعلوم القديمة» .

انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)،(٣/٤١٩).

(٣) الفَارَابي(260 – 339)هـ = ٨٧٤ – ٩٥٠ م)محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابيّ، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها. وتوفي بدمشق. من كتبه(الخطابة) و (وما ينبغي أن يتقدم الفلسفة).

انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)،(٥/١٥٣).

سينا[(١)] وغيرهما، **وكذلك فلاسفة المغرب اهتموا بهذا الموضوع اهتماماً كبيراً وفي مقدمتهم ابن طفيل**[(٢)] **وابن رشد.**[(٣)] لقد بدأت عملية التوفيق بين الدين الإسلامي والفلسفة مع حركة النقل والترجمة للكتب الفلسفية اليونانية، فقد ترجمت كتب كثيرة من المنطق والفلسفة من السريانية واليونانية والفارسية إلى اللغة العربية، وكان أكثرها لأرسطو، وكان لترجمتها إلى العربية الأثر الأكبر في زعزعة عقائد بعض أهل البدع، وإدخال الفكر الدخيل في حياة المسلمين الفكرية.[(٤)]

ذلك أنّ التراث الفكري المتمثل فيما كتبه الفارابي وابن سينا وابن الطفيل وابن رشد وأضرابهم، قليل الصلة بالإسلام كعقيدة وتصوّر روحي له خصائصه ومميزاته: إذ على الرغم من كل الجهود التوفيقية التي بذلها هؤلاء المتفلسفة من أجل تقريب الفلسفة اليونانية، أو الشرقية التي آمنوا بها واستسلموا لقيادها، تلك الجهود التي تمثل عنصر الطرافة والجدة في التراث الفلسفي أقول:رغم تلك الجهود بقيت هذه الفلسفة غريبة عن التصور الإسلامي، بعيدة عن هذا الدين، رغم ما اتشحت به

---

(١) ابن سِينا(428 - 370)هـ = ٩٨٠ - ١٠٣٧ م)الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيت. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى ومات بها. وتصانيفه شهيرة، والناس في اعتقاده فرقتان، له، وعليه، والظاهر أنه تاب قبل موته، والله تعالى أعلم بحاله.

انظر: تاج التراجم، لأبى الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ)،(صـ١٦٢ومابعدها)،المحقق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م.

(٢) سبق ترجمته، (صـ٤٩٩)

(٣) أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن أحمد بن رُشْد الأندلسي المعروف بابن رُشْد الحَفِيد (٥٢٠ هـ- ٥٩٥ هـ)، (مواليد ١٤ إبريل ١١٢٦م، قرطبة - توفي ١٠ ديسمبر ١١٩٨م، مراكش) فيلسوف أندلسي مسلم. درس الفقه، والأصول، والطب، والرياضيات، والفلك والفلسفة، وتوفي في مراكش (١١٩٨ م).

انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، (٢،٢٥٧ومابعدها).

(٤) دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، للدكتور صالح الرقب – الدكتور محمود الشوبكي،(صـ٢١٣).

من رداء مستورد، لقد نظر هؤلاء إلى الإسلام من خلال الفلسفة اليونانية، **كما يقول المفكر الهندي محمد إقبال**[١]:" ولو أنهم عكسوا الآية لانتهت جهودهم بفكر أفضل وتراث أقرب إلى روح الإسلام وعقيدته في الوجود والإنسان".[٢]

قد يظنّ أنّ المسلمين رفضوا الفلسفة اليونانية لمجرد اشتغال الأمم الكافرة بها وهذا ظنّ خاطئ لأنّه يستلزم أن يرفض المسلمون كل ما أتى من غيرهم من علوم صحيحة كالطب والحساب والهندسة ونحوها.وإنّما رفض المسلمون الفلسفة اليونانية لأسباب شرعية وعقلية:

أولاً: الأسباب الشرعية لرفض الفلسفة اليونانية:[٣]

١- إنّه لم يؤثر عن الصحابة والتابعين الاشتغال بالفلسفة، ثم إنّ الشريعة الإسلامية ليست موقوفة على شيء يتعلم من غير المسلمين أصلاً، وإن كانت طريقاً صحيحاً، فكيف إذا كانت فاسدة أو متضمنة للفساد، بل متضمنة الكفر والإلحاد.[٤]

---

[١] محمد إقبال (٩ نوفمبر ١٨٧٧ - ٢١ أبريل ١٩٣٨)، شاعر وفيلسوف باكستاني بارز،ولد في سيالكوت . إحدى مدن البنجاب الغربية، نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس ورأى تأسيس دولة إسلامية اقترح لها اسم باكستان، توفي في ١٩٣٨ بعد أن اشتهر بشعره وفلسفته.

انظر: مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، لجهاد التُرباني،(صـ٤١٢)، تقديم: الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

[٢] الفلسفة الإسلامية ونقد دراسة، لعرفان عبد الحميد، (صـ٤٨)، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد.

[٣] منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، للدكتور عثمان بن علي بن حسن،(٢/٦١١-٦١٧)، مكتبة الرشد، الرياض بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. ١٩٩٢ م.

[٤] انظر:الرد على المنطقيين، لأحمد ابن تيمية، (صـ٢٥٨)، إدارة ترجمان السنة-لاهور، باكستان- ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م

٢- إنّ الفلسفة نشأت في بيئة وثنية، كان أصحابها أهل شرك وإلحاد، بل ما عند مشرك ي العرب من الكفر والشرك خير مما عند الفلاسفة. [١]

٣-قصور البرهان الفلسفي عن الوصول بالإنسان إلى اليقين، وذلك عند تطبيقه في الإلهيات، **يقول الإمام الغزالي**[٢]:"لهم نوع من الظلم في هذا العلم، وهو أ نّهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا محالة، لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط، بل تساهلوا غاية التساهل".[٣]

٤-لقد سببت الفلسفة اليونانية التفرق والاختلاف والتنابذ، وما زال أهلها والمشتغلون بها على هذه الحال، بل لا تكاد تجد اثنين منهم يتفقان على مسألة، حتى في البديهيات أو اليقينيات. [٤] وقد صدق الملك النصراني على قبرص -زمن الدولة العباسية لمّا طلب من العباسي المأمون كتب الفلاسفة -عندما قال: فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلاّ أفسدتها، وأوقعت بين علمائها. [٥]

---

[١]انظر:الرد على المنطقيين، لأحمد ابن تيمية، (صـ ١٠١ ، ٥٣٥ وما بعدها).

[٢] الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م]محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، من أعيان فقهاء الشافعية، ولد بالطابران (قصبة طوس، بخراسان) فأخذ عن إمام الحرمين ولازمه، من كتبه الكثيرة "جواهر القرآن" طبع، و "الوقف والإبتداء" في التفسير.

انظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، (ص،،٣٦٠٠برقم٤٢١).

[٣] انظر: المنقذ من الضلال، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(صـ٢٦)، تحقيق: محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية - بيروت / لبنا.

[٤] انظر: الرد على المنطقيين، لأحمد ابن تيمية، (صـ ٣٣٤ وما بعدها).

[٥] انظر: صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام (مطبوع معه: جهد القريحة في تجريد النصيحة، لجلال الدين السيوطي،(صـ٤١)،المحقق : الدكتور علي سامي النشار، السيدة سعاد علي عبد الرازق، مجمع البحوث الإسلامية

٥-يلزم عن الاشتغال بالفلسفة عدة لوازم فاسدة، تناقض العلم والإيمان، وتفضي إلى أنواع من الجهل والكفر والضلال. [١] ومن ذلك:

أ -القول بقدم العالم، وذلك لأن الإله لا يسبق العالم في الوجود الزمني، وإن كان يسبقه في الوجود الفكري، مثلما تسبق المقدمة النتيجة في الوجود الفكري. [٢]وهذا مما أنكره الغزالي على الفلاسفة وكفرهم به في كتابه: تهافت الفلاسفة". [٣]

ب- إنكار هم الصفات الثبوتية لله تعالى، بل يصفونه بالسلوب المحض، أو بما لا يتضمن إلا السلب، ولهذا قالوا:الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، لأنّه لو صدر عنه اثنان لكان ذلك ً مخالفا للوحدة، وبهذا نفوا أن يكون الله فاعلاً مختاراً فنفوا الصفات عن الله تعالى هروباً من تشبيهه بالنفوس الفلكية أو الإنسانية، ثم شبهوه بالجمادات". [٤]

ج - إنكار علم الله تعالى بالجزئيات، وهذا هو المشهور عنهم، وهو مما أنكره عليهم العلماء، ومنهم الغزالي في بعض كتبه. [٥] وذلك لأنّ هذه الجزئيات في تغير، فلو تعلق علم الله تعالى بها للزمه التغير بتغير المعلوم، فيلزم من ذلك التغير في ذات الله تعالى، وهو الواحد الأحد. وهذا تكذيب للقرآن الكريم و لصريح العقل، وفيه فتح لباب الزندقة،والخروج على الشريعة جملة وتفصيلاً، وأعظم منه إساءة الظن برب العالمين .ومن المعلوم أن من يعتقد عدم علم الله بالجزئيات فقد أضاف إلى إليه تعالى معرفة ناقصة بالعالم، وأبطل عنايته وتدبيره بأفراد المخلوقات والموجودات. [٦]

---

[١] انظر: الرد على المنطقيين، لأحمد ابن تيمية، (صـ ٣٣٤ وما بعدها).

[٢] انظر: الغزو الفكري في المناهج الدراسية، لعلي لبن، (صـ٣٢)، دار الوفاء، الطبعة الأولى.

[٣] انظر: تهافت الفلاسفة، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(صـ٨٨ ومابعدها)، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف -الطبعة الرابعة-١٩٦٦ م-١٣٨٥هـ.

[٤] انظر: الرد على المنطقيين، لأحمد ابن تيمية، (صـ ٢١٤ وما بعدها).

[٥] تهافت الفلاسفة، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(صـ٢٠٦).

[٦] دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، للدكتور صالح الرقب - الدكتور محمود الشوبكي،(صـ٢٣٨)

د- إنكار الوحي والنبوة ومعجزات الأنبياء:لمّا رأى الفلاسفة اشتراك النفوس في كثير من الأحوال عادة، جعلوا ذلك أمراً عاماً وكلياً وملزماً لكل النفوس، ورأوا لبعض النفوس قوة حدسية، وتأثيراً في بعض الأمور، وأموراً متخيلة، فلما بلغهم من أمر الأنبياء كالمعجزات ونزول الوحي ورؤية الملائكة وغير ذلك، جعلوا ما يحدث للأنبياء على نحو ما يكون لتلك النفوس، فليست النبوة هبة الله، ومنته على بعض عباده، بل هي أمر مكتسب تستعد له النفوس بأنواع الرياضات، والمجاهدة.

هـ- إنكارهم عالم الغيب مثل: الحشر والنشر، والصراط والميزان، والجنة وما فيها من نعيم مقيم، والنّار وما فيها من عذاب وشقاء مقيم، حيث يعدونها رموزا وأخيلة، بغرض تفهيم العوام وتقريب الأمر الروحي إلى الأذهان بضرب الأمثلة من المحسوسات. (١)

ثانيا:الأسباب العقلية لرفض الفلسفة اليونانية:

١- الفلسفة اليونانية تجريدية، لا صلة لها بالواقع، فهي تبحث في عالم الكليات، وهذا العالم ليس له وجود في الخارج، بل وجوده في الذهن، فالفلسفة تتجاهل البحث في الجزئيات والأعيان المشخصة.(٢)

٢- يري الناظر كثيراً من العلوم - كالهندسة والطب والفلك - تتقدم تقدماً كبيراً دون أن يكون كبار الباحثين فيها ممن تخرجوا على الفلسفة اليونانية، وإخفاق الفلسفة راجع لجهلهم بالدين والوحي الإلهي الذي يمدنا بحقائق عالم الغيب التي تريح العقل، وتبعده عن الخرافات والأساطير.(٣)

٣- إنّ هذه الفلسفة كان لها أكبر الأثر في تخلف اليونان عن ركب المدنية، حيث انزوت بالفكر والجهود العلمية نحو عالم الميتافيزيقا-عالم ما وراء الطبيعة -معرضةً عن الحياة المدنية،

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين، لأحمد ابن تيمية، (صـ ٢٧٧ ، ٣٠٢-٣٠١ ، ٤٧٤- ٤٧٥).

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، (صـ ٤٨٤ -٤٨٣)، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة: الرابعة،١٩٨١م.

(٣) انظر: المنطق الحديث، لمحمود قاسم، (صـ٥، ٦). مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦م.

والعلوم التطبيقية الواقعية. فيكاد يتفق مؤرخو الفلسفة على أن العلم لم ينهض في مطلع العصر الأوربي الحديث إلا بعد الثورة المزدوجة على السلطة العلمية ممثلة في المنطق الأرسطي، والسلطة الدينية ممثلة في رجال الكنيسة".[١]

٤- طرق هؤلاء الفلاسفة فيها فساد كثير من جهة المقاصد والوسائل:أمّا المقاصد:فإنّ الحاصل منها بعد التعب والمشقة خير قليل، فهي "كلحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل".[٢] "وأما الوسائل: فطريقها كثير المقدمات، طويلة المسالك، يتكلفون فيها العبارات البعيدة والطرق الوعرة، وليس فيها من فائدة سوى تضييع الأزمان وإتعاب الأذهان، وكثرة الهذيان، ودعوى التحقيق بالكذب والبهتان".[٣]

ثالثاً: آراء علماء الإسلام:

١-**يقول الإمام الغزالي**[٤]:ألّف الغزالي كتابين في مهاجمة الفلسفة والفلاسفة،

وهما(مقاصد الفلاسفة[٥]، وتهافت الفلاسفة[٦])، أبان في"مقاصد الفلاسفة" آراءهم وكلامهم، وقد حكى الغزالي قصة هذا الكتاب في مقدمته،حيث يقول:"أما بعد فإنّي التمست كلاماً شافياً في الكشف عن تهافت الفلاسفة، وتناقض آرائهم، ومكامن تلبيسهم وإغوائهم، ولا مطمع في إسعافك إلا بعد تعريفك مذهبهم وإعلامك معتقده...من غير تطويل بذكر ما يجري الحشو والزوائد الخارجة عن المقاص...وأورده على سبيل الاقتصاص والحكاية، مقروناً بما اعتقدوه أدلة لهم، ومقصود

---

[١] الغزو الفكري في المناهج الدراسية، لعلي لبن، (صـ ٤٢).

[٢] قطعة من حديث أم زرع،انظر: صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، بَابُ ذِكْرِ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ ،(١٨٩٦/٤برقم٢٤٤٨).

[٣] انظر: الرد على المنطقيين، لأحمد ابن تيمية، (صـ٣١).

[٤] سبق ترجمته، (صـ٥١٧)

[٥] مقاصد الفلاسفة لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المقدمة، تحقيق سليمان دنيا، المنقذ من الضلال للغزالي، تحقيق د .جميل صليبا ود .كامل عياد، طبعة١٤١٠ هـ.

[٦] تهافت الفلاسفة، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ).

الكتاب حكاية مقاصد الفلاسفة".[١]ثمّ يذكر الغزالي أوجه الانحراف والزلل والمخالفة من الفلاسفة للدين فيقول:"إنّ مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر، ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين، صنفنا كتاب التهافت.[٢]

- حيث يرى الغزالي في(تهافت الفلاسفة) أنّ الفلسفة ابتعدت كثيرا عن حقيقة النص الشرعي، فوقع الفلاسفة الإسلاميون في مغالطات جوهرية لعقائد الإسلام، وأخذ أبو حامد الغزالي يتتبع هذه المغالطات ويرد عليها واحدة واحدة، بداية قدم العالم وحقيقة الألوهية، وعلم الله تعالى، وانتهاء بالنفس الإنسانية، والبعث وحشر الأجساد.

أما المسائل الثلاث التي خالفوا فيها كافة المسلمين وهي:[٣]

أ- إن الأجساد لا تحشر، وإنما الثواب والعقاب يكون فقط الأرواح المجردة من الجسمية، فالثواب والعقاب إذن روحاني لاجسماني.

ب- إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات.

ج-القول بقدم العالم ووجوده مع الباري أزلاً.

٢-ويبين **ابن الجوزي**[٤] ما يؤدي إليه مذهب الفلاسفة من ضلال فيقول:"وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه، ولا بمقتضى

---

[١] مقاصد الفلاسفة، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،المقدمة.

[٢] المنقذ من الضلال، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، (صـ ١٠٦).

[٣] دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، للدكتور صالح الرقب – الدكتور محمود الشوبكي،(٢٣٠).

[٤] ابن الجَوْزي(597 – 508)هـ = ١١١٤ – ١٢٠١ م)عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها. الإمام، العلامة، الحافظ، المفسِّر، المحدث، المؤرخ ، شيخ الإسلام عالم العراق. من كتبه: زاد المسير في التفسير ؛ جامع المسانيد.
انظر : الأعلام للزركلي،(٣/٣١٦).

الإسلام، بل فيهم من يصوم رمضان ويصلي، ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق، وعلى النبوات، ويتكلم في إنكار بعث الأجساد".[١]

[١] تلبيس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، (صـ٤٧)،دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

الفصل الثالث

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين وإحياء المنهج الاعتزالي في قراءة النص الديني.

وفيه مبحثين:

المبحث الأول:

نبذه مختصرة عن الليبرالية.

المبحث الثانى:

شبهات الفكر الليبرالي والرد عليها.

المبحث الأول

نبذه مختصرة عن الليبرالية

ويتمثل في خمسة مطالب:

المبحث الأول

نبذه مختصرة عن الليبرالية

الليبرالية تعمل على إحياء التراث الفلسفي والمعتزلي، وتقربه للناس في قالب جميل مزخرف، فيقع الناس في تقبله، وينغمس الكثير في هذا التراث المنحرف، لذا يذكر الباحث نبذة مختصرة عن هذا المذهب المتبني لفرقة المعتزلة.

المطلب الأول

التعريف بالليبرالية

الليبرالية في اللغة:

وتعنى كلمة ليبراليّ: حُرٌّ، متحرِّر، من أنصار اللِّيبراليّة، ذو نزعة ترمي إلى التَّحرُّر السِّياسيّ والاقتصاديّ. [(١)]

والليبرالية: هي- في الأصل - مصطلحٌ أجنبيٌّ مُعرَّب، مأخوذ من (Liberalism) في الإنجليزية، و(Liberalisme) في الفرنسية، وهي تعني:(التحررية)، ويعود اشتقاقها إلى (Liberty) في الإنجليزية، و(Liberte) في الفرنسية، ومعناها الحرية.[(٢)]

الليبرالية في الاصطلاح:

تعدد التعريفات حول المعنى الاصطلاحى لكلمة الليبرالية، منها:

١-**وفي (موسوعة المورد العربية) عُرِّفَتْ الليبراليةُ بأنها:** " معارضة المؤسسات السياسية والدينية التي تحدد من الحرية الفردية، وهي تطالب بحق الفرد في حرية التعبير وتكافؤ الفرص ".[(٣)]

٢-**وجاء في (الموسوعة الميسرة) بأنَّ الليبرالية هي:** " مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي".[(١)]

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، (مادة: ليبرال)، (٢٠٥٢/٣-٢٠٥٣)، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(٢) انظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسي، لجميل صليبا، (٤٦١/١)، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.

(٣) موسوعة المورد العربية، لمنير البعلبكي، (١٠٥٠/٢)، دار العلم للملايين، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م.

٣-وهكذا نرى أن تعريفات الليبرالية تتفق على أنها انكفاءٌ على النفس مع انفتاحٌ على الهوى؛ بحيث لا يكون الإنسان تابعاً إلا لنفسه، ولا أسيراً إلا لهواه، وهو ما اختصره المفكر الفرنسي (لاشييه) في قوله: « الليبرالية هي الانفلات المطلق ".

٤-وكذا فإن لليبرالية جوهراً أساسياً يتفق عليه جميعُ الليبراليين في كافةِ العصُور مع اختلافِ توجُّهَاتهم وكيفيةِ تطبيقها كوَسيلةٍ من وسَائلِ الإصلاح والإنتاج، هذا الجوهرُ هو: " أن الليبرالية تعتبر الحرية المبدأ والمنتهى، الباعث والهدف، الأصل والنتيجة في حياة الإنسان، وهي المنظومة الفكرية الوحيدة التي لا تطمع في شيء سوى وصف النشاط البشري الحر وشرح أوجهه والتعليق عليه ".[(٢)]

٥-مذهب يقوم على الاعتقاد في أهميّة حرِّيَّة الفرد ورفاهيته، وإمكانيّة التقدّم الاجتماعيّ من خلال تغيير التنظيم الاجتماعيّ وتجديده.[(٣)]

فالليبراليةُ حرية مطلقة بدون تقييد بدينٍ ولا شرعٍ ولا نصٍ مُقدَّس ولا عادَاتٍ ولا تقاليد، وتجرُّ الإنسانَ إلى الهوى والشهوات.

---

(١) الموسوعة الميسرة للمعرفة والمذاهب المعاصرة، لمانع الجهني، (صـ ٧٨)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة.

(٢) مفهوم الحرية، لعبدالله العروي، (صـ ٣٩)، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، (مادة: ليبرال)، (٣/٢٠٥٣)، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

المطلب الثانى

نشأة الليبرالية

نشأت الليبرالية في بداية القرن السادس عشر الميلادي بشكل متدرج بطيء فى التغيرات الاجتماعية التي عصفت بأوربا. ولم تتبلور كنظرية في السياسة والاقتصاد والاجتماع على يد مفكر واحد، بل أسهم عدة مفكرين في إعطائها شكلها الأساسي وطابعها المميز.

فالليبرالية ليست اللوكية (نسبة إلى جون لوك ١٧٠٤ – ١٦٣٢) أو الروسووية (نسبة إلى جان جاك روسو ١٧١٢-١٧٧٨) أو الملّية (نسبة إلى جون ستوارت مل ١٨٠٦-١٨٧٣)وإن كان كل واحد من هؤلاء أسهم إسهاماً بارزاً أو فعالاً في إعطائها كثيراً من ملامحها وخصائصها".[١]

وقد حاول البعض تحديد بداية لبعض مجالاتها ففي موسوعة لا لاند الفلسفية "الليبرالي أول استعمال للفظة هو الحزب الأسباني الذي أراد نحو ١٨١٠م أن يدخل في أسبانيا من الطراز الإنكليزي".[٢]

والليبرالية في الفكر السياسي الغربي الحديث نشأت وتطورت في القرن السابع عشر، وذلك على الرغم من أن لفظتي ليبرالي وليبرالية لم تكونا متداولتين قبل القرن التاسع عشر".[٣]

و الليبرالية" liberalism" فلسفة سياسية ظهرت في أوربا في أوائل القرن التاسع، ثم اتخذت منذ ذلك الحين أشكالاً مختلفة في أزمنة وأماكن مختلفة".[١]

---

[١] الموسوعة الفلسفية العربية، لمجموعة مؤلفين، (٢/ ١١٥٥)، معهد الإنماء العربي، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م.

[٢] موسوعة لا لاند الفلسفية، لأندريه لالاند، (٢/٧٢٦)، عويدات للنشر والطباعة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

[٣] الموسوعة الفلسفية العربية، لمجموعة مؤلفين، (٢/ ١١٥٦).

والظاهر من تاريخ الليبرالية أنها كانت رد فعل لتسلط الكنيسة والإقطاع في العصور الوسطي بأوربا، مما أدى إلى انتفاضة الشعوب، وثورة الجماهير، وبخاصة الطبقة الوسطي. والمناداة بالحرية والإخاء والمساواة، وقد ظهر ذلك في الثورة الفرنسية. وقد تبين فيما بعد أن هناك قوى شيطانية خفية حولت أهداف الثورة وغايتها".[٢]

ويرد بعض الباحثين جذور الليبرالية إلى ديمقراطي أثينا في القرن الخامس قبل المسيح، والرواقين في المراحل الأولى من المسيحية، ثم حرك الإصلاح البروتستانتية".[٣]

وقد ذكر البعلبكي أن في حركة الإصلاح الديني توجهاً ليبرالياً فقال: " كما يطلق لفظ الليبرالية كذلك على حركة في البروتستانتية المعاصرة تؤكد على الحرية العقلية ".[٤]

ومن الصعب تحديد تاريخ معين لنشأة الليبرالية فجذورها تمتد عميقة في التاريخ".[٥]

وبهذا يتضح لنا أن الليبرالية في صورتها المعاصرة نشأت مع النهضة الأوربية ثم تطورت في عصور مختلفة إلى يومنا هذا.

---

[١] موسوعة المورد العربية، لمنير البعلبكي، (٢/١٠٥٠)،

[٢] الموسوعة الفلسفية العربية، لمجموعة مؤلفين، (٢/ ١١٥٦).

[٣] الموسوعة الفلسفية العربية، لمجموعة مؤلفين، (٢/ ١١٥٦).

[٤] موسوعة المورد العربية، لمنير البعلبكي، (٢/١٠٥٠)،

[٥] مقال : في الدول الليبرالية، مجلة المؤرخ العربي، العدد٣٥ صـ٧١.

المطلب الثالث

أسس الليبرالية

تقوم الليبرالية على أسس فكرية هي القَدْر المشترك بين سائر اتجاهاتها وتياراتها المختلفة، ولا يمكن اعتبار أي فرد ليبراليًّا وهو لا يقر بهذه الأسس ولا يعترف بها، لأنها هي الأجزاء المكونة لهذا المذهب والمميزة له عن غيره.

وتنقسم هذه الأسس المكونة لليبرالية إلى قسمين[(١)]:

١-ذاتية مميزة لليبرالية عن غيرها من المذاهب الفكرية الغربية التي ظهرت في عصر النهضة والتنوير، وهي أساسان هما: «الحرية» و «الفردية.«

٢-مشتركة بين الليبرالية وغيرها من المذاهب الفكرية الغربية، وهي أساس واحد هو: «العقلانية»، فكل المذاهب التي ظهرت في أوروبا في العصر الحديث خرجت من الفكر العقلاني الذي يعتقد باستقلال العقل في إدراك المصالح الإنسانية في كل أمر دون الحاجة إلى الدين.

فالليبرالية حقيقة مركبة تركيبًا تامًّا من «الحرية الفردية العقلانية»، ولكن هذه الأسس المكَوِّنة لحقيقتها مُجْمَلَة، تعددت تصورات الليبراليين في تفصيلاتها الفكرية، فضلًا عن آثارها العملية، والطريقة التطبيقية أثناء العمل السياسي أو الاقتصادي.

الأساس الأول: الحرية:

التي تعني أن الفردَ حُرٌّ في أفعاله، ومستقِلٌّ في تصرفاته دون أي تدخل من الدولة أو غيرها، فوظيفة الدولة حماية هذه الحرية، وتوسيعها، وتعزيز الحقوق، واستقلال السلطات، وأن يعطى الأفراد أكبر قدر من الضمانات في مواجهة التعسف والظلم الاجتماعي.

---

(١) الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر، (صـ٣٢-٣٤)، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، الأسكندرية.

الأساس الثاني: الفردية:

وقد ارتبطت الحرية بالفردية ارتباطًا وثيقًا، فأصبحت الفردية تعني استقلال الفرد وحريته. وقد جاءت هذه الفردية بمفهومين مختلفين:

أحدهما: الفردية بمعنى الأنانية وحب الذات، وهذا هو الاتجاه التقليدي في الأدبيات الليبرالية.

والثاني: الفردية بمعنى استقلال الفرد من خلال العمل المتواصل والاعتماد على النفس، وهذا هو الاتجاه البراجماتي، وهو مفهوم حديث للفردية.

الأساس الثالث: العقلانية:

تعني العقلانية استقلال العقل البشري بإدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى قوى خارجية.

وقد أصبح الاعتماد على العقل المجرد وإقصاء الدين والقيم والأخلاق سمة من أبرز سمات الفكر الأوروبي المعاصر.

المطلب الرابع

تطور الليبرالية

تتغير الليبرالية في أطوارها حسب الزمان والمكان، لكنها تتفق في كل أطوارها على التأكيد على الحرية وإعطاء الفرد حريته وعدم التدخل فيها، ويمكن أن نشير إلى طورين مهمين فيها:

١ – الليبرالية الكلاسيكية:

يعتبر جوك لوك (١٧٠٤م) أبرز فلاسفة الليبرالية الكلاسيكية، ونظريته تتعلق بالليبرالية السياسية، وتنطلق نظريته من فكرة العقد الاجتماعي في تصوره لوجود الدولة، وهذا في حد ذاته هدم لنظرية الحق الإلهي التي تتزعمها الكنيسة.

وقد تميز لوك عن غيره من فلاسفة العقد الاجتماعي بأن السلطة أو الحكومة مقيدة بقبول الأفراد لها ولذلك يمكن بسحب السلطة الثقة فيها".[١]

٢–الليبرالية المعاصرة :[٢]

تعرضت الليبرالية في القرن العشرين لتغير ذي دلالة في توكيداتها. فمنذ أواخر القرن التاسع عشر، بدأ العديد من الليبراليين يفكرون في شروط حرية انتهاز الفرص أكثر من التفكير في شروط من هذا القيد أو ذاك. وانتهوا إلى أن دور الحكومة ضروري على الأقل من أجل توفير الشروط التي يمكن فيها للأفراد أن يحققوا قدراتهم بوصفهم بشراً.

---

(١) انظر: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، لسفر بن عبد الرحمن الحوالي، (صـ ٢١٤)، مكتب الطيب لخدمة التراث، ١٩٩٩م.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة مؤلفين، (٢١/٢٤٨)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

ويحبذ الليبراليون اليوم التنظيم النشط من قبل الحكومة للاقتصاد من أجل صالح المنفعة العامة. وفي الواقع، فإنهم يؤيدون برامج الحكومة لتوفير ضمان اقتصادي، وللتخفف من معاناة الإنسان.

وهذه البرامج تتضمن : التأمين ضد البطالة، قوانين الحد الأدنى من الأجور، ومعاشات كبار السن، والتأمين الصحي.

ويؤمن الليبراليون المعاصرون بإعطاء الأهمية الأولى لحرية الفرد، غير أنهم يتمسكون بأن على الحكومة أن تزيل بشكل فعال العقبات التي تواجه التمتع بتلك الحرية. واليوم يطلق على أولئك الذي يؤيدون الأفكار الليبرالية القديمة : المحافظون.

- ويلاحظ أن الليبرالية تختلف من عصر إلى عصر ومن فيلسوف إلى فيلسوف ومن بلد إلى بلد فالليبرالية الكلايسيكية لا تتدخل الدولة في الحريات، أما في الليبرالية المعاصرة فقد تغير ذلك وطلبوا تدخل الدولة لتنظيم الحريات وإزالة العقبات التي تكون سبباً في عدم التمتع بتلك الحريات.

المطلب الخامس

مجالات الليبرالية

تعددت مجالات الليبرالية بحسب النشاط الإنساني، فالليبرالية مفهوم شمولي يتعلق بإرادة الإنسان وحريته في تحقيق هذه الإرادة" إن خصوصية الليبرالي عامة أنه يرى في الحرية أصل الإنسانية الحقة وباعثة التاريخ. وخير دواء لكل نقص أو تعثر أو انكسار".[١] وأبرز هذه المجالات: المجال السياسي، والمجال الاقتصادي.

المجال الأول: الليبرالية السياسية:

ففي موسوعة لالاند الفلسفية: " الليبرالية: مذهب سياسي يرى أن من المستحسن أن تزاد إلى أبعد حد ممكن استقلالية السلطة التشريعية والسلطة القضائية بالنسبة إلى السلطة الإجرائية التنفيذية، وأن يعطى للمواطنين أكبر قد من الضمانات في مواجهة تعسف الحكم".[٢]

و" الليبرالية liberalism فلسفة سياسية ظهرت في أوربا في أوائل القرن التاسع عشر.. تعارض المؤسسات السياسية والدينية التي تحد من الحرية الفردية، وتنادي بأن الإنسان كائن خير عقلاني، وتطالب بحقه في التعبير وتكافؤ الفرص والثقافة الواسعة".[٣]

"وقد أدت الثورات الليبرالية إلى قيام حكومات عديدة تستند إلى دستور قائم على موافقة المحكومين. وقد وضعت مثل هذه الحكومات الدستورية العديد من لوائح الحقوق التي أعلنت

---

[١] مفهوم الحرية، لعبدالله العروي، (صـ٥١١).

[٢] موسوعة لا لاند الفلسفية ، لأندريه لالاند،(٧٢٥/٢)،

[٣] موسوعة المورد العربية، لمنير البعلبكي، (١٠٥٠/٢)،

حقوق الأفراد في مجالات الرأي والصحافة والاجتماع والدين. كذلك حاولت لوائح الحقوق أن توفر ضمانات ضد سوء استعمال السلطة من قبل الشرطة والمحاكم".[١]

ومع ذلك فإن الليبرالية تطالب من الدول الديمقراطية مزيداً من الحريات تطالب بالتخفف من السلطة على الأفراد ليحصل بذلك الفرد على حريته. ثم إن وظائف الدولة يجب أن تحصر في الشرطة والعدل والدفاع العسكري بمواجهة الأجنبي".[٢]

ويظهر من ذلك المطالبة بغياب الدولة إلا فيما يتعلق بالحماية العامة للمجتمع، وهذا هو رأي الليبراليين الكلاسيكيين. وقد انقرض هذا الرأي في الليبرالية المعاصرة التي جنحت إلى اعتبار الحرية الفردية هدفاً ولو بتدخل الدولة. بينما كان المذهب الأساسي عند الكلاسيكيين المطالبة بغياب الدولة مهما تكن نتائجه على الفرد".[٣]

وقد اختلف الليبراليون الكلاسيكيون مع الديمقراطيين في من يملك حق التشريع العام، فالديمقراطيون يرون أن الأكثرية هي التي تقرر وتشرع وتمسك بزمام السلطة. أما الليبراليون فقد اهتموا بحماية الفرد من الأذى، وأن هذا هو مهمة القانون بدل التشديد على حق الآخرين بسبب الأكثرية، وهذه من نقاط التصادم بينهم".[٤]

ولكن الليبرالية اختلفت في الواقع المعاصر عما كانت عليه سابقاً. ويمكن أن نطلق على التوجه الجديد(الليبرالية الجديدة) وبرروا ذلك بأنه نتيجة لعدم مسايرة الليبرالية التقليدية للتطور الذي

---

[١] الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة مؤلفين، (٢١/٢٤٨).

[٢] الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة مؤلفين، (٢١/٢٤٨).

[٣] موسوعة لا لاند الفلسفية، لأندريه لالاند،(٢/٧٢٦)،

[٤] الموسوعة الفلسفية العربية، لمجموعة مؤلفين، (٢/ ١١٦٠).

شهده العالم كان ذلك هو السبب في ولادة ليبرالية جديدة تتلاءم مع ظروف المجتمع الجديد، وهي ليبرالية ما بعد الحرب العالمية الثانية".[١]

والفرق بينهما(الليبرالية الكلاسيكية والديمقراطية) فيما يتعلق بالسياسة هو:

أن دور الدولة في ظل النظرة الجديدة يجب أن يكون أكبر، فلها مهمة أساسية هي تحديد الإطار القانوني للمؤسسات التي يدور فيها النشاط الاقتصادي، وقد حدد منظرو الليبرالية الجديدة دور الدولة الذي يجب أن تقوم به بما يلي-:

1-أن تعمل كل جهدها ضد التضخم والانكماش.

2-أن تحد بشكل معتدل من سلطة الاحتكار وبشكل تتابعي.

3-أن تؤمم فقط الاحتكارات التي لا يمكن للقطاع الخاص تأمينه.

4-أن تتحمل كافة الخدمات العامة.

5-أن تعطي الفرص والموارد بالتساوي.

6-أن تطبق التخطيط التأثيري من أجل التقليل من المخاطر التي قد تحدث.

7-أن تطبق التخطيط المركزي عندما يقتضي أن يكون هناك عمل تغير بنائي.

8-أن تتدخل عندما يكون هناك خلل في ميكانيكية السوق".[٢]

المجال الثانى: الليبراليـة الاقتصادية:

---

[١] مقال : في الدولة الليبرالية ، مجلة المؤرخ العربي ،عدد ٣٥،(صـ٧٣).

[٢] المرجع السابق،(صـ٧٣).

الليبرالية الاقتصادية: " مذهب اقتصادي يرى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتولى وظائف صناعية، ولا وظائف تجارية، وأنها لا يحق لها التدخل في العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الأفراد والطبقات أو الأمم. بهذا المعنى يقال غالباً ليبرالية اقتصادية".[١]

ويلاحظ أن هذا التعريف واقع على الليبرالية الكلاسيكية قبل التحول الكبير الذي تم في الليبرالية الجديدة على نحو ما سيأتي، ويطلق لفظ الليبرالية أيضاً على سياسة اقتصادية نشأت في القرن التاسع عشر متأثرة بآراء آدم سميث بخاصة، وأكدت على حرية التجارة وحرية المنافسة، وعارضت تدخل الدولة في الاقتصاد".[٢]

والليبرالية الاقتصادية وثيقة الصلة بالليبرالية السياسية، ويعتقد الليبراليون أن الحكومة التي تحكم بالحد الأدنى يكون حكمها هو الأفضل.. ويرون أن الاقتصاد ينظم نفسه بنفسه إذا ما ترك يعمل بمفرده حراً ، ويرون أن تنظيمات الحكومة ليست ضرورية".[٣]

وأبرز النظم الاقتصادية الليبرالية هو نظام "الرأسمالية" التي رتّب أفكاره عالم الاقتصاد الاسكتلندي آدم سميث". في كتابه (ثروة الأمم). ويدخل في الحرية التي يطالب بها الليبراليون حرية حركة المال والتجارة، وحرية العمل وحرية التعاقد، وحرية ممارسة أي مهنة أو نشاط اقتصادي آخذاً من الشعار الشهير للثورة الفرنسية " دعه يعمل دعه يمر." والذي يحكم قواعد اللعبة الاقتصادية وقيمها هو سوق العرض والطلب دون أي تقييد حكومي أو نقابة عمالية. فللعامل الحرية في العمل أو الترك كما لصاحب رأس المال الحرية المطلقة في توظيف العدد الذي يريد بالأجرة التي يريد".[٤]

---

[١] موسوعة لا لاند الفلسفية، لأندريه لالاند،(٢/٧٢٦)،

[٢] موسوعة المورد العربية، لمنير البعلبكي، (٢/١٠٥٠)،

[٣] الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة مؤلفين، (٢١/٢٤٨).

[٤] الليبرالية المتوحشة ملاحظات حول التوجهات الجديدة للرأسمالية المعاصرة، لرمزى زكى، (صـ٤١)، دار المستقبل العربى، ١٩٩٣م.

ولكن سبق أن ذكرنا أن المفهوم الليبرالي تغير وبرزت الليبرالية الجديدة عل السطح بعد الحرب العالمية الثانية بسبب الأزمات الاقتصادية الخانقة والكساد وذلك لتمركز رأس المال وظهور الاحتكارات الصناعية الضخمة، وانهيار قاعدة الصرف بالذهب وأزمة الثورات العمالية في ألمانيا مما جعل الحكومات تتدخل لإنعاش الاقتصاد فتغيرت الأيديولوجية الليبرالية إلى القول بأهمية تدخل الحكومة لتنظيم السوق".[١]

وقد فصل صاحب كتاب " الليبرالية المتوحشة " كيفية تدخل الدولة لإنعاش الاقتصاد وإصلاح السوق، وبهذه المرحلة تغيب شمس الليبرالية الكلاسيكية حيث أبطل الواقع فكرة إصلاح السوق لنفسه لتبرز إلى السطح الليبرالية الجديدة بقوة. وقد أطيل النفس في مراحل الاقتصاد الليبرالي في الكتاب سابق الذكر، ونقد فكر الليبرالية الجديدة واقعياً ببيان انحدار الازدهار الاقتصادي الذي حققته الرأسمالية بعد الحرب الكونية الثانية، فبدأت معدلات النمو الاقتصادي في التراجع وارتفعت معدلات البطالة والطاقة المعطلة، وانخفضت معدلات نمو الإنتاجية".[٢]

---

[١] الليبرالية المتوحشة ملاحظات حول التوجهات الجديدة للرأسمالية المعاصرة، لرمزى زكى،(صـ٤٧-٥١).
المرجع السابق، (صـ٤٧-٥١).

المبحث الثانى

شبهات الفكر الليبرالي والرد عليها

ويتمثل في ستة مطالب:

المطلب الأول: شبهة التكفير.

المطلب الثانى: شبهة الليبرالية آلة لا عقيدة.

المطلب الثالث: شبهة الليبرالية تشتمل على بعض الإيجابيات.

المطلب الرابع: شبهة نسبية الحقيقة.

المطلب الخامس: شبهة جواز صلاة النساء بجوار الرجال، وإمامة المرأة للرجل.

المطلب السادس: آثار الفكر الليبرالي على الإسلام.

المبحث الثانى

شبهات الفكر الليبرالي والرد عليها

لقد بنيت الليبرالية على أساس مادي لا يرتبط بالقيم والأخلاق، وقد تبين لنا فيما تقدم أثر الحرية الفردية على المجتمع الغربي، فالأنانية واتباع الهوى، وما يترتب عليهما من انعكاسات أمور محمودة عندهم لأنها تحقيق لذاتية الإنسان وفرديته، وهذا ما أوصل المجتمع إلى التعامل بطريقة غير أخلاقية في سياسته واقتصاده، فقد أصبح الحديث عن الأخلاق في مجال المال والاقتصاد مثار سخرية وتندر لدى الليبراليين لأنه لا مجال للحديث عن القيم الأخلاقية في الأمور الاجتماعية، فالأخلاق هي العمل أيا كان تقويمه من حيث الجودة أو الرداءة، فالإنسان الأخلاقي هو الإنسان المنتج، وهذا ما جعل الأخلاق لا قيمة لها في الحقيقة. فانتشرت بسببها: الأثرة، والظلم، واتباع الهوى.[١] لذا يردد بعض المفتونين بالليبرالية عدداً من الشبهات يعارضون بها الحكم السابق عليها، منها:

---

[١] انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، لسليمان الخراشي، (صـ١٥٦)، ١٤٢٩هـ.

المطلب الأول

شبهة التكفير

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

هذه الشبهة تظهر في الحكم على كل مذهب إلحادي يفد على البلاد الإسلامية، حيث يقولون: "**إن بعض الليبراليين ينطقون الشهادتين، ويصلون، ويؤدون الشعائر التعبدية، والقول بأن الليبرالية عقيدة كفرية يكون بمثابة تكفير المسلمين، وهذه هي عقيدة الخوارج الضالين**".[١]

٢- مضمون الشبهة:

- تقوم الشبهة على الربط بين وصف الليبرالية كمنظومة فكرية بأنها كفرية أو مناقضة للإسلام، وبين الحكم على الأعيان المنتسبين للإسلام والمتأثرين بالليبرالية بالكفر.
- ثم تصف هذا الربط بأنه: تكفير للمسلمين، وموافقة لمنهج الخوارج في التكفير.

٣- هدف الشبهة:

- تحصين الفكر الليبرالي من النقد العقدي.
- خلط الأحكام على الأفكار بالأحكام على الأشخاص.
- إسكات الخطاب العقدي الإسلامي عبر تخويفه بتهمة التكفير والخوارج.
- إضفاء الشرعية الدينية على الليبرالية بزعم توافقها مع الإسلام.

[١] موقع الحصن للدفاع عن الإسلام والرد على الشبهات، شبهات الليبراليين والرد عليها، ٢ يناير ٢٠٢٦،

https://www.alhesn.net https://www.alhesn.net

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين الحكم على الفكرة والحكم على صاحب الفكرة.
- مصادرة محل النزاع: إذ تفترض أن وصف الفكرة بالكفر يساوي تكفير الأفراد.
- مغالطة القياس: تشبيه نقد الليبرالية بمنهج الخوارج، دون تحقق مناط التكفير.
- تجاهل القواعد الشرعية في التفريق بين الكفر المطلق وتكفير المعيّن.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين يقولون أنه يمكن للمسلم أن يظل ملتزمًا بالشعائر الدينية، وفي الوقت نفسه يتبنى القيم الليبرالية الحديثة دون أن يُعَدّ ذلك تناقضًا إيمانيًا.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدمت الشبهة لتعزيز فكرة قابلية الإسلام للعلمنة، وتصوير الخطاب العقدي كخطاب إقصائي.[٣]

---

[١] انظر: انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية،(صـ٢٢)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.

[٢] Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998, , 3–5. 23–27.

كورزمان، تشارلز (محرر). الإسلام الليبرالي: كتاب مصادر. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٨م، ص ٣-٥.٢٣-٢٧.

[٣] Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998, , 3–5. 23–27.

كورزمان، تشارلز (محرر). الإسلام الليبرالي: كتاب مصادر. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٨م، ص ٣-٥.٢٣-٢٧.

- **في الوسط الإسلامي:** إرباك المفاهيم العقدية، وإحجام العلماء عن نقد الأفكار خوفًا من تهمة التكفير، وانتشار النسبية العقدية.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- العقل يفرق بين الوصف والتعيين.
- الحكم على الشيوعية أو العلمانية أو الليبرالية بأنها مناقضة للتوحيد(حكم على كل من تأثر بها بالكفر).
- إن القول قد يكون كفرًا، ويطلق القول بتكفير قائله، لكن الشخص المعيّن لا يُحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة.[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- تاريخ الأمة مليء بـ: بدع عقدية، أفكار فلسفية منحرفة، ومع ذلك لم يُكفّر جميع المنتسبين لها.
- مثال: المعتزلة: قولهم بخلق القرآن كفر عند السلف، ومع ذلك لم يُكفّر عمومهم بأعيانهم.[٣]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يقولون إن الليبرالية الغربية قامت على نزع القداسة عن التشريع، وهو ما يصطدم مباشرة بالأديان التشريعية.[١]

---

[١] انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية،(صـ٢٢).

[٢] انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، لأبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (المتوفى ٤١٨ هـ)،(٦/١٠)، المحقق: نشأت بن كمال المصري ،دار البصيرة، الإسكندرية، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

[٣] انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، لأبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (المتوفى ٤١٨ هـ)،(٦/١٠).

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يذكر مبدأ عام: لا يمكن للإنسان أن يكون ملتزمًا في نفس الوقت للسيادة المطلقة لله ولسيادة مطلقة أخرى (مال أو سلطة بشرية أو أي مرجعية غير إلهية) وهو مبدأ يوافق: استحالة الجمع بين مرجعية إلهية مطلقة، ومرجعية إنسانية تشريعية مطلقة، وهو جوهر الليبرالية:" لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، فَإِنْ أَوْحَدَهُ أَحَدُ، يُبْغِضُ الآخَرَ، أَوْيُقْتَرِبُ إِلَى الآخَرِ".[٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

وهذه الشبهة لها ردود من عدة أوجه:

الوجه الأول: حكم التكفير[(٣)]:

---

[١] Renan, Ernest. Averroès et l'averroïsme: essai historique. Paris: Michel Lévy frères, 1861.p54

رينان، إرنست. أفرويس وإفرويسية: دراسة تاريخية. باريس: ميشيل ليفي فرير، ١٨٦١م.ص٥٤.

[٢] انجيل متى، الإصحاح ٦ ، الآيه ٢٤

[(٣)] التكفير متعلق بإنزال أحكام الكفر، ولذا فعلينا أن نُعرِّف الكفر أولًا؛ لأنه من المقرر أن الحكم على شيء فرع عن تصوره:

تعريف الكفر: الكُفْرُ لغة: نقيض الإيمان، وللكفر معانٍ أخرى كجحود النعمة، وغير ذلك، وهي مذكورة في المعاجم، يقال: كَفَرَ بالله (من باب نصر) يَكْفُر كُفْرًا وكُفُورًا وكُفْرانًا، فهو كَافِر، والجمع: كُفَّارٌ، وكَفَرَةٌ. وهو: كَفَّارٌ أيضًا، وهو: كَفُور، والجمع: كُفُرٌ. وهي: كافرة، والجمع: كَوَافِر. **انظر**: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،(١٤٤/٥). دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

وقال الراغب الأصفهاني": [ويقال: (كفر فلان) إذا اعتقد الكفر، ويقال ذلك: إذا أظهر الكفر وإن لم يعتقد؛ ولذلك قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] اهـ.**انظر**: مفردات ألفاظ القرآن، لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (١/ ٤٣٥)، دارالقلم، الطبعة: الثانية، ١٤٤١هـ.

الوصف بالكفر دائر بين حكمين؛ أحدهما: التحريم: وذلك إذا كان من يوصف بالكفر مسلمًا باقيًا على إسلامه، ولم يقم الدليل على كفره؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾[(١)]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ"[(٢)]، وقوله: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[(٣)]

ثانيهما: الوجوب: إذا كان وصف الكفر صادرًا ممن هو أهل له من المفتين والقضاة، وكان من وصف به مستحقًّا له ممن توافر فيه شروط الكفر سابقة الذكر.

الوجه الثاني: التكفير مسألة فقهية من اختصاص أهل الفتوى والقضاء:

التكفير مسألة فقهية، بمعنى أنها حكم شرعي يوصف به فعل من كان مكلفًا بالشرع، قال **الإمام الغزالي**[(٤)]:[إن هذه مسألة فقهية، أعني الحكم بتكفير من قال قولًا وتعاطى فعلًا، فإنها تارة تكون معلومة بأدلة سمعية، وتارة تكون مظنونة بالاجتهاد، ولا مجال لدليل العقل فيها

والكُفْر شرعًا: [إنكار ما علم ضرورةً أنَّه من دين سيدنا محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم كإنكار وجود الصَّانع، ونبوَّته صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة الزِّنا ونحو ذلك] اهـ. **انظر**: " المنثور في القواعد الفقهية، لأبى عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، (٣/ ٨٤)، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(١) سورة النساء،الآية، ٩٤

(٢) صحيح البخاري،كِتَابُ الصَّلاَةِ ، بَابُ فَضْلِ اسْتِقْبَالِ القِبْلَةِ ،(١/٨٧برقم٣٩١).

(٣) المرجع السابق، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ،(٨/٢٦برقم٦١٠٣).

(٤) سبق ترجمته، (صـ٥١٧)

البتة، ولا يمكن تفهيم هذا إلا بعد تفهيم قولنا: إن هذا الشخص كافر والكشف عن معناه، وذلك يرجع إلى الإخبار عن مستقره في الدار الآخرة وأنه في النار على التأبيد، وعن حكمه في الدنيا وأنه لا يجب القصاص بقتله ولا يمكن من نكاح مسلمة ولا عصمة لدمه وماله، إلى غير ذلك من الأحكام] . [(١)]

وقال الإمام السبكي[(٢)]:[التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية أو الوحدانية أو الرسالة أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحدًا] . [(٣)]

وقال العلامة الشهرستاني[(٤)]:[وللأصوليين خلاف في تكفير أهل الأهواء مع قطعهم بأن المصيب واحد بعينه؛ لأن التكفير حكم شرعي، والتصويب حكم عقلي] . [(٥)]

الوجه الثالث: يجب على المفتين والقضاة الاحتياط في إنزال حكم الكفر المعين:

على الرغم من أن قضية إنزال حكم الكفر خاصة بالمفتين والقضاة إلا أن العلماء لم يفُتهم أن ينبهوا على الاحتياط في هذا الشأن؛ لذلك تضافرت أدلة الشرع الشريف على وجوب الاحتياط

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، (صـ١٣٣)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م

(٢) السبكي، تقي الدين (٦٨٣ – ٧٥٦ هـ، ١٢٨٤ – ١٣٥٥ م) تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي والد بهاء الدين وعبد الوهاب السبكي. فقيه شافعي مفسِّر حافظ أصولي نحوي لغوي مقرئ بياني جدلي. ولد بسُبْك (قرية مصرية من قرى محافظة المنوفية) وإليها ينسب. من مصنفاته: تفسير القرآن وشرح المنهاج في الفقه للنووي؛ توفي بالقاهرة.**انظر**: معجم الشيوخ، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، (١/٢٧٧برقم٨٥).

(٣) فتاوى السبكي، لأبى الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي(المتوفى: ٧٥٦هـ)، (٢/٥٨٦)، دار المعارف.

(٤) سبق ترجمت، (صـ٤٦٩).

(٥) الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)،(٢/٧).

في تكفير المسلم، قال تعالى﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [(١)]، فحذرهم من التسرع في التكفير، وأمرهم بالتثبت في حق من ظهرت منه علامات الإسلام في موطن ليس أهله بمسلمين.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «..ومَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ –رجعت عليه– عَلَيْهِ»[(٢)]وعليه: فلا ينبغي التسرع في تكفير المسلم متى أمكن حمل كلامه على محمل حسن، وما يشك في أنه كفر لا يحكم به، فإن المسلم لا يخرجه عن الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه؛ إذ الإسلام الثابت لا يزول بالشك، وقد تتابعت كلمات العلماء على تقرير هذا الأمر، أذكر منها ما يلي:

قال الإمام الغزالي[(٣)]: [والذي ينبغي أن يميل المحصِّلُ إليه الاحترازُ من التكفير ما وجد إليه سبيلًا، فإن استباحة الأموال والدماء من المصلين إلى القبلة، المصرحين بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، خطأ، والخطأ في ترك تكفير ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم امرئ مسلم، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»[(٤)]] . [(٥)]

وجاء في ""البحر الرائق": [روى الطحاوي عن أصحابنا لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه، وما يشك في أنه ردة لا يحكم به؛ إذ الإسلام الثابت لا يزول بالشك مع أن الإسلام يعلو وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا ألا يبادر بتكفير أهل الإسلام. وفي "الفتاوى

---

(١) سورة النساء،الآية، ٩٤

(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ ، بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ،(٧٩/١برقم ٦١).

(٣) سبق ترجمته، (صـ٥١٧)

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة: ٥]،(١٤/١برقم٢٥).

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(صـ١٣٥).

الصغرى": الكفر شيء عظيم، فلا أجعل المؤمن كافرًا متى وجدت رواية أنه لا يكفر. وفي "الخلاصة" وغيرها: إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسينًا للظَّنِّ بالمسلم. زاد في "البزازية": إلا إذا صرح بإرادة موجب الكفر فلا ينفعه التأويل حينئذٍ. وفي "التتارخانية": لا يكفر بالمحتمل لأن الكفر نهاية في العقوبة فيستدعي نهاية في الجناية ومع الاحتمال لا نهاية] . (١)

وقال الإمام الهيتمي رحمه الله (٢): [ينبغي للمفتي أن يحتاط في التكفير ما أمكنه لعظيم خطره وغلبة عدم قصده سيما من العوام] . (٣)

الوجه الرابع: الكفر يكون باستحلال نواقض الإيمان والإسلام:

وذلك أن ثبوت الإسلام للإنسان يشترط له بالإضافة إلى الإتيان بالواجبات المذكورة في الشبهة وغيرها: ترك النواقض والمبطلات لحقيقة الإيمان والإسلام، فمن يأتي بهذه الواجبات، وهو قائم على نواقض الإيمان، فإنها لا تنفعه حتى يترك النواقض.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)،(١٣٤/٥)،وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية – بدون تاريخ

(٢) ابن حجر الهيتمي (٩٠٩ – ٩٧٤ هـ = ١٥٠٤ – ١٥٦٧ م)أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته. تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكة.له تصانيف كثيرة، منها:مبلغ الأرب في فضائل العرب – ط(الجوهر المنظم – ط) رحلة إلى المدينة.**انظر:** الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(٢٣٤/١).

(٣) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، (٨٨/٩)، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٥٧ هـ – ١٩٨٣ م

ولهذا حذرت الشريعة الإسلامية من "نواقض الإيمان"، وبينت خطورتها، فقد يكفر الإنسان ويخرج من الملة، وهو لا يزال يشهد أن لا إله إلا الله ويؤدي بعض الواجبات، وهذه حقيقة شرعية قطعية.

وهذه الحقيقة موجودة في كل دين، لأنه ما من دين إلا ويوجد له نواقض إذا وجدت بطل أصل هذا الدين، وكذلك الأمر في العبادات كالصلاة والوضوء وغيرها لو أتى الفرد بواجباتها وارتكب مبطلاتها لم تنفعه هذه الواجبات.

ومن المعلوم المجمع عليه عند أهل السنة والجماعة أن لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) شروطاً عظيمة وليست مجرد كلمة تقال بالألسن، ومن هذه الشروط: الانقياد والقبول والتسليم والإخلاص وغيرها. ولهذا لم يعتبر الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إقرار الحبرين من اليهود بأنه "رسول الله " لأنهما لم يلتزما بالإسلام، وفي الحديث أنهما: (قبلا يديه، وقالا: نشهد أنك نبي. قال: فما يمنعكما أن تتبعاني، قالا: إن داود عليه السلام دعا ألا يزال من ذريته نبي، وإنا نخشى إن أسلمنا تقتلنا يهود) [(١)].[(٢)]

قال الإمام الغزالي[(٣)]: [كل حكم شرعي يدعيه مدعٍ فإما أن يعرفه بأصل من أصول الشرع من إجماع أو نقل أو بقياس على أصل، وكذلك كون الشخص كافرًا إما أن يدرك بأصل أو بقياس على ذلك الأصل، والأصل المقطوع به أن كل من كذَّب محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر] . [(٤)]

الوجه الخامس: لا يكفر المسلم بذنب فعله:

[(١)] مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، (١٢/٣٠برقم١٨٠٩٢).

[(٢)] الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر،(صـ٧٨).

[(٣)] سبق ترجمته، (صـ٥١٧)

[(٤)] الاقتصاد في الاعتقاد، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، (صـ١٣٤).

من أصول عقيدة المسلمين أنهم لا يكفرون أحدًا من المسلمين بذنب، ولو كان من كبائر الذنوب –في ما دون الشرك– قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[1]، فإنهم لا يحكمون على مرتكبها بالكفر، وإنما يحكمون عليه بالفسق ونقص الإيمان ما لم يستحله؛ لأن أصل الكفر هو التكذيب المتعمد، وشرح الصدر له، وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه. قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[2]

قال الإمام النووي[3]:[اعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع –الخوارج، المعتزلة، الرافضة، وغيره، وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه، فيعرف ذلك، فإن استمرَّ حكم بكفره، وكذا حكم من استحلَّ الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة] .[4]

ومما ذكر يتبين لنا حقيقة التكفير، وحكمه، وضوابطه، وتبين لنا أنه وظيفة القاضي والمفتي، ولا يجوز لغيرهما التجرؤ والافتيات عليهما فيه، لما في ذلك السلوك من المخاطر الشديدة، على الفرد والمجتمع.

---

[1] سورة النساء،الآية، ٤٨

[2] سورة النحل،الآية، ١٠٦

[3] سبق ترجمته، (صـ٧٤).

[4] البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي،(٥٧/١). دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ – ١٤٣٦ هـ).

المطلب الثانى

شبهة الليبرالية آلة لا عقيدة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"الليبرالية ليست عقيدة بل أداة لتحديث المجتمع يمكن تكييفها مع الإسلام، ويمكن وضع قيود شرعية عليها".[١]

٢- مضمون الشبهة:

- ترى هذه الشبهة أن الليبرالية ليست منظومة عقائدية يمكن أن تكون إيمانًا أو كفرًا، بل هي أداة اجتماعية أو سياسية.
- يمكن الاستفادة منها لتطوير المجتمع مع الالتزام بالضوابط الشرعية.

٣- هدف الشبهة:

- تهدف إلى تبرير التفاعل مع الفكر الليبرالي الغربي دون اعتبار ذلك خروجًا عن الإسلام.
- إقناع المسلمين بأن تبني بعض القيم أو المؤسسات الليبرالية لا يتعارض مع العقيدة الإسلامية إذا تمت تقييدها بالشرع.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- هل يمكن بالفعل فصل النظام السياسي أو الاجتماعي عن القيم العقائدية؟

---

[١] Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998. 23–27.

كورزمان، تشارلز (محرر). الإسلام الليبرالي: كتاب مصادر. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٨م، ص ٢٣-٢٧.

- هل الليبرالية محايدة من الناحية الأخلاقية والعقائدية أم أنها تحمل قيمًا أساسية تتعارض مع الإسلام؟
- هل تقييد الليبرالية بالشرع ممكن عمليًا أم أنه تناقض جوهري في المبادئ؟.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين يقولون كيف أن بعض المفكرين المسلمين يرون الليبرالية أداة اجتماعية يمكن تكييفها مع الشريعة.[٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** اعتبرت هذه الشبهة مؤشرًا على محاولات الإسلام التكيفي أو الإصلاحي، مما ساعد المستشرقين على تصوير الإسلام كدين مرن وقابل للحداثة.[٣]

---

[١] انظر: إسلامنا في مواجهة الحداثة، لمحمد عمارة،(صـ ٧٨-٩٥)، دار الفكر العربي، القاهرة. وانظر:الإسلام والفكر السياسي المعاصر، لعبد الهادي التازي،(صـ ١١٢-١٣٠)،دار الثقافة، الرباط.وانظر:التيارات الفكرية في الإسلام،، لجواد علي،(صـ ٢٠٠-٢١٥)، دار الفكر، دمشق.

[٢] Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998. 23–27.

كورزمان، تشارلز (محرر). الإسلام الليبرالي: كتاب مصادر. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٨م، ص ٢٣-٢٧.

[٣] Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998. 23–27.

كورزمان، تشارلز (محرر). الإسلام الليبرالي: كتاب مصادر. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٨م، ص ٢٣-٢٧.

- **في الوسط الإسلامي:** أدت إلى جدل واسع حول التوفيق بين الشريعة والحداثة، وظهور فكر إسلامي ليبرالي يسعى إلى تكييف القيم الغربية مع النصوص الإسلامية.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- المفارقة الأساسية: إذا كانت الليبرالية تحمل مبادئ أساسية مثل حرية مطلقة، فردانية، فصل الدين عن الدولة، فإن محاولة تقييدها بالشرع تصبح متناقضة.
- العقل والمنطق يقول: لا يمكن أن تكون أداة مطلقة وقابلة للتكييف مع قواعد صارمة في نفس الوقت.[2]

٢– نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- تاريخيًا، الليبرالية الغربية نشأت كرد فعل على الدين التشريعي، وبالتالي ليست مجرد أداة محايدة.
- تجارب الدول الإسلامية التي حاولت دمج الليبرالية مع الشريعة غالبًا أدت إلى صراعات بين السلطة الدينية والقيم السياسية.[3]

٣– شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يقولون تبين كيف أن الليبرالية تفصل بين القانون والدين، وهو ما يوضح عدم حيادها العقائدي.[1]

---

[1] انظر: إسلامنا في مواجهة الحداثة، لمحمد عمارة،(صـ ٧٨–٩٥). وانظر :الإسلام والفكر السياسي المعاصر، لعبد الهادي التازي،(صـ ١١٢–١٣٠).وانظر:التيارات الفكرية في الإسلام،، لجواد علي،(صـ ٢٠٠–٢١٥).

[2] انظر: تاريخ الفلسفة السياسية الغربية، لعبد الله إبراهيم، (صـ ١٢٠–١٣٥)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٣م،وانظر:إسلامنا في مواجهة الحداثة، محمد عمارة،(صـ ٧٨–٩٥)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤م

[3] انظر: تاريخ الفلسفة السياسية الغربية، لعبد الله إبراهيم، (صـ ١٢٠–١٣٥).وانظر:إسلامنا في مواجهة الحداثة، محمد عمارة،(صـ ٧٨–٩٥).

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يوضح استحالة الجمع بين مرجعية إلهية مطلقة ومرجعية بشرية مطلقة، وهو ما يتناقض مع فكرة تكييف الليبرالية بشكل كامل مع الشريعة:" لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، فَإِنْ أَوْحَدَهُ أَحَدُ، يُبْغِضُ الآخَرَ، أَوْيُقْتَرِبُ إِلَى الآخَرِ".[٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

الإسلام دين شامل ومنظم للعقيدة والحياة، ولا يمكن اعتبار الليبرالية أداة محايدة، لأنها تحمل مبادئ قد تخالف التوحيد والشرع.

ويبدو على هذه الشبهة أسلوب المخادعة، والهروب من الحقيقة، فإن من يدرس الليبرالية يتبين له أنها عقيدة فكرية متكاملة، وفلسفة مادية إلحادية، فدعوى أنها مجرد آلة هي هروب مما تتضمنه الليبرالية من مناقضة لأحوال الإسلام، وهذه الدعوى لا يوافق عليها أحد من مفكري الليبرالية المعروفين.

وإذا كان بعض الليبراليين يخادع نفسه بادعاء أن الليبرالية مجرد آلية فإن منهم من يصرح بأنها منهج للحياة، في قوله: " ومع أن الليبرالية هي مفهوم فلسفي، وطريقة تفكير وموقف من الحياة

---

[١] Laborde, Cécile. Liberalism’s Religion. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2017, 45–60.

لابورد، سيسيل. ديانة الليبرالية. كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، ٢٠١٧م، ص ٤٥-٦٠.

[٢] انجيل متى، الإصحاح ٦ ، الآيه ٢٤

أكثر منها آلية محددة للحكم، فإن الديمقراطية في معناها الشامل هي النتيجة الطبيعية للفكر الليبرالي".[١]

وقد تقدم الكلام على حقيقة الليبرالية وأسسها الفكرية، وبه يتبين أن الليبرالية منظومة فكرية متكاملة، وعقيدة سياسية واقتصادية محددة، وليست مجرد آلة كما يزعم البعض.[٢]

والجواب: على القائلين أنهم لا نقبل منها أي أمر يخالف شريعة الإسلام، حيث نؤقلمها مع عقيدتنا وظروفنا: فأقول: قد قيل مثل هذا ممن أراد الترويج للديمقراطية؛ مدعياً أنه لن يقبل بالتصويت على أمر مخالف للإسلام، وأنه..وأنه..إلى آخر القيود، فقيل لها: إذا قيدتها بهذه الأمور فلا تسميها " ديمقراطية"؛ لأنها لن تكون كذلك! سمها إسلاماً، ودع هذا التلاعب. ومثل هذا يقال لمن أراد أن يقيد الليبرالية بقيود الشرع؛ لأنها ستكون شيئا آخر غير الليبرالية.[٣]

---

(١) انظر:العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، لمحمد حامد الناصر، (صـ٤٠٩، ٤١٧)، مكتبة الكوثر – الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٢) الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر،(صـ٨٤).

(٣) انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، لسليمان الخراشي،(صـ١٧٢).

المطلب الثالث

شبهة الليبرالية تشتمل على بعض الإيجابيات

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

" الليبرالية الحديثة حررت الفرد وفتحت المجال للحقوق المدنية والمشاركة السياسية، وهو ما يرتبط بالجانب الإيجابي للاقتصاد والفردية ".[١]

٢- مضمون الشبهة:

- ترى هذه الشبهة أن الليبرالية ليست مجرد نظام سياسي أو اقتصادي سلبي، بل أنها ساهمت في تعزيز حرية الفرد وحقوقه المدنية.
- كما أنها فتحت المجال للمشاركة السياسية والاقتصادية، مثل المنافسة بين الشركات واكتشاف المخترعات.
- الهدف الضمني هو إظهار أن هذه الجوانب لا تتعارض مع الإسلام.

٣- هدف الشبهة:

- الترويج لفكرة أن تبني بعض عناصر الليبرالية لا يتناقض مع القيم الإسلامية.
- تبرير الانفتاح على الحداثة السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع الالتزام بالقيم الدينية.

---

[١] Bork, Robert H. Slouching Towards Gomorrah: Modern Liberalism and American Decline. New York: Regnery Publishing, 1996, 120–150.

بورك، روبرت هـ. الانحدار نحو غمورا: الليبرالية الحديثة وانحدار أمريكا. نيويورك: ريجنري للنشر، ١٩٩٦م، ص ١٢٠–١٥٠.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- هل من الممكن فصل الحرية الفردية والمشاركة السياسية عن الأيديولوجيا الليبرالية التي قد تحتوي على قيم تتناقض مع العقيدة؟
- هل الليبرالية حقًا موضوعية ومحايدة، أم أنها تحمل مبادئ ثقافية غربية جوهرية لا يمكن دمجها بالكامل مع الشريعة؟
- هل الإفراط في الربط بين الليبرالية والإيجابيات الاقتصادية والاجتماعية يتجاهل السلبيات المحتملة مثل الفردانية المفرطة أو الانفلات الأخلاقي؟.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين يوضحون كيف يرى بعض المفكرين المسلمين أن الليبرالية تحتوي على عناصر إيجابية مثل حقوق الإنسان، المشاركة السياسية، الحرية الاقتصادية.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدم بعض المستشرقين هذه الشبهة لتقديم صورة أن الإسلام يمكن أن يتفاعل إيجابيًا مع الحداثة الغربية.[٣]

---

[١] انظر: قضايا الدعوة الإسلامية من اليقظة إلى الصحوة، لأنور الجندى،(١٧/٩)، تقديم: علي بن نايف الشحود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،. القاهرة.

[٢] Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998. 23–27.

كورزمان، تشارلز (محرر). الإسلام الليبرالي: كتاب مصادر. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٨م، ص ٢٣-٢٧.

[٣] Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998. 23–27.

- **في الوسط الإسلامي:** أوجدت جدلًا حول التوفيق بين الشريعة والحداثة، وظهور تيارات الإسلام الليبرالي التي تحاول تكييف القيم الغربية ضمن الإطار الإسلامي.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- من المنطقي أن الحرية الفردية والمشاركة السياسية والحقوق المدنية ليست حصراً إيجابيات محايدة، بل هي مرتبطة بمبادئ الليبرالية الجوهرية التي قد تتعارض مع العقيدة.
- محاولة فصل الفوائد عن المبادئ الأساسية قد تكون تناقضًا منطقيًا.[2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- تاريخيًا، الليبرالية الغربية نشأت كرد فعل على الدين التشريعي، وليست مجرد أداة محايدة.
- تجارب الدول الإسلامية التي حاولت دمج الليبرالية مع الشريعة غالبًا أدت إلى صراعات بين السلطة الدينية والقيم السياسية الحديثة.[3]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين الذين يتناولون أثر الليبرالية على الفرد وحقوق الإنسان والمشاركة المدنية، مع نقد للجانب الديني لكنها توضح الفوائد الاقتصادية والاجتماعية.[1]

كورزمان، تشارلز (محرر). الإسلام الليبرالي: كتاب مصادر. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٨م، ص ٢٣-٢٧.

[1] انظر: قضايا الدعوة الإسلامية من اليقظة إلى الصحوة، لأنور الجندى،(١٧/٩).

[2] انظر: إسلامنا في مواجهة الحداثة، لمحمد عمارة، (صـ ٧٨-٩٥)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤م.وانظر:الإسلام والفكر السياسي المعاصر، لعبد الهادي التازي، (صـ ١١٢-١٣٠)، دار الثقافة، الرباط، ٢٠٠٥م.

[3] انظر: إسلامنا في مواجهة الحداثة، لمحمد عمارة، (صـ ٧٨-٩٥).وانظر:الإسلام والفكر السياسي المعاصر، لعبد الهادي التازي، (صـ ١١٢-١٣٠).

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يوضح استحالة الجمع بين سيادة مطلقة لله وسيادة مطلقة للمرجعيات البشرية، مما يضع حداً لفكرة تكييف كل عناصر الليبرالية مع الدين:" لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، فَإِنْ أَوْحَدَهُ أَحَدُ، يُبْغِضُ الآخَرَ، أَوْيُقْتَرِبُ إِلَى الآخَرِ".[٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ويمكن الجواب عن هذه الشبهة من وجوه عدة: [(٣)]

الوجه الأول: أن وجود بعض الإيجابيات لا يدل على صحة هذا المذهب أو ذاك: لأنه ما من فكر باطل أو بدعة مخترعة إلا ويوجد فيها شيء من الحق كما قال تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"[(٤)]، فلا يكاد يوجد مذهب إلا وهو مشتمل على بعض الإيجابيات، ولكن ذلك لا يستلزم الصحة كما قال تعالى عن يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا"[(٥)].

الوجه الثانى: أن سلبيات الليبرالية ومساوئها أكثر: كاتباع الهوى، والظلم للفقراء والطبقات المتدنية، والحروب، والاحتلال وغيرها.

---

[١] Bork, Robert H. Slouching Towards Gomorrah: Modern Liberalism and American Decline. New York: Regnery Publishing, 1996, 120–150.

بورك، روبرت هـ. الانحدار نحو غومورا: الليبرالية الحديثة وانحدار المجتمع الأمريكي. نيويورك: دار ريجنري للنشر، ١٩٩٦م، ص ١٢٠-١٥٠.

[٢] انجيل متى، الإصحاح ٦ ، الآيه ٢٤

[(٣)] انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، لسليمان الخراشي، صـ١٦٩-١٧١.

[(٤)] سورة ال عمران،الآية، ٧١

[(٥)] سورة البقرة،الآية، ٢١٩

الوجه الثالث: أن إيجابيات الليبرالية لا تخلو من جوانب سلبية، لأنها حريات مفتوحة غير منضبطة: فالديمقراطية رفعت أصحاب رؤوس الأموال، وجعلتهم يتحكمون في المجتمع بأموالهم، وحقوق الإنسان فتح مجال الإلحاد، والفساد الأخلاقي إلى درجة الشذوذ.

الوجه الرابع: أن أي صفة إيجابية في مذهب باطل فإنها موجودة في دين الإسلام بأحسن وأكمل وأنقى من النقص من غيره: وهذا من كمال الدين وتمامه المنصوص عليه في قوله تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[(1)]، وفي قوله تعالى﴿ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ ﴾ [(2)]، وقوله تعالى﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ ﴾ [(3)]، فالأصل أنني لاأحتاج إلى أن أنتقل من المذاهب المنحرفة بحجة وجود إيجابيات فيها، فالخير ما دلنا عليه الإسلام والشر ما حذرنا منه، فكل خير موجود في الإسلام دون أي شائبة.

---

(1) سورة المائدة،الآية، ٣

(2) سورة الإسراء،الآية، ٩

(3) سورة ال عمران،الآية، ١٣٨

المطلب الرابع

شبهة نسبية الحقيقة

هذه الشبهة نشأت على يد الفلاسفة السوفسطائيين[(١)]، وذلك عندما ظهر تنوع المذاهب والأفكار في اليونان.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

" إن الحقيقة نسبية وتختلف من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى أخري، ومن وقت إلى آخر".[(٢)]

٢- مضمون الشبهة:

- تقوم الشبهة على إنكار وجود حقيقة مطلقة ثابتة.
- تزعم أن الحقائق الدينية والأخلاقية والمعرفية نتاج اجتماعي وثقافي متغير.
- تجعل العقل الإنساني والتجربة المرجع النهائي للحقيقة بدل الوحي.

---

(١) السوفسطائية : مأخوذةٌ من السفسطة، وهي: قياس مركب من الوهميات، وهم طائفة من فلاسفة اليونان ممن ينكرون الحسيات والبدهيات ، ومعناها باليوناني : (سوفا) اسم للعلم ، و (اسطا) اسم للغلط ، فسوفسطا : معناه علم الغلط ، ومثَّلوا لإنكارهم الحسيات بَأنَّ الأحول قد يرى الواحد اثنين ، والماشي يرى القمر ذاهبًا ؛ وعليه فلا يجزم بَأنَّ أيهم يعرف حقاً وأيهم يريد باطلاً. **انظر** : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، (١/٩٥٧)،تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.

(٢) آفاق فلسفيه عربية معاصرة، لطيب تيزينى، (صـ١٦٧)، دار الفكر المعاصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.

٣- هدف الشبهة:

- نزع صفة الإطلاق واليقين عن العقائد الدينية.
- تبرير التعددية العقدية والأخلاقية ورفض الحكم بالحق والباطل.
- فتح الباب لقبول جميع الأديان والمذاهب على قدم المساواة.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- التناقض الذاتي: إذا كانت كل حقيقة نسبية، فهذه القضية نفسها هل هي نسبية أم مطلقة؟
- استحالة المعرفة: النسبية الشاملة تؤدي إلى الشك المطلق، وهو هدم للعلم والعقل.
- إبطال القيم: لا يبقى معيار للعدل أو الظلم أو الصواب والخطأ. [١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين أسسوا لفكرة أن الحقيقة تأويل لا واقع ثابت. [٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تبرير قراءة النصوص الدينية بوصفها نتاجًا تاريخيًا،، وإنكار المرجعية الإلهية المطلقة. [٣]

---

[١] انظر: قضايا الدعوة الإسلامية من اليقظة إلى الصحوة، لأنور الجندى،(٥/٨١).

[٢] Nietzsche, Friedrich. Beyond Good and Evil: Prelude to a Philosophy of the Future. Translated by Walter Kaufmann. New York: Vintage Books, 1989, §§1–2, pp. 11–13.

نيتشه، فريدريك. ما وراء الخير والشر: تمهيد لفلسفة المستقبل. ترجمة: والتر كوفمان. نيويورك: دار فنتج للنشر، ١٩٨٩م، الفقرتان ١-٢، ص ١١-١٣.

[٣] Nietzsche, Friedrich. Beyond Good and Evil: Prelude to a Philosophy of the Future. Translated by Walter Kaufmann. New York: Vintage Books, 1989, §§1–2, pp. 11–13.

- **في الوسط الإسلامي:** انتشار النسبية العقدية، والتشكيك في القطعيات، وإحجام عن الحكم العقدي بحجة اختلاف الزمان والمكان.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- القول بنسبية الحقيقة المطلقة ينقض نفسه.
- العقل الإنساني يدرك بداهة وجود حقائق ثابتة (كالرياضيات والمنطق).[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الحضارات قامت على حقائق كلية لا نسبية.
- النسبية المطلقة لم تنتج حضارة مستقرة، بل فوضى معرفية.[٣]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أقروا بضرورة الحقيقة المطلقة للدين في بناء الحضارة.[٤]

نيتشه، فريدريك. ما وراء الخير والشر: تمهيد لفلسفة المستقبل. ترجمة: والتر كوفمان. نيويورك: دار فنتج للنشر، ١٩٨٩م، الفقرتان ١-٢، ص ١١-١٣.

[١] انظر: قضايا الدعوة الإسلامية من اليقظة إلى الصحوة، لأنور الجندى،(٥/٨١).

[٢] انظر: إسلامنا في مواجهة الحداثة، لمحمد عمارة، (صـ ٥٥-٧٠).

[٣] انظر: إسلامنا في مواجهة الحداثة، لمحمد عمارة، (صـ ٥٥-٧٠).

[٤] Renan, Ernest. L’Avenir de la science: Pensées de 1848. Paris: Calmann Lévy, 1890, 247–249.

رينان، إرنست. مستقبل العلم: تأملات ١٨٤٨. باريس: دار كالمان ليفي، ١٨٩٠م، ص ٢٤٧-٢٤٩.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يقرر حقيقة واحدة مطلقة لا نسبية:" قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلَّا بِي".[١]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

إن الحقائق المطلقة كثيرة جداً لا يستطيع العقل أن يردها وهي تشهد على زيف النسبية فمن ذلك أن الإنسان لا يوجد نفسه من العدم فهذه حقيقة مطلقة[٢]، وهذه الشبه باطلة من وجوه:

الوجه الأول:الرد على مصدريها وهم فرقة العندية[٣]: وقد رد عليها **الإمام ابن حزم**[٤] فقال:" وَيُقَال وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق لمن قَالَ هِيَ حق عِنْد من هِيَ عِنْده حق وَهِيبَاطِل عِنْد من هِيَ عِنْده بَاطِل

---

[١] انجيل متى، الإصحاح ١٤ ، الآيه ٦

[٢] مقال بعنوان : (الحوار.. مجادلة جادة لا مداهنة) أ.د. جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، العدد ١٩٠ ،جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ .

[٣] لقد قسم علماءُ الإسلام السوفسطائيين إلى ثلاثةِ أقسام : « العِندية ، والعنادية ، واللاأدرية : فالعندية ترى أن حقائق الأشياء تابعة لعقائد المؤمنين بها ؛ لأنهم أقيسة الحقائق . والعنادية تجزم بأن لا حقائق في الكون ؛ لا في ذاتها ولا بالقياس إلى المؤمنين بها . وأما اللاأدرية فهي التي تتوقف عن الحكم في كل شيء ؛ فهي لا تجزم بوجود ولا بعدم ». وهذه المذاهب باطلة بضرورة الحس، والعقل. والقائلون بها قد سقطوا عن رتبة البحث والمناظرة. **انظر**: القائد إلى تصحيح العقائد (وهو القسم الرابع من كتاب «التنكيل بما تأنيب الكوثري من الأباطيل)، لعبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦هـ)، (صـ٥٧)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.وانظر:حاشية كتاب مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ)،(صـ٤٥)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ

[٤] ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ – ٤٥٦هـ، ٩٩٥ – ١٠٦٣م)علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، شاعر وكاتب وفيلسوف وفقيه. ولد في مدينة قرطبة وكان يلقب القرطبي إشارة إلى مولده ونشأته. نشأ

أَن الشَّيْء لَا يكون حَقًّا باعتقاد من اعْتقد أَنه حق كَمَا أَنه لَا يبطل باعتقاد من اعْتقد أَنه بَاطِل وَإِنَّمَا يكون الشَّيْء حَقًّا بِكَوْنِهِ مَوْجُودا ثَابتا سَوَاء اعْتقد أَنه حق أَو اعْتقد أَنه بَاطِل وَلَو كَانَ غير هَذَا لَكَانَ الشَّيْء مَعْدُوما مَوْجُودا فِي حَال وَاحِدَة فِي ذَاته وَهَذَا عين الْمحَال وَإِذا أقرُّوا بِأَن الْأَشْيَاء حق عِنْد من هِيَ عِنْده حق فَمن جملَة تِلْكَ الْأَشْيَاء الَّتِي تعتقد أَنَّهَا حق عِنْد من يعْتَقد أَن الْأَشْيَاء حق بطلَان قَول من قَالَ أَن الْحَقَائِق بَاطِل وَهُوَ هم قد أقرُّوا أَن الْأَشْيَاء حق عِنْد من هِيَ عِنْده حق وَبطلَان قَوْلهم من جملَة تِلْكَ الْأَشْيَاء فقد أقرُّوا بِأَن بطلَان قَوْلهم حق مَعَ أَن هَذِه الْأَقْوَال لَا سَبِيل إِلَى أَن يعتقدها ذُو عقل الْبَتَّةَ إِذْ حسه يشْهد بِخِلَافِهَا وَإِنَّمَا يُمكن أَن يلجأ إِلَيْهَا بعض المنقطعين على سَبِيل الشغب وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيق". (١)

الوجه الثانى: الرد على ناقليها: وقال الإمام ابن قدامة(٢): رادَّاً على من نُقل عنه مثلَ هذا القول من العلماء: "كل مجتهد مصيب". إن أراد أن ما اعتقده فهو على ما اعتقده، فمحال؛ إذ كيف يكون قدم العالم وحدوثه حقاً، وتصديق الرسول وتكذيبه، ووجود الشيء ونفيه، وهذه أمور ذاتية لا

شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الظاهري حتى عرف بابن حزم الظّاهري. من كتبه: الفِصَل في المِلَلْ والأهواء والنِّحَل؛ طوق الحمامة؛ جمهرة أنساب العرب؛ نُقَطُ العروس؛ توفي بقرية منتليشم من بلاد الأندلس.**انظر**: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ)،(صـ٤١٥-٤١٧)،دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٩٦٧ م.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، (١،١٥)، مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٢) موفق الدين ابن قدامة (٥٤١ – ٦٢٠ هـ، ١١٤٧ – ١٢٢٣ م)عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي .فقيه محدّث ولد بجماعيل، وهى قرية بجبل نابلس بفلسطين. كان حجة في المذهب الحنبلي.من كتبه:المغني في شرح الخرقي في الفقه، ويقع في عشرة مجلدات–الكافي في الفقه، ويقع في أربعة مجلدات. توفي بدمشق يوم عيد الفطر من سنة عشرين وستمائة.**انظر**: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد. لمحمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ)،(صـ٣٣٠)،المحقق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

تتبع الاعتقاد، بل الاعتقاد يتبعها. فهذا شر من مذهب الجاحظ، بل شر من مذهب السوفسطائية؛ فإنهم نفوا حقائق الأشياء، وهذا أثبتها وجعلها تابعة للمعتقدات»[١] فإن المعتزلة قالوا: القرآن مخلوق، والسلف الصالح وأهل الحديث قالوا: هو قديم، فكيف يتصور على زعمه أن يكون قديمًا وحديثًا؟![٢]

الوجه الثالث: الْحَقُّ مِنْ الأَقْوَالِ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا وَسَائِرُهَا خَطَأٌ: وهذا الوجه باب من أبواب **الإمام ابن حزم**[٣] في المحلى، حيث قال: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.[٤] وَقَالَ تَعَالَى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [٥] وَذَمَّ اللَّهُ الاِخْتِلاَفَ فَقَالَ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [٦] وَقَالَ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟

---

[١] انظر: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبى محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)،(٢/٣٥٢)،مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

[٢] حاشية روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبى محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)،(٢/٣٥٢)،مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

[٣] سبق ترجمته، (صـ٥٦٤).

[٤] سورة يونس،الآية، ٣٢

[٥] سورة النساء،الآية، ٨٢

[٦] سورة ال عمران ،الآية، ١٠٥

فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [(١)] وقال﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.[(٢)] فَصَحَّ أَنَّ الْحَقَّ فِي الأَقْوَالِ مَا حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِيهِ، وَهُوَ وَاحِدٌ لاَ يَخْتَلِفُ، وَأَنَّ الْخَطأَ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ ادَّعَى أَنَّ الأَقْوَالَ كُلَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ، فَقَدْ قَالَ قَوْلاً لَمْ يَأْتِ بِهِ قُرْآنٌ، وَلاَ سُنَّةٌ، وَلاَ إِجْمَاعٌ، وَلاَ مَعْقُولٌ، وَمَا كَانَ هَكَذَا فَهُوَ بَاطِلٌ، وَيُبْطِلُهُ أَيْضًا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"[(٣)] فَنَصَّ عليه الصلاة والسلام أَنَّ الْمُجْتَهِدَ قَدْ يُخْطِئُ. وَمَنْ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُكَلَّفُوا إِلاَّ اجْتِهَادَهُمْ فَقَدْ أَخْطَأَ، بَلْ مَا كُلِّفُوا إِلاَّ إِصَابَةَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [(٤)] فَافْتَرَضَ عَزَّ وَجَلَّ اتِّبَاعَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْ لاَ نَتَّبِعَ غَيْرَهُ وَأَنْ لاَ نَتَعَدَّى حُدُودَهُ، وَإِنَّمَا أُجِرَ الْمُجْتَهِدُ الْمُخْطِئُ أَجْرًا وَاحِدًا عَلَى نِيَّتِهِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ فَقَطْ، وَلَمْ يَأْثَمْ إِذَا حُرِمَ الإِصَابَةَ، فَلَوْ أَصَابَ الْحَقَّ أُجِرَ أَجْرًا آخَرَ كَمَا قَالَ عليه السلام: "أَنَّهُ إِذَا أَصَابَ أُجِرَ أَجْرًا ثَانِيًا".[(٥)]

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِي حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ،

---

(١) سورة الأنفال،الآية، ٤٦

(٢) سورة النحل،الآية، ٨٩

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، (١٠٨/٩برقم٧٣٥٢).

(٤) سورة الأعراف،الآية، ٣

(٥) صحيح البخاري، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ ،(١٠٨/٩برقم٧٣٥٢).

وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ".[١]وَلاَ يَحِلُّ الْحُكْمُ بِالظَّنِّ أَصْلاً لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾[٢] وَلِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ[٣]".[٤]

الوجه الرابع: الإقرار ببطلان مذهبهم: وقد تحدَّث عنهم الإمامُ ابن الجوزي[٥]قائلا : « قال النوبختي: قد زعمت فرقة من المتجاهلين أنه ليس للأشياء حقيقة واحدة في نفسها، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها، فإن العسل يجده صاحب المرة الصفراء مراً، ويجده غيره حلواً. قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه، محدث عند من اعتقد حدوثه، واللون جسم عند من اعتقده جسماً، وعرض عند من اعتقده عرضاً. وهؤلاء من جنس السوفسطائية ؛ فيقال لهم : أقولكم صحيح؟ فسيقولون : هو صحيح عندنا، باطل عند خصمنا. قلنا : دعواكم صحة قولكم مردودة ، وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ! ومن شهد على قوله بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه".[٦]

---

[١] المرجع السابق، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ ، (١٠٨/٩برقم٧٣٥٢).

[٢] سورة النجم،الآية، ٢٨

[٣] صحيح البخاري، كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} [النساء: ١١]،(٤/٤).

[٤] المحلى، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى : ٤٥٦هـ)، (٧٠/١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

[٥] سبق ترجمته، (صـ٥٢١).

[٦] تلبيس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، (صـ٣٩-٤٠).

الوجه الخامس: الشريعة ترجع إلى قول واحد فقط:

لأن القول بنسبية الحقيقة يفضي إلى المساواة بين قطعيات الشريعة وظنياتها، ومن ثَمَّ تصبح أركان الإيمان مما يسع فيه الخلاف، فلو كانت الحقائق كلها نسبيةً لما جاهد رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الكفارَ على أصول الإيمان، ولعذرهم على مخالفتهم، ولما جاز أن يُهلك الله عز وجل الأمم السابقة على تكذيب رسلها، لهذا أمر الله عز وجل موسى ويحيى عليهما السلام أن يأخذا الكتاب بقوة"لأنه تصديق يقينى وإيمان قطعى"فقال جل شأنه﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[1]، ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ [2]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، [3] **قال الإمام ابن قدامة**[4]: « إن المجتهد يكلف إصابة الحكم، وإنما لكل مسألة حكم معين يعلمه الله، كلف بالمجتهد طلبه، فإن اجتهد فأصابه كان له أجران وإن أخطأه فله أجر على اجتهاده، وهو مخطئ، وإثم الخطأ محطوطٌ عنه » [5]

---

[1] سورة الأعراف،الآية، ١٤٥

[2] سورة مريم،الآية، ١٢

[3] صحيح البخاري، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، (١٠٨/٩برقم٧٣٥٢).

[4] سبق ترجمته، (صـ٥٦٥).

[5] روضة الناظر وجنة المناظر، لأبى محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)،(صـ٣٦٦).

وقال الإمام الشاطبي[(١)]: « الشَّرِيعَةُ كُلُّهَا تَرْجِعُ[(٢)] إِلَى قَوْلٍ وَاحِدٍ فِي فُرُوعِهَا وَإِنْ كَثُرَ الْخِلَافُ، كَمَا أَنَّهَا فِي أُصُولِهَا كَذَلِكَ؛ وَلَا يَصْلُحُ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أُمُورٌ:

أَحَدُهَا: أَدِلَّةُ الْقُرْآنِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا} [النِّسَاءِ: ٨٢] ؛ فَنَفَى أَنْ يَقَعَ فِيهِ الِاخْتِلَافُ البتة، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَا يَقْتَضِي قَوْلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ لَمْ يَصْدُقْ عَلَيْهِ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى حَالٍ. وَفِي الْقُرْآنِ: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} الْآيَةَ [النِّسَاءِ: ٥٩] ، وَهَذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي رَفْعِ[(٣)] التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ؛ فَإِنَّهُ رَدَّ الْمُتَنَازِعِينَ إِلَى

---

(١) الشَّاطِبي(590 - 538)هـ = ١١٤٤ - ١١٩٤ م)القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرعينيّ، أبو محمد الشاطبي: إِمام القراء. كان ضريرا.ولد بشاطبة (في الأندلس) وتوفي بمصر. وهو صاحب " حرز الأماني - ط " قصيدة في القرآت تعرف بالشاطبية. وكان عالما بالحديث والتفسير واللغة.توفي في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بالقاهرة ودفن بالقرافة. **انظر**: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)،(صـ٨٥برقم٧٢)،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (المتوفى : ١٤٠٩هـ)،(٢/٦٩١-٦٩٢برقم١٠٣)،مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة : الثانية

(٢) أي: فليس من مقاصد الشرع وضع حكمين متخالفين في موضوع واحد، بل لا يريد إلا طريقًا واحدا في الواقع، ولا ينافي هذا حصول اختلاف من المجتهدين من الطريق الذي يريده الشارع. "أي: ليس فيها ما يفهم قولين مختلفين يتضاربان في حكم بحيث يفيد أحدهما الوجوب والآخر الحرمة في نفس الأمر، بل أدلتها سالمة من التعارض في ذاتها، بريئة من الاختلاف الواقعي، وهذا لا ينفي وجود التعارض والاختلاف في فهم الناظر وظنه".**انظر**: حاشية الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)،(٥/٥٩)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

(٣) أي: عن الشريعة وإثبات أنها لا اختلاف فيها، والاستدلال بهذه الآية تام يشمل القرآن والسنة وغيرهما مما يبني عليهما.**انظر**: حاشية الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)،(٥/٦٠).

الشَّرِيعَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِيَرْتَفِعَ الاختلاف، ولا يرتفع الاختلاف إلا بالرجوع إلى شَيْءٍ وَاحِدٍ؛ إِذْ لَوْ كَانَ فِيهِ مَا يَقْتَضِي الِاخْتِلَافَ لَمْ يَكُنْ فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ رَفْعُ تَنَازُعٍ، وَهَذَا بَاطِلٌ[١].وَقَالَ تَعَالَى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [٢] ... الْآيَةَ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٥] ، وَالْبَيِّنَاتُ هِيَ الشَّرِيعَةُ، فَلَوْلَا أَنَّهَا لَا تَقْتَضِي الِاخْتِلَافَ وَلَا تَقْبَلُهُ الْبَتَّةَ لَمَا قِيلَ لَهُمْ: مِنْ بَعْدِ كَذَا، وَلَكَانَ لَهُمْ فِيهَا أَبْلَغُ الْعُذْرِ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ؛ فَالشَّرِيعَةُ لَا اخْتِلَافَ فِيهَا. وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الْأَنْعَامِ: ١٥٣] فَبَيَّنَ أَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ وَاحِدٌ، وَذَلِكَ عَامٌّ فِي جُمْلَةِ الشَّرِيعَةِ وَتَفَاصِيلِهَا.»[٣] ، **وقال الإمام ابن قدامة**[٤]: « الدليل أن

---

[١] أي: عبث لا يطلبه الله تعالى، أي: وقد طلب منهم الرجوع إليهما لرفع التنازع، والرجوع إلى ما يقتضي الاختلاف لا يمكن أن يحقق المطلوب فيكون عبثًا؛ إلا أنه مع قوة هذا الدليل على المدعى تبقى شبهة في المقام، وهي أن الأئمة المجتهدين مع رجوعهم للكتاب والسنة قد لا يرتفع النزاع بينهم، وقد يجاب عنها بأنه لم يقل: إن رددتموه ارتفع قطعًا وبطريقة كلية. **انظر**: حاشية الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)،(٥/٦٠).

[٢] وقد يقال: إن التفرق المنهي عنه التفرق بالعداوة، والاختلاف في أصول الدين، وتكفير بعضهم بعضًا؛ كما هو الواقع في شأن هؤلاء اليهود والنصارى، الذين نعى عليهم هذا التفرق والاختلاف، ولو كان كما يقول؛ لكان المسلمون وأولهم الصحابة قد وقعوا فيما نهوا عنه، ولكان يترتب عليه الجزاء الذي ترتب على تفرق اليهود والنصارى، معاذ الله. **انظر**: حاشية الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)،(٥/٦٠).

[٣] الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)،(٥/٥٩-٦١)،المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

[٤] سبق ترجمته، (صـ٥٦٥).

الحق في جهة واحدة : الكتاب والسنّة والإجماع » [(١)] **وقد ذكر الإجماع على ذلك الإمام الشوكاني**[(٢)]في كتابه إرشاد الفحول.[(٣)]

وبهذا يتبين أن المبدأ " نسبية الحقيقة " يُستثنى منه عموم أصولُ الدين، وقطعياتُ الشريعة مما لا يحتمل تأويلاً " قطعيَ الثبوت قطعيَ الدلالة " في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

---

(١) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبى محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)،(٣٥٣/٢).

(٢) الشَّوْكَاني(**1250 - 1173**)هـ = ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م)محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار - ط) ثماني مجلدات، و (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - ط) مجلدان.**انظر**: التحبير في المعجم الكبير، لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)،(٧٥/٢برقم٦٧٦)، المحقق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م.

(٣) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)،(٥٩١/١)،المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

المطلب الخامس

شبهة جواز صلاة النساء بجوار الرجال، وإمامة المرأة للرجل

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

" تؤكد إدارة مسجد ابن رشد-جوته (المسجد الليبرالي في برلين) ضرورة التحول نحو تحقيق حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين، ولذلك يُسمح بإمامة المرأة، ولا يُشترط على النساء وضع الحجاب أثناء الصلاة، كما أن الله وحده هو الذي يقبل أو يرفض الصلاة وليس لأحد أن ينوب عنه. ويستدلون بأن الرجال والنساء يصلّون جنبًا إلى جنب في الحج بسبب الزحام دون التشكيك في صحة الصلاة، وأنهم كانوا يصلّون كذلك في عهد النبي - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وبناءً عليه فإن الصلاة المختلطة لا تتنافى مع التقاليد الإسلامية".[١]

٢- مضمون الشبهة:

- إعادة تعريف الضوابط الشرعية للصلاة بناءً على مفاهيم: حقوق الإنسان، المساواة الجندرية[٢]
- الزعم بأن إمامة المرأة للرجال جائزة.
- عدم اشتراط الحجاب في الصلاة.
- اختلاط الرجال والنساء في الصلاة لا يؤثر في صحتها.
- اعتبار أن القبول الإلهي يغني عن الضبط الفقهي.

---

(١) موقع مسجد ابن رشد-جوته (Ibn Rushd-Goethe Moschee).

(٢) إزالة تمييز الرجال عن النساء.

٣- هدف الشبهة:

- شرعنة إعادة تأويل العبادات وفق المرجعية الليبرالية.
- نزع المرجعية الفقهية والعلمية عن الشعائر.
- إضفاء مشروعية دينية على النموذج الليبرالي الغربي داخل الإسلام.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين: الاضطرار (كالزحام في الحج) والاختيار والتشريع العام.
- تحويل الاستثناء إلى أصل.
- مغالطة الاحتجاج بـ«النية والقبول الإلهي» لإلغاء: الشروط، الأركان، الهيئات التعبدية.
- إسقاط مفاهيم حقوقية حديثة على عبادات توقيفية. [١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى تصريحات إدارة المسجد نفسه بإمامة المرأة والصلاة المختلطة مسموح بها. [٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تعزيز قابلية النص الديني لإعادة التشكيل وفق القيم الليبرالية، وتوظيف النموذج بوصفه إسلام المستقبل. [٣]

---

[١] انظر: الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر،(صـ٥٩ ومابعدها)،دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي.

[٢] المسجد الليبرالي في برلين مستمر رغم انتقادات مصر وتركيا. المصري اليوم، ٢٦ يونيو ٢٠١٧.

[٣] Jung, Dietrich. Islam in Global Modernity: Sociological Theory and the Diversity of Islamic Modernities. Wiesbaden: Springer, 2023, 161–195.

يونغ، ديترِتش. الإسلام في الحداثة العالمية: النظرية الاجتماعية وتعدديات الحداثات الإسلامية. فيسبادن: سبرينغر، ٢٠٢٣م، ص ١٦١–١٩٥.

- **في الوسط الإسلامي:** إرباك المفاهيم الفقهية المتعلقة بالعبادات، وتشجيع الإسلام الليبرالي، وإضعاف مرجعية المذاهب والفقه الموروث.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- العبادات في الإسلام توقيفية لا تخضع: للتجربة، ولا للذوق، ولا للمعايير الحقوقية.
- لو كان القبول الإلهي وحده معيارًا: لبطلت كل الشروط والأركان.[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- لم يُعرف في تاريخ المسلمين: مسجد مختلط الصفوف اختيارًا، ولا إمامة امرأة للرجال في الفرائض.
- ما يقع في الحج: ضرورة، لا يُقاس عليه في التشريع.[٣]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أقروا أنه أدّى مشروع الليبرالية الحديثة إلى تسييس القيم الأخلاقية والدينية، مما أضعف سلطتها التقليدية وتماسكها.[٤]

---

[١] انظر: الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر،(صـ٥٩ ومابعدها).

[٢] انظر: المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،(١٩٨/٤)،دار الفكر.

[٣] انظر: المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،(١٩٨/٤).

[٤] MacIntyre, Alasdair. After Virtue: A Study in Moral Theory. 2nd ed. Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1984, 109

ماكينتاير، ألسدير. بعد الفضيلة: دراسة في النظرية الأخلاقية. الطبعة الثانية. نوتردام، إنديانا: مطبعة جامعة نوتردام، ١٩٨٤م، ص ١٠٩.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يقرر أن العبادة لها نظام وهيئة:"لِيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِاللِّيَاقَةِ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ".[١]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي

إن الإسلام يحث الجميع إلى التفكير على القضايا التى تعود بالصلاح الإنسانية، والعيش المشترك بين المختلفين في الآراء والعقائد، وعلى النقيض من ذلك ينبذ العنف ويحارب التطرف، ويؤكد أن من التطرف التعدي على المقررات الدينية والعلمية. ويتبلور الرد على هذه الشبهة من عدة أوجه:

الوجه الأول: حُرمة التعدى على قواعد الشرع، وفيه:

أولاً: بطلان المقصد الذي من أجله أقيم هذا المسجد: فمعلوم أن النساء شقائق الرجال، وأن المرأة مخاطبة بالشريعة كالرجل، كما قال تعالى﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[(٢)]، فإدعاء الفصل بين الرجال والنساء في الصلاة وإلزام المرأة بالحجاب في الصلاة ليس فيه تمييز ضد المرأة.

---

[١] كورنثوس الأولى، الإصحاح ١٤ ، الآيه ٤٠

[(٢)] سورة ال عمران،الآية، ١٩٥

ثانياً: وستر أجزاء الجسد للرجال والنساء في الصلاة: أمر تعبدي وإن اختلف قدره بين الرجال والنساء، وهذا له نظائر في طقوس أديان[١] أخرى تلزم المصلى بنحو ذلك، ويختلف الرجل فيها عن المرأة، وليس كما يظن البعض أنه فى الشريعة الإسلامية وحدها.

الوجه الثانى: وجوب الحجاب للمرأة في الصلاة، وفيه:

أولاً: فرضية الحجاب للمرأة: فقال تعالي﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.[٢]

[١] وَلَا تَكُنْ زِينَتُكُنَّ ٱلزِّينَةَ ٱلْخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ ٱلشَّعْرِ وَٱلتَّحَلِّي بِٱلذَّهَبِ وَلِبْسِ ٱلثِّيَابِ، بَلْ إِنْسَانَ ٱلْقَلْبِ ٱلْخَفِيَّ فِي ٱلْعَدِيمَةِ ٱلْفَسَادِ، زِينَةَ ٱلرُّوحِ ٱلْوَدِيعِ ٱلْهَادِئِ، ٱلَّذِي هُوَ قُدَّامَ ٱللهِ كَثِيرُ ٱلثَّمَنِ.**انظر:** العهد الجديد، رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ٣

وَكَذَلِكَ أَنَّ ٱلنِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ ٱلْحِشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لَا بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لَآلِئَ أَوْ مَلَابِسَ كَثِيرَةِ ٱلثَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى ٱللهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ.**انظر:** العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس،٢: ٩

[٢] سورة النور،الآية، ٣١

ثانياً: فرضية الصلاة: والصلاة ركنٌ من أركان الإسلام، وفريضةٌ من الفرائض، والأصل فيها؛ قوله تعالى﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[١]،

قال الإمام الرازي[٢]**في تفسيره هذه الآية:**[أي: فرضًا موقتًا، والمراد بالكتاب هاهنا المكتوب؛ كأنه قيل: مكتوبة موقوتة، ثم حذف الهاء من الموقوت كما جعل المصدر موضع المفعول والمصدر مذكر، ومعنى الموقوت: أنها كتبت عليهم في أوقات موقتة.. واعلم أنَّه تعالى بيَّن في هذه الآية أن وجوب الصلاة مُقدَّر بأوقات مخصوصة] .[٣]ومن السنة: ما جاء في الحديث "المتفق عليه" – واللفظ للبخاري– عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.»[٤]

قال العلامة ابن رجب[٥]:[وهذا الحديث دل على أن الإسلام مبني على خمس أركان.. ومعنى قوله صلي الله عليه وآله وسلم «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»: أنَّ الإسلام مثله كبنيان، وهذه الخمس: دعائم البنيان وأركانه التي يثبت عليها البنيان] . [٦]

---

(١) سورة النساء،الآية، ١٠٣

(٢) سبق ترجمته، (صـ٢٥٣).

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (٢٠٨/١١).

(٤) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ» ،(١١/١برقم٨).

(٥) سبق ترجمته،(صـ٣٥٥).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)،(٢٢/١)،تحقيق:محمود بن شعبان بن عبد المقصود.–مجدي

وأما الإجماع: فمنعقدٌ على وجوب الصلاة من لدن عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا دون نكيرٍ يعتدّ به.[1]

ثالثاً: ستر العورة شرط لصحة الصلاة: والفقهاء متفقون على أن ستر العورة من شروط صحة الصلاة عند القدرة عليه.[2]

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ * يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [3]

قال الإمام الزجاج[4]:[وقوله: ﴿ * يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ ؛ هذا أمرٌ بالاسْتِتَارِ في الصلوات] . [1]

بن عبد الخالق الشافعي.–إبراهيم بن إسماعيل القاضي.–السيد عزت المرسي.–محمد بن عوض المنقوش.–صلاح بن سالم المصراتي.– علاء بن مصطفى بن همام.–صبري بن عبد الخالق الشافعي.مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

[1] انظر:بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)،(١/١٥٥)،دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

[2] انظر: الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، لشمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢ هـ)،(٣/١٩٧)،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م

[3] سورة الأعراف،الآية، ٣١

[4] الزَّجَّاج (٢٤١ – ٣١١ هـ = ٨٥٥ – ٩٢٣ م)إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه،من كتبه (معاني القرآن – خ) [ثم طُبع]و (الاشتقاق) و (خلق الإنسان – ط). **انظر:**

رابعاً: ولا تختلف شَرطيَّة سَتْر العورة –للرجال أو للنساء– سواء أكانت الصلاة بحضرةٍ الناس أم في خلوةٍ: لأنَّ النصوص وردت بالستر مطلقًا، ولأنَّ الله تعالى أحق أن يستحيا منه، وهو ما تواردت عليه عبارات الفقهاء من الحنفية في الصحيح، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وذلك عند تعدادهم لشروط الصلاة.

قال الإمام الحصكفي الحنفي[٢]: [الرابع: (ستر عورته)، ووجوبه عام ولو في الخلوة على الصحيح إلا لغرض صحيح] . [٣]

وقال الإمام الزيلعي[٤]:[وشرط بعض المشايخ ستر عورته عن نفسه حتى لو رأى فرجه من زيقه أو كان بحيث يراه لو نظر إليه لم تجز صلاته ما لم يلتصق بصدره، ومنهم من قال إن كان

الدر الثمين في أسماء المصنفين، لعلي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (المتوفى: ٦٧٤هـ)،(صـ٢٤١). تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين – محمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

[١] معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)،(٣٣٢/٢)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

[٢] عَلَاء الدِّين الحَصْكَفي (١٠٢٥ – ١٠٨٨ هـ = ١٦١٦ – ١٦٧٧ م) محمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي: مفتي الحنفية في دمشق. مولده ووفاته فيها .كان فاضلا عالي الهمة، عاكفا على التدريس والإفادة .من كتبه (الدر المختار في شرح تنوير الأبصار – ط) في فقه الحنفية، و (إفاضة الأنوار على أصول المنار – ط) فقه، و (الدر المنتقى – ط) شرح ملتقى الأبحر.**انظر**: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(٢٩٤/٦).

[٣] الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، لمحمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفى: ١٠٨٨هـ)،(صـ٥٨)،المحقق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م

[٤]الزيلعي(**743 – 000**) هـ = ٠٠٠ – ١٣٤٣ م)عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدين الزيلعي: فقيه حنفي (شارح الكنز). قدم القاهرة سنة ٧٠٥ هـ فأفتى ودرس، ونشر الفقه، وانتفع به الناس، وتوفي فيها ودفن

كثيف اللحية وستر بها يجوز صلاته لوجود الستر بها، ومنهم من قال لا تجوز، وعامتهم لم يشترطوا الستر عن نفسه؛ لأنها ليست بعورة في حق نفسه؛ لأنه يحل له مسها والنظر إليها] . [(١)]

خامساً: وجوب ستر شعر المرأة في الصلاة: ممَّا هو من العورة ويجب سَتْره في الصلاة وكذا في خارجها عن الأجنبي باتفاق الفقهاء: شَعْر المرأة الذي فوق رأسها، وكذا شَعْر المرأة النازل عن الأذن على ما ذهب إليه المالكية، والشافعية، والحنابلة، والحنفية في الصحيح، وهذا ما يستفاد من عبارات الفقهاء في حديثهم عن عورة الحرة في الصلاة وغيرها: **قال الشيخ الدردير**[(٢)]: [(و) عورة الحرة (مع رجل أجنبي): منها أي ليس بمحرم لها جميع البدن (غير الوجه والكفين): وأما هما فليسا بعورة. وإن وجب عليها سترهما لخوف فتنة، (ويجب سترها): أي العورة المذكورة لرجل أو أمة أو حرة مع أجنبي (بالصلاة أيضًا)] [(٣)] ومِن ثَمَّ فيجب على المرأة تغطية شعرها في الصلاة

بالقرافة. من كتبه «تبيين الحقائق في شرح كنز الدقائق – ط» ست مجلدات، فقه، و «تركة الكلام على أحاديث الأحكام» و «شرح الجامع الكبير» فقه ، وهو غير جمال الدين الزيلعي «عبد الله» صاحب «نصب الراية. **انظر**: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبى الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي،(صـ١١٥).

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)،(١/٩٥)،الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ

(٢) الدردير [١١٢٧ – ١٢٠١ هـ / ١٧١٥ – ١٧٨٦ م]أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي، أبو البركات، الشهير بالدردير: صوفي، من فقهاء المالكية، مشارك في بعض العلوم. ولد في بني عدي، من صعيد مصر، وتعلم بالأزهر، وتولى مشيخة الطريقة الخلوتية، والافتاء بمصر، وتوفي بالقاهرة. من كتبه رسالة في "متثابهات القرآن".**انظر**: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ)،(صـ١٨٥)،حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

(٣) بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك. المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، لأحمد بن محمد الصاوي

ولو كانت في خلوة، لإطلاق النصوص بالستر مطلقًا، ولأنَّ الله تعالى أحق أن يُستحيا منه. رأي المالكية في صلاة المرأة كاشفة الشعر أن عليها إعادة الصلاة ما دام وقتها لم يخرج، فإن خرج وقت الصلاة، فلا إعادة عليها؛ لكون شعر المرأة مِن العورة المخففة. **وقال الإمام القرافي**(١): [القسم الثالث: الحرائر في "الجواهر" أجسادهن كلها عورة إلا الوجه والكفين، قال في "الكتاب": إذا صلت بادية الشعر أو ظهور القدمين أعادت في الوقت..] . (٢)

يتبين مما سبق:أن صلاة المرأة بدون حجاب باطلة واجبة الإعادة فالفقهاء متفقون على أن ستر العورة من شروط صحة الصلاة عند القدرة عليها، لا فرق في ذلك بين الرجال والنساء، ولا بين خلوةٍ وغيرها، ومن ذلك شَعْر المرأة الذي فوق رأسها، أو النازل عن أذنها، ومع اتفاقهم على ذلك.

الوجه الثالث: صلاة النساء خلف الرجال، وفيه:

أولاً: جواز صلاة النساء في حضرة الرجال في مكان واحد: فقد دلت الأدلة الشرعية على جواز **صلاة النساء في حضرة الرجال في مكان واحد**، منها: أن النساء في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله سَلَّمَ كنَّ يشهدن صلاة العيد؛ فأما غير الحائض فتصلي، وأما الحائض فتشهد من غير

المالكي،(١/١٠٥)،صححه: لجنة برئاسة الشيخ أحمد سعد علي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م.

(١) القرافي (٠٠٠ - ٦٨٤ هـ = ٠٠٠ - ١٢٨٥ م)أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي: من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة. وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة.له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها:أنوار البروق في أنواء الفروق - ط) أربعة أجزاء. **انظر**: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(١/٩٤).

(٢) الذخيرة، لأبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) ،(٢/١٠٥)،المحقق:سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي- بيروت،الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م

صلاة؛ فعن أمِّ عطيَّة رضي الله عنْها: أنها سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَخْرُجُ الْعَوَاتِقُ وَذَوَاتُ الْخُدُورِ، أَوِ الْعَوَاتِقُ ذَوَاتُ الْخُدُورِ وَالْحُيَّضُ، وَلْيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَعْتَزِلُ الْحُيَّضُ الْمُصَلَّى".[١]

ثانياً: السنة صلاة النساء خلف الرجال: لا شك أن السنة أن تكون صفوف النساء خلف الرجال، كما كان الحال على عهد النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ قُومُوا فَلِأُصَلِّ لَكُمْ قَالَ أَنَسٌ : فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ". [٢]

قال الإمام ابن حجر[٣]: " وَفِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ الْفَوَائِد: ... تَأْخِير النِّسَاء عَنْ صُفُوف الرِّجَال، وَقِيَام الْمَرْأَة صَفًّا وَحْدهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا اِمْرَأَة غَيْرهَا". [٤]، فيصطف الرجال في الصفوف الأولى ثم الصبيان ثم النساء؛ ولا تقف المرأة عن يمين الرجل ولا عن شماله.

الوجه الرابع: بطلان إمامة المرأة للرجل فى الصلاة: فقد اتفق جميع الفقهاء على عدم صحة صلاة الرجل إذا اقتدى بالمرأة في صلاته، **وفي وذلك يقول الإمام الشافعي**[٥]: "إذا صلت

---

[١] صحيح البخاري، كِتَابُ الحَيْض، بَابُ شُهُودِ الحَائِضِ العِيدَيْنِ وَدَعْوَةَ المُسْلِمِينَ، وَيَعْتَزِلْنَ المُصَلَّى، (٧٢/١برقم٣٢٤).

[٢] المرجع السابق، كِتَابُ الصَّلاَةِ ، بَابُ الصَّلاَةِ عَلَى الحَصِيرِ،(٨٦/١برقم٣٨٠).

[٣] سبق ترجمته، (صـ ٩٠).

[٤] فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين،(٣٩٢/٣). دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

[٥] الشافعي (١٥٠ – ٢٠٤هـ، ٧٦٧ – ٨٢٠م) محمد ابن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي بن عبد المطلب بن عبد مناف.ولد بمدينة غزة بفلسطين،تلقى الشافعي فقه مالك على يد مالك. وقد انتشر مذهب

المرأة برجال ونساء وصبيان ذكور فصلاة النساء مجزئة، وصلاة الرجال والصبيان الذكور غير مجزئة؛ لأن الله عز وجل جعل الرجال قوامين على النساء، وقصرهن عن أن يكن أولياء وغير ذلك، ولا يجوز أن تكون امرأة إمام رجل في صلاة بحال أبدا" انتهى".[١]

وقال الإمام النووي[٢]:«وَاتَّفَقَ أَصْحَابُنَا عَلَى أَنَّهُ لا تَجُوزُ صَلاةُ رَجُلٍ بَالِغٍ وَلا صَبِيٍّ خَلْفَ امْرَأَةٍ.. وَسَوَاءٌ فِي مَنْعِ إمَامَةِ الْمَرْأَةِ لِلرِّجَالِ صَلاةُ الْفَرْضِ وَالتَّرَاوِيحِ، وَسَائِرُ النَّوَافِلِ، هَذَا مَذْهَبُنَا، وَمَذْهَبُ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ مِنْ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ – رحمهم الله، وَحَكَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ التَّابِعِينَ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ وَأَحْمَدَ وَدَاوُد».[٣]

ختاماً: الالتزام بالشريع الحنيف والقيام بما يرضيه والابتعاد عن مساخطه يُثمر في قلب العبد الخوف من الله عز وجل في هذه الدنيا، وفي الآخرة يكون من الفائزين، كما يثمر عدم الاعتداء على حقوق العباد، لأن وراء ذلك يوم القضاء قال جل في علاه﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ

الشافعي في الحجاز والعراق ومصر والشام وفلسطين وعدن وحضرموت، وهو المذهب الغالب في إندونيسيا وسريلانكا ولدى مسلمي الفلبين وجاوه والهند الصينية وأستراليا.من أشهر كتبه الأم. **انظر**: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري – أحمد عبد الرزاق عيد – محمود محمد خليل، (٣/٢٣٢برقم٢٢٧٣)،عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

[١] الأم، للإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)،(١/١٩١)،دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

[٢] سبق ترجمته، (صـ٧٤).

[٣] المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،(٤/٢٥٥)،دار الفكر.

وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [(١)]، وقال سبحانه﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾. [(٢)]

---

(١) سورة النمل،الآية، ٧٨

(٢) سورة الأنبياء،الآية، ٤٧

المطلب السادس

آثار الفكر الليبرالي على الإسلام

نري في البلاد الإسلامية المعاناة التي يعاني منها أبناؤها من فساد أخلاقي، وانتشار للإلحاد وغيرها إفرازاً لهذا المذهب الفاسد، والكامن في وسائل الإعلام التى صدرت رموزه، وجعلت منهم مفكرين إسلاميين، وخبراء في الحركات الإسلامية، وصناعاً للرأي العام، فالواقع الذي لا مراء فيه أن غاية ما عند هؤلاء الليبراليين هو مسخ هوية المجتمع والانقلاب على الذات وتلميع الفكر الغربي، وفيما يلي أذكر بعضاً من آثار الفكر الليبرالي على الإسلام:(١)

أولا: الآثار العقدية:

وتتلخص في النقاط التالية:

١-التشكيك في العقيدة الصحيحة وزعزعة الثقة بها، بمختلف الأسباب والطرق الملتوية الخبيثة، مما يؤدي عياذا بالله إلى انصراف الناس وعزوفهم عنها.

٢-القطيعة التامة مع مصادر التلقي والاستدلال عند المسلمين والتزهيد، بل التشويه المتعمد للتراث الإسلامي عقيدة وشريعة.

٣-إحياء التراث الفلسفي والمعتزلي، وتقريبه للناس في قالب جميل مزخرف مما يؤدي عياذا بالله إلى تقبل هذا التراث المنحرف في ظل الجهل الذي يخيم على كثير من الناس.

٤-الهزيمة النفسية أمام الأعداء التي يريدون أن يغرسوها في أفراد الأمة شاءوا أم أبوا من خلال أمور عدة منها:

- بهدم حاجز الولاء والبراء.

---

(١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، (٢٣٢/١)، موقع الدرر السنية على الإنترنت، ربيع الأول ١٤٣٣ هـ.

- إلغاء الجهاد.
- الترويج بأن المسلمين متخلفون، ولا يمكن أن يتقدموا أبدا والانبهار بالغرب رغم تراجع الحضارة الغربية والتنبؤات من قبل منظريهم بزوالها.
- إفساح المجال أمام التيارات المنحرفة الزائغة، بدعوى حرية الرأي والانفتاح على الآخر.
- الإرتماء في أحضان الأعداء وتقليدهم، وتقبل الغزو الفكري بحجة صحة هذه الأديان وأن ما عندهم لا يخالف صراحة ما عندنا.
- نشر ثقافة تقبل الآخر ولو كان ملحدا، وضياع ما أسماه العلماء بحفظ الضرورات الخمس وعلى رأسها (حفظ الدين).

ثانياً: الآثار التربوية والأخلاقية والاجتماعية:

١-إفساد المرأة المسلمة، وجعلها دمية يتلاعب بها المنحرفون سلوكيا وأخلاقيا.

٢-طمس معالم الأخلاق الإسلامية، وذلك عن طريق الانحلال والتفسخ الأخلاقي، فلقد فتح هذا الفكر الباب على مصراعيه لدعاة التغريب بحيث لو طبقت المجتمعات كل ما يرونه ويؤصلونه لأصبحت مجتمعات منحلة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكراً.

٣-إماتة وإضعاف جانب الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: الآثار السياسية:

١-إقصاء الشريعة عن الحكم وعزلها عن الحياة، وحصرها في نطاق المسجد والعبادات الشخصية، وهو ما يعرف بـ (العلمانية) أو الحداثية فالدعوة الليبرالية في حقيقتها هي العلمانية، وإن وجد فاصل بينهم فهو رقيق جداً وكأنهما وجهان لعملة واحدة واسمان لمسمى واحد.[١] ومن ذلك ماقيل في الكثير من الجرائد والصحف:

---

[١] انظر :مقال:المرأة من الأيدلوجيا إلى الإنسان، لمحمد بن علي المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٧٥٨، الخميس ٢٤ المحرم ١٤٢٧هـ فبراير ٢٠٠٦م،

- "إن حاجة كثير من البشر للإيمان بالدين هي في إعطائهم معنى روحياً لحياتهم، ولكن بعد ذلك تصبح الأديان غير قادرة على التدخل في تحديد النظم الحياتية للبشر، إنها تفيد في قيادة أخلاق الناس وتوجيههم الوجهة الروحية المطمئنة، ولكنها تخرج عن دورها المطلوب إذا فرضت شروطها على مواضعات البشر السياسية والاقتصادية والاجتماعية"[(١)].
- "الإسلام بصفائه الأول كما نزل على محمد بن عبد الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يفرق تماماً بين الناحية الروحية والناحية الاجتماعية بكافة ما تشتمل عليه من سياسة واقتصاد وتربية وتعليم وصناعة إلخ، الأولى تنظمها النصوص الصحيحة صحة قطعية ثبوتاً ودلالة، أما الثانية فمتروك شأنها للعقل البشري ليرى فيها ما يشاء وفق مصالح الجماعة الراهنة المتأثرة بالمتغيرات الزمانية والمكانية، وهذه هي الحداثة بعينها بغض النظر تماماً عما اصطحبته الممارسات التاريخية الاجتماعية منها والسياسية معها من تراث بشري خلط الروحي بالدنيوي والسياسي بالديني تبعاً لإملاءات أيديولوجية مختلفة."[(٢)]

٢–الولاء للفكر الغربي، والاستقواء بالأجنبي.[(٣)]

---

(١) انظر: مقال: الإنسانية والطائفية: صراع الأضداد، لعادل الطريفي، جريدة الرياض، العدد ١٣٧٥٤، الأحد ٢٠ المحرم ١٤٢٧هـ فبراير ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: مقال: فلسفة الولاء والبراء في الإسلام، ليوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد ١٣٥٤٦، الثلاثاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ يوليو ٢٠٠٥م.

(٣) انظر: التطرف المسكوت عنه أصول الفكر العصراني، لناصر الحنيني ، صـ ١٤٢، دار التوحيد للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٣١هـ_٢٠١٠م.

الباب الثالث

موقف المستشرقين من قضايا الشريعة الإسلامية

ويتكون من أربعة فصول:

الفصل الأول:

آراء المستشرقين الإيجابية حول الفقه الإسلامي.

الفصل الثانى:

آراء المستشرقين السلبية حول الفقه الإسلامي.

الفصل الثالث:

تأثر القانون الغربي بالفقه الإسلامي.

الفصل الرابع

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين

في منهجهم تجاه الفقه الإسلامي

الفصل الأول

آراء المستشرقين الإيجابية حول الفقه الإسلامي

ويتمثل في أربعة مباحث:

المبحث الأول:

مفهوم الفقه الإسلامي.

المبحث الثانى: رفض المستشرق نالينو لشبهات المستشرقين في تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي.

المبحث الثالث:

تعلم فقهاء المسلمين القانون الرُّوماني في مدارس بلاد الشام.

المبحث الرابع:

تبنِّي الأعراف(القوانين الرُّومانية) فى البلاد المفتوحة.

المبحث الأول

مفهوم الفقه الإسلامي

مدخل:

إن الفقه الإسلامي جامعة ورابطة للأمة الإسلامية، وهو جزء لا يتجزأ من تاريخ حياة الأمة الإسلامية في أقطار المعمورة، فلم يكن مثله لأي أمة قبلها، إذ هو فقه عام مبين لحقوق المجتمع الإسلامي بل البشري، وبه كمل نظام العالم، فهو جامع للمصالح الدينية و الاجتماعية والأخلاقية، وهو بهذه المثابة لم يكن لأي أمة من الأمم السالفة، فإن فقهنا بيَّنَ الأحوال الشخصية التي بين العبد وربه، وبين الناس بعضهم البعض.[١]

ثم لما نهضت أوربا نهضتها المعروفة للرقي العصري، فأول حجر وضعته في أساس مدنيتها الزاهرة هو العدل وسن القوانين بالتسوية في الحقوق، إذ لا يعقل أن تترقَّى أمة وحقوقها مهضومة وأفرادها مظلومة، والكل يعلم أن بعض قوانينها مقتبسة من الفقه الإسلامي، كقانون نابليون الأول وغيره من ملوك أوروبا.[٢] وهذا ما سيتضح في المبحث السابع إن شاء الله تعالى.

وكان هذا ولا شك مثار للحقد والضغينة في نفوس أعداء الاسلام، بعد أن خسرت في حربها العسكرية ضد الإسلام نالت منه ولو فكرياً، ولو أن تشوهه في نفوس أهله، ومن أراد الدخول فيه، وممن سلك هذه السبيل ثلة من المستشرقين الحاقدين أو الجاهلين بالمنهجية العلمية الصحيحة، ومنهم المستشرق الإيطالى كارلو ألفونسو نالينو: الذى أخذ جانباً من إثارة شبه تأثر الفقه

---

[١] انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، (١/ ٦٨)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م

[٢] المرجع السابق،(١/ ٧٠-٧١)

الإسلامي بالقانون الرومي، وقبل أن نقوم بعرض موقف المستشرق الإيطالى كارلو ألفونسو نالينو حول الفقه الإسلامي في الفكر الحداثي المعاصر، أذكر مفهوم الفقه الإسلامي:

مصطلح الفقه الإسلامي يتكون من:

أ- **تعريف الفقه في اللغة:**

- **الفقه لغة:**

يدور المعنى اللغوي لكلمة الفقه حول عدة معانٍ منها:

١- العِلْمُ بالشيءِ.

٢- الفَهْمُ له.

فتقول: (فَقَهَ) الْفَاءُ وَالْقَافُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى إِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَالْعِلْمِ بِهِ. تَقُولُ: فَقِهْتُ الْحَدِيثَ أَفْقَهُهُ. وَكُلُّ عِلْمٍ بِشَيْءٍ فَهُوَ فِقْهٌ. يَقُولُونَ: لَا يَفْقَهُ وَلَا يَنْقَهُ. ثُمَّ اخْتُصَّ بِذَلِكَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ، فَقِيلَ لِكُلِّ عَالِمٍ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ: فَقِيهٌ. وَأَفْقَهْتُكَ الشَّيْءَ، إِذَا بَيَّنْتُهُ لَكَ. [(١)]

[(١)] معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، مادة: فقأ، (٤٤٢/٤)المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ويرجع مفهوم الفقه بمعنى العلم بالشئ لأنه:"غَلَبَ على عِلمِ الدينِ لشَرَفِه"[١]،**ويرجع مفهوم الفقه بمعنى الفهم له لأنه:**" فِي الأَصل الفَهْم: يُقَالُ: أُوتِيَ فلانٌ فِقْهاً فِي الدِّينِ أَي فَهْماً فِيهِ".[٢]

والفقه أخص من العلم[٣]بدليل قوله تعالى﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[٤]،وقوله تعالى﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ (٥)،**وقوله تعالى:** ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾[٦]،"ويُقَالُ: فَقِهَ الرجلُ بِالْكَسْرِ - يَفْقَهُ فِقْهاً إِذَا فَهِم وعَلِم، وفَقُهَ

---

[١]انظر:القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(المتوفي: ٨١٧هـ)،مادة(فقه) (صـ١٢٥٠)، تحقيق:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

[٢]لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفي: ٧١١هـ)، مادة(فقه) (٥٢٢/١٣).

[٣] التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(المتوفي: ١٠٣١هـ)،فصل القاف،(٢٦٣/١).

[٤] سورة التوبة ، الآية ١٢٢

[٥]سورة هود ، الآية ٩١

[٦]سورة النساء ، الآية ٧٨

بِالضَّمِّ يَفْقُهُ:إِذَا صَارَ فَقِيهاً عَالِمًا"[١]،وقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –" مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".[٢]

ب–**تعريف الفقه في الاصطلاح:**

- **الفقه اصطلاحا:**

الفقه في الاصطلاح له عدة تعريفات، منها:

١– الفقه:هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.[٣]

٢– الفقه: هو العلم بأحكام التكليف التى طريقها الاجتهاد.[٤]

٣–الفقه: هو معرفَة الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة الَّتِي طريقها الِاجْتِهَاد. [٥]

٤– الفقه: هو العلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعية الفرعية بالنظر والاستدلال.[١]

---

[١] تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفي: ٣٧٠هـ)، (بَاب الْهَاء وَالْقَاف مَعَ الْفَاء)،(٥/٢٦٣). المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

[٢] صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، كِتَابُ العِلْمِ ، بَابٌ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ(١/٢٥برقم ٧١).

[٣]منهاج الوصول إلى علم الأصول لعبد الله عمر محمد البيضاوي الشيرازي الشافعي ناصر الدين(١/ ١٩)،تحقيق: شعبان محمد إسماعيل ،ابن حزم،الطبعة:الأولي، ١٤٢٩ هـ– ٢٠٠٨م.

[٤]البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالى، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين(المتوفي: ٤٧٨هـ)،(١/٨)،تحقيق:صلاح بن محمد بن عويضة ،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

[٥] انظر: الورقات، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، صـ٧، المحقق: د.عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، مصر،١٣٩٧هـ ١٩٧٧ م.

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن تعريف " الفقه الإسلامي ":هو العلم والفهم المستنبط من الكتاب والسنة، لبيان أحكام الشريعة الإسلامية، عملاً بقوله سبحانه﴿

وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.[٢]

---

[١]الإحكام في أصول الأحكام لأبى الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي(المتوفي: ٦٣١هـ)،(١٧١/٣)،تحقيق:عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان ، الطبعة : الثانية ١٤٠٢هـ .

[٢] سورة التوبة ، الآية ١٢٢

المبحث الثاني

رفض المستشرق نالينو لشبهات المستشرقين

في تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

مما يُحسب لنالينو رفضه لشبهات المستشرقين في تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، فبادئ ذى بدء يسرد نالينو شبهات[١] المستشرقين حول تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، فيقول: "ليست هذه إلا نظرات تاريخية عامة، ويسمح لرجل غير مختص بالقانون أن يسوقها أمام عدد كبير من أفاضل علماء القانون، مثلكم".[٢]

ثم يكمل نالينو بأقوال من زعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي مع التأكيد أنهم لايعرفون العربية ولا التركية (العثمانية)، فذكر أول من زعم من المستشرقين أن القانون الإسلامي في جوهره مأخوذ من القانون الرومي هو (دومينيكو غاتيسكي)، في كتابه (كتاب يدوي للحقوق العثمانية) (١) إذ قال: فيقول:

---

[١] شبهات جمع شبهة والشبهة في اللغة والمقصودة في بحثنا هذا تعني المشكلة أو الالتباس، والمراد بها شرعا مسألة التبس فيها الحق بالباطل أو الخطأ بالصواب. انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ)، (٣٩٥/١)، المحقق:عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.

[٢] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٩)، ترجمة:الدكتور:محمد حميدالله، مكتبة القانون الإسلامي، دار البحوث العلمية- روما، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م-١٣٩٣هـ.

" كان دومينيكو غاتيسكي " Dominico Gatteschi" ان لم أخطىء . **أول من زعم ان القانون الإسلامي في جوهره مأخوذ من القانون الرومي** ، وذلك في كتابه الطلياني المسمى " كتاب يدوي للحقوق العثمانية العامة والخاصة " Manuale di diritto pubblico e privato ottoman" المطبوع في الاسكندرية سنة ١٨٥٦ م. وكان محامياً في محكمة الاستئناف المختلطة، وأيضا عضواً في معهد مصر . **ولكنه كان لا يعرف العربية ولا التركية**، بل يهتم محضا بالمسائل القانونية والقضائية المتعلقة بمصر وبالسلطنة العثمانية " التركية ". وكان ألف في موضوع هذه المسائل كتبا قيمة. فبدأ بحثه بالدليل الإني" "A priori[١] الذي يحتمل المناقشة، وأشار إلى عدد من المماثلات بين قانون يوستينيان" امبراطور بيزنطة " والشرع الإسلامي، وزعم أن **القواعد الرومية دخلت في الإسلام بسهولة، في زي الأحاديث الموضوعة التي نسبت إلى محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –**".[٢]

وذكر –أيضًا– بأنه:" منذ ذلك الحين وجد هذا الاشتقاق تأييد عدد كبير من الناس في الغرب، مع ألوان لا نهاية لها، فمنهم من ادعى هذه الفكرة بكل صراحة، ومنهم من قال بها على أنها شيءٌ فيه نصيب من الاحتمال وكانوا جميعًا إمَّا من القانونين غير المستشرقين [الذين] أفصحوا رأسًا أن الفقه الإسلامي في الأساس ليس إلا القانون الرومي بتبديل لا يذكر –كما قال هنري هيوغ–، وإما من الذين درسوا العلوم الإسلامية ولم يدرسوا العلوم القانونية جيدًا".[٣]

---

[١] هو طريق في الاستدلال يطلب فيه النتيجة على أساس السبب المعلوم. سماه قدماؤنا الدليل الإني، لأنه في جواب « إن كان هذا ، ف ... » ويقابله A posteriori الدليل اللمي حيث يطلب فيه السبب على أساس النتيجة المعلومة، وهو في جوانب (لم ؟). حاشية: نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ٩.

[٢] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ٩.

[٣] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو ، صـ٩–١٠.

ويذكر نالينو أن الغربيين تبنوا زعم دومينيكو غاتيسكي " Dominico Gatteschi" في **تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي،** فيقول:"منذ ذلك الحين وجد هذا الاشتقاق تأييد عدد كبير **من الناس " في الغرب "،** مع ألوان لا نهاية لها : فمنهم من ادعى هذه الفكرة بكل صراحة، ومنهم من قال بها على أنها شيء فيه نصيب من الاحتمال. وكانوا جميعا أما من القانونيين غير المستشرقين **فأفصحوا رأساً أن الفقه الإسلامي "في الأساس ليس إلا القانون الرومي بتبديل لا يذكر"،**" كما قال هنري هيوغ" Henri Hugues "".[١]

ثم يذكر نالينو أن المختصين بدراسة العلوم الإسلامية أهملوا البحث والتحقيق في مسألة تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومى، فيقول:"والحقيقة أن أحداً لم ينظر في المسألة بجميع ما لها من الاشكالات. **فبعض المختصين بالعلوم الإسلامية، الذين أيدوا فكرة الاشتقاق، اكتفى بالادعاءات العامة التي هي ثمرة التخمين والاحتمال، أكثر مما هي ثمرة البحث العميق،** أو أنه قنع بالنقاط المعينة المحدودة، أو بحشد المشابهات التي تدهش أحياناً ولكن ليس لها قوة الإثبات. فلا شك أن هذه المشابهات تقدم مواد ذات شأن للمسألة، ولكنها بعيدة جداً عن حلها".[٢]

ويبين نالينو منهج الشك لدى المستشرقين المختصين بدراسة العلوم الإسلامية خاصة في تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومى، فيقول:" أما المستشرقون الجدد الذين يختصون بالعلوم الإسلامية، فيظهر أنهم يميلون إلى **التشكيك**. ولكن هذا الأمر هو نتيجة الانطباعات العامة. لذلك أود أن أذكر هنا أسباب شكي في أمر التأثير العميق للقانون الرومي بمفهومه الأوسع في الفقه الإسلامي، وأن أفصل بعض الموضوعات التي يظهر لي أنه قد أُهمل النظر فيها، أو أنها وقعت

---

[١] المرجع السابق ، صـ١٠.

[٢] المرجع السابق، صـ١٠.

بدون دواعٍ كافيةٍ موقع القبول عند الذين يزعمون أن هناك علاقة بين القانونين: الرومي والإسلامي".[١]

ويعرض نالينو اختلاف المستشرقين بسبب كثرة المفاهيم المتعلقة بمصطلح الفقه الإسلامى.. ولعلهم لم يطلعوا على بحث الإمامة في كتاب"الأم" للإمام الشافعى[٢]، فيقول:" إن التباساً خطيراً نتج عن إغفال بيان المفهوم الحقيقي للاصطلاح الأوروبي"القانون الإسلامي"، في هذه المسألة. إن هذا المصطلح يختلف معناه عند الأوروبيين. فعلى الأكثر تعنى كلمة"الفقه"بسبب عدم وجود مصطلح يقابل معنى"الفقه"مقابلة تامة في لغــات أوروبا وأنظمتها. الشريعة الدينية التي تبحث علائق المؤمن"المسلم"بالله، وبنفسه، وبسائر أبناء جنسه. فمن ناحية يشتمل هذا التحديد على أكثر مما يراد بالقانون عند أهل الغرب، ومن ناحية ثانية على أقل منه. ففي الفقه تذكر العبادات وهي تشتمل على أشياء منها ما هو عندنا من الحقوق العامة، كبعض مسائل الخراج وزكاة المعادن وغير ذلك، وتذكر مسائل: الأسرة، والأحوال الشخصية، والوراثة، والحقوق المالية"ومن جملتها الاوقاف"، وآداب القاضي، والحدود"العقوبات"والسير"قوانين دولية من الحرب والسلم". ففي الفقه الإسلامي يوجد ما هو في نظر الغربي من المسائل الدينية مثل الأيمان والنذور، والذبائح العادية" للأكل اليومي"، والأضاحي"للقربان"، ومسائل ما يحل ويحرم من الأكل والشرب، ومسائل صيد البر والبحر، واللباس والزينة. **وبالعكس لا يدخل في الفقه مسائل ذات شأن من الحقوق العامة وبعض مسائل الحقوق الخاصة–لأن المصادر الشرعية"القرآن والسنة" لم يعين فيها أحكام لها. مثل نظرية الخلافة والسلطنة، ومسائل كثيرة من الحقوق الإدارية"التي تسمى السياسة**

---

[١] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٠.

[٢] الأم، للإمام الشافعي أبى عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، بَابُ صِفَةِ الْأَئِمَّةِ،(١/١٨٨).

الشرعية، يعني الحكم في المسائل العمومية حسب ما يصوبه الاجتهاد بشرط أن لا يخالف الشريعة".[١]

وبعد عرض نالينو لكثرة المفاهيم المتعلقة بمصطلح الفقه الإسلامى، يذكر كثرة اختلاف المستشرقين في تأثر الفقه الإسلامى بالقانون الرومى، فيقول:" **وأخيراً لا يتضح جيداً إذا كان الذين يبدون آراءهم في باب هذه العلائق هل يقولون بأن القانون الإسلامي مأخوذ من القانون الرومي** فيما يتعلق بالكليات الموضوعة، أم أنهم يريدون خضوع الفقه للقانون الرومي حتى في مادته العلمية–كما يظن البعض في الحقيقة–أو على الأقل فيما يتعلق بترتيب المواد وتبويب المسائل في الكتب ؟".[٢]

ويُبطل نالينو ادعاءات الكثير من مؤلفى كتب القانون الرومى القائلين بترجمة هذه الكتب إلى العربية فيكون دليلاً على تأثر الفقه الإسلامي بها، وذكر أن القسم الأعظم من الفقه الإسلامي من التطورات القانونية والاجتماعية، فيقول:" وادعى كثيرُ من الناس عالة القانون الإسلامي على الرومي كعلم. وهناك مؤلفون زعموا أنه لا بد من أن يكون هناك ترجمات عربية لكتب القانون الرومي حتى لكتاب باندكت" pandectes[٣] "ينبغي أن طالعه الفقهاء المسلمون فأخذوا منه قواعدهم وأنظمتهم القانونية. ولكن لا يمكن حتى اليوم ادعاء مثل هذه الأمور، **ونرى بطلانها قطعاً من جهة التاريخ، لأن البحوث والدراسات في الآداب الشرقية المختلفة، من العبرانية والسريانية، والقبطية، والعربية والحبشية، للعثور على العناصر التي ستؤيد افتراض أن القوانين الامبراطورية "الرومية" تحولت إلى شكل جديد" في قالب التراجم" كما تخيلها بونفانته"**

---

[١] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١١.

[٢] المرجع السابق ،صـ١٢.

[٣] هو مجموعة فتاوى علماء روما أُلفت بأمر الامبراطور يوستينيان.حاشية المرجع السابق، صـ١٢.

Bonfante"المأسوف عليه، لم تؤد حتى هذا اليوم- سنة١٩٣٢م - إلا إلى نتائج سلبية.[١] وسوى هذا البطلان من الناحية التاريخية، فإن من العجيب أن الذين يؤيدون مثل هذه الافتراضات لم يفكروا في أن المشابهات الكثيرة التي توجد في تدوين أحكام خاصة في أبواب خاصة هي لا بد منها، مهما كان قانون قوم ذي تمدن. ولذلك يمكن لي أن أقول: بناءً على بعض أمثال القانون الشخصي الخاص، أنه لو كان فقهاء العرب وضعوا أمامهم كتاباً من الكتب المتداولة من القانون الرومي ليحاكوه، لما فكروا أن يبعثروا مسائل المعادن، أو العبيد، أو ملكية الأراضي في أبواب شتى لا يمر ببال أحد من أهل القانون من الأوربيين أن يجدوها فيها أبداً، ولما وضعوا مسائل الربا في باب البيوع. **وفي الحقيقة أن هناك آثاراً تدل على أن العرب أنشأوا فقههم إنشاءً مستقلاً في القسم الأعظم منه. وفي رأيي أن هذا الإنشاء المستقل كان نتيجة الأحوال التاريخية الخاصة التي تطورت فيها المؤسسات القانونية والاجتماعية الإسلامية أكثر مما كان بسبب النظريات القانونية المجردة".** [٢]

٢- مضمون الشبهة:

- أن التشريع الإسلامي لم يكن نتاجًا أصيلًا، بل هو نسخة معدّلة من القانون الرومي، إمّا عبر الترجمة أو عبر الاحتكاك الإداري بالحكم البيزنطي.

٣- هدف الشبهة:

- نزع الأصالة عن الفقه الإسلامي.
- إظهاره كامتداد للقانون الروماني لا كنظام تشريعي مستقل.
- إضعاف القيمة الحضارية للإسلام عبر التشكيك في استقلاله التشريعي.

---

[١] فلا توجد تراجم لكتب القانون الرومي لا بالعربية فحسب، بل في أي لغة من لغات الشرق.حاشية نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٢.

[٢] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ١٢-١٣).

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

نالينو نفسه يذكر أن الشبهة قائمة على:

- تشابهات سطحية وليس على تحقيق علمي.
- عدم معرفة أغلب القائلين بها للغة العربية أو التركية العثمانية.
- غياب أي سند تاريخي لترجمة المدونات الرومانية إلى العربية.
- الخلط بين مصطلح الفقه الإسلامي وبين مفهوم القانون عند الأوربيين.
- عدم تحديد القائلين هل يقصدون التأثر في الكليات أم في التفاصيل والتبويب.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين اتهموا أن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الرومي.[٢]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** الشبهة لاقت رواجًا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرون.استُقبلت بالحماس عند القانونيين الذين جهلوا العربية. لكن العلماء الحقيقيين في الدراسات الإسلامية أصبحوا لاحقًا يشكّكون فيها بقوة.[٣]

---

[١] انظر: بحوث في علم أصول الفقه: مصادر التشريع الإسلامي الأصلية والتبعية ومباحث الحكم، لأحمد الحجي الكردي،(صـ٣٢ ومابعدها)،دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى – ٢٠٠٤م

[٢] Gatteschi, Dominico. Manuale di diritto pubblico e privato ottomano. Alexandria, Egypt: 1856, 12–20

غاتيسكي، دومينيكو. كتاب يدوي للحقوق العثمانية العامة والخاصة ، الإسكندرية، مصر: ١٨٥٦. ص. ١٢-٢٠.

[٣]

.Hugues, Henri. Essai sur le droit musulman. Paris: 1874, 45–50

هيوغ، هنري. مقالة في الفقه الإسلامي. باريس: ١٨٧٤، ص. ٤٥-٥٠.

- **في الوسط الإسلامي:** أثرت الشبهة في بعض الباحثين المتأثرين بالمدارس الغربية، لكن أغلب علماء الشريعة والباحثين المسلمين ردوها ردًا قويًا لغياب الدليل التاريخي.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١– نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- التشابه لا يعني الاقتباس، لأن أي نظام قانوني كبير لا بد أن يشترك مع غيره في: البيع والإجارة والزواج والمواريث والعقوبات والملكية وغيرها.
- لو كان الفقه الإسلامي منسوخًا من الروماني: لماذا يختلف في مصادره (وحي، سنة، إجماع، قياس)؟ ولماذا يخالف في الأحكام الجوهرية (الربا، الوصية، الحدود، الإرث...)؟
- أين النصوص المترجمة؟ لا يوجد أي مخطوط عربي فيه ترجمة لكتب المؤسسات والمجامع المستخلصات الرومانية.[٢]

---

[١] انظر: تاريخ التشريع الإسلامي، لمناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،(صـ١٠–٣٠)،مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م

Nallino, Carlo Alfonso. “Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano.” Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي ،المجلد ١٤، روما،1932، ص. ١٥٠–١٥٥.

[٢] انظر: الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، لوَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ،(٢٠١٩/٣)،(٦٢٩١/٨) ، دار الفكر – سوريَّة – دمشق، الطبعة: الرَّابعة.وفريضة الله في الميراث، لعبد العظيم الديب، (صـ٨)، دار الأنصار للطباعة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ .

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

نالينو قال بوضوح لم تؤدِّ البحوث في الأدب العبري والسرياني والقبطي والعربي والأحباش إلى العثور على أي أثر لترجمة القوانين الرومية.وهذا دليل تاريخي حاسم.

- المجتمع الإسلامي في القرن الأول لم يعرف الثقافة الرومانية، بل كان يعيش في بيئة عربية مستندة إلى نصوص قطعية من الوحي لها نظام تشريعي خاص قبل الإسلام.
- التشريع الإسلامي نشأ في المدينة ثم الكوفة والبصرة والمدينة ومكة فلا علاقة لهم بالمدارس القانونية البيزنطية.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يؤيدون أن الفقه الإسلامي منظومة أصيلة نابعة من مصادره الدينية.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يقرر أن التشريع وحي إلهي مستقل، لا يُبنى على قوانين البشر، وليس مقتبسًا من أنظمة بشرية:" لِأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلَا طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ..لِأَنَّهُ كَمَا تَعْلُو السَّمَاوَاتُ عَنِ الْأَرْضِ، هكَذَا تَعْلُو طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ، وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ"[٣] وأن التشريع مصدره الوحي، لا الفلسفة أو القانون الروماني:" انْظُرُوا، قَدْ عَلَّمْتُكُمْ فَرَائِضَ وَأَحْكَامًا، كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لِيَفْعَلُوا،

---

[١] Nallino, Carlo Alfonso. “Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano.” Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، المجلد ١٤، روما،1932، ص. ١٥٠-١٥٥.

[٢] Coulson, Noel J. A History of Islamic Law. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1964, 20.

كولسون، نويل ج. تاريخ الفقه الإسلامي. إدنبرة: دار نشر إدنبرة، ١٩٦٤، ص. ٢٠.

[٣] سفر أشيعاء، الإصحاح ٥٥ ، الآيه ٨-٩

فَتَسْلُمُونَهَا أَمَامَ الشُّعُوبِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، لِتَسْمَعُوا وَتَعْمَلُوا وَتَحْفَظُوا جَمِيعَ فَرَائِضِ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ وَتُحِبُّوهُ وَتَسْلَمُوا حَيَاتَكُمْ طَوِيلَةً" [1]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

يتمثل نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي من خلال النقاط التالية:

أولاً: لقد غفل المستشرقون في هذه المسألة في أن الفقه مرتبط بمسألة الحلال والحرام وما يجوز فعله ومالا يجوز وهو قول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لذلك رجعت جميع مناحي الحياة من معاملات وعبادات وغيرها داخل الفقه الإسلامي إلى أصل واحد وهو مصادر هذه الشرعية الإسلامية.

ثانياً: زعمهم أن القواعد الرومية دخلت في الإسلام بسهولة، في زي الأحاديث الموضوعة التي نسبت إلى محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : وهذا يبطله العلمُ اليقيني والواقع التاريخي على حدٍّ سواء فإنّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨ ﴾ [٢]، وأمية الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مع ما جاء به من العلم والهدى من دلائل نبوته ومعجزاتها، وأثبت التاريخ بما لا يحتمل التأويل أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نشأ في بيئة عربية خالصة مقطوعة الصلة بالقانون الروماني وغيره مما كانت عليه الأمم السابقة من التنظيم والتقنين الوضعيين، وفي هذا يقول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – :(إنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نحسب).[٣]

---

[1] سفر التثنية، الإصحاح ٤ ، الآيه ٥-٦

[٢] سورة العنكبوت، الآية، ٤٨.

[٣] صحيح البخاري، كتاب الصوم، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ»، (٢٧/٣برقم١٩١٣).

ثالثاً: ويكفي هذا الزعم إبطالًا وتهافتًا أنَّه ورد على لسان المستشرق (شيلدون آموس) [١] وقد وصف بالجهل والصفاقة من صفوف المستشرقين أنفسهم إذ يقول عنه المستشرق (فتزجيرالد): [٢] (ومن مصيره الأسيف المضحك أن الموضوع الذي كان حجة فيه قد غمره موج البحث العلمي منذ أمد طويل..وأصبح لا يذكر الآن إلا بمحاولته غير الموفقة حول موضوع كان فيه حين تناوله أقرب ما يكون إلى الجهل التام)[٣]، ويواصل قوله متهمًا ذلك المستشرق بالهوى والتملق على حساب البحث العلمي النزيه، إذ قال) :فقد أضلته الرغبة في أن يجد مثيلًا للقاعدة الرومية اللاتينية التي تقول: إنَّ ما يعجب الحاكم له قوة القانون فتورط في القول).[٤]والشاهد من هذا :إنَّ الزَّعم بأن الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان على علم بالقانون الروماني زعم متهافت باطل وكذلك الاستدلالات التي يوردها نالينو لا يصح مطلقًا أن يكون دليلًا.[٥]

رابعاً: هذه الإدعاءات مجردة من الأدلة والإثبات، وهى ترجيح بدون مرجح، فهم ومن على شاكلتهم من المشككين الطاعنيي من المستشرقين، الذين أثاروا أكذوبة تأثر الشريعة الإسلامية

---

[١] شيلدون اموس من مواليد يوم ١ يونيه سنة ١٨٣٥، مات فى ١ يناير سنة ١٨٨٦،كان محامى من المملكه المتحده لبريطانيا العظمى وايرلندا. درس فى كلير كوليدچ كامبريدج. كان عضو فى جمعيه لنكولن.انظر: (مدونة شيلدون اموس) ويكيبيديا– الموسوعة الحرة– الأنترنت.

[٢] فرانسيس سكوت فتزجرالد(F. Scott Fitzgerald)ولد في ١٨٩٦ وتوفي في ١٩٤٠، المستشرق والكاتب الأمريكي مكان الولادة مينيسوتا، نشر أربع روايات وأربع مجموعات قصصية و ١٦٤ قصة قصيرة. غير أنه تارة نراه ناقضاً تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومى، وأخري يميل إلى جانب التشابه بينهما.،انظر:ويكيبيديا– الموسوعة الحرة– الأنترنت.

[٣] انظر: الإسلام وموقف علماء المستشرقين: اتهامهم الشريعة بالجمود وعلمائها بالتأثر بالقانون الروماني، لعبد الحميد متولي، صـ ٧٢–٧٣، شركة مكتبات عكاظ، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

[٤] انظر: الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، لفتزجيرالد، صـ ١١٩.

[٥] انظر: التشريع الإسلامي وأثره فى الفقه الغربي، لمحمد يوسف موسى، صـ٩٢، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ٢٠١٩م.

بالقانون الروماني المستشرق اليهودي **جولد زيهر**[١] حين قال(وليس غريبا ان تكون هذه التعاليم الفقهية والتفصيلات المستعملة قد تاثرت كذلك بثقافة اجنبية، طالما أن المعارف الفقهية الإسلامية تحمل – على سبيل المثال – كما حقق ذلك البحث الحديث تحقيقا ثابتا آثارا غير منكورة من الفقه الروماني سواء في ذلك من ناحية الأحكام الفرعية)[٢]، وكذلك المستشرق شاخت في محاضرة له تحت عنوان(القانون البيزنطي والشريعة الإسلامية)[٣]، وتبعهما في ذلك الطعن المستشرق فيليب في كتابه (تاريخ العرب)[٤].

---

[١] سبق ترجمته، (صـ١٥٧).

[٢] العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولد زيهر، (صـ ٥٦)، ترجمة الدكتور/ محمد يوسف موسى وآخرين، دار الرائد العربي، الطبعة الثانية، ١٩٤٦م.

[٣] انظر: الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الإستعمار وشبهات التغريب، لأنور الجندي، صـ ٢٨٨، مطبعة الرسالة، ١٩٦٨م.

[٤] تاريخ العرب، للمستشرق فيليب حتى، (٢/٣١٠)، شركة ماكميلان للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٥٣م. ثم ظهر لمؤلف هذا الكتاب، كتاب جديد وهو (الإسلام منهج حياة) نقله إلى العربية الدكتور/ عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م، وفيه تراجع المؤلف عن بعض الأخطاء التي وردت في كتابه (تاريخ العرب) في إدعاءه تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني، وأورد هنا ما قاله بالحرف الواحد في كتاب جديد (الإسلام منهج حياة):

(الفقه يمكن أن ينظر إليه على أنه علم إسلامى خالص وهو بخلاف عدد كبير من العلوم كالرياضيات والطب والفلسفة – نتاج البيئة الإسلامية نفسها، ثم إننا لا نكاد نلحظ في تطوره أثراً من الفكر الهندى الإيراني أو الفكر الهندى الأوروبي، ومؤسس الفقه في الإسلام لم يلتفت إلى الاستعانة بالقانون الروماني، ولا بالفلسفة اليونانية مع أن المؤلفين المتأخرين في الفقه قد لجؤا في مناهجهم في التعليم وفي تأليف الكتب في الرد على خصومهم إلى الأدلة المنطقية التي تكشف عن أثر المنطق لأرسطو(صـ١٠٠-١٠١).

ومن الجدير بالذكر هنا أن الكتاب (الإسلام منهج حياة)مما يدل على اقتناعه إلى حد لا باس به بحيوية هذا

غير أن فتزجيرالد[١]:(وصم "سواس باشا" بكونه ذا عقلية غير علميَّة ولا دقيقة، وأنه كان مدفوعًا في كتاباته بغرض سياسي وهو إظهار التشريع الإسلامي بأنه دائمًا قابل للمؤثرات الغربية..[٢]، وأما"جولدزيهر"[٣] فذكر أنه مع علو شأنه في الأوساط الاستشراقية فقد جاءت آراؤه في الشريعة الإسلامية مماثلة لتلك الآراء الخاطئة، وأنها وجدت رواجًا كبيرًا، ويؤكد أيضًا بأن آراءه هذه على النقيض مع اتجاهه العام في دراسته خارج هذا البحث، كما يؤكد –أيضًا– بأنه قد عدل عن تلك الآراء [٤]، ثم يصل إلى القول بأنه لا توجد حتى كلمة واحدة مستعارة من اللاتينية أو اليونانية في العدد الضخم من المصطلحات الفقهية[٥]، وقبل ذلك أثبت بأن القانون التلمودي مليء بالمصطلحات اليونانية واللاتينية..في قالب عبراني[٦]، وكذلك دخلت القانون الروماني كلمات تنادي جهارًا على الفور أنها يونانية الأصل [٧]،ويختم قائلاً:(الشريعة كما ذكرنا من قبل تختلف اختلافًا أساسيًا عن القانون الرومي، سواء في طبيعتها أو في غرضها، فالقانون الرومي، حتى في خالص ناحيته المجردة والعلمية، ليس إلَّا قانون العلماء القانونيين أو كما يقال في المثل اللاتيني :كل قانون وضع فإنَّه وضع بسبب الإنسان..أمَّا القانون الإسلامي فهو أولًا وقبل كل شيء نظام أهل دين يطبقون الأحكام الموجودة على الوقائع، وغرضهم وصل كل نفس إنسانية

الدين واستقطابه لقضايا الحياة – نقل فيه الأخطاء بالقياس إلى كتابه (تاريخ العرب) – والزمن كفيل لتفسير الحقائق لمن يجهلها أو يتعمد جهلها ليكون تقدمياً مزيفا.

[١]سبق ترجمته، (صـ٦٠٦).

[٢] الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، لفتزجيرالد، صـ١٢٠، وينظر: التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي، لمحمد يوسف موسى، صـ٩٢. مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ٢٠١٩م.

[٣] سبق ترجمته، (صـ١٥٧).

[٤] الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، لفتزجيرالد، صـ١٢١،١٤٤.

[٥]الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، لفتزجيرالد ، صـ١٦٠.

[٦]المرجع السابق ، صـ١٥٨.

[٧] المرجع السابق، صـ١٥٨.

باللَّه تعالى. وهذا القانون يتضمن كثيرًا من أحكام الصوم والصلاة والحج وأمثالها وحتى حينما يعالج أمورًا مدنية مثل البيع والرهن.. تغلب فيها ناحيتها الدينية[١]، والجدير بالذكر أن فتزجيرالد وضَّح أن مراده بالقانون الإسلامي الشريعة الإسلاميَّة). [٢]

وفي هذا الصدد ينفي "**محمد أسد**"[٣] أي مظهر للتأثر والتأثير، ويرى بأن الموازنة بين الإمبراطورية الرومانية والأمة الإسلامية من السخافات الكثيرة التي تغذى بها عقول الجيل الحاضر، إذ ليس ثمة شيءٌ ما مشترك بينهما إلا (أنهما امتدتا فوق أرض شاسعة وشعوب متباينة)[٤]، ويؤكد "زيس"[٥]:(بأن الصلة منقطعة بين الشريعة الإسلامية، وهذا القانون –القانون الروماني– فبينما يعتمد قانونيًا على العقل البشري تقوم الشريعة على الوحي الإلهي، فكيف يتصور التوفيق بين نظامين قانونيين وصلا إلى هذه الدرجة من الاختلاف). [٦]

---

[١] الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، لفتزجيرالد ، صـ١٥٨.

[٢] المرجع السابق، صـ١٥٨.

[٣] محمد أسد (١٣١٨ – ١٤١٢ هـ– ١٩٠٠ – ١٩٩٢ م)المفكر الإسلامي الكبير.ولد بإقليم غاليسيا في بولندا، وكان اسمه ليوبولد فايس. بدأت رحلته كزائر للإسلام، ثم كصحافي، وانتهت باعتناقه الإسلام بالجزيرة العربية عام ١٩٢٦.من كتبه (الإسلام على مفترق الطرق) ودفن في مقابر المسلمين في غرناطة بالأندلس.

انظر: تتمة الأعلام للزركلي، لمحمد خير رمضان يوسف، (٢،١٢٤–١٢٥)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ.

[٤] انظر: الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد، صـ٣٥، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠١٧م.

[٥] لم أقف عليه. غير أن صاحب كتاب" المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية "و كتاب" الاستشراق والفقه الإسلامي " ذكرا مقولته في الدفاع عن استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الرومى.

[٦]انظر: الاستشراق والفقه الإسلامي،لمحمد الدسوقي، صـ٧٢٢، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٩٨٧م

<u>وخلاصة القول</u> :إنَّ دعوى تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني دعوى غير صحيحة تعارضها الأدلة الثابتة، وتبطلها شواهد التاريخ، **يقول الإمام الغزالى**[(١)]:**(والشريعة الإسلامية تناقض القانون الروماني في القيم الخلقية والاجتماعية وتخالفه مخالفة واسعة الأمد في النظرة إلى الإنسان وإلى الحياة كلها).**[(٢)]

خامساً: تناول المستشرقون في دراستهم لعلاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي جانب القول بالتشابه بينهما، وذكر بأن تلك المزاعم جاءت ثمرة للتخمين والاحتمال أكثر من كونها نتيجة لبحث علمي عميق، وأنهم حشدوا المتشابهات التي تدهش، ولكنها لا تملك قوة الإثبات[(٣)]، ثمَّ انتقد هذا الاتجاه بقوله:**(إنَّ من الضلالة، المماثلة الظاهرية الخارجية التي لا تؤيدها العناصر الداخلية ولا الوثائق التاريخية).**[(٤)] وبَيَّن أن الذين جمعوا المتشابهات لكي يثبتوا أن قسمًا عظيمًا من الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني، قد أهملوا ثلاث نقاط مهمة في المسألة، فيقول:(المماثلات بين أحكام معينة من القانون الرومي من عهد يوستينيان وبين تلك الأحكام من القانون الإسلامي عديدة وافرة، وفي بعض الأحيان مدهشة. **ولكن لا حاجة أن أذكركم أن من الضلال المماثلة الظاهرية الخارجية التي لا تؤيدها العناصر الداخلية ولا الوثائق التاريخية إذا أردنا أن نبين علاقه نظام قانون بنظام قانون آخر. ففي الأمر الذي يشغلنا نجد أن الذين جمعوا المشابهات، لكي يثبتوا أن قسماً عظيماً من الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الرومي، قد أهملوا ثلاث نقاط أساسية في المسألة:**

---

(١) سبق ترجمته، (صـ٥١٧).

(٢) ينظر: دفاع عن العقيدة والشريعة، لمحمد الغزالى، صـ٨٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٩م.

(٣) نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٠.

(٤)المرجع السابق ،(صـ١٧-١٨).

١- أنهم أهملوا الاختلافات التي توجد بين مذهب ومذهب، وهي أحيانًا ذات أهمية حتى فيما بين مذاهب أهل السنة الأربعة، فإذا كانت هناك مماثلة في بعض المسائل بين رأي مذهب فقهي وبين القانون الرومي، فقد لا يكون تشابه بين رأي المذاهب الأخرى والقانون الرومي في تلك المسائل.

وبسبب هذا الإهمال ذكر بعض الذين لا يعرفوا العربية خصائص مذهب واحد من المذاهب كأنها عناصر نموذجية في عموم الفقه الإسلامي.

٢- إنهم يحاولون جاهدين اصطياد المماثلات، ويهملون من جانب آخر أي إشارة إلى الاختلافات التي تعد محكًا لقيمة المماثلات وقدرها.

٣- أنهم أهملوا الفرق العظيم الذي يوجد بين الغرب وبين العالم الإسلامي في تصور القانون وفي مصادره.[١]

ثمَّ يصل نالينو إلى النتيجة الآتية :(إنَّ العرب أنشؤوا فقههم إنشاءً مستقلًا في القسم الأعظم منه، وفي رأيي أن هذا الإنشاء المستقل كان نتيجة الأحوال التاريخية الخاصة التي تطورت فيها المؤسسات القانونية والاجتماعية الإسلاميَّة أكثر ممَّا كان بسبب النظريات القانونية المجردة).[٢] **ويذكر نالينو القول القائل تأثر القانون الرومى بالفقه الإسلامي**:(وفي القطب المعاكس يوجد بعض المحدثين الذين يؤكدون على أثر كتاب لإيراني من البهائية، إسمه أبو الفضل

---

[١] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو ،(صـ١٧-١٩).

[٢] المرجع السابق، صـ٢٥.

الجرفقداني"صدر سنة ١٩١١، والنص العربي يوجد في مقدمة القوانين لعبد الجليل سعد" أن القانون الذي يسميه الأوربيون رومياً هو في الحقيقة مأخوذ من الفقه الإسلامي).[١]

سادساً: هؤلاء المستشرقون جهلوا الفارق بين الفقه الإسلامي المستمد من المصادر الشرعية، المراعى لحياة النفس البشرية من شتي جوانبها النفسية والعقلية والزمنية، فالله عز وجل وضع القوانين الطبيعية مقدرة بقدرها، تناسب طبيعة الإنسان وفطرته التى فكر الله الناس عليها، قال تعالى﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾.[٢] والقانون الرومي المستمد من أهواء النفس المتعددة حسب الضغوط الحياتية، والظروف البيئية، غير مراع الفكر البشرية والأحوال النفسية والعقلية والزمنية للإنسان القديم والحديث الذي سيوجد في عصور مقبلة إلى أن يرث الله الرض ومن عليها، وغير معترف بالجزاء الاخروى الذي يحدد مسئولية كل فرد في الحياة، وإطار اضطلاعه بلأمانة العظمى بطريقة أو أخرى، ومن قدم العمل الصالح لنفسه، وغير العمل الصالح لإذاية الآخرين ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١ ﴾.[٣]

سابعاً: وكيف تزعمون أن علماءنا نقلوا ما عند الرومان في المجال الفقهي وكتاب الله عز وجل وسنة رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – منبع غنى، حي، خالد على مر الأدهار والعصور، لايحتاج إلى مصدر آخر يستقى منه، على حين لم يتوان البعض منهم عن نقل علوم اليونان وغيرهم لما وجدوا فيها ما يساعدهم على تطعيم رصيدهم المعرفي. ولم يتخوفوا من الاطلاع على أنواع المعارف الأخرى لمواجهة كل ما يمكن أن ينجم من تحديات للعقيدة. وما وقع في مجال الفقه وقع بالفعل فيما يتعلق بالأدب اليوناني حين وقف المسلمون عليه فلم ينبهروا به كما ينبهر

[١] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو ، صـ١٠.

[٢] سورة الفرقان: الأية ٢

[٣] سورة النجم: الآية ٣١

مثقفونا اليوم بالأدب الأجنبي بشكل بشع!، هذا لأن الشعر العربي كان قد حدد موضوعاته وطرائقه فاكتفوا بما لديهم من التراث الشعري[(١)]، مع ما في هذا الأدب من وثنية صارخة ينبو عنها ذوق المسلم كالصراع بين الآلهة والإنسان، وما شئت من هذه الوثنيات التي تدل على انحراف مزر في الصورة السوية للنفس الإنسانية.

ثامناً: قد نجد تشابهاً بين شريعة الله والقانون الروماني أو الوضعي عموماً في بعض الأمور كقاعدة (البينة على من ادعى واليمن على من أنكر الموجودة في القانون الروماني، وكلمة (الفقه) المستعملة عند الرومان بمعنى الفهم وهي كلمة (Juris)وهذا سخف بيّن، لأن القاعدة المذكورة حديث شريف صدر عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. كما روى ذلك الإمام البيهقي بإسناد صحيح[(٢)]، قبل اتصال المسلمين بالرومان، ولو يؤمر الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بإذاعتها ما أطلقها لتأخذ طريقها إلى التشريع.ولفظة (الفقه) أو (الفقهية) وجدت مع وجود اللغة فتداولها ألسن العرب، فاستعملها القرآن الكريم في آياته وتعنى هذه الكلمة الفهم، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ۝١٢٢ ﴾[(٣)]، وتحدثت عنها المعاجم، فقال صاحب لسان العرب:(الفِقْهُ: الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ والفهمُ لَهُ، وغلبَ عَلَى عِلْمِ الدِّينِ لسِيادَتِه وَشَرَفِهِ وفَضْلِه عَلَى سَائِرِ

---

(١) انظر: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، لنجيب محمد البهبيتي، (صـ ٢٥٢ وما بعدها)، مؤسسة الخانجي، مصر، ١٣٨١ هـ-١٩٦١م.

(٢) السنن الكبير، لأبى بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ)، كتابُ الدعوى والبيناتِ، باب: البَيِّنَةُ على المُدَّعِى، واليَمِيُن على المُدَّعَى عَلَيهِ، (٢٤٢/٢١-٢٤٣برقم٢١٢٤٣). ولفظ(وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ)متفق عليه: انظر: صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ} [آل عمران: ٧٧]: لاَ خَيْرَ (٣٥/٦برقم٤٥٥٢). وصحيح مسلم، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ الْيَمِينِ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، (١٣٣٦/٣برقم١٧١١).

(٣) سورة التوبة: الآية: ١٢٢

أَنواع الْعِلْمِ كَمَا غَلَبَ النجمُ عَلَى الثُّرَيَّا والعُودُ عَلَى المَنْدَل، قَالَ ابْنُ الأَثير: واشْتِقاقهُ مِنَ الشَّقِّ والفَتْح، وَقَدْ جَعَلَه العُرْفُ خَاصًّا بِعِلْمِ الشَّرِيعَةِ، شَرَّفَها اللَّهُ تَعَالَى، وتَخْصيصاً بِعِلْمِ الْفُرُوعِ مِنْهَا.. وفَقِهَ عَنْهُ، بِالْكَسْرِ، فَهِمَ)[١]، وقال صاحب القاموس:(الفقه بالكسر العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين لشرفه وفقه ككرم وفرح فهو فقيه ففقهه كنصر على.فيه).[٢]وفي العربية مادة (فقه) تجييء على ثلاثة معان تبعاً لاختلاف حركة العين عين الفعل – ويعنى وسطه ذلك أنها إذا كانت مفتوحة العين في الماضي ومضمونه في المضارع صار معناها التفوق في مجال الفقه، وإذا كانت مكسورة العين في الماضي – وهو المقصود عندنا – ومفتوحة في المضارع أصبحت تعنى العلم والفهم، وإذا كانت مضمومة العين في الماضي والمضارع أمست تفيد كونه فقيهاً، فقد أُطلقت هذه الكلمة على علم خاص هو (التشريع)، لأن هذا العلم يستدعى الفهم والمعرفة لمصدرين اثنين (الكتاب والسنة).

وقد تحدث عن هذه الفروع ابن مالك – وإن لم ينص على عين المضارع – في كتابه(الإعلام بمثلث الكلام[٣]) فقال:

وقل لمن قال بفقه قد فقه[٤] **وفهم الشيء استفد من قد فقه[٥]**

وقل لمن صار فقيها قد فقه[٦] **فقاهة واستغن عن اسهاب**

---

[١] لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، فصل الفاء، (٥٢٢/١٣).

[٢] القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(المتوفي: ٨١٧هـ)، (٢٨٩/٤)، مؤسسة فن الطباعة.

[٣] الإعلام بمثلث الكلام، لمحمد بن عبدالله بن مالك النحوى الأندلسي(المتوفي ٦٧٢هـ)،(صـ١٤٧)، تصحيح الشيخ أحمد الأمين الشنقيطي، مطبعة الجمالية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٢٩هـ.

[٤] بفتح العين

[٥] بكسر العين

[٦] بضم العين

تاسعاً: أن دعوى التشابه بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني تنقسم إلى ثلاثة أقسام[١]:

١- تشابه في الأفكار الحقوقية.

٢- تشابه في لغة التعبير في كثير من النصوص.

٣- تشابه في كثير من الكلمات الاصطلاحية الحقوقية.

وفي سياق هذا التشابه الذي ضخمه المستشرقون، فإنه منحصر (في الكلمات الاصطلاحية الجديدة دون الأصيلة) [٢]، وأنه إذا أُمعن النظر في المتشابهات -بغض النظر عن معنى التشابه- لم يوجد (في جميع ما يدعي فيه المستشرقون من تشابه في الكلمات الاصطلاحية كلمة واحدة من الكلمات الاصطلاحية التابعة لعهد الحقوق الرومية القديمة الأصيلة حتى ولو كانت هذه الكلمة الاصطلاحية القديمة لا تزال متداولة ومستعملة في الحقوق الرومية الجديدة اللاحقة).[٣]

وهذا يعني أن الحقوق الرومانية تأثرت هي بالطابع الشرقي ولم يكن لها تأثير في التقاليد والأعراف الشرقية فضلًا عن تأثيرها في الحقوق الإسلامية[٤]، وخلص في هذه المسألة إلى حصر التشابه المزعوم في المعنى اللغوي فقط، وأنه إذا نُظِرَ (نظرة خاصة في كل ما يدعى به من تشابه ما بين الكلمات الاصطلاحية في التشريعين...وعن معنى التشابه المدعى به[٥]) فإن التقارب يأتي (من جهة المعنى اللغوي الحقيقي، لا من جهة المعنى الاصطلاحي الخاص). [٦]وقد ضرب لذلك مثالًا

---

[١] الحقوق الرومية وأثرها في التشريع الإسلامي، لمحمد معروف الدواليبي، (صـ٨٥-١٤٤)، مكتبة القانون الإسلامي، دار البحوث العلمية- روما، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م-١٣٩٣هـ.

[٢] الحقوق الرومية وأثرها في التشريع الإسلامي، لمحمد معروف الدواليبي، (صـ١٠٤).

[٣] المرجع السابق، صـ١٠٤.

[٤] انظر: التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي، لمحمد يوسف موسى،(صـ١٠٢،٩٥،٨٦).

[٥] الحقوق الرومية وأثرها في التشريع الإسلامي، لمحمد معروف الدواليبي، (صـ١٠٦-١٠٧).

[٦] المرجع السابق، صـ ١٠٧.

بكلمتين) لتكونا أنموذجًا لغيرهما من الكلمات) [١]، التي ضخمها المستشرقون، وبنوا عليها دعوى تأثر الشريعة بالقانون الروماني، (وهاتان الكلمتان...هما كلمة الإجماع عند الفقهاء في التشريع الإسلامي وكلمة كونسانسوس consensus اللاتينية المفيدة معنى الإجماع أيضًا عند الفقهاء في التشريع الرومي)[٢]. ثم أجري المقارنة بينهما من حيث الأسس والغايات وطرق الحصول عليهما، وخلص إلى القول:(من المقارنة بين كلمتين اصطلاحيتين هما الإجماع في التشريع الإسلامي والإجماع في التشريع الرومي يتضح أنه لا تشابه بينهما كما ادعى المستشرقون لا في الأساس، ولا في الغاية ولا في طريق الحصول عليهما... إنما هناك تقارب في المعنى اللغوي). [٣]ويقرر بأن هذا التقارب في المعنى اللغوي لا يسمح بدعوى التشابه في المعنى الاصطلاحي، وأن دعوى التشابه فرضية لا تقوم على أساس سليم بل تخالف الوقائع العلمية). [٤]

عاشراً: أمَّا زعم المستشرقين بأن الإمام الشافعي(وما في كتبه من علم الإمام الأوزاعي) قد كانا على علم بالقانون الروماني، وعن طريقهما تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني، فإن هذا القول مردود من وجوه عدة، من أبرزها:

١-إن تراث القانون الروماني قد اندثر من قبل عصر الإمام الأوزاعي والإمام الشافعي بنحو قرنين من الزمان، ولم يكن أحد في تلك البيئة الشامية يعرف شيئًا عن القانون الروماني.[٥]

٢-إن الإسلام قد صبغ مجتمع الشام بصبغته الإسلامية المختلفة عن الصبغة التي كان عليها في عصر البيزنطيين. [١]

---

[١] المرجع السابق ،(صـ ١٠٧).

[٢] الحقوق الرومية وأثرها في التشريع الإسلامي، لمحمد معروف الدواليبي ، صـ ١٠٧.

[٣] المرجع السابق ، صـ ١١٣.

[٤] المرجع السابق، صـ١١٤

[٥] انظر: الاستشراق والفقه الإسلامي، لمحمد الدسوقي، صـ٧١١، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٩٨٧م.

٣-انقطاع صلة الإمام الأوزاعي والإمام الشافعي بالقانون الروماني، لأنهما من مدرسة أهل الحديث التي تعول على النص"الكتاب والسنة" وفهم سلف الأمة أكثر من الميل للقول بالرأي الذي ربَّما لو كانا من أهله لتطرق الشك إلى فقههما باعتبار أن الفكر التشريعي القانوني مستمد من العقل في المقام الأول، وعلى هذا فإنَّ دعوى التأثر هذه ساقطة حجة وتاريخًا.[٢](والعالم كله قبل الإسلام لم يعرف فكرًا أصوليًّا للقوانين والتشريعات)[٣]، وإنَّما السبق في هذا للمسلمين إذ أصلوا المناهج ووضعوا قواعد البحث العلمي وعن طريقهم نقل الغرب ذلك الفكر، وأفادوا منه، ثمَّ تجاهلوا ذلك، وانثنوا ينسبون هذا السبق وتلك الريادة إلى القانون الروماني. [٤]

---

[١] الاستشراق والفقه الإسلامي، لمحمد الدسوقي، صـ٧١١.

[٢] انظر: الاستشراق والفقه الإسلامي،لمحمد الدسوقي، صـ٧١١.

[٣] لنظر: الإسلام وموقف علماء المستشرقين: اتهامهم الشريعة بالجمود وعلمائها بالتأثر بالقانون الروماني، لعبد الحميد متولي، صـ ٧٢- ٧٣،

[٤] انظر: الاستشراق والفقه الإسلامي،لمحمد الدسوقي، صـ٧١٢.

المبحث الثالث

تعلم فقهاء المسلمين القانون الرُّوماني في مدارس بلاد الشام

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

يُحسب للمستشرق الإيطالى كارلو ألفونسو نالينو هذا المبحث، حيث إنه يُثبت تعذر أدلة وإثبات المستشرقين فيما نسبوه من جُرمٍ حول تعلم فقهاء المسلمين القانون الرُّوماني في مدارس بلاد الشام، فيقول نالينو:(لا جرم أنه يمكن الظن في تسرب شيء من القوانين الرومية بواسطة الاتصالات بفلسطين وسوريا. ولكن إذا كان الأمر كذلك فإن هذه التسربات الرومية تكون قد دخلت في الفقه الإسلامي بواسطة قانون العرب الجاهليين، لا بعد الفتوحات العربية خارج جزيرتهم. **على أن هذا كله لا يكون إلا ظناً بحتاً، فإنه لا يوجد لإثباته دليل من الحقائق والوقائع إلى الآن. ولو ثبت شيء من هذا النوع فسيكون سبباً لمعضلات أخرى).**[١]

ويقول نالينو:(وأنا اكتفي بذكر واحدة منها ، وهو أمر معروف مشهور: أعني شهادة تيو دوريتو" Theodorito"من النصف الأول للقرن الخامس للمسيح، الذي يقول إنه توجد أقوام في أقصى حدود الإمبراطورية الرومية رغم أنهم خاضعون لحكم الروميين، فإن القانون الرومي لا يطبق عليهم. يصرح تيودوريتو أن منهم القبائل الإسماعيلية الكثيرة العدد"اسماعيلية معناه عربية ").[٢]

ويتابع نالينو قائلاً:(وإثر وفاة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يخضع العرب بصولاتهم العنيفة الهائلة المقاطعات الكبيرة، الآسيوية والإفريقية، من الدولة البيزنطينية"الرومية"فقط، بل

---

[١] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٣.

[٢] المرجع السابق، صـ١٣.

حملوا أيضا في الوقت نفسه على امبراطورية أخرى"من الفرس الساسانيين" واحتلوا أرضها بتمامها. فمن المعقول نظرياً أن نحسب وجود تأثير للقانون الساساني. فقد هيأت الإدارة الفارسية بعض مصطلحات الإدارة للإدارة الإسلامية، مثل كلمة« الديوان ». والطريقة التي طبقها الخليفة الثاني عمر" ١٣ ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م " على أراضي بابل والعراق صارت أنموذجاً لخراج الأراضي في جميع البلدان المفتوحة من ناحية القانون الإسلامي. فأخذ الفقه بعض المصطلحات من الفارسية: مثل « ده يازه ده دوازده » في معنى المرابحة، حيث يوجد خط كما يوجد ربح، وكذلك « سفتجة »[١] التي لا مرادف لها بالعربية. أما مسائل المساقاة، وهي أمر حيوي لبلاد تعيش بالري، فعرفها العرب الذين كانت الدولة الساسانية قبل الإسلام، قد استعملتهم لتأسيس دولة حاجزة على طول حدود بابل، تمنع تسرب البدو" ألا وهي دولة المناذرة في الحيرة". ونذكر أخيرً أن في بلاد ما بين النهرين و بابل، في المنطقة التي كان فيها قلب دولة الساسانيين، عاش وتعلم مؤسساً مذهبين سُنيين: أبو حنيفة وابن حنبل، وكذلك الشافعي في أول أمره. ونشأ هناك أيضا مؤسسو المذاهب الشيعية المختلفة. فمن المعقول نظرياً أن يكون هناك إمكان لتأثير القانون الساساني. غير أن هذا القانون لا نعرف منه إلى الآن إلا اليسير. ولذلك لا يمكننا استنباط أية نتيجة في هذا الباب. ولن يكون من اللغو لو فكرنا أنه كان هناك تسرب للقانون الرومي أو اليوناني إلى القانون الساساني "الفارسي". كما أن من الممكن أن يكون له أثر في القانون العربي الجاهلي وأن ذلك القانون نفذ مـن طريق القانون الساساني إلى الفقه الإسلامي. **ولكن ليس هذا إلا ظن يسير ادعاؤه عسير إثباته).**[٢]

وينفي نالينو ادعاءات المستشرقين في سرعة تدوين الفقه الإسلامي بأن ذلك لا يمكن تدوينه إلا بوجود نماذج جاهزة اعتمد عليها المسلمون في تدوين تشريعهم، فيقول:(ومن الأدلة في

---

[١] يعني أن تعطي مالاً لرجل فيعطيك خطا: أي: صكا، يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان أخر، والصك أيضا كلمة فارسية معربة.

[٢] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٧.

تأييد التأثير العظيم للقانون الرومي في الفقه الإسلامي: سرعة تدوين القانون الإسلامي لأننا نرى أن مطالعة المسائل الفقهية وتأليف الكتب فيها كانا قد تطورا وتقدما تقدماً عظيماً حتى في أوائل القرن الثاني للهجرة. ولتفسير هذه الواقعة خارقة العادة يقول" المستشرقون": لا يمكن تأويله إلا بأن نقر أنه كان أمام المسلمين نماذج وجدوها في كتب القانون الرومي. **ولكن من استدل بهذا نسي أن الداعي الى هذا الازدهار المبكر الواسع لم يكن شوق المسلمين الى القانون - بالمعنى الاوربي - لانه لم يكن في ذلك العصر ، في جميع الشرق الأدنى ، أية رغبة أو ميل الى الدراسات القانونية ، كما يظهر من انتاج نصارى الشرق . وبالعكس فان السبب الحقيقي لعظمة هذا الانتاج القانوني عند المسلمين هو تصور القانون الذي كان عند محمد (- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -) وعند أتباعه ، فانهم جعلوا الفقه جزءا من عليم الدين لا ينفك عنه ، ولم يجعلوه علما ماديا من أمور الدنيا . فازدهار الفقه السريع ليس الا أحد مظاهر الازدهار العام للعلوم الدينية عند المسلمين ، وكان ابتداؤها من تفسير القرآن ومن جمع الحديث وتشريحه).**[١]

٢-مضمون الشبهة:

- فكرة أن فقهاء المسلمين تعلموا القانون الرومي أو أن الفقه الإسلامي استُند إلى قوانين رومانية أو يونانية عبر القانون الساساني.
- تفسير الازدهار المبكر للفقه الإسلامي كنتيجة لتقليد القانون الرومي بدلًا من كونه نابعًا من الوحي والواقع الاجتماعي الإسلامي.

٣-هدف الشبهة:

- تقليل القيمة التاريخية والاستقلالية للفقه الإسلامي.
- تصوير الفقه الإسلامي على أنه مجرد نسخة أو تأثر بالقانون الرومي أو القانون الساساني.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

[١]نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو ، صـ٢٠-٢١

- الافتراض بأن سرعة تدوين الفقه الإسلامي لا يمكن تفسيرها إلا بالاعتماد على نماذج جاهزة.
- الادعاء بوجود تسرب للقانون الرومي إلى الفقه الإسلامي عبر القانون الساساني دون أدلة ملموسة.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يشيرون أن الفقه الإسلامي في جوهره هو القانون الرومي مع تغير طفيف.[٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** الشبهة لاقت رواجًا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرون. خاصة بين غير المتخصصين الذين لم يدرسوا العربية أو الفقه الإسلامي بعمق، بينما أظهر المتخصصون الحقيقيون تشكيكًا قويًا في هذه الإدعاءات.[٣]

---

[١] انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، لمنظمة المؤتمر الاسلامي، جدة، العدد ٥، صـ٢٨٥٧

Nallino, Carlo Alfonso. "Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano." Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي ،المجلد ١٤، روما،1932، ص. ١٥٠–١٥٥.

[٢] Hugues, Henri. Essai sur le droit musulman. Paris: Imprimerie de Paris, 1874, 45–50.

هيوغ، هنري. مقال حول القانون الإسلامي. باريس: مطبعة باريس، ١٨٧٤، ص. ٤٥–٥٠.

[٣] Nallino, Carlo Alfonso. "Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano." Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 155–144

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي ،المجلد ١٤، روما،1932، ص. ١٤٤–١٥٥.

- **في الوسط الإسلامي:** رفض معظم علماء الشريعة هذه الادعاءات وأكدوا استقلال الفقه الإسلامي، مع إدراك بعض الباحثين المعاصرين لتأثير القانون الساساني في بعض المصطلحات الإدارية فقط.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الادعاء بالاعتماد على القانون الرومي أو الساساني قائم على احتمالات ضعيفة، وليس على أدلة مباشرة.
- من المنطقي أن يكون ازدهار الفقه الإسلامي نتيجة تصور المسلمين للقانون كجزء من الدين وليس كمادة دنيوية مأخوذة من الغرب.[2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- لم تُظهر البحوث في الأدب العبري والسرياني والقبطي والعربي والأحباش أي أثر لترجمة القوانين الرومية.
- المجتمع الإسلامي في القرن الأول لم يعرف الثقافة الرومانية، بل كان يعتمد على نظام تشريعي عربي قبل الإسلام.
- الفقه الإسلامي نشأ في المدينة والكوفة والبصرة ومكة، بعيدًا عن المدارس القانونية البيزنطية.

---

[1] انظر: منظمة المؤتمر الإسلامي، لمجلة مجمع الفقه الإسلامي،(صـ١٠-٢٥)، جدة،المجلد ١، العدد ١، ١٩٨٥م.

[2] انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، لمنظمة المؤتمر الاسلامي، جدة، العدد ٥، صـ٢٨٥٧

Nallino, Carlo Alfonso. “Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano.” Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي ،المجلد ١٤، روما،1932، ص. ١٥٠-١٥٥.

- بعض التأثيرات الفارسية موجودة في مصطلحات إدارية فقط، ولا تعني استنساخ القانون الساساني أو الرومي.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أكدوا استقلال الفقه الإسلامي وتفسير ازدهاره المبكر كنتاج للفقه الديني الإسلامي، لا التقليد الغربي.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يقرر أن المبدأ المنطقي المشترك هو أن المعرفة القانونية الحقيقية تأتي من النصوص والمبادئ الأساسية، وليس من التقليد الأجنبي بدون دليل:" اِحْفَظْ وَاعْمَلْ حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا مُوسَى عَبْدِي... لاَ يَبْرَحْ سِفْرُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلًا "[٣] وأن التشريع مصدره الوحي، لا الفلسفة أو القانون الروماني:" انْظُرُوا، قَدْ عَلَّمْتُكُمْ فَرَائِضَ

---

[١] انظر: تاريخ التشريع الإسلامي، لمناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،(صـ١٠-٣٠)،مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

Nallino, Carlo Alfonso. “Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano.” Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، المجلد ١٤، روما،1932، ص. ١٥٠-١٥٥.

[٢] Schacht, Joseph. An Introduction to Islamic Law. Oxford: Oxford University Press, 1964, 20–35.

شاخت، جوزيف. مدخل إلى الفقه الإسلامي. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٤، ص. ٢٠-٣٥.

[٣] سفر يشوع ، الإصحاح ١ ، الآيه ٧-٨

وَأَحْكَامًا، كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لِيَفْعَلُوا، فَتَسْلُمُونَهَا أَمَامَ الشُّعُوبِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، لِتَسْمَعُوا وَتَعْمَلُوا وَتَحْفَظُوا جَمِيعَ فَرَائِضِ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ وَتُحِبُّوهُ وَتَسْلَمُوا حَيَاتَكُمْ طَوِيلَةً" [١]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

إن الشريعة الإسلامية وُجدت كاملة دفعة، وجاءت في زمن واحد، واستقيت من ينبوع واحد: هو النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وقد حكم بها رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على جميع الجزيرة العربية إلى العراق وأطراف الشام، ولم يلحق – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالرفيق الأعلى إلا وقد تركنا على المحجة البيضاء، وهيأ لنا شريعة كاملة وقانوناً ربانياً منظماً يصلح لأن يطبق على أي جيل، وعلي أية أمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولم يزد فيه الفقهاء بعده شيئاً قط إلا تصنيفه ونقله. ويتمثل نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي من خلال النقاط التالية:

أولاً: من المسلم به لدى المؤرخين القدماء والمحدثين أن هناك أحداثًا تاريخية جاءت على تلك المدارس الرومانية، أولها قرار الإلغاء لتلك المدارس عدا ثلاث مدارس منها فقط في بيروت والقسطنطينية وروما، فقد صدر بذلك قرار جوستينان[(٢)]" في ١٦ ديسمبر ٥٣٣ م"، [(٣)]"ثم في

---

[١] سفر التثنية، الإصحاح ٤ ، الآيه ٥-٦

[(٢)] الإمبراطور الروماني (جوستينان ت ٥٦٥ م) قام بوضع التشريع الروماني من نصوص قانونية وآراء حقوقية في خلال ست سنين: (٥٢٨ – ٥٣٤ م) وأسهم فيها أساتذة يشتغلون تحت رعايته ويعملون في في معهد حقوق (بيزانس)القسطنطينية، ومعهد حقوق بيروت، وألفت من أربعة كتب: (كوديكس، ديجست، أنستيتود، نوفل).
انظر: حول الفقه الإسلامي والفقه الروماني، لمحمد محسن البرازيمجلة الرسالة، العدد (١٠٨)، الصادر بتاريخ: (٢٩ يوليو ١٩٣٥ م)، السنة الثالثة: ص: (١٢١٥)، مجلة للآداب والعلوم والفنون، كانت تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر، القاهرة.

[(٣)] انظر: دعوة تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني،لعبد اللّه الركبان، صـ٧٢. كلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٣م.

سنة ٥٥١ م" ضرب زلزال مدمر مدينة بيروت أتى على كل ما فيها بما في ذلك تلك المدرسة الرومانية للقانون، وحين دخل المسلمون بيروت لم تكن إلا أطلالًا، لا يمكن لعقل أن يتصور تأثير تلك المدرسة في الفقه الإسلامي بعد دمارها وما فيها من أساتذة وطلاب وآثار علمية بنحو مئة عام.[١] كذلك ما يقال عن تأثير الإسكندرية[٢]، فقد ألغيت مدرستها القانونية بموجب قرار جوستينيان السابق ذكره، ومما ورد في التاريخ بأن جوستينيان لم يكتف بقرار الإلغاء فحسب، وإنَّما أحرق ما كان بها من برديات قانونية بلغت عشرات الآلاف في بعض الروايات. والمعروف أن المسلمين دخلوا الإسكندرية سنة "٦٤١ م" بعد أن أغلقت مدرستها ودمر تراثها العلمي بأكثر من مئة عام.[٣] أما تأثُّر الفقهاء المسلمين بمدرستي القسطنطينية وروما فهو مردود من ناحيتين:

١- دخل المسلمون القسطنطينية عام ١٤٥٣م بعد أن كان للفقه الإسلامي مدارس العامرة ومذاهبه المحددة، وهو في هذه وتلك متميز تمامًا عن المدارس الرومانية والقوانين الوضعية.

٢-لم يدخل المسلمون روما فاتحين إلى العصر الحديث.[٤]

ثانياً: لم يكن بين فقهاء الشريعة الإسلامية حين تأسيسهم لمذاهبهم وتدوينها من يعرف اللغة الفرنسية أو الألمانية أو الإنجليزية أو الرومانية، حتى يتأثر في آرائه بآراء فقهاء القانون الغربي، بل كان فقهاء الشريعة الإسلامية بمعزل عن العالم الخارجي، بل حتى بالنسبة إلى بلادهم، فكان لكل واحد منهم مدرسة خاصة يتولى التدريس والإجتهاد فيها ويقوم بالتفكير والتحليل والتعليل والإنتاج الفقهي وهو بمعزل عن العالمين الداخلي والخارجي، مستلهما فقهه وآراءه من القرآن الكريم

---

[١] الاستشراق والفقه الإسلامي، لمحمد الدسوقي، صـ٧٠٩.

[٢] انظر: الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، ل س.ف. فتزجيرالد، صـ١٢٧.

[٣] انظر: الاستشراق والفقه الإسلامي، لمحمد الدسوقي، صـ٧١٠.

[٤] انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، لعبد الكريم زيدان، صـ٦٦. طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

والسنة النبوية وآراء سلفه من الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.[١]

ثالثاً: وصول الفقه الإسلامي إلى العالم الغربي بعد تدوينه واستقراره، وذلك عن طريق مدخلين:

١-حيث دخل الإسلام الأندلس (اسبانيا حاليا) بعد شمال افريقيا عام (٧١١م) الموافق لعام (٩٣هـ)، ثم دخل جنوب فرنسا ووصل إلى بلاد (ليون)، و(نور)، و(بواتيا)، و(فينيون)، وظل الحكم الإسلامي في أندلس إلى سقوط غرناطة عام (١٤٩٢م) الموافق لعام (٩٧٧هـ)، وبذلك استمر التشريع الإسلامي في أوروبا معمولا به أكثر من (٧٠٠) سنة [٢].وكان الفقه المعمول به في الأندلس فقه الإمام الأوزاعي، ثم حلّ محله الفقه المالكي عن طريق زياد بن عبدالرحمن في عهد هشام بن عبدالرحمن عام (١٧١هـ)، فأنتشر هذا المذهب هناك وظل معمولا به طيلة الحكم الإسلامي في الأندلس.

٢-وقد قامت هذه العلاقات بعد تأسيس الدولة العثمانية ودخول السلطان محمد الفاتح الأستانة عام (١٤٥٣م) وبعد أن توسعت فتوحات هذه الدولة توسعا كبيرا وأصبحت مسيطرة على أقطار شاسعة في آسيا وشمال افريقيا وأوروبا، تأثرت التشريعات اللاتينية والجرمانية بفقه أبي حنيفة رحمه الله الذي كان مذهبا رسميا للدولة العثمانية .[٣]

---

[١] انظر: المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية ومذهب الإمام مالك، لعبدالله علي حسين(٢٩/١ وما يليها)، دار السلام،٢٠١١م.

[٢] أن القانون المدني الفرنسي مأخوذ جُلّه من مذهب الإمام مالك. انظر: المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية ومذهب الإمام مالك، لعبدالله علي حسين (٣٨/١).

[٣] انظر: الأوضاع التشريعية في الدول العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، لصبحي المحمصاني (صـ١٨٥ وما يليها)، دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

رابعاً: ويرى الباحثون في المقارنة بين القانون المدني الفرنسي المعروف بقانون (كودنابليون) الصادر عام (١٨٠٤م) وبين فقه الإمام المالك، ثبت لهم بالأدلة الواقعية والمقارنة، أن الأول تأثر بالثاني أكثر من ٤٠.%. [١]

خامساً: ثم إن المختصين أنفسهم بالقانون الساساني، وهو إيراني الأصل"على مظاهري" : ذكر في كتابه القانون الساساني ومقارنته مع القانون الإسلامي[٢]: (أن الساسانيين المجوس كانوا يظنون، كما يظن المسلمون، أن القانون هو أمر إلهي، وكانوا يحرمون الإلحاد، والسحر، والارتداد. ثم يقول:"نحتاج إلى مجلد كامل لذكر جميع المماثلات"، ويكتفي بأهم مثال وجده، وهو أن القانون الساساني كان يرخص قتل الوزغ ومعناه بالفارسية الضفدع، كما رخصه الفقهاء[٣]"والوزغ بالعربية نوع من الحرباء الأبيض"، "بينما الفقهاء صرحوا بحرمة قتل الضفدع"[٤]). ولا يتضح مدى التأثير.

---

(١) دراسة في العلاقة بين الفقه الإسلامي والقوانين القديمة وأصالة المبادئ والنظم في الفقه الإسلامي، للدكتور/ عصمت عبدالمجيد بكر، ، صـ ١٢٧ ومابعدها، دار الكتب العلمية،٢٠١٠م.

(٢) القانون الساساني ومقارنته مع القانون الإسلامي، لعلى مظاهري، صـ ١٧ – ٢٠، رقم ٧، مجلة أفكار شيعة، باريس، ١٩٦٠م.

(Aly Mazahéri, le droit sassanide comparé au droit musulman, dans la Pen- sée Chi'ite, Paris, No7, janvier,1961,p.17-20

(٣) الفوائد في اختصار المقاصد، لأبى محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، صـ٣٣، المحقق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦

(٤) الوَاضِح في أصُولِ الفِقه، لأبى الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ)، (٢/٩١)، المحقق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

سادساً: كما أنه مِن المعروف تاريخيًّا أنَّه كان للرُّومان مدارس ومحاكم في بلادِ الشام تسير على أساس القانون الرُّوماني، ومنها مدرسة الإسكندرية، ولكنَّها كانتْ قد أُغلِقتْ قبل فتْح المسلمين لها بأكثرَ مِن قرن، فقد أُلغيت سَنَة (٥٣٣م)، وفتَح المسلمون الإسكندرية سَنَة (٦٤١م)، وكذلك مدرسة بيروت فقد هُدمت على إثرِ زلزال هدم كثيرًا مِن مناطق بيروت، ومنها هذه المدرسة في ١٦ من يوليو سَنة (٥٥١م) وكان ذلك قبلَ ميلاد النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بنحوِ عشرين سَنَة، وقبل فتح المسلمين لها بنحو خمسٍ وسبعين سَنَة (في سنة ٦٣٥م). إن مدينة بيروت حتى عام ٦٠٠ كانت خراباً وقد سقطت بين أيدي العرب بسهولة سنة ٦٣٥ دون أن تكون مدرسة بيروت قد عادت إلى الحياة).[١]

سابعاً: وأمَّا المحاكم فإنَّ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في عصرِه كان هو القاضي، وكان يُرسل بعضَ أصحابه إلى البلادِ المجاورة التي دخلتْ في الإسلام لهذه المهمَّة، ثم تولَّى الخلافةَ مِن بعده أبو بكر –رضي الله عنه- فكان عمرُ –رضي الله عنه- قاضيَه، ثم لمَّا كثُرتِ الفتوحات الإسلاميَّة جعل أمير المؤمنين عمر –رضي الله عنه- لكلِّ ولاية قاضيًا.

ثامناً: وفي رسائلِ عمرَ –رضي الله عنه- إلى أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه- وشريح وغيرهما ما يُفيد التزامَ هذه المحاكِم بأحكامِ الشريعة الإسلاميَّة، لا القوانين الرُّومانية. [٢]

تاسعاً: والواقع أنَّ المسلمين لما فتَحوا البلادَ ألْغَوا نظامَ القضاء فيها وأنشؤوا محاكمَ قضائية تحكُم بالشريعة الإسلاميَّة، وتتبع في إجراءات التقاضي بها أحكامَ الفقه الإسلامي، لأنَّ القاضي والمفتي والفقيه كل هؤلاء مجتهدون، ومِن أبسط أصولِ الاجتهاد استنباطُ الأحكام الشرعيَّة من الكتاب والسُّنة والإجماع والقياس... إلخ، وهذه كلُّها أصولٌ إسلاميَّة لا رُومانية.

---

[١] نقلاًمن: الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها، لأنور الجندي،صـ ٢٩٢. دار الكتاب، لبنان، ١٩٦٤م.

[٢] إحياء علوم الدين، لأبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، (٣٧٨/٤)،دار المعرفة – بيروت.

عاشراً: أمَّا ذكر نالينو لبعض المستشرقين في سرعة تدوين الفقه الإسلامي على كونه اقتبس من نماذج جاهزة تمثلت في القانون الروماني فقد ردَّ على ذلك نالينو **في أن سرعة تدوين الفقه الإسلامي يرجع إلى إرتباطه بالعلوم الدينية لدى المسلمين، فيقول:(فازدهار الفقه السريع ليس إلا أحد مظاهر الازدهار العام للعلوم الدينية عند المسلمين، وكان ابتداؤها من تفسير القرآن ومن جمع الحديث و تشريحه).**[١]

الحادى عشر: إن سرعة تدوين الفقه الإسلامي ليست على إطلاقها، بل تدرجت في سلم الحضارة الإسلامية فإنها تعدُّ في نظر المنصفين ممَّا تميزت به الأمَّة الإسلامية، وقد أثبت الباحثون:(أن الفقه الإسلامي لا يلتقي مع القانون الروماني في منهج التدوين لا من حيث التقسيم، وترتيب المسائل، وتشقيق الفروع، ولا من حيث الصياغة واستخدام الألفاظ والعبارات)[٢]، كما أثبتوا كذلك بأنَّ (كتب ذلك الفقه لا تحتوي على كلمة واحدة أو إشارة عابرة توحي بالتأثر والنقل)[٣]، مما يبرهن على فساد آراء أولئك المستشرقين ومجافاتهم قواعد البحث العلمي وضوابطه المنهجية، حتى لقد بلغ الإسفاف ببعضهم إلى القول:(إن هناك تواطؤًا مقدسًا على السكوت الجنائي عند المؤلفين المسلمين بصدد المصادر التي أخذوا منها مادتهم).[٤] ويدل هذا القول ونحوه عن أزمة الاستشراق، وإن توارى وراء ادعاء أنه يعالج قضية تاريخية. وقد استدل (فتزجيرالد)[٥] بسكوت التاريخ الإسلامي عن مسألة التأثر بالقانون الروماني في الفقه الإسلامي وتدوينه على انتفاء ذلك التأثير،

---

[١] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ٢١.

[٢] الاستشراق والفقه الإسلامي،لمحمد الدسوقي، صـ٧١٩.

[٣] المرجع السابق، صـ٧١٩.

[٤] انظر: الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، لفتزجيرالد، صـ ١٦٤.

[٥] سبق ترجمته، صـ٦٠٦

وذكر بأن الذين زعموا ذلك التأثر"ومنهم نالينو" (لا يقدرون على إثبات وجود الاستعارة من القانون الرومي في الفقه الإسلامي بمجرد قولهم: إن الفقه لم يعترف بوجودها).(١)

والصحيح أنَّ المسلمين في القرْن الثاني الهجري هبُّوا لتدوينِ علومهم بعدَ نشأتها وازدهارها، فدُوِّنت السُّنة، ثم دُوِّنت علوم اللُّغة، كما دُوِّن الفقه، ثم أصول الفقه بالذات، وهو بمثابة المنهج الذي يضبط الاستنباطَ مِن الزَّلل والخَلَل، وهو علمٌ إسلاميٌّ مائة في المائة، لم تَشُبْه شائبة العُجمة في أيِّ جزء من أجزائه عندَ ابتكاره على يدِ الإمام الشافعي محمَّد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)، وهو فقيهٌ لم يصحَّ أنه كان يَعرِف غيرَ اللُّغة العربية، وما نُسب إليه مِن أنه كان يعرف اللغةَ اليونانيَّة فمحضُ افتراء.

---

(١) انظر: الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، لفتزجيرالد، صـ١٦٤.

المبحث الرابع

تبنِّي الأعراف(القوانين الرُّومانية) فى البلاد المفتوحة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

يقول جوناثان براون[١]:"لقد بالغ شاخت[٢] في تصوير الفقه الإسلامي كبناء لفق به المسلمون القوانين المحلية (الرومانية والبيزنطية). الأبحاث الحديثة تظهر أن العقل الفقهي الإسلامي كان يمتلك 'نظاماً مناعياً' قوياً، وكان يرفض أي عرف لا يتسق مع بنية الوحي، مما يجعل القول بالتبني الشامل للأعراف الرومانية مجرد فرضية استشراقية قديمة تجاوزتها الدراسات الحديثة." [٣]

---

[١] جوناثان براون Jonathan A.C. Brown (1977م – معاصر القرن ٢٠_٢١) أمريكي مسيحي اعتنق الاسلام، باحث في الدراسات الإسلامية كتب عن الاسلام – النبي محمد صلى الله عليه وسلم – الحديث – السلفية – الصوفية، كان أستاذ مشارك في جامعة جورج تاون، تم تعيينه رئيسا للحضارة الإسلامية. وهو رئيس تحرير موسوعة أكسفورد للإسلام والقانون، من آثاره: تراث محمد في العالم في العصور الوسطى والحديثة، وتقديس البخاري ومسلم. انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[٢] جوزيف شاخت (المولود عام ١٩٠٢ ,Schacht)تخرج من جامعتي برسلاو وليبزيج، وعين أستاذاً في عة جامعات وانتخب عضواً في مجامع وجمعيات ونواد عدة، منها المجمع العلمي العربي في دمشق.من كتبه: الحيل والمخارج للخصاف، بمقدمة وحواشي (هانوفر ١٩٢٣) وكتاب الخيل في الفقه للقزويني.

انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي، (٢/٨٠٣-٨٠٥).

[٣] الحديث الشريف: تراثه، وتفسيره، وتطوره، لجوناثان براون،(صـ٣١٠)، ترجمة:عبادة كحالة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر،٢٠١٦م.

"ولكن أحيانا يُراد بمصطلح القانون الإسلامي عند علمائنا في أوروبا ما يختلف كثيراً عن الفقه. فإنهم ينتخبون من الفقه أبواباً هي من القانون في الحقيقة حسب التصور الغربي، ويضيفون إليها أشياء خاصة من الحقوق العامة يدخلها المسلمون في السياسة الشرعية"وليس بالفقه"، أو هي أُلحقت بالفقه لأن الفقهاء المتأخرين قبلوها وقرروها مثل الكراء طويل الأمد[(١)] الذي لم يجوزه الفقهاء إلا في الأزمنة المتأخرة جداً بسبب كثرة الأوقاف والإقطاعات في بلاد المسلمين الواقعة على البحر الأبيض. وكذلك يراد أحيانا بمصطلح القانون الإسلامي، وخاصة في بيئات المستعمرات القواعد المعمول بها عند مسلمي ناحية من النواحي. يعني الأحكام الشرعية التي لم تعطل، وأيضا القانون المحلي الذي هو عبارة عن عادات وتقاليد لا علاقة لها بالإسلام. **وهكذا نرى أن هناك فرقاً كبيراً في مسألة العلائق بين القانون الرومي والفقه الإسلامي حسبما يراد بمصطلح القانون الإسلامي ويرجح أحد التحديدات الثلاث الآنفة الذكر".**[(٢)]

وينفي نالينو زعم من يدعى أن الفقه الإسلامي تأثر بدخول من اعتنق الإسلام:(فقبل أي بحث يجب أن تتحقق ماذا كانت حالة نظام القانون العربي"الفقه الإسلامي"، أو أنظمة القوانين العربية، قبل الإسلام. إن الباحثين لم يعتنوا إلى الآن بالبحث الأساسي في هذا الموضوع. **ويهمل أهمية هذا البحث من يزعمون أن الفقه الإسلامي " ما عدا قانون الأسرة من الزواج ومتعلقاته، والوراثة، والعقوبات، وطريق القضاء" كان ميدانا خاليا ملأته بالتدريج القوانين الأجنبية في العصور التي أتت بعد محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، بتأثير الأقوام الأجنبية التي خضعت بسرعة واعتنقت الإسلام).**[(٣)]

(١) أجرة المستأجر.

(٢) نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٢.

(٣) نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٢.

يذكر نالينو آراء المستشرقين المختصين بالدراسات الإسلامية، الذين ادعوا تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي من خلال عمل الفاتحين المسلمين في المحاكم التى كانت خاضعة للقضاء البيزمطى، وإعتناق النصاري واليهود للإسلام، فيقول:(إن الذين يزعمون أن القانون الإسلامي عالة على القانون الرومي، أو على الأقل متأثر به تأثراً عميقاً، **كان من الواجب عليهم أن يفصلوا بوضوح كيف حصل هذا التأثر العظيم. أما بعض أهل القانون فإنهم فرضوا وجود الترجمات العربية لكتب القانون الرومي – ولكن هذا الفرض أبطلته الحقائق تماماً. أو على الأقل استمرار تقاليد المدارس المشهورة للقانون الرومي من الاسكندرية وبيروت، رغم أنها كانت قد أغلقت قبل أن يفتح العرب تلك البلاد بمئة سنة.** أما المستشرقون الذين يتخصصون بالدراسات الإسلامية، فكانت نظريتهم أقل بُعداً عن الحقائق، لأنهم فكروا في أعمال المحاكم العدلية التي كانت موجودة وقت الفتح الإسلامي، وكذلك فكروا في أثر النصارى واليهود الذين اعتنقوا الإسلام. **ولكن كان الواجب على هؤلاء المستشرقين أن يحلوا بعض المسائل التاريخية المغلقة المهمة قبل أن يفرضوا أية فرضية.** أعني كيف كانت الحالة الحقيقية للمؤسسات القضائية في فلسطين وسوريا حين احتلها العرب ؟ هل استمرت أشغالها ؟ أم هل فوضت واجباتها الى أهل الكنيسة في كثير من النواحي ؟ – ونحن نعرف كم كان معرفة أهل الكنيسة في الشرق بالمسائل القانونية قليلة ثم ألا يثبت بكتب التاريخ العربية أن معظم موظفي الروم في الإدارة والمحاكم القضائية. وفي ذلك الوقت لم يكن يوجد عارف بالقانون سواهم . كانوا قد تركوا البلاد وفروا عندما بدأت حملة العرب ؟ وهلا نرى أن العرب دخلوا البلاد فأعطى لهم الناس الطاعة بواسطة الأساقفة من أهل الكنيسة، بدلاً من الموظفين المدنيين الذين كانوا قد هربوا من قبل ؟ لا أحتاج أن ألح في ذكر أهمية هذه الأسئلة للبحث الذي يشغلني الآن . ولكن هناك أمر آخر يجب أن ألفت النظر إليه، ولو مارا :وهو أن في المباحث المختلفة حول إمكان عالة القانون الإسلامي على القانون الرومي وحول العلائق فيما بينهما، أجد العلماء يفرضون، صراحةً أو ضمناً، أمرين لا يتفقان رأساً مع الحقائق: أولهما: أن تكون الإدارة القضائية القديمة استمر عملها بأسلوب منظم إلى مئة سنة بعد الفتح

العربي. وثانيهما: أن الفاتحين الجدد قد استفادوا بتلك الإدارة لمصلحة رعيتهم غير المسلمة. والحقيقة خلاف هذا.[١] لا شك أن المسلمين لم يتدخلوا في أمور أهل الذمة من الأقوام المفتوحين بل قرروا أن يكون لكل ملة قانونها، كما أمرهم به القرآن. فحتى لو افترضنا أن المحاكم العدلية القديمة استمرت تحت إدارة الأساقفة" النصرانيين" والربيين" اليهود" بأداء واجبها بنظام بمعنى أن الأساقفة طبقت القانون الرومي، وهذه المفروضة لا أساس لها من وجهة النظر التاريخي – فإن العرب لم يستفيدوا من تلك المحاكم علمياً، ولم تكن في تلك البلاد مصلحة اقتصادية مشتركة "بين المسلمين وأهل الذمة" حتى يعرف الفاتحون المفتوحين جيداً، في الأمور المالية لأن العرب قنعوا بعد الفتح لسنين طويلة عديدة بوظائف الحكومة، فكانوا عمالاً أو جنوداً فقط، ولم يشتغلوا بتاتا كالفلاحين والتجار ومالكي الارأضي"الزارعين". نعم، إن أراضي الدولة كانت قد أقطعت للجند، ولكن أرباب الاقطاعات من العرب لم يشتغلوا بالزراعة بل اكتفوا بأن يؤدي إليهم نائبهم النصراني خراج الأراضي المزروعة في اقطاعاتهم. فإذا كانت هناك عقود زراعية ونشأت عنها خصومات، فالفريقان كانا من النصارى، ولم تسمع المحاكم القضائية الإسلامية في القرن الأول للهجرة– حيث تكون الفقه الإسلامي تلك الخصومات" بل اشتغلت بها المحاكم الملية الخاصة بأهل الذمة". ولو راجع أحد أحياناً القاضي المسلم لكان القضاء فيه حسب قانون المسلمين، لا حسب قانون النصارى. وسوى هذا فإن تأثير الأجانب الذين اعتنقوا الإسلام لم يكن يعتد به في باب القانون في العصر الذي يهمنا "لتكون الفقه"، لأن هؤلاء لم يكونوا حينئذ إلا موالي، أقل رتبة من العرب ولم يعين منهم قضاة).[٢]

٢- مضمون الشبهة:

- الفقه الإسلامي تأثر بالقانون الروماني، واستمد أحكامه من محاكم الدولة البيزنطية، ودخلته عادات الشعوب المفتوحة، وشارك في تشكيله من اعتنق الإسلام من اليهود والنصارى.

---

[١] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ٢٢.

[٢] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ٢٣.

- أن مصطلح القانون الإسلامي مضطرب في الدراسات الغربية، وخلطوا بين الفقه الإسلامي، والسياسة الشرعية، والعادات المحلية.

٣- هدف الشبهة:

- نزع الأصالة عن الفقه الإسلامي واعتباره تابعاً للقانون الروماني.
- إظهار الإسلام كديانة مستوردة قانونياً وليس لها منظومة ذاتية.
- إسقاط حجية الفقه والشريعة بدعوى أنها نتاج بيئات اجتماعية، وليست وحياً إلهياً.
- التشكيك في قدرة الإسلام على إنتاج منظومة قانونية مستقلة.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الافتراض بأن سرعة تدوين الفقه الإسلامي لا يمكن تفسيرها إلا بالاعتماد على نماذج جاهزة.
- عدم وجود أدلة تاريخية على انتقال منهجي للقانون الروماني إلى المسلمين.
- غياب ترجمات عربية لكتب القانون الروماني في القرن الأول والثاني للهجرة.
- انهيار مؤسسات القضاء البيزنطي قبل الفتح بقرن تقريباً.
- هجرة الموظفين والقضاة الروم خلال الفتح وعدم بقاء من يستطيع تعليم العرب.
- أن العرب لم يشاركوا في النشاط الزراعي والاقتصادي أول الفتح، وبالتالي لم يخالطوا الروم مخالطة قانونية.
- أن المحاكم التي بقيت للنصارى واليهود لم يكن لها اتصال علمي بالمسلمين. [١]

---

[١] انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، لمنظمة المؤتمر الاسلامي، جدة، العدد ٥، صـ٢٨٥٧

Nallino, Carlo Alfonso. “Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano.” Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، المجلد ١٤، روما،1932، ص. ١٥٠–١٥٥.

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يقررون أن التشريع الإسلامي تأثر بالقوانين المسيحية واليهودية والرومانية نتيجة الفتوحات.[١]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** أصبحت الشبهة أساساً لمنهج المدرسة النقدية التي ترى الفقه الإسلامي نتاج تطور تاريخي وليس نصاً تشريعياً.وكثير من الدراسات القانونية في الغرب بَنَت أطروحاتها على هذه المزاعم.[٢]
- **في الوسط الإسلامي:** دفعت العلماء المسلمين إلى التأليف الواسع في إثبات أصالة الفقه الإسلامي.وأدت إلى ظهور دراسات مقارنة نشرها الأزهر والجامعات الإسلامية للرد على المستشرقين.[٣]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الاختلاف الجذري بين فلسفة القانون الروماني الوضعي وبين الشريعة الربانية.

---

[١] Nöldeke, Theodor. Geschichte des Qorans Leipzig: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung, 1909, 270–265.

نولدكه، ثيودور. تاريخ القرآن، لايبزيغ: دار ديتريش للنشر، ١٩٠٩.الصفحات ٢٦٥-٢٧٠

[٢] Joseph Schacht, The Origins of Muhammadan Jurisprudence Oxford: Clarendon Press, 1950 ,p. 12–16, 33–34, 70–75

جوزيف شاخت، أصول الفقه المحمدي، مطبعة كلارندون،أكسفور، ١٩٥٠،الصفحات ١٢-١٦، ٣٣-٣٤، ٧٠-٧٥.

[٣] انظر: شريعة القرآن من دلائل إعجازه، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)،(صـ١١ ومابعدها)،دار العروبة – القاهرة، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

- شريعة الإسلام قائمة على نصوص: كتاب وسنة وإجماع وقياس، وهذه المصادر ليست موجودة في القانون الروماني.
- ظهور الفقه الإسلامي كان سريعاً وكاملاً منذ حياة النبي **-صلى الله عليه وسلم-** قبل أي احتكاك قانوني.[١]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المحاكم البيزنطية كانت مغلقة عند الفتح بعقود طويلة.
- لا توجد مخطوطة واحدة تثبت ترجمة قانون روماني للعربية في القرن الأول.
- أن الصحابة والفقهاء الأوائل عاشوا في المدينة لا في مراكز القانون الروماني.
- أولى مدارس الفقه (المدينة، الكوفة، مكة، الشام) قامت على نصوص الوحي وليس على قانون وضعي.[٢]

---

[١] انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،(٧١/١)،دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ-١٩٩٥م

Nallino, Carlo Alfonso. "Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano." Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي ،المجلد ١٤، روما،1932، ص. ١٥٠-١٥٥.

[٢] انظر: تطور علم أصول الفقه وتجدده (وتأثره بالمباحث الكلامية)، لعبد السلام بلاجي،(صـ٦٣-٦٤)،دار ابن حزم – بيروت، ٢٠١٠م.

Nallino, Carlo Alfonso. "Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano." Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي ،المجلد ١٤، روما،1932، ص. ١٥٠-١٥٥.

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أثبتوا استقلال الفقه الإسلامي وأنها تختلف جذرياً عن القانون الروماني، وأن الفقه الإسلامي نشأ من القرآن والسنة، لا من الاقتباس.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس نفسه أخذ تشريعاته من القانون الآشوري والبابلي، بينما الفقه الإسلامي يتميز بالثبات، والكمال، والاتساع، والانسجام التشريعي، وبالتالي لا يمكن مقارنة منظومة مُوحى بها بمنظومة بشرية:" وَلَكِنْ إِذَا حَدَثَتْ إِصَابَةٌ، فَتَعْوِيضُ حَيَاةٍ بِحَيَاةٍ، عَيْنٌ بِعَيْنٍ، سِنٌّ بِسِنٍّ، يَدٌ بِيَدٍ، رَجُلٌ بِرَجُلٍ "[٢] هذا النص يحدد العقوبات الجسدية على أساس العدالة المباشرة، وهو مشابه لقوانين حمورابي في تطبيق العقوبة المتناسبة مع الجريمة:" إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا مَا لَا يَرْضَاهُ، فَكَتَبَ لَهَا شَهَادَةَ طَلَاقٍ وَأَرْسَلَهَا"[٣] هذا النص أيضاً يشابه بعض أحكام حمورابي المتعلقة بالزواج المدني والطلاق.

---

[١] Duncan B. Macdonald, Development of Muslim Theology, Jurisprudence, and Constitutional Theory (New York: Charles Scribner's Sons, 1903), 112–115.

دونكان ب. ماكدونالد، تطور العقيدة الإسلامية والفقه ونظرية الدولة، ترجمة تقريبية (نيويورك: دار نشر تشارلز سكريبنر، ١٩٠٣)، ص. ١١٢-١١٥.

Thomas W. Arnold, The Preaching of Islam: A History of the Propagation of the Muslim Faith (London: Constable, 1913), 78–82.

توماس و. أرنولد، الوعظ في الإسلام: تاريخ نشر الدين الإسلامي، ترجمة تقريبية (لندن: دار كونستابل، ١٩١٣)، ص. ٧٨-٨٢.

[٢] سفر الخروج ، الإصحاح ٢١ ، الآيه ٢٣-٢٥

[٣] سفر التثنية، الإصحاح ٢٤ ، الآيه ١-٤

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

يُحسب للمستشرقين جوناثان براون وكارلو ألفونسو نالينو هذا المبحث أيضاً، حيث ظهر الخلط الذي وقع فيه أساتذتهما بين مصطلحات الفقه الإسلامي والقانون الإسلامي، وأن الفقه الإسلامي تطور بسبب البلاد التى فتحها المسلمون، فدخلت فيه الحقوق العامة كالسياسة الشرعية، والعادات والتقاليد التى اندمجت في البلاد التى فتحها الإسلام. ويتمثل نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي من خلال النقاط التالية:

أولاً: بداية الإسلام نبعت من نفس المشكاة التي نبعت منها الديانات السابقة وخاصة اليهودية والنصرانية، فالله عز وجل هو الذي أنزل الديانات كلها، ولكنه أوكل حفظ اليهودية والمسيحية إلى البشر، فحرف اليهود والنصارى دينهم، في حين أن الله عز وجل هو الذي تولى حفظ القرآن والإسلام فلم يتبدل منه حرف واحد.

ثانياً: ثم إن تشابهت بعض التشريعات الإسلامية مع تشريعات الديانات الأخرى تشابها اسمياً فقط، أما المضمون والتطبيق فمختلف تماماً، وكان موقف الإسلام مما سبقه من الديانات التصديق لأصلها قبل التحريف والهيمنة عليها.

ثالثاً: أنَّ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رفَض أحدَ الأحكام مِن كتب الأمم السابقة، فقد ثبَت عنه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنَّه غضِب عندما عَلِم أنَّ بعض أصحابه يريد كتابةَ بعض صُحف التوراة، وذكر أنَّ موسى – عليه السلام – لو كان موجودًا لمَا وَسِعه إلا اتِّباعه، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَغَضِبَ وَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ[١] فِيهَا

---

[١] التَّهَوُّك كالتَّهَوُّر وهو الوُقوع في الأمْرِ بِغَيْرِ رَوِيَّة. والمُتَهَوِّك: الذي يقَعَ في كُلِّ أمْرٍ. وقيل: هُوَ التَّحَيُّر.انظر: البارع في اللغة، لأبى علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان

يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».(١)

رابعاً: إنَّ الفتح الإسلامي لم يصل إلى البلدان التي تخضع للمحاكم الرومانية، إلا بعد زوال تلك المحاكم من جهة، وتشكل الفقه الإسلامي وتكامله في منأى عن تلك المحاكم من جهة ثانية.(٢)

خامساً: قضى الفتح الإسلامي على أيِّ سلطة أجنبية للقضاء في الدولة الإسلامية(٣)، لأنَّ الفتح الإسلامي ينطلق من عقيدة الحكم بما أنزل اللَّه، وهذا يعني رفض أي سلطة لغير شرع اللَّه، قال تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٤)، وأيّ سلطة لغير اللَّه فهي في منظور الإسلام جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، ومن شأن الفتح الإسلامي أن يقضي على الجاهلية والضلال، ويحول بين من ركن لحكم الجاهلية أو ارتضاه وبين رغبته في بعث

(المتوفى: ٣٥٦هـ)،(صـ٨٧)،المحقق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد – دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م

(١) شرح السنة، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، كِتَابُ الْعِلْمِ ، بَابُ حَدِيثِ أَهْلِ الْكِتَابِ ،(٢٧٠/١برقم١٢٦). وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٧٤/١ وقال: رواه الطبراني في "الكبير" وفيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي ولم أَرَ مَن ترجمه، وبقية رجاله موثقون.

(٢) انظر: سر تكون الفقه وأصل مصادره، لجورج هنري بوسكه، صـ٦٠-٨٣،٦٦، ترجمة:بهجت الأرنؤوط، مكتبة القانون الإسلامي، دار البحوث العلمية– روما، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م-١٣٩٣هـ.

(٣) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، لمحمود حمدي زقزوق، صـ١٠٨-١٠٩، دار المنار، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

(٤) سورة المائدة،الآية،٤٤

الجاهلية، قال تعالى﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[١]، وقد أدرك بعض المستشرقين هذه النقطة الجوهرية وعبَّر عنها بقوله:(ويبدو من المحال سماح العرب الفاتحين ببقاء المحاكم التي تأخذ سلطتها من دولة أجنبية غير خاضعة للإسلام، وتبذل ولاءها لها، وهذا بقطع النظر عن الفرق الأساس بين قانون مبني على مشيئة اللّه وبين قانون مصدره الأساس رضا الإمبراطور).[٢]

سادساً: لم تتولد الشعوبية إلا متأخراً. أما في عصر الصحابة والتابعين، فقلة العجم بين القضاة لم تكن للعصبية عند العرب، بل لقلة اشتغال المسلمين العجم بعلوم الدين والفقه– فكانوا في ميادين الحياة الاقتصادية ورثوها من آبائهم– ولعل أيضا لقلة معرفتهم للغة الرسمية" العربية".

سابعاً: أما أولاد المسلمين الجدد من العجم، فكفى ذكر اسم حماد وأبي حنيفة بين كبار الفقهاء بين التابعين. ولو فرضنا عدم العجم بين القضاة، فتأثير الفقهاء في الفقه أكبر بكثير من تأثير القضاة، وهل بنى القضاة قضاءهم إلا على آراء الفقهاء في كتبهم وإفتاءاتهم؟

ثامناً: ويجدر بنا بالذكر أن مدارسة الفقه في عصر تدوين الفقه تختص بالعراق، لا بسوريا ومصر مع تقاليدهما البيزنطية. حتى أن الامام الأوزاعي، كبير فقهاء البيروتيين كان من سبى السند، أو من أولاد سبى السند، ولم يكن سُوري الأصل، وهو عالم محدث قام مذهبه على الحديث ولا يمكن عقلاً أن يتأثر بقانون أجنبي، ومعلوم أن علماء الحديث يتشددون – وهم على صواب –

---

[١] سورة المائدة،الآية،٥٠

[٢] انظر: الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، ل س.ف. فتزجيرالد، صـ١٤٢.

في قبول الأحكام إذا لم تكن معتمدة على القرآن والحديث، ويُعرف عن هذا العالم الجليل أنه كان يكره القياس وتلك حجة دامغة. كما صرح به الذهبي في تذكرة الحفاظ.[١]

---

[١] تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، (١٣٤/١)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. وأظن أن هناك سهو الطباعة في مروج الذهب للمسعودي حيث يقول أن الأوزاعي كان من سبى اليمن.وانظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)،(٣٠٤/٣)، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.

الفصل الثانى

آراء المستشرقين السلبية حول الفقه الإسلامي

ويتمثل في مبحثين:

المبحث الأول:

فرية إقرار الشريعة الإسلامية لبعضَ القوانين الرُّومانية.

المبحث الثانى:

فرية التشابُه بين موادِّ القانون الرُّوماني وأحْكام الفقه الإسلامي.

المبحث الأول

فرية إقرار الشريعة الإسلامية لبعضَ القوانين الرُّومانية

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

"إن القانون الروماني البيزنطي قد قدّم المادة الأولية للكثير من القواعد الفقهية الإسلامية، خاصة في العهد الأموي. وقد تبنى الفقهاء الأوائل الأعراف المحلية التي كانت في أصلها قوانين رومانية، وأضفوا عليها صفة إسلامية من خلال نسبتها إلى أحاديث نبوية أو آثار عن الصحابة لاحقاً."[١]

"اعتماد الإسلام في شريعته على قانون العرب باعتبار أن الإسلام أقر بعض نظم الجاهلية، فالقوانين المالية في الفقه الإسلامي مأخوذة من العرب قبل الإسلام :(لا يشك أنه كان هناك قبل الإسلام، أنظمة عربية قانونية راقية. لن تتكلم عن جنوب غربي العرب" أي اليمن" فقط، الذي كان مركز حضارة قديمة جداً ازدهرت قبل تأسيس مدينة روما نفسها، فقد كانت هناك حكومة ذات أساس من الطراز الملكي، وكانت العقود والمعاهدات تنشر عادة بواسطة الكتابات على الحجر أو البرونز. وكذلك كان هناك قانون مدون مكتوب. فقد نشرت في سنة ١٩٢٧ كتابة سبأيه حدد فيها شمر يهرعش "٢٨٠ م تقريبا" ملك سبأ **وذي ريدان** الحدود والأحكام التي تتعلق بحكم الإقالة (الفسخ) في بيع الحيوانات والعبيد عند عدم الرضا. لن تتكلم على هذا فحسب، بل لنتحدث أيضا عن الحضر الذين كانوا يسكنون الحجاز في الوقت الذي ظهر الإسلام فيه بينهم، يعني حوالي سنة ٦٠٠ م بيد أن يكون القانون المالي: قد تطور لديهم تطوراً جديراً منذ مئات

---

[١] مدخل إلى القانون الإسلامي، لجوزيف شاخت،(صـ٣٤)، ترجمة: د. محمد ناصر، دار الكتاب اللبناني- بيروت، القاهرة، ١٩٨١م.

السنين. يكفي أن تفكر في معاملات قريش مكة والقوافل التجارية الكبيرة المتصفة بصفة دولية لجلب الميرة[١] وتنظيم الخفارات[٢] التي لها صلة بالحج الى الكعبة كل سنة، وأن تفكر في الزراعة وكبار خزانات الماء للري، وفي عقود المزارعة المختلفة في واحات المدينة، وتبوك، وتيماء، واليمامة[٣] وغيرها. **فيظهر أنه لا بد أن تكون أصول القسم الكبير على الأقل من القوانين المالية الإسلامية موجودة لدى هؤلاء العرب قبل محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بكثير).**[٤]

ويقول نالينو:(بقيت مسألة وهي: هل يمكن، ولو جزئيا، إعادة القوانين المالية التي كانت معمولا بها قبل الإسلام في البلاد التي نشأ فيها الإسلام وتطور في حياة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؟ لو أردنا أن نقتصر على ما يقدمه من المواد، في هذا البحث، الشعر والقصص في العصر الجاهلي والقرن الأول للهجرة، وأن نصرف النظر عن المعلومات الموجودة في الحديث النبوي، لكانت النتيجة سلبية تقريباً. إن المختصين بالمسائل الإسلامية من المستشرقين الجدد ثقتهم بالشعر والقصص كبيرة جداً، وكذلك عدم ثقتهم بالحديث كبير جداً. لو لم يثقوا بالحديث فيما يتعلق

---

[١] جمع مِيرات ومِيَر: ما يجمعه أو يدَّخره الإنسانُ من طعام ونحوه للسّفر :-هيّأت مِيرةً لولدها بمناسبة سفره القريب. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل،(٣/٢١٤٤).

[٢] الحماية والحراسة لقوافل الحج. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل،(١/٦٦٩).

[٣] اليمامة: وتقع في الخرج في نجد في شبه الجزيرة العربية، فقد أدخل ياقوت الحموي في معجم البلدان أراضي القصيم في الشمال، ووادي العقيق في الجنوب ضمن إقليم اليمامة. وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام.

انظر: معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، (٥/٤٤١-٤٤٦)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م

[٤] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٣.

بالمسائل الدينية والسياسية والاخلاقية لكانوا محقين[١]، ولكن أرى أن الحالة مختلفة في باب القانون الصرف. إن الأحاديث التي تشتمل على المسائل القانونية ليست بالآلاف، كما هو الحال في الأمور الآنفة الذكر، بل إن عددها قليل، ولا نجد فيها حتى ما لاحظ اسنوك هور خرونيه "Snouck-Hurgronje"في بحث مسائل أخرى، أي أن حديثا يقول شيئاً في مسألة، وآخر يقول شيئا ضده، وثالثاً، باختلاف ألطف من أن نحس به، يأتي بأمر بين الأمرين ويجمع بينهما فلا يبقى التضاد[٢]، فإن مذاهب الفقه في اختلافاتها لا تستند على أحاديث مختلفة، بل على الأكثر أساس الاختلاف هو اختلاف الفهم واختلاف التفسير أمثل مثالاً: إن خيار المجلس في البيوع يجوزه الشوافع والحنابلة والشيعة الإثنا عشرية، ولا يجوزه المالكية والحنفية، وكلهم يبنون حكمهم على نفس الحديث ففهم بعضهم من الحديث غير ما فهمه الآخرون. على أن الدواعي للمسلمين من القرون الأولى كانت كثيرة على وضع الأحاديث حينما كان هناك اختلاف في الآراء وعدم التثبت للحكم، مثلا أمر الوقف حيث توجد اختلافات كثيرة، أو أمر الرهن ومسائل أخرى ذات أهمية. ولكن رغم تلك الدواعي فإن عدد الأحاديث التي ذكرها الفقهاء في مثل هذه الأمور قليل جداً، فمثل هذه المشاهدات تبعثني على أن لا أقنط من استخدام الحديث النبوي[٣] لإعادة جزء من القانون العربي الجاهلي)[٤].

---

[١] لم يختص المؤلف بعلم الحديث فلم يقل عن معرفة، بل قال بما قال غيره إما عن جهل أو عن عناد فلو عاش إلى عصرنا ورأى تقدم دراسات العلم الحديث لرجع عن رأيه كما رجع آخرون من طالبي الحق. ولا بأس بأن نوصي بمطالعة كتب الدكتور محمد مصطفى الأعظمي وغيره في هذا الصدد .

[٢] هذا وهم من اسنوك هور خرونيه، أو فكاهة لقرائه الغربيين. فإنه لم يأت بدليل ولن يأتي به أحد، ولاختلاف الأحاديث أسباب معروفة، فأحيانا نسخ النبي صلي الله عليه وسلم أمره ، وأحيانا يجيء الغلط من قبل الراوي، إلى غير ذلك، بما لايعرفه إلا المختصون بعلم الحديث.

[٣] وهذا لأن في الحديث ما يقرر من فضائل الجاهلية.

[٤] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٥.

ويقول نالينو:(وهناك أمر آخر يؤيد وجود قانون عربي قبل الإسلام راق إلى حد يعتد به. ويظهر أنه لم يعتن به أحد إلى الآن. وهو أن جزءاً كبيراً من القانون الإسلامي ويدخل فيه القوانين المالية كان قد دون في القرن الأول للهجرة، فلولا هذا التدوين السريع، لا يمكن في رأيي تفسير ما نشاهد من أن الاختلاف بين أهل السنة وفقه أهل الأهواء من الشيعة والخوارج لا يزيد، باستثناء مسألة المتعة عما هو عليه بين أصحاب المذاهب الاربعة من السنة، فمعناه، إن لم أخطىء، أن الفقه الإسلامي كان قد دوّن قبل تفرق الفرق بسبب الاختلافات المهمة في العقائد. وإن رواية وجود الفقهاء"السبعة" في المدينة المنورة في عصر التابعين تستحق أن تقبل أكثر مما لم يحسبه الناس عامة. ولا ننسى أن الشيعة لم يكن بيدهم أمر الحكومة في القرن الأول والثاني للهجرة، ودوَّنوا نظام فقههم بدون إمكان تطبيقه، فكان من الممكن لهم أن ينغمسوا في القياسات بحرية أكثر مما كان لأهل السنة الذين وجب عليهم أن يعتنوا بحقائق الحياة).[(١)]

٢- مضمون الشبهة:

- الادعاء بأن الفقه الإسلامي المالي ليس أصيلاً بالكامل، وأن بعض أحكامه مستمدة من القانون العربي الجاهلي القديم.
- يعتبر هذا التأصيل جزئياً كأساس لنظرية التأثر والتطور التاريخي للفقه الإسلامي.

٣- هدف الشبهة:

- الطعن في أصالة واستقلالية الفقه الإسلامي المالي.
- دعم الرؤية الاستشراقية القائلة بأن الشريعة الإسلامية تطورت تاريخياً من القوانين الوضعية السابقة، وليس من مصدر إلهي مستقل.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تعتمد الشبهة على مصادر شعرية وأدبية غير قانونية، ولا تعتمد على نصوص مؤكدة من القرآن أو السنة.

---

(١) نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٦.

- تتجاهل الفهم الفقهي المنهجي للصحابة والتابعين.
- تخلط بين وجود نظام قانوني عند العرب قبل الإسلام وبين وجود تشريع فقهي إسلامي مستمد من الوحي.[1]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يقررون أن الشريعة الإسلامية مقره لبعضَ القوانين الرُّومانية.[2]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** الشبهة أصبحت أساساً للمدرسة التاريخية النقدية، التي ترى الفقه الإسلامي نتاج تطور تاريخي، وليس نصاً تشريعياً مستقلاً.[3]
- **في الوسط الإسلامي:** دفعت العلماء المسلمين إلى إثبات أصالة الفقه الإسلامي عبر الدراسات المقارنة والتاريخية، ونشرت أبحاث نقدية في الجامعات الإسلامية كالأزهر الشريف.[1]

---

[1] انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،(٢٣٨/١).

Nallino, Carlo Alfonso. "Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano." Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، المجلد ١٤، روما، 1932، ص. ١٥٠–١٥٥.

[2] Snouck Hurgronje, Christiaan. Le Droit Musulman et le Droit Civil. The Hague: Mouton, 1913, 112–115.

سنوق هورغورنجي، كريستيان. القانون الإسلامي والقانون المدني. لاهاي: موطون، ١٩١٣، ص. ١١٢–١١٥.

[3] Nöldeke, Theodor. Geschichte des Qorans. Leipzig: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung, 1909, 5–270.

نولدكه، ثيودور. تاريخ القرآن. لايبزيغ: مطبعة ديترتش، ١٩٠٩، ص. ٥–٢٧٠.

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- وجود نظم قانونية قبل الإسلام لا يعني بالضرورة أن الفقه الإسلامي مأخوذ منها.
- استنتاج قانون الفقه الإسلامي من وجود قوانين عربية قديمة، وهذا استنتاج غير منطقي لأن الفقه الإسلامي قائم على مصادر موحى بها وليس على عادات سابقة.[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المحاكم العربية والأنظمة المدونة قبل الإسلام كانت محدودة الانتشار، ومثالها اليمن فقط، وليس كامل جزيرة العرب.
- المصادر المادية مثل النقوش والكتابات القديمة تثبت وجود قوانين، لكنها لا تربط مباشرة بالفقه الإسلامي.
- الصحابة والفقهاء الأوائل عاشوا في المدينة ولم يمارسوا في تلك المراكز القانونية القديمة، وأولى المدارس الفقهية قامت على الوحي (القرآن والسنة) وليس على القانون الجاهل.[٣]

---

[١] انظر: شريعة القرآن من دلائل إعجازه، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)،(صـ١١ ومابعدها)،دار العروبة – القاهرة، ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م.

[٢] انظر: حاشية الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، لمحمد مصطفى الزحيلي،(٣٥/١)، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م

Nallino, Carlo Alfonso. "Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano." Rivista degli Studi Orientali 14 (1932): 150–155

نالينو، كارلو ألفونسو. حول الزعم بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي ،المجلد ١٤، روما،1932، ص ١٥٠–١٥٥.

[٣] انظر: تطور علم أصول الفقه وتجدده (وتأثره بالمباحث الكلامية)، لعبد السلام بلاجي،(صـ٦٣–٦٤)،دار ابن حزم – بيروت، ٢٠١٠م. أصُولُ الِفقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ لعياض بن نامي بن عوض السلمي،(صـ٦ ومابعدها) ، دار التدمرية، الرياض،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين أشاروا إلى أن الحديث النبوي قليل جداً في مسائل القانون المالي، لكنه يبقى أساساً للفقه الإسلامي، وبالتالي الشبهة ليست دقيقة.[١]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس يوضح المقارنة مع التشريعات التوراتية كقوانين الخروج والتثنية: توضح أن التشريع الموحي يكون مستقلاً حتى لو تأثر الإنسان بالتقاليد السابقة.

مثال: قانون العين بالعين، أو حقوق العبيد، قد يكون مشابهًا لقوانين حمورابي، لكن النص الإلهي هو الذي أسس النظام، لا النقل المباشر من القانون القديم:" وَلَكِنْ إِذَا حَدَثَتْ إِصَابَةٌ، فَتَعْوِيضُ حَيَاةٍ بِحَيَاةٍ، عَيْنٌ بِعَيْنٍ، سِنٌّ بِسِنٍّ، يَدٌ بِيَدٍ، رَجُلٌ بِرَجُلٍ ".[٢]

٥- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:**

يتوهم نالينو أن العرب في تقاليدهم وعاداتهم قد تأثروا بالأمم المجاورة لهم، بل يزعم بعض المستشرقين أنه كان للعرب قبل الإسلام قانون راق إلى حد يعتد به، ومن المحتمل أن هذا القانون

[١] Snouck Hurgronje, Christiaan. Le Droit Musulman et le Droit Civil. The Hague: Mouton, 1913, 112–115.

سنوق هورغورنجي، كريستيان. القانون الإسلامي والقانون المدني. لاهاي: موطون، ١٩١٣، ص. ١١٢–١١٥.

Thomas W. Arnold, The Preaching of Islam: A History of the Propagation of the Muslim Faith (London: Constable, 1913), 78–82.

توماس و. أرنولد، الوعظ في الإسلام: تاريخ نشر الدين الإسلامي، ترجمة تقريبية (لندن: دار كونستابل، ١٩١٣)، ص. ٧٨–٨٢.

[٢] سفر الخروج ، الإصحاح ٢١ ، الآيه ٢٣-٢٥

مقتبس أو متأثر بالقانون الروماني، أو القانون الساساني، ويتمثل نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي من خلال النقاط التالية:

أولاً: بداية لم تكن لدَى العربِ فلسفاتٌ أو علوم حتى يقارنوها بما لدَى الرومان، ثم إنَّ العرب كان لهم أسواقٌ أخرى في اليمن والعراق، فلماذا قصر التأثُّر على القانونِ الروماني فقط؟! فلايوجد كما ذكر المستشرق نالينو أي دليل على تسرب التشريعات الرومانية إلى الشريعة الإسلامية بواسطة العرب في الجاهلية. [١]

ثانياً: ثم إن العرب قد فشت فيهم الأمية منذ أمدٍ بعيد وعرفوا بجهلهم باللغات الأجنبية.[٢]

ثالثاً: وعلى الرغم من عنايتهم باللغة والشعر والأدب والسير والتاريخ، وكذلك احتكامهم إلى العادات والأعراف القبلية في تنظيم معاملاتهم إلا أنهم لم ينقلوا عن الروم بخاصة شيئًا من القوانين. [٣]

رابعاً: كما أورد نالينو شهادة "تيودوريتو "[٤]إذ قال:(إنه توجد أقوام في أقصى حدود الإمبراطورية الرومية رغم أنهم خاضعون لحكم الروميين، فإن القانون الرومي لا يطبق عليهم. يصرح يتودوريتو أن منهم القبائل الإسماعيلية الكثيرة العدد)[٥]، والشاهد من هذا أنه إذا كانت بعض القبائل في أطراف الجزيرة العربية مع أنها خضعت للإمبراطورية الرومية لم تعرف القانون الروماني ولم

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، لعبد الكريم زيدان، صـ ٦٩.

(٢) المرجع السابق ، صـ ٦٩.

(٣) استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الروماني، والرد على شُبه المستشرقين، للدسوقي السيِّد، صـ٤٥.

(٤) من مؤرخي (النصف الأول من القرن الخامس الميلادي). انظر: نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٤.

(٥) المرجع السابق، صـ ١٤.

تخضع لأحكامه، فمن باب أولى عرب الحجاز الذين لم يخضعوا لأي سلطة أجنبية، ولم يتأثروا بحضارات الأمم المجاورة لهم، وهذا ما حفظه لهم التاريخ. [١]

خامساً: وإذا كان القول السابق ينفي تسرب القانون الروماني إلى عادات العرب وأعرافهم، ومن ثم استحالة تسربه عن طريق العرب في الجاهلية إلى الشريعة الإسلامية، فإن تأثر العرب بالقانون الساساني ليس إلا كما قال نالينو :(ظن يسير ادعاؤه عسير إثباته). [٢]، وهذا القانون طواه التاريخ وأصبح في حكم النسيان وإلى ذلك يشير"فتزجيرالد" [٣]في رده على"جولدزيهر[٤]" إذ قال:(وكذلك فإن مصدرًا ممكنًا آخر للقانون الإسلامي الذي يشير إليه جولدزيهر أيضًا في سياق مختلف، فإنه يتكلم عنه في صدد العادات والعبادات الدينية "لا القانونية" ولكن لا نعرف عن هذا المصدر إلا النزر اليسير، ألا وهو النظام القانوني للإمبراطورية الساسانية). [٥]

سادساً: ولقد أبطل الإسلام كل المعتقدات الفاسدة التي كانت في الجاهلية وحاربها، وكان هذا سبباً في الصراع الطويل الذي دار بينهما، فكيف نقول: إن الإسلام أخذ شرائعه من الجاهلية رغم الخلاف الشديد بينهما ؟!. وأما قرار الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – للأعراف والتقاليد الصالحة لم يكن مبنيًا على أساس التأثر بما أقر، أو على أساس الأخذ بعرفٍ سائد بدافع التقليد، بل على أساس أنَّ ذلك هو حكم الفطرة التي فطر اللَّه الناس عليها، فضلًا عن أخذه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بهذا العرف أو ذاك إنما كان بإلهام سابق أو إقرار لاحق من اللَّه سبحانه وتعالى، ولهذا كان – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقر بعض الأعراف لصلاحه، كالمضاربة والبيوع والإجارات الخالية من المفاسد والقسامة وجعل الدية في القتل الخطأ على عاقلة الجاني. . وغير

---

(١) استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الروماني، والرد على شُبه المستشرقين، للدسوقي السيِّد، صـ٤٢–٤٥.

(٢) نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ١٧.

(٣) سبق ترجمته، (صـ١٥٧).

(٤) سبق ترجمته، (صـ١٥٧).

(٥) الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي،لفتزجيرالد، صـ ١٧٥.

ذلك، ويلغي كثيرًا من الأعراف السائدة لفساده، "كالتبني والربا وشرب الخمر وحرمان الصغير والنساء من الميراث. . وغير ذلك" .ثم إنه يمكن القول إضافة إلى ما سبق:(إن أكثر ما أقره الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الأعراف، لم يكن يقره على حاله، وإنما عدله وشذب منه وأضاف إليه وحدد له الحدود الشرعية، فوضع –على سبيل المثال– للمضاربة شروطًا، وللوصية حدودًا، وللطلاق وتعدد الزوجات قيودًا وضوابط).[(١)]

سابعاً: لم يثبتْ أنَّ القانون الروماني تُرجِم إلى اللغة العربية في هذه الفترة حتى يعرفَه العرَب، بل ولم يثبتْ أنه تُرجِم إلى لغات سكَّان المناطق التي فتَحَها المسلمون في الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا، ولأنَّ فقهاء المسلمين لو أفادوا مِن هذا القانون، لأشاروا إلى ذلك، لأنَّهم ليسوا أقلَّ أمانةً علميةً من غيرهم مِن الأطباء والفلاسفة والأدباء، الذين أفادوا مِن الثقافة الإغريقيَّة والفارسيَّة والهنديَّة وأشاروا إلى ذلك بكلِّ دِقَّة، لكن الذي لا ينكر أنَّ فقهاء المسلمين وجدوا في هذه البلاد أعرافًا مختلفة – وهو أمرٌ طبيعي – فعَرَضوا هذه الأعراف على مقرَّرات الشريعة فما لم يعارضْها قَبِلوه وما تعارَض معها رفضوه، وليس في ذلك ما يضرُّ الفقهَ الإسلامي من قريبٍ أو بعيد، لأنَّهم لم يَقْبلوا ما قَبِلوا، وما رَفَضوا ما رَفَضوا، إلا بعدَ عرْضه على الشرع، لا لأنَّه رُوماني أو غير روماني.[(٢)]

ثامناً: الذي أبقاه الرسول– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من العرف السائد عند العرب قبل الإسلام لم يبقه على عواهنه، وإنما عدل فيه وغير حتى أعاده لما كان عليه من الحق والفطرة السليمة، لأن العرب كانوا :(في أول أمرهم على دين إسماعيل–عليه السلام–، المبني على التوحيد والتقوى، المشتمل على شريعة قائمة على أساس العدل والإنصاف، وهم لم يتحولوا إلى الشرك إلا بعد طول العهد وتقادم الزمن، ولم يبتعدوا عن أحكام تلك الشريعة إلا بعد توالي الحقب وتصرم الأزمان، وابتعادهم هذا لا يعني أنهم ضيعوا كل أحكام شريعة سيدنا إسماعيل–عليه السلام–، وفقدوا كل

---

(١) استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الروماني، والرد على شُبه المستشرقين، للدسوقي السيِّد، صـ٤٦–٤٧.

(٢) انظر: المدخل للشريعة الإسلامية، لأحمد محمود الشافعي، (صـ١٧٩– ١٨٤)، الدار الجامعية، ١٩٨٦م.

جزئياتها وقواعدها، لذلك من المعقول جدًا أن ما أقره الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الأعراف هو من بقايا شريعة إسماعيل-عليه السلام-، التي توارثها العرب، ويكون هذا الإلهام نتيجة إلهام اللَّه له بأن مثل هذه الأحكام هو من أحكام شريعته كما كان من أحكام شريعة إسماعيل -عليه السلام-، إذ من المعلوم أن بعض أحكام الشرائع السماوية تتفق كل الاتفاق فيما بينها، لأنها من الأحكام التي لها طابع الدوام والثبات والصلاح لكل وقت وزمان). [١]

---

[١] مفهوم الفقه الإسلامي (تطوره، وأصالته، ومصادره العقلية والنقلية)، لنظام الدين عبد الحميد، (صـ ٦٢-٦٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

المبحث الثاني

فرية التشابُه بين موادِّ القانون الرُّوماني وأحْكام الفقه الإسلامي

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

"إن التشابه بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني ليس مجرد مصادفة؛ ففي بلاد الشام كانت تقاليد القانون الروماني لا تزال حية، ومنها استقى الفقهاء المسلمون الأوائل الكثير من العناصر التي صاغوا بها نظامهم الحقوقي، حتى أن بعض القواعد الفقهية تكاد تكون ترجمة حرفية لمبادئ قانونية رومانية كانت تُدرس في مدارس بيروت وقيسارية." [١]

"ففي هذه الأحوال التاريخية، لا يستغرب أن لا يكون للقانون الرومي أثر جدير بالذكر في تكوين الفقه الإسلامي، عدا قسم من الإدارة العامة فقط في البلاد".[٢]

٢-مضمون الشبهة:

- الشبهة تفترض أن الفقه الإسلامي كان مستقلاً تقريباً عن القانون الرومي، وأن تأثير القانون الرومي محدود جداً ويقتصر على بعض جوانب الإدارة العامة في المناطق المفتوحة، أي أن الفقه الإسلامي لم يتأثر بالقوانين الرومانية القديمة.

٣-هدف الشبهة:

- الطعن في أصالة الفقه الإسلامي.
- الإيحاء بأن الفقه الإسلامي نتاج تطور تاريخي محدد محصور في تفاعل المسلمين مع الأنظمة السابقة.

---

[١] العقيدة والشريعة في الإسلام،لإجناس غولدزيهر،(صـ٤٢).

[٢] نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، صـ٢٤.

- إثارة النقاش حول مدى استقلال الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية السابقة.[1]

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- هل يمكن لمجموعة صغيرة من الأحكام الإدارية أن تُشكل أساساً لفقه شامل؟
- هل تجاهل النصوص الشرعية المباشرة في القانون الإسلامي يبرر القول بعدم استقلاله؟
- هل اعتماد الاستدلال على القليل من التأثير الإداري يكفي لادعاء أن الفقه مشتق من القانون الرومي؟

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يشيرون إلى بعض عناصر البناء القانوني الإسلامي خصوصاً في المجالات الإدارية العامة قد تأثرت بالقوانين السابقة في الجزيرة العربية والشام.[2]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدمت لتأييد المدرسة التاريخية النقدية التي ترى الفقه الإسلامي نتاجاً تاريخياً متطوراً وليس تشريعاً مستقلاً.[3]
- **في الوسط الإسلامي:** دفعت العلماء المسلمين إلى نشر الدراسات النقدية لإثبات أصالة الفقه الإسلامي واستقلاله عن القوانين الرومانية والجاهلية.[1]

---

[1] تاريخ التشريع الإسلامي، لمناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،(صـ١٠-٣٠).

[2] Nöldeke, Theodor. Geschichte des Qorans. Leipzig: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung, 1909, 265–270, 5–6.

نولدكه، ثيودور. تاريخ القرآن. لايبزيغ: مطبعة ديترتش، ١٩٠٩، ص.٥-٦، ٢٦٥-٢٧٠.

[3] Schacht, Joseph. The Origins of Muhammadan Jurisprudence. Oxford: Clarendon Press, 1950, 12–75.

جوزيف شاخت. أصول الفقه الإسلامي. أكسفورد: مطبعة كلارندون، ١٩٥٠، ص. ١٢-٧٥.

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- لا يمكن استنتاج أن استقلالية نظام فقهي شامل تُقوّض لمجرد وجود تأثير محدود في الإدارة العامة.
- المنطق يقضي بأن وجود عناصر تنظيمية إدارية لا يعني فقدان الفقه لاستقلاليته التشريعية، إذ أن القوانين الشاملة تُبنى على المبادئ العامة وليس على حالات جزئية.[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المحاكم الرومانية كانت مغلقة منذ عقود طويلة قبل الفتح الإسلامي، ولم تستمر المؤسسات الرومانية في أغلب البلاد المفتوحة.
- لا توجد مخطوطات أو دلائل أثرية تثبت نقل القانون الرومي كاملاً إلى العرب.
- الصحابة والفقهاء الأوائل عاشوا في المدينة المنورة ومكة ولم يمارسوا في المراكز القانونية الرومانية القديمة.
- أولى مدارس الفقه (المدينة، الكوفة، مكة، الشام) قامت على النصوص الشرعية (القرآن والسنة) وليس على القانون الرومي.[٣]

---

[١] انظر: تاريخ التشريع الإسلامي، لمناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،(صـ١٠-٣٠).

[٢] انظر: تطور علم أصول الفقه وتجدده (وتأثره بالمباحث الكلامية)، لعبد السلام بلاجي،(صـ٦٣-٦٤)،دار ابن حزم – بيروت، ٢٠١٠م. أصُولُ الفِقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ لعياض بن نامي بن عوض السلمي،(صـ٦ ومابعدها) ، دار التدمرية، الرياض،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

[٣] انظر: تطور علم أصول الفقه وتجدده (وتأثره بالمباحث الكلامية)، لعبد السلام بلاجي،(صـ٦٣-٦٤)،دار ابن حزم – بيروت، ٢٠١٠م. أصُولُ الفِقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ لعياض بن نامي بن عوض السلمي،(صـ٦ ومابعدها) ، دار التدمرية، الرياض،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أعترفوا بأن أي تأثير للرومان على الفقه محدود للغاية ويقتصر على بعض الممارسات الإدارية.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يُظهر الفرق بين الشرائع الموحاة (المنزلة من الله على سيدنا موسى عليه السلام) وبين الأنظمة الوضعية (القوانين البشرية المحدودة بالزمان والمكان):" وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: ٱصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى ٱلْجَبَلِ وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ ٱلْحَجَرِ وَٱلشَّرِيعَةَ وَٱلْوَصِيَّةَ ٱلَّتَيْنِ كَتَبْتُهُمَا لِتُعَلِّمَهُمْ ". [٢]النص يبين أن الشريعة منزلة من الله مباشرة (لا مصدر بشري) وأن الله هو الكاتب والمشرِّع.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

يتمثل نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي من خلال النقاط التالية:

أولاً: إن هذا القسم من الإدارة لم يتعلق إلا بنواحي كانت قبل الإسلام تحت سيطرة الروم، وهي قطعة صغيرة في دار الإسلام، فلم يطبق العمال المسلمون إلا تقاليد البلاد في عمالتهم. ولا يقال أن العمال في العراق أو الهند أو تركستان عملوا حسب النظام البيزنطي فلا شاهد له في التاريخ.

ثانياً: أما التشابُه بين القانون الرُّوماني والفِقه الإسلامي، فالصحيح أنَّ هذا التشابهَ لم يكن إلا في الأمورِ الفِطرية الإنسانيَّة، مثل قول النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (البَيِّنة على المدَّعي واليمين

---

[١] Schacht, Joseph The Origins of Muhammadan Jurisprudence.
Oxford: Clarendon Press, 1950, 33–34.
شاخت، جوزيف.أصول الفقه المحمدي.أكسفورد: مطبعة كلارندون، ١٩٥٠، ص ٣٣-٣٤.

[٢] سفر الخروج ، الإصحاح ٢٤ ، الآيه ١٢

على من أنْكَر) [1]، وبعض المصطلحات الأُخرى، فهذا التشابه شيءٌ طبيعي ولا يدلُّ على التأثير والتأثُّر، لأنَّه واقعٌ في النُّظُم والإجراءات التي يتوقّف عليها حِفظُ المقاصِد العامَّة التي نزلَتِ الشرائع السماوية، ووُضِعتِ القوانينُ الوضعية لحفظِها، لأنَّ مِن شأنها حفظَ قواعد العدالة.

ثالثاً: والتشابه بين القانونين ليس غريباً لأنه بديهي يحدث لا في المجال التشريعي فقط بل في المجالات الفكرية الأخرى نظراً لوقوع حالات متشابهة في إقليمين **والقولة العلمية تقول نظائر الأسباب تولد نظائر النتائج**، وذلك بالضرورة لا يسمى نقلاً أبداً، أو لحدوث إتفاق يأتي نتيجة لأمر واضح العدالة لا يختلف فيه إثنان، لذلك أقر الإسلام القاعدة السابقة في اليمين، وهذا إذا صح أن القانون الروماني في مراحله الأولى نص عليها. وهذه القاعدة أسهب الإسلام في تفريعها مما يبرهن على أنها أمر إلهي لا شك فيه، شأنه في ذلك ما جرى عليه في بعض الأحكام الجاهلية التي أقرها، لأنها في تصوره موافقة للإنسان ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ** ﴿١٤﴾ ﴾. [2]

---

[1] السنن الكبير، لأبى بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، كتابُ الدعوى والبيناتِ، باب: البَيِّنَةُ على المُدَّعِى، واليَمِيُن على المُدَّعَى عَلَيهِ، (٢٤٢/٢١-٢٤٣برقم٢١٢٤٣)، ولفظ(وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ)متفق عليه: انظر: صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ} [آل عمران: ٧٧]: لاَ خَيْرَ (٣٥/٦برقم٤٥٥٢)، وانظر: صحيح مسلم، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ الْيَمِينِ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، (١٣٣٦/٣برقم١٧١١).

[2] سورة الملك، الآية، ١٤

رابعاً: من هذه الفروقُ الجوهريَّة بين الشريعةِ الإسلاميَّة والقانون الروماني:[١]

١- الناس في الشريعة الإسلامية أمامَ الأحكام سواء كأسنان المُشْط، لا فضْلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتقوى، بينما في القانون الرُّوماني الناس طبقات.

٢-في الشريعة الإسلاميَّة ترتبط الأحكامُ الشرعيَّة بالعقيدة والأخلاق والعبادات، أما القانون الروماني فالعلاقة بيْن موادِّه وهذه الجوانب مبتوتةُ الصِّلة، بينما نجد استعمالَ الحقِّ في الشريعة الإسلامية منضبطًا بألاَّ يضرَّ الآخرين، وأن يكون في حدودِ ما أباحه الشَّرْعُ، بينما لا حظْرَ في إساءةِ استعمال الإنسان حقَّه في القانون الرُّوماني.

٣-في الشريعة الإسلامية نجد الزواجَ يقوم على أساس الرِّضا (الإيجاب والقَبول) وليس له طقوسٌ خاصَّة، وفيه الولي والشهود، وليس فيه نظام السِّيادة، وأنَّ القوامة التي جعلها الله للرِّجال على النساء إنما هي قوامةُ اتخاذ القرار النهائي، لأنَّهم هم الذين يَتحمَّلون مسؤوليةَ اتخاذ القرار، بينما في القانون الروماني يَرجِع الزواج أساسًا إلى نوعين:

- زواج مَعَ السيادة، وزواج بدون سيادة، وفي الأوَّل يترتب عليه أنَّ المرأة تنتقل من سُلطة ربِّ أُسرتها إلى سلطةِ زوجها الذي له عليها حقُّ السيادة لدرجةِ أنَّه يجوز له بيعُها.
- وأمَّا الزواج بدون سيادة، فالمرأة هي التي تُقدِّم فيه المهر، لتظلَّ محتفظةً بمركزها القانوني.

٤-وكذلك الأمر مختلفٌ بين الشريعة والقانون الرُّوماني في نِظام التعاقُد، ونظام الجرائم والعقوبات والإرْث... إلخ.

٥-وفرق جوهري آخر، (هو أن أساس الفقه يبنى على عقيدة التوحيد، بينما القانون الرومي يبنى على الإيمان بتعدد الآلهة، ومن هذا الأصل تتشعب الاختلافات وتتفرع في كثير من المسائل بين النظامين).[١]

---

[١] انظر: القانون الروماني، للدكتور/ عكاشة محمد عبد العال، باب: نشأة وتطوُّر القانون الروماني في الشَّرْق والغَرْب، الدار الجامعية، ١٩٨٧م.

٦-وقبل هذا وبعده فإنَّ هناك فرقًا جوهريًّا بينهما:(حيث بدأ القانون الرومانى عادات..ونما وازدهر عن طريق الدعوى والإجراءات الشكلية..أما الشريعة فقد بدأت كتابًا منزلًا من عند اللَّه، وازدهر فقهها عن طريق القياس والأحكام الموضوعية).[٢]

٧-ولا يوجد بينهما توافق (في المنابع والغايات، أو تشابه في الحقوق والواجبات، أو تقارب في المبادئ والعقوبات).[٣]

خامساً: والحقيقة المنطقية هي أن القانون الروماني هو الذي إقتبس من شريعة الإسلام، ذلك أن الرومان لم يكونوا يعرفون هذا القانون إلا في القرن الثاني أو الثالث الميلادي، أما الزعم القائل بأن الفقه الروماني اختفى ستة قرون ثم ظهر بعد ذلك فإنه فرية لا يساندها برهان، وقد فندها القانوني الشهير سافنيه حين قال:(إن القوانين الرومانية لم تختف لأنها ظلت معمولاً بها حتى اليوم من غير انقطاع)[٤]، وبهذا يكون الفقه الروماني متأثراً بالفقه الإسلامي لأنه أسبق وجوداً منه نصاً وتصنيفاً.

سادساً: أكدت دراسات بعض المستشرقين بأن الشريعة الإسلامية وفقهها منقطعة الصلة بالقانون الروماني، وفي ذلك **يقول بوسكة** :([٥] إنَّ الفقهاء المسلمين أعطوا لبنائهم إطارًا خاصًا ووجهًا

---

[١] انظر: تأثير الحقوق الرومية على الفقه الإسلامي،لمحمد حميد اللَّه، (صـ٤٣)، بيروت: دار البحوث العلمية، ١٩٧٣م.

[٢] انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، لمحمود حمدي زقزوق، صـ١٠٩.

[٣] انظر: دفاع عن العقيدة والشريعة، لمحمد الغزالى، صـ٨٦.

[٤] انظر: الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها، لأنور الجندي،صـ ٢٩٠.

[٥] جورج هنري بوسكيه (٢١ يونيو ١٩٠٠ – ٢٣ يناير ١٩٧٨) (بالفرنسية(Georges-Henri Bousquet : قانوني ومترجم واقتصادي ومستشرق فرنسي. وكان أستاذاً للقانون في كلية الحقوق بجامعة الجزائر حيث كان متخصصًا في علم الاجتماع في شمال إفريقيا (الأمازيغ).

انظر:(مدونة بوسكة) ويكيبيديا- الموسوعة الحرة- الأنترنت.

مميزًا. وهم بهذا الاعتبار لا يدينون بشيء للقانون الروماني، وإنَّ طبيعة الفقه الخاصة لا تدين له بشيء).[١]

ويقول فتزجيرالد[٢]:(من المستبعد أن يكون للقانون الروماني الغربي أدنى تأثير على تأسيس الشريعة الإسلامية).[٣] **فكيف بعدَ ذلك يزعُم زاعمٌ اقتباسَ الفِقه الإسلامي من القانون الروماني؟! بل إن القانون الروماني هو الذي اقتبس من الفقه الإسلامي، ليس هو فحسب بل الكثير من القوانين الوضعية الآن كالإنجليزي، والألمانى، والفرنسي، بل والدولى اقتبس وتأثر بالشريعة الإسلامية على جهة العموم، والفقه الإسلامي على جهة الخصوص، ويمكن بيان هذا التأثر من خلال الفصل التالي:**

---

[١] سر تكون الفقه وأصل مصادره، لجورج هنري بوسكه، صـ٦٦.

[٢] سبق ترجمته،(صـ٦٠٦)

[٣] انظر: الدين المزعوم للقانون الرومي على القانون الإسلامي، ل س.ف. فتزجيرالد، صـ١٢٧.

الفصل الثالث

تأثر القانون الغربي بالفقه الإسلامي

ويتمثل في أربعة مباحث:

المبحث الأول: تأثر القانون الانجليزى(الأنجلو الأمريكي) بالفقه الإسلامي

المبحث الثاني: تأثر القانون الفرنسي بالفقه الإسلامي

المبحث الثالث: تأثر القانون الألمانى بالفقه الإسلامي

المبحث الرابع: تأثر القانون الدولى بالفقه الإسلامي

المبحث الأول

تأثر القانون الانجليزى(الأنجلو الأمريكي) بالفقه الإسلامي

إن تأثر القانون الأنجلو الأمريكي(الحديث) بالفقه الإسلامي لأكبر رد على من يزعم تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي(القديم)، فما يُسميه الأوربيون بالقانون الروماني إنما هو مأخوذ من الفقه الإسلامي، ويُنقل هذا عن كتاب لحقوقي إيراني بهائي باسم أبي الفضل الجرفقداني صادر سنة ١٩١١م، وترجمته العربية مضمَّنة في كتاب: مقدمة القوانين لعبدالجليل سعد.[١]

وذهب المستشرقُ فتزجيرالد[٢] في مقالة له بعنوان: الدَّين المزعوم للقانون الروماني على القانون الإسلامي، ويذكر فتزجيرالد عن إجناس جولدزيهر[٣] أنه بزعمه هذا، مع ادعاءات أخرى، كان مدفوعًا بغرض سياسي خاص هو إظهار أن التشريع الإسلامي كان قابلًا للمؤثرات الغربية.[٤]

وقد أشارت بعض الدراسات[٥] أن القانون الأنجلو الأمريكي (القانون الإنجليزي) قد تأثر في فترة تكوينه في القرن الثاني عشر ببعض قواعد الفقه الإسلامي، وخاصة بالنسبة لنظرية العقد ودعوى

---

(١) انظر: المنتقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية، لصلاح الدين المنجد، صـ ٢٤٨، دار الكتاب الجديد، ١٩٥٥م.

(٢) سبق ترجمته، (صـ٦٠٦).

(٣) سبق ترجمته، (صـ١٥٧).

(٤) انظر: كتاب الدَّين المزعوم للقانون الروماني على الشريعة الإسلامية، لفيتزجيرالد، ترجمة محمد سليم العوا، بيروت: دار البحوث العلمية، ١٩٧٣م.

(٥) أكتفي بالإشارة إلى أهم هذه الدراسات: (دراسة جون مقدسي): وهو أستاذ قانون وعميد سابق لثلاث كليات حقوق في الولايات المتحدة. وجورج مقدسي مستشرق من أصل شامي تجنس بالجنسية الأمريكية وحصل على الدكتوراه من السوربون عن ابن عقيل. وقد أهدى دراسته لذكرى أبيه الذي اعتبره رائد فكرة تأثير الشريعة

الاستحقاق الخاصة بحماية الحيازة والملكية.[١] بل ذهبت هذه الدراسات إلى أن نظام الترست[٢] (Trust)[٣]قد نقل من نظام الوقف الإسلامي، وأن نظام تدريس القانون الإنجليزي من خلال نُزل المحكمة أو مدارس القانون (Inns of Court)[٤] بلندن ليس إلا تطبيقا لنظام المدارس الملحقة

الإسلامية على تكوين القانون الإنجليزي.ينظر: النظريات القانونية المقتبسة من الفقه الإسلامي في النظام القانوني الأنجلو أمريكي، برهام محمد عطا الله.

(1) Pollock, F., & Maitland, F. W. (1898). *The history of English law before the time of Edward I* (Vol. 2). The University Press.

تاريخ القانون الإنجليزي قبل عهد إدوارد الأول، لبولوك، ف. ومايتلاند، ف. و. (المجلد ٢). مطبعة الجامعة. (١٨٩٨).

Plucknett, T. F. T. (2001). *A concise history of the common law*. The Lawbook Exchange, Ltd..

تاريخ موجز للقانون العام،، لبلاكنيت، ثيودور فرانك توماس، مؤسسة تبادل الكتب القانونية، ٢٠٠١م.

Jenks, E. (1938). *A Short History of English Law...* London.

تاريخ قصير للقانون الإنجليزي، ل جينكس، إي، لندن، (١٩٣٨).

Makdisi, J. A. (1998). Islamic Origins of the Common Law, The. *NCL rev.*, *77*, 1635.

مراجعة الأصول الإسلامية للقانون العام، لمقدسي، ج.أ /مجلة القانون العام،(٧٧/ ١٦٣٥)، (١٩٩٨).

(٢) سيأتي الحديث عنه في صفحة (٧٥).

(3) Gaudiosi, M. M. (1987). Influence of the Islamic Law of Waqf on the Development of the Trust in England: the Case of Merton College. *U. Pa. L. Rev.*, *136*, 1231.

تأثير قانون الوقف الإسلامي على تنمية الثقة في إنجلترا، لغاوديوسي، م. م، كلية ميرتون.(١٣٦ /١٢٣١)، (١٩٨٧).

(4) Makdisi, G. (1985). The Guilds of Law in Medieval Legal History: An Inquiry into the Origins of the Inns of Court. *Clev. St. L. Rev.*, *34*, 3.

بالمساجد الكبرى التي تخصصت في تدريس المذاهب الفقهية الإسلامية[١]، وأن النظام القائم على السوابق وتحليل الوقائع ليس إلا تطبيقاً لنظم الفتوى وقواعد الجدل والمناظرات وأساليب أصول الفقه الإسلامي.

هذه الدراسات الجديدة تستدعي الاهتمام، ذلك أن النصف الأول من القرن العشرين كان منشغلاً بما إذا كانت الشريعة الإسلامية(الفقه الإسلامي) قد تأثرت بالقانون الروماني. وها نحن في أوائل القرن الواحد والعشرين ننظر فيما إذا كان القانون الإنجليزي نفسه المعروف بأنه لم يتأثر بالقانون الروماني . قد تأثر أثناء فترة تكوينه بالشريعة الإسلامية. كل ذلك في وقت بدأت السياسة البريطانية تبحث فيما إذا كان من المناسب أن يتاح للمسلمين البريطانيين فرصة تطبيق الشريعة الإسلامية على أحوالهم الشخصية.

إذا تركنا جانباً مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية على الجالية المسلمة في بريطانيا، فإن للسؤال الخاص بمدى تأثر القانون الإنجليزي بالفقه الإسلامي أثناء فترة تكوينه أهمية علمية كبيرة، وخاصة أن هناك كثيراً من قواعد القانون الإنجليزي ظهرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر أثناء حكم هنري الثاني (Henry II) ١١٥٤- ١١٨٩ ولا يعرف على وجه التحديد مصدرها التاريخي. فلا يمكن إرجاعها إلى الفترة الأنجلوسكسونية قبل القرن الحادي عشر كما لا يمكن إرجاعها إلى القانون الكنسي ولا إلى القانون الروماني، كما لا يمكن إرجاعها إلى القواعد التي أتى

نقابات القانون في التاريخ القانوني في العصور الوسطى، لمقدسي، ج.، تحقيق في أصول نزل المحكمة،(٣/٣٤)، (١٩٨٥).

[1] Makdisi, G. (1974). The scholastic method in medieval education: An inquiry into its origins in law and theology. Speculum, 49(4), 640-661.

الطريقة المدرسية في التعليم في العصور الوسطى، لمقدسي، ج.، تحقيق في أصولها في القانون واللاهوت. منظار، ٤٩(٤)، ٦٤٠-٦٦١. (١٩٧٤).

بها النورمان حين احتلوا إنجلترا ابتداء من ١٠٦٦م كما سوف نرى. تقرر الدراسات الجديدة التي ستكون موضع دراستنا أنه حيث لم يتح من قبل دراسة العلاقة بين الفقه الإسلامي وتلك القواعد الإنجليزية مجهولة الأصل، فإنه بمجرد أن تدرس هذه القواعد على ضوء أحكام الفقه الإسلامي فستتضح هذه العلاقة، **وسيظهر أن هذه القواعد الإنجليزية هي ثمرة تأثر القانون الإنجليزي بقواعد الفقه الإسلامي**. ويبقى السؤال ملحاً عن الطريق الذي تم من خلاله هذا التأثير. والإجابة نجدها في احتلال النورمان المتزامن لجزيرة صقلية في جنوب إيطاليا في ١٠٦١م والجزيرة البريطانية في ١٠٦٦م، وحيث وجد النورمان في صقلية حضارة إسلامية مزدهرة تطبق فيها قواعد الشريعة الإسلامية كان من السهل أن يتأثروا بها وتنقل إلى إنجلترا في الفترة التي كان القانون الإنجليزي الـ (Common Law) في فترة التكوين. وقد يكون من المناسب بداية تلك الدراسة بعرض هذه الظروف التاريخية للتقاء الفقه الإسلامي مع النظام القانوني الإنجليزي، ثم يعرض الباحث للقواعد والنظريات القانونية التي تبناها القانون الإنجليزي متأثراً فيها بقواعد الفقه الإسلامي.

أولاً: الظروف التاريخية للتقاء الفقه الإسلامي مع النظام القانون الإنجليزي: يرجع تكوين النظام القانوني الإنجليزي إلى استيلاء النورمان الذين يرجع أصلهم إلى الفيكينج(Viking)[(١)]،الذين قطنوا شمال غرب فرنسا في القرن التاسع والعاشر الميلادي في إنجلترا في سنة ١٠٦٦م ميلادية،

---

(١) أصل النورمان (أي أهل الشمال) هم الفيكنج Viking وهم سكان الفيوردات أو الخلجان التي نعرفها في البلاد الاسكندنافية. المنطقة التي نسبت إلى الشماليين (أو النورمان) فعرفت منذ ذلك التاريخ باسم نورمنديا أي أرض النورمان وعاصمتها روان بغرب فرنسا والتي لا تبعد الآن بأكثر من ثلاث ساعات أو أقل بالقطار.

انظر: أوروبا العصور الوسطي، سعيد للدكتور/عبد الفتاح عاشور، (الجزء الأول التاريخ السياسي)، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ٢٠٠٧م

وإعلان وليام الفاتح ملكاً على إنجلترا[1]، في الوقت الذي بدأ فيه استيلاء النورمانديين أنفسهم على جزيرة صقلية في سنة ١٠٦٠م، ليكتمل بالاستيلاء على بلرما (Palerma) وعلى كل الجزيرة في

---

[1] في نفس الوقت استمرت غزوات الفيكنج على إنجلترا الذين بدأوا تسميتهم بالدانيين إلى أن نجح ملك الدنمرك والنرويج كانوت في أن يصبح ملكا على إنجلترا في الفترة من (١٠١٦ . ١٠٣٥م) ولم يستطع أصحاب الحق في العرش السكسوني الوصول إلى الحكم إلا في ١٠٤٢ حيث اعتلي إدوارد الثالث المعروف بإدوارد المعترف والمعروف بنقائه وتدينه وتشييده كنيسة وستمنستر التي دشنت في ١٠٦٥م واعترف به قديسا بعد ذلك لهذا السبب. وكانت أمه تنتمي إلى النورمان الموجودين بغرب فرنسا. وتقول أكثر الروايات: إنه قضي معظم مدة حكمه لدى وليام دوق نورمانديا، الذي أصبح فيما بعد وليام الفاتح وأنه أوصي له أو اتفق معه على أن يرثه وليام في حكم إنجلترا بعد موته. وحين مات إدوارد المعترف، أعلن هارولد الأنجلوسكسوني نفسه ملكا على إنجلترا، فقاد وليام حملة على إنجلترا وهزم فيها هارولد وقتله في معركة حاسمة هي معركة هيستنج Hasting في ١٤ أكتوبر ١٠٦٦م وأعلن وليام نفسه ملكا على إنجلترا كلها كوارث للعرش عن طريق وراثته لإدوارد الثالث وليس بطريق الاستيلاء. وبذلك أصبح حاكما لكل من نورمانديا وإنجلترا وبدأ عصر النورمان في إنجلترا.

وباعتباره ملكا على إنجلترا فقد توج نفسه في كنيسة وستمنستر في آخر ديسمبر ١٠٦٦م التي كانت قد دشنت في العام السابق على ذلك أي ١٠٦٥م

وظل وليام الفاتح ملكا لإنجلترا ودوقا(أقل رتبة من الملك أو الملكة) لنورماندي في نفس الوقت حتي وفاته سنة ١٠٨٧م. وباعتباره ملكا لإنجلترا كان ملكا مستقلا ولكنه بالنسبة لنورماندي لم يكن سوي دوقا لا بد له من الاعتراف بتبعيته لملك فرنسا . وكانت هذه العلاقة سببا في استمرار المناوشات بين ملك فرنسا ووليام الفاتح ومن تقلد من أولاده أو أحفاده عرش إنجلترا إلى أن تنازل الملك جون (١١٩٩ . ١٢١٦م) شقيق ريتشادر قلب الأسد إلى عرش فرنسا فيليب أغسطس (١٢٠٢ . ١٢٠٤م) عن دوقية نورماندي وغيرها من المقاطعات الفرنسية التي كانت تحت سلطانه في سنة ١٣٠٢م، وسمي على أثر ذلك بجون الذي لا يملك أرضا. ولهذه العلاقة النورماندية التاريخية كانت اللغة الإنجليزية القانونية تحتوي أكثر من نصفها على مصطلحات فرنسية قديمة قد لا تستخدم الآن في القانون الفرنسي المعاصر. انظر: أوروبا العصور الوسطي، سعيد للدكتور/عبد الفتاح عاشور، (الجزء الأول التاريخ السياسي) (صـ٢٢٦ ومابعدها).

Claude. Gauvard, de Libera, A., & Michel. Zink. (2002). Dictionnaire du Moyen Âge. Presses Universitaires de France.pp60-61

سنة ١٠٩١م[١]، **وسماحهم ببقاء الشريعة الإسلامية مطبقة على المسلمين الذين كانوا قد أقاموا بالجزيرة حضارة باسقة لمدة قرنين**، من القرون: التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادية[٢]، وقد

قاموس العصور الوسطى، المطابع الجامعات الفرنسية، لكلود. جوفارد، دي ليبرا، A.، وميشيل. الزنك. (٢٠٠٢)، (٦٠-٦١).

(١) في نفس الفترة التي احتل فيها النورمان إنجلترا احتلوا جزيرة صقلية. بل إن احتلال صقلية بدأ قبل خمس سنوات من احتلالهم لإنجلترا. فوليام الفاتح احتل إنجلترا في ١٠٦٦م بينما بدأ أولاد عمومته بقيادة تانكرد دي هوتفيل Tancrede de Hauteville لصقلية ١٠٦٠م لتتم سيطرتهم على كل الجزيرة في ١٠٩١م.

(٢) المعروف أن المسلمين فتحوا صقلية ضمن ما سيطروا عليه من جنوب إيطاليا ابتداء من سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م على يد أسد بن الفرات أيام زيادة الله بن الأغلب ثالث أمراء بني الأغلب الذين تمت سيطرتهم على مالطة وجنوب إيطاليا وصقلية على يد إبراهيم بن أحمد تاسع أمراء الأغالبة (٢٦١ – ٢٨٩هـ/ ٨٧٥- ٩٠٢م) وبعد زوال الدولة الأغلبية وقيام الدولة الفاطمية محلها سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م بدأت فترة من الفوضى والعصيان وقامت دولة الكلبيون الذين حكموا صقلية لحساب الفاطميين مدة ٩٥ سنة هجرية استتب الأمن فيها وازدهرت حضارتها، وأصبحت (بلرم) قاعدة إسلامية كبري بعد بناء مسجدها الجامع العظيم. وقد بلغت أسرة الكلبيين ذروة قوتها أيام أبي الفتح يوسف الكلبي الملقب بثقة الدولة (٣٧٩- ٣٨٨هـ/ ٩٨٩ . ٩٩٨م)، إلا أن وحدة الحكم الإسلامي لم تدم طويلا وانقسمت صقلية إلى ثلاثة أجزاء استقل بكل جزء قائد مسلم، ولم يلبثوا أن تحاربوا واستعان بعضهم بالنورمان الذين كانوا قد بدأت أطماعهم في الاستيلاء على جنوب إيطاليا سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م وانتهزها النورمان فرصة للاستيلاء على معاقل صقلية تحت قيادة روبرت جسكار رئيس النورمان وأخيه روجر الأول سنة ١٠٦٠م وتم للنورمان الاستيلاء على كل صقلية في ١٠٩١م، وازدهرت صقلية أيام روجر الثاني ابن روجر الأول وكان متسامحا مع المسلمين وكان يلبس الزي العربي ومعجبا بالحضارة الإسلامية وقرب المثقفين والعلماء المسلمين فقرب إليه الإدريسي الذي طلب منه تحضير كتابه المشهور في الجغرافيا الذي انتهى الإدريسي من تحريره في نفس السنة التي مات فيها روجرز الثاني في سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م وهو الكتاب المعروف (بالروجري).انظر: أطلس تاريخ الإسلام، للدكتور/ حسين مؤنس، صـ١٨٠ ، خريطة رقم ٨٥، وصـ ٢٩٣، الزهراء للإعلام العربي.

كان انتساب غزاة إنجلترا وغزاة صقلية إلى نفس المجموعة البشرية النورمانديين The (Normans) مناسبة لأن يتزاوروا ويتصاهروا، ويتبادلوا الخبرات لإقامة نظام سياسي وإداري وقانوني جديد، يتخلصون فيه من عورات النظام البدائي الذي جلبوه معهم من بلاد الشمال. وكان وجود الفقهاء في صقلية واستمرار تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين بها مناسبةً للتعرف على حضارة المسلمين والتحقق من ملاءمة قواعد الفقه الإسلامي في تسيير أمور الدولة وتنظيم المعاملات بين الأفراد. وتزامنت هذه الفترة مع بداية الحملات الصليبية التي توسعت إلى أن ظهر نفس النورمان على رأس إمارة أنطاكية،على الساحل الشمالي للشام، وليصل أحد أحفادهم ليكون ملكاً لمملكة بيت المقدس بجانب كونه إمبراطوراً للألمان وملكاً على صقلية، وهو فردريك الثاني الذي يذكر التاريخ أنه تفاوض مع الملك الكامل حول بيت المقدس. فنحن هنا في فترة ظهور الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر، ثم ظهور صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد ولويس التاسع

-وطبقا للدارسين الذين اهتموا بوضع العرب والمسلمين: فإن روبرت جيسكار وروجر الأول كانا قد وافقا وقت أن استسلمت لهم مدينة بالرم في يناير ١٠٧٢م على ما اشترطه عليهم سادة المدينة العرب من أن قوانينهم (أي الشريعة الإسلامية) لن تخترق بأي طريقة كانت وأنهم لن يكرهوا أو يخضعوا لقوانين غير عادلة أو جديدة. ويقرر هؤلاء الدارسون أن كافة الوثائق التي حفظت من هذا الوقت تدل على أن جميع المسلمين في الجزيرة قد احتفظوا بهذه الميزة والمكانة طوال العهد النورماندي الذي انتهي في ١٣٠١م بانتهاء آخر سلالة للنورمان في صقلية. ويدللون على ذلك بما قاله ابن جبير الذي مر بصقلية وبقي بها عدة أيام ببالرم في شتاء ١١٤٨م من أن المسلمين لهم في بالرم قاضٍ يحكم في منازعاتهم.

Ménager, L. R. (1969). La législation sud-italienne sous la domination normande. / *Normanni e la loro espansione in Europa. Settimane di Studio del Centro Italiano di Studi sull'Alto Medioevo*, 439-496.

تشريعات جنوب إيطاليا تحت السيطرة النورماندية. أنا نورماني وعالم التوسع في أوروبا، لميناجر، إل آر (١٩٦٩)، الأسابيع الدراسية للمركز الإيطالي لدراسات العصور الوسطى المبكرة، ٤٣٩-٤٩٦.

وحملته على دمياط وأسره بالمنصورة، **ورحيل الصليبيين عن الأراضي الإسلامية، محملين بحضارتنا لتبدأ عندهم عصور النهضة، ولتخبو شعلة الحضارة والنور لدينا. ولكن حقيقة دور الحضارة العربية والإسلامية يتأكد يوماً بعد يوم حتى ولو أنكره أكثر المستفيدين من هذا الدور، وسأكتفي هنا بعرض لبعض النظريات التي استعارها القانون الإنجليزي من الفقه الإسلامي.**

ثانيا: النظريات القانونية التي تبناها القانون الإنجليزي متأثراً فيها بقواعد الفقه الإسلامي:

١ –نظرية العقد الناقل للملكية(Writ of debt):

العقد لدى الفقه الإسلامي ينقل الملكية بين المتعاقدين بحكم القانون والشرع بمجرد تبادل الإيجاب والقبول. وهذا هو حكم العقد بتعبير الفقهاء، أما حقوق العقد فهي آثاره بين المتعاقدين، فبالنسبة لعقد البيع يلتزم المشتري بدفع الثمن ويلتزم البائع بتسليم المبيع. وقد وصل القانون الإنجليزي في عهد هنري الثانى الذي يعتبر بحق بداية تكوين الـCommon Law إلى هذه النتيجة بإدخال ما يسمي بدعوى الدين(Writ of debt) .[١]

وكانت هذه الدعوى كغيرها من الدعاوى، التي يمكن الحصول على أمر ملكي بشأنها بدفع مبلغ من المال إلى الديوان الملكي موجه إلى المحكمة الذي يلجأ إليها من له حق يرفض المدين الوفاء به، كما هو حال البائع الذي يطالب بالثمن أو المشتري الذي يطالب بتسليم المبيع.

---

[1] FW, Maitland. The Forms of Actions at Common Law. 1965.

أشكال التصرفات في القانون العام، لميتلاند.ف.م، ١٩٦٥.

Luig, K. (1977). AWB Simpson, A History of the Common Law of Contract. The Rise of the Action of Assumpsit. Zeitschrift der Savigny-Stiftung für Rechtsgeschichte: Germanistische Abteilung, 94(1), 375-378.

تاريخ القانون العام للعقد،(صعود حركة الاستدعاء)،للويج، ك. (١٩٧٧). أوب سيمبسون، مجلة مؤسسة سافيني للتاريخ القانوني: القسم الألماني، ٩٤(١)، ٣٧٥-٣٧٨.

ويرجع الفضل إلى جون مقدسي في شرح هذه الظاهرة الفارقة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني. فالملكية في القانون الروماني وفي القانون الأنجلوسكسوني قبل الغزو النورماندي لا تنتقل بمجرد تبادل الإيجاب والقبول، على عكس الشريعة الإسلامية الذي يترتب على الإيجاب والقبول نقل الملكية مباشرة كما سبق وأن رأينا. ونقل الملكية المباشر بمقتضى الإيجاب والقبول يترتب عليه أنه إذا لم يتم التسليم مباشرة فإن البائع يعد مقصراً في التسليم ويعتبر كالمغتصب في الفقه الإسلامي. ويترتب على ذلك أيضا أنه إذا هلك الشيء المبيع قبل التسليم فإنه يهلك على مسؤولية البائع كما لو كان غاصباً، ويجب عليه أن يرد الثمن إذا كان قد قبضه إلى المشتري. وهذا التحليل يفسر كيف أن دعوى الدين (Writ of debt) اعتبرت من الدعاوى التي تختص بها محاكم الملك، والتي كانت بداية لتأسيس محاكم القانون العمومي باعتبارها المختصة بكل ما يتصل بالسلم العام، ولم تدخل في اختصاص محاكم المقاطعات.

٢ –**أحكام الاستحقاق الإسلامي ودعوى تحقيق استلاب الحيازة**(Assize of novel desseisin):

لم تعرف إنجلترا في الفترة السابقة على الغزو النورماندي نظام دعوى استلاب الحيازة. وفي أيام الملك هنري الثاني الذي يعتبر عهده بداية تكوين القانون الإنجليزي في القرن الثاني عشر: ظهرت دعوى تحقيق استلاب الحيازة عن طريق شراء من الملك أو من ديوانه لحماية الملاك من اغتصاب حيازتهم.

يرجع جون مقدسي أصل هذه الدعوى إلى دعوى الاستحقاق الإسلامي، خاصة في الفقه المالكي، الذي يعتبر أن الحيازة قرينة على الملكية. وأن المالك الذي استلبت منه الحيازة له الحق في استعادة حيازته. ويقرر جون مقدسي أن هذه الدعوى لم تعرفها أنظمة القانون

الروماني أو القانون الكنسي والقانون الأنجلوسكسوني السابق على العهد النورماني.[١] حيث كانت الدعاوى في هذه الأنظمة تحمي الحيازة في ذاتها حتى ولو لم يكن الحائز الذي استلبت حيازته هو المالك الحقيقي. على العكس من ذلك نجد دعوى الاستحقاق الإسلامية تحمي المالك نفسه. ويشير جون مقدسي أيضا إلى الفارق الكبير بين الشريعة الإسلامية التي لا تعترف بالتقادم المكسب ولا بالتقادم المسقط على خلاف القانون الروماني. فالقانون الروماني يقرر اكتساب الحائز غير المالك للملكية إذا استمرت حيازته مدة معينة، بينما في الشريعة الإسلامية لا يكتسب الحائز غير المالك الملكية أبداً مهما طال الزمن. ولكن المالك الحقيقي يمنع من رفع دعواه لحماية حيازته إذا كان حاضراً وعالماً بحيازة غيره لماله. فكما **يقول الشيخ محمد أبو زهرة**[٢]:(لا تعتبر الشريعة وضع اليد مدة طويلة مثبتاً للملكية، كما لا تعتبر ترك المطالبة بالحق مدة طويلة مسقطاً لذلك الحق، وذلك لأن الحق لا يزول مهما يتقادم ومهما يتطاول الزمن، فمضي المدة لا يعطي الحق لواضع اليد ولا يسقط حق ذي حق. وأقصى ما أعطته الشريعة للمدة الطويلة من قوّة أنها جعلتها سبباً في منع سماع الدعوى عند الإنكار أما مع الإقرار فالحق ثابتٌ به، فالدعوى تكون مسموعة)[٣]، وبهذه المناسبة تجب ملاحظة أن المدة المانعة من سماع الدعوى قد تطول عند المذهب الحنفي عنه عند مذهب مالك. وطبقا للمذهب المالكي الذي ساد في المغرب والأندلس وصقلية كانت مدة منع سماع الدعوى تبلغ عشر سنوات.

---

[١] لا يوجد دليل على أن أصول رواية تحقيق استلاب الحيازة(desseisin Assize of novel) نشأت في القانون النورماندي أو الأنجلوسكسوني أو الكنسي أو الروماني.

Makdisi, J. A. (1998). Islamic Origins of the Common Law, The. *NCL rev.*, *77*, 1635.

الأصول الإسلامية للقانون العام، مجلة القانون العام، لمقدسي، ج. أ. (٧٧/ ١٦٣٥).، (١٩٩٨).

[٢]سبق ترجمته،(صـ١٥٢).

[٣] الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة، صـ١٦٠، دار الفكر العربي ١٩٧٦م.

وطبقا للمؤرخين فإن الملك هنري الثاني هو الذي أدخل دعوى تحقيق استلاب الحيازة في الفترة بين ١١٥٥ و١١٦٦م حتى يسمح للمالكين الذين نزعت حيازتهم قهرا وقسرا وبدون رضاهم من استعادة ما يملكون، وكانت هذه طريقة قانونية تحقق كثيرا من الفاعلية وأكثر ملاءمة من استخدام طريقة المبارزة التي كانت تؤدي إلى أن أحد المتبارزين كان معرضا للموت. كما أن الطريقة الجديدة التي تتقابل مع نظام دعوى الاستحقاق الإسلامي كانت تقوم على شهادة المحلفين: الذي يرى جون مقدسي أنه مأخوذ من نظام إسلامي معروف في شمال إفريقيا للإثبات ويسمي الشهادة "باللفيف" أي بمجموع الناس الذين يعيشون في المنطقة. وقد وجدنا إشارة إلى لفظ "اللفيف" في فتاوى "الونشريسي" وفي كتاب قديم نشرته حديثا وزارة الأوقاف المغربية في سنة ١٩٩٨م تحت عنوان (فتاوى تتحدى الإهمال) إشارة إلى ما أطلق عليه "دعوى لفيفية" بشأن دعاوى الاستحقاق، وفي هذا الكتاب تفرقة بين "اليد" و"الحوز" "والحيازة" مِمَّا لا نستطيع الدخول في تفصيله. والقول بمضاهاة نظام المحلفين"Jury" الذي لا يعرف المؤرخون لتاريخ القانون الإنجليزي حتى الآن أصله التاريخي مع نظام "اللفيف" يعتبر أمراً جديداً يستحق البحث والنظر بتأنٍّ.

٣ -إلغاء نظام الإثبات بالتعذيب بالنار والماء المغلي:

في رأينا أن نموذج الفقه الإسلامي في وسائل الإثبات، وأن البينة على المدعي كانت هي الأساس في إلغاء نظام الإثبات بوسائل العذاب "Ordeal" في إنجلترا وفي غيرها من البلاد المسيحية. ويتمثل نظام الإثبات بالعذاب في الإمساك بالحديد المحمي أو وضع اليد في النار أو الماء المغلي أو بالمبارزة" by battle "وكلها وسائل تؤدي إلى الهلاك لمن يقوم بها. وأصل هذه الوسائل البدائية والبربرية الإيمان بأن الشخص إذا كان صادقاً فلن يتأثر لا بالنار أو الماء المغلي حيث ينجيه الرب. أما إذا كان كاذباً فلن ينجو من الإصابة ولن ينتصر في المبارزة وسيلقي حتفه إذا كان الأمر يتعلق بالمبارزة. وحين جاء النورمان إلى صقلية المسلمة وجدوا نظاماً إنسانياً متقدماً في الإثبات. وطوال الحروب الصليبية عرف الصليبيون مدى تقدم وسائل الإثبات الإسلامية وأدى ذلك بهم إلى أن يقوم المجمع الكنسي "مجمع اللاتران الرابع" بإلغاء الإلتجاء إلى نظام الـ

بالنار "Ordeal" أو الماء المغلي، وكان ذلك في ١٢١٥م. وكثيرون من الذين أرخو لمؤسس حركة الرهبان الفرنسيسكان(سان فرانسوا داسيس) أنه أراد مقابلة الملك الكامل أثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط، لكي يقنعه بأفكاره المسيحية وعرض أن يمتحن عن طريق النار أو الماء المغلي، ولكن الملك الكامل رفض عرضه. وكان ذلك في نفس الفترة التي اجتمع فيها مجمع اللاتران الرابع الذي ألغى الإلتجاء إلى الإثبات عن طريق النار أو الماء المغلي حيث لم يكن الخبر قد وصله. ويعتبر سان بونافنتور الذي عاش بعد وفاة سان فرانسوا داسيس بقليل وتولي أمور الطائفة التي كانت تؤمن بمذهب الفقر والالتفات عن الدنيا ومباهجها هو أول من ذكر هذه القصة وهناك من المؤرخين من ينكر وقوع المقابلة بين الملك الكامل وسان فرنسوا، وإن كان البعض الآخر يؤكدها معتمداً على ما ذكره بونافنتير.(١)

٤ –نظام الترست(Trust) والأوقاف:

من بين الأنظمة التي لم يعد هناك شك حول مصدرها التاريخي نظام الترست في النظام القانوني الأنجلو أمريكي. فهذا النظام الذي ترعرع في ظل نظام العدالة (Equity) في إنجلترا يوجد مصدره في نظام الوقف الإسلامي الذي عرفه مسيحيو أوروبا وبالذات مجموعات الفرسان المتشددة التي جاءت مع الحملات الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مع الممولين لهذه الجماعات.

---

(1) AILLET, Cyrille. John Tolan Le saint chez le sultan: la rencontre de François d'Assise et de l'islam. Huit siècles d'interprétation Paris, Éd. du Seuil, 2007, p 520.

إيليت، سيريل. جون تولان القديس بين السلاطين: لقاء فرنسيس الأسيزي والإسلام. ثمانية قرون من التفسير باريس، إد. دو سيويل، ٢٠٠٧،ص ٥٢٠ .

In: Annales. Histoire, Sciences Sociales. Cambridge University Press, 2008. p. 900-902.

في الحوليات التاريخ والعلوم الاجتماعية. ص ٩٠٠-٩٠٢. مطبعة جامعة كامبريدج، ٢٠٠٨.

وفي إحدي الدراسات التي نشرت في الثمانينات تأكيد على أن نظام الوقف هو أساس نظام الترست وأوردت الدراسة الوثيقة التي أنشأ بها مرتون[١]. والوثيقة مترجمة إلى الإنجليزية، وكتبت في القرن الثالث عشر وهي قريبة الشبة بالوقفيات التي عرفها المجتمع الإسلامي. ومرتون كان رجلا مهما في إنجلترا في عصره، وشارك بنفسه وأمواله في الحروب الصليبية، وكان على صلة قوية بالفرسان المسيحيين. وتقول الباحثة القانونية التي نشرت الوثيقة: إنه كان من الصعب عليه أن يقرر ويعترف بأن النظام الذي اقترحه لتأسيس كلية مرتون التي تسمت باسمه مأخوذاً عن نظام إسلامي ذهب في الأصل لمحاربة المؤمنين به. ويقوم نظام الترست على نقل ملكية المال المخصص للخير أو إلى أي غرض شرعي آخر كالأهل والأولاد، إلى شخص آخر يكون هو الأمين، ويكون الأهل والأولاد أو الغرض الخيري المستفيد. والأمين يكون المالك القانوني أو الرسمي والأهل والأولاد أو الغرض الخيري هم الملاك عدالة وديانة. وتنامت أهمية الترست وكثرت قواعده لحماية المستفيدين لدرجة تدعو إلى الإعجاب وخاصة تلك القاعدة التي تقول بأن الأمين (Trustee)لا يمكن أن يستفيد من إدارته للترست على حساب المستفدين، حيث أصبحت حماية المالكين عدالة وديانة أكبر التزام على المالك القانوني أو الرسمي، واعتبرت المحاكم أن أكبر واجباتها يتمثل في حمايتهم. وقد تجاوز نظام الترست الآن الأغراض الأولي التي كانت له، وأصبح يستخدم كأداة للاستثمار الدولي، كما استخدم الترست كوسيلة لحماية المستفيدين من ظلم الحكام وطريقة لإخفاء ملكيتهم وأبعاد أموالهم المكونة للترست عن أعين السلطات الجائرة.

ووجه الشبه بين الترست والوقف هو في نقل الملكية للمال الموقوف أو المال موضوع الترست إلى شخص آخر يتصرف فيه لمصلحة المستفيدين، الذين قد يكونون أفرادا أو جهة من جهات الخير كمستشفى أو مدرسة أو نادٍ أو مسجد أو كنيسة. فالوقف الذي يسمى بالحبوس في شمال إفريقيا المالكية مذهبا يكون بحبس المال على ذمة حكم الله. فينقل الملكية من الواقف إلى حكم ملك الله وبالتالي يصبح المال غير قابل للتصرف فيه إلا طبقا لشروط الواقف. وفي الترست إذا انتقلت

---

[١] كلية بجامعة كمبردج بإنجلترا.

الملكية إلى دير أو كنيسة من الكنائس كمؤسسة يكون استثمار هذا المال وتصريف غلته وإدارته طبقا لنص سند الترست المنشئ له. والواقع أنه إذا كان نظام الوقف الإسلامي هو المصدر التاريخي لنظام الترست الإنجليزي فإننا يجب أن نعترف بأن نظام الوقف الإسلامي قد تلقى في بلادنا ضربات قوية من السلطات الاستعمارية في القرنين التاسع عشر والعشرين بينما ازدهر الترست في النظام الأنجلو أمريكي وعظمت قواعده. **وحيث لم تعرف القوانين اللاتينية نظام الترست فلا نجد له شبيها في الأنظمة العربية المعاصرة التي تأثرت بالقانون الفرنسي الذي لا يعترف بنظام الترست. والأجدى أن نعود إلى استخدام أحكام الوقف التي عرفها الفقه الإسلامي، فمجتمعاتنا في أشد الحاجة إليه.**

٥ –القراض وشركات التوصية البسيطة(Commenda):

من النظم الإسلامية المستقرة القراض: والقراض–غير القرض– وهو التعبير الذي يقابل شركة المضاربة الإسلامية: وهو أن يقدم صاحب المال مبلغاً من المال إلى شخص يقوم باستثماره والتجارة به، ويقسم بينهما الربح بحسب النسبة المتفق عليها بينهما. والمستقر عليه الآن في الفقه الغربي أن القراض هو المصدر التاريخي لنظام (commenda) وهي شركة التوصية البسيطة وهو نوع من شركة التضامن البسيط. والمؤلف الأساسي في هذا الموضوع هو ما كتبه ابراهام ل. يودوفيتش.[١]

٦ –القواعد البحرية لجزيرة أوليرون(Oleron):

يقول عبد العزيز بن عبد الله: (ومعلوم أن حماية المسافرين والتجار الأجانب كانت تتسم منذ أوائل الإسلام بسمة الوجوب في دار الإسلام، وقد تبلور التأثير الإسلامي عمليا في التنصيص على

---

[1] Udovitch, A. L. (2011). *Partnership and profit in medieval Islam*. Princeton University Press.

الشراكة والربح في الإسلام في العصور الوسطى، لأودوفيتش، أ. ل، مطبعة جامعة برينستون،(٢٠١١).

هذه المبادئ فعلا في المعاهدات التجارية، مثال ذلك المعاهدة التي أمضيت عام ٨٩٥هـ /١٤٨٩ بين جمهورية فلورانسا والسلطان المملوكي "قايتباي" أمير القلعة بالقاهرة، وقد تم توقيعها بعد ثلاث سنوات من المفاوضات برزت خلالها أولا كمرسوم سلطاني لدوائره الإدارية بمصر وسوريا قبل أن تكون معاهدة مع تجار أوروبيين. وقد نص هذا المرسوم بالإضافة إلى حماية التجار وضمان حقوقهم على عدة بنود تتعلق برسوم الجمارك (١٤%)، والقواعد الإدارية المتبعة، وإقامة قنصلية بين التجار داخل فنادقهم، ووسائل تحويل القروض، بل نص المرسوم حتى على إمكان التحكيم على يد السلطان بين تجار فلورنسا وتجار أوروبيين آخرين على الأراضي أو المياه المملوكية كل ذلك انطلاقا من الشريعة والتقاليد الإسلامية.

وقد أدت المبادلات التجارية بين الشرق الإسلامي وأوروبا لا إلى إمضاء معاهدات دولية فحسب، بل إلى تطوير الأعراف الجمركية والقوانين الإدارية والبحرية والحربية مع أوروبا الغربية، وقد تأسست في الأندلس عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م قنصلية للبحر، كما وضعت مدونة للتقاليد والقواعد تجمعت فيها نصوص ظهرت منذ القرن الحادي عشر الميلادي أيام الموحدين، وقد تم ذلك أولا في برشلونة حيث نشرت مجموعة قواعد لتنظيم التجارة البحرية والنص على عدم المسؤولية الجماعية مما لم يعرف إلا خلال القرن التاسع عشر بعد حرب القرم وقد نص "ماس لاطري"، على ذلك من خلال معاهدة أبرمها الموحدون انطلاقا من الآية الشريفة: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) صدق الله العظيم، وقد قام اليهود بدور كبير في تسهيل نشر هذه المبادئ التي أدرجوا الكثير منها في تلمودهم دعما لنصوصه التشريعية).[(١)]

ومن أول المدونات الأوروبية القانونية البحرية مدونة أوليرون (Oleron)، على كافة القواعد البحرية التي كان معمولا بها في البحر الأبيض المتوسط أثناء فترة الحروب الصليبية، حيث كانت

[(١)] انظر: معلمة الفقه المالكي، لعبد العزيز بنعبد الله، صـ٤٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

التجارة العربية بين شمال وشرق المتوسط في أزهى عصورها، وتعتبر قواعد أوليرون تقنينا للقواعد الإسلامية في التجارة البحرية. والنص التاريخي مترجم بالإنجليزية ومنشور على الإنترنت تحت اسم (Oleron Rules).[١]

٧-قانون اللاجئين والأمم المتحدة:

في دراسة مقارنة صادرة عن الأمم المتحدة [عن المفوضية العليا لشؤون اللاجئين] قالت: إن الشريعة الإسلامية لديها تأثير كبير على قانون اللاجئين المعاصر.[٢] وأكدت الدراسة أن العادات المتبعة في الشريعة الإسلامية منذ ١٤٠٠ عام في إكرام الأشخاص الفارين من الاضطهاد لديها تأثير كبير على قانون اللاجئين المعاصر أكثر من أي مصدر تقليدي آخر.

وقال المفوض السامي للاجئين أنطونيو غوتيرس، :(إن الشريعة الإسلامية أكثر من أي مصدر تاريخي آخر هي أساس الإطار القانوني الذي تبني عليه المفوضية أنشطتها الرامية إلى مساعدة عشرات الملايين من الأشخاص الفارين من ديارهم في أنحاء العالم). وهذا يتضمن حق كل شخص في طلب اللجوء بالإضافة إلى منع إعادة أي شخص بحاجة إلى الحماية إلى مكان الخطر. وقال غوتيرس:(يجب على المجتمع الدولي أن يثمن تقاليد الضيافة والكرم هذه وأن يعترف بمساهمتها في القانون المعاصر).

وقد شرح البروفيسور أبو الوفا، عميد كلية القانون بجامعة القاهرة، كيف يحترم التشريع الإسلامي والعادات والتقاليد اللاجئين بمن في ذلك غير المسلمين ويمنع تحويلهم بالقوة من معتقداتهم ويتجنب تقويض حقوقهم ويسعى للم شملهم مع أسرهم وضمان حماية أرواحهم وممتلكاتهم.

---

[١] النظريات القانونية المقتبسة من الفقه الإسلامي في النظام القانوني الأنجلو أمريكي، برهام محمد عطا الله.
http://www.siironline.org/alabwab/maqalat&mohaderat(12)/1492.htm

[٢] موقع الأمم المتحدة: https://news.un.org/ar/story/2009/06/106262

٨- تأثير الفقه الإسلامي في قوانين اليهود والنصاري:

يقول جوزيف شاخت[١]: (وفي الطرف المقابل في البحر الأبيض المتوسط نجد أن التشريع الإسلامي قد أثر تأثيراً عميقاً في جميع فروع القانون في إقليم الكرج"جمهورية جورجيا السوفيتية الآن"، وذلك خلال فترة تمتد من عصر السلاجقة إلى عصر الصفويين (٤٩٤ – ٩٠٦ هـ). [٢]

وكذلك يوضح جوزيف شاخت ظهور تأثير التشريع الإسلامي في قوانين أهل اليهود والمسيحيين. فعلى المستوى اليهودي تأثر **موسى بن ميمون**[٣] -وهو حاخام يهودي (ت ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) – بالتشريع الإسلامي، (وظهر ذلك في تنظيمه للمادة القانونية في مدونته بعنوان "مشناه توراة"، وهو عمل لم يسبقه إلى مثله أحد من اليهود).[٤] وعلى المستوى المسيحي تأثرت الكنيسة المسيحية الشرقية (اليعاقبة والنسطوريون) بالتشريعات الإسلامية، فاقتبسوا في قانون الميراث والأوقاف

---

[١] سبق ترجمته(صـ٦٣١).

[٢] تراث الإسلام، لجوزيف شاخت – كليفورد بوزورث، (٩٦/٢)، ترجمة: حسين مؤنس، إحسان العمد، فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، ١٩٧٨م.

[٣] مُوسى بن مَيْمون(601 - 529)هـ = ١١٣٥ - ١٢٠٤ م)موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق، أبوعمران القرطبي: طبيب فيلسوف يهودي.ولد وتعلم في قرطبة. تظاهر بالإسلام،وأقام في القاهرة ٣٧ عاما كان فيها (من سنة ٥٦٧ هـ رئيسا روحيا لليهو). ومات بها ودفن في طبرية (بفلسطين) من كتبه (دلالة لحائرين). انظر:الأعلام، للزركلي،(٧/٣٢٩- ٣٣٠).

[٤] صرح نفتالي فيدر في كتاب أصدرته جامعة أكسفورد عام ١٩٤٧م: أن الديانة اليهودية تأثرت تأثرا بالبيئة الإسلامية... [إلى أن يقول]: (ومن الناحية الشكلية اتخذ اليهود لأنفسهم مناهج العرب العلمية في فروع الدين، والأخلاقيات والنحو، وتفسير التوراة، بل حتى في ميدان الشريعة فإن كتاب «تثنية التوراة» -وهو بحث منظم عن الفقه والتشريع اليهودي استمده مؤلفه من التلمود وشروحه وهوامشه- الذي كتبه موسى بن ميمون المتوفى في مصر عام ١٢٠٤م، الذي يبهرنا ببنائه وترتيبه ليس سوى ترتيب لمواد الشريعة... وفقًا للنظام الذي وضعه علماء الفقه المسلمين).انظر: التأثير الإسلامي على الفكر الديني اليهودي..فرقة القرائين، مقال، لقاسم عبده قاسم، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب – دولة الكويت العدد٦١٤، ٢٠٢١م.

الخيرية وغيرها. ومن ناحية أخرى، فإن (انبساط الحكم العثماني على بقاع شاسعة من العالم كان له أعمق الأثر على القوانين في مختلف ميادين الحياة وخاصة في الأقاليم الأوروبية التي خضعت للآستانة ولا يزال على رجال القانون المقارن أن يسبروا أغوار هذه التأثيرات والمبادلات بين الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية فيما كان يسمى بالدول الاشتراكية التي كان معظمها تابعاً للأتراك إلى حدود سيبيريا حيث يمتد ما كان يسمى بالجمهوريات الإِسلامية السوفياتية).[١]

---

[١] معلمة الفقه المالكي، لعبد العزيز بنعبد الله، صـ٤١.

المبحث الثاني

تأثر القانون الفرنسي بالفقه الإسلامي

يؤكد المُستشرق المؤرِّخ الهولندي الفرنسي الأصل **رينهارت دوزي**[(١)]في كتابه: الإسلام الأندلسي رسالةً لكاتب إسباني يَنعي فيها اللغة اللاتينية والإغريقية، وأن أرباب الفطنة والتذوق قد سحرهم الأدب العربي واللغة العربية ودرسوا التصانيف التي كتبها الفلاسفة "علماء الكلام" والفقهاء المسلمون، لا لإدحاضها والرد عليها، بل لاقتباس الأسلوب العربي الصحيح.[(٢)]

ومثله المستشرق الإيطالي إي. كاروزي في كتابه: صلات القانون الروماني بالقانون الإسلامي الذي بنى نظريةً على أن الفقه الإسلامي ليس إلا القانون الروماني دون تغيير[(٣)]، وأن الرسول محمدًا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان على علم واسع بهذا القانون[(٤)]، أما استفادة القوانين الغربية من الفقه الإسلامي بدءًا بالقرن الخامس الهجري الثاني عشر الميلادي فهذه قضية

[(١)] سبق ترجمته، (صـ٢٢٩).

[(٢)] انظر: المستشرقون والإسلام، لزكريا هاشم زكريا، صـ ١٧، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٩٦٥م.

[(٣)] انظر: تميُّز الأمَّة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه؛لإسحاق بن عبدالله السعدي،(١: ٤٣٦)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

[(٤)] انظر: استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الروماني والردّ على شُبه المستشرقين، للدسوقي السيد الدسوقي عيد، صـ١٧، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

مدروسة وثابتة في القوانين الفرنسية التي اتَّكأت على الفقه المالكي من خلال موطأ الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، وكذا القانون الإنجليزي.[١]

ويرجع تأثر القانون الفرنسي بالفقه الإسلامي إلى:

أ- **العقد الرضائي وأحكامه:** العقد الرضائي هو الذي ينعقد بمجرد الإيجاب والقبول الصادرين ممن هم أهل للتعاقد دون الرعاية الشكلية التي كانت سائدة في القانون الروماني وتأثر بها القانون الفرنسي أولا ثم القوانين العربية المتأثرة بالقانون الفرنسي. وعلى سبيل المثل قد تناولت المواد (١١٠٨-١١٢٢) في القانون المدني الفرنسي في الباب الرابع تحت عنوان (شروط صحة العقد وأحكام العقد الرضائي)، في هذا القانون كما هي في الفقه المالكي.

ب- **أحكام العارية:** ألتي عالجها القانون المدني الفرنسي متأثراً بالفقه المالكي في المواد (١٨٧٥-١٨٩٤).

ج- **تأثر القانون الفرنسي بالفقه المالكي في كثير من أحكام البيع**[٢]، وعناصره التي تناولها القانون المدني الفرنسي في المواد (١٥٨٢-١٧٠٧).

د- **بيع الوفاء:** وهو بيع بشرط أن البائع متى رد الثمن يرد المشتري إليه المبيع. [٣] وهو في حكم بيع الجائز والنافذ غير اللازم من حيث انتفاع المشتري به، وفي حكم البيع الفاسد من حيث كون

---

[١] انظر: تأثير الفقه الإسلامي على تكوين القانون الإنجليزي، لبرهام محمد عطا الله، صـ ٥٨ – ٧٠، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، سلطنة عمان، ٢٠٠٨م.

[٢] هناك أحكام كثيرة أخرى التي تأثر فيها القانون الفرنسي بالفقه المالكي لا مجال لإستعراضها.

[٣] مجلة الأحكام العدلية، للجنة مكونة من عدة علماء وفقهاء في الخلافة العثمانية، صـ٣٠، المحقق: نجيب هواويني، نور محمد للنشر والتوزيع، وقد نصت المادة (٥٦١) على أن (بيع الوفاء هو أن يبيع شيئا بكذا أو بدين عليه بشرط أن البائع متى رد الثمن إلى المشتري أو أدّى الدين الذي عليه، يرد له العين المبيعة

كل من العاقدين مقتدرا على فسخه، وفي حكم الرهن من حيث أن المشتري لا يقدر على بيعه للغير.

وخلاصة الكلام أنه يُمكن تكيف بيع الوفاء بالعقود المذكورة، ومن البدهي أن هذا العقد من ابداع الفقهاء الحنفية في ما وراء النهر قبل القانون الفرنسي النافذ القائم المعدل، لأن هذا القانون تأسس عام (١٨٠٤م) وقد أخذ بهذا القانون وعالجه في الفصل الأول من الباب الثالث تحت عنوان (لغو البيع وفسخه) وقد تناوله هذا القانون في المواد (١٦٥٩-١٦٧٣).

هـ- **حقوق الإرتفاق (أو الحقوق القسرية):** وهو حق المرور[(١)] وحق الشرب[(٢)] وحق المسيل[(٣)]وغيرها من حقوق الإرتفاق. وقد أخذ بهذه الحقوق القانون المدني الفرنسي من الفقه الإسلامي وعالجها تحت عنوان (الحقوق القسرية الأرضية) في الكتاب الرابع في المواد (٦٢٧-٧١٠) وقد نصت المادة (٦٢٧) من القانون المدني الفرنسي على أن (الحقوق القسرية هي ترتب حق أرض على أخرى بدون أن يكون المالك واحدا لقصد الإنتفاع بالأرض الأخرى المذكورة). وفي المقارنات التشريعية[(٤)] تطبيق القانون المدني والجنائي على مذهب الإمام مالك، الحقوق القسرية الأرضية هي ترتب حق لأرض على أخرى بدون أن يكون المالك واحداً لقصد الإنتفاع بالأرض الأخرى المذكورة. منشأ استحقاق هذه الحقوق القسرية إمّا أن تكون مسبباً عن موقع الأرض الطبيعي والحاجة الطبيعية إلى ذلك الحق، أو بترتيب القوانين لتلك الحقوق، أو بإتفاق بين

وفاءاً.)انظر: مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الإنسان، محمد قدري باشا (المتوفى: ١٣٠٦هـ)، صـ٧٣، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، الطبعة: الثانية، ١٣٠٨ هـ - ١٨٩١م.

(١) وهو حق المشي في ملك الغير (م١٤٢) مجلة الأحكام العدلية.

(٢) وهو نصيب معين معلوم من النهر (م١٤٣) المرجع السابق.

(٣) وهو حق جريان الماء والمسيل من دار إلى الخارج (م١٤٤) المرجع السابق.

(٤) مقارنات التشريعية "تطبيق القانون المدني والجنائي على مذهب الإمام مالك"، لمخلوف محمد البدوى المنياوي، (١/١٨١)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٠م.

أصحاب الملك بعضهم مع بعض. تُجبر الأراضي الواطية على قبول صرف مياه الأراضي العالية الجارية بنفسها بدون فعل فاعل ولا يجوز في حال من الأحوال لمالك الأراضي الواطية أن يعمل سداً أو جسرا يحجز به تسريب هذه المياه ويمنع مرورها بأرضه، كما لا يجوز لمالك الأراضي العالية أن لا يتوقى ما يعود بالمضرة على الأراضي الواطية[١]

وجدير بالذكر أن الأرقام التي ذكرناها بالنسبة للقانون الفرنسي قد تغيرت في الوقت الحاضر بعد اجراء تعديلات متعددة على هذا القانون، ولكن لعدم تمكننا من الحصول على الأرقام المعدلة اكتفينا بإستعراض الأرقام القديمة السابقة، لأن الذي يهمنا في هذا المقام هو بيان تأثر القانون الفرنسي بالفقه الإسلامي. وأما الشكليات فهي رغم أهميتها لا تؤثر في هذا المقام بالنسبة لتأثر المذكور.

---

[١] انظر: تعريب القانون الفرنساوي المدني، لمخلوف محمد البدوي، (١٤٢/١ وما بعدها)، بولاق، الطبعة: الثانية، ١٢٩٣هـ.

المبحث الثالث

تأثر القانون الألمانى بالفقه الإسلامي

من نماذج تأثر القانون الألماني بالفقه الإسلامي عن طريق الخلافة العثمانية تحول العقد الذي عالجه القانون المدني الألماني في المادة (١٤٤).

ومفاد تحول العقد هو أنه إذا كان العقد باطلا وتوفرت فيه أركان وعناصر عقد آخر أو تصرف آخر، تحول إليه ويُعتد بهذا التصرف المتحول إليه، كما نص على ذلك القانون المدني المصري النافذ في المادة (١٤٠) التي نصّت على أنه إذا كان العقد باطلا أو قابلا للإبطال وتوافرت فيه أركان عقد آخر، فإن العقد يكون صحيحا بإعتباره العقد الذي توافرت أركانه، إذا تبين أن نية المتعاقدين كانت تنصرف إلى ابرام هذا العقد، وهذا النص يقرر في عبارة عامة نظرية تحول العقد. وقال **العلامة السنهوري**[1]: أن نظرية تحول العقد هي نظرية ألمانية صاغها الفقهاء الألمان في القرن تاسع عشر، وأخذ بها التقنين المدني الألماني في نص صريح هو المادة (١٤٤) وعلى نهج التقنين المدني الألماني سار التقنين المصري الجديد. وتتلخص النظرية في أن التصرف الباطل قد ينطوي رغم بطلانه على عناصر تصرف آخر، فيتحول التصرف الذي قصد إليه المتعاقدان وهو التصرف الباطل إلى هذا التصرف الآخر، وبذلك يكون التصرف الباطل قد انتج أثراً قانونيا لا كواقعة مادية بل كتصرف قانوني، ولكنه أنتج أثراً عرضيا.

---

[1] السَّنْهوري(١٣١٢ - ١٣٩١ هـ = ١٨٩٥ - ١٩٧١ م)عبد الرزاق بن أحمد السنهوري، الدكتور: كبير علماء القانون المدني في عصره. مصري. ولد في الإسكندرية، واختير عضوا بمجمع اللغة العربية (١٩٤٦) وعين رئيسا لمجلس الدولة بمصر (١٩٤٩ - ٥٤)،وتوفي بالقاهرة. من كتبه:(أصول القانون).

انظر: الأعلام، للزركلي ، (٣/٣٤٩-٣٥٠).

شروط التحول: ويُشترط لتحول التصرف الباطل إلى تصرف آخر توافر شروط ثلاثة:

أحدها بطلان التصرف الأصلي: فيجب أن يكون التصرف الأصلي إما تصرفا باطلا أو تصرفا قابلا للإبطال. وقد ابطل فعلا، ولا يجوز أن يكون تصرفا صحيحا ولا تصرفا باطلا في شقٍ منه وصحيحا في الشق الآخر. والثاني ان ينطوي التصرف الأصلي الباطل على عناصر التصرف الآخر الذي يتحول إليه، أي يجب أن يكون هناك تصرف آخر يتحول إليه التصرف الأصلي. والثالث جواز انصراف إرادة المتعاقدين المحتملة إلى التصرف الآخر الذي تحول إليه التصرف الأصلي، أي يكون بحيث إذا علم المتعاقدان بطلان التصرف الذي قاما بإبرامه، انصرفت إرادتهما إلى هذا التصرف المتحول إليه. [١]

وعلى سبيل المثل إذا قدم المدين لدائنه كمبيالة لم تستوفِ الشكل الواجب قانوناً تكون باطلة وتتحول إلى سند دين عاديٍ صحيح، كما نصّت على ذلك المادة (١٠٨) من التقنين التجاري المصري. أما إذا زوّد المدين دائنه قبل هذه الكمبيالة سنداً عادياً، فلا تتحول إليه. وكذلك تأثر الفقه الغربي وبوجه خاص القانون المدني الألماني بالفقه الحنفي في انصراف آثار التصرف من الحقوق والإلتزامات إلى الموكل إذا أضاف الوكيل التصرف إلى نفسه، وللغير الذي تصرف معه الوكيل أن يرجع إلى الأصيل رغم عدم علمه بأن الوكيل تصرف بإسم الأصيل لا بإسمه. [٢]

وجدير بالذكر أن الفقه الغربي ذهب الى عدم انصراف آثار العقد وبوجه خاص حكمه (التزاماته) إذا أبرم الوكيل التصرف الموكل فيه بإسمه. ويُلاحظ أن ما ظنه العلامة السنهوري[٣] في أن فكرة تحول العقد من ابداع الفقهاء الألمان، وقد دونت هذه الفكرة في القانون المدني الألماني المادة

---

[١] القانون المدني المصري، مجموعة الأعمال التحضيرية،(٢٠/١)،مطبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥٠م.

[٢] النيابة عن الغير في التصرف القانوني، للدكتور/ جاسم لفته العبودي، صـ ٣٧ ومابعدها، رسالة دكتوراه ، ١٩٩٠م.

[٣] سبق ترجمته، (صـ٦٨٦).

(١٤٤) غير مطابق للواقع، وذلك لأن هذه الفكرة هي من ابداع فقهاء الإسلام وانتقلت إلى الفقه الألماني وقانونه عن طريق الإحتكاك بين الدولة العثمانية والدولة الألمانية. وفي الفقه الإسلامي توجد تطبيقات كثيرة لتحول العقد التي كانت موجودة قبل القانون الألماني بمئات السنين، ومن تلك التطبيقات ما يلي:

١ –من أوصى لشخص لا توجد بينه وبين هذا الشخص علاقة القرابة أو الزوجية اللتان هما من أسباب الميراث، بأن يكون وارثا له كأحد ورثته الشرعيين، تبطل هذه الوصية وتتصرف إلى أاو اللوصية المطلقة ويعطى للموصى له نصيب أحد الورثة الأقل نصيبا بالنسبة للبقية، كوصية لا كميراث. وعلى سبيل المثل من مات عن أم وابن والموصى له بالميراث، يكون للأم السدس وللموصى له السدس وللإبن الباقي.

٢ –الكفالة وهي ضم ذمة إلى ذمة في مطالبة الشيء، أي بأن يضم أحد ذمته إلى ذمة آخر ويلتزم أيضا بالمطالبة التي لزمت في حق ذلك، إذا اشترط فيها أن يكون الكفيل ضامنا للمدين الأصلي رغم امكانية المدين واستعداده للوفاء بالدين، بطلت بإعتبارها كفالة وتحولت إلى الحوالة.

٣ –الحوالة إذا اشترط فيها عدم براءة ذمة المحيل عن الدين، بأن يكون للمحال الرجوع على المدين المحيل على المحال عليه في وقت واحد إذا امتنع المحال عليه عن الوفاء بالدين أو عجز عن الوفاء تبطل الحوالة وتتحول إلى الكفالة.

٤ –الوكالة بعد الموت وصاية، والوصاية في الحياة وكالة، فلو قال أحد لآخر أوصيتك اليوم على بيع سيارتي بكذا، كان وكيلا، ولو قال له أنت وكيلي بعد موتي، كان وصياً.

٥ –البيع بنفي الثمن يكون هبةٌ، والإجارة بنفي الأجرة عارية، والعارية بشرط الأجرة إجارةٌ.

وهكذا هناك مئات التطبيقات الموجودة في الفقه الإسلامي، وكانت تُطبق قبل القانون الألماني بمئات السنين. [١]

---

[١] انظر: نظرية الظروف الطارئة" دراسة تاريخية ومقارنة للنظرية في الشريعة الإسلامية والشرائع الأوروبية وتطبيقات النظرية في تقنينات البلاد العربية"، لعبد السلام الترمانيني، صـ٣٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.

المبحث الرابع

تأثر القانون الدولى بالفقه الإسلامي

يقول العالم البلجيكي نِيسر نيست: (إن المسلمين قد وضعوا قواعد إنسانية للحرب، منذ عصر مبكر، وهي التي أخذ منها الإسبان أفكارهم الأولى عن أحكام الحرب).[١]

ولم يتوقف الأمر عند ذلك.. فحاليا يرى قانونيون غربيون أن أحكام الشريعة الإسلامية في المسائل الدولية يمكن الاستفادة منها وبخاصة في مجالين رئيسين: (الأول): تطوير أحكام القانون الدولي في شأن مركز الفرد فيه، والاعتراف به شخصاً من أشخاص القانون الدولي. و(المجال الثاني): إدخال المبادئ الأخلاقية في القانون الدولي. فالشريعة الإسلامية غنية بالمسائل التي تتصل بهاتين المسألتين.[٢]

ومن أمثلة التأثر: قانون الجنسية: فالجنسية في الحقيقة ميزة تتسم بها أمة بعينها وهي أيضا وصف لمن ينتسب لأمة من الأمم ولم يهتم الإسلام بالجنسية أو العنصر بقدر ما اهتم بالملة أو النحلة الدينية، ولكن ليس معنى هذا أن أحكام هذا المفهوم لم تكن واضحة مضبوطة في الإسلام، فقد قال النووي في تقريبه نقلا عن عبد الله بن المبارك وغيره أن من أقام في بلدة أربع سنين نسب إليها، وقد تحدث المراكشي في إعلامه عن أمد الحصول على هذه الجنسية حسب الفقه الإسلامي. وقد اختارت مدونات قانونية أوروبية وأمريكية نفس المدة لإقرار جنسية الأجنبي المقيم

---

(١) انظر: إشكالات القانون الدولي الإنساني و جوابها من الفقه الإسلامي، لنبيل زياني، صـ٤٦، مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور بالجلفة كلية الحقوق و العلوم السياسية، المجلد ٢٠١٣، العدد ١٤ (٣٠ يونيو/حزيران ٢٠١٣).

(٢) انظر: تطور القانون الدولي، لفريدمان ولفغانغ، صـ١٩٦، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٠٧م.

في البلد.[١] وقد اقتبس الفونس التاسع الحكيم ملك قشتالة وامبراطور المغرب (١٢٧٢م) متأثراً بمعطيات الحضارة الإسلامية في النصف الثاني للقرن الثالث عشر- من عدد كبير من المصادر العربية وهو الذي جدد جامعة سالامانكا التي قامت بدور كبير في وضع ما أدى إلى القانون الدولي الحديث وقد كتب الفونس هذا أول مدونة قانونية في أوروبا سماها Las Siete Partidas (نشرت بتعاليق لاتينية من طرف) في ثلاثة مجلدات (مدريد ١٨٢٩) وقد استمدها خاصة من قانون (الولايات) في الأندلس المسلمة الراجع إلى عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م.فكان اقتباساً فعلياً من الشريعة الإسلامية، ولا يخفى على المختصين الذين يحاولون التنظير بين فحوى النصوص وتاريخ صدور هذه النصوص، ما كان من أثر لهذا الكتاب اللاتيني في نشوء القانون الدولي الأوروبي في العصر الحديث.[٢]

شهادات وإعترافات دولية قانونية:[٣]

وأختم الحديث عن هذا المحور بالإشارة إلى بعض الشهادات القانونية المعاصرة للفقه الإسلامي، ومن ذلك:

١- **ذكر السنهوري**[٤] شهادات مجموعة من علماء القانون الغربي، الفقيه الألماني كوهلر، والإيطالي دلفيشيو، والأمريكي ويجمور، والفرنسي لامبير. الذين شهدوا بمرونة الشريعة

(١) الجنسية في قوانين المغرب العربي الكبير"دراسة مقارنة"، لإبراهيم عبد الباقي، صـ ٨٦١، قسم البحوث والدراسات القانونية والشرعية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية،١٩٧١م. نقلا عن: معلمة الفقه المالكي، لعبد العزيز بنعبد الله، صـ٤٣ .

(٢) الشريعة الإسلامية من الصلاحية إلى الضرورة، (عوامل تأثير الشريعة في القوانين الدولية)، لعبد المجيد المغيلي،مقال،(ج٦)،مقال،قسم فكر ، موقع حكمة يمنية،٧-٩-٢٠٢٣م.

(٣) انظر: معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوربية، لعبد الله ناصح علوان، صـ ١٥٥، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

(٤) سبق ترجمته، (صـ٦٨٦).

وتطورها وأنها إحدى الشرائع الأساسية الثلاث التي سادت ولا زالت تسود العالم، إلى جانب القانون الروماني والقانون الإنجليزي.

٢-جاء في سجل المؤتمرات الدولية، مثل مؤتمر القانون المقارن في لاهاي سنة ١٩٣٨م، مؤتمر المحامين الدولي في لاهاي سنة ١٩٤٨م، وأسبوع الفقه الإسلامي الذي عقد في جامعة باريس سنة ١٩٥١م: اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام، وأنها حية قابلة للتطور، وأن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ومن الأصول الحقوقية هي مناط الإعجاب وبها يستطيع الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق في حاجاتها.

٣-كما أن مؤتمر القانون المقارن المُنعقد بلاهاي قرر أنَّ الفقه الإسلامي فقه مُسْتَقِلٌّ بذاته وليس مُسْتَمَدًّا من أي فقه آخر

٤-كما أن مؤتمرات عربية وإسلامية عديدة أقامتها كليات الحقوق والقانون، أوصت بضرورة الرجوع إلى الشريعة الإسلامية، لصلاحيتها التامة للتطبيق.

٥-وفي عام ١٩٥٨ انتهت محكمة العدل الدولية إلى الإشادة بأحكام الشريعة الإسلامية، والإشارة إلى أنها أحد الأنظمة القانونية الراقية في العالم الحديث.

٦-**يقول المستشرق المجري فمبيري**[(١)]: (فقهكم الإسلامي واسع جدا إلى درجة أني أعجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم).

٧-ويقرر مؤتمر الحقوق الدولي عام ١٩٢٧: (إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد

---

(١) أرمينيوس فمبيري(بالمجرية: Vámbéry Ármin)الميلاد١٩ مارس ١٨٣٢، سفاتي جور، الوفاة ١٥ سبتمبر ١٩١٣ (٨١ سنة)، هو رحالة ومستشرق مجري، عني باللغات التركية. عضو في الأكاديمية المجرية للعلوم، والأكاديمية الصربية للعلوم والفنون،من كتبه: دراسات لغوية عن لغة شغتاي.

انظر :(مدونة أرمينيوس فمبيري) ويكيبيديا – الموسوعة الحرة– الأنترنت.

ما نكون، لو وصلنا على قمته بعد ألفي عام)...طبعا نحن نؤمن أن التشريع من عند الله، ومحمد رسول من الله. – يذكر د/ وهبة الزحيلي أن عددا من القوانين المدنية قامت على مصادر إسلامية بحتة، كالقانون المدني الأردني عام ١٩٧٦م، دون أن يجدوا عناء في ذلك.

ومما يتصل بهذه الشهادات، ما قرره أساتذة القانون والفقه من سبق الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي في النظريات والأحكام القانونية الغرب، ومن ذلك:

٨- **يقول السنهوري**[١]: (وآتي بأمثلة أربعة اضطررت إلى الاقتصار عليها لضيق المقام: يدرك كل مطلع على فقه الغرب أن من أحدث نظرياته في القرن العشرين: نظرية التعسف في استعمال الحق، ونظرية الظروف الطارئة، ونظرية تحمل التبعة، ومسؤولية عديم التمييز. ولكل نظرية من هذه النظريات الأربع أساس في الشريعة الإسلامية لا يحتاج إلا للصياغة والبناء ليقوم على أركان قوية، ويسامت نظريات الفقه الحديث).

كما أن هناك أحكام إسلامية اضطرت قوانين أوروبا للاعتراف بها مؤخرا، كحل لمشاكلهم، ومنها:

١٠- الطلاق: الذي كان آخر من اعترف به الدولة الكاثوليكية (إيطاليا). وكذلك الربا تتعالى أصوات اقتصاديين أوربيين، ومنهم كينز، بالقول: **(لا يصل المجتمع على العدالة الكاملة إلا بالقضاء على سعر الفائدة).**

ومما يتصل بهذا السياق الاجتهادات والقوانين التي قدمها علماء الإسلام المعاصرون، وقدموا حلولا لمشكلات راهنة، انطلاقا من الشريعة الإسلامية. ومنها: حقوق الإنسان، والنزاعات المسلحة، والقانون الدولي، والإرهاب، واستخدام الأسلحة... إلخ.

---

[١] سبق ترجمته، (صـ٦٨٦).

الفصل الرابع

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين في منهجهم تجاه الفقه الإسلامي.

ويقوم على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الفقه الإسلامي جامد.

المبحث الثاني: الفقه الإسلامي لايصلح لمواكبة العصر الحديث.

المبحث الثالث: الفقه الإسلامي متأثر بسياسات الحكام.

المبحث الرابع: فصل الفقه الإسلامي عن الحياة المدنية والدولة

المبحث الخامس: الفقه الإسلامي يتسم بالقسوة

المبحث السادس: أحكام الفقه الإسلامي تُهمل شخصية المجرم وتأثير البيئة فيه

المبحث السابع: أحكام يوم الجمعة محاكاة لعرب الجاهلية

المبحث الثامن: الفقه الإسلامى أهمل الجانب الدنيوى

المبحث الأول

الفقه الإسلامي جامد

إن إتهام أصحاب الفكر الحداثي المعاصر للفقه الإسلامي بالجمود دليل على عدم إدراكهم لطبيعةَ الفقهِ الإسلامي، حيث قالوا إن العقوبات الشرعية قديمة وجامدة: قد عفّى عليها الزمان، وتجاوزتها الحضارة، ولم تعد ملائمة لهذا العصر: عصر التقدم والمدنية، والتحضر التقني والصناعي. فالأخذ بها تقهقر بالإنسانية الراقية، ورجعة بها إلى عهود الظلام الدامس، والقرون الوسطى[1]، فلم يعرفوا حقيقةَ عملِ المجتهدين في الاستنباط الذي لا يتحقَّق إلا بإدراكِ الواقعِ الذي يُراد معرفةُ حكمِ الشريعة فيه، ويُقصدُ تنزيلُ الحكمِ عليه.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

يرفض هاشم صالح[2] أن يُحكَم بالإسلام وفقهه، فقال:" نحن لسنا محكومين بالماضي وقيمه ومعاييره إلى أبد الآبدين، إذا كان الماضي محكوما بفقه القرون الوسطى وتقسيم الناس إلى مؤمنين وكفار بحسب أماكن ولادتهم وغصبا عنهم، فإنا نرفضه".[3]

---

(١) انظر:على طريق العودة إلى الإسلام، لمحمد سعيد رمضان البوطي، (صـ ١٢٢)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٢ م.

(٢) سبق ترجمته، (صـ٣٧٧).

(٣) الإسلام والإنغلاق اللاهوتي، لهاشم صالح،(صـ٤٤)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.

٢- مضمون الشبهة:

- رفض القيود التقليدية على الفكر والمجتمع.
- نقد المرجعيات الدينية القديمة التي تصنف الناس كمؤمنين وكفار بناءً على الميلاد أو المكان.
- التمسك بفكرة الحداثة والليبرالية كأساس لتقويم القيم والمعايير.

٣- هدف الشبهة:

- تبرير إعادة تفسير النصوص الدينية والاجتماعية.
- نقل المجتمع الإسلامي من الالتزام بالتقاليد إلى إعادة صياغة القيم حسب العصر الحديث.
- دعم فكرة الاستقلالية الفردية ورفض السلطة التقليدية.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- مغالطة الحصر: افتراض أن كل الماضي مرتبط بقرون وسطى متخلّفة.
- الإسقاط التاريخي: نقل قيم الحاضر على الماضي أو الحكم عليه بمقاييس العصر الحديث.
- الغموض في المعايير: رفض التصنيفات التقليدية دون تقديم بديل عقلاني أو شرعي محدد.
- إهمال الجانب التوجيهي للشرع: تجاهل أن النصوص الدينية لها أحكام دائمة لا تتغير بتغير العصر.[١]

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين يناقشون تعددية الإسلاميات وإعادة تأويل الدين في العصر الحديث.[٢]

---

[١] انظر: الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر،(صـ٢٦ ومابعدها)،دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي.

[٢] Al-Azmeh, Aziz. Islams and Modernities. London: Verso Books, 1996, 45–60.

الأزمه، عزيز. الإسلامات والحداثات. لندن: فيرسو بوكس، ١٩٩٦، ص ٤٥-٦٠.

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تقديم الإسلام المعاصر كنموذج مرن وقابل لإعادة التشكيل وفق القيم الغربية، مع وصف نموذج مثل مسجد برلين بأنه إسلام المستقبل.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** إرباك المفاهيم التقليدية حول المرجعيات الشرعية، وتمهيد الطريق لظهور الإسلام الليبرالي، وخلق جدل حول التفسير الفردي مقابل الاجتهاد الجماعي التقليدي.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الماضي يمثل خبرة تراكمية للمجتمعات، ورفضه الكلي لا يمكن أن يكون منهجيًا عقلانيًا.
- كل محاولة لتطبيق القيم الحديثة يجب أن تراعي الاستمرارية المنطقية مع القواعد الأساسية للعدل والأخلاق.
- رفض تصنيفات الماضي لا يعني إلغاء المعايير العقائدية بل إعادة فهمها ضمن الإطار الصحيح.[٣]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الدراسات التاريخية تظهر أن تصنيف الناس كمؤمنين وكفار كان مرتبطًا بالسياق السياسي والاجتماعي وليس بالولادة فقط.

---

[١] Al-Azmeh, Aziz. Islams and Modernities. London: Verso Books, 1996, 45–60.

الأزمه، عزيز. الإسلامات والحداثات. لندن: فيرسو بوكس، ١٩٩٦، ص ٤٥-٦٠.

[٢] انظر: الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر،(صـ٢٦ ومابعدها).

[٣] انظر: درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،(٣٤٧/٤)، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية – الرياض، ١٣٩١هـ.

- إزالة هذه التصنيفات بشكل مطلق تتجاهل الضرورات التاريخية والسياسية للأمة.
- التجارب الحديثة للدول الإسلامية التي حاولت تبني نماذج ليبرالية مطلقة غالبًا أدت إلى صراعات اجتماعية وسياسية.[1]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أشاروا إلى نقد تسييس القيم الدينية وفق الليبرالية.[2]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يقرر أن العبادة والنظام لهما تنظيم واضح، فلا يمكن تجاهل الضوابط التقليدية بالكامل:"لِيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِاللِّيَاقَةِ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ".[3]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي

ويتمثل نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن العاقل المنصف لا يزن الأحكام والتشريعات بالزمان الذي صدرت فيه أو نُقلت منه، ولكن الميزان الذي تُقَوّم به هو مدى صلاحيتها، وتحقيقها للغاية المبتغاة منها. وعليه ؛ فليس كل قديم مردوداً، ولا كل جديد مقبولاً، ولا كل ما نشأ في البادية فاسداً، ولا كل ما نشأ في الحضر صالحاً.

---

[1] انظر: درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،(٣٤٧/٤)،

[2] MacIntyre, Alasdair. After Virtue: A Study in Moral Theory. 2nd ed. Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1984, 109

ماكينتاير، ألسدير. بعد الفضيلة: دراسة في النظرية الأخلاقية. الطبعة الثانية. نوتردام، إنديانا: مطبعة جامعة نوتردام، ١٩٨٤م، ص ١٠٩.

[3] كورنثوس الأولى، الإصحاح ١٤ ، الآيه ٤٠

الوجه الثاني: أن مصدر هذا التشريع ليس بقعة من بقاع الأرض، ولا اجتهاداً بشرياً قاصراً، وإنما هو شريعة الله التي أنزلها هدى ورحمة للعالمين: عربهم وعجمهم، باديهم وحاضرهم، أولهم وآخرهم، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [(١)]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [(٢)]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [(٣)]،[(٤)]

الوجه الثالث: أن تعلق هؤلاء بالجديد ونبذهم للقديم؛ ليس مبنياً على منطق عقلي سليم، وإنما هو استجابة لوهم من الأوهام النفسية التي تتعلق بالجديد أياً كان نوعه، ظناً منها بأنه لا يزال يحتفظ بذخره ومكنون خيراته، وتعاف القديم مهما كان نوعه أيضاً لتبرمها به وتوهمها بأن الزمن قد استحلب خيراته، وقضى على فوائده، وأن العقل البشري لا بد أن يكون قد تجاوزه إلى ما هو أجدى وأنفع[(٥)]

الوجه الرابع: أن هذه الشبهة جاءت من قياس العقوبات الشرعية على العقوبات الوضعية التي تتطور مع الزمن، ويحصل فيها التغيير والتبديل بين الحين والحين، تلافياً لما فيها من الأخطاء، وتحقيقاً لما هو أجدى وأكمل.وما دامت القوانين تُلغى أو تُعدل؛ فلم لا نفعل مثل ذلك في العقوبات الشرعية؟ وهذه نظرة خاطئة إلى الشريعة الإسلامية .[(٦)]

---

(١) سورة الأنبياء، الآية، ١٧٠

(٢) سورة سبأ، الآية، ٢٨

(٣) سورة الأعراف، الآية، ١٥٨

(٤) انظر:أثر تطبيق الحدود في المجتمع، مؤتمر الفقه الإسلامي، (صـ ١٧٥). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٦ هـ.

(٥) انظر: على طريق العودة إلى الإسلام، لمحمد سعيد رمضان البوطي، صـ ١١٦.

(٦) المرجع السابق، صـ ٩٥، ١٢٤ – ١٢٦.

الوجه الخامس: أن تحقيق هذه العقوبات الشرعية للأمن، وحمايتها لمصالح الناس، ومكافحتها للجرائم، على مدى القرون الماضية التي طبقت فيها، مع اختلاف البيئات والثقافات والأجناس؛ دليل على أنها تشريع من حكيم خبير، وأنه لا يمكن أن يقوم غيرها مقامها، ولا أن يحقق الثمرة التي تتحقق من خلالها. [١]

قد قرر أهلُ العلم أن أحكامَ الشريعة نوعان: نوعٌ ثابتٌ لا يقبل التغيرَ كالعقائد وأصول العبادات ومقاديرها والكفارات، ونوعٌ يقبل التغيرَ والتطورَ، وهو ما علّقه الشارع بالمصلحةِ أو العُرفِ ونحوها.

يقول ابن القيم[٢]: "الأحكامُ نوعان: نوعٌ لا يتغير عن حالةٍ واحدةٍ هو عليها، لا بحسب الأزمنة، ولا الأمكنة، ولا اجتهادِ الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدَّرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغييرٌ ولا اجتهادٌ يخالف ما وُضع عليه. والنوع الثاني: ما يتغيرُ بحسب اقتضاءِ المصلحة له زمانًا ومكانًا وحالاً، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها. فإن الشارعَ ينوّع فيها بحسب المصلحة.." [٣]

قال د. محمد الزحيلي[٤]: "اتفقت كلمةُ المذاهب على أن الأحكامَ التي تتبدَّل بتبدُّل الزمان وأخلاق الناس هي الأحكامُ الاجتهادية التي بُنيت على القياس ودواعي المصلحة، فإذا أصبحت لا تتلاءم وأوضاع الزمان ومصلحة الناس وجب تغييرُها" [١]

---

[١] انظر: على طريق العودة إلى الإسلام، لمحمد سعيد رمضان البوطي ، صـ ٩٧ – ٩٨.

[٢] سبق ترجمته، (صـ٧٠).

[٣] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (١/٣٣٠-٣٣١)، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

[٤] محمد مصطفى الزحيلي، محل وتاريخ الميلاد: دير عطية – ريف دمشق – سوريا . ١٠/ ٨ / ١٩٤١م . عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة (٢٠٠٠-٢٠٠٦م). وعضو اللجنة الدائمة للفتوى في

وقال الشيخ أحمد الزرقا[٢]: "لا يُنكَر تغير الأحكام بتغير الزمان. أي: بتغيّر عُرفِ أهلِها وعادتِهم، فإذا كان عرفُهم وعادتُهم يستدعيان حُكمًا، ثم تَغَيّرا إلى عُرفٍ وعادةٍ أخرى فإن الحكمَ يتغير إلى ما يوافق ما انتقل إليه عرفُهم وعادتهم" [٣]

إمارة الشارقة. من كتبه: وظيفة الدين في الحياة، وحاجة الناس إليه.والاعتدال في التدين، فكراً وسلوكاً ومنهجاً،و الإسلام في الماضي والحاضر، وتعريف عام بالإسلام،و الإسلام والشباب.**انظر**: الدكتور محمد الزحيلي، موقع جامعة أم القرى.

[١] القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، للدكتور/ محمد مصطفى الزحيلي، (٣٥٥/١)، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

[٢] أحمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد القادر الزرقا الحلبي مولدًا الحنفي مذهبًا (١٢٨٥.١٣٥٧هـ، ١٨٦٨-١٩٣٨م)، فقيه بلاد الشام، علّامة، أصولي متبحر، قاضي مدينة حلب وأمين الفتوى فيها. ثم عُين قاضياً للمدينة، ثم معاوناً لأمانة الإفتاء العام في القسطنطينية. إلا أنه لم يترك لنا من الآثار المكتوبة سوى مؤلفه الوحيد: (شرح القواعد الفقهية).**انظر**: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي (المتوفى: ١٣٧٠هـ)،(٦٢٩/٧)،المحقق: محمد كمال، دار القلم العربي حلب، الطبعة: الطبعة الثانية سنة١٤٠٨ هـ.

[٣] شرح القواعد الفقهية، لأحمد بن الشيخ محمد الزرقا [١٢٨٥هـ - ١٣٥٧هـ]، صـ٢٧٧، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - دمشق / سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

المبحث الثاني

الفقه الإسلامي لايصلح لمواكبة العصر الحديث

لقد إتهم أصحاب الفكر الحداثي المعاصر الفقه الإسلامي بأنه غير مواكبٍ لمتغيرات العصر الحديث، وهل تصلح الشريعة وفقهها التي نزلت من أربعة عشر قرنًا أن تحكم الواقع المعاصر، وقد جد في حياة الناس ما لم يكن قائمًا وقت نزول الشريعة؟ فطبيعة الأحكام السياسية تحتاج إلى التقييدَ والتحديدَ للوسائل والإجراءات بحسب معطيات الواقع، ومقتضيات المرحلة، وهذا على خلاف الواقع المشاهد والمعايش.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

ومن تبنوا هذا الفكر **العشماوي**[١] **فيقول**:" الدية في نظر العشماوي كانت سببا وجيها في بداية عهد المؤمنين أي: الإبقاء على حياة رجل مؤمن إن عفا عنه المعتدى عليه أو ولي دمه فيتكاثر المؤمنون في مواجهة الكفار. وأما في العصر الحالي فإن تطبيقه يؤدي إلى خلل رهيب إذ يستهين

---

[١] محمد سعيد العشماوي (١٩٣٢ – ١١ نوفمبر ٢٠١٣) كاتب ومفكر مصري وقانوني مصري. ولد في القاهرة، وكان رئيس محكمة أمن الدولة العليا. من كتبه:الشريعة الإسلامية والقانون المصري.معالم الإسلام.الخلافة الإسلامية.أصول الشريعة. جوامع الفكر. روح الدين. على منصة القضاء. وفاته في ٢٠١٣م عن عمر ناهز ٨١ عاما في القاهرة.انظر: محمد سعيد العشماوي، موقع رصيف.

من يملك المال بأرواح الناس ونفوسهم مادام يستطيع أن يدفع الدية. ولذلك فالأوفق في نظره هو ما عليه القوانين الوضعية".[(١)]

٢- مضمون الشبهة:

- الانتقاص من حكم الدية الإسلامي التقليدي واعتباره غير صالح للعصر الحديث.
- تقديم القوانين الوضعية الحديثة كبديل أكثر أمانًا وعدالة.
- افتراض أن الدية قد تشجع الأغنياء على انتهاك حياة الآخرين دون عقاب فعلي.

٣- هدف الشبهة:

- ترويج فكرة أن الشريعة القديمة غير مناسبة للعصر الحديث.
- دعم القوانين الوضعية والسياسة الحديثة على حساب الأحكام الشرعية التقليدية.
- توظيف فكر ليبرالي"مدني" في نقد العقوبات والتعويضات الشرعية.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- مغالطة تعميم الوضع الحالي على كل تطبيق الدية، مع تجاهل السياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأت فيه.
- افتراض سوء النية الدائم للأغنياء، وهو تعميم لا دليل عليه.
- إهمال الهدف الأساسي للشرع: حفظ النفس، والمال، والدين، والعقل، والنسل(مقاصد الشريعة).
- تجاهل أثر الدية في ضبط العلاقات الاجتماعية وتحقيق مصالح الجماعة. [٢]

[(١)] جوهر الإسلام، لمحمد سعيد العشماوي، (صـ١٤١)، مكتبة مدبولى الصغير، الطبعة: الرابعة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

[٢] انظر: علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى : ١٣٧٥هـ)،(صـ٩٠)،مكتبة الدعوة - شباب الأزهر عن الطبعة الثامنة لدار القلم.

٥- مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى أحد المفكرين الحداثيين المعاصرين، الذين تأثروا بالأفكار الغربية، والذين يرون أن حكم الدية لم يعد متوافقًا مع متطلبات العصر الحديث.[١]

٦- أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تستخدم كمثال على مرونة أو ضعف تطبيق الشريعة، وتدعم أطروحة أن الإسلام يمكن إعادة تفسيره وفق القيم الغربية الحديثة.[٢]
- **في الوسط الإسلامي:** خلق جدل حول جدوى الدية في العصر الحديث، وفتح باب مقارنة القوانين الوضعية بالشريعة، وتشجيع بعض المفكرين على النظر إلى الشريعة كأداة تاريخية وليست إلزامية مطلقة.[٣]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ - نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الدية أصلها حماية النفس وحق الحياة، وليست فقط تعويضًا ماديًا.
- افتراض أن الغني سيتهاون في القتل غير منطقي، فالنية الفردية ليست قاعدة عامة.[٤]

---

[١] انظر: جوهر الإسلام، لمحمد سعيد العشماوي، (صـ١٤١).

[٢] انظر: جوهر الإسلام، لمحمد سعيد العشماوي، (صـ١٤١).

[٣] انظر: علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى : ١٣٧٥هـ)،(صـ٩٠).

[٤] انظر: شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (المتوفى: ٨٩٩هـ)،(٢/٨٦٨)،أعتنى به: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الدية في صدر الإسلام وسيلة لتثبيت النظام الاجتماعي والسياسي، وتعزيز تكاثر المؤمنين وتعزيز التماسك الاجتماعي.
- الدراسات التاريخية تبين أن الدية كانت منعًا للثأر وإراقة الدماء، وليس مجرد تعويض مالي.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أشاروا إلى أن كانت الدية تاريخيًا مؤسسة اجتماعية لمنع الثأر والحفاظ على النظام العام، وليست مجرد تعويض مالي.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس لا يوجد فيه نص مباشر عن الدية، لكن مبدأ العدل والتعويض عن الضرر موجود:" مَنْ أَتْلَفَ نَفْسَ بَهِيمَةٍ يُعَوِّضُ عَنْهَا".[٣] :" الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لَنْ تَخْرُجَ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأَخِيرَ ".[٤] فيوضح النص أن التعويض المادي مقبول ضمن الضوابط، لكن حماية النفس مقدمة.

---

[١] انظر: شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (المتوفى: ٨٩٩هـ)،(٨٦٨/٢).

[٢] Schacht, Joseph. Introduction to Islamic Law. Oxford: Clarendon Press, 1964, 180–185.

شاخت، جوزيف. مدخل إلى القانون الإسلامي. أكسفورد: كلارندون برس، ١٩٦٤، ص ١٨٠–١٨٥.

[٣] سفر اللاويين، الإصحاح ٢٤ ، الآيه ٢١

[٤] انجيل متى، الإصحاح ٥ ، الآيه ٢٦

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي

جاءت الشريعة الإسلامية لتعيدَ صياغةَ جميعِ جوانب حياةِ الإنسان، ويشمل ذلك حياةَ الفرد والجماعة بما في ذلك الأسرة والمجتمع وصولاً إلى الدولة، فأحكامُ الشريعة شاملةٌ لكل ما يحتاجه الإنسانُ مِن أحكامٍ ونُظُمٍ في جميع حالاته.

قال ابن القيم رحمه الله[(١)]: "فَلِرِسَالَتِهِ عُمُومَانِ مَحْفُوظَانِ لَا يَتَطَرَّقُ إلَيْهِمَا تَخْصِيصٌ: عُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى الْمُرْسَلِ إلَيْهِمْ، وَعُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ مَنْ بُعِثَ إلَيْهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ؛ فَرِسَالَتُهُ كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ عَامَّةٌ، لَا تُحْوِجُ إلَى سِوَاهَا، وَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ إلَّا بِإِثْبَاتِ عُمُومِ رِسَالَتِهِ فِي هَذَا وَهَذَا، فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ الْمُكَلَّفِينَ عَنْ رِسَالَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَقِّ الَّذِي تَحْتَاجُ إلَيْهِ الْأُمَّةُ فِي عُلُومِهَا وَأَعْمَالِهَا عَمَّا جَاءَ بِهِ"[(٢)]

وقد جاء في كل جانبٍ مِن جوانب الحياةِ ما يناسبها مِن النصوصِ والأحكام إجمالاً وتفصيلاً، ثباتًا وتغيرًا بحسب طبيعة تلك الجوانب، فعلى سبيل المثالِ: لما كانت العباداتُ مبناها على التقرب إلى الله بما شرعه، ولا مجال للرأي فيها، فقد جاءت نصوصُها مفصلة في بيان أحكامها، وموسعةً في وصف تفاصيلها وشروطِها وأحوالها، ولما كانت المعاملاتُ من البيع والشراء والإجارة والشركات وغيرها إنما تراد لسدِّ حاجات الناس المختلفة فقد جُعل الأصلَ فيها الإباحةُ، وجاءت النصوصُ بضبطِ تلك المعاملات بما يمنع الغِشَّ والغررَ والرِّبا وسائرَ الوجوه التي تؤدي إلى الظلم والعداوة ووقوع النزاعات بين الناس.

---

(١) سبق ترجمته، (صـ٧٠).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (٤/٢٨٥)،تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

وكذلك الأحكام السلطانية والممارسات السياسية هدفُها في الإسلام تحقيقُ مصالح الناس في دينهم ودنياهم، ودرء المفاسد عنهم، فجاءت الأدلة الشرعية متناسبة مع ذلك، فأرست القواعد والقيم العامة كالعدل والشورى والنصيحة واعتبار سلطة الأمة مِن خلال ممثليها وغير ذلك، ووضعت كثيرًا مِن الأحكام والمحددات التي لا بد مِن التقيدِ بها في الأحكام الدستورية والتشريعية والقضائية والاقتصادية والاجتماعية، ومع ذلك فقد تركت مساحةً واسعةً في تحديد الوسائل والهياكل والترتيبات والإجراءات بما يحققُ المصلحةَ المعتبرة، ولا يخالف القواعد الشرعية، ولا يتجاوز الأدلةَ والأحكامَ، ومِن هنا بين العلماءُ أنه لا يُشترط في السياسة حتى تعتبر شرعيةً أن تأتي منصوصةً في أدلة الكتاب والسنة وكلام العلماء، بل يكفي أن تحققَ المصلحةَ ولا تخالفَ الشريعةَ؛ لأن المقصودَ مِن السياسة الشرعية هو تحقيقُ المصالحِ، ودرءُ المفاسد كما سبق.

ولهذا بيَّن بعضُ أهل العلم ما يُعتبر مِن السياسة الشرعية وأنه "ما كان فِعلاً يكون معه الناس أقربَ إلى الصلاح، وأبعدَ عن الفساد، وإن لم يضعه الرسولُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ولا نزل به وحيٌ"[(١)]

وفي معناه قول الشيخ عبد الوهاب خلاف[(٢)] في تعريف السياسة الشرعية: "تدبيرُ الشؤونِ العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيقَ المصالحِ ودفعَ المضارِّ، مما لا يتعدى حدودَ الشريعة أو أصولَهَا الكلية، وإن لم يتفق وأقوال الأئمةِ المجتهدين"[(١)]

[(١)] الطرق الحكمية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، صـ١٢، مكتبة دار البيان، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .

[(٢)] عبد الوهاب خلاف (١٣٠٥ – ١٣٧٥ هـ = ١٨٨٨ – ١٩٥٦ م) ولد الشيخ في شهر مارس سنة ١٨٨٨ م ببلدة كفر الزيات.التحق بالأزهر الشريف سنة ١٩٠٠م، هو المحدث، الأصولي، الفقيه، الفرضي ، الشيخ عبد الوهاب خلاف، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة فأشرف على وضع معجم القرآن. ، من كتبه:أصول الفقه، وأحكام الأحوال الشخصية.توفي في ١٩٥٦م ودفن بمقابر الغفير.**انظر**: السياسة الشرعية في الشئون الدستورية

وهذا يدل على أن طبيعة الأحكام السياسية تأبى التقييدَ والتحديدَ للوسائل والإجراءات التي لا بد مِن تركها للأمة بحسب معطيات الواقع، ومقتضيات المرحلة، وأن المقصودَ هو ضبطُها مِن حيث المبادئ والغايات، ومِن حيث الحدود العامة والتنبيه على المصالحِ المهمة، وضروبِ الفساد الذي يجب تجنُّبه والبعدُ عنه.

أولاً: صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان من المعلوم بالضرورة من الدين:

هل أوجب الله الحكم بشريعته، وحذَّر منَ العُدُولِ عنها أوِ التحاكم إلى غيرها؟

لقد تولى الله سبحانه الإجابةَ على ذلك﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝٤٩ ﴾ [٢]، هل نُسختْ هذه النصوص التي تُلزِم بهذه الشريعة، وتوجِب الحكمَ بها، وتَنْفِي الإيمان عمَّن خالفها لا شكَّ أن الجواب على ذلك هو النفيُ القاطِعُ؛ فإن النسخ لا يكون إلا في زمن البَّعْثَةِ؛ لأن هذا الحق ليس لأحد من دون الله، ولا سبيل إليه إلا بالوحي المعصوم، وقد أكمل الله لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وأحكم آياته، وتعبَّدَنا بها إلى قيام الساعة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " إِنِّي قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا، أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا، كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ".[٣]

والخارجية والمالية، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ)، صـ ١٥٣، دار القلم، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

[١] السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ)، صـ٢٠.

[٢] سورة المائدة، الآية، ٤٩

[٣] السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، كِتَابُ آدَابِ الْقَاضِي ، بَابُ مَا يَقْضِي بِهِ الْقَاضِي وَيُفْتِي بِهِ الْمُفْتِي ، فَإِنَّهُ غَيْرُجَائِزٍ لَهُ أَنْ يُقَلِّدَ أَحَدًا مِنْ

هل يُعَنِّتُ الله عبادَهُ بتكليفِهم ما لا يُطِيقون؟ أو يُلْزِمُهم بما تضطَرِبُ به أمورهم؛ فيُفْتَنُون؟ أو يتعبَّدُهم بما يحول بينهم وبين التَّمكين في الأرض؛ فيُغْلَبون على أمرهم ويُقهَرون؟ أَيَلِيقُ بالحكيم أن يُلزِم أولياءه بما يَشْقَوْنَ به في دنياهم، ويقعُدُ عنِ الوفاء بمصالحهم، ويَهْوِي بهم إلى أغوارٍ قَصِيَّةٍ منَ التخلُّف والتَّبَعِيَّةِ؟!

ثانيًا: الإشكالية التي يطرحها البعض أنَّ الشريعة جَوْهَرُها الثبات، والإنسان جَوْهَرُهُ التغيُّر، فضلاً عن محدودية النصوص وعدم محدودية الحوادث التي يفترض أن تحكمها هذه النصوص؟

الشريعة جوهرُها الثباتُ والإنسان جوهرُه التغيُّر، يُعَدُّ في الواقع تغافُلاً عن حقيقة الشريعة وحقيقة الإنسان؛ فلا الشريعة ثابتة في كل أحوالها، ولا الإنسان متغيِّر في كل شؤونه، فالشريعة منها ما هو ثابت محكَم، وهو القطعيات ومواضِعُ الإجماع، ومنها ما هو متغيِّر نِسْبِيٌّ، وهو الظنيَّات وموارد الاجتهاد؛ بل إن منها منطقة العفو التي أحالت فيها إلى التجربة والمصلحة، في إطار من قواعد الشرع الكلية ومقاصده العامة.

مثال (١): أجملَت الشريعة القول في كثير من المعاملات التي تتجدد فيها الحاجات، وتكثر فيها المتغيرات، واكتفت فيها بإيراد المبادئ العامة والأُطُر الكليَّة، تاركةً للخبرة البشرية أن تتصرف في حدود هذه الأُطُر بما يحقق المصلحة ويدفع الحاجة، ولهذا جعلت الأصل في العقود والشروط هو الإباحةَ إلا أن يأتي نصٌّ بالتحريم، في الوقت الذي قررتْ فيه أن العباداتِ توقيفيَّةٌ، وجعلتِ الأصل فيها هو المنعَ، حتَّى يأتيَ دليلٌ يدل على المشروعية.

أَهْلِ دَهْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَحْكُمَ أَوْ يُفْتِيَ بِالِاسْتِحْسَانِ ، (١٠/١٩٥برقم٢٠٣٣٧)،المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

مثال (٢): أمرت الشريعة مَثَلاً بالشُّورَى وأكَّدت عليها، ولكنَّها أحالت في أساليبها إلى الخبرة والتجربة، لأن هذه الأساليب مِمَّا يتجدَّدُ بتجدد الزمان وتطوُّر الحاجات. [١]

وأخيرًا: أما ما يذكر من تغيُّر الإنسان، فإن ذلك ليس على إطلاقه؛ لأن من شؤون الإنسان ما هو ثابت، ومنها ما هو متغيِّر متجدِّدٌ؛ فالغرائز الفطرية والحاجات الأساسية للإنسان ثابتة مُحْكَمَة، وسيَظَلُّ الإنسان ما بَقِيَ الليلُ والنهار، ومهما تغيَّر الزمان والمكان في حاجة إلى عقيدة يعرف بها سِرَّ وجودِهِ واتصاله بخالقه، وإلى عبادات تُزَكِّي رُوحَه وتُطَهِّرُ قلبه، وإلى أخلاق تُقَوِّم سُلوكه وتُهَذِّبُ نفسَه، وإلى شرائعَ تُقِيمُ مَوَازِينَ القِسط بينه وبين غيره؛ فالَّذي يتغيَّر من الإنسان هو العَرَض لا الجوهر، الصورة لا الحقيقة.

ولقد تعاملتْ نصوص الشريعة مع الإنسان على هذا الأساس؛ ففَصَّلَتْ له القول في الثابت الذي لا يتغير من حياته، وسكتتْ أو أجملتْ فيما من شأنه التغيُّر والتجدُّد، صُنْع الله الذي أَتْقَنَ كلَّ شيءٍ، ألا يَعلم مَن خَلَقَ وهو اللطيف الخبير!؟

والعجيب أن تُتهم الشريعة بالجمود وعدم الصلاحية من قِبَل فريق من جِلْدَتِنا ويتكلمون بأَلْسِنَتِنا، في الوقت الذي نرى فيه من فلاسفة الغرب وأصحاب الرأي فيه مَن يُشيد بهذه الشريعة، ويشهد لها بالخلود والحيوية والتفوق!.

ففي أسبوع الفقه الإسلامي الذي عقد بباريس، وقدمت فيه بعض البحوث الفقهية لم يلبث أحد الحضور وكان نقيبًا للمحامين أن أعلن دَهْشَتَهُ وعجَبَهُ قائلاً: "أنا لا أعرف كيف أُوَفِّق بين ما كان يُحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي، وعدم صلاحيته أساسًا تشريعيًّا يَفِي بحاجات المجتمع العصري المتطوِّر، وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ومناقشاتها، مما يثبت خلاف ذلك تمامًا

---

[١] مشاكلنا في ضوء الإسلام، للدكتور/ عبدالمنعم النمر، صـ٣٧، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٨٧م.

ببراهين النصوص والمبادئ!".[(١)] ولقد تفرَّدَتْ هذه الشريعةُ بعِلم أصول الفقه الذي دَوَّنَ قواعِدَهُ الشافعيُّ -رحمه الله- وأنضجه الأئمةُ من بعده، وهو عِلم يضبط عملية استنباط الأحكام منَ الأدلة، ويحول بين الأُمَّة وبين الجمود من ناحية، كما يحول بينها وبين التحلُّل وخلع الرِّبْقَة من ناحية أخرى.ومن القواعد المقرَّرَة في هذا العلم، والتي تمثل عوامل السَّعَةِ والمرونة في هذه الشريعة، وتَكْفُلُ وفاءها بمختلِف الحاجات المتجدِّدَة – ما ذكره أهل العلم من:

•**أدِلَّة التشريع فيما لا نصَّ فيه؛ كالاستحسان، والاستصحاب والعُرف ونحوِه.**

ورعاية الضَّرورات والأعذار والظروف الاستثنائية، وتَغَيُّر الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف إلى غير ذلك من قواعد الرُّشْد والحَيَوِيَّة في هذه الشريعة الخالدة، على أن يتِمَّ ذلك في إطارٍ مُنْضَبِط منَ الاجتهاد الشرعيِّ المُعْتَبَر، وليس بإطلاق العِنان للأهواء، والاسترسال مع دعوات التغريب تحت شِعار التقدُّم والتجديد والاستِنارة؛ حتَّى لا يُستباح حَرَمُ الشريعة أمام كل دَعِيٍّ جَهول. **يقول العلامة الشهرستاني**[(٢)]: "وبالجملة نعلم قطعًا ويقينًا، أن الحوادث والوقائع مما لا يقبل الحصر والعد، ونعلم قطعًا أيضا، أن لم يرد في كل حادثة نص، ولا يتصور ذلك. والنصوص إذا كانت متناهية، والوقائع غير متناهية، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى، علمنا قطعًا أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد، ثم لا يجوز أن يكون الاجتهاد مرسلاً، خارجًا عن ضبط الشارع، فإن القياس المرسل شرع، وإثبات حكم من غير مستند وضع آخر، والشارع هو الواضع للأحكام".[(٣)]

---

(١) مشاكلنا في ضوء الإسلام، للدكتور/ عبدالمنعم النمر، صـ٣٧ ومابعدها.

(٢) سبق ترجمته، (صـ٤٥١).

(٣) الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، (١/١٩٧)،تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت، ١٤٠٤هـ.

المبحث الثالث

الفقه الإسلامي متأثر بسياسات الحكام

اتهم أصحاب الفكر الحداثي المعاصر الفقه الإسلامي بأنه متغير في أحكامه وقرارته حسب أهواء الحكام والسلاطين، غيروا آبهين لإجماع علماء الأمة الإسلامية على مر العصور والأزمان، فالعلماء مُجمِعون إجماعًا قطعيًا على أنه لا يجوز أن يُغيَّر شيءٌ مِن أحكام الشريعة مِن أجل أي أحدٍ مِن الناس، ولو كان حاكمًا، ولهذا كثُرت حوادثُ إنكارهم على السلاطين ومخالفتِهم لهم فيما يخالفون فيه شرعَ الله تعالى، وفي بيان الحق، والصدعِ به في وجوههم.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١- نص الشبهة:

يقول **أركون**[(١)]:" دور الفقهاء والعلماء هو تبرير السلطات الموجودة من أجل الحفاظ على امتيازاتهم."[(٢)] **وذكر عبد المجيد الشرفي**[(٣)]:" أن الفقهاء إنما كانوا يدافعون عن مصالحهم".[(١)]

---

(١) سبق ترجمته، (صـ٣٧٧).

(٢) تاريخية الفكر العربي، لمحمد أركون، (صـ٢٩٢)، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م.

(٣) عبد المجيد الشرفي، ولد في ٢٣ يناير ١٩٤٢ في صفاقس، هو جامعي تونسي متخصص في الفكر والحضارة الإسلامية. مدير مجموعة معالم الحداثة لدار الجنوب للنشر، انتخب في ١٥ ديسمبر ٢٠١٥ كرئيس للمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون.يبحث من خلال أعماله ودراسته على خلق المصالحة بين المسلم المعاصر والحداثة. من كتبه: الإسلام والحداثة،المسلم في التاريخ، الثورة والحداثة والإسلام،مرجعيات الإسلام السياسي. انظر:مقال:" عبد المجيد الشرفي، القرآن وتحديث الإسلام"، لطارق محمد حجى، موقع تفسير للدراسات القرآنية.

واتـهم أركون[٢]:" النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه يعامل مخالفيه معاملة قاسية جدا وسلبية تماما [٣]، وأن الهدف من صراع النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الكفار هو السيطرة على السلطة الكاملة".[٤]

٢- مضمون الشبهة:

- نزع الشرعية الأخلاقية والعلمية عن المؤسسة الفقهية.
- تفسير الفقه والتشريع الإسلامي تفسيرًا سياسيًا نفعيًا.
- إعادة قراءة السيرة النبوية قراءة صراعية سلطوية لا رسالية.
- اختزال الدين في كونه أداة سلطة.

٣- هدف الشبهة:

- إسقاط مرجعية الفقهاء التاريخية والمعاصرة.
- تبرير الدعوة إلى علمنة الشريعة وفصلها عن المجال العام.
- تفريغ النبوة من بُعدها الوحيي وتحويلها إلى ظاهرة سياسية.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- التعميم المغالِط: تعميم سلوك بعض الفقهاء على جميعهم.
- المصادرة على المطلوب: افتراض أن كل علاقة بين الفقه والسلطة علاقة تبرير.
- الاختزال التاريخي: تجاهل مواقف الصدام بين العلماء والسلطة.
- القراءة الانتقائية للنصوص والسيرة. [١]

---

(١) الإسلام بين الرسالة والتاريخ، لعبدالمجيد الشرفي، (صـ١٥١)، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) سبق ترجمته، (صـ٣٧٧).

(٣) التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، لمحمد أركون، (صـ٧٥)، ترجمة وتعليق:هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٤) المرجع السابق،(صـ٧٥)،

٥- **مصادر الشبهة:**

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين يقولون بأن الفقه الإسلامي لم يتطوّر انطلاقًا من المبادئ الدينية وحدها، بل تأثّر بعمق بالصراعات السياسية والاجتماعية والمذهبية داخل المجتمع الإسلامي المبكر.[٢]

٦- **أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:**

- **في الوسط الاستشراقي:** تعزيز أطروحة: تاريخية الفقه، تسييس النبوة، دعم نظريات الدين والسلطة.[٣]
- **في الوسط الإسلامي:** التشكيك في نزاهة العلماء، تنامي الخطاب العدائي ضد التراث الفقهي، تبرير الإسلام الليبرالي والتأويل الفردي.[٤]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ - **نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:**

- لو كان الفقهاء مجرد أدوات سلطة:كيف نُفَسِّر سَجْن: الإمام أحمد والعز بن عبد السلام؟ وغيرهم كثير.
- وجود علماء السلطة لا ينفي وجود علماء الحق.[٥]

---

[١] انظر: تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠/ ١٩٤٠، لأحمد أنور سيد أحمد الجندي (المتوفى: ١٤٢٢ هـ)، (صـ١٧١)، دار الاعتصام.

[٢] انظر: دراسات إسلامية، لإجناس جولدزيهر ، (٢/ ١٩-٤٥)، ترجمة: عبد الحليم النجار وآخرين، جورج ألين وأونوين، لندن، ١٩٦٧م.

[٣] انظر: دراسات إسلامية، لإجناس جولدزيهر ، (٢/ ١٩-٤٥).

[٤] انظر: علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى : ١٣٧٥هـ)،(صـ٩٠).

[٥] انظر: صناعة الفتوى وفقه الأقليات، لعبد الله بن بيّه،(صـ ٤٠-٥٥)، دار التجديد.

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- التاريخ الإسلامي مليء بصدامات العلماء مع الحكام: كفتوى العز بن عبد السلام ببيع الأمراء.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يقرون باستقلال البنية الفقهية عن السلطة السياسية المباشرة.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يؤكد أن التوظيف السياسي للدين يُعَدّ انحرافًا لا أصلاً. فكيف يُجعل هذا الانحراف معيارًا للحكم على الإسلام؟:" لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ".[٣]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي

يقوم التصورُ الإسلامي للدولة على أن كل فردٍ فيها سواءٌ كان حاكمًا أو محكومًا هو عضو في بناء الأمة وله حقوق، وعليه واجباتٌ بحسب ما يتحمل مِن مسؤوليات، فلا يجوز أن يَتجاوز في أخذِ ما ليس له مِن الحق لكونه حاكمًا، كما لا يجوز أن يُبخسَ مِن حقوقِه لكونه محكومًا. فالحاكمُ كغيره في كونه عبدًا لله تعالى، خاضعًا لشرعه، ملزَمًا بأحكامِه، فإذا أمر بما يخالف شرعَ الله لم

---

[١] انظر: صناعة الفتوى وفقه الأقليات، لعبد الله بن بيّه،(صـ ٤٠-٥٥).

[٢] Hallaq, Wael B. The Impossible State: Islam, Politics, and Modernity's Moral Predicament. Cambridge: Cambridge University Press, 2013, pp. 38–45.

هلاق، وائل بن علي. الدولة المستحيلة: الإسلام، السياسة، والمأزق الأخلاقي للحداثة. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ٢٠١٣، ص ٣٨-٤٥.

[٣] انجيل متى، الإصحاح ٦ ، الآيه ٢٤

يجز لأحدٍ أن يطيعَه في ذلك، ولا أن يساعدَه في تحقيقِ المعصية. وقد ثبت عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال «لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ» [١]

ومع اختلاف العلماء في تقدير الأصلح والأوفق للقواعد الشرعية مِن الدخولِ على السلاطين ومخالطتِهم ونُصحِهم أو اعتزالِهم والبعدِ عنهم إلا أنهم مجمعون إجماعًا قطعيًا على أنه لا يجوز أن يُغيَّر شيءٌ مِن أحكام الشريعة مِن أجل أحدٍ مِن الناس كائنًا مَن كان، ولو كان حاكمًا، ولهذا كثرت حوادثُ إنكارهم على السلاطين ومخالفتِهم لهم فيما يخالفون فيه شرعَ الله تعالى، وقد نقلت كتبُ التاريخِ مواقفَ كثيرةً للعلماء والأئمة في بيان الحق، والصدعِ به.

ومِن ذلك أن الخليفةَ الأموي يزيد بن عبد الملك ولَّى على العراق وخراسان عمرَو بنَ هبيرة الفَزاري، فاستدعى ابنُ هبيرة الحسنَ البصري ومعه غيرُه ليستشيرَهم، وذكر لهم أنّ يزيدَ يكتب إليه بالأمرِ فيَعمل على تنفيذه، وسألهم عن رأيهم، فقال له بعض الحاضرين قولاً لينًا، فسأل ابنُ هبيرة الحسنَ البصري عن رأيه، فقال: "يا ابنَ هبيرة خفِ اللهَ في يزيد، ولا تخف يزيدَ في الله؛ فإن اللهَ يمنعُك مِن يزيد، ولا يمنعُك يزيدُ مِن الله، ويوشك أن يَبعث الله إليك ملَكًا فيُزيلُك عن سريرِك، ويُخرجُك مِن سعةِ قصرِك إلى مضيقِ قبرِك، ثم لا ينجيك إلا عملُك! يا ابنَ هبيرة، إياك أن تعصيَ الله...، فإنَّه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق"[٢]

وحوادثُ سَجنِ العلماء وامتحانِهم والتضييقِ عليهم معروفةٌ مشهورةٌ، ولم يحملهم ذلك على تغييرِ الدين، أو الخضوعِ لأهواء الملوك والحكام، ومِن ذلك محنةُ الإمام أحمد المشهورة في فتنة القول

---

[١] صحيح البخاري، كِتَابُ أَخْبَارِ الآحَادِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الأَذَانِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَالفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ، (٩/٨٨برقم٧٢٥٧).

[٢] مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ)، (١/١٨٢)،وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

بخلق القرآن، بل إن الإمامَ مالكًا لم يقبل الذهاب إلى مجلسِ الرشيد ليحدثه بكتابه الموطأ، بل طلب منه أن يأتي بنفسِه إلى مجلسِ العلم؛ ليسمع الحديثَ مع الناس؛ حفاظًا على هيبة العلمِ ومكانته.

المبحث الرابع

فصل الفقه الإسلامي عن الحياة المدنية والدولة

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

من دعاوى أصحاب الفكر الحداثي المعاصر لماذا نريدُ إدخالَ الفقه في أمورِ الدنيا، وفي الحديثِ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[١]، ثم أليس الإنسانُ أعلَمَ بما يُصلِحُهُ بناءً على تجارِبِهِ الخاصَّة؟ فلماذا يجبُ أن تصيرَ الشريعة وفقهها معيارَ الصوابِ والخطأِ في كلِّ تفاصيلِ الحياة؟ فلابد من إقامة الأحكام على أساس وضعي عقلي مستمد من أصول تشريعية رومانية وفرنسية **وانكلوسكسونية**[٢] باعتبارها أرقى ما توصل إليه الفكر القانوني العالمي. **ولذا قال نصر أبو**

---

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، (١٨٣٦/٤برقم٢٣٦٣).

(٢) الأنجلوسكسونيون (بالإنجليزية: **Anglo-Saxons**) سمى هذه اللغة بالإنجليزية القديمة بشكل أكثر شيوعًا.و هم مجموعة ثقافية سكنت إنجلترا منذ القرن الخامس. وكانوا يتألفون من القبائل الجرمانية التي هاجرت إلى جزيرة بريطانيا. أسس الأنجلوسكسون مملكة إنجلترا، وتدين اللغة الإنجليزية الحديثة للغتهم بما يقرب من نصف كلماتها، خلال هذه الفترة، انتشرت المسيحية وبدأ ازدهار الأدب واللغة. ووضعت المواثيق والقوانين. **انظر:**

Higham, Nicholas J., and Martin J. Ryan. The Anglo-Saxon World. Yale University Press, 2013. p. 7

العالم الأنجلو ساكسوني، لهايغام، نيكولاس جيه، ومارتن جيه رايان، صـ ٧ مطبعة جامعة ييل، ٢٠١٣.

زيد[١]:" الدنيا التي كرر الرسول في أكثر من مناسبة أننا أدرى بشؤونها ".[٢] **وأكد عبد المجيد الشرفي** [٣]:"أن علم الحديث فيه تعارض وتناقض ومجانبة للمعقول ومخالفة للتعاليم القرآنية، وهو ركيك التعبير، و غير جدير بالثقة إلا بضروب من التأويل المتعسف [٤]، وشكك في صحة كل

Richard M. Hogg, ed. The Cambridge History of the English Language: Vol 1: the Beginnings to 1066 (1992)

محرر، تاريخ كامبريدج للغة الإنجليزية، لريتشارد م. هوج، المجلد الأول: البدايات حتى عام ١٠٦٦، (١٩٩٢)

Higham, Nicholas J., and Martin J. Ryan. The Anglo-Saxon World. Yale University Press, 2013. pp. 7–19

العالم الأنجلو ساكسوني، لهايغام، نيكولاس جيه، ومارتن جيه رايان، صـ ٧ –١٩، مطبعة جامعة ييل، ٢٠١٣.

Hamerow, Helena. Rural Settlements and Society in Anglo-Saxon England. Oxford University Press, 2012. p166

المستوطنات الريفية والمجتمع في إنجلترا الأنجلوساكسونية، لهاميرو، هيلينا، (صـ١٦٦)، مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠١٢م.

[١] نصر حامد أبو زيد(١٠ يوليو ١٩٤٣ – ٥ يوليو ٢٠١٠) باحث متخصص في الدراسات الإسلامية وفقه اللغة العربية والعلوم الإنسانية.أثارت كتاباته ضجة إعلامية في منتصف التسعينيات من القرن الماضي واتُّهم بالردة والإلحاد. وحكمت محكمة مصرية بالتفريق بينه وبين زوجته قسراً، على أساس «أنه لا يجوز للمرأة المسلمة الزواج من غير المسلم».من كتبه: دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة،التفكير في زمن التكفير.انظر: ذكرى رحيل نصر حامد أبو زيد.. لمحة من حياة المفكر التنويري الحالم بمستقبل أفضل،لمحمود عماد، موقع بوابة الشروق، ٢٠٢٤/٧/٢٥م.

[٢] الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، لنصر حامد أبوزيد، (صـ٧٩)، مكتبة مدبولى للنشر، القاهرى، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م.والإسلام بين الرسالة والتاريخ، لعبدالمجيد الشرفي، (صـ١٨٠)، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

[٣] سبق ترجمته، (صـ٧١١).

[٤] الإسلام بين الرسالة والتاريخ، لعبدالمجيد الشرفي، (صـ١٨٠)، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

الروايات المنسوبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – بما فيها البخاري ومسلم [(١)]، وأن التواتر لا قيمة له في إثبات صحة خبر ما".[(٢)] **واتهم سيد القمنى**[(٣)]: " المسلمين اختلقوا أحاديث مكذوبة ونسبوها للنبي – صلى الله عليه وسلم –، بل وحازت تلك الأحاديث قدسية في المذهب السني ترفعها فوق القرآن كرامة وفعلا وقدسية".[(٤)]

٢-مضمون الشبهة:

- تقوم الشبهة على الأفكار الآتية:
- حصر الدين في المجال التعبدي والأخلاقي فقط.
- إخراج التشريع الإسلامي من تنظيم شؤون الحياة العامة (السياسة، الاقتصاد، القانون).
- الطعن في حجية السنة النبوية، بل والتشكيك في صحيح البخاري ومسلم.
- اعتبار القوانين الوضعية الغربية (الرومانية – الفرنسية – الأنجلوسكسونية) أرقى من الشريعة الإسلامية.
- الاستدلال بحديث "أنتم أعلم بأمر دنياكم" [(٥)] لإلغاء مرجعية الشريعةالشرعية الأخلاقية والعلمية عن المؤسسة الفقهية.

٣-هدف الشبهة:

- إقصاء الشريعة الإسلامية عن المجال العام.
- علمنة التشريع والقانون في المجتمعات الإسلامية.
- نزع القداسة عن السنة النبوية تمهيدًا لإسقاط الأحكام الشرعية.

---

(١) الإسلام بين الرسالة والتاريخ، لعبدالمجيد الشرفي، (صـ١١١-١١٢-١١٣-١١٤-١٥٩).

(٢) المرجع السابق، (صـ١٦٠).

(٣) سبق ترجمته، (صـ٤١٤).

(٤) انتكاسة المسلمين، لسيد القمني،(صـ١٥-١٦)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة: الأولى،٢٠١٠م.

(٥) صحيح مسلم، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، (٤/١٨٣٦برقم٢٣٦٣).

- تذويب الهوية التشريعية الإسلامية في النموذج الغربي.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين الوسائل الدنيوية المتغيرة والمقاصد والقيم التشريعية الثابتة.
- اقتطاع الحديث من سياقه التاريخي واللغوي.
- التناقض الداخلي: إنكار مرجعية الدين مع تبني مرجعية بشرية غربية بوصفها أنها أرقى.
- الادعاء بأن العقل الإنساني مكتفٍ ذاتيًا مع الاعتراف بفشل التجارب الوضعية. [١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين يقولون السنة النبوية نتاج تطور تاريخي لاحق. والأحاديث عكست الصراعات السياسية والفقهية. ولا يُوثق بمنهج المحدثين و التواتر لا يفيد اليقين.[٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استُخدمت لتدعيم أطروحات الفصل بين الدين والدولة.[٣]

---

[١] انظر: انظر: المستصفى في علم الأصول، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(١/٣٣٥)،المحقق: محمد بن سليمان الأشقر،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .وانظر: الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، لعابد بن محمد السفياني،(صـ٤٧٥)، مكتبة المنارة، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

[٢] Goldziher, Ignaz, Muhammedanische Studien, vol. 1, pp. 1–60; see also .Introduction to Islamic Theology and Law, pp. 44–70

جولدزيهر، إجناتس، الدراسات الإسلامية، ج ١، ص ١-٦٠،والعقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٤٤-٧٠

[٣] Goldziher, Ignaz, Muhammedanische Studien, vol. 1, pp. 1–60; see also Introduction to Islamic Theology and Law, pp. 44–70.

جولدزيهر، إجناتس، الدراسات الإسلامية، ج ١، ص ١-٦٠،والعقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٤٤-٧٠

- **في الوسط الإسلامي:** تشكيك العامة في السنة، ونشوء تيارات قرآنية تنكر الحديث، وإضعاف الثقة بالتراث الفقه.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- حديث(أنتم أعلم بأمر دنياكم)ورد في قضية تلقيح النخل، أي في الخبرة الزراعية لا في التشريع.
- العقل لا يستقل بتحديد القيم المطلقة (العدل، الحق، الظلم) دون مرجعية عليا.
- القوانين الوضعية نفسها متغيرة ومتناقضة، مما ينقض دعوى كمالها.[2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الشريعة الإسلامية أنتجت حضارة قانونية استمرت قرونًا.
- القوانين الغربية الحديثة لم تستقر إلا بعد حروب دموية وتجارب فاشلة.
- الشريعة سبقت القوانين الوضعية في العدالة الاجتماعية، وحقوق المرأة.[3]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين يقرون أن شريعة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من أسمى ما عرفه التاريخ من تشريعات.[4]

---

[1] انظر: المستصفى في علم الأصول، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(٣٣٥/١). وانظر: الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، لعابد بن محمد السفياني،(صـ٤٧٥).

[2] انظر: الإرهاب في ميزان الشريعة، للدكتور عادل بن عبد الله العبد الجبار،(صـ٣١١)،الرياض، ١٣٩٢ هـ .

[3] انظر: الإرهاب في ميزان الشريعة، للدكتور عادل بن عبد الله العبد الجبار،(صـ٣١١).

[4] Le Bon, Gustave. La Civilisation des Arabes. Paris: Ernest Flammarion, 1884, p. 488.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس نفسه يربط الدين بالتشريع:" وَهَا أَنَا قَدْ عَلَّمْتُكُمْ فَرَائِضَ وَأَحْكَامًا...".[١]فشريعة موسي عليه السلام نظمت السياسة والقضاء والاقتصاد، فالفصل بين الدين والتشريع ليس أصلًا كتابيًا.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي

ويتمثل الرد في هذا المبحث من خلال عنصرين رئيسين:

أولاً: فصل الفقه الإسلامي عن الحياة المدنية

هذه الشبهةُ متعلِّقةٌ بحديثِ تأبيرِ النخل، ومَن تتبَّع الرواياتِ، عَلِمَ أنه لا حجَّةَ فيها على تركِ العملِ بالشريعة: عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ:«لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ:«مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ:«أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».[(٢)]

ولنوضِّحْ معنى الحديث :فالتأبيرُ هو التلقيحُ، وهو جعلُ شيءٍ مِن طَلْعِ الذَّكَرِ في الأُنْثى؛ لتحصيلِ ثمرتِها وبَلَحِها، وهو بمنزلةِ النُّطْفةِ للحمل، جرَتِ العادةُ لحكمةٍ إلهيَّةٍ؛ أنها لا تُثمِرُ بدونه، وكان صلي الله عليه وسلم مَرَّ بهم وهم يَفعَلون ذلك، فسأَلَهم عنه، فأخبَروهُ، فوقَعَ في ظنِّه احتمالُ أنهم لو ترَكوهُ، فقد يصلُحُ أيضًا، فأخبَرَهم بظنِّه ذلك، وأنه ظنٌّ، فترَكوهُ موافقةً لظنِّه صلي الله عليه

لوبون، جوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٤م، ص ٤٨٨.

[١]سفر التثنية، الإصحاح ٤ ، الآيه ٥

[(٢)] صحيح مسلم، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، (٤/١٨٣٦برقم٢٣٦٣).

وسلم، فلم تُثمِرْ نخلُهم في ذلك العامِ، فلما أخبَروهُ بذلك، قال لهم:"**إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا؛ فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ**".[١]

إن حقيقةَ هذه الشبهةِ: تقومُ على فهمٍ فاسدٍ لنصٍّ صحيحٍ ثابتٍ عن النبيِّ صلي الله عليه وسلم، ثم ترتيبِ دعوى مناقَضةٍ للدِّين، وهي مَبدَأُ « الحداثيين » على هذا الفهم.

والجوابُ عنها يحتاجُ إلى بيانِ المعنى الصحيحِ لهذا الحديث، وكذلك بيانِ الأوجُهِ الدالَّةِ في نصوصِ الوحيِ على مناقَضةِ مَبدَأِ « الحداثيين» على جهةِ الاختصار:

أوَّلًا: الجوابُ عن استدلالِهم بالحديثِ مِن وجوه:

١- حديثُ:"**أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ**"[٢]، جاء ما يفسِّرُهُ مِن رواياتِ القصَّةِ نفسِها:

فهو لم يُخبِرْ بأمرٍ حاسمٍ، بل قال بالظنِّ؛ حيثُ جاء في الحديثِ كما سبَقَ: قَالَ صلي الله عليه وسلم: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:«مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا» قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِذَلِكَ فَقَالَ:«إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».[٣]

فهو قد صرَّح بعبارةٍ واضحةٍ: «أنه ظَنَّ»، وهو الصادقُ المصدوقُ صلي الله عليه وسلم؛ فهو قد ظَنَّ ذلك. فإذا جاء في موضعٍ، وأخبَرَ خبرًا جازمًا، أو أمَرَ أمرًا لازمًا، فهو الصادقُ المصدوقُ

---

[١] صحيح مسلم، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، (١٨٣٥/٤برقم٢٣٦١).

[٢] المرجع السابق، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، (١٨٣٦/٤برقم٢٣٦٣).

[٣]المرجع السابق ، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، (١٨٣٥/٤برقم٢٣٦١).

أيضًا؛ فلا يجوزُ معارَضتُهُ أو تخطئتُهُ فيه. وكونُهم أعلمَ عمومًا بأمورِ دنياهم، لا يَلزَمُ مِن أنه سيقولُ شيئًا بغيرِ علمٍ؛ فهذا أمرٌ يُذَمُّ به الإنسانُ؛ فكيف يقَعُ ممَّن هو كاملُ النبوَّة؟!

بل هو أعلمُ منهم بما أخبَرَ به مِن أمورِ الدِّينِ والدنيا؛ لأنه محفوظٌ مِن الله، ومؤيَّدٌ بالوحي، وهم – في الجملةِ– أعلمُ بجملةِ أمورِ الدنيا مما لم يُخبِرْ به، ولا تعارُضَ بين الأمرَيْنِ أصلًا؛ لافتراقِ الأمرَيْن.[١]

وعليه: لا يَصِحُّ الاستدلالُ بها على تركِ العملِ بالشريعةِ وفقهها في أيِّ أمرٍ مِن أمرِ الدِّينِ أو الدنيا؛ في مجالاتِ الحُكمِ والتدبيرِ والسياسةِ، أو غيرِها.

٢-الحديثُ واردٌ في خيارٍ لأمرٍ دنيويٍّ محضٍ، لا يؤثِّرُ في أمرٍ دينيٍّ، وهو تأبيرُ النخلِ؛ فيُحمَلُ على هذا المعنى:

فالاستدلالُ بهذا الحديثِ لا يلائِمُ دعوى أن الدِّينَ لا يتدخَّلُ في الشؤونِ السياسيَّةِ التي لها آثارُها في الأمورِ الدنيويَّة، أو أن النبيَّ صلي الله عليه وسلم لم يُبعَثْ حاكمًا في أمورِ الدنيا؛ لأن الحديثَ لم يكن مما يتعلَّقُ بالأحكامِ العامَّة.

فعدمُ معرفتِهِ صلي الله عليه وسلم بأمرٍ مِن هذه الأمورِ: غايةُ ما يدُلُّ عليه – عند أهلِ العلمِ– أنه لا يُشترَطُ في حقِّ الأنبياءِ العِصْمةُ عن الخطأِ في الأمورِ الدنيويَّةِ، التي لا تعلُّقَ لها بالأحكامِ الدينيَّةِ والأحوالِ الأُخرويَّة؛ لتعلُّق هِمَمِهُ العُلْيا بعلومِ الآخرة، أما غيرُهم، فيَعلَمون ظاهرًا مِن الحياةِ الدنيا.فالحديثُ دليلٌ على كمالِ مقامِ النبوَّةِ بإزاءِ مقامِ غيرِ الأنبياءِ مِن أهلِ الدنيا.

---

[١] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبى الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، كتاب الإيمان، باب الاعتصام بالكتاب والسنة {الفصل الأول}، (١/٢٤٤برقم١٤٨)،إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.بتصرف.

ثانيًا: بيانُ الأوجُهِ الدالَّةِ في نصوصِ الوحيِ على مناقَضةِ مَبدَأِ "الحداثيين" فقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسيرةِ والأحاديثِ الصحيحةِ، تتعلَّقُ بمجالاتِ الحياةِ المختلِفةِ التي يدَّعي أصحابُ الشبهةِ انفصالَ الدِّينِ عنها؛ وهي تدُلُّ على مناقَضةِ مَبدَأِ "الحداثيين" :

١- فالناظر في الكتابِ العزيزِ، يجدُهُ زاخرًا بما يدُلُّ على أن إرشادَهُ صلي الله عليه وسلم لا يقتصِرُ على العقائدِ والعباداتِ، بل يعُمُّ أمورَ الدنيا:

-فيجدُ فيه نصوصًا في بيانِ ما يَحِلُّ أكلُهُ أو شُربُه، وما لا يَحِلُّ فيه ذلك؛ قال تعالى:

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [(١)] وقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.[(٢)]ويجدُ نصوصًا في بيانِ مَن يَحِلُّ نكاحُهنَّ، ومَن لا يَحِلُّ، ونصوصًا تحرِّمُ مباشَرةَ الزوجةِ في بعضِ الأحوالِ؛ كما قال تعالى﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[(٣)]ويجدُ نصوصًا في قِسمةِ تَركاتِ الهالِكينَ على ورَثَتِهم؛ كما قال تعالى﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾.[(٤)]

---

(١) سورة الأنعام، الآية، ١٤٥

(٢) سورة المائدة، الآية، ٩٠

(٣) سورة البقرة، الآية، ٢٢٢

(٤) سورة النساء، الآية، ١١

ومِن الأمورِ البيِّنةِ الواضحةِ: أن الأكلَ، والشربَ، والنكاحَ، والأموالَ الموروثةَ عن أُولي القُرْبى، كلُّ ذلك مِن أغراضِ هذه الحياةِ وغاياتِها.

١-والسِّيرةُ النبويَّةُ تدُلُّ بمجمَلِها وتفاصيلِها على أن للنبيِّ صلي الله عليه وسلم حُكْمًا وتدبيرًا في الأمورِ الدنيويَّةِ، وفي سياسةِ الأمَّة:

وإذا قلَّبْنا نظَرَنا في سِيرتِه، نجدُهُ كان يحكُمُ فيما شجَرَ بين الناس، ويُقيمُ الحدودَ والزواجرَ على مَن يَجْني على نَفْسٍ أو مال، أو عِرْضٍ أو عقل، ويَجمَعُ المالَ مِن حيثُ أمَرهُ الله، ويُنفِقُهُ في وجوهِ المصالح، وإسعادِ ذوي الحاجة، ويتولَّى عَقْدَ التحالُفِ والمعاهَداتِ، والصلحِ وإعلانِ الحربِ، ويدبِّرُ أمرَها، ويرسُمُ لها الخُطَطَ مع المشاوَرةِ في هذا السبيل، والأخذِ بأرجحِ الآراء.

*** ومِن الأحاديثِ في ذلك:**

- عنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ: «فِي غَيْرِ حَقِّ مُسْلِمٍ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ فِيهِ حَقٌّ» [(١)]

- عن يحيي بن عُروة عن أبيه، أن رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "من أحيا أرضاً فهي له" وذكرَ مثلَه.قال: فلقد خبَّرني الذي حدَّثني هذا الحديثَ أن رجلَين اختصما إلى رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَرَسَ أحدهما نخْلاً في أرضِ الآخَر، فقضى لصاحبِ الأرضِ بأرضِه، وأمرَ صاحبَ النخلِ أن يُخرِجَ نخلَه منها، وقال: فلقد رأيتُها وإنها لَتُضْرَبُ أصولُها بالفُؤوس، وإنها لنخلٌ عُمٌّ، حتى أُخرِجَتْ منها.[(٢)]عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله

[(١)] صحيح البخاري، كِتَاب المُزَارَعَةِ، بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا، (١٠٦/٣).

[(٢)] سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، أول كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب في إحياء الموات ، (٦٨٣/٤برقم٣٠٧٤)،المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. **وهو حديث صحيح لغيره، انظر**: ما صح من آثار الصحابة في الفقه، زكريا بن غلام قادر الباكستاني، الرهن ،

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ، مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[(١)]، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[(٢)]، وقد جاءت أحاديثُ كثيرةٌ في بَيْعِ ما لم يُقبَضْ، وفي بَيْعِ الثمارِ والزرعِ، وما مِن أمرٍ مِن الأمورِ وشأنٍ مِن الشؤونِ المتعلّقةِ بالبيعِ والتجارةِ في أيِّ نوعٍ كان، إلا جاء فيه أحاديثُ كثيرةٌ مبيِّنةٌ لحُكمِه، وما يُعمَلُ فيه أمرًا ونهيًا. وبالجملةِ: فما مِن أمرٍ مِن أمورِ الدِّينِ أو الدنيا، أو حادثةٍ وقَعَتْ أو تقَعُ، إلا ولها حكمٌ يُؤخَذُ مِن الكتابِ، والسنَّةِ، أو منهما.

ثانياً: فصل الفقه الإسلامي عن الدنيا

إن موضوع الفصل بين الدولة والدين لم يخطر على بال علماء الإسلام إلا بعد إلغاء الخلافة الإسلامية، فالعلماء المسلمون في السابق ناقشوا مواضيع تتعلق بالخلافة ولم يمس أحد استبعاد علاقتها بأحكام الدين، **وأول من دحض مقولة فصل الدين عن الدنيا كان الشيخ مصطفى**

باب: إحياء الموات وإقطاعها: ،(٩٤٩/٢)، دار الخراز – جدة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، لابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، أَبْوَابُ التِّجَارَاتِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمَكَاسِبِ، (٢٦٩/٣برقم٢١٣٧)،المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. **وهو حديث حسن، انظر**: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)، ابن السبكى (٧٢٧ - ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ)، كتاب آداب الكسب والمعاش، قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من طلب الدنيا حلالا،(١٠١٧/٢برقم١٤٥٢)، استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤ هـ -؟)، دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ، وَمَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، (٥٧/٣برقم٢٠٧٦).

صبري[١] آخر شيوخ الإسلام في الخلافة العثمانية، في كتابة:(النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة). [٢]

<u>ومن جهة أخرى</u>: فقد توسع المفكرون الإسلاميون من رجال الفقه والقانون في ردودهم على الموضوعة القائلة:" **بأفضلية القوانين الغربية على الشرع الإسلامي**". وقد رفضوا فكرة فصل الشرع الإسلامي عن الحياة المدنية والدولة. وناقشوا من منطلقات قانونية بحتة، ومن خلال مقارنات دقيقة، أفضلية الأصول القانونية في الشرع الإسلامي على نظيراتها في القانون الروماني وغيره من الأصول الوضعية، فعلى سبيل المثال: كتاب عبد الرازق السنهوري[٣] (أصول الحكم في الإسلام) [٤] الذي أثبت فيه أن مبدأ الفصل بين السلطات هو حجر الزاوية في نظام الحكم الإسلامي، سواء من الناحية النظرية أو من الناحية العلمية ويشير إلى اعتزاز البروفسور أدوارد لامبير الذي قدم للكتاب بسبب كشفه أن مبدأ الفصل بين السلطات، والسيادة الشعبية اللذين لم تعرفهما أوروبا إلا في العصر الحديث هما من أصول العلم الإسلامي في الشريعة الإسلامية قبل أن يعرفهما الفقه الأوروبي بعدة قرون. كما استشهد بكتاب: "نظرية التعسف في استعمال الحق في

---

[١] مُصْطَفَى صَبْري(1373 – 1286)هـ = ١٨٦٩ – ١٩٥٤ م)مصطفى صبري: من علماء الحنفية. فقيه باحث. تركي الأصل والمولد والمنشأ. تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية. وقاوم الحركة (الكمالية) بعد الحرب العالمية الأولى. وهاجر إلى مصر، بأسرته وأولاده (سنة ١٩٢٢)ومات بالقاهرة، وألف كتبا بالعربية، منها (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين – ط) أربعة مجلدات.**انظر**: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، (٧/٢٣٦).

[٢] النكير على منكري النعمة؛ من الدين والخلافة والأمة، لشيخ الإسلام/ مصطفى صبري، تحقيق: د. مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية ببيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.

[٣] سبق ترجمته، (ص٦٨٦).

[٤] أصول الحكم فى الإسلام ، لعلي عبد الرزاق السنهوري،مكتبة الأسرة – دار مصر المحروسة، ٢٠٠٧م.

الشريعة الإسلامية"[١] للدكتور محمد فتحي[٢]. وقد أثبت فيه أن هذه النظرية التي لم تعرف في القوانين الغربية إلا في العصور الحديثة وجدت في الشريعة الإسلامية قبل ذلك بعدة قرون أيضا.

وقد أسهم الشيخ محمد أبو زهرة[٣] إسهامات كبيرة متعددة في مناقشة هذا الجانب، وكذلك آراء كبار رجال القانون كالسنهوري[٤] والدواليبي[٥] والزرقا[٦].

هذا دون إيراد الحجج الإسلامية التي ردت على فساد القوانين الوضعية الغربية من خلال ما أرسى من قوانين ظالمة في المستعمرات أو من خلال القوانين الدولية الظالمة كقوانين البحار على سبيل المثال.

---

[١] نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، للدكتور/ فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨م.

[٢] ولد الدكتور فتحي عبد القادر الدريني في مدينة الناصرة عام ١٩٢٣، وسافر إلى دمشق حيث عُين مدرساً في دار المعلمين، ثم عُين في كلية الشريعة معيداً حتى سنة ١٩٥٧ – ١٩٦٠.له مرلفات كثيرة منها: المناهج الأصولية في الاجتهاد في الرأي في التشريع الاسلامي.وحق الابتكار في الفقه الإسلامي.**انظر**: (مدونة فتحي الدريني)، مقال: العلامة الفقيه فتحي الدريني، رابطة العلماء السوريين، الأنترنت.

[٣] سبق ترجمته، (صـ١٥٢).

[٤] سبق ترجمته، ص٦٨٦.

[٥] محمد معروف الدواليبي (١٩٠٩ – ١٥ يناير ٢٠٠٤) ولد في حلب، اختير وزيراً للاقتصاد الوطني عام ١٩٥٠. انتخب رئيساً للمجلس النيابي عام ١٩٥١. وألف العديد من الكتب منها:الحركة التشريعية في الإسلام،مدخل إلى علم أصول الفقه الإسلامي،مذكراته بعدة أجزاء. وتوفي عن عمر يناهز ٩٤ عاما في الرياض، ودفن في البقيع في المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.**انظر**: (مدونة معروف الدواليبي)، الأعلام والشخصيات، الموسوعة الدمشقية، الأنترنت.

[٦] سبق ترجمته، (صـ ٧٠٠).

المبحث الخامس

الفقه الإسلامي يتسم بالقسوة

من دعاوى أصحاب الفكر الحداثي المعاصر أن العقوبات الشرعية تتسم بالقسوة والهمجية التي تبعث على الاشمئزاز: ولا تتناسب وروح هذا العصر، وإنسانيته، وحمايته لحقوق الإنسان وكرامته.[١]

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

فاعتبر محمد الشرفي[٢]": القانون الجنائي الإسلامي قانونا همجيا. بل في غاية الهمجية[٣]، وأنه يحط من الكرامة[٤]، وأن القرآن وضع أحكاما قاسية[٥]، وأن قطع يد السارق أمر همجي بغيض، وحكم فظيع ومروع ووحشي[٦]، وأن حد قتل المرتد ورجم الزاني: أشد الحدود قسوة وأقلها إنسانية، وزاد عن الأخير أنه فظيع وشنيع[٧]، وأن الرجم والجلد حكمان لا إنسانيان ووحشيان[١]، وأن الرسول

---

(١) انظر: مجموعة بحوث فقهية، للدكتور/ عبد الكريم زيدان، زيدان، صـ ٤٠٩، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

(٢) سبق ترجمته، (صـ٤٠٧).

(٣) الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، لمحمد الشرفي، (صـ٨٦)، دار بترا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

(٤) المرجع السابق، (صـ٩٢).

(٥) المرجع السابق، (صـ٩٢).

(٦) المرجع السابق، (صـ٩٥).

(٧) المرجع السابق، (صـ٨٧).

إنما امتثل في الرجم لعادة قديمة كانت سائدة في عصره[٢]، وقال:" إن الفقهاء قد أخذوا عادة قديمة (أي: الرجم) ووظفوها بما يوافق أهواءهم، وألحقوها بالإسلام إلحاقا مفتعلا، شأنهم في هذا الحكم شأنهم في جل القواعد التي وضعوها[٣]، وأن حد الردة ابتدعه الفقهاء، وهي فكرة لا مثيل لها سوءاً وشناعةً وتدميراً لحرية المعتقد[٤]. **واتهمت نوال السعداوى**[٥] **الفقه الإسلامي بالعنصرية والقسوة تجاة المرأة:**" وقد بدأت النساء في مصر وبلاد عربية أخرى المطالبة بتغيير القوانين التى تحكم حياة النساء تغييراً جذرياً، ومن تلك المطالب أن يصبح قانون الزواج مدنياً وليس دينياً. لقد أصبحت جميع القوانين في بلادنا مدنية إلا قانون الأحوال الشخصية أو قانون الزواج والطلاق وتعدد الزوجات، كأنما حياة النساء الشخصية هى فقط التى يجب أن تخضع لأحكان الشريعة والدين".[٦]

٢- مضمون الشبهة:

- التشكيك في العدالة والرحمة والإنسانية في العقوبات الشرعية.

---

[١]الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، لمحمد الشرفي، (صـ١٣٠).

[٢] الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، لمحمد الشرفي، (صـ٨٩).

[٣] المرجع السابق، (صـ٨٩).

[٤] الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، لمحمد الشرفي، الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، لمحمد الشرفي، (صـ٨٩).

[٥] نوال السعداوي (٢٧ أكتوبر ١٩٣١ — ٢١ مارس ٢٠٢١)، طبيبة أمراض صدرية، وطبيبة أمراض نفسية، وكاتبة وروائية مصرية،كتبت العديد من الكتب عن المرأة في الإسلام، ولدت نوال السعداوي في ٢٧ أكتوبر عام ١٩٣١ في عائلة تقليدية ومحافظة بقرية كفر طحلة إحدى قرى مركز بنها التابع لمحافظة القليوبية.من كتبها: معركة جديدة في قضية المرأة. ضايا المرأة المصرية السياسية والجنسية.وغيرهم.انظر: وفاة نوال السعداوي عن عمر يناهز ٩٠ عامًا، موقع المصري اليوم، ٢١-٠٣-٢٠٢١م.

[٦] المرأة والدين والأخلاق، لنوال السعداوى، (صـ١١٦)، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

- الادعاء بأن الأحكام الإسلامية عقيمة ولا تتوافق مع حقوق الإنسان الحديثة.
- الترويج لفكرة أن الفقهاء هم المسؤولون عن القسوة، وليس الإسلام نفسه.
- تصوير الشريعة الإسلامية على أنها تقيّد المرأة وتقمع حريتها.

٣-هدف الشبهة:

- إضعاف الثقة في التشريع الإسلامي.
- دفع المجتمع إلى رفض تطبيق الحدود بحجة أنها غير إنسانية.
- تبرير استبدال القوانين الدينية بالقوانين المدنية أو الوضعية الحديثة.
- تصوير الإسلام على أنه دين همجي وغير متوافق مع العصر.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- التعميم على كل الأحكام الشرعية بأنها همجية رغم اختلاف سياقاتها.
- نسب الأحكام إلى القرآن مباشرة دون فهم الغاية والشرط والوقت والمكان.
- الخلط بين العرف البشري السائد في الماضي وبين الأحكام الإسلامية.
- الاستناد إلى بعض الآراء الشخصية للأفراد دون الرجوع إلى الاجتهاد الفقهي.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين ينتقدون ممارسات دينية واجتماعية في بعض المجتمعات الإسلامية التي ترى أنها تقيد حرية المرأة، وتدعو إلى تحرير المرأة من الإكراه الديني والثقافي.[٢]

---

[١] انظر: حقوق الإنسان الثقافية بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية، للدكتور/داود درويش حلس،(صـ٧ ومابعدها)،الجامعة الإسلامية،غزة،٢٠٠٧م.وانظر: الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، لعابد بن محمد السفياني،(صـ١٦٠).

[٢] Hirsi Ali, Ayaan. The Caged Virgin: An Emancipation Proclamation for Women and Islam. New York: Free Press, 2006. pp 187

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدمت الشبهة لتصوير الإسلام كدين قمعي، وانتشر هذا الرأي في بعض الدراسات الغربية عن التشريع الإسلامي.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** أثارت نقاشات حول تحديث الأحكام أو تعديلها لتتوافق مع العصر، خاصة في مجال حقوق المرأة والحدود الجنائية.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- العقوبة في الإسلام لها غاية تربوية وأخلاقية وليست عشوائية.
- الحدود والشريعة تهدف إلى ردع الجريمة وحماية المجتمع وليس القسوة.
- الحكم على الشريعة بمقاييس عصر معين تجاهل السياق التاريخي والاجتماعي.[٣]

هيرسي علي، أيان. المرأة في قفص: إعلان تحرر للمرأة والإسلام. نيويورك: فري بريس، ٢٠٠٦م. صفحة ١٨٧

[١] Hirsi Ali, Ayaan. The Caged Virgin: An Emancipation Proclamation for Women and Islam. New York: Free Press, 2006. pp 187

هيرسي علي، أيان. المرأة في قفص: إعلان تحرر للمرأة والإسلام. نيويورك: فري بريس، ٢٠٠٦م. صفحة ١٨٧

[٢] انظر: حقوق الإنسان الثقافية بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية، للدكتور/داود درويش حلس،(صـ٧ ومابعدها).وانظر: الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، لعابد بن محمد السفياني،(صـ١٦٠).

[٣] انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،(صـ٢٢٥ ومابعدها)،المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الحدود قُيدت بالضوابط والشروط الصارمة، وغالبًا ما لم تُنفذ إلا في حالات محدودة: مثل قطع اليد للسارق له شروط عديدة مثل وجود حد أدنى للقيمة، وشروط النزاهة والإثبات.
- الرجم والزنا في التاريخ كانت ممارساتهم محدودة جدًا ولم تُطبق إلا بعد تحقق شروط دقيقة.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أقروا أن الشريعة ليست مجرد عقوبات قاسية، بل نظام حقوقي واجتماعي متكامل، ووصفوا الحدود بأنها جزء من نظام إصلاحي وحماية المجتمع وليس وحشية عشوائية.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس به أحكام قاسية مثل قطع اليد أو العقوبات الجنائية:" وَهَا أَنَا قَدْ عَلَّمْتُكُمْ فَرَائِضَ وَأَحْكَامًا...".[٣]:" وَإِذَا ضُرِبَ رَجُلٌ وَمُوتٌ أَمْلَكَ لَمْ يَكُنْ فِي الدَّمِ، فَيُعَاقَبُ كَمَا يَأْمُرُهُ الرَّبُّ ... وَلِلضَّرْبِ عُقُوبَةٌ مَسَاوِيَةٌ لِلشَّدَّةِ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ، أُذُنٌ بِأُذُنٍ، سِنٌّ بِسِنٍّ، وَجُرْحٌ بِجُرْحٍ، وَجُرْحَةٌ بِجُرْحَةٍ ".[٤]

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م . وانظر: علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ)،(صـ٨١ ومابعدها)،مطبعة المدني «المؤسسة السعودية بمصر».

[١] انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،(صـ٢٢٥ ومابعدها). وانظر: علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ)،(صـ٨١ ومابعدها).

[٢] Watt, W. Montgomery. Islamic Fundamentalism and Modernity. London and New York: Routledge, 1988, pp. 105–114

وات، ويليام مونتغمري. الأصولية الإسلامية والحداثة. لندن ونيويورك: روتليدج، ١٩٨٨م، ص. ١٠٥–١١٤

[٣] سفر التثنية، الإصحاح ٤ ، الآيه ٥

[٤] سفر الخروج، الإصحاح ٢١ ، الآيه ٢٢-٢٤

فهذا يظهر أن القسوة في العقوبات ليست ظاهرة خاصة بالإسلام، بل كانت موجودة في شريعة جميع الأمم.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي

وهذه شبهة داحضة من وجوه:

أولاً : أن العقوبة ليست مكافأة على عمل مبرور، وإنما هي جزاء مقرر على ارتكاب جريمة، يقصد به الإيلام والردع: وإذا لم تكن العقوبة مؤلمة؛ فليس لتطبيقها أي أثر في الزجر والردع. حتى تأديب الرجل ولده؛ لا بد أن يكون فيه شيء من الإيلام والقسوة، ليتأتى تأديبه وإصلاحه. [١]

وقديماً قال **الشاعر الحكيم**[٢]:

فقسا ليزدجروا، ومَنْ يَكُ حازماً ... فليَقْسُ أحياناً على مَنْ يرحمُ

ولا شك أن الإنسان يتمنى ألا توجد في المجتمع جريمة أبداً، حتى لا توجد عقوبات أصلاً؛ بحيث يفهم كل فرد ما له فيقتصر عليه، وما عليه فيؤديه عن طواعية واختيار. ولكن هذا حلم لا يمكن أن يتحقق، ورغبة خيالية تصطدم بالواقع المعاش. فهناك نفوس جاهلة حمقاء لا تلتزم بما لها وما عليها، ونفوس شريرة ظالمة قد تأصّل فيها الإجرام والإفساد، وسعت للإضرار بالآخرين وبخسهم حقوقهم.

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (٦٥٥/١).

(٢) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي المشهور صاحب الحماسة ملك شعراء العصر، قال ابن خلكان: أصله من قرية جاسم بالقرب من طبرية، وكان بدمشق، ثم صار إلى مصر وهو في شبيبته. جالس الأدباء، وعاشر العلماء، وتقدم على شعراء وقته. مات بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين، وقيل: بعد الثمانين. **انظر:** حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)، (٥٥٩/١).

والحياة لا يمكن أن تستقيم وتنتظم إلا بالالتزام، واحترام حقوق الآخرين، وعدم المضارة بهم. فمن خرج عن هذا الالتزام، وسعى للإضرار بنفسه وبغيره، كان ردعه واجباً عقلاً وشرعاً، ولا ردع إلا بقسوة وإيلام. واسم العقوبة مشتق من العقاب، ولا يكون العقاب عقاباً إذا كان موسوماً بالرخاوة والضعف. فعنصر القسوة – إذاً – يمثل الركن الأساسي لمعنى العقوبة ، فلو فُقدت القسوة فُقدت معها العقوبة بدون شك.

ولكن ما هي الدرجة التي يجب أن تقف عندها قسوة العقوبة على جريمة ما ؟

إن الذي يحدد هذه الدرجة هو تصور مدى خطورة الجريمة التي استلزمتها؛ أي أن القسوة يجب أن تكون ملائمة للجريمة، فتزيد بزيادة خطورتها وشدة آثارها، وتنقص بنقص ذلك.

وهذه الحقيقة محل وفاق عند جميع المشتغلين بالتشريع والتقنين، مهما اختلفوا في تحليل فلسفة العقاب. وإن اختلاف القوانين العقابية الوضعية أكبر شاهد على ذلك.

فإذا كان في الناس من يصف العقوبات الشرعية بقسوة زائدة على مقتضى هذه القاعدة التي لا خلاف فيها؛ فسبب ذلك أنهم يخطئون في تقويم خطورة الجرائم التي رتبت عليها هذه العقوبات، دون أن يعتبروا في ذلك نظرة المشرِّع لها، وتقويمه لخطورتها، والحكمة في تغليظ العقوبات الشرعية التي توصف بالوحشية والهمجية، من قتل القاتل، ورجم الزاني، وقطع السارق، وغيرها من العقوبات المقدرة؛ ظاهرة جلية، فإن هذه الجرائم هي أمهات المفاسد، وكل واحدة منها تتضمن اعتداء على واحدة أو أكثر من المصالح الخمس الكبرى، والتي أجمعت الشرائع والعقلاء في كل زمان على وجوب حفظها وصيانتها؛ لأنها لا يمكن أن تستقيم الحياة بدونها.

ولأجل هذا كان المرتكب لشيء منها جديراً بأن تغلّظ عليه العقوبة، حتى تكون زاجرة له، ورادعة لغيره

وها هي ذي الجرائم الكبرى تعصف بكثير من الدول التي لا تطبق الشريعة الإسلامية، مع كل ما توفر لها من إمكانيات وقدرات، وتقدم مادي وتقني، وأجهزة أمنية وإدارية واستخبارية . (١)

ثانياً: أن هؤلاء الطاعنين في هذه العقوبات قد اعتبروا مصلحة المجرم، ونسوا مصلحة المجتمع، وأشفقوا على الجاني، وأهملوا الضحية، واستكثروا العقوبة، وغفلوا عن قسوة الجريمة:ولو أنهم قرنوا العقوبة بالجريمة، ولاحظوا الاثنتين معاً، لخرجوا موقنين بالعدالة في العقوبات الشرعية، ومساواتها لجرائمها.

فإذا استحضرنا مثلاً فعل السارق وهو يسير في جنح الظلام متخفياً، ينقب الجدار، ويكسر القفل، ويُشهر السلاح، ويروّع الآمنين، هاتكاً حرمة البيوت، وعازماً على قتل من يقاومه، وكثيراً ما تقع جريمة القتل كوسيلة يتذرع بها السارق إلى إتمام سرقته،أو الفرار من تبعاتها فيقتل من غير تمييز.

وإذا تصورنا حالة النساء والأطفال في البيت وهم يستيقظون ويفتحون أعينهم على وجه السارق المرعب الشرس، وهو شاهر سلاحه يهدد من يواجهه.

وتصورنا ما يُحدثه فعل السارق من قلق عند الناس جميعاً، وتعطيل لحركتهم، وبث للرعب في نفوسهم، وإذهاب لطاقاتهم في حماية أموالهم، وتأمينها بالمغاليق والأقفال؛ لأن السارق يبغي المال، وهو موجود عندهم جميعاً، فهم معرضون لإجرامه دون تمييز.

لو تصورنا هذا أو بعضه مما يحدثه فعل السارق، ثم قارناه بقطع يده الآثمة الظالمة؛ لما قلنا عن عقوبته: إنها قاسية ظالمة.

وهكذا الشأن في بقية العقوبات، علينا أن نستحضر جرائمها، وما فيها من أخطار وأضرار، وظلم واعتداء، حتى نستيقن أن الله تعالى قد شرع لكل جريمة ما يناسبها، وجعل الجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد . (١)

---

(١) على طريق العودة إلى الإسلام، لمحمد سعيد رمضان البوطي، (صـ ١٠٣ – ١٠٤، ١٢٦ – ١٢٨).

ثالثاً : أن الله تعالى أراد للناس أن يعيشوا آمنين مطمئنين، ولن يتيسر لهم ذلك إلا ببتر الفاسدين وقطع دابرهم. وهذه سنة الله في خلقه:

فإن الإنسان إذا كان فيه عضو فاسد، لا علاج له إلا بقطعه كله أو بعضه، فلا مناص من الإقدام على ذلك. وهذا الطبيب الذي يستأصل بمبضعه المرهف هذا العضو الفاسد من جسم أخيه؛ أليس ضربه المبضع في لحمه، وقطعه الجزء الفاسد من جسمه مظهراً من مظاهر القسوة؟!

ولكنها قسوة هي عين الحكمة والرحمة والمصلحة، وبخاصة إذا قيست بما يترتب على تركها من هلاك وتلف، وما ينشأ عنها من آلام وأوجاع تفوق مصلحة بقائها. والمجتمع هو الجسم كله، وما الفرد الفاسد إلا عضو من أعضائه. [٢]

رابعاً:أن الإسلام قبل أن يستأصل هؤلاء المجرمين، ويقرر عليهم العقوبات الرادعة؛قد أعذر إليهم: حيث قدم لهم من وسائل التربية والوقاية ما كان يكفي لإبعادهم عن الجريمة التي اقترفوها؛ لو كانت لهم قلوب تعقل، أو نفوس ترحم. ثم إنه لا يطبقها أبداً حتى يضمن أن الفرد الذي ارتكب الجريمة قد ارتكبها دون مسوّغ ولا شبهة اضطرار. فوقوعه فيها بعد كل هذا دليل على فساده وشذوذه، واستحقاقه للعقوبات الرادعة المؤلمة، فهو مثلاً لا يقطع يد السارق إلا بعد توفير الوسائل التي تمنع من السرقة، فقد عمل على توزيع الثروة توزيعاً عادلاً، وجعل في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للفقراء، وأوجب النفقة على الزوج والأقارب، وأمر بإكرام الضيف والإحسان إلى الجار، وجعل الدولة مسؤولة عن كفالة أفرادها بتوفير تمام الكفاية لهم في الحاجات الضرورية من مطعم وملبس ومسكن وغيرها، بحيث يعيشون حياة لائقة كريمة كما أنها تكفل أفرادها بفتح أبواب العمل الكريم لمن يستطيعه، وتمكين كل قادر من أن يعمل بمقدار طاقته، وتهيئة الفرص المتساوية

---

[١] انظر: روح الدين الإسلامي، لعفيف عبد الفتاح طباره، صـ٤٢٩، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.

[٢] انظر: حد السرقة بين الإعمال والتعطيل وأثره على المجتمع الإسلامي دراسة فقهية مقارنة، لفارس عبد الرحمن القدومي، صـ ٢٠٩، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، ١٣٩٧هـ .

للجميع. وبذلك يمنع الإسلام الدوافع المعقولة للسرقة، فإن وقعت بعد ذلك؛ فإنه يتحقق من ثبوتها، وانتفاء موانعها، وعدم وجود شبهة تسقطها، كأن يرتكبها بدافع الحاجة والاضطرار . [١]

---

[١] وذلك كالسرقة عام المجاعة، فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الضرورة شبهة قوية تدرأ حد السرقة، وهو ما فعله عمر مع غلمان حاطب بن أبي بلتعة، حيث درأ عنهم الحد لما سرقوا في عام مجاعة، وقال رضي الله عنه: (أما والله! لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم، حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه، حلّ له، لقطعت أيديهم) ، ولأن من شروط قطع السارق: أن يكون مختاراً، ولا اختيار له عند الجوع الموفي على الهلاك، ولأن له أن يأخذه ما دام مضطراً إليه، وقد حكى الماوردي الإجماع على سقوط القطع لشبهة الضرورة، فقال: (روي عن مروان بن الحكم أنه أتي بسارق سرق عام مجاعة، فلم يقطعه، وقال: أراه مضطراً، فلم ينكر عليه أحد من الصحابة وعلماء عصره، فكان إجماعاً) ، وعلى الرغم من أن ابن حزم لا يقول بدرء الحد بالشبهة، إلا أنه ذهب في هذه المسألة مذهب الجمهور، فدرأ الحد عن السارق للضرورة، وفي ذلك يقول ابن القيم: (وهذا محض القياس، ومقتضى قواعد الشرع، فإن السّنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة، غلب على الناس الحاجة والضرورة، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له، إما بالثمن أو مجاناً، على الخلاف في ذلك، والصحيح وجوب بذله مجاناً، لوجوب المواساة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك، والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج، وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج، وهي أقوى من كثير من الشبه التي يذكرها كثير من الفقهاء، لا سيما وهو مأذون له في مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد رمقه، وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون، ولا يتميز المستغني منهم، والسارق لغير حاجة من غيره، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه، فدري) ، **انظر**: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،(٣/١١ – ١٢)،وانظر: المحلى، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى : ٤٥٦هـ)، ١١/٣٤٣، وانظر: أحكام السرقة في الشريعة الإسلامية والقانون، لأحمد الكبيسي، (صـ ٣٢٠ – ٣٢١)، دار الكتاب الجامعي،٢٠٠٣م. **وحديث: غلمان حاطب: أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى**، في كتاب السرقة، باب ما جاء في تضعيف الغرامة،(٨/٢٧٨).

وهو يعترف بقوة الدافع الجنسي وعنف إلحاحه على البشر. ولكنه يعمل على إشباع هذا الدافع بالطريق المشروع: طريق الزواج، فيدعو إلى الزواج المبكر، ويعين على إتمامه من بيت المال إذا حالت الظروف الخاصة دون إتمامه. ويحرص كذلك على تنظيف المجتمع من كل وسائل الإغراء التي تثير الشهوة، وعلى وضع الأهداف العليا التي تستنفد الطاقة الحيوية الفائضة وتوجهها في سبيل الخير، وعلى شغل أوقات الفراغ في التقرب إلى الله، وبذلك كله يمنع الدوافع التي تبرر الجريمة. ومع ذلك فهو لا يبادر بتوقيع العقوبة حتى يكون مرتكبها قد تبجح بها استهتاراً بتقاليد المجتمع وإمعاناً في الهبوط الحيواني حتى ليراه أربعة شهود.

وأول ما يتبادر إلى الذهن هو أن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والخلقية الموجودة اليوم، كلها تباعد بين الشباب وبين الزواج، وتقرب بينهم وبين الجريمة. وذلك صحيح. والإسلام ينبغي أن يؤخذ كله وإلا فهو غير مسؤول عن انحرافات الجاهلية. وحين يحكم الإسلام فلن تكون هذه المثيرات الجنونية التي تدفع الشباب دفعاً إلى الهبوط. لن تكون السينما العارية والصحافة الخليعة والأغاني المبتذلة والفتنة الهائجة في الطريق. ولن يكون الفقر الذي يمنع الناس من الزواج. وعندئذ فقط يطالب الناس بالفضيلة وهم قادرون عليها وتوقع عليهم العقوبة وهم غير معذورين .

ثم إذا وقعت فإنه يحتاط احتياطاً شديداً في إثباتها، فلا يقيمها إلا على من أقر بها إقراراً صريحاً أربع مرات، وطلب تطهيره بالحد، ولم يتراجع عن إقراره حتى تنفيذ الحد عليه، أو يكون قد تبجح بارتكابها، حتى ليراه أربعة شهود وهو على هذه الحال.

وهكذا شأن الإسلام في بقية العقوبات، يعمل على وقاية المجتمع أولاً من دوافع الجريمة، ثم يدرأ الحدود بالشبهات زيادة في الاحتياط. [١]

---

[١] انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، صـ ٣٥ – ٣٦، الطبعة القديمة، (١/١٢)، وانظر: المهمة المزدوجة للتشريع الجنائي الإسلامي، للدكتور/ جمال الدين محمود، صـ٤٧، مقال، مجلة التضامن الإسلامي، عدد ذو القعدة، ١٤٠٨هـ.

خامساً : أن الغاية الكبرى من هذه العقوبات هو التخويف والردع الذي يمنع وقوعها ابتداء، ولا يُحوِج إلى اللجوء إليها إلا في أضيق الحدود:

فادعاء القسوة والشدة في حدود الشريعة الإسلامية؛ مظهر من مظاهر السطحية في فهمها، بل الجهل العجيب بطبيعتها وأنظمتها وقيودها. وإن كل دارس للفقه الإسلامي يدرك أن ما قد يبدو في حدودها من القسوة لا يعدو أن يكون قسوة تلويح وتهديد. فهو أسلوب تربوي وقائي أكثر من أن يكون عملاً انتقامياً أو علاجاً بعد الوقوع. وهي بهذا تنطلق من أدق الأسس التربوية السليمة للمجتمع .

لقد أعلنت الشريعة الإسلامية أن الحدود تُدرأ بالشبهات، وهي قاعدة فقهية كبرى، أجمع على الأخذ بها جماهير الأئمة والفقهاء.

ومعنى القاعدة : أن أي احتمال لعدم تكامل شروط إقامة الحد يطوف بالمتهم، أو بالظرف الذي تمت فيه الجريمة، يُسقط الحد ويلغي ثبوته. وعلى الحاكم أن يستعيض عنه بما يراه من أنواع العقوبات التعزيرية الأخرى.[١] وإني لأتأمل فأجد أن هذه الاحتمالات كثيرة متنوعة لا تكاد تتناهى؛ وأنظر؛ فأجد لها التطبيقات الكثيرة والمختلفة في عهد الصحابة والتابعين، كما أجد لها التطبيقات المتنوعة في تخريجات الفقهاء وفتاواهم.

---

[١] انظر: على طريق العودة إلى الإسلام، لمحمد سعيد رمضان البوطي، (صـ ١٢٩ – ١٣٤)، مع تصرف يسير.

المبحث السادس

أحكام الفقه الإسلامي تُهمل شخصية المجرم وتأثير البيئة فيه

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

من دعاوى أصحاب الفكر الحداثي المعاصر أن العقوبات في الفقه الإسلامي تُهمل شخصية المجرم وتأثير البيئة فيه، فهي لا تحلل نفسية المجرم، والواجب عليها أن تتقاسم معه المسؤولية، وأن يعمل على علاجه لا عقابه. **فذكر محمد الشرفي**[١]:"أن قواعد الفقه الإسلامي منافية لحقوق الإنسان وهي قواعد معادية لمبادئ الحرية الفردية والمساواة بين جميع البشر من جهة وبين الرجل والمرأة من جهة أخرى".[٢] **ويري العشماوي**[٣] **أن**:" الدية في نظر العشماوي كانت سببا وجيها في بداية عهد المؤمنين أي: الإبقاء على حياة رجل مؤمن إن عفا عنه المعتدى عليه أو ولي دمه فيتكاثر المؤمنون في مواجهة الكفار. وأما في العصر الحالي فإن تطبيقه يؤدي إلى خلل رهيب إذ يستهين من يملك المال بأرواح الناس ونفوسهم مادام يستطيع أن يدفع الدية. ولذلك فالأوفق في نظره هو ما عليه القوانين الوضعية".[٤]

---

[١] سبق ترجمته، (صـ٤٠٧).

[٢] الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، لمحمد الشرفي، (صـ١٠٣).

[٣] سبق ترجمته، (صـ٧٠١).

[٤] جوهر الإسلام، لمحمد سعيد العشماوي، (صـ١٤١)، مكتبة مدبولى الصغير، الطبعة: الرابعة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢-مضمون الشبهة:

- الزعم بأن العقوبات في الفقه الإسلامي قاسية وغير إصلاحية، ولا تراعي ظروف المجرم النفسية والاجتماعية.
- الانتقاد بأن الدية والحدود يمكن أن تُستغل في العصر الحديث لإعطاء المقتدرين الماليين سلطة على حياة الآخرين.
- التوصية ضمن الشبهة بالتحول إلى القوانين الوضعية الحديثة بدلاً من تطبيق الفقه الإسلامي التقليدي.

٣-هدف الشبهة:

- الطعن في مشروعية وملاءمة العقوبات الإسلامية للزمن الحديث.
- تصوير الفقه الإسلامي كقواعد جامدة تعارض حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.
- التأكيد على فكرة أن العقوبات الإسلامية لا تتوافق مع قيم الحرية الفردية والمساواة بين الجنسين.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- كيف يمكن لمبدأ الدية أن يكون إيجابيًا في التاريخ المبكر كما يشير العشماوي؟
- هل يمكن تقييم نظام فقهي متكامل بمجرد النظر إلى جانب واحد (الجزاء المالي أو العقوبة الجسدية) دون دراسة الآليات الإصلاحية والاجتماعية فيه؟
- تجاهل الشبهة لدور الحدود والديات في حفظ الحقوق والمجتمع، وليس مجرد العقوبة الفردية.[١]

---

[١] انظر: الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارنا بالقانون، لمنصور محمد منصور الحفناوي،(صـ٥-٦)،مطبعة الأمانة، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين دعوا صراحةً إلى إصلاح الشريعة الإسلامية ومواءمتها مع مفاهيم القانون الحديث وحقوق الإنسان، وميّز بين الشريعة كنص والفقه كتطبيق تاريخي.[١]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدمت الشبهة في ترويج صورة عن الفقه الإسلامي كقوانين قاسية لا تراعي حقوق الفرد.[٢]
- **في الوسط الإسلامي:** تثير جدلاً حول تجديد الفقه الإسلامي وإصلاح قوانين العقوبات بما يتوافق مع العصر دون التفريط في الثوابت الشرعية.[٣]

---

[١] Noel J. Coulson, A History of Islamic Law (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1964), 123.

نويل ج. كولسون، تاريخ القانون الإسلامي (إدنبرة: مطبعة جامعة إدنبرة، ١٩٦٤)، ص ١٢٣.

[٢] Noel J. Coulson, A History of Islamic Law (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1964), 123.

نويل ج. كولسون، تاريخ القانون الإسلامي (إدنبرة: مطبعة جامعة إدنبرة، ١٩٦٤)، ص ١٢٣.

[٣] انظر: الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارنا بالقانون، لمنصور محمد منصور الحفناوي،(صـ٥-٦).

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الاستنتاج بأن العقوبات لا تراعي نفسية المجرم غير صحيح: الفقه الإسلامي يحتوي على أحكام تأخذ الظروف والنية والضرورات الاجتماعية في الاعتبار (مثل الرخص والديات والعفو).
- القول بأن الفقه الإسلامي منافي للعدالة والمساواة تجاهل المبادئ الكلية للفقه الإسلامي، التي تشمل القصاص العادل، والشفاعة، والتعويض العادل.[1]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الدية تاريخيًا كانت وسيلة لحفظ الدماء وتنظيم المجتمع، وكانت تمنع الانتقام العشوائي وتحافظ على حقوق القرى والأفراد.
- النظام الشرعي لم يترك المجرم دون آليات إصلاحية: فحدود القصاص مرتبطة بالنية، والديات يمكن أن تُستخدم للصلح والتعويض، وليس لتفضيل الأغنياء على الفقراء.
- دراسة الواقع التاريخي تظهر أن تطبيق الحدود والدية كان متوازنًا في غالب الأحيان مع حماية المجتمع والفقير.[2]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أقروا أن الحدود جزء من نظام إصلاحي وحماية المجتمع وليس وحشية عشوائية.[1]

---

[1] انظر: موسوعة الفقه الإسلامي، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري،(٥/٤٦)، بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

[2] انظر: موسوعة الفقه الإسلامي، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري،(٥/٤٦).

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يحتوي على عقوبات جسدية وحدود صارمة مشابهة للحدود الإسلامية:"وَهَا أَنَا قَدْ عَلَّمْتُكُمْ فَرَائِضَ وَأَحْكَامًا..."[٢]:"وَإِذَا ضَرِبَ رَجُلٌ وَمُوتٌ أَمْلَكُ لَمْ يَكُنْ فِي الدَّمِ، فَيُعَاقَبُ كَمَا يَأْمُرُهُ الرَّبُّ ... وَلِلضَّرْبِ عُقُوبَةٌ مَسَاوِيَةٌ لِلشَّدَّةِ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ، أُذُنٌ بِأُذُنٍ، سِنٌّ بِسِنٍّ، وَجُرْحٌ بِجُرْحٍ، وَجُرْحَةٌ بِجُرْحَةٍ ".[٣]يظهر هذا أن القسوة في العقوبات ليست ظاهرة حصرية للإسلام، بل موجودة في جميع الشرائع الإنسانية القديمة.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي

<u>وهذه أيضاً شبهة داحضة من ثلاثة وجوه:</u>

<u>الوجه الأول</u> : أن الظروف المحيطة بالفرد ذات أثر بعيد في تكوينه، والعقد النفسية والأمراض العصبية تدفع أحياناً إلى الجريمة.ولكن الإنسان مع ذلك ليس كائناً سلبياً بحتاً بإزاء هذه الظروف.[(٤)]

فما دام المجرم بالغاً عاقلاً مختاراً؛ فإن أحواله النفسية وبيئته وثقافته لا تصلح مسوِّغاً لارتكاب الجرائم، والاعتداء على الآخرين. كما أن هذه الأمور عائمة لا تقوم على أساس متين ولا يضبطها

---

[١] Watt, W. Montgomery. Islamic Fundamentalism and Modernity. London and New York: Routledge, 1988, pp. 154–153

وات، ويليام مونتغمري. الأصولية الإسلامية والحداثة. لندن ونيويورك: روتليدج، ١٩٨٨م، ص. ١٥٣–١٥٤

[٢] سفر التثنية، الإصحاح ٤ ، الآيه ٥

[٣] سفر الخروج، الإصحاح ٢١ ، الآيه ٢٢–٢٤

[(٤)] انظر: على طريق العودة إلى الإسلام، لمحمد سعيد رمضان البوطي، صـ ١٠٣ – ١٢٣.

ضابط معين، ولا حدود تنتهي إليها؛ مما يؤدي إلى إفلات المجرمين من العقاب الرادع، ومن ثم كثرة الجرائم، وانتشار الفوضى، وزعزعة الأمن والاستقرار. (١)

الوجه الثاني : أن الشريعة الإسلامية إذْ ترسم أحكامها لمعاقبة الجانحين والمجرمين؛ لا تنطلق في ذلك من حصر المسؤولية فيهم، وتحميلهم وحدهم عاقبة ما أقدموا عليه، بل هي تجعل المجتمع مسؤولاً في بعض الحالات عن هذه الجرائم التي ارتكبوها، وقاعدة درء الحدود بالشبهات أبلغ تجسيد لهذه الحقيقة، وأوضح برهان عليها. (٢)

الوجه الثالث : أن رغبة المعترضين في جعل العقاب كالعلاج للمريض؛ متحققة في العقوبات الشرعية التي هي مبنية على أساس الرحمة بالمجرم والمجتمع. ولكن هؤلاء فاتهم أن العلاج لا يُشترط فيه أن يكون لذيذاً تشتهيه النفس، فقد يكون كريهاً مرّاً، وقد يتضمن إسالة الدماء وقطع الأعضاء، وهو في جميع هذه الصور يبقى علاجاً موصوفاً بالرحمة في حق المريض، خالياً من الانتقام منه.

كما فات هؤلاء أن العقوبات شُرعت لوقاية المجتمع وتطهيره من جراثيم الأمراض، والأعضاء الفاسدة التي سرت فيها الأمراض المزمنة والمعدية، وغفلوا أو نسوا أن التغاضي عن هذه الأعضاء الفاسدة، والتسامح معها، رغبة في صلاحها وصحتها، سينتج عنه تفاقم المرض واستفحاله، وانتشاره في سائر الجسم، فلم يستصح العضو ولم يسلم الجسم وهذا هو الشأن في العقوبات، فقد شُرعت لتكون علاجاً لمن لا يجدي معهم علاج الوعظ والتذكير والإنذار. (٣)

---

(١) مجموعة بحوث فقهية، للدكتور/ عبد الكريم زيدان، (صـ ٤٠٨).

(٢) على طريق العودة إلى الإسلام، لمحمد سعيد رمضان البوطي، صـ ١٣٤.

(٣) مجموعة بحوث فقهية، للدكتور/ عبد الكريم زيدان، صـ ٤٠٨،٤٠٩.

المبحث السابع

أحكام يوم الجمعة محاكاة لعرب الجاهلية

من دعاوى أصحاب الفكر الحداثي المعاصر أن اختيار المسلمين يوم الجمعة للاجتماع محاكاة لعرب الجاهلية، وزعموا أن المسلمين وجدوا اليهود يجتمعون يوم السبت لاعتقادهم أن الله خلق العالم في ستة أيام، واستراح يوم السبت، ووجدوا النصارى يجتمعون يوم الأحد لاعتقادهم أنه ذكرى قيامة المسيح، فاختار المسلمون يوم الجمعة؛ لأنه اليوم الذي يجتمع فيه عرب الجاهلية حسب زعمهم، ويهدفون من وراء ذلك إلى الحط من قيمة العبادات في الإسلام.

ويتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

عبر الدكتور أحمد صبحي منصور[(١)] بآرائه النقدية تجاه بعض الممارسات التقليدية المرتبطة بصلاة الجمعة على سبيل المثال، في مقال له بعنوان "عن صلاة الجمعة ومساجد الضرار" نُشر

[(١)] أحمد صبحي منصور(١ مارس ١٩٤٩) مفكر إسلامي مصري. ولد في أبو حريز، كفر صقر في محافظة الشرقية في مصر، كان يعمل مدرسًا في جامعة الأزهر، لكنه فُصل في الثمانينيات بسبب إنكاره للسنة النبوية القولية، وتأسيسه المنهج القرآني الذي يكتفي بالقرآن مصدرًا وحيدًا للتشريع الإسلامي.أنشأ مركزه الخاص تحت اسم المركز العالمي للقرآن الكريم. واشتهر بموقفه المعارض لفكر الجماعات الإسلامية.من كتبه: القرآن وكفى مصدرا للتشريع الإسلامي. تاريخ التطور الثقافي للمسلمين.انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة

في موقع الحوار المتمدن، أشار إلى أن بعض الممارسات المرتبطة بصلاة الجمعة قد تكون غير متوافقة مع التعاليم القرآنية".[(١)]

٢- مضمون الشبهة:

تقوم الشبهة على:

- نفي الطابع التعبدي والتشريعي لصلاة الجمعة.
- رد اختيار يوم الجمعة إلى عوامل اجتماعية جاهلية لا إلى وحي إلهي.
- الزعم بأن الجمعة ليست إلا تقليدًا ثقافيًا نشأ في سياق تاريخي معين.

٣-هدف الشبهة:

- زعزعة الثقة في العبادات الإسلامية ذات الطابع الجماعي.
- إفراغ الشعائر من بُعدها الإلهي وردها إلى أصول بشرية.
- التمهيد للطعن في مرجعية السنة النبوية والتشريع الإسلامي عمومًا.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تقوم الشبهة على القياس الفاسد بين التشريع الإلهي والتقاليد الاجتماعية.
- تتجاهل النصوص الصريحة التي تثبت اختيار يوم الجمعة بوحي إلهي.
- تفترض التأثر دون دليل تاريخي أو نصي موثق.[٢]

٤-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى كتابات نقدية معاصرة لبعض المفكرين الحداثيين المعاصرين تشكك في السنة والشعائر الجماعية.[١]

---

(١) ماهية الدولة الاسلامية، لأحمد صبحي منصور، (صـ١٠٥)، موقع الحوار المتمدن. ومقال"عن صلاة الجمعة ومساجد الضرار، لأحمد صبحي منصور، موقع الحوار المتمدن، العدد: ٧٣٦١، ٢٠٢٢/٩/٤م.

٢ انظر: مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، (صـ٥١٩-٥٢٠)،دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الحادية عشرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

٥-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدمت الشبهة لتدعيم فرضية التأثر الثقافي في التشريع الإسلامي.[٢]

- **في الوسط الإسلامي:** أحدثت بلبلة فكرية لدى بعض القرّاء غير المتخصصين، لكنها قوبلت بردود علمية قوية من علماء الحديث والفقه.[٣]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- لو كان اختيار الجمعة محاكاة، لكان أولى بالمسلمين السبت أو الأحد لكونهما مرتبطين بعقائد دينية قائمة، لا بيوم جاهلي بلا مضمون تعبدي.
- التشريع الإسلامي يربط العبادات بالوحي لا بالعادات، وهو ما تؤكده النصوص.[٤]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- ثبت تاريخيًا أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فرض صلاة الجمعة في المدينة بعد الهجرة، ولم تكن عادة جاهلية معروفة بشعيرة دينية.

---

[١] ماهية الدولة الاسلامية، لأحمد صبحي منصور، (صـ١٠٥)، موقع الحوار المتمدن. ومقال"عن صلاة الجمعة ومساجد الضرار، لأحمد صبحي منصور، موقع الحوار المتمدن، العدد: ٧٣٦١، ٢٠٢٢/٩/٤م.

[٢] ماهية الدولة الاسلامية، لأحمد صبحي منصور، (صـ١٠٥)، موقع الحوار المتمدن. ومقال"عن صلاة الجمعة ومساجد الضرار، لأحمد صبحي منصور، موقع الحوار المتمدن، العدد: ٧٣٦١، ٢٠٢٢/٩/٤م.

[٣] انظر: مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، (صـ٥١٩-٥٢٠).

[٤] انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،(٣٦٤/١)،مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

- الجاهليون لم تكن لهم صلاة جماعية أسبوعية ذات خطبة وعبادة.[١]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين المنصفين أقروا أن الشعائر الإسلامية، ومنها صلاة الجمعة، تشريعات دينية أصيلة، فهي تشكل نظامًا دينيًا مستقلًا متكاملًا، لا يمكن تفسيره على أنه مجرد اقتباس من اليهودية أو النصرانية.[٢]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس يقرر أن السبت فُرض على بني إسرائيل تحديدًا، ولا يوجد في الكتاب المقدس ما يفرض الأحد تشريعًا إلهيًا عامًا، بل هو تقليد كنسي لاحق:"وَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ، لِيَكُونَ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّهُ فَرْضٌ لِلأَجْيَالِ إِلَى الدَّهْرِ. فَسَبْتُ الرَّبِّ مِعْلَمٌ لِلأُجْيَالِ، لأَنَّهُ فَرَغَ الرَّبُّ فِي هذَا الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ عَمَلِ خَلْقِهِ الَّذِي صَنَعَهُ".[٣] وهذا يدل على أن تخصيص يوم للعبادة يختلف باختلاف الشرائع، مما ينقض دعوى المحاكاة.

---

[١] انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،(٣٦٤/١).

[٢] William Montgomery Watt, Islamic Political Thought (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1968), pp. 45–46.

وات، ويليام مونتغمري، الفكر السياسي الإسلامي (إدنبرة: مطبعة جامعة إدنبرة، ١٩٦٨)، ص ٤٥-٤٦. ١٥٤

[٣] سفر الخروج، الإصحاح ٣١ ، الآيه ١٦-١٧

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي

وجوه إبطال الشبهة إجمالاً:

١-اختيار يوم الجمعة لاجتماع المسلمين فيه أمر ديني قدري، وليس تقليدا، وكذلك كل العبادات التي وقع فيها مشابهة.

٢-الأيام معروفة بأسمائها قبل ظهور اليهود والنصارى وعرب الجاهلية والمسلمين.

٣-فضيلة الجمعة ثابتة قبل مجيء الإسلام؛ وذلك لوقوع الحوادث العظام فيه، من أول خلق العالم إلى قيام الساعة.

٤-العادة الطيبة إذا قرنت بنية صالحة صارت عبادة، والأمر إذا كان من الله صار شريعة وعبادة، سواء وافق في ذلك أمرا معروفا من قبل أم لا، والمشابهة كانت نتيجة تصديق الإسلام لملة إبراهيم الحنيفية السمحاء التي كان الجاهليون على بقية من آثارها، وهذا يدل على صحة الإسلام وأنه نبع من نفس المصدر السماوي الذي نبعت منه الديانات السماوية.

وجوه إبطال الشبهة تفصيلاً:

أولاً:اختيار الجمعة ديني قدري وليس تقليدا، وكذلك كل العبادات التي وقع فيها مشابهة: إن اختيار يوم الجمعة للاجتماع فيه اختيار ديني لا تقليد فيه، وكذلك كل شعائر الإسلام، فالحج كانت تفعله العرب قبل الإسلام، لكنها كانت تفعله كعادات ضلال، لا تصل إلى عرفة، وتأتي البيوت من ظهورها وتطوف بالبيت عرايا وتصفق حوله، وتفعل وتفعل، فلما جاء الإسلام هدم الخطأ، وقوم المعوج، وأبقى الصواب؛ لأن شريعة الإسلام تقرر أن الحكمة ضالة المؤمن، فأينما وجدها فهو أحق بها؛ فعن جَابِرٍ، يَقُولُ: " رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» [١]،

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، (٢/٩٤٣برقم١٢٩٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَهُ، فِي الحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَيْهَا قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ «لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ» [(١)]. وفي ذلك أكبر دليل على عدم تقليد الإسلام للعرب في جاهليتهم، وإن وقعت في عبادتهم مشابهة، ولكن الله تعالى أخبر عن حج العرب قبل الإسلام﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٥ ﴾ [(٢)] فصار ما جاء به الإسلام وما فعله الرسول وعمله المسلمون من بعده وأجمع عليه الفقهاء دينا، وإن شابه ما كانت العرب تفعله. وكذلك كانت الجمعة تعرف عند العرب ويجتمعون فيها ويتناشدون الشعر، ويسمون يومها يوم العروبة، لكنها انتقلت مع الإسلام انتقال يومي العيد، فصار دينا أن نصلي في يومي العيد صلاة العيد، كما صار دينا أن تصلى الجمعة بالكيفية التي تصلى مما لم يكن العرب أو العجم يعرفونها.

ثانياً: الأيام معروفة بأسمائها قبل ظهور اليهود والنصارى وعرب الجاهلية والمسلمين: فالسبت كان معروفا باسمه، والأحد كذلك، والجمعة أيضا كانت معروفة باسمها منذ خلق الله تعالى آدم – عليه السلام– فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ» [(٣)]، [(٤)] وورد في الحديث أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[(١)] صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي ، بَابُ حَجِّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ، (٥/١٦٧برقم٤٣٦٣).

[(٢)] سورة الأنفال، الآية، ٣٥.والمكاء: الصفير.

[(٣)] صحيح مسلم، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، (٢/٥٨٥برقم٨٥٤).

[(٤)] انظر: أحكام وآداب وفضائل يوم الجمعة، للحسين بن مسعود البغوي، صـ٢٥–٢٦، مكتبة الصفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٢م. بتصرف يسير.

وَسلَّمَ -: «اليَوْمُ المَوْعُودُ يَوْمُ القِيَامَةِ، وَاليَوْمُ المَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، وَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْهُ، فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَلَا يَسْتَعِيذُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْهُ» (١)

ثالثاً: فضيلة الجمعة ثابتة قبل مجيء اليهودية والنصرانية والإسلام أما عن فضيلة يوم الجمعة على بقية الأيام فإنها ثابتة له قبل اليهودية والنصرانية والإسلام، وذلك بوقوع الحوادث العظام فيه، وأهمها خلق آدم – عليه السلام – وفيه أخرج من الجنة، وفيه تقوم الساعة في آخر الزمان. وفي هذا يقول الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قَالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ» (٢) ثم إنه الأفضلية هذا اليوم فقد فرض على اليهود والنصارى تعظيمه ودليل ذلك ما رواه أَبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ اليَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ» (٣) فقوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: فهذا يومهم الذي فرض عليهم يريد أن

---

(١) سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، كتاب تفسير القرآن باب سورة البروج،(٥/٤٣٦برقم٣٣٣٩)، تحقيق وتعليق:إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.**وهو حديث حسن.انظر:** كَشْفُ المنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ في تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ المَصَابِيحِ، لمحمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبو المعالي(المتوفى: ٨٠٣هـ)، باب الجمعة ، (١/١٠٥برقم٩٧١)،دِرَاسَة وتحقيق: د. مُحمَّد إسْحَاق مُحَمَّد إبْرَاهِيم، تقديم: الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، (٢/٥٨٥برقم٨٥٤).

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، (٢/٢برقم٨٦٧).

المفروض على اليهود والنصارى تعظيم يوم الجمعة، فاختلفوا فيه فقالت اليهود هو يوم السبت؛ لأنه كان فيه الفراغ عن خلق الخلق، فنحن نستريح فيه عن العمل، ونشتغل بالشكر، وقالت النصارى: هو يوم الأحد؛ لأن الله – عز وجل – بدأ فيه بخلق الخليقة، فهو أولى بالتعظيم، فهدى الله المسلمين إليه، فهو سابق على السبت والأحد.[١]

فعن اختيار يوم الجمعة، وهداية المسلمين إليه دون غيره من الأيام فهو من مميزات الإسلام ومحاسنه وفضائل الله على هذه الأمة، فقد هدى الله تعالى الناس لهذا اليوم الفاضل بعد أن ضل عنه السابقون؛ حيث عرف النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فضيلة هذا اليوم، وأنه عرض على الأمم السابقة، فضلت عنه، فوفق إليه واختاره لأمته.

رابعاً: العادة إذا قرنت بنية صالحة صارت عبادة، والتشابه راجع إلى وحدة المصدر والأصل: وفي الإسلام تأخذ العادة حكم العبادة متى تحققت لها نيتها التي أمرنا أن نحققها، سواء وافقت في ذلك أمرا أم لا ، فإذا جلس رجل يتأمل في خلق السماء مثلا، ويتفكر فيها فهذه تكون عبادة، بل من أعظم العبادات حتى وإن كانت جلسته تلك قد تشابه رجلا – مثلا – من الذين يمارسون رياضة اليوجا، فالرجل الأول إن كان قد جلس ساعة مثلا بهذه النية، فهي عبادة، بعكس الرجل الثاني، وإن كان في الأمر تشابه فهل فيه محاكاة؟! شتان بين الثرى والثريا.

إن وجود مشابهة في بعض الشرائع بين الإسلام وما كانت عليه الجاهلية ترجع في أساسها إلى أن عرب الجاهلية كانت عندهم بقايا موروثة من ملة إبراهيم – عليه السلام – لم تزل فيهم، وإن كانت قد حرفت عن مضمونها وكيفيتها وأشرك مع الله فيها غيره، لذلك كانت هذه المشابهة من حيث الظاهر أو الاسم لا من حيث الكم والكيف والمضمون والنية والقصد، ومن هنا جاء الإسلام ليقرر الصواب مما ورثوه عن الملة الحقة مع تصحيح التوجه والقصد فيه لوجه الله، ويردهم إلى الحق فيما بدلوه وغيروه، وهذا يدل على صحة الإسلام وأنه جاء من عند الله مصدقا لما بين يديه من

---

[١] انظر: أحكام وآداب وفضائل يوم الجمعة، للحسين بن مسعود البغوي، صـ٢٣ ومابعدها.

الحق الذي بعث به الله الأنبياء السابقين والكل من عند الله، **يقول الشيخ البوطي**[(١)]: " كما أنه بقيت في عاداتهم (أي عرب الجاهلية) بقايا من عهد إبراهيم ومبادئ الدين الحنيف وشعائره – وإن كانت تتضاءل وتضعف مع الزمن – فكانت جاهليتهم منصبغة بقدر ما بآثار من شعائر الحنيفية ومبادئها، وإن كانت هذه الشعائر والمبادئ لا تكاد تظهر في حياتهم إلا مشوهة فاسدة، وذلك كتعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة وكالوقوف بعرفة وهدي البدن [(٢)]، فأصل ذلك كان مشروعا ومتوارثا لديهم من عهد إبراهيم – عليه السلام – ولكنهم كانوا يطبقونه على غير وجهه ويقحمون فيه الكثير مما ليس منه، وكإهلالهم بالحج والعمرة، فقد كانت كنانة وقريش يقولون إذا اهلوا: "لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك إلا ، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك"، فيوحدونه – كما قال ابن هشام – بالتلبية [(٣)]، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده ... " [(١)]

---

(١) رمضان عمر البوطي (١٣٠٦ – ١٤١٠ هـ– ١٨٨٨ – ١٩٩٠ م)العالم الربّاني، الزاهد، الورع. من أبرز علماء بلاد الشام في هذا العصر.وقد ألف كتابا عن والده، بعنوان:هذا والدي.كما ذكر في آخر كتاب «هذا والدي» نماذج من تحقيقاته ووصاياه الدينية. **انظر**: تتمة الأعلام للزركلي [وفيات (١٣٩٦ – ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٦ – ١٩٩٥ م)يليه المستدرك الأول والثاني، لمحمد خير رمضان يوسف،(١/١٨٤).

(٢) **البدن**: جمع بدنة، وهي الناقة أو البقرة التي تنحر بمكة، سميت بذلك؛ لأنهم كانوا يسمنونها.**انظر**: المعجم العربي لأسماء الملابس "في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث"، إعداد: د. رجب عبد الجواد إبراهيم (كلية الآداب – جامعة حلوان)،باب النمق(صـ٥٠٦) تقديم: أ. د/ محمود فهمي حجازي (كلية الآداب – جامعة القاهرة، عضو مجمع اللغة العربية)، راجع المادة المغربية: أ. د/ عبد الهادي التازي (عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة)، دار الآفاق العربية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، مادة بدن(صـ٦٩)،المحقق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٣) **التلبية لغة**: إجابة المنادي. وأما في الحج فالمراد بما قول المحرم لبيك اللهم لبيك والمعنى: أقمت يا رب ببابك إقامة بعد أخرى وأجبت نداءك مرة بعد أخرى.**انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو

الخلاصة:

إن اختيار يوم الجمعة للاجتماع فيه اختيار ديني لا تقليد فيه، وكذلك كل شعائر الإسلام مقيدة بقول الله سبحانه وتعالى﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾ (٢)، فعن جابِر، يَقُولُ: " رَأَيْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (٣)، ولذلك ليس هناك أي تقليد لأحد، وإن وقعت مشابهة..ثم إن الأيام معروفة بأسمائها قبل ظهور اليهودية والنصرانية والإسلام، وليست تسمية يوم الجمعة بهذا الاسم "الجمعة" بجديد، أو بسبب اجتماع المسلمين فيه؛ لأن اسمه "الجمعة" منذ بدء الخليقة.

وكذلك فإن هذا اليوم له أفضليته وشرفه منذ أن خلق الله السماوات والأرض، وذلك لوقوع الأمور العظام فيه؛ كخلق آدم – عليه السلام – وهبوطه من الجنة، وكذلك قبضه، ثم إن شرفه ممتد إلى نهاية العالم فهو اليوم الذي تقوم فيه الساعة.. وفي هذا يقول الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قَالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ» (٤) والعادة في الإسلام تتحول إلى عبادة، وذلك إذا كانت صحيحة – أي غير منافية

السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير(المتوفى: ٦٠٦هـ)، مادة لبب (صـ٤/٢٢٢).

(١) فقه السيرة، للدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي، صـ ٣٨-٣٩، دار السلام، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤م. بتصرف يسير.

(٢) سوؤة الحشر، الآية، ٧

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، (٢/٩٤٣برقم١٢٩٧).

(٤) المرجع السابق، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، (٢/٥٨٥برقم٨٥٤).

للشرع – وكذلك إذا صحت فيها النية، فاجتماع المسلمين في يوم الجمعة يكون عبادة، وإن كان من عادات العرب قبل الإسلام، فليس في ذلك شيء.. التشابه بين الإسلام وما كانت عليه الجاهلية في بعض الشرائع أو الشعائر دليل على صدق الإسلام وصحته، وأنه نابع من نفس المشكاة التي نبعت منها الديانات السماوية السابقة؛ لأن هذا التشابه نتيجة تصديق الإسلام لملة إبراهيم الحنيفية السمحة التي كان العرب الجاهليون ما يزالون على بقية من آثارها وإن كانت شوهت وأقحم فيها ما ليس منها، وقصد بها غير وجه الله تعالى، لذلك جاء الإسلام مُقراً لأصلها مصوباً ومصححاً لما أصابها من تحريف وتبديل ليعيدها إلى كيفيتها ووجهتها الصحيحة.

المبحث الثامن

الفقه الإسلامى أهمل الجانب الدنيوى

_من دعاوى أصحاب الفكر الحداثي المعاصر أن الفقه الإسلامى أغفل بعض الأحكام الحياتية ومنها الزراعة، فهو غير كاملة، ولا يستطيع البشر العيش تحت حكمه في شتى مجالات الحياتية.

ويتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

ويروى الدكتور محمد عابد الجابري[(١)] رواية يستند فيها لى إهمال الفقه الإسلامي للجانب الدنيوي:"أنتم أعلم بشؤون دنياكم[(٢)]".[(١)]

[(١)] محمد عابد الجابري(٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ – ٣ مايو ٢٠١٠)مفكر وفيلسوف مغربي، ولد بمدينة سيدي لحسن في شرق المغرب، له أكثر من
مؤلفًا في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها «نقد العقل العربي» الذي تمت ترجمته إلى عدة لغات أوروبية وشرقية. كرّمته اليونسكو لكونه أحد أكبر المتخصصين في ابن رشد، إضافة إلى تميّزه بطريقة خاصة في الحوار. توفى المفكر الجابري يوم الاثنين ٠٣ مايو ٢٠١٠ م في الدار البيضاء.انظر: محمد عابد الجابري .. ناقدُ العقلِ العربيّ،موقع الميادين نت، ٢٦ أيار ٢٠٢٣م.

[(٢)] يقصد رواية الإمام مسلم: عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».صحيح مسلم،كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ،(١٨٣٦/٤برقم٢٣٦٣).والجابري هنا يناقض نفسه حيث قال في كتابه العقل السياسي العربي، (صـ٣٢٠)،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، الطبعة: الثالثة،١٩٩٥م.حيث قال:" تلك هي

٢-مضمون الشبهة:

- الفقه الإسلامي يقتصر على الأحكام التعبدية والشعائرية، متجاهلًا الجوانب الاقتصادية والزراعية والاجتماعية.
- يوحي بأن الشريعة غير قابلة للتطبيق في الحياة المعاصرة إلا جزئيًا.

٣-هدف الشبهة:

- الطعن في شمولية ومرجعية الفقه الإسلامي.
- التشكيك في قدرة الشريعة على تنظيم الحياة اليومية بما يواكب العصر.
- ترويج فكرة ضرورة تحديث شامل أو استبدال الفقه بتشريعات حديثة.

٤- مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الافتراض الخاطئ: أن الفقه يجب أن يغطي كل تفاصيل الحياة، بينما المقصود منه المبادئ العامة التي تُستنبط لتطبيقها في مختلف المجالات.
- تجاهل الاجتهاد: الفقه الإسلامي قابل للتجديد والاجتهاد بما يناسب التطورات.

المعالم الرئيسية للنموذج الذي يمكن استخلاصه من مرحلة الدعوة المحمدية عن الحاكم في الإسلام ، إسلام عهد النبوة ، إنه نموذج مفتوح بدون شك ، بمعنى أنه يقبل إضافات كثيرة ، مختلفة و متباينة ، و مع ذلك فإن اعتبار هذه المعالم الأربعة : ((و أمرهم شورى بينهم)) ، و ((شاورهم في الأمر)) ، و ((أنتم أدرى بشؤون دنياكم)) ، و ((كلكم راع ، و كلكم مسئول عن رعيته)) ، كضوابط موجهة ، أو كأصول تأسيسية يسد الباب أمام جميع أنواع التسلط و الاستبداد".وهذا اعتراف صريح منه، بوجود أسس نظام حكم في الإسلام موجود زمن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، و هو كفيل بإقامة العدل و الحرية في المجتمع. لكنه مع ذلك سيعود بعد أربع صفحات من كتابه العقل السياسي العربي(صـ٣٢٤)و يقول:" و بعد فليس هناك نظام في الحكم شرّع له الإسلام".

(١) رؤية نقدية معاصرة"دراسة النظريات ونقدها"، لمحمد عابد الجابري، (صـ٨٠)، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإسراتيجية، الطبعة: الثانية، ٢٠٢٣م.

- إساءة تفسير النصوص: قول الجابري "أنتم أعلم بشؤون دنياكم" لا يعني إهمال الفقه للأمور الدنيوية، بل تشجيع على التخصص البشري في المجالات العملية.[1]

٤-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين قالوا بأن الفقه الإسلامي تقييد صارم للعقل البشري، وأن التشريع الإسلامي التقليدي لا يواكب التطورات الاجتماعية والاقتصادية.[2]

٥-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدم بعض الباحثين الفكرة لدعم فرضية أن الفقه الإسلامي غير مرن ولا يواكب الحداثة.[3]
- **في الوسط الإسلامي:** أحدث بلبلة فكرية بين بعض القراء غير المتخصصين، لكنها قوبلت بردود قوية من علماء الفقه وأهل السنة الذين أكدوا أن الفقه يغطي المبادئ والقواعد العامة التي تُطبّق على جميع مجالات الحياة.[4]

---

[1] انظر: مستجدات العصر ومظاهر التكامل المعرفي في التعامل الفقهي، لعبد الله الزبير عبد الرحمن،(صـ٩ ومابعدها)،مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية، المؤتمر العلمي العالمي الثاني، التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الكون، المحرّم ١٤٣٠هـ - يناير ٢٠٠٩م.

[2] **Le Bon, Gustave. The Psychology of Peoples. London: Macmillan, 1896, pp. 310–312.**

غوستاف لوبون. علم نفس الشعوب. لندن: ماكميلان، ١٨٩٦، ص ٣١٠–٣١٢.

[3] Le Bon, Gustave. The Psychology of Peoples. London: Macmillan, 1896, pp. 310–312.

غوستاف لوبون. علم نفس الشعوب. لندن: ماكميلان، ١٨٩٦، ص ٣١٠–٣١٢.

[4] انظر: مستجدات العصر ومظاهر التكامل المعرفي في التعامل الفقهي، لعبد الله الزبير عبد الرحمن،(صـ٩ ومابعدها).

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الفقه ليس موسوعة تعليمية لكل تفاصيل الحياة، بل نظام استرشادي يُفسّر ويُطبّق وفق الظروف.
- افتراض أن الفقه ناقص لأنه لم يذكر كل صغيرة وكبيرة يخالف المنطق: التشريع يترك تفاصيل الحياة للبشر ضمن المبادئ العامة.[١]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- تاريخيًا، الفقه الإسلامي وضع قواعد الزراعة والمال والتجارة والمواريث، وهي أساس الحياة العملية.
- تطورت القوانين الفقهية لتناسب واقع الدول الإسلامية في العصور المختلفة.[٢]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين المنصفين أقروا أن الفقه الإسلامي شامل ومتكامل ويوازن بين الجانب التعبدي والحياتي، وأن فكرة إهمال شؤون الدنيا خاطئة.[٣]

---

[١] انظر: الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، لعبد المجيد محمود عبد المجيد،(صـ٥٧١ ومابعدها)،مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

[٢] انظر: الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، لعبد المجيد محمود عبد المجيد،(صـ٥٧١ ومابعدها).

[٣] William Montgomery Watt, Islamic Political Thought (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1968), pp. 45–46.

وات، ويليام مونتغمري، الفكر السياسي الإسلامي (إدنبرة: مطبعة جامعة إدنبرة، ١٩٦٨)، ص ٤٥-٤٦. ١٥٤

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس لا يوجد به تشريع شامل لكل تفاصيل الحياة اليومية، لكنه يترك المبادئ الأساسية ليطبّقها البشر: "وَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ، لِيَكُونَ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّهُ فَرْضٌ لِلأَجْيَالِ إِلَى الدَّهْرِ. فَسَبْتُ الرَّبِّ مِعْلَمٌ لِلأُجْيَالِ، لأَنَّهُ فَرَغَ الرَّبُّ فِي هذَا الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ عَمَلِ خَلْقِهِ الَّذِي صَنَعَهُ".[١] وهذا يدل على أن ترك التفاصيل للبشر ضمن المبادئ العامة أمر طبيعي في كل الشرائع السماوية، وينقض دعوى إهمال الفقه الإسلامي.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي

<u>وجوه إبطال الشبهة إجمالاً:</u>

١- الإسلام دين الوسطية التي تجمع بين المادية والروحية.

٢- آيات كثيرة من القرآن وأحاديث متنوعة دلت على اهتمام الإسلام بالزراعة وعدم إهماله لها.

٣- شهادات المنصفين من الغرب على اهتمام الحضارة الإسلامية بالزراعة والتقدم فيها.

- **<u>وجوه إبطال الشبهة تفصيلاً:</u>**

أولاً: الإسلام دين الوسطية: تشير بداية إلى أن الإسلام دين الوسطية فلم يدع إلى روحية مطلقة، ولا مادية مطلقة، فمن حكمته أن جمع بين الطرفين، فلا طغيان على طرف دون طرف، إنما العبرة باستواء واعتدال الحد، وهذا التوفيق بين الطرفين سر من أسرار قوة الإسلام، ولم تذهب هذه القوة إلا حين أضاع المسلمون ميزان الاعتدال بين مطالب الدنيا ومقتضيات الآخرة. أما القول: إن الإسلام كان وراء صرف العرب عن الزراعة، فهذا افتراء؛ لأن الإسلام لا يحث على العمل بالزراعة فحسب، بل يجعله كغيره من الأعمال في مرتبة الجهاد، ومن الآيات التي تشير إلى ذلك قوله عز وجل﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓا۟ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

---

[١] سفر الخروج، الإصحاح ٣١ ، الآيه ١٦-١٧

ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [1]، وقوله – عز وجل – أيضا ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2]. ويقول النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»[3] وقد عرف العلماء الدين الإسلامي بأنه وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات [4]. إذن فهو منظومة شاملة من المبادئ والإرشادات والقوانين تعالج شئون الحياة كافة استعدادا للآخرة، ولا يغفل الحديث عن أصل من الأصول، ولا جانب من الجوانب ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[5]. فكيف يسوغ القول إذن بأنه قد أهمل – ولو بالإشارة – جانبا من جوانب حياة الإنسان الأساسية زراعة كانت أم صناعة أم ما شابه ذلك؟ فهو دين شامل كامل يوازن بين النواحي المادية والروحية، ولا يطغي فيه جانب على آخر.

ثانياً: شواهد اهتمام الإسلام بالزراعة: فمن شواهد اهتمامه بالنشاط العمراني عموما والزراعي خصوصا قوله عز وجل﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [6]، وقوله عز وجل﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ

---

(١) سورة الأنعام، الآية، ١٤١

(٢) سورة الواقعة، الآية، ٦٣،٦٤

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ،(٢٠/٢٥١برقم١٢٩٠٢).

(٤) انظر: وظيفة الدين في الحياة، للدكتور/محمد الزحيلي، صـ٢٠، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

(٥) سورة الأنعام، الآية، ٣٨

(٦) سورة الأنعام، الآية، ١٤١

وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [(١)]، قوله عز وجل﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[(٢)].ومن الشواهد كذلك حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» [(٣)]، وَرَأَى ذَلِكَ عَلِيٌّ فِي أَرْضِ الخَرَابِ بِالكُوفَةِ مَوَاتٌ وَقَالَ عُمَرُ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ» وَيُرْوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَالَ: «فِي غَيْرِ حَقِّ مُسْلِمٍ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ فِيهِ حَقٌّ» [(٤)]وَيُرْوَى فِيهِ عَنْ جَابِرٍ: عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ»، قَالَ عُرْوَةُ: «قَضَى بِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلاَفَتِهِ»[(٥)]

وقد تواترت الأخبار أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قد أمر أهله بالزراعة في مساحات واسعة من المدينة، ومن الآثار كذلك :(عَن أبي عُبَيْدَة بن الحكم عَن عمر بن عبد الْعَزِيز أَنه كتب إِلَى عَامله انْظُر مَا قبلكُمْ من أَرض إلصاقية فأعطوها بالمزارعة بِالنِّصْفِ وَمَا لم يزرع فأعطوها بِالثُّلثِ

---

(١) سورة النحل، الآية، ١١

(٢) سورة الواقعة، الآية، ٦٣-٦٤

(٣) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (١٠٣/٣برقم٢٣٢٠).

(٤) المرجع السابق، كتاب المزارعة، بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا، (١٠٦/٣برقم٢٣٣٥).

(٥) المرجع السابق، كتاب المزارعة، بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا، (١٠٦/٣برقم٢٣٣٥).

فَإِن لم تزرع فأعطوها حَتَّى تبلغ الْعشْر فَإِن لم يَزْرَعهَا أحد فامنحها فَإِن لم تزرع فأنفق عَلَيْهَا من بَيت مَال الْمُسلمين وَلَا تبيرن قبلك أَرضٌ).[١]

إذن فقد دلت هذه الشواهد على حرص تعاليم الإسلام وانتباهها لنشاط حيوي للبشر، وهو الزراعة، وحضها عليه، إلا أن يدعو داعي وقتها يعلو فوق صوت المعركة، فإن انقضت استأنف الناس أعمالهم بعد عودتهم من جبهة الحرب، وبالطبع ليس بسائغ القول بأن تغليب الشئون العسكرية على المدنية زمن الحرب يعني عدم اهتمام الحكومات بهذه الأخيرة، وأكثر القرآن الكريم من الآيات التي تذكر بحرث الأرض وزراعتها؛ وذلك لما في حرث الأرض وزراعتها من الخير المكنون والرزق المقسوم، وقد جعل الله الأرض منشأ الخلق وأصل وجودهم منها يخلقون وفيها يموتون، ومنها يخرجون يوم القيامة تارة أخري(ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ)[٢]، وهكذا عدد الله ما في الجهاد عند طروء الخطر، فهذا نشاط وميدان يغلب ما عداه، ويعطله حتى يفرغ المسلمون من ردع عدوهم.[٣]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» [٤]، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " سَبْعَةٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي

---

[١] تغليق التعليق على صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (٢٠٣/٣)،المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

[٢] سورة طه، الآية، ٥٣

[٣] انظر: الإسلام في قفص الاتهام، للدكتور/ شوقي خليل، صـ ٣١٨ ومابعدها، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

[٤] صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (١٠٣/٣برقم٢٣٢٠).

قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهَرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ "[(١)]. الزراعة رافد من أهم روافد الاقتصاد في القديم والحديث والإسلام لا يرضى من المسلمين أن تبقى الأرض في أياديهم معطلة، ولا أن يزهدوا في الزراعة والفلاحة، ولا أن تشيع فيهم البطالة والعطلة. وقال بعض السلف من أراد أن يتوسع في الرزق فليتقن مع تجارة له ضيعة – أي: مزرعة –، ألا ترى أن الله – عز وجل – قرن بينهما في كتابه، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [(٢)]،وقد بلغ الإسلام المدى وهو يحث على إعمار الأرض، واستخراج خباياها وزراعتها وَرَأَى ذَلِكَ عَلِيٌّ فِي أَرْضِ الخَرَابِ بِالكُوفَةِ مَوَاتٌ وَقَالَ عُمَرُ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ» وَيُرْوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَالَ: «فِي غَيْرِ حَقِّ مُسْلِمٍ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ فِيهِ حَقٌّ»[(٣)] وَيُرْوَى فِيهِ عَنْ جَابِرٍ: عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وعنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ»، قَالَ عُرْوَةُ: «قَضَى بِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلاَفَتِهِ»[(٤)] يقولون: إن مشكلة العالم الحديث هي الانفجار السكاني، والواقع أن مشكلة العالم الحديث هي الدعة والبطالة، وإهمال الأرض وتشجيع الترف المقيت والجشع المميت. إن الأرض خيرها أكثر من أهلها، ولو تعاون البشر على الخير واستقاموا

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، (١٢٢/٥برقم٣١٧٥).

(٢) سورة البقرة، الآية، ٢٦٧

(٣) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا، (١٠٦/٣برقم٢٣٣٥).

(٤) المرجع السابق، كتاب المزارعة، بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا، (١٠٦/٣برقم٢٣٣٥).

على نهج الله لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.وما الحياة بأنفاس نرددها إن الحياة حياة العلم والعمل[(١)]

وأخيرا أيبغي هؤلاء المدعون اهتماما أكثر من قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «إذا قامت القيامة، وبيد أحدكم فسيلة فليغرسها»؟ [(٢)]أم أنه يصدق هنا قول الشاعر[(٣)]:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ثالثاً: شهادات المنصفين على هذا الاهتمام في تاريخ الحضارة والتمدن الإسلامي: وفي كتاب الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى يورد د. عبد المتعال الجبري شهادات الغربيين على مدى اهتمام الحضارة الإسلامية بالنشاط الزراعي، فيقول: قال رامبو لم يكن في عصر العباسيين أهم من مهنة الفلاحة، فقد أظهر العرب بمهارتهم مزايا فواكه الفرس، وأزهار إقليم مازندران، وقد أغنوا العلم – ولا سيما علم النبات – بمسائل جديدة كثيرة ومعظم المستحضرات والأدوية المستعملة كالأشربة، والدهون، والمراهم وغيرها فهم الذين كشفوها.

ومضى دهر طويل كانت فيه شعوب الأمة العربية أول العارفين بالزراعة، وأحسن العمال، وأصبحت الزراعة التي أخذوها من أساليب بابل، والشام، ومصر علما حقيقيا للعرب أخذوا نظرياتها من الكتب، ثم وسعوها بتدقيقاتهم وتجاربهم، وكانوا يطبقونها بمهارة، ولا يستنكف أعلى الطبقات عن العمل بأيديهم في زراعة الأرض، بينما كان غيرهم يحتقرها ويعدها عملا مهينا، وقد

---

(١) انظر: الإسلام وفقه الحياة، للدكتور/ محمود الديك، صـ ٢١٢-٢١٧ ، مطابع البيان التجارية، دبي ، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

(٢)مسند الإمام أحمد بن حنبل، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ،(٢٠/٢٥١برقم١٢٩٠٢).

(٣) ديوان النابغة الذبياني، لزياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة بن عوف بن سعد، الذبياني، الغطفاني (المتوفى: ٦٠٥ م)، صـ٢، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

روى "دوزي"[١] أن ابن الخطيب لم يكتسب من غير التجارة والفلاحة مالا. وقد أقام من أعمال العمران ما يحسده عليه أعظم طواغيت الزمان.

وقال سنيوبوس[٢] في "تاريخ الحضارة"[٣]: جرى أمراء العرب على أصول إسقاء الأرضين بفتح الترع فحفروا الآبار، وجازوا بالمال الكثير من عثروا على ينابيع جديدة ووضعوا المصطلحات لتوزيع المياه بين الجيران، ونقلوا إلى إسبانيا أسلوب الفواغير (جلب المياه الجوفيه بدون آلة ضخ)؛ لتمنح المياه، والسواقي التي توزعها، وإن سهل بلنسية الذي جاء كأنه حديقة واحدة هو من بقايا العرب وعنايتهم بالسقيا. وقال أيضا : لقد نظم العرب ديوان المياه الذي كان يرجع إليه في شئون الري، وذكر ويليام ويلكوكس[٤]: أن عمل الخلفاء في ري العراق في الأيام الماضية يشبه أعمال الري في مصر والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا في هذا العصر. ولعله يعني ري الحياض في بعض المناطق، وبالآلات في بعضها الآخر، وبالأمطار في مناطق أخرى..وذكر سنيوبوس[٥] أن العرب استعملوا جميع أنواع الزراعة التي وجدوها في مملكتهم، وحملوا كثيرا من النباتات إلى صقلية وإسبانيا، وربوها في أوربا فأحسنوا تربيتها حتى لتظنها متوطنة.. وقال ديسون: إن استبحار

---

[١] سبق ترجمته، (صـ٢٢٩).

[٢] شارل سينيوبوس (بالفرنسية: Charles Seignobos) (١٨٥٤ – ١٩٤٢ م) هو مؤرخ فرنسي. درس بجامعة باريس. ومن أشهر مؤلفاته: " تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر "، طبع أكثر من مرة، وترجم لأكثر من لغة. **انظر**: (مدونة شارل سينيوبوس) ويكيبيديا– الموسوعة الحرة– الأنترنت.

[٣] تاريخ حضارات العالم، لشارل سنيوبوس، ترجمة و تحقيق: محمد كرد على، العالمية للكتب والنشر،٢٠١٢م.

[٤] السير وليام ويلكوكس William Willcocks KCMG (عاش ٢٧ سبتمبر ١٨٥٢، الهند – ٢٨ يوليو ١٩٣٢، القاهرة، مصر) مهندس مدني بريطاني في أوج الامبراطورية البريطانية. اقترح وبنى سد أسوان (١٨٩٨–١٩٠٢)، بحجم غير مسبوق. ونفذ العديد من مشاريع الري الكبرى في أفريقيا الجنوبية والمناطق العربية التابعة للدولة العثمانية.**انظر**: (مدونة وليام ويلكوكس)موقع معرفة، الأنترنت.

[٥] سبق ترجمته، (صـ٧٦٩).

عمران العرب مع سرعة انتشار سلطتهم في المعمور يدل على مكانتهم في التقدم، فكانت هذه الحضارة مزيجا للحضارات، وتم هذا المزيج المدني بأمرين عشق التجارة، والغرام بالتعمير..ويقول المستشرق لويس البرتغالي[١]: إن تاريخ العرب حافل بذكائهم وتقدمهم وسيادتهم في كل العلوم والفنون حتى في الزراعة؛ فقد كانوا بعد غزوهم إحدى المقاطعات حين يجدونها خربة يحيلونها بعد سنين إلى جنات حقيقية بفضل مساعيهم وتفوقهم وتدابيرهم العجيبة.. وأخذت فرنسا عن العرب – بعد فتحهم الأندلس وجنوب فرنسا – أساليبهم في الزراعة، وحفر الترع والخلجان ونظام الري، وبلدوا في الأندلس النباتات والأشجار التي لم تكن تعرفها، فانتقلت إلى أوربا قوته." [٢]

الخلاصة:

الإسلام معروف بوسطيته، فلم يدع إلى روحية مطلقة ولا إلى مادية بحتة، فمن حكمته أن وازن بين الطرفين وراعى الجانبين، وهذا سر الشواهد من القرآن والسنة والآثار شاهدة على اهتمام بالغ بالزراعة والعمران.المنصفون من الغربيين شهدوا باهتمام المسلمين بالزراعة وفنون الري، وسجلوا إنجازاتهم الباهرة في هذا الشأن.

---

[١] لويس الأول (بالبرتغالية**Luís I de Portugal** :) (٣١ أكتوبر ١٨٣٨– ١٩ أكتوبر ١٨٨٩) هو الابن الثاني لأمير فرناندو من ساكس كوبرغ وغوتا (فرناندو الثاني) هو ملك للبرتغال بعد وفاة أخوه الأكبر بيدرو الخامس الذي توفي دون وريث ذكر وكان قبل ذلك دوق باجة وفيسيو قبل الحكم، تزوج من الأميرة الإيطالية ماريا بيا السافوية ابنة ملك إيطاليا الموحدة فيتوريو إمانويلي الثاني، وانجبا كارلوس الأول وأفونسو.انظر: (مدونة لويس الأول)ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الأنترنت.

[٢] انظر: الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى، للدكتور/ عبد المتعال الجبري صـ٣٨–٤٠، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

استنتاج

وفي نهاية الفصل حول موقف المستشرقين من الفقه الإسلامي، واستفادة الفكر الحداثي المعاصر من أثر هذا الموقف، يختم الباحث بالآتي:

أولاً: إن مقولة أن الفقه الإسلامي قد تأثر بمصادر أجنبية كالقانون الروماني، أو أنه امتداد للعرف السائد عند العرب قبل الإسلام، تقوم على الخلط بين جانب من الفقه الإسلامي وجانب آخر، تخلط بين الفقه الإسلامي من حيث كونه منبثق من الوحي ومصدره الكتاب والسنة، وأن الشريعة الإسلامية قد اكتملت في حياة الرسول -- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - - في مبادئها الأساسية وأحكامها العامة وسار عليها سلف الأمة الصالح، وبين بعض مسائل الاجتهاد وما انبثق عنه من ثروة فقهية قام بها فقهاء الأمة سواء في بعض القضايا المستجدة أو تطبيق أحكام الشريعة على الوقائع والحوادث التي تجري في حياة المسلمين.

ثانياً: إن الشريعة الإسلامية من حيث مصدرها ومن حيث واقعها متميزة عن غيرها، (ويدل كل ما فيها على أنها قائمة بذاتها غير مستمدة من غيرها ولا متأثرة به)[١]، وهذا ما وصل إليه نفر من المستشرقين جاء الاستدلال بأقوالهم فيما سلف.

ثالثاً: ظاهرة الاقتباس والتأثر والتأثير واضحة في تاريخ القانون الروماني وغيره وكلها عرضة للتغيير والتبديل والإلغاء..أما الشريعة الإسلامية وفقهها فإنها اختصت بصفات الثبات والاستمرار في جانب من أحكامها، واتسمت بالمرونة ومواكبة التطورات في جانب آخر مما أهلها للإحاطة بقضايا الإنسان وشمول أحكامها لمستجدات الزمان والمكان. وفي هذا الصدد عاب بعض المستشرقون على بعض الدول العربية والإسلامية إدخال القوانين الوضعية في بلدانهم وإحلالها محل الشريعة:(إن فقهكم الإسلامي واسع جدًا إلى درجة أنني أعجب كلما فكرت

---

[١] المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، لعبد الكريم زيدان، صـ٧٥.

في أنكم لم تستنبطوا من الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم).[(١)]:(إن النظام القانوني الإسلامي حيّ ومتفاعل ومطبق في المجتمعات الإسلامية وقائم في ضمائر أفرادها، وينبغي أن يعتمد عليه في تشكيل النظم القانونية في البلاد الإسلامية، لتأتي هذه النظم معبرة عن روح البلاد التي تطبقها).[(٢)]

رابعاً: أثبت بعض الدارسين في تاريخ القوانين أن القانون الغربي هو الذي تأثر بالفقه الإسلامي، وأفاد منه في خلال الاحتكاك الحضاري في الأندلس ومن منافذ أخرى، أما ما حدث في الأندلس فورد في بعض المصادر (أنَّ طلبة العلم من الإفرنج الذين كانوا يسافرون إلى غرناطة لطلب العلم اهتموا كثيرًا بنقل فقه الإسلام إلى لغتهم لعلهم يستعملونه في بلادهم لرداءة ما فيها من الأحكام خصوصًا في المئة الرابعة والخامسة من الهجرة، ومن الثابت أن كثيرًا منهم قد برعوا في اللغة العربية، ومنهم "هوبر" و "ألبرت"، اللذان طلبا مساعدة علماء المسلمين بغية التمكن من استيعاب هذه الأحكام، وقد ساعدوهم حتى دونوا الفقه كاملًا ثم حوروه إلى ما يوافق بلادهم).[(٣)]

وأن طلبة العلم أولئك (اتفق رأيهم على عدم غزو المأخوذ عن الشرائع الإسلامية لمنبعه الأصلي خوفًا من نفرة العامة من المسيحيين الذين كانوا بواسطة رؤساء الدين ينفرون من كل شيء مصدره الإسلام مهما كان حسنًا ونافعًا، فاتفقوا على إهمال مصدر ما يأخذونه عن الشريعة

---

(١) : الاستشراق والفقه الإسلامي، لمحمد الدسوقي، صـ٧٠٨.

(٢) النظام القانوني الإسلامي في الدراسات الاستشراقية المعاصرة (دراسة لمنهج المستشرق: نويل ج. كولسون)،لمحمد سليم العوا، (١/ ٢٥٤، ٢٥٥)، بحث مدرج في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. وانظر: دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي،لسامي الصفار، صـ١٤٥، الاستشراق والمستشرقين، مجلة المنهل، ١٤٠٩ هـ.

(٣) الحقوق المدنية في العالم القديم ومنابعها الثابتة، لسعيد الغزي، صـ١١٦، الجزء الرابع، المجلد الثاني، مجلة المجمع العلمي العربي، ١٣٤٠هـ – ١٩٢٢م.

الإسلامية من تلك الحقوق الشرائع الرومانية أو القانون المدني بل لقد عزوا ذلك إلى اجتهادات علماء الحقوق منهم بنتيجة البحث والدرس). [1]ويؤكد الباحث بأن مسألة الظهور القانون الروماني فجأة بعد اختفائه مدة أربعة أو خمسة قرون تعزز هذه المقولة.

خامساً: فأقوال المستشرقين لاتعد أدلة صحيحة، وأنها مجرد فرضيات لا تثبت أمام البحث التاريخي والنقد الموضوعي.

سادساً: وتوافر عدد من المستشرقين على نقد بعضهم بعضهم الآخر حتى ليكاد الباحث في دراستهم وبحوثهم وأقوالهم أن يخرج بنتيجة باهرة البيان، وهي كون الشريعة الإسلامية مفخرة البشرية إذا هي انضوت تحت لوائها وطبقت أحكامها وأفادت من حلولها الناجعة لمشكلات الإنسانية جميعًا حتى في العصر الراهن، وعن هذا المعنى قال أحدهم: (إنَّ البشرية تفخر بهذا التشريع، وإننا سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألف عام).[2]

سابعاً: اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرًا من مصادر التشريع، وأنها قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها.[3]

ثامناً: أن من ذهب إلى القول بأن المسلمين لم يُضيفوا للقانون الروماني إلا الأخطاء[1]، ويعلِّق ساسي سالم الحاج على هذه الأقوال وغيرها بقوله: إنها عبارات ذات دلالة "على التعسُّف والهوى وعدم الإنصاف والحيدة عن الموضوعية العلمية").[2]

---

(١) الحقوق المدنية في العالم القديم ومنابعها الثابتة، لسعيد الغزي، صـ١١٦.

(٢) الاستشراق والفقه الإسلامي، لمحمد الدسوقي، صـ٧٠٨.

(٣) المؤتمر القانوني المقارن الدولي الذي انعقد بمدينة (لاهاي) في دورته الثانية في جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ هـ/ ١٩٣٧ م،وانظر: المدخل إلى التشريع الإسلامي، لكامل موسى، صـ١٨٩- ١٩٠،الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

تاسعاً: ومما قيل يعلم أنّ دعوى "تأثير الفقه الرومي في الفقه الإسلامي" هي دسيسة من المستشرقين وادعاء لا أساس له، الفقه الإسلامي هو مجموعة أحكام استنبطت من الأدلة الشرعية، وما لم يكن مستنداً إلى دليل فهو ليس من مسائل الفقه الإسلامي. وفي هذا الصدد يقول الدكتور السنهوري[٣]:(إن هذا القانون بدأ عادات..ونما وازدهر عن طريق الدعوى والإجراءات الشكلية. أما الشريعة الإسلامية فقد بدأت كتابا منزلا من عند الله، ونمت وازدهرت عن طريق القياس المنطقي والأحكام الموضوعية، إلا أن فقهاء المسلمين امتازوا عن فقهاء الرومان، بل امتازوا عن فقهاء العالم باستخلاصهم أصولا ومبادئ عامة من نوع آخر هي أصول استنباط الأحكام من مصادرها، وهذا ما سموه بعلم: أصول الفقه).[٤]

عاشراً: إن الفقه الأسلامي مستمد من الكتاب والسنة فمصدره الأساس إلهي على حين يقوم القانون الروماني على مشيئة الأنسان أي مصدره بشري.[٥]

الحادي عشر: إن الفقه الإسلامي شامل لما يسمى بالعبادات والمعاملات ولكن القانون الروماني لا يهتم بالمسائل الروحية. [٦]

---

[١] انظر: بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني،لصوفي أبو طالب، صـ ٤ – ٥، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٩م.

[٢] انظر: نقد الخطاب الإستشراقي الظاهرة الاستشراقيه وأثرها في الدراسات الإسلامية، لساسي سالم الحاج، صـ ٢: ٤٥٠، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م.

[٣] سبق ترجمته، صـ٦٨٦.

[٤] أصول القانون أو المدخل لدراسة القانون، للدكتور/ عبد الرزاق أحمد السنهوري،صـ١٣٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٤١م.

[٥] انظر: الفقه الإسلامي في دراسات المستشرقين، د.بان حسين حسن السنجري،(صـ٦–٨)، مجلة كلية البنات.

[٦] الاستشراق والفقه الاسلامي، الدسوقي، ص ١٢ وما بعدها،

الثانى عشر: نظم الفقه الإسلامي كل العلاقات الإجتماعية في محيط البيئة والدولة والعالم كله، غير ان القانون الروماني لا يهتم بالسياسة الدولية ويُعد هذا الجانب من علم السياسة لا من علم القانون. [١]

الثالث عشر: لايفرق الفقه الاسلامي بين الناس فكلهم أمام التشريع سواء ولكن القانون الروماني يقرر هذه التفرقة ، فالناس أمامه طبقات. [٢]

الرابع عشر: أقوال بعض المستشرقيين عن الشريعة الإسلامية عامة والفقه الإسلامي خاص:

١-يقول سانتيلا[٣]:(إن في الفقه الاسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدني إن لم نقل أن فيه ما يكفي للإنسانية كلها)[٤].

٢-ويقول سليم باز[٥] القانوني المسيحي اللبنانى:(أعتقد بكل اطمئنان أن في الفقه الإسلامي كل حاجة البشر من عقود ومعاملات وأقضية وإلتزامات، وليس الشاهد على ذلك ماهو

---

[١] انظر: الفقه الإسلامي في دراسات المستشرقين، د.بان حسين حسن السنجري،(صـ٦-٨)، مجلة كلية البنات.

[٢] انظر::مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية(٨٤٨/٢) دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

[٣] ديفيد سانتلانا (١٨٥٥ – ١٩٣١ م) هو مستشرق إيطالي.ولد في تونس، وتعلم في رومة. عني بدراسة الفقه وتحديدا الفقه المالكي.، في سنة ١٩١٠م عين أستاذا لمادة الفلسفة في الجامعة المصرية وله محاضرات قيمة فيها ثم استدعته جامعة روما سابينزا لتدريس التاريخ الإسلامي. من آثاره: «ترجمة وشرح الأحوال المالكية»، «الفقه الإسلامي ومقارنته بالمذهب الشافعي». وله أيضا المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي. **انظر:** (مدونة ديفيد سانتلانا) ويكيبيديا- الموسوعة الحرة-، والموسوعة العربية الميسرة، وموسوعة شبكة المعرفة الريفية، و*موسوعة المستشرقين*: الأنترنت.

[٤] الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها، لأنور الجندي،صـ ٢٩٥.

[٥] سليم رُستُم باز (٥ يونيو ١٨٥٩ – ١٩٢٠) قاضي وعالِم حقوقي لبناني عثماني. ولد في دير القمر ودرس في بيروت ومات بها. عمل محاميًا ثم تقلب بين عدة مناصب القضاء حتى مدعيًا عامًا. كان فقيهًا ومشرّعًا قضائيًا ومترجمًا، وهو من أركان العدليّة في عهد المتصرفيّة، من مؤلفاته: «شرح قانون المحاكمات الجزائية

للأنظار، في دار الكتب المصرية، وخزانة الكتب في البلاد الإسلامية فحسب، بل في خزائن دار الكتب الأوروبية أيضا من لندن وهولندة إلى روما وبرلين وباريس والمتحف البريطاني بل إلى المكتبة البابوية في قصر الفاتيكان). [(١)]

٣-ويقول جرجي زيدان[(٢)] **على ماله من هفوات في كتبه سواء منها رواياته الإسلامية أو غيرها في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية):(وأما المسلمون فإنهم استخرجو أحكامهم من القرآن والحديث ولم يمض عليهم قرنان والثالث حتى نضجت شريعتهم وتكون فقههم وهو من أفضل شرائع العالم).**[(٣)]

المؤقت«قانون الجزاء الهمايونى«. **انظر:** (مدونة سليم باز) ويكيبيديا- الموسوعة الحرة-، ومجلة محكمة،مقال: سليم باز القاضي الملهم/ سميح الصفير، ١٩-٦-٢٠٢٠م.

(١) الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها، لأنور الجندي، صـ ٢٩٥.

(٢) جُرجي حبيب زيدان (١٠ جمادى الآخرة ١٢٧٨ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨٦١م - ٢٧ شعبان ١٣٣٢ هـ / ٢١ يوليو ١٩١٤م) أديب وروائي ومؤرخ وصحفي لبناني. أجاد اللغة العبرية والسريانية والفرنسية والإنجليزية. أصدر مجلة الهلال التي كان يقوم بتحريرها بنفسه في ربيع الأول ١٣١٠ هـ الموافق لعام ١٨٩٢م، من كتبه «تاريخ التمدن الإسلامي» و«تاريخ آداب اللغة العربية» و«تراجم مشاهير الشرق».**انظر:** (مدونة جُرجي حبيب زيدان) ويكيبيديا- الموسوعة الحرة-،الانترنت.

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، (٢١٦/١)، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت، ١٩٨٣م.

الباب الرابع

موقف المستشرقين من قضايا اللغة العربية

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

آراء المستشرقين الإيجابية حول قضايا اللغة العربية.

الفصل الثانى:

آراء المستشرقين السلبية حول قضايا اللغة العربية.

الفصل الثالث

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين في نظرتهم إلى اللغة العربية.

الفصل الأول

آراء المستشرقين الإيجابية حول قضايا اللغة العربية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف علم الأدب العربي.

المبحث الثاني: أفضلية القرآن الكريم على الإنجيل.

المبحث الثالث: شعر الفتوحات الإسلامية.

المبحث الرابع: نفى مانُسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

المبحث الخامس: نفى مانُسب في كتب التاريخ في قضية التحكيم.

المبحث الأول

تعريف علم الأدب العربي

يُعد علم الأدب العربي من أهم العلوم الموصلة لفهم كلام العرب، وفهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ومما يُحسب لنالينو في هذا المبحث قُرب تعريفه لتاريخ الآداب العربية لهذا المفهوم.

أولاً: علم الأدب العربي في اللغة:

فقد تعدد مفهوم الأدب العربي لغة إلى عدة معان، منها:

١–**الأدب لغةً:** هو الظَرْفُ وحُسْن التناول. يُقال: تأدّب الغلام في كلامه مع أبيه، أي تحاشى الكلامَ الخارج عن حدود الأدب. وسُمّيَ الأدب أدباً لأنه يُوجّه الناسَ إلى المحامد وينهاهم عن القبائح. وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للطعام الذي يُدعى إليه الناس مَدْعاة ومَأْدُبَة.[١]

٢–ويُعرف نالينو الأدب: أنه صناعتا النظم والنثر البليغ.[٢]

ويظهر من خلال تعريف علم الأدب في اللغة أن الأدب: هو علو اللسان، وحسن البلاغ، وقوة الأداء.[٣]

---

[١] انظر: الغريبين في القرآن والحديث، لأبى عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)،(٥٦/١). تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م

[٢] تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٣١)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م.

[٣] في الأدب الحديث، لعمر الدسوقي، دار الفكر العربي، الطبعة: الجزء الأول ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠م

ثانياً: علم الأدب العربي في الاصطلاح:

فقد تعدد مفهوم الأدب اصطلاحاً إلى عدة معان، منها:

١- الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف.[١]

٢- الأدب هو عبارة عن معرفة ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ.[٢]

٣- الأدب هو "علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه، وصيانته عن الأخطاء والخلل.[٣]

٤- ويُعرف نالينو الأدب أيضاً بأنه: الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب.[٤]

ويتبين من خلال التعريفات الاصطلاحية سالفت الذكر، أن الْأَدَب: هُوَ علم يحْتَرز بِهِ عَن الْخلَل فِي كَلَام الْعَرَب لفظا أَو كِتَابَة، أُصُوله: اللُّغَة، وَالصرْف، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، وَالْبَيَان، وَالْعرُوض، والقافية. وفروعه: الْخط، وقرض الشّعْر، والإنشاء، والمحاضرات وَمِنْهَا التواريخ، والبديع ذيل للمعاني وَالْبَيَان".[٥]

---

[١] مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد ، ابن خلدون (المتوفى : ٨٠٨هـ)،(صـ٤٠٨)، المطبعة البهية-مصر، الطبعة:الأولى.

[٢] التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، (صـ٢٩)، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ

[٣] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،(٢/٣٥٦)،المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

[٤] تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٣٦).

[٥] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)،(صـ٦٨)،المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

المبحث الثانى

أفضلية القرآن الكريم على الإنجيل

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

يقول ريجيس بلاشير[١]:"إن القرآن يفرض نفسه بقوة لا نجدها في الأناجيل؛ فبينما تظهر الأناجيل في صورة روايات تاريخية وسير ذاتية كتبها بشر عن حياة المسيح، يبرز القرآن كخطاب إلهي مباشر يتسم بوحدة عضوية وتماسك مذهل. إن القوة النفسية التي يشعها النص القرآني، وإيقاعه الصوتي الموسيقي، وقدرته على دمج التشريع بالوعظ في سياق واحد، كل ذلك يجعل منه نصاً يتفوق بوضوح على الأناجيل من حيث التأثير الفوري والعميق في وجدان المؤمنين به، ومن حيث قدرته على البقاء نصاً حياً غير قابل للتحريف أو التبدد في الروايات البشرية." [٢]

" كان للقرآن من التأثير العظيم الذي لا يقدر مقداره في حياة الأمم الإسلامية وآدابهم وعلومهم وهو أكبر من تأثير الإنجيل في النصارى لأن مدار الإنجيل ليس إلا على العقائد والأخلاق خلافاً للقرآن الذي يتضمن أيضاً أحكاماً فقهيّة مهمّة أساسية لا يجوز للمسلم الانصراف عنها في

---

[١] ريجيس بلاشر blachere , r . L (١٩٠٠م – ١٩٧٣م) فرنسي كتب عن القرآن الكريم ، وحضارة الاسلام ولد في مون روج بالقرب من باريس، وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء، وتخرج بالعربية من كلية الآداب بالجزائر (١٩٢٢) وعين أستاذاً لها في معهد مولاي يوسف بالرباط. من آثاره: دراسات رصينة عن العرب في أشهر المجلات الاستشراقية، كمجلة الدراسات الإسلامية، وهسبيريس، وحوليات معهد الدراسات الشرقية. انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي(١/٣١٦)

[٢] القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، لريجيس بلاشير ،(صـ١٧٠)، ترجمة: د. رضا سعادة دار الكتاب اللبناني –بيروت، ١٩٧٤م.

التشريع. فالتشريع عند النصارى عمل بشرى ليس له ارتباط متين بأقوال الإنجيل أما التشريع في الإسلام فلا يتصور إلا كفرع من العلوم النقلية الدينية أصوله في القرآن والسنة والاجماع. فلهذا السبب أيضاً تنطوى كتب الفقه الإسلامية على العبادات التي لا مكان لها فى فقه الأمم النصرانية . وكفى ذلك برهاناً على عظيم شأن القرآن في الهيئة الاجتماعية الإسلامية ودخول أحكامه فى أمور تكون دنيوية فقط عند النصارى". [(١)]

وذكر نالينو اهتمام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين بالقرآن الكريم ونقله في شتى الأمصار فاعتني به القراء، والنحاة، والمفسرون، والأصوليون، والخطباء والوعاظ، والكتَّاب والشعراء، مما كان سبباً في تقدم الكثير من العلوم، فيقول:" ثم لا شك فى أنّ القرآن كان أشد العوامل في انتشار لغة العرب في غير بلادهم القديمة وصيرورتها لغة العلم عند كافة المسلمين مهما كان بعد مساكنهم عن أقطار الحجاز . ولا ريب أيضاً أن القرآن كان مصدر علوم شتى اختص بها المسلمون أو ساعدهم على التقدم فى علوم أخرى فقال جلال الدين السيوطي–رحمه الله–[(٢)] في النوع الخامس والستين من كتاب الإتقان فى علوم القرآن نقلاً عن تفسير ابن أبي الفضل المرسى ما نصه[(٣)]: « ثم [أى بعد التابعين] تقاصرت الهيمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه

---

(١) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٨٢–٨٣).

(٢) السيوطى(القاهرة ٨٤٩ هـ/١٤٤٥م – القاهرة ٩١١ هـ/١٥٠٥م)جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن الشيخ همام الدين الخضيري السيوطي المشهور، ومفسر، ومؤرخ، وأديب، وفقيه شافعي. له نحو ٦٠٠ مصنف. ومن مصنفاته: الإتقان في علوم القرآن، توفي ودفن خارج باب القرافة في القاهرة.

انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)،(٢/٢٤٨).

(٣) الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،(٤/٣١–٣٣)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسموا القراء واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدى ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى أن بعضهم أعرب مشكله وبعضهم أعربه كلمة كلمة واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ولفظاً يدل على معنيين ولفظاً يدل على أكثر فأجروا الأول على حُكمه وأوضحوا معنى الخفى منه وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعانى وأعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(١)] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وسموا هذا العلم بأصول الدين وتأملت طائفة منهم معانى خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا فى التخصيص والإخبار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهي والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء وسموا هذا الفن أصول الفقه وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام فأسسوا أصوله وفرعوا فروعه و بسطوا القول في ذلك بسطاً حسناً وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً وتامحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال وتكاد تدكدك الجبال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولا من المواعظ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية، ٢٢

وأصولا من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد فى قصة يوسف في البقرات السمان وفى منامي صاحبي السجن وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة وسموا تعبير الرؤيا واستبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فإن عز عليهم إخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب فإن عسر فمن الحكم والأمثال ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم وعُرف عادتهم الذى أشار إليه القرآن بقوله وأمر بالعرف وأخذ قوم مما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول واستخرجوا منه أحكام الوصايا ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادىء والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والإطناب والإيجاز وغير ذلك واستنبطوا منه المعانى والبيان والبديع ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاما اصطلحوا عليها مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك هذه الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية منه ".[١]

٢-مضمون الشبهة:

- القرآن كتاب ديني تشريعي يهيمن على الحياة كلها، فوظيفته ليست دينية فقط بل دنيوية أيضًا.
- المسيحية تفصل بين الدين والتشريع، أمّا الإسلام فلا يقبل الفصل.
- لذلك يرى أن المجتمع الإسلامي مقيد بأحكام ثابتة مصدرها النص.

٣-هدف الشبهة:

- إظهار أن القرآن ليس كتاب هداية فقط بل كتاب تشريعات تقيد التطور البشري.
- التلميح بأن الشريعة الإسلامية نظام جامد بخلاف القوانين الغربية الحديثة.

---

[١] تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٨٣-٨٥).

- تبرير التفوق الحضاري الغربي بدعوى أن الأديان الأخرى كالنصرانية لا تضع تشريعات تُقيّد المجتمع.
- إظهار أن الارتباط بالنصوص سبب تأخر المسلمين.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين ثبات المبادئ ومرونة الفروع: فالشريعة الإسلامية ثابتة في الكليات، مرنة في التفريعات، بخلاف ماتم تصوّره في الشبهة.
- المقارنة غير المتكافئة بين الإسلام والمسيحية المحرَّفة اليوم: فالمسيحية الحالية لا تمثل المسيحية الأولى التي كان فيها تشريع (كما في العهد القديم).
- إغفال التطور التشريعي الإسلامي عبر الاجتهاد: فالإسلام يضم أصولًا مرنة: المقاصد، القياس، المصالح، سد الذرائع، العرف وغيرهم.
- قصر نظر في فهم العلوم الإسلامية: فالشبهة تظن تعدد العلوم دليل تشتت، بينما هو دليل عظمة القرآن ومنهجيته؟[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين قاموا بالمقارنة بين المجتمع الأوروبي الحديث والمجتمع الإسلامي التقليدي، والنظرة اللاهوتية المسيحية التى تفصل بين الدين وتشريعات الدولة، معتمدين على سوء فهم لفلسفة التشريع الإسلامي ومقاصده.[٢]

---

[١] انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبى عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)،(٨١/١)،قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

[٢] Gibb, H. A. R. Islam: A Historical Survey. Oxford: Oxford University Press, 1953. pp. 29–35.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** تكررت الفكرة عند كثير من المستشرقين الذين يصورون الشريعة الإسلامية بأنها نظام جامد يعوق التقدم.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** رد عليها علماء الشريعة والنهضة التى ساهمت في إثارة نقاشات حول التجديد والفقه الحضاري وتطور التشريع.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- ادعاء أن التشريع الإلهي يعيق الحياة ادعاء بلا دليل.
- وجود تشريع إلهي ثابت في القيم الكبرى كالعدل، والحرية، والحقوق لا يعيق التطور بل يضبطه.
- الخلط بين الثابت والمتغير في التشريع، فالإسلام يميز بين: ثوابت قطعية، ومتغيرات قابلة للاجتهاد وفق المصالح.
- زعم مرونة القوانين المسيحية غير صحيح، فالمسيحية أُخرجت عمدًا من الحياة السياسية بعد صراع طويل، لا لأنها بطبيعتها غير تشريعية.

جب، هاملتون. الإسلام: دراسة في طبيعة الثقافة الإسلامية. ترجمة فؤاد شبل. بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٢. ص ٣٢–٤٠.

[١]

.Massé, Henri. L'Islam. Paris: Presses Universitaires de France, 1932, pp. 58–62

ماسيه، هنري. الإسلام. ترجمة عادل زعيتر. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠، ص ٧٥–٧٨.

[٢] انظر: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، للإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: ١٣٧٧ هـ)،(١/١٧٠)،جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

- الإسلام يقدم رؤية شمولية متوازنة، تشمل الأخلاق والعقيدة والقانون والاقتصاد والاجتماع وهذا لا يعني الجمود بل التكامل.[١]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الحضارة الإسلامية شهدت تطورًا تشريعيًا هائلًا كالمدارس الفقهية المتعددة، والاجتهادات المختلفة، والأنظمة الإدارية والاقتصادية المتغيرة والتطبيقات العملية المرنة في كل عصر، فأين الجمود؟
- الدول الإسلامية في أوجها لم تكن جامدة، بل تطورت في القانون، القضاء، الإدارة، العمران، الاقتصاد وغيرها، بينما أوروبا كانت تغرق في الإقطاع والظلام.
- الواقع يثبت أن القوانين الوضعية هي التي تغيّر مبادئها كل جيل، بينما التشريع الإسلامي حافظ على الثوابت الأخلاقية.[٢]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أعترفوا بأن الشريعة الإسلامية من أكثر النظم القانونية مرونة وقدرة على التطور.[٣]

---

[١] انظر: البرهان في علوم القرآن، لأبى عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)،(٤٧/٢)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

[٢] الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)،(صـ٤٤-٤٧)،المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

[٣] Shaw, George Bernard. "If Any Religion Had the Chance …" The Genuine Islam, .(Vol. 1, No. 8 (1936

شو، جورج برنارد. «إذا أتيحت الفرصة لأي دين ...». الإسلام الحقيقي، المجلد ١، العدد ٨ (١٩٣٦).

Suleıman, Haitam, and Hatice Aktürk. "Theories of Interpretation: Islamic Law v. International Law." Yıldırım Beyazıt Hukuk Dergisi no. 1 (January 2024): 151–93.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس نفسه يحتوي تشريعات كثيرة كالحدود، والزواج، والطلاق وغيرها:" وَلَكِنْ إِذَا حَدَثَتْ إِصَابَةٌ، فَتَعْوِيضُ حَيَاةٍ بِحَيَاةٍ، عَيْنٌ بِعَيْنٍ، سِنٌّ بِسِنٍّ، يَدٌ بِيَدٍ، رَجُلٌ بِرَجُلٍ " [1] هذا النص يحدد العقوبات الجسدية على أساس العدالة المباشرة، وهو مشابه لقوانين حمورابي في تطبيق العقوبة المتناسبة مع الجريمة:" إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا مَا لَا يَرْضَاهُ، فَكَتَبَ لَهَا شَهَادَةَ طَلَاقٍ وَأَرْسَلَهَا" [2] هذا النص أيضاً يشابه بعض أحكام حمورابي المتعلقة بالزواج المدني والطلاق.المسيح عليه السلام نفسه قال:" لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُنقِضَ النَّامُوسَ أَوِ الْأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لِأُنقِضَ بَلْ لِأُتِمَّ". [3] وهذا يعني استمرار التشريع، لا إلغاءه، والكنيسة الأولى كانت تطبق تشريعًا دينيًا قبل أن تتدخل السياسة وتُخرج المسيحية من التشريع في أوروبا. إذن فصل الدين عن التشريع ليس أصلاً مسيحيًا بل تطورًا سياسيًا غربيًا.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ويُحسب لريجيس بلاشير ونالينو ماذكراه في تاريخ الآداب العربيه، من أفضلية القرآن الكريم على الإنجيل، وتأثير القرآن الكريم في حياة المسلمين، ونؤكد ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والزبور كلها من كتب الله المنزلة على رسله عليهم السلام، ويجب الإيمان بها، فلا يكون العبد مؤمنا حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ومن كفر بشيء منها فهو كافر بالله عز وجل، قال الله جل شأنه﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ

سليمان، هيثم، وحاتسة أكتورك. «نظريات التفسير: القانون الإسلامي مقابل القانون الدولي». مجلة يلدرم بييازيت للقانون، العدد ١ (يناير ٢٠٢٤): ١٥١–١٩٣.

[1] سفر الخروج ، الإصحاح ٢١ ، الآيه ٢٣-٢٥

[2] سفر التثنية، الإصحاح ٢٤ ، الآيه ١-٤

[3] انجيل متى ، الإصحاح ٥ ، الآيه ١٧

كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[(١)]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : " كَانَ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ : (الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ ، وَبِلِقَائِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ).[(٢)]

ثانياً: كتب الله المنزلة على رسله عليهم السلام ليس شيء منها مخلوقاً، فالله عز وجل تكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور على الحقيقة، فالكل كلام الله ، قال تعالى﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٞ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[(٣)]، وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَى ، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ – وفي رواية : كَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ – أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؟ فَقَالَ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى). [(٤)]

قال الشيخ مصطفى الرحيباني رحمه الله[(٥)]: " وَالْحَلِفُ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ بِسُورَةٍ مِنْهُ أَوْ آيَةٍ مِنْهُ يَمِينٌ) ، لِأَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ – تَعَالَى –، فَمَنْ حَلَفَ بِهِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْهُ كَانَ حَالِفًا بِصِفَتِهِ

---

(١) سورة البقرة، الآية، ٢٨٥

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ ،(١/١٩برقم٥٠).

(٣) سورة البقرة، الآية، ٧٥

(٤) صحيح مسلم، كتاب الْقَدَرِ ، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، (٤/٢٠٤٢برقم٢٦٥٢).

(٥) مُصْطَفَى السُّيُوطي(1160 – 1243)هـ = ١٧٤٧ – ١٨٢٧ م)مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرّحيباني مولدا ثم الدمشقيّ: فرضي، كان مفتي الحنابلة بدمشق. وتوفي بدمشق. له مؤلفات، منها (تحفة

تَعَالَى. (وَكَذَا) الْحَلِفُ (بِنَحْوِ تَوْرَاةٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى) كَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ فَهِيَ يَمِينٌ فِيهَا كَفَّارَةٌ ، لِأَنَّ الْإِطْلَاقَ يَنْصَرِفُ إلَى الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا الْمُغَيَّرِ وَالْمُبَدَّلِ ، وَلَا تَسْقُطُ حُرْمَةُ ذَلِكَ بِكَوْنِهِ نُسِخَ الْحُكْمَ بِالْقُرْآنِ، كَالْمَنْسُوخِ حُكْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا كَانَتْ كَلَامَهُ، فَهِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، كَالْقُرْآنِ ".[١]

ثالثاً: الكتب السماوية الموجودة الآن فقد شهد الله عز وجل بأنها محرفة ومبدلة، قال سبحانه﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾.[٣]

قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله [٤]:"فَاليهودُ تَمَرَّدُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ وَبَدَّلُوا الشَّرِيعَةَ عَمْدًا فَلَزِمَهُمْ وَصْفُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَعَلِقَ بِهِمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَالنَّصَارَى ضَلُّوا بَعْدَ الْحَوَارِيِّينَ وَأَسَاءُوا فَهْمَ مَعْنَى التَّقْدِيسِ فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَزَعَمُوهُ ابْنَ اللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ قَالَ

العباد فيما في اليوم والليلة من الأوراد) جمعه من الأصول الستة، و (تحريرات وفتاوى) لم تجمع، تقع في نحو مجلد.

انظر: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة ويليه «فائت التسهيل »، لصالح بن عبد العزيز بن علي النجدي القصيمي البُرَدِي (١٣٢٠ هـ - ١٤١٠ هـ)، (١٦١٧/٣برقم ٢٨٠٥) ،المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

[١] مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)،(٣٦١/٦)،المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

[٢] سورة البقرة، الآية، ٧٩

[٣] سورة النساء، الآية، ٤٦

[٤]سبق ترجمته، (صـ٤٢٢).

تَعَالى﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[1]. وَفِي وَصْفِ الصِّرَاطِ الْمَسْئُولِ فِي قَوْلِهِ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ بِالْمُسْتَقِيمِ إِيمَاء إلى أَنَّ الْإِسْلَامَ وَاضِحُ الْحُجَّةِ قَوِيمُ الْمَحَجَّةِ لَا يَهْوِي أَهْلُهُ إلى هُوَّةِ الضَّلَالَةِ كَمَا قَالَ تَعَالى"﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[2]وَقَال﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[3].[4]

رابعاً: القرآن الكريم له تأثير عظيم في حياة المسلمين، فهو كتاب تذكير وموعظة، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله [5]:"الْقُرْآنَ لَيْسَ كِتَابَ تَدْرِيسٍ يُرَتَّبُ بِالتَّبْوِيبِ وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَكِنَّهُ كِتَابُ تَذْكِيرٍ وَمَوْعِظَةٍ فَهُوَ مَجْمُوعُ مَا نَزَلَ مِنَ الْوَحْيِ فِي هَدْيِ الْأُمَّةِ وَتَشْرِيعِهَا وَمَوْعِظَتِهَا وَتَعْلِيمِهَا ".[6]

---

[1] سورة المائدة : الآية ٧٧

[2] سورة الانعام : الآية ١٦١

[3] سورة الانعام : الآية ١٥٣

[4] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، (١/٢٠٠).

[5] سبق ترجمته، (صـ ٤٢٢).

[6] التحرير والتنوير (٢/٤٦٥).

خامساً: القرآن الكريم أفضل من الكتب السماوية المحرفة، فلا يمكن مقارنتها بالقرآن الكريم:

- **فالقرآن الكريم** محفوظ من التبديل والتحريف، قال تعالى﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾.[(١)] **قال الإمام القرطبي رحمه الله**[(٢)]: " لَا يَأْتِيهِ الْباطِلُ" فِيمَا أَخْبَرَ عَمَّا مَضَى وَلَا فِيمَا أَخْبَرَ عَمَّا يَكُونُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:" مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ" مِنَ اللَّهِ تَعَالَى:" وَلا مِنْ خَلْفِهِ" يُرِيدُ مِنْ جِبْرِيلَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَلَا من محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ." تنيل مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" ابْنُ عَبَّاسٍ:" حَكِيمٍ" فِي خَلْقِهِ" حَمِيدٍ" إِلَيْهِمْ. قَتَادَةُ:" حَكِيمٍ" فِي أَمْرِهِ" حَمِيدٍ" إِلَى خَلْقِهِ. ".[(٣)]
- **والقرآن الكريم باقٍ إلى قيام الساعة قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله** [(٤)]:"هَذَا الدِّين سَيَتِمُّ وَيَنْتَشِرُ الْقُرْآنُ وَيبقى على ممرّ الْأَزْمَانِ. وَهَذَا مِنَ التَّحَدِّي لِيَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ كَالدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ آيَةً عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ أَوْ لَمْ يَكُنْ آيَةً لَتَطَرَّقَتْ إليه الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ وَلَاشْتَمَلَ عَلَى الِاخْتِلَافِ، قَالَ تَعَالَى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [(٥)] ".[(٦)]

---

(١) سورة فصلت، الآية، ٤٢

(٢) سبق ترجمته، (صـ٢١٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،(٣٦٧/١٥).

(٤) سبق ترجمته،(صـ٤٢٢).

(٥) سورة النساء : الآية ٨٢

(٦) التحرير والتنوير (٢٢/١٤)

- **والقرآن الكريم** يشمل حياة الإنسان من كل أطرافها، وحياة المجتمع بكل أبعاده، فهو دعوة شاملة لكل مناحي الحياة، قال تعالى﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[١].

- **والقرآن الكريم أولى بالمتابعة من الكتب السماوية، لأن الله عز وجل فضله عليهم وأمر بمتابعته، فقال جل شأنه﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾.**[٢]

- **عظيم ثواب قراءة القرآن الكريم خلافاً لقارئ التوراة والإنجيل، قال الإمام جلال الدين السيوطى رحمه الله**[٣]:"وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ فِي حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْطِي لِقَارِئِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ الثَّوَابِ مثل ما يعطي القارئ أُمِّ الْقُرْآنِ إِذِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِفَضْلِهِ فَضَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ وَأَعْطَاهَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَى قِرَاءَةِ كَلَامِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى غَيْرَهَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَى قِرَاءَةِ كَلَامِهِ".[٤]

- فلا خلاف بين الأئمة أن القرآن أفضل من التوراة والإنجيل، وهو المهيمن عليها، قال جل في علاه ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾.[٥]

---

[١] سورة النحل: الآية ٨٩

[٢] سورة الأنعام : الآية ١٥٥

[٣] سبق ترجمته، (ص٧٨٢).

[٤] الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،(١٣٦/٤).

[٥] سورة المائدة، الآية، ٤٨

المبحث الثالث

شعر الفتوحات الإسلامية

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

"إن شعر الفتوحات الإسلامية يمثل مرحلة انتقالية كبرى؛ فقد حافظ الشعراء المقاتلون على القالب التقليدي للقصيدة الجاهلية، ولكنهم صبغوه بروح إسلامية جديدة نابعة من ساحات القتال في بلاد الفرس والروم. إن هذا الشعر لم يعد مجرد فخر بالقبيلة، بل أصبح تعبيراً عن عقيدة جديدة تدفع المؤمن للموت في سبيل الله، وهو يتميز بصدق العاطفة وعفوية التعبير التي يفرضها واقع المعركة." [١]

" لإتمام هذا الوصف الإجمالي لآداب العرب في أيام النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والخلفاء الراشدين يبقى على أن ألمح إلى نوع خاص من الشعر تليق به تسميه شعر الفتوحات . قد تقدّم أن عرب الجاهلية كانوا يخلدون مآثر قبائلهم وذكر أيامهم في أبيات توارثها أهل كل قبيلة خَلَفَاً عن سَلَفَ . فكذلك لما فاضت الجيوش الإسلامية بأمواجها على ما خارج أنحاء جزيرة العرب وخفقت ألوية الجنود المظفرة في أطراف النواحي الأعجمية وأقاصى الآفاق أخذت الأعراب الكائنون في جملة المجاهدين يقولون الشعر و ينشدون القوافى وصفاً لما قاسوا من المتاعب وما شهدوا من

---

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي حتى نهاية الدولة الأموية)، لريجيس بلاشير،(صـ٤١٠)، ترجمة: د. إبراهيم كيلاني، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

الوقائع وما قطعوا من البلدان وما كان لهم من البأس وثبات الجنان . فقال مثلاً قيس بن المكشوح المُرادى مفتخراً بقتله رستم أمير جيوش الفرس في يوم القادسية سنة(١٦هـ-٦٣٧م)(١):

حَلَبْتُ الخَيْلَ مِنْ صَنْعَاء تَرْدِي....... بِكُلِّ مُدَجَّج(٢) كالليث سام

إلى وادى القُرَى فديار كَلْبِ.......... إلى اليرموك فالبلد الشام

وجئن القَادِسِيَّةَ بَعْدَ شَهْرٍ............... مُسَوَّمَةً(٣) دَوابِرُها دَوام

فناهَضْنا هنالِكَ جَمعَ كسْرَى............... وأبناء المرازبة الكرام

فلما أنْ رَأَيْتُ الخَيْلَ جَالَتْ(٤)..........قَصَدتْ لِمَوْقِفِ المَلِكِ الهُمام

فأَضْرِبُ رَأْسَهُ فَهَوَى صَرِيعاً................ بِسَيْفٍ لا أَفَلَّ ولا كَهام(٥)

وقد أَبْلَى الإلهُ هناك خَيْراً ....وَفِعْلُ الخَيْرِ عِنْدَ اللهِ نام

فلو جمعنا ما ورد من مثل هذه الأشعار فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى وفى تاريخ الطبرى وفى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى لألفنا منها ديواناً".(١)

---

(١) فتوح البلدان، لابي الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري،(صـ٢٦١)،مطبعة بريل، مدينة ليدن، الطبعة: الأولى، ١٨٦٦ م.

(٢) واد بين مكة والمدينة.انظر: معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)،(٥/٢٥٩).

(٣) مَرْعِيَّةٌ.انظر: معجم ديوان الأدب، لأبى إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)،(٣/٤٣٤)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٤) نَفَرَتْ: تَبَاعَدَتْ. انظر: غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ - ٢٨٥]،(٢/٤٩٩)،المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٥) لايقطع.انظر:المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لمحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: ٥٨١هـ)،(٣/٩٤)،دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة،الطبعة: الأولى، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)

٢-مضمون الشبهة:

- تدور الشبهة حول أن الشعر الفتوحي هو مجرد مديح وتفاخر شخصي للفتوحات العسكرية، ويُصور العرب والمسلمين على أنهم مجرد مجاهدين يغنون عن بطولاتهم، وكأن التاريخ الإسلامي غير مرتبط بالقيم الأخلاقية أو التشريعية أو الحضارية.
- الشبهة توحي بأن الإسلام في مراحله الأولى كان مجرد فتوحات عسكرية وأدب شعري، وتغفل جوانب التشريع، الأخلاق، والإدارة.

٣- هدف الشبهة:

- توجيه النقد إلى الإسلام في بدايته وجعله دينًا بلا تشريع أو تنظيم حضاري، والتركيز على الجانب العسكري فقط.
- محاولة التقليل من قيمة الفتوحات الإسلامية على صعيد التشريع، الحضارة، والإنجازات الثقافية.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الشبهة تربط الشعر بالفتوحات العسكرية فقط دون الإشارة إلى أهداف الدين، النظام القانوني، والجانب الاجتماعي.
- توحي بأن العرب والمسلمين لم يكونوا مؤسسين لنظام قانوني، أو اقتصادي، أو اجتماعي متكامل، وهو أمر غير منطقي تاريخياً. [٢]

---

(١) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٩٨).

[٢] انظر: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، للنعمان عبد المتعال القاضي،(صـ١٠٥)،مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين ربطوا الشعر بالفتوحات العسكرية دون الإشارة إلى أهداف الدين، والنظم القانونية والاجتماعية.[١]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** عززت الصورة النمطية التي تصور الإسلام كمجرد قوة عسكرية وشعر مليء بالمديح الذاتي.[٢]
- **في الوسط الإسلامي:** أثارت الحاجة إلى توضيح أن الإسلام دين متكامل، يشمل تشريعًا، أخلاقيًا وحضارياً، وتنظيمًا وسياسيًا، وليس مجرد مديح للنصر العسكري.[٣]

---

[١] .Le Bon, Gustave. La Civilisation des Arabes. Paris: Firmin-Didot, 1884, p. 128

لو بون، غوستاف. حضارة العرب. باريس: دار فيرمان ديدو، ١٨٨٤، ص ١٢٨.

[٢] Margoliouth, David Samuel. The Origins of Arabic Poetry. London: Royal Asiatic Society, 1925.p.417-449

مارجوليوث، ديفيد صامويل. أصول الشعر العربي. لندن: الجمعية الملكية الآسيوية، ١٩٢٥. الصفحات ٤١٧ - ٤٤٩

[٣] انظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،(١٠/١٥٠ ومابعدها)،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.و

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- من المنطقي أن يكون الشعر مرآة للتاريخ والأحداث، فالشعر في كل الحضارات يعكس البطولات والمآثر، دون أن يعني ذلك أن المجتمع خالٍ من القيم القانونية أو الأخلاقية.
- ربط الفتوحات بالشعر لا ينفي وجود النظام القانوني، الإدارة، والشرائع الإسلامية التي انتظمت بها المجتمعات الإسلامية.[1]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- التاريخ الإسلامي يظهر أن الفتوحات كانت مصحوبة بتطبيق قوانين إسلامية، جمع الضرائب، تنظيم المجتمعات الجديدة، وإدارة شؤون السكان.
- المراجع التاريخية تؤكد أن الفتوحات كانت جزءًا من مشروع حضاري شامل وليس مجرد بطولات فردية.[2]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أعترفوا بأن الفتوحات كانت مصحوبة بتطبيق القوانين العربية والإسلامية العادلة والمنصفة، وليس مجرد بطولات فردية.[3]

---

[1] انظر: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، للنعمان عبد المتعال القاضي،(صـ١٠٥)،مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

[2] انظر: البداية والنهاية، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٣٥٩/١٤).

[3] Le Bon, Gustave. La civilisation des Arabes. Paris: Firmin-Didot, 1884, p. 128.

لو بون، غوستاف. حضارة العرب. باريس: دار فيرمن ديدو، ١٨٨٤، ص ١٢٨.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يُظهر أن الشريعة والقوانين الدينية كانت أساس التنظيم الاجتماعي:" إِنْ كَانَ لِرَجُلٍ ابْنَتَانِ، فِي مَوَارِيثِهَا تَأْخُذُ الْبِكْرُ حَقَّ الْبِكْرِ وَالابْنُ الصَّغِيرُ حَقَّهُ كَذَلِكَ" [١]:" إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا مَا لاَ يَرْضَاهُ، فَكَتَبَ لَهَا شَهَادَةَ طَلاَقٍ وَأَرْسَلَهَا" [٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ليس فقط ماذكره ريجيس بلاشير ونالينو من تحول الشعراء العرب من شعر الجاهلية الذي كانت يتحدث مآثر قبائلهم وذكر أيامهم إلى شعر الفتوحات الإسلامية وما شهدوا من الوقائع وما قطعوا من البلدان وما كان لهم من البأس وثبات الجنان، بل هناك من أنطقتهم الفتوحات الإسلامية، ويظهر ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: أذكت الفتوح الإسلامية جذوة الشعر العربية، التي خبت حيناً، وقد وجدت وقودًا غذاها فذكت: وانطلق الشعر على ألسنة المحجمين من الشعراء المتحرجين، فقد فتحت لهم الفتوح أبوابًا كثيرًا يدلفون خلالها من قواقعهم، إلى حيث يمارسون التعبير عن ذواتهم، في ظلال فكرة الجهاد التي اجتذبهم لألاؤها فاندفعوا إلى الميادين، حيث وضعوا فروسيتهم وشاعريتهم في خدمة الفكرة الإسلامية.[٣]

ثانياً: ولم يقتصر الأمر على هؤلاء، فإن شعراء آخرين بدءوا يظهرون على مسرح الشعر: وإن كانت أدوارهم لا تسمو إلى أدوار الشعراء القدامى مع أن شعرهم أكثر فاعلية في أداء مهمة الشعر

---

[١] سفر التثنية ، الإصحاح ٢١ ، الآيه ١٥-١٧

[٢] سفر التثنية، الإصحاح ٢٤ ، الآيه ١-٤

(٣) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، للدكتور/ النعمان عبد المتعال القاضي،(صـ١٧٥)، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

في المعركة، ويدهش الباحث أمام كثرة الشعراء من هذا القبيل، حتى ليخيل إليه أن الفاتحين جميعًا قد استحالوا شعراء في الفتوح، خاصة في الميدان الشرقي[(١)].

ثالثاً: وهؤلاء الشعراء الذين أنطقتهم الفتوح ينقسمون إلى قسمين:

١-طائفة من الشعراء المغمورين، الذين لم يذع لهم شعر فيما قبل اشتراكهم في المعارك، ولم يذع ذكرهم أيضًا قبل ذلك. وقد وجد هذا القبيل فرصته في الفتوح، إذ سارت بشعره الركبان، وسجل اسمه في ذاكرة العرب. وظهرت أسماء جديدة طالعتنا في كتب التاريخ والمغازي لا بريق لها ولا ألفة لدينا، كالأسود بن قطبة التميمي، والقعقاع بن عمرو، وأخيه عاصم، وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي، والأعور العبدي الشني، ونافع بن الأسود بن قطبة التميمي، وضرار بن الخطاب، وعمرو بن مالك الزهري، وكثير بن الغريزة النهشلي، وغيرهم.

كان هؤلاء شعراء قليلي الحظ من الشهرة والذيوع، ولم يكن لهم في ماضيهم الفني رصيد يمكن لشخصياتهم الأدبية أن تبقى في الميدان نامية الجوانب، وأن يحافظ على ذواتهم من الانطماس والضياع، هذه المحافظة التي توفرت لشخصيات الشعراء القدامي.

وبرغم هذا فإن دور هؤلاء الشعراء في شعر الفتوح هذ الدور الرئيسي، فكثرة الشعر الذي يروى في الفتوح ينسب إليهم. وقد عبروا عن ذواتهم، ومشاعرهم، وأحاسيسهم في المواقف المختلفة التي مرت بهم تعبيرًا بسيطًا، أصيلًا، حارًّا وصادقًا، ويلاحظ الدارس أن شعرهم مقطعات صغيرة متماسكة، تعبر عن موقف واحد، شأن شعر الفتوح كله، وتعتبر برغم قصرها هذا أكثر كمالًا وتماسكًا من غيرها من شعر الفتوح.

٢- من هؤلاء الشعراء يشكلون ظاهرة مهمة جديرة بإنعام النظر، وهم أولئك الشعراء الذين لم يكونوا في الأصل يرتبطون بالشعر في قليل أو كثير، ذلك أنهم لم يكونوا ينطمون الشعر أو يعنون به ولكنهم حملوا السلاح وخاضوا المعارك، فإذا بنفوسهم تفيض بالبيت أو بالبيتين أو

(١) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، للدكتور/ النعمان عبد المتعال القاضي،(صـ١٧٥).

بالمقطوعة القصيرة تسرية وتنفيسًا وحثًّا لنفوسهم وتحميسًا. وهؤلاء يمثلون السواد الأعظم من الفاتحين، وشعرهم ليس إلا استجابة حرة وطليقة لتجاربهم وتأثرهم بمواقفهم النفسية الحافلة بالمشاعر والعواطف. ولذا يغلب عليه الرجز العفوي الحار، الذي يصدر عنهم وهم يستقبلون خصومهم، وكأنهم يدقون طبول الحرب مشجعين لأنفسهم، أو هم يتنادون، كل ينادي قبيلته أو جماعته". [١]

رابعاً: وأكثر هؤلاء الفاتحين المعبرين عن أنفسهم من الجند العاديين، الذين لم يكن متوقعًا منهم أن يعبروا بالشعر عن أنفسهم: ولكنهم أمام روعة الأحداث، والتهاب المشاعر، وجيشان العاطفة لم يملكوا أن يصمتوا، ففاض الشعر على ألسنتهم صادرًا من وجدانهم في عفوية حارة وصادقة، وقد جنت على هؤلاء الشعراء وعلى شعرهم شخصيتهم المنكورة، فاختلط بينهم شعر كثير. ولم ينسب إلى أصحابه قدر كبير منه، فإذا نحن أمام عبارات تتردد لا تحمل دلالة على الشاعر، وإن كانت تجعلنا نشعر أنه شعر شاعر من هؤلاء العاديين من الجند، كـ: قال أحد المسلمين، أو: قال أحدهم، أو: ارتجز راجز، وهكذا.

ولحسن الحظ حفظت لنا الروايات أسماء بعض هؤلاء، من مثل: أبي أحيحة القرشي، وبشر بن ذريح الثعلبي، وعصام بن المقشعر، وبشر بن ربيعة، والأشعث بن عبد الحجر بن سراقة، وجندب بن عمار، وعلياء بن جحش العجلي، والأعرف بن العلم العقيلي، وغيرهم كثيرون. ولعل في أبناء الخنساء الأربعة، وما جاش على ألسنتهم من رجز دافئ في القادسية خير مثال لهؤلاء. وكذلك هؤلاء المحاربون الجرحى الذين اجتمعوا حول نخلة القادسية يناجونها وقد رقت مشاعرهم وهفت نفوسهم إلى أهليهم وديارهم شعرًا بسيطًا معبرًا، وإن ضاعت أسماء بعضهم، فيروى البيت الأول لبجير "كذا"، والآخر لرجل من تميم، والثالث لغيلان، أخي بن ضبة، وهكذا". [٢]

---

[١] شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، للدكتور/ النعمان عبد المتعال القاضي،(صـ١٧٥).

[٢] شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، للدكتور/ النعمان عبد المتعال القاضي،(صـ١٧٥-١٧٦).

المبحث الرابع

نفى مانُسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

يقول رينولد نيكلسون[١] : "أما الديوان الذي يُنسب إلى علي بن أبي طالب، فإنه بلا شك منتحل في معظمه، ولا يمكن لعالم متمكن من اللغة العربية وأساليبها في صدر الإسلام أن يصدق أن هذا الشعر هو من نتاج القرن الأول الهجري. إن الأفكار الفلسفية والأخلاقية المصاغة في تلك المنظومات تشير بوضوح إلى أنها دُوّنت في عصور متأخرة، وأن نسبتها إلى الخليفة الرابع كانت وسيلة لإضفاء الهيبة والقدسية على تلك المواعظ والحكم."[٢]

" ومن الكتب الكثيرة التداول حتى في أيامنا ديوان محتوٍ على قصائد ومقطعات دينية منسوب إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب . **لكنه كتاب مختلق وهو مما صنعه أهل الشيعة لأغراضهم الخاصة . وعلى قول بعض أهل السنة المتأدبين هو تأليف الشريف المرتضى أبي**

---

[١]رينولد نيكلسون reynold a. Nicholson (١٨٦٨م – ١٩٤٥م) كتب عن التصوف الاسلامي – الادب الفارسي مستشرق إنجليزي يعد بعد ماسينيون، أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي. ولد في Keighly في ٨ أغسطس ١٨٦٨. ودخل جامعة أبردين، ثم كلية الثالوث في كمبردج، حيث بدأ بالدراسات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) وبعد أن برز فيها، تحول إلى دراسة اللغتين الفارسية والعربية. من آثاره: مثنوي معنوي للشاعر الفارسي الأكبر جلال الدين الرومي، وله مقالات عديدة في التصوف الإسلامي نشرها في دائرة معارف الدين والأخلاق. انظر: موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بديوي،(صـ ٥٦٦).

[٢]تاريخ الأدب العربي في العصور القديمة، لرينولد نيكلسون،(صـ٢١٩)، ترجمة: د. صفاء خلوصي، مطبعة المعارف –بغداد، ١٩٦٧م.

القاسم على بن طاهر المتوفى سنة(٤٣٦هـ-١٠٤٤م) . ونسبت أيضاً أحياناً إلى الخليفة على القصيدة الزينبية في الحِكَم والمواعظ التي من قريض صالح بن عبد القدوس المقتول فى سنة ١٦٧ هـ فى أيام المهدى . أما ما روى من شعر على بن أبي طالب فى كتب التاريخ وفى كتاب العمدة[١] لابن رشيق فشيء يسير كله في الحماسة ووصف الحروب.[٢]

- أما المنثور المستظرف فى عهد النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والخلفاء الراشدين فلم يخرج عما كان عليه في زمان الجاهلية من الحِكَم والمواعظ والوصايا والحكايات ما عدا الأحاديث النبوية . ولم يدون في ذلك العصر كتاب و إن كان بعض الناس يقيدون في بطون الصحائف شيئاً من أحاديث النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن الحكم. وفن الخطابة لم يزل فى رونقه القديم حتى أن نبغ فيه نفس النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والخلفاء فمر فيما سبق ذكر نص مأخوذ من كتاب ابن سعد دالٍ على ارتفاع منزلة الخطيب البليغ عند عرب القبائل وأهل المدن . ولكن لقلة استعمال الكتابة لتسجيل المنثور لم يصل إلينا من خطب ذلك العصر إلا شيء يسير جدًّا وربّما وقع فى هذا القليل نقص أو زيادة أو تغيير أو اختلاق . فخطبة الوداع مثلاً على عَظَمَة شأنها وعلو أفكارها ورفعة قائلها إنما نقلت روايات مختلفة وعلى قطع متفرقة . وأقبح الأمر ما عرض لأمير المؤمنين على بن أبي طالب فإن أصحاب الأهواء من الفرق الإسلامية اجترؤوا على تزوير أقواله وَعَزَوْا إليه جماً غفيراً من المواعظ والحِكَم التي ليست له البتة . فقال المسعودي في مروج الذهب[٣]: إنَّ الذى حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً). ومما نسب إليه أيضاً كتاب نهج البلاغة الذي اختلف فيه بعض أهو للشريف المرتضي أبي القاسم على بن طاهر المتوفى

---

(١) العمدة لابن رشيق، لأبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،(١٤/١)، مطبعة مصر، ١٣٢٥هـ.

(٢) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٩٨-٩٩).

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)،(٢،٤١٩).

سنة(٤٣٦هـ-١٠٤٤م) أم لأخيه الشريف الرضي[١] وعلى كل حال أنه ليس من كلام الإمام على بن أبي طالب وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه. وقال أبو عبد الله محمد الذهبي[٢] في كتاب ميزان الاعتدال[٣]: (ومن طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فإن فيه السب الصريح والحط على السيدين أبي بكر وعمر » . - وأحيانًا عُزى إليه كتاب الجَفْر والحجاب العظيم وغير ذلك مما هو برئ منه كلياً.

ومن خطباء ذلك العصر سَحْبَان بن زُفَر الوائلي من قبيلة وائل باهلة ولد في زمان الجاهلية ومات مسلماً سنة ٥٤ هـ وضُرِب فيه المثل في البلاغة والبيان فقيل أَخْطَبُ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ أو أَنْطَقُ من سحبان . وما روى عنه في كتاب الأمثال للميداني وفي شرح الشَّرِيشى على المقامات الحريرية أشهر من أن احتاج إلى ذكره هنا"[٤].

٢-مضمون الشبهة:

- يركز رينولد نيكلسون ونالينو على الادعاء بأن الشيعة طعنوا لأغراض مذهبية في نسبة التراث الأدبي والخطابي المنسوب لسيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، خاصة: ديوانه الشعري، خطبه، نهج البلاغة، وبعض الكتب (كالجفر).

---

[١] الشريف الرضي الموسوي، الشريف الرضي أبو الحسن محمدبن طاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر.

انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)،(٤/٤١٤).

[٢] سبق ترجمته،(صـ١٣٩).

[٣] انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)،(٢/١٩٩١)،مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م

[٤] تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٩٩-١٠٠).

٣-هدف الشبهة:

- التشكيك في أصالة التراث العربي الإسلامي.
- إضعاف المكانة العلمية والأدبية لسيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)لصالح رؤية ترى أن الإسلام الأول لم ينتج تراثاً مكتوباً.
- ترسيخ فكرة أن التراث الإسلامي كله نتاج مذهبي وسياسي متأخر.
- إعطاء مصداقية للمدرسة الاستشراقية التي تشكك في النقل الشفوي الإسلامي.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- يوجد انتقائية غير علمية في الشبهة: حيث يقبل نالينو نسب الشعر الجاهلي لأصحابه دون وثائق مكتوبة، بينما يرفض ما نُقل عن سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) رغم أن البيئة ذاتها.
- يوجد تعميم بلا دليل: لا يقدم دليلاً واحداً يثبت وضع ديوان سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)أو خطبه، ويكتفي بعبارات ربما، لعله، قد يكون.
- يوجد تناقض داخلي: إذا كانت الكتابة قليلة جداً، فمن أين جاء العلم بأخبار صالح بن عبد القدوس وأشعاره؟
- عدم فهم لآليات النقل في الثقافة العربية، فالعرب كانوا يعتمدون الحفظ والشفاهة، وهو ما نقله علماء الحديث واللغة بدقة.[١]

---

[١] انظر: العقد الفريد، لأبى عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)،(١٥٧/٤)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين اعتمدوا نظرية النصوص موضوعة لخدمة الفرق.[١]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:**
- أصبحت هذه الفكرة مكرّرة في معظم الدراسات الغربية التي تناولت نهج البلاغة.
- اعتمدها كثير من الباحثين غير المتخصصين في الحديث واللغة.
- صارت جزءاً من النظرة الغربية العامة إلى التراث الإسلامي بوصفه مشكوكاً فيه.[٢]
- **في الوسط الإسلامي:** رفضها علماء السنة والشيعة على السواء.
- دفعت علماء للدفاع العلمي عن أصالة نهج البلاغة.
- أنتجت أدبيات عربية واسعة في تحقيق الخطب ونسبتها إلى سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه).[٣]

---

[١] Donaldson, Dwight M. The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Irak. London: Luzac & Company, 1933, pp. 92–100.

دونالدسن، دوايت. عقائد الشيعة. ترجمة حسن شفيق العزب. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥، الصفحات ١٠٨–١٢١.

[٢]

Hitti, Philip K. History of the Arabs. London: Macmillan, 1951, p. 187

حِتّي، فيليب. تاريخ العرب. لندن: ماكميلان، ١٩٥١، ص ١٨٧.

Cook, Michael. Muhammad. Oxford: Oxford University Press, 1983, p. 73

كوك، مايكل. محمد. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٨٣. ص ٧٣.

[٣]انظر: تاريخ الخلفاء، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،(صـ١٣٠)،المحقق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م،و مروج الذهب

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- نهج البلاغة نص ذو وحدة أسلوبية عالية، فأسلوبه واحد في الحكم والبلاغة، لا يشبه أسلوب الشريف الرضي ولا المرتضى إطلاقاً، كما أثبت الباحثون عبر مقارنة الأسلوب.
- أنواع البلاغة فيه تنتمي لأسلوب القرن الأول الهجري: كالإيجاز، السجع غير المتكلف، الحِكَم العربية المنتظمة، وكلها لا تنتمي للقرن الرابع زمن الشريف الرضي.
- سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)أشهر خطباء الأمة، فكيف يكون أبلغ العرب ولا يترك خطباً؟!
- منطق النقل الشفوي قوي ودقيق، فالعرب نقلوا الشعر الجاهلي بدقة مذهلة، فكيف لا ينقلون خطب علي وهو صحابي جليل وخليفة؟[1]

٢– نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- وجود خطب علي قبل زمن الشريف الرضي بكثير، وديوان سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) مذكور في مصادر القرن الثاني والثالث. [2]

ومعادن الجوهر، لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)،(٤١٩/٢)،تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، ١٤٠٩هـ

[1] انظر: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (المتوفى: ٧٠٩هـ)،(صـ٢١-٢٢)،المحقق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

[2] انظر: جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، (٢٩٨/٥)،تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت،، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أعترفوا بأن نهج البلاغة من أنفس كتب الأدب، وأسلوبه أسلوب سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، وأسلوب نهج البلاغة لا يمكن أن يكون من القرن الرابع الهجري لأنه أقرب لأسلوب صدر الإسلام.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يرد على من يزعم بأن النصوص القديمة لا يمكن نقلها بدق، لأن هذا يناقض طريقة نقل الكتاب المقدّس نفسه الذي: لم يُكتب في زمن المسيح، ونقل عبر تقاليد شفوية، ثم دوّن بعد عقود طويلة، ومع ذلك يقبله المستشرقون دون اعتراض مماثل، فاستعمال معيار للتشكيك في الإسلام وتركه في المسيحية ازدواجية علمية:" لِأَنَّهُ قَدْ تَتَابَعَ كَثِيرُونَ أَنْ كَتَبُوا عَنِ الأَحْدَاثِ الَّتِي تَمَّ التَّحَقُّقُ مِنْهَا بَيْنَنَا... قَرَّرْتُ أَنْ أَكْتُبَ لَكَ أَيُّهَا ثَاوُسُ بِشَكْلٍ مُنَسَّقٍ لِتَعْرِفَ صِحَّةَ التَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتَهَا" [٢] :" فَآمَنَ الَّذِينَ قَبِلُوا كَلَامَهُ، فَاعْتَمَدُوا..." [٣]

---

[١] Kremer, Alfred von. Geschichte der herrschenden Ideen des Islams. Leipzig: Fues's Verlag, 1868, pp. 45–48.

فون كريمر، ألفرد. تاريخ المذاهب السائدة في الإسلام. لايبزيغ: دار فوس، ١٨٦٨، الصفحات ٤٥-٤٨.

Margoliouth, D. S. Early Development of Mohammedanism. London: Williams and Norgate, 1914, pp. 89–91.

مرجليوث، ديفيد صموئيل. التطور المبكر للمحمدية. لندن: وليامز ونورغيت، ١٩١٤، الصفحات ٨٩-٩١.

[٢] انجيل لوقا، الإصحاح ١ ، الآيه ١-٤

[٣] أعمال الرسل، الإصحاح ٢ ، الآيه ٤١

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ممايُحسب لرينولد نيكلسون ونالينو رد هذا الافتراء على سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، لاسيما وأن كتاباته معروضه لدى الغرب الطاعنين في الإسلام والممسلمين، ومما يؤيد نفي مانُسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه في كتاب(نهج البلاغة) وما فيه من سب صريح للخليفتين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ، وأنه من فعل الشيعة، هو ماذكره علماء أهل السنة الأجلاء في هذا الشأن، وهو على النحو التالى:

أولاً: قال الإمام الذهبي رحمه الله(١): في ترجمة المرتضى علي بن حسين بن موسى الموسوي (المتوفى سنة٤٣٦هـ) قلت : هو جامع كتاب " نهج البلاغة" ، المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي – رضي الله عنه– ، ولا أسانيد لذلك ، وبعضها باطل ، وفيه حق ، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف؟! وقيل : بل جمع أخيه الشريف الرضي ... وفي تواليفه سب أصحاب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فنعوذ بالله من علم لا ينفع".(٢)

ثانياً: وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله(٣): (أكثر الخطب التي ينقلها صاحب "نهج البلاغة "كذب على عليٍّ رضي الله عنه، وعليٌّ رضي الله عنه أجلُّ وأعلى قدرا من أن يتكلم بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح، فلا هي صدق ولا هي مدح ، ومن قال إن كلام علي وغيره من البشر فوق كلام المخلوق فقد أخطأ، وكلام النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فوق كلامه ،

---

(١) سبق ترجمته،(صـ١٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)،(٢٣١/١٣).

(٣) ابن تَيْمِيَّة (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية • الإمام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر ومات بها. من تصانيفه: (الفتاوى – ط).

انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، (٣٢٥/١).

وكلاهما مخلوق ... وأيضا فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام علي موجودة في كلام غيره، لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيرا من كلام الناس فجعلوه من كلام علي، ومنه ما يحكى عن علي أنه تكلم به ، ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره ، ولهذا يوجد في كلام البيان والتبيين للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير علي وصاحب نهج البلاغة يجعله عن علي ، وهذه الخطب المنقولة في كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن علي من كلامه لكانت موجودة قبل هذا المصنف منقولة عن علي بالأسانيد وبغيرها ، فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيرا منها بل أكثرها لا يعرف قبل هذا علم أن هذا كذب ، وإلا فليبيِّن الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك ، ومن الذي نقله عن علي ، وما إسناده ، وإلا فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد ، ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبين صدقها من كذبها ، علم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن علي من أبعد الناس عن المنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها).[1]

ثالثاً: ويدل أيضاً على نفي مانُسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه في كتاب(نهج البلاغة) وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه:

- بين مؤلف الكتاب وبين علي رضي الله عنه سبع طبقات من الرواة وقد قام بحذفهم كلهم ، ولهذا لا يمكن قبول كلامه من غير إسناد.
- لو ذكر هؤلاء الرواة فلا بد من البحث عنهم وعن عدالتهم.
- عدم وجود أكثر هذه الخطب قبل ظهور الكتاب يدل على وضعها.
- المرتضى ـ صاحب الكتاب ـ ليس من أهل الرواية بل إنه من المتكلم في دينه وعدالته.
- ما فيه من سب لسادات الصحابة كافٍ في إبطاله.

---

(١) منهاج السنة النبوية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،(٨/٤٤-٤٥)،المحقق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.

- ما فيه من الهمز واللمز والسب مما ليس هو من أخلاق المؤمنين فضلا عن أئمتهم كعلي رضي الله عنه.
- فيه من التناقض والعبارات الركيكة ما يعلم قطعاً أنه لا يصدر عن أئمة البلاغة واللغة.
- كونه أصبح عند الرافضة مسلَّماً به ومقطوعاً بصحته كالقرآن مع كل هذه الاعتراضات يدل على عدم مراعاتهم في أمور دينهم لأصول التثبت والتأكد السليمة.
- وبناءً على ما تقدم ذكره يتبين عدم ثبوت نسبة هذا الكتاب لعلي رضي الله عنه ، وعليه ، فإن كل ما فيه فإنه لا يحتج به في المسائل الشرعية أيًّا كانت ، أما من قرأه ليطالع بعض ما فيه من الجمل البلاغية فإن حكمه حكم بقية كتب اللغة، من غير نسبة ما فيه لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه.[١]

رابعاً: نفي مانُسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه في القصيدة الزينبية[٢]:

اختلف المؤرخون في قائل هذه القصيدة، ولمن تنسب فمنهم من قال أنها تنسب لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقد وردت في ديوانه[٣] ونسبت أيضا لصالح بن عبد القدوس البصري الذى عاش في العصر العباسي الأول. لكن هناك حقائق تثبت أن هذه القصيدة للشاعر صالح بن عبد القدوس وهي على النحو التالى:

---

(١) انظر: أبجد العلوم، لأبى الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)،(صـ٦٠٢)،دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.

(٢) القصيدة الزينبية: هي قصيدة تبدأ في مطلعها بالغزل ثم تسوق الحِكَم و النصائح والمواعظ الأخلاقية. انظر: تاريخ الأدب العربي، للدكتور شوقي ضيف،(٣/٣٩٨)،دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ – ١٩٩٥ م.

(٣) ديوان على بن أبي طالب كرم الله وجهه، جمع وترتيب عبد العزيز كرم، (صد ٢٦:٢٨)، الطبعة: الأولى،١٩٨٨م.

١- أن ياقوت الحموي قد ذكرها في معجم الأدباء الذي يعد واحداً من المصادر المهمة في الأدب العربي بما نصه: صالح بن عبد القدوس بن عبد الله : كان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً، كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقص عليهم، وله أخبار يطول ذكرها .... وأشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها : صرمت حبالك بعد وصلك زينب ....) [(١)]

٢- ورد في البيت الآتي من القصيدة ذكر (أشعب) [(٢)]الطماع وإذا طمعت كسيت ثوب مذلة فلقد كسي ثوب المذلة أشعب والمعروف تاريخيا أن (أشعب) لم يظهر على عهد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بل ظهر في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وقد قرأ الكثيرون قصته مع الخليفة المذكور والذى يعرف أشعب إثرها بصفة الطمع. وبناء على هذا جاء ذكره في البيت المذكور بالقصيدة، والذي يبين لنا بأن طمع أشعب هو الذي ألبسه ثوب المذلة، فنصح الشاعر بعدم الطمع.[(٣)] من هنا يتبين لنا بأن القصيدة نظمت بعد هذه القصة أي في العصر العباسي الذي عاش ومات فيه صالح عبد القدوس (ت ١٦٧)هـ

٣- لقد جمع ما تفرق من ديوان صالح بن عبد القدوس، الباحث عبد الله الخطيب، فأحصى (٣١٧) بيتا (بغداد: دار البصري ١٩٦٧م) وفيه القصيدة المذكورة. كما وردت القصيدة

---

(١) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، (١/١٤٤٥-١٤٤٦)، تحقيق د إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

(٢) هو أشعب بن جبير المعروف بالطامع ، ويقال: أبن أم حميدة ، ظريف، من أهل المدينة كان مولى لعبد الله بن الزبير، وقيل: مولى عثمان بن عفان، وقيل: مولى سعيد بن العاص، تأد ، وروى الحديث، وكان صاحب مزاح، وتطفيل، ومع ذلك كذب عليه، وهو من المعمرين: فقد روى أنه عاش في زمن عثمان، وتوفى سنة ١٥٤هـ.انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ(٦٦/٧).

(٣) دراسة تحليلية بلاغية للقضيدة الزينبية للشاعر صالح بن عبد القدوس البصري (١٦٧هـ-٧٨٣م)، وموازنتها بقصيدة على بن أبي طالب، لمنى عبدالله على فراج،(صـ٦٢٩٢)، جامعة الأزهر،مجلة حولية كلية اللغة العربية، العدد الثالث والعشرون، ج٧،١٤٤١هـ- ٢٠١٩م.

المذكورة في ديوان باسم ديوان حكيم الشعر صالح بن عبد القدوس (١٦٧هـ)، حياته وشعره ونثره، وهو من جمع وترتيب ودراسة عبد الفتاح إسماعيل غراب، وأحمد كامل عبد الرؤف، ومراجعة وتعليق إسماعيل عبد الفتاح غراب، وهو من سلسلة شعراء الحكمة دار البدر المنصورة، (٢٠١٢)، صـ ٤١-٤٦. ولم يتصد باحث أو كاتب لنفي ما ورد في الديوان حول هذه القصيدة ونسبتها إلى صالح بن عبد القدوس. [(١)]

٤- وردت في القصيدة هذه الأبيات بحق المرأة[(٢)]:

وتَوَقَّ مِنْ غَدْرِ النِّسَاءِ خيانة......... فجميعهن مكايد لك تنصب

لا تأمن الأنثى حياتك إنها............ كالأفعوان يُراغ منه الأنيب

لا تأمن الأنثى زمانكَ كُلَّهُ............ يوما ولو حلفت يمينا تكذب

تغري بلين حديثها وكلامها.......وإذا سطت فهي الصقيل الأشطب[(٣)]

فهل لنا أن نصدق بأن الإمام علي رضي الله عنه يقول هذا بحق المرأة، وهو القائل: "لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ... فالإمام هنا وصف المرأة بأنها ريحانة بكل ما في هذه الكلمة من معان عطرة ونقية وطيبة، تسعد وتفرح من ينظر إليها، أما القهرمانة فهي تلك التي تكلف بأمور الخدمة والاشتغال. [(٤)]

---

(١) دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية للشاعر صالح بن عبد القدوس البصري (١٦٧هـ-٧٨٣م)، وموازنتها بقصيدة على بن أبي طالب، لمنى عبدالله على فراج،(صـ٦٢٤٨-٦٢٤٩).

(٢)القصيدة الزينبية من ديوان صالح بن القدوس ،نقلاً من: نوادر الخلفاء المشهور بـ «إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس»، لمحمد، المعروف بدياب الإتليدي (المتوفى: ق ١٢هـ)،(صـ٢٦٢)،المحقق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٣) تقطع مشي الرجال.انظر: معجم الغني، لعبد الغني أبو العزم(١٥٧٢٣).و معجم متن اللغة، لأحمد رضا، (٤٧٤/٣)، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م

(٤) انظر: دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية للشاعر صالح بن عبد القدوس البصري (١٦٧هـ-٧٨٣م)، وموازنتها بقصيدة على بن أبي طالب، لمنى عبدالله على فراج،(صـ٦٢٩٥-٦٢٩٧).

٥- لا بد من الإشارة إلى أن للإمام على رضي الله عنه قصيدة يعظ ولده الحسين رضي الله عنهما وربما كانت هي الملهمة لصالح بن عبد القدوس للكتابة على وزنها وقافيتها، ومنها[١]:

أَحُسَيْنُ إِنِّي وَاعِظَ وَمُؤَدِّبٌ........فافهم فَأَنتَ العاقل المتأدب

وأحفظ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنِ..........يغذوك بالآداب كيلا تعطب

فقصيدة الزينبية هى لصالح بن عبد القدوس، وذلك وفق ما ورد من المصادر والمراجع التي توافرت لدى.

---

[١] ديوان الإمام على بن أبي طالب جمع وترتيب عبد العزيز كرم، (صـ ٢٢).

المبحث الخامس

نفى مانُسب في كتب التاريخ في قضية التحكيم

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

"أما ما ترويه الرواية العربية المتأخرة عن مجريات التحكيم، وخاصة تلك القصة التي تظهر أبا موسى الأشعري في صورة الرجل الساذج الذي انخدع ببراعة عمرو بن العاص، فهي قصة تفتقر إلى الأساس التاريخي؛ إذ إنها من وضع القصاصين المتأخرين الذين أرادوا تفسير إخفاق علي في استعادة وحدة الدولة. والحقيقة أن الحكمين لم يصلا إلى نتيجة ملموسة، وأن عمرو بن العاص استطاع ببساطة أن يحافظ على موقف معاوية القوي، دون الحاجة إلى تلك التمثيلية التي نُسبت إليهما في المصادر التاريخية اللاحقة." [(١)]

" كان المسلمون بعد قتل عثمان إلى أيام صفّين منقسمين إلى فريقين كبيرين متحار بين: العثمانية وشيعة على. و بينهما ناس يكرهون سفك دماء المؤمنين ويتجنبون التحزب وهم المسمون بالمعتزلة[(٢)] منهم أبو موسى الأشعري وسعد بن أبي وقاص والمغيرة بن شعبة وغيرهم . ثمّ رِضَى على باقتراح التحكيم في خلافته في صفر سنة ٣٧هـ أغسطس (٦٥٧ م) كان سبب فتنة فى شيعته

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، لكارل بروكلمان،(صـ١٠٧)، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين–بيروت، الطبعة:الخامسة، ١٩٦٨م

(٢) وعلاقة هؤلاء المعتزلة بالمعتزلة المشهورين في الفرق الإسلامية تم بيانه في هذا البحث في توضيح أصل تسمية المعتزلة في الباب الثانى(الباب الثاني: موقف المستشرق كارلو ألفونسو نالينو من قضايا الفرق والمذاهب الإسلامية).

لأن قوما من أصحابه استقبحوا تحكيم الرجال في دين الله أى تفويض حل مسألة الإمامة إلى رجلين لقولهم إنه لا حكم إلا لله فخرجوا عن جيشه إلى حروراء فسموا الحرورية أو الخوارج.[١]

وفى سنة(٣٨هـ-٦٥٨م) التقى الحكمان وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص بأذرح في أرض البلقاء فنتيجة الأمر المرجو منه توافق النفوس واطمئنان القلوب إنما خلع على ومعاوية معا. قد دهش كثير من أهل العراق والحجاز أي دهش حين سمعوا خبر ذلك الحكم الذى أسرع على فى إنكاره فلشدة استغرابهم وبغضهم لمعاوية أنشئت عندهم وذاعت الرواية المتداولة حتى الآن عن الخيانة المنكرة القبيحة التي دبرها وارتكبها عمرو بن العاصى . أما الحقيقة التي لم يتوصل إلى كشفها إلا من رجع إلى المصادر الأصلية القديمة وأدمن فيها النظر والبحث فإن عمرو بن العاصي ما أثبت معاوية ألبتة ولكن بما عُهد له من الدهاء والمهارة في أمور السياسة قد بلغ مرامه ومرام معاوية حين حمل أبا موسى الأشعرى على الرضى بالتفحص عن حقوق كل من الخصمين كأنهما متساويا القدر وكأن خليفة بايعه جملة وافرة من المؤمنين لا يفضّل على من كان والياً على الشام فقط . فنتيجة الحكم أى خلع كلا الخصمين إنما كان أن علياً عُزل عن الخلافة فلم تبق له إلا ولاية العراق أما معاوية فخلع مما لم يكن له فبقى على ما كان عليه قبلاً بل زاد حظوة عند أصحابه إذ ساواه الحكم بمن كان مدة أعلى منه بكثير. [٢]

٢-مضمون الشبهة:

- تزعم الشبهة أن سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) قد خسر خلافته نتيجة مؤامرة سياسية.
- تتهم التحكيم بالخيانة والتفريط في حق الإمامة.
- تصف موقف أصحابه في حروراء بأنهم متمردون ومثيرو فتنة.

---

[١] تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٢٠٦-٢٠٧).

[٢] تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٢٠٧-٢٠٨).

٣- هدف الشبهة:

- النيل من شخصية سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)وشرعية خلافته.
- التشكيك في قرارات سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) السياسية والشرعية.
- إبراز التحكيم كحدث سلبي وخلقه للفتنة، وإلقاء اللوم على سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه).

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الافتراض أن سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) لم يكن قادرًا على الحكم العادل أو أن التحكيم كان خيانة.
- الادعاء بأن سيدنا أبو موسى الأشعري(رضي الله عنه) وسيدنا عمرو بن العاصي(رضي الله عنه) خالفوا الحق.
- التناقض مع واقع التاريخ السياسي والاجتماعي في تلك الفترة.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يعتمدون على روايات منحازة أو غير دقيقة عن التحكيم والفتنة مع تحريف للأحداث.[٢]

---

[١] انظر: حاشية الرسول القائد، لمحمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)،(صـ٤٠٢)،دار الفكر – بيروت، الطبعة: السادسة – ١٤٢٢ هـ

[٢] Cook, Michael. The Kharijites and the Civil Wars in Early Islam. London: Cambridge University Press, 1983, pp. 45–60

كوك، مايكل. الخوارج والحروب الأهلية في الإسلام المبكر. لندن: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٨٣، ص ٤٥-٦٠.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:**
- تكررت الشبهة في الدراسات التي تصور سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)كخاسر سياسي وضعيف القدرة، والتحكيم كمؤامرة.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** أثارت جدلاً بين الباحثين والقراء، ودفع بعض العلماء لإعادة التحقيق في المصادر الأصلية لتصحيح الرواية.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- منطقياً تحويل قرار التحكيم إلى خيانة هو مبالغة غير مبررة.
- التحكيم كان وسيلة سلمية لتجنب الحرب الأهلية وحماية المسلمين من الفتنة.
- افتراض أن سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)،فقد الحق كليًا غير منطقي، إذ بقيت له ولاية العراق والحكم الشرعي عليها.[٣]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- المصادر التاريخية الأصلية تؤكد أن التحكيم كان وسيلة سياسية لتسوية النزاع وليس خيانة.

---

[١] Kennedy, Hugh. The Early Abbasid Caliphate: A Political History. London: Croom Helm, 1981, pp. 30–50.

كينيدي، هيو. الخلافة العباسية المبكرة: تاريخ سياسي. لندن: كروم هيلم، ١٩٨١، ص ٣٠-٥٠.

[٢] انظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،(٦٣/٥ ومابعدها)،دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ

[٣] انظر: أعلام النبوة، لأبى الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،(صـ١٢١)،دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٩ هـ

- لا يوجد دليل أثري أو نصي يثبت تورط سيدنا عمرو بن العاصي(رضي الله عنه) في مؤامرة ضد سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه). [1]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أشاروا إلى أن التحكيم كان حدثاً سياسياً معقداً ولم يكن نتيجة خيانة شخصية، ولاحظوا أن سيدنا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)أظهر مرونة سياسية كبيرة في التعامل مع معاوية لتجنب الحرب.[2]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس نفسه نُقل شفهيًا قبل التدوين، ومع ذلك لا يشكك المستشرقون في صحته، استخدام نفس المعايير المشككة في الإسلام وتركها في المسيحية ازدواجية علمية:" إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي ٱلْأُمُورِ ٱلْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا ٱلَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ ٱلْبَدْءِ مُعَايِنِينَ

---

[1] انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)،(٢/٣٩٢ ومابعدها).

[2] Madelung, Wilferd. The Succession to Muhammad: A Study of the Early Caliphate. Cambridge: Cambridge University Press, 1997, pp. 240–260

ولفريد مادلونغ. خلافة محمد: دراسة في الخلافة المبكرة. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٩٧، ص ٢٤٠–٢٦٠.

Kremer, Alfred von. Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen. Vol. 1. Leipzig: Brockhaus, 1875, pp. 289–295

ألفرد فون كرمر. التاريخ الثقافي للشرق في عهد الخلافة. مج١. لايبزيغ: بروكهاوس، ١٨٧٥، ص ٢٨٩–٢٩٥.

وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ" [١] : " فَاثْبُتُوا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ، وَتَمَسَّكُوا بِٱلتَّعَالِيمِ ٱلَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِٱلْقَوْلِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا" [٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

مما يُحسب لكارل بروكلمان ونالينو بيان حقيقة قضية التحكيم التى غفل عنها الكثير ممن نقلوا التاريخ والأخبار من الكتب من غير بث العين الناقدة للرواة، ويظهر ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: ذكر أهل التاريخ والأخبار في كتبهم روايات غير صحيحة في قضية التحكيم: حرفها بعض الرواة المتعصبين ضد الصحابة رضوان الله عليهم، وأصحاب الكتب معذورون في نقلها، لأنهم لم يلتزموا صحة ما جاء في هذه الكتب، وإنما نقلوا ما وصلهم من أخبار بالسند، وتركوا العهدة فيها على الرواة والنقاد والقراء، يقول الإمام الطبري رحمه الله [(٣)]: إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدّينا ذلك على نحو ما أدّي إلينا". [(٤)]

ثانياً: ضعف رواية أبى مخنف المشهورة في قضية التحكيم: فقد وكل سيدنا علي بن أبي طالب سيدنا أبى موسى الأشعري ووكل سيدنا معاوية بن أبي سفيان سيدنا عمرو بن العاص رضي الله

---

[١] انجيل لوقا، الإصحاح ١ ، الآيه ١-٢

[٢] تسالونيكي٢ ، الإصحاح ١٥ ، الآيه ٢

(٣) سبق ترجمته، (صـ١٨٥).

(٤) انظر :العرب في العصور القديمة، للطفي عبد الوهاب، (صـ٢٣٤)،دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الثانية.

عنهم أجمعين فاجتمعا: **وقال الإمام الطبري رحمه الله**[١]:" قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عن زياد بن النضر الحارثي، ان عليا بعث أربعمائة رجل، عَلَيْهِم شريح بن هانئ الحارثي، وبعث معهم عَبْد اللَّهِ بن عباس، وَهُوَ يصلي بهم، ويلي أمورهم، وأبو مُوسَى الأَشْعَرِيّ معهم وبعث معاويه عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام، حَتَّى توافوا بدومة الجندل بأذرح....".[٢]

خطب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:" أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ فَلَمْ نَرَ أَمْرًا أَصْلَحَ لها ولا ألم لشعثها من رأي اتَّفَقْتُ أَنَا وَعَمْرٌو عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّا نَخْلَعُ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ وَنَتْرُكُ الأَمْرَ شُورَى، وَتَسْتَقْبِلُ الأُمَّةُ هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ. ثُمَّ تَنَحَّى وَجَاءَ عَمْرٌو فَقَامَ مَقَامَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هذا قد قال ما سَمِعْتُمْ، وَإِنَّهُ قَدْ خَلَعَ صَاحِبَهُ، وَإِنِّي قَدْ خلعته كَمَا خَلَعَهُ وَأُثْبِتُّ صَاحِبِي مُعَاوِيَةَ فَإِنَّهُ وَلِيُّ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَالطَّالِبُ بِدَمِهِ، وَهُوَ أَحَقُّ الناس بمقامه".[٣]

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله [٤]: تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة – دون الديانة – رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين. والذي يصح من ذلك: ما روى الأئمة كخليفة بن خياط والدارقطني : أنه لما خرج الطائفة العراقية مائة ألف ، والشامية في سبعين أو تسعين ألفا ،

---

[١] سبق ترجمته، (صـ١٨٥).

[٢] تاريخ الرسل والملوك، للطبري، (٥/٦٧)،

[٣] البداية والنهاية، لابن كثير،(٧/٣١٤).

[٤] أبو بكر ابن العَرَبي (٤٦٨ – ٥٤٣ هـ = ١٠٧٦ – ١١٤٨ م)محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ . قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق،وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها.من كتبه(العواصم من القواصم – ط)ا.

نظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ،(٦/٢٣٠).

ونزلوا على الفرات بصفين، اقتتلوا في أول يوم – وهو الثلاثاء – على الماء ، فغلب أهل العراق عليه. ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت ، ورفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح . وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق، فكان من جهة علي أبو موسى ، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص. وكان أبو موسى رجلًا تقيًّا فقيهًا عالمًا ، وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعًا في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاءٍ وأرب ، حتى ضربت الأمثال بدهائه ، تأكيدًا لما أرادت من الفساد، اتبع في ذلك بعض الجهال بعضًا ، وصنفوا فيه حكايات ، وقالوا: إنهما لما اجتمع بأذرح من دومة الجندل وتفاوضا، اتفقا على أن يخلعا الرجلين ، فقال عمرو لأبي موسى: اسبق بالقول. فتقدم فقال: إني نظرت فخلعت عليًّا عن الأمر، وينظر المسلمون لأنفسهم، كما خلعت سيفي هذا من عنقي – أو من عاتقي – وأخرجه من عنقه ، فوضعه في الأرض. وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال: إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر كما أثبت سيفي هذا في عاتقي. وتقلده. فأنكر أبو موسى. فقال عمرو: كذلك اتفقنا. وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف". (١)

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله (٢):" هذا كله كذب صراح، ما جرى منه حرف قط. وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع(٣) ".(١)

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)،(صـ٣١٠)،المحقق: الدكتور عمار طالبي، مكتبة دار التراث، مصر.

(٢) سبق ترجمته،(صـ٨٢١).

(٣) إن التاريخ الإسلامي لم يبدأ تدوينه إلا بعد زوال بني أمية وقيام دول لا يسر رجالها التحدث بمفاخر ذلك الماضي ومحاسن أهله. فتولى تدوين تاريخ الإسلام ثلاث طوائف: طائفة كانت تنشد العيش والجدة من التقرب إلى مبغضي بني أمية بما تكتبه وتؤلفه. وطائفة ظنت أن التدوين لا يتم، ولا يكون التقرب إلى الله، إلا بتشويه

وقال الإمام ابن حجر رحمه الله[٢] **عن أبى مخنف:** لوط بن يحيى أبو مخنف. أخباري تالف لا يوثق به. تركه أبو حاتم، وَغيره. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال ابن مَعِين: ليس بثقة. وقال مرة: ليس بشيء. وقال ابن عَدِي: شيعي محترق صاحب أخبارهم. قلت: روى عن الصَّقْعَب عن زهير وجابر الجعفي ومجالد ، روى عنه المدائني وعبد الرحمن بن مغراء ومات قبل السبعين ومِئَة. انتهى. وقال أبو عُبَيد الآجري: سألت أبا داود عنه فنفض يده وقال: أحد يسأل عن هذا؟!. وذكره

سمعة أبي بكر وعمر وعثمان وبني عبد شمس جميعا. وطائفة ثالثة من الإنصاف والدين- كالطبري وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير- رأت أن من الإنصاف أن تجمع أخبار الإخباريين من كل المذاهب والمشارب- كلوط بن يحيى الشيعي المحترق، وسيف بن عمر العراقي المعتدل- ولعل بعضهم اضطر إلى ذلك إرضاء لجهات كان يشعر بقوتها ومكانتها. وقد أثبت أكثر هؤلاء أسماء رواة الأخبار التي أوردها ليكون الباحث على بصيرة من كل خبر بالبحث عن حال راويه. وقد وصلنا إلى هذه التركة لا على أنها هي تاريخنا، بل على أنها مادة غزيرة للدرس والبحث يستخرج منها تاريخنا، وهذا ممكن وميسور إذا تولاه من يلاحظ مواطن القوة والضعف في هذه المراجع، وله من الألمعية ما يستخلص به حقيقة ما وقع ويجردها عن الذي لم يقع، مكتفيا بأصول الأخبار الصحيحة مجردة عن الزيادات الطارئة عليها. وإن الرجوع إلى كتب السنة، وملاحظات أئمة الأمة. مما يسهل هذه المهمة. وقد آن لنا أن نقوم بهذا الواجب الذي أبطأنا فيه كل الإبطاء، وأول من استيقظ في عصرنا للدسائس المدسوسة على تاريخ بني أمية العلامة الهندي الكبير الشيخ شبلي النعماني في انتقاده لكتاب جرجي زيدان، ثم أخذ أهل الألمعية من المنصفين في دراسة الحقائق، فبدأت تظهر لهم وللناس منيرة مشرقة، ولا يبعد- إذا استمر هذا الجهاد في سبيل الحق- أن يتغير فهم المسلمين لتاريخهم ويدركوا أسرار ما وقع في ماضيهم من معجزات.انظر: حاشية العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)،(١/١٧٧)،قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

[١] النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)،(صـ٣٠٨-٣١٠).

[٢] سبق ترجمته، (صـ ١٣٦).

العقيلي في الضعفاء".[1] **وعلى ذلك فالقول بأن الصحابيين أبى موسى الأشعري وعمرو بن العاص-رضي الله عنهما- اتفقا على خلع الصحابيين على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنهما- غير صحيح.**

ثالثاً: الصحيح في قضية التحكيم: أن الصحابيين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص-رضي الله عنهما- اتفقا على أن يبقى الصحابي عليٌّ بن أبي طالب في الكوفة وهو خليفة المسلمين، وأن يبقى الصحابي معاوية بن أبي سفيان في الشام أميراً عليها، ويؤكد ذلك:

١-ما ذكره الإمام الدارقطني رحمه الله[2]:"

من طريق عبد الله – ويقال عبيد الله – بن مضارب عن حضين بن المنذر قال : لما عزل عمرو معاوية جاء -أي حضين بن المنذر- فضرب فسطاطه قريبًا من فسطاط معاوية، فبلغ نبأه معاوية، فأرسل إليه فقال: إنه بلغني عن هذا -أي عن عمرو- كذا وكذا ، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه. فأتيته ، فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى ، كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا ، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهو عنهم راضٍ. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة".

---

[1] لسان الميزان، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (٦/٤٣٠برقم٦٢٤٨)،المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

[2] الدَّارَقُطْني(٣٠٦ – ٣٨٥ هـ = ٩١٩ – ٩٩٥ م) أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ بنِ دِيْنَارِ بنِ عَبْدِ اللهِ البَغْدَادِيُّ، ، شَيْخُ الإِسلاَمِ، مِنْ أَهْلِ مَحَلَّةِ دَارِ القُطْنِ بِبَغْدَادَ. وُلِدَ: سَنَةَ سِتٍّ وَثَلاَثِ مائَةٍ، ل" السنن – ط " و" المجتبى من السنن المأثورة – خ " توفي سنة خمس وثمانين وثلاث مائة عن تسع وسبعين سنة.

انظر: طبقات الشافعيين، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،(١/٣٢٣-٢٣٤)،تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

[1] **وقال الإمام ابن حجر رحمه الله**[2] :" رواته ثقات خلا ابن مضارب ، عداده في صغار التابعين، لا يعرف " وذكره ابن حبان في الثقات".[3]

٢- وقال الإمام محب الدين الخطيب رحمه الله[4] **":**

من الحقائق ما إذا أسيء التعبير عنه وشابته شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة فينشأ عن ذلك الاختلاف في الحكم عليه. ومن ذلك حادثة التحكيم وقول المغالطين إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على خلع الرجلين، فخلعهما أبو موسى، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية. وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن خليفة، ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه. بل إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهو راض عنهم. واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة ولم يقاتل على الخلافة وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان. فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها إلى

---

[1] العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)،(صـ١٨٠ ومابعدها).المحقق: محب الدين الخطيب – ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

[2] سبق ترجمته، (صـ ١٣٦).

[3] لسان الميزان، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،(٣/٣٦٣).المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م

[4] مُحِبّ الدِّين الخَطِيب (١٣٠٣ - ١٣٨٩ هـ = ١٨٨٦ - ١٩٦٩ م) محب الدين بن أبي الفتح محمد ن عبد القادر بن صالح الخطيب، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني: من كبار الكتاب الإسلاميين. ولد في دمشق. تولى تحرير " مجلة الأزهر " ست سنوات. ونشر من تأليفه " اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب ."انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(٥/٢٨١-٢٨٢).

كبار الصحابة وأعيانهم تناول التحكيم شيئًا واحدًا هو الإمامة. أما التصرف العملي في إرادة البلاد التي كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين فبقي كما كان: علي متصرف في البلاد التي تحت حكمه، ومعاوية متصرف في البلاد التي تحت حكمه، فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة. وكان يكون محلا للمكر أو الغفلة لو أن عمرًا أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين، وهذا ما لم يعلنه عمرو، ولا ادعاه معاوية، ولم يقل به أحد في الثلاثة عشر قرنًا الماضية. وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية، ومن ذلك اليوم فقط سمي معاوية أمير المؤمنين. فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه، لأنه لم يعط معاوية شيئًا جديدًا، ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى. ولم يخرج عما اتفقا عليه معًا، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وتعلقت الإمامة بما سيكون من اتفاق أعيان الصحابة عليها، وأي ذنب لعمرو في أي شيء مما وقع؟ إن البلاهة لم تكن من أبي موسى، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه. فليفهمها كل من شاء كما يشاء. أما هي فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هي.[(١)]

٣- ثم قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله:[(٢)]"

"فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه. فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين ، وعرجوا عن سبيل الناكثين، إلى سنن المهتدين. وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين. وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فقد هلك مَن كان أصحاب

---

(١) تعليقه في قضية التحكيم: انظر: حاشية العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)،(١/١٧٤).

(٢) سبق ترجمته،(ص٨٢١).

النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خصمه، ودعوا ما مضى فقد قضى الله ما قضى. وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم ، اعتقادًا وعملًا، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملًا، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا ".(١)

(١) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)،(١/١٨٠).

الفصل الثانى

آراء المستشرقين السلبية حول قضايا اللغة العربية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وصف شعر حسان بن ثابت بالضعف فور دخوله الإسلام.

المبحث الثاني: أهل البادية أبعد الناس عن الإسلام.

المبحث الثالث: وصف خلفاء بني أمية بالفُجْرِ والمُجُون.

المبحث الأول

وصف شعر حسان بن ثابت بالضعف فور دخوله الإسلام

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

"إن شعر حسان بن ثابت في المرحلة الإسلامية يفتقر بوضوح إلى تلك الجزالة التي ميزت قصائده السابقة. ويبدو أن تحول وظيفة الشعر لديه من 'الفن للفن' أو 'الفخر الذاتي' إلى 'الأداة الدعائية' للدين الجديد، قد أدى إلى ترهل في الأسلوب وضعف في البناء الموسيقي للقصيدة، وهو أمر يُلاحظ عند معظم الشعراء الذين حاولوا تطويع لغتهم الجاهلية الصعبة لتناسب رقة وأخلاقيات الإسلام." [١]

" قال "الأصمعي[٢]": "الشعر قد يقوى في الشر ويسهل، فإذا دخل في الخير ضعف ولان. هذا حسان فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره. وقال مرة أخري شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر فقطع متنه في الإسلام لحال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –".[٣]

---

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي حتى نهاية الدولة الأموية)، لريجيس بلاشير،(صـ٤٠٢).

(٢) الأَصْمَعِيُّ(١٢٣ هـ- ٢١٦ هـ/ ٧٤١ - ٨٣١ م) أَبُو سَعِيْدٍ عَبْدُ المَلِكِ بنُ قُرَيْبِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ عَلِيٍّ الأَصْمَعِيُّ، البَصْرِيُّ، اللُّغَوِيُّ، الأَخْبَارِيُّ، أَحَدُ الأعلاَمِ.مات الأصمعي، سنة ثلاث عشرة، قال الخطيب: وبلغني أنه عاش ثمانيا وثمانين سنة، روى له البخاري قوله في تفسير الجذر والوكت، وذكره مسلم في المقدمة.

انظر: تاريخ بغداد وذيوله، لأبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،(٤١٨/١٠برقم٥٥٧٧).

(٣) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٧٢).

٢-مضمون الشبهة:

- يدّعي المستشرق ومن تبعه من النقّاد أن: الشاعر حسان بن ثابت كان "فحلاً" في الجاهلية قوي الشعر شديد المتن، لكنه بعد الإسلام ضعف شعره وسقط مستوى إبداعه، وأن السبب هو أن موضوعات الخير والدين لا تمنح الشعر قوة كالشر والهجاء والجاهليات.

٣- هدف الشبهة:

- الطعن في الأدب الإسلامي واتهامه بالضعف مقارنة بالشعر الجاهلي.
- التقليل من أثر الإسلام في النفوس وادعاء أنه يُضعِف الإبداع.
- التشكيك في قيمة شعر حسان بن ثابت الذي دافع عن النبي -صلى الله عليه وسلم- .
- تشويه صورة الرسالة الإسلامية وكأنها كابحة للفن لا باعثة له.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الربط بين الخير وضعف الشعر حكم غير موضوعي.
- تجاهل الإطار التاريخي حيث إن حسان بن ثابت شاخ في الإسلام وكان كبير السن.
- عدم مقارنة موضوعية بين النصوص، بل اعتماد الذوق الشخصي.
- الخلط بين تغير الأسلوب وتغير الجودة. [١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين كرروا دعوى ضعف الشعر الإسلامي.[١]

[١] انظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)،(٤١/٢)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:**
- استُخدمت لتدعيم الفكرة القائلة بأن الإسلام خنق الإبداع الفني.[٢]
- **في الوسط الإسلامي:** أثارت نقاشات في النقد الأدبي، وتأثر بها بعض الباحثين المحدثين دون تمحيص.[٣]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ - نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- القول بأن الخير يضعف الشعر تناقض منطقي، فالشعر قوة بيان لا علاقة لها بخيرية الموضوع أو شره.
- تاريخ الأدب العالمي يثبت أن الشعر الأخلاقي والحكمي من أقوى أنواع الشعر.
- لما كان حسان في الإسلام قد بلغ الستين وما بعدها، فمن الطبيعي أن تتغير قدرته الصوتية والحسية.
- تغير البيئة والمرحلة العمرية يعادل تغير التجربة الشعرية لا ضعفها.[١]

---

[١] A. F. L. Beeston, “Arabic Literary Works,” in The Cambridge History of Arabic Literature: Arabic Literature to the End of the Umayyad Period, ed. A. F. L. Beeston et al. (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), 42–45

١. أ. ف. ل. بيستون، "الأعمال الأدبية العربية"، في تاريخ الأدب العربي: الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، تحرير أ. ف. ل. بيستون وآخرين (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٨٣)، ٤٥-٤٢.

[٢] Reynold A. Nicholson, A Literary History of the Arabs (Cambridge: Cambridge University Press, 1930), 147–150.

رينولد أ. نيكلسون، تاريخ الأدب العربي (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٣٠)، ١٤٧-١٥٠.

[٣] انظر: الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)،(١/٢٩٦)،دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

٢- **نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:**

- ثبت تاريخياً أن حسان بن ثابت عاش أكثر من ١٢٠ سنة تقريبًا.
- أكثر شعره الجاهلي ضاع، بينما حفظ معظم شعره الإسلامي لأنه قيل في حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- .
- كبار النقاد أثبتوا وجود روائع شعرية له في الإسلام مثل قصائده:"عدمنا خيلَكم إن لم تروها..."هذا يدل أن الإبداع لم يتوقف.
- كما أن تطور موضوعات الشعر لا يعني الضعف، بل انتقال من الهجاء القبلي إلى الدفاع القيمي. [٢]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين
- يقولون أن شعر حسان الإسلامي ذو قيمة تاريخية وأدبية، وفيه حرارة العاطفة الإيمانية. وأن الإسلام لم يضعف الفن بل غير موضوعاته.[٣]

---

[١] انظر:البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي،(٥١١/٣٩-٥١٢)،دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ - ١٤٣٦ هـ).

[٢] ديوان حسان بن ثابت، لحسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد (المتوفى: ٥٤هـ)،(صـ١)، قدم له:عبدأ على مهنا، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

[٣] Reynold A. Nicholson, A Literary History of the Arabs (Cambridge: Cambridge University Press, 1930), 147–150

رينولد أ. نيكلسون، تاريخ الأدب العربي (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٣٠)، ١٤٧-١٥٠.

Kremer, Alfred von. Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen. Vol. 1. Leipzig: Brockhaus, 1875, pp. 289–295

ألفرد فون كرمر. التاريخ الثقافي للشرق في عهد الخلافة. مج١. لايبزيغ: بروكهاوس، ١٨٧٥، ص ٢٨٩-٢٩٥.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس نفسه يمدح الشعر الذي يدعو إلى الخير، مثل: مزامير داود، أناشيد سليمان، فلماذا يكون الشعر الخيّر ضعيفاً؟ إذا كان الخير يفسد الشعر، فهل مزامير داود نصوص ضعيفة؟ هذا تناقض في دعوى المستشرقين أنفسهم:" طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي لَا يَسْلُكُ فِي مَشُورَةِ ٱلْأَشْرَارِ، وَلَا يَقِفُ فِي طَرِيقِ ٱلْخُطَاةِ، وَلَا يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ.بَلْ فِي شَرِيعَةِ ٱلرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي شَرِيعَتِهِ يُلَهِّجُ نَهَارًا وَلَيْلًا.وَيَكُونُ مِثْلَ شَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عَلَى جَوَانِبِ أَنْهَارِ ٱلْمِيَاهِ، ٱلَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لَا يَذْبُلُ، وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ." [١] :" أَنَا وَرْدَةُ سُلَيْمَانَ بَيْنَ الشَّوْكِ، مِثْلُ وَرْدَةٍ بَيْنَ الشُّوكَاتِ، مِثْلُ تُفَّاحَةٍ بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ.قَدْ تَظَلَّلُهَا ٱلظِّلَالُ، وَتَمْلأُ ٱلْقُلُوبَ حُبًّا وَجَمَالًا" [٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

يشير ريجيس بلاشير ونالينو إلى ضعف الإسلام من خلال ضعف شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه، وكأنهما يريدان أن يقولا أن شاعر رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أصاب شعره الركاكة والضعف لملازمته رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ! ولكن الأمر خلاف ذلك:

أولاً: افتراء قريش على الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وقد حمل على "حسان" شعر كثير، بسبب تحامله على قريش، فأرادت قريش النكاية به، فوضعت شعرا على لسانه ليحط من مكانته. قال "ابن سلام": "وأشعرهم حسان بن ثابت، هو كثير الشعر جيده. وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد. لما تعاضهت قريش وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تليق به.(٣)

[١] سفر المزامير، الإصحاح ١ ، الآيه ١-٣

[٢] نشيد الأنشاد ، الإصحاح ٢ ، الآيه ١-٢

(٣) انظر: طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ)،(٢١٥/١)،المحقق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة.

ثانياً: منع الإسلام ما كان في شعر الجاهلية من تزينٍ بالكذب:

وقيل لحسان لان شعرك أو هرم في الإسلام يا أبا الحسام! فقال للقائل: يا ابن أخي إن الإسلام يحجز عن الكذب، أو يمنع من الكذب، وإن الشعر يزينه الكذب، يعني أن شأن التجويد في الشعر الإفراط في الوصف والتزيين بغير الحق وذلك كله كذب".[١]

ثالثاً: شهادة الأصمعى لقوة شعر الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه بعد إسلامه:

وقال الأصمعي: حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء. فقال له أبو حاتم: تأتي له أشعار لينة. فقال الأصمعي: تنسب له أشياء لا تصح عنه".[٢]

رابعاً: شهادة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن شعر الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه بعد إسلامه حكمة: وورد أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: "ليس شعر حسان بن ثابت، ولا كعب بن مالك، ولا عبد الله بن رواحة شعرا، ولكنه حكمة".[٣] وذكر أن "الحارث المري"، قال للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "إني أعوذ بالله وبك من هذا، إن شعر هذا

---

[١] انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبى الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)،(٦/٢برقم١١٥٣)،المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م ".

[٢] انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،(٣٤٦/١). المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

[٣] انظر: سنن أبي داود، باب ما جاء في الشِّعر،(٣٥٩/٧رقم٥٠١١) بلفظ" وإن مِنَ الشعرِ حُكماً"بسند صحيح. المفاتيح في شرح المصابيح، للحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)،كِتَابُ الآدَابِ ، باب البَيانِ والشِّعرِ،(٣٧٣٨/١٦٩/٥)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

لو مزج بماء البحر لمزجه". وكان حسان قد رآه جالسا مع الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فقال فيه شعراً مطلعه:

يا حار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمدا لا يغدر(١)

(١) انظر :ديوان حسان بن ثابت الأنصاري،(صـ١٣).

المبحث الثانى

أهل البادية أبعد الناس عن الإسلام

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

"إن البدوي بطبعه وبحكم حياته القاسية في الصحراء، كان أبعد ما يكون عن تقبل المبادئ الروحية الغيبية التي جاء بها الإسلام. لقد كان الأعراب ينظرون إلى الدين الجديد كقوة سياسية ونظام مادي أكثر منه عقيدة قلبية؛ لذا فإن إسلامهم ظل في معظمه إسلاماً سطحياً، وظلت بقايا الوثنية والنزعة المادية تسيطر على عقولهم. وهذا ما يفسر سرعة ارتدادهم بعد وفاة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، إذ لم يكن الإسلام قد تغلغل في نفوس أهل البادية كما تغلغل في نفوس أهل الحواضر كأهل المدينة ومكة." [(١)]

"ولو أردت سرد أسماء جميع الذين زهوا فى ذلك العصر من شعراء الصنف الثالث لضاق المكان . فإن سأل سائل لأى سبب لا يُظهر شعرهم على وفرته تأثير الدين الإسلامي في أفكارهم وعواطفهم وموضوع قريضهم كأن أحوالهم ما تغيرت منذ انتهاء عصر الجاهلية قلتُ **إنَّ أهل البادية كانوا من أبعد الناس عن روح الإسلام ولا ميل لهم إلى تأمل أمور الدين وفهمها فصعب دخول الإيمان في قلوبهم فلم يزالوا إلى أيامنا موصوفين بقلة عواطفهم الدينية** . ونزل فيهم في سورة التوبة﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، لكارل بروكلمان،(صـ٦٤).

وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾ [١]

ولكن قلَّتْ الأعراب من هذا النوع الثاني فأغلب أهل الوَبَر[٢] **لم يُسْلِموا إلا كارهين أو طامعين فيما كانوا يرجونه من الربح والمنفعة والغنيمة** فلم يعتبروا النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلا كأنه ملك من الملوك القادرين الأعزاء الذين لا يمكن معاداتهم. وحال أكثرهم كحال بنى عامر بن صعصعة الذين لما وفدوا على النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال رئيسهم: (يا محمد ما لى إن أسلمت ؟ قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين . قال أتجعل لى الأمر من بعدك ؟ قال ليس ذاك لك ولا لقومك. قال أفتجعل لى الوبر[٣] ولك المدر[٤] ؟ قال لا ولكنى أجعل لك أعنة الخيل فإنك امرؤ فارس . قال أو ليست لى لأمْلأنها عليك خيلا ورجالاً. ثم ولى.[٥] **ومع قطع النظر عما رأيناه من قلة ميلهم إلى جلالة الدين لا شك فى أن لكراهتهم تلك أسباباً خاصة. قد مر في إحدى الصحائف السابقة أن مراعاة سنة أجدادهم كانت عند عرب الجاهلية أفضل**

---

[١] سورة التوبة، الآية، ٩٧–٩٩

[٢] وَبَر [جمع]: أوبار، وهو: صوف الإبل والأرانب ونحوها، زغب، شعر، فرو "وَبَرُ أرنب/ جمل– رداءٌ وبريّ– {وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}، وأهل الوَبَر: أهل البادية أو البدو لأنّهم يتَّخذون بيوتهم من الوَبَر. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، مادة: وبر، (٢٣٩٣/٣برقم٥٥٣٧).

[٣] أهل البادية أو البدو لأنّهم يتّخذون بيوتهم من الوَبَر.انظر: معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، (صـ٤٩٨)،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

[٤] أهل الحضر: سكان البيوت المبنيّة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (١٤٥/٥).

[٥] الطبقات الكبرى، لأبى عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)،(٢٣٦/١) إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م

الفضائل ومعظم الأدب فظهر لهم الإسلام بدعةً مكروهة لا يتبعونها نبال الناس كما قالت زوجة العباس بن مرداس حين بلغها خبر إسلامه :[(١)] (من الطويل)

لَعَمري لئن تابعت دينَ محمد ... وفارقت إخوانَ الصَّفا والصنائع

لبدّلت تلك النفسَ ذلاً بعِزَّة ... غداةَ اختلاف المُرهَفات القواطع

أو كما قال كعب بن زهير وهو حينئذ وثني يذم أخاه بجيرا حين أسلم:[(٢)](من الطويل)

ففارقت أسباب الهُدَى واتَّبَعْتَهُ....... على أي شيء ويب غيرك دلكا

على مذهب لم تُلْفِ أمَّا ولا أباً...... عليه ولم تعرف عليه أخاً لكا

ففي تمسك العرب بسنن آبائهم نزلت بضعة آيات منها ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [(٣)]: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [(٤)]: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [(٥)]: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٦)]: **وفي بعض الأشياء إنّ الشريعة الإسلامية خالفت سنن العرب القديمة مخالفة شديدة . كانت العرب أفخر الناس بأنسابهم محتقرين من لم يكن منهم أو كان مغموز**

---

(١) الأغاني، لعلي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ)،(١٤/٢٩٨-٢٩٩).

(٢) ديوان كعب بن زهير، لكعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب (المتوفى: ٢٦هـ)،(صـ٣٨)، دار الكتب العلمية، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)

(٣) سورة البقرة، الآية، ١٧٠

(٤) سورة لقمان، الآية، ٢١

(٥) سورة الأعراف، الآية، ٢٨

(٦) سورة الزُّخْرُف، الآية، ٢٢

النسب متكبّرين بالحَسَب الطويل فجاء القرآن بما يدل على مساواة الناس عند الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [(١)] . – كانت العرب يذلون من لم يأخذ ثأر أقار به ولا ردّ الشر بمثله أو بأكثر منه كما قال عمرو بن كلثوم في معلقته[(٢)] :

أَلا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ عَلَيْنَا....... فنجهَلُ فوق جهل الجاهلينا

أما الإسلام فنصح للناس العفو والحلم ومدح ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [(٣)] بل أمر المؤمن﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [(٤)] – **وكانت الأعراب مولعين بشُرب الخمر ولعب المَيْسِر فجاء القرآن بتحريمهما وأمرهم بالصلاة والصيام وغير ذلك من الأحكام المتعبة لأبناء الفيافي . فخلاصة الأمر أنه كان البون الواسع بين قواعد المُروَّة على رأى الأعراب و بين كثير من أحكام الإسلام. فلا عجب أن أهل البادية لم يعتنقوا الدين الجديد إلا رغماً عنهم".**[(٥)]

٢–مضمون الشبهة:

- الأعراب لم يتأثروا بالإسلام نفسيًا وفكريًا.
- شعرهم لم يتغير بعد الإسلام، مما يدل على بقاء جاهليتهم.
- دخولهم في الإسلام كان طمعًا أو خوفًا وليس عن قناعة.
- عقليتهم القَبَلية مثل التفاخر بالأنساب والثأر وشرب الخمر جعلتهم رافضين لأحكام الإسلام.

---

(١) سورة الحجرات، الآية، ١٣

(٢) دواوين الشعر العربي على مر العصور، لمجموعة شعراء، معلقة عمرو بن كلثوم بيت ٥٣، قصيدة ٦٧١، موقع أدب.

(٣) سورة ال عمران، الآية، ١٣٤

(٤) سورة المؤمنين، الآية، ٩٥

(٥) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (ص٩٥–٩٧).

- البادية كانت معاندة للإسلام تاريخيًا ولم يُعرف عنها التدين.

٣-هدف الشبهة:

- تشويه طبيعة انتشار الإسلام وزعزعة الثقة بصدقه وروحانيته.
- إظهار أن الإسلام كان حركة سياسية لا رسالة دينية.
- التقليل من قيمة العرب الأوائل والطعن في نقلة القرآن الكريم والسنة النبوية.
- إضعاف حُجة الوحي عبر الإيحاء بأن المجتمع الذي نزل فيه القرآن لم يتأثر به.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- التعميم الخاطئ على جميع الأعراب.
- إسقاط تجارب فردية على مجموعات ضخمة.
- تناقض الشبهة مع التاريخ الموثق لنشر الإسلام.
- تجاهل النصوص القرآنية والحديثية في فضل الأعراب والمسلمين منهم.
- خلط بين الأعراب البدو الرحّل والعرب عامة.
- استعمال شواهد قبل الإسلام ليتم إسقاطها على ما بعد الإسلام.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين اعتمدوا على رؤية استشراقية تقوم على تصور الإسلام حركة سياسية، والتشكيك في صدق العرب والرواة، وإعلاء الثقافة الجاهلية على الثقافة الإسلامية.[٢]

---

[١] انظر: فقه اللغة، لمحمد بن إبراهيم الحمد،(٢/٦١ ومابعدها)، دار ابن خزيمة، الرياض، ٢٠٠٥م.

[٢] Gustav Flügel, Geschichte des arabischen Altertums (Leipzig: Brockhaus, 1865), 214–230.

غوستاف فلوجل، تاريخ العرب القديم، ليبزيغ: دار بروكهاوس، ١٨٦٥، ص ٢١٤-٢٣٠.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:**
- أصبحت مادة جاهزة للطعن في الإسلام السياسي والاجتماعي.
- تم استخدامها في دراسات أصل الإسلام والشعر الجاهلي.[١]
- **في الوسط الإسلامي:**
- أنتجت حركة علمية للدفاع عن أصالة الشعر الإسلامي وتأثير الوحي.
- أدت إلى دراسات أكبر حول أثر القرآن في الشعر العربي.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- ليس صحيحًا أن الأعراب جميعًا لم يتأثروا بالإسلام، فالله تعالى يقول:﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩ ﴾ [(٣)] فالله عز وجل يُفرّق بين المؤمنين منهم والمنافقين، مما يبطل التعميم.
- أثر الإسلام على الشعر ظاهر شعر حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة وكلهم من العرب وليسوا حضريين فقط.

---

[١] D. S. Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam (London/New York: G. P. Putnam's Sons, 1905), 110–125

ديفيد صموئيل مرجليوث، محمد ونشأة الإسلام،لندن/نيويورك: دار ج. ب. بوتنامز سونز، ١٩٠٥، ص ١١٠-١٢٥.

[٢] انظر: فقه اللغة، لمحمد بن إبراهيم الحمد،(٢/٦١ ومابعدها).

[(٣)] سورة التوبة، الآية، ٩٧-٩٩

- شعر "النقائض" في الدولة الأموية امتلأ بالاستشهاد بالقرآن، فكيف يُقال إنه لا أثر للإسلام؟
- الادعاء بأنهم أسلموا طمعًا يناقض الواقع، فلو كان الأمر طمعًا فقط فلماذا التزم الأعراب بالصلاة والصيام والجهاد؟ولماذا مات منهم آلاف في الفتوحات؟ ولماذا بقوا على الإسلام بعد وفاة النبي -صلي الله عليه وسلم- في أغلب قبائل الجزيرة؟.[1]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- قبائل الأعراب كانت رأس القوة العسكرية للإسلام، وكانت من أقوى جيوش الفتح الإسلامي في العراق والشام كقبائل: أسد،غطفان،سُليم،هلال،تميم.
- كثير من كبار الصحابة من البادية: كدِحية الكلبي، عيينة بن حصن، الأقرع بن حابس.
- البادية أنتجت علماء كبارًا: كالأعمش، الشعبي، إبراهيم النخعي،أبو عمرو بن العلاء.
- لو كان الأعراب كرهوا الإسلام لما شاركوا في الردة ثم عادوا بسرعة، ولما ساهموا في تدمير الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، ولما حافظوا على الدولة الإسلامية لقرون.[2]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين يقولون إن انتشار الإسلام بين العرب كان مصحوبًا بإيمان حقيقي لا يمكن تفسيره بالمصلحة السياسية وحدها، وأن البادية قبلت الإسلام

---

[1] انظر: تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)،(١٢٤/٣)،دار الكتاب العربي.

[2] انظر: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)،(صـ٨٣ ومابعدها)،تحقيق: سهيل زكار،دار الفكر – بيروت،الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.و السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)،(٣٨٢/١ ومابعدها)،صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٧ هـ

لأنها وجدت فيه نظامًا أخلاقيًا أسمى من القبلية، ولذا كان تأثير الإسلام في الشعر ظاهر للغاية ولا يمكن إنكاره.[١]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس نفسه يُقِر بأن شعوبًا كاملة قبلت دعوات أنبياء بدوافع دنيوية أحيانًا، ومع ذلك لم يُبطل أحد نبوتهم: كدخول بني إسرائيل مع موسى طمعًا في الخلاص من فرعون:"فَصَعَدَ كُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. أَخَذُوا خَيْرَاتِ مِصْرَ فِي أَيْدِيهِمْ"[٢] ودخول أهل نينوى في التوبة لدفع العذاب:" فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللَّهِ وَأَعْلَنُوا صِيَامَهُمْ مِنْ أَصْغَرِهِمْ إِلَى أَكْبَرِهِمْ. وَلَبِسُوا الْكَتَّانَ وَصَرَخُوا إِلَى اللَّهِ، فَتَرَاءَفَ اللَّهُ عَلَى شَرِّهِمْ" [٣] فلماذا يكون الأمر مقبولاً عند اليهود والنصارى ومرفوضًا عند المسلمين؟

---

[١]

.Watt, W. Montgomery. Muhammad at Mecca. Oxford: Clarendon Press, 1953

.The Arabian Background – The Social and Moral Background, pp. 23–40

.The Religious and Intellectual Background, pp. 41–60

.The First Muslims / Traditional Accounts of the Earliest Converts, pp. 61–85

.The Appeal of Muhammad's Message, pp. 86–105

مونتغمري وات، محمد في مكة. أكسفورد: كلارندون برس، ١٩٥٣.

الخلفية العربية – الخلفية الاجتماعية والأخلاقية ، ص. ٢٣–٤٠.

الخلفية الدينية والفكرية ، ص. ٤١–٦٠.

أول المسلمون / الحسابات التقليدية لأول المؤمنين ، ص. ٦١–٨٥.

جاذبية رسالة محمد –صلى الله عليه وسلم– ، ص. ٨٦–١٠٥.

[٢] سفر الخروج، الإصحاح ١٢ ، الآيه ٣٧–٣٨

[٣] سفر يونان، الإصحاح ٣ ، الآيه ٥–١٠

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ماذكره كارل بروكلمان وناللينو في وصف صنف من أصناف الأعراب من أهل البادية، وهم أصحاب جهل وجفاء، ولكن ليس جميعهم ولا ينطبق البعض على الكل بالتأكيد، وهذا ما سيورده الباحث في النقاط التالية:

أولاً: بيان ماستشهد به ناللينو من سورة التوبة خاص بالأعراب وليس بالعرب: فالفرق بينهما كبير، فالعرب هم الجنس المعروف الذي ينقسم إلى حضر وبدو، والحضر هم ساكنو المدن والقرى، أما البدو فهم " الأعراب " سكان البادية، وهؤلاء هم الذي يتحدث عنهم ناللينو في هذا المبحث، وهم من تخبر عنهم الآيات الكريمات في سورة التوبة. **قال النووي رحمه الله:** [(١)]" أهل البادية هم الأعراب، ويغلب فيهم الجهل والجفاء، ولهذا جاء في الحديث: (من بدا جفا)[(٢)] ، والبادية والبدو بمعنًى [واحد] : وهو ما عدا الحاضرة والعمران . والنسبة إليها بدوي".[(٣)]

والمجتمع العربي : بدو وحض.. ويعرف الحضر، وهم العرب المستقرون بـ " أهل المدر "، عرفوا بذلك لأن أبنية الحضر إنما هي بالمدر. والمدر : قطع الطين اليابس. وورد أن أهل البادية إنما

---

(١) سبق ترجمته، (صـ٧٤).

(٢) سنن أبي داود، لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، كتاب الصّيد، باب في اتِّبَاعِ الصيد،(٤/٤٨٠برقم٢٨٥٩). وهو حديث حسن صحيح بلفظ(من سكن البادية جفا).انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، الفصل الثاني: في آداب البيت والبناء، السكنى والاقامة، (١٥/٤٠٧برقم٤١٥٨٩).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، (١٦٩/١) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

قيل لهم " أهل الوبر "[١] ، لأن لهم أخبية الوبر . تمييزاً لهم عن أهل الحضر الذين لهم مبان من المدر. وتطلق لفظة " عرب " على أهل المدر خاصة ، أي على الحضر و " الحاضر " و " الحاضرة " من العرب ، أما أهل البادية فعرفوا بـ " أعراب "[٢].

ثانياً: يتبين من قوله تعالى﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٩٧ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٩٨﴾[٣] أن من الأعراب من هو أشد من منافقي الحضر كمنافقي المدينة المنورة ومن هم علي وتيرتهم، ففي البادية أشد وأغلظ مما في الحاضرة، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: [٤]

"أخبر تعالى أن في الأعراب كفارا ومنافقين ومؤمنين ، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد ، وأجدر : أي : أحرى ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله...عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : (من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غَفَل ، ومن أتى السلطان افتتن) رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن غريب....

وقوله : (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) أي : عليم بمن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم ، (حَكِيمٌ) فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والإيمان والكفر والنفاق ، لا يسأل عما يفعل لعلمه وحكمته . وأخبر تعالى أن منهم (مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) أي : في سبيل الله (مَغْرَمًا) أي : غرامة وخسارة ، (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) أي : ينتظر بكم الحوادث والآفات، (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) أي : هي منعكسة عليهم والسوء

---

[١] أهل البادية أو البدو لأنّهم يتَّخذون بيوتهم من الوَبَر.انظر: معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، (صـ٤٩٨).

[٢] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي(المتوفى: ١٤٠٨هـ)،(٧/٢٧١-٢٧٥)،دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

[٣] سورة التوبة، الآية، ٩٧-٩٨

[٤] سبق ترجمته، (صـ٥٠).

دائر عليهم، (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) أي: سميع لدعاء عباده ، عليم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان.[١]

ويقول الإمام السعدي رحمه الله[٢]: "يقول تعالى : (الأَعْرَاب) وهم سكان البادية والبراري (أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) من الحاضرة الذين فيهم كفر ونفاق ، **وذلك لأسباب كثيرة:**

منها : أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع الدينية والأعمال والأحكام ، فهم أحرى (وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) من أصول الإيمان وأحكام الأوامر والنواهي ، بخلاف الحاضرة ، فإنهم أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل اللّه على رسوله ، فيحدث لهم - بسبب هذا العلم - تصورات حسنة ، وإرادات للخير الذي يعلمون ، ما لا يكون في البادية . وفيهم من لطافة الطبع والانقياد للداعي ما ليس في البادية ، ويجالسون أهل الإيمان ، ويخالطونهم أكثر من أهل البادية ، فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية ، وإن كان في البادية والحاضرة ، كفار ومنافقون ، ففي البادية أشد وأغلظ مما في الحاضرة. ومن ذلك أن الأعراب أحرص على الأموال ، وأشح فيها . فمنهم (مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) من الزكاة والنفقة في سبيل اللّه وغير ذلك (مَغْرَمًا) أي: يراها خسارة ونقصا، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه اللّه، ولا يكاد يؤديها إلا كرها. (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) أي: من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم فعليهم دائرة السوء .[٣]

---

[١] تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(المتوفى: ٧٧٤هـ)،(٢٠٢/٤).

[٢] سبق ترجمته، (صـ٢١٨).

[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،(صـ٣٤٩).

ثالثاً: يتبين من قوله تعالى﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾.[(١)] أن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتقرب إلى الله عز وجل بالنفقات، فليس جميع الأعراب علي وتيرة واحده مع أنهم جميعاً من أهل البادية: ويقول الإمام السعدي رحمه الله[(٢)]:

وليس الأعراب كلهم مذمومين ، بل منهم (مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) فيسلم بذلك من الكفر والنفاق ، ويعمل بمقتضى الإيمان . (وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ) أي : يحتسب نفقته ، ويقصد بها وجه اللّه تعالى والقرب منه . (و) يجعلها وسيلة لـ (صَلَوَاتِ الرَّسُولِ) أي : دعائه لهم ، وتبريكه عليهم ، قال تعالى مبينا لنفع صلوات الرسول : (أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ) تقربهم إلى اللّه ، وتنمي أموالهم ، وتحل فيها البركة . (سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ) في جملة عباده الصالحين إنه غفور رحيم ، فيغفر السيئات العظيمة لمن تاب إليه ، ويعم عباده برحمته التي وسعت كل شيء ، ويخص عباده المؤمنين برحمة يوفقهم فيها إلى الخيرات ، ويحميهم فيها من المخالفات ، ويجزل لهم فيها أنواع المثوبات .[(٣)]

و يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: [(٤)] في قوله تعالى: (وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) ، هذا هو القسم الممدوح من الأعراب ، وهم الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله ، ويبتغون بذلك دعاء الرسول لهم ، (أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ) أي : ألا إن ذلك حاصل لهم (سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ".[(٥)]

---

(١) سورة التوبة، الآية، ٩٩

(٢) سبق ترجمته، (صـ٢١٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،(صـ٣٤٩)،

(٤) سبق ترجمته، (صـ٩٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٤/٢٠٢).

رابعاً: الأعراب في سورة التوبة السالف ذكرهم منهم الممدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم اللّه على مجرد باديتهم ، إنما ذمهم على ترك أوامر اللّه، لذا أحببت أن أوضح أن:

- الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخف بحسب الأحوال.
- فضيلة العلم ، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن اللّه ذم الأعراب، وأخبر أنهم أشد كفراً ونفاقاً، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل اللّه على رسوله.
- العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود ما أنزل اللّه على رسوله، من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك، فإن في معرفتها يُتَمَكَّن من فعلها - إن كانت مأموراً بها، أو تركها إن كانت محظورة، ومن الأمر بها، أو النهي عنها.
- المؤمن ينبغي أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنماً، ولا تكون مغرما". [١]

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،(صـ٣٤٩).

المبحث الثالث

وصف خلفاء بني أمية بالفُجْرِ والمُجُون

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

"لقد كان البلاط الأموي في دمشق مسرحاً للمجون والترف الذي لم يعهده العرب من قبل. إن خلفاء مثل الوليد بن يزيد لم يكونوا سوى شعراء ماجنين انغمسوا في الخمر والنساء، وضربوا بعرض الحائط وقار المنصب الخبري. إن هؤلاء الحكام قد استبدلوا بساطة الإسلام بتقاليد القصور البيزنطية، وتحول الدين لديهم إلى مجرد غطاء سياسي لحكم دنيوي غارق في اللذات الحسية." [١]

" انحطاط قوة الدولة الأموية غير الفتن والاختلافات فى مسأله الإمامة. أفضت الخلافة(سنة ١٣٥هـ_٧٤٣ م) إلى الوليد بن يزيد فهو لم يزل مُدْمِنًا على الصيد واللهو وشرب الخمر محتجباً عن الناس منهمكا فى اللذات فمل الناس أيامه وكرهوه بعض أهل بيته خَلْعَه سواء أن يحملهم على ذلك بغض سوء سيرته أم الطَّمَع) الطمع وحب الأحداث . فوقعت الفتن بينهم فقال العباس بن الوليد بن عبد الملك: « يابنى مروان أظنُّ أنَّ الله قد أذن في هلاككم ، ثم أخذ ينذرهم فقال[٢]:

إني أُعِيذكُم بالله من فِتَنٍ ... مثلِ الجبال تَسَامَى ثم تندفعُ

إنّ البريّة قد ملّت سياسَتكم ... فاستَمسِكوا بعمود الدّين وارتَدِعوا

---

[١] تاريخ الأدب العربي في العصور القديمة، لرينولد نيكلسون،(صـ٢٤٢).

[٢] الأغاني، لعلي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ)،(٧/٨٧).

لا تُلْحِمُنّ ذئابَ الناس أنْفُسَكم ... إنّ الذئاب إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعوا

لا تَبْقُرُنّ بأيديكم بطونَكمُ ... فَثَمَّ لا فِدْيَةٌ تُغْنِي ولا جَزَع ".[١]

ويتابع نالينو إدعاءه بوصف الخليفة الوليد بن يزيد أول من أدخل المغنيين في بلاد الشام، فيقول:" أما أول الأمويين الذي أدخل فينا المغنين في الشام فالوليد بن يزيد)". [٢]

ثم يُبين نالينو أن هذه الأخبار التاريخيه يعتريها التعصب العباسي والكره الشيعي، فيقول:" غير أن الحكم المنصف في الوليد بن يزيد صعب علينا إذا تأملنا مصادر اخباره وأخبار أكثر الأمويين فقدت التصانيف التاريخية القديمة فمعظم ما نعرفه من سير بني أمية منقول من مؤلفات أعدائهم سواء من أهل الشيعة أم من المنقطعين إلى الدولة العباسية . فأهل الشيعة أفرطوا فى تسويد معاوية ويزيد لما جرى بينهما وبين على بن أبي طالب وآله . أما المتعصبون ببنى العباس فاجتهدوا في تسويد ذكر الآخرين من خلفاء بني أمية لما وقع من العداوة بينهم وبين بني هاشم . ثم تفكروا في أمر آخر تقدم التلميح إليه فيما سبق وهو أنّ الدولة الأموية كانت دولة عربية محضة فأبغضها المسلمون من غير العرب وأسرعوا في قبول روايات الحاقدين على بني أمية بدون إجراء النقد فيها لميل الناس إلى تصديق ما يوافق أهواءهم فنتيجة كل ذلك أن المؤرخين المتأخرين مثل ابن الأثير وأبى الفداء اغتروا وضلوا أي ضلال في بعض ما رووه من أخبار الأمويين". [٣]

لكن نالينو يغفل عما فسره وبينه من تزوير الأخبار التاريخيه خاصة في خلفاء بني أمية محل البحث، ويؤكد على اقتناعه واتهامه الأول في وصف خلفاء بني أمية بالفُجْرِ والمُجُون، فيقول خاتماً كلامه في هذا الصدد:" و بعد هذا الاستطراد أرجع إلى سياق الكلام فأقول إن الوليد برئ

---

[١] تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٢٣٣-٢٣٤).

[٢] تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٢٦٨).

[٣] المرجع السابق، (صـ٢٧٤).

على المحتمل من أقبح ما يروى عنه من الأخبار والأشعار. ولكن ولو سلمنا ورود التزوير فيها والافتراء في حقه لا ريب أنّه تمادى في الشرب واللذات وأفرط و إن كثيراً مما يُرْوَى من غزلياته وخمرياته صحيح الرواية موثوق به". [(١)]

٢-مضمون الشبهة:

- اتهام الخلفاء الأمويين، وخاصة الوليد بن يزيد، بالفساد الأخلاقي والإفراط في الشرب واللهو.
- تصويرهم كمثال للانحطاط الأخلاقي الذي أدى إلى هلاك الدولة الأموية.

٣-هدف الشبهة:

- تشويه صورة الخلفاء الأمويين أمام العامة والباحثين.
- تعزيز الانطباع بأن سقوط الدولة الأموية كان بسبب الفساد الشخصي وليس أسباب سياسية أو اجتماعية أو تاريخية أوسع.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تتناقض الشبهة مع حقائق التاريخ الاجتماعي والسياسي للفتوحات الإسلامية.
- الاعتماد على مصادر متأخرة متحيزة، دون مراعاة التحليل النقدي للمصادر. [٢]

مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين اعتمدوا على كتب المؤرخين المتأخرين، وبعض المصادر الشيعية والعباسية.[٣]

[(١)] تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، (صـ٢٧٦).

[٢] انظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)،(صـ٤٦)،المحقق: محب الدين الخطيب – ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

[٣] الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،(٤٠٠/١ ومابعدها)،دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى –

٥-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:**
- تدعم فكرة فساد الخلفاء الأمويين، وتظهر الدولة الأموية على أنها دولة فاسدة.[١]
- **في الوسط الإسلامي:**
- أثارت ردوداً فعل دفاعية عن تاريخ الأمويين، وأدت إلى الدراسات النقدية للمصادر التاريخية الأمويّة والعباسية.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الشبهة تبسط الأسباب وتربط سقوط الدولة الأموية بسلوكيات شخصية دون اعتبار للظروف السياسية والاجتماعية المعقدة.
- منطقياً، لا يمكن عزو سقوط دولة بأكملها إلى شخصية فردية أو ممارسات خاصة بالخلفاء فقط.[٣]

١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.و الذاكرة التاريخية للأمة، لجاسم سلطان،(صـ٥٦ ومابعدها)، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع،المنصورة ، ٢٠٠٥م.

[١] Julius Wellhausen, The Arab Kingdom and Its Fall, trans. Margaret Graham Weir (Calcutta: University of Calcutta, 1927), p. 135.

ويلهوزن، يوليوس. المملكة العربية وسقوطها، ترجمة مارغريت غراهام وير. كالكوتا: جامعة كالكوتا، ١٩٢٧، ص ١٣٥.

[٢] انظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)،(صـ٤٦).

[٣] انظر: أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة/ دراسة نقدية تحليلية هادفة، لخالد كبير علال،(صـ٣٠٩)،دار الإمام مالك الجزائر سنة١٤٢٦ هـ/ الطبعة الأولى. نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، لسالم بن عبد الله

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الدولة الأموية استمرت أكثر من ٩٠ عامًا وحققت توسعًا جغرافيًا كبيرًا في العراق والشام وشمال إفريقيا.
- مؤشرات القوة العسكرية والإدارية والاقتصادية تظهر أن الدولة لم تنهار بسبب ممارسات فردية فقط، بل بسبب صراعات سياسية وعسكرية وأزمات داخلية.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين المعاصرين يقرون بأن الروايات المتعلقة بالفساد الأخلاقي للأمويين قد تكون مبالغًا فيها بسبب التحامل الشيعي أو العباسي، مثل ما ذكره.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الشبهة تعتبر الطمع أو المصلحة سببًا سلبيًا لقبول الإسلام عند العرب، بينما الكتاب المقدس يسجل قبول شعوب لدين أنبيائهم أحيانًا بدوافع دنيوية (بني إسرائيل، أهل نينوى، المسيحيين في عهد قسطنطين) ولا يعتبر ذلك انتقاصًا من الدين. هذا يوضح وجود تناقض منهجي في مهاجمة الخلفاء الأمويين:" أَلَيْسَ هذَا الَّذِي كُنَّا نُكَلِّمُكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: دَعْنَا نَخْدِمُ الْمِصْرِيِّينَ؟ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ"[٣] النص يوضح أن دافعهم لمتابعة موسى

الخلف،(١/١١ ومابعدها)،عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

[١] انظر: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، لسالم بن عبد الله الخلف،(١/٢٣٦ ومابعدها).

[٢]

Nicholson, Reynold A. A Literary History of the Arabs. Cambridge: Cambridge University Press, 1930, 206

نيكلسون، رينولد ألين. تاريخ الأدب العربي. ترجمة عبد الحليم النجار. القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص ٢٠٦.

[٣] سفر الخروج، الإصحاح ١٤ ، الآيه ١٠-١٢

كان الخوف من الهلاك وليس قناعة عقائدية ثابتة، ومع ذلك لم يعتبر الكتاب المقدس ذلك طعنًا في رسالة موسى.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ينبغي في البداية توضيح أن هذه الأخبار التاريخية المشتهرة وأهلها ليسوا في مقام القضاء والحكم، وإنما في مقام سرد ما حُكي واشتهر ذكره، ونتابع الرد من خلال النقاط التالية:

أولاً: ضعف مرويات التهم الموجهة إلى وصف خلفاء بني أمية بالفُجْرِ والمُجُون:

١-**ما رواه الإمام الطبري رحمه الله:**[١] عن أحمد بن زهير وهو ابن أبي خيثمة، عن المدائني علي بن محمد، عن عمرو بن مروان الكلبي: " لما قتل الوليد قطعت كفه اليسرى، فبعث بها إلى يزيد بْن الوليد ، فسبقت الرأس ، قدم بها ليلة الجمعة، وأُتِيَ برأسه من الغد، فنصبه للناس بعد الصلاة... ثم – أمر بأخذ الرأس – إلى أخيه سليمان، وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه، فغسل ابن فروة الرأس، ووضعه في سفط ، وأتى به سليمان، فنظر إليه سليمان، فقال: بعدا له! أشهد أنه كان شروبا للخمر، ماجنا فاسقا، ولقد أرادني على نفسي الفاسق ، فخرج ابن فروة من الدار، فتلقته مولاة للوليد، فقال لها: ويحكِ! ما أشدَّ ما شتمه! زعم أنه أراده على نفسه! فقالت: كذب والله الخبيث، ما فعل، ولئن كان أراده على نفسه لقد فعل ، وما كان ليقدر على الامتناع منه ".[٢]

---

[١] سبق ترجمته، (ص١٨٥).

[٢] تاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري،(٧/٢٥٠-٢٥١).

فهذا الخبر فيه عمرو بن مروان الكلبي، **والإمام أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله:**[(١)] سماه باسم "عمر بن مروان" ولم يذكر من الرواة عنه إلا علي بن محمد هذا المدائني، ولم نقف على من وثّقه،[(٢)] غير أن متن هذا الخبر ليس فيه حجة، فسليمان كان عدوا لأخيه الوليد كما في هذا الخبر، وشهادة العدو لا تقبل، ثم إن جاريته نفت هذا عنه، واتهمت سليمان بالكذب.

٢-ونفى الإمام الطبري رحمه الله:[(٣)] **عن الوليد مثل هذه الفواحش:**

دخل – الوليد – القصر، وأغلق الباب، وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر، فدنا الوليد من الباب، فقال أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه! فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي: **كلمني!**

قال له: من أنت؟

قال: أنا يزيد بْن عنبسة.

قال: يا أخا السكاسك! ألم أزد في أعطياتكم! ألم أرفع المؤن عنكم! ألم أعط فقراءكم! ألم أخدم زمناكم!

فقال: إنا ما ننقم عليك في أنفسنا، ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله وشرب الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله.

---

(١) أبو القاسم ابن عساكر (٤٩٩ – ٥٧١ هـ = ١١٠٥ – ١١٧٦ م) علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي: المؤرخ الحافظ الرحالة. كان محدث الديار الشامية، ورفيق السمعاني (صاحب الأنساب) في رحلاته. مولده ووفاته في دمشق. من كتبه «تاريخ دمشق الكبير – خ» [ثم طُبع] .
انظر: الأعلام، للزركلي،(١٨٥/٥).

(٢) انظر: تاريخ دمشق، لأبى القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، (٣٣٦/٦٣) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٣) سبق ترجمته، (صـ١٨٥).

قال: حسبك يا أخا السكاسك، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت ، وإن فيما أحِلّ لي لسعة عما ذكرت، ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفا، وقال: يوم كيوم عثمان، ونشر المصحف يقرأ".[(١)]

ثانياً: عدم ثبوت البينة على المدعى:

كى نثبت وقوع المعصية على أحد الناس بطرق شرعية، فيشترط إقامة البيّنة وثبوتها من الشهود أو اعتراف العاصي نفسه، وهذا كله غير محقق للحكم على الوليد، فلم يحكم عليه قاض عادل في زمنه، ولم يصلنا سوى مثل هذه الروايات التي لا ترقى لأن تكون بينةً شرعية، فنكل حاله إلى الله تعالى، ونتأدب بما في قوله تعالى﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦ ﴾.[(٢)]

ثالثاً: فرضية إثبات التهم على خلفاء بنى أمية:

وعلى فرض تصديق ماتوهمه رينولد نيكلسون ونالينو فيما ذكراه من الأخبار التاريخية عن خلفاء بني أمية بالفُجْرِ والمُجُون، فهذه ذنوب أشخاص وليس للأمة الإسلامية علاقة بها، فالأمة الإسلامية لم تخترهم للخلافة مع علمها بفواحشهم حتى تتحمل وزرهم، بل ورثوها وراثة. كما أن هذ التوهم لا يمكن أن يُطعن بها في سائر خلفاء بني أمية كما يفعل أعداء الشيعة، لأنها ذنوب أفراد يتحملون وزرها لوحدهم.قال جل شأنه﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ﴾

---

(١) انظر: تاريخ دمشق، لأبى القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)،(١٧/٣١٠برقم٢٠٨٩).

(٢) سورة الإسراء، الآية، ٣٦

[1]، وقال جل في علاه﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ ﴾.[2]

---

[1] سورة الأنعام، الآية، ١٦٤

[2] سورة فاطر، الآية، ١٨

الفصل الثالث

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين في نظرتهم إلى اللغة العربية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر الدين والسياسة على العرب في هجاء الشعر.

المبحث الثانى: اختلاف العرب بعد وفاته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

المبحث الثالث: تأثير العصبية على شعر قريش والأنصار.

المبحث الرابع: انعدام الكتابة وعلاقتها بانتحال الشعر.

المبحث الأول

أثر الدين والسياسة على العرب في هجاء الشعر

لقد تأثر التلميذ بأساتذته، وشرب من كؤوس الغربيين، وتأثر بكتابات المبشرين والمستشرقين، وفاقهم بالطعن في الإسلام والمسلمين دون خفاء، فوصف شعر العرب بالهجاء، وكأن روح الإسلام لم تؤثر في أخلاقهم.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

يدعى الدكتور طه حسين[١] أن العرب لا يختلفون عن الأمم الأخرى من حيث سيرورة الحياة، والخضوع لنفس الظروف والمؤثرات فلم يتخلوا عن عصبيتهم وجاهليتهم، فيقول:" أهل عصبية وأصحاب مطامع ومنافع، فهم مضطرون إلى أن يراعوا هذه العصبية ويلائموا بينها وبين منافعهم ومطامعهم ودينهم. [٢]"وأول ما يجب أن نلاحظه هو هذا الجهاد العنيف الذي اتصل بين النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه من ناحية وبين قريش وأوليائها من ناحية أخرى ".[٣]

ويتابع طه حسين إدعاءاته، فيقول:" كثر الهجاء إذن واشتد بين قريش والأنصار لما كثرت الحرب واشتدت وأنت تعلم مقدار حظ العرب من العصبية وحرصهم على الثأر للدماء المسفوكة،

[١] سبق ترجمته،(صـ٣٦٦).

[٢] في الأدب الجاهلي، لطه حسين،(صـ١١٦) ،دار المعارف مصر ، الطبعة: الثانية، ١٩٦٢م.

[٣] المرجع السابق،(صـ١١٧) .

وجدهم في الدفاع عن الأعراض المنتهكة فليس غريبا أن تبلغ الضغينة بين هذين الحيين من أهل الحجاز إلى أقصى ما كانت تستطيع أن تبلغ".[١]

ويكمل طه حسين إدعاءاته فى الشك في إخلاص أبي سفيان في دخوله الإسلام، فيقول:" أمست ذات يوم وإذا خيل النبي قد أظلت مكة فنظر زعيمها وحازمها أبو سفيان فإذا هو بين اثنتين: إما أن يمضي في المقاومة فتفنى مكة، وإما أن يصانع ويصالح ويدخل فيما دخل فيه الناس وينظر لعل هذا السلطان السياسي الذي انتقل من مكة إلى المدينة ومن قريش إلى الأنصار أن يعود إلى قريش وإلى مكة مرة أخرى".[٢]

ويُنهي طه حسين إدعاءاته بأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لو عاش أكثر بعد فتح مكة لاستطاع أن يضع حداً لتلك العصبية في العرب، فيقول:"ولعل النبي لو عمر بعد فتح مكة زمنا طويلا لاستطاع أن يمحو تلك الضغائن، وأن يوجه نفوس العرب وجهة أخرى، ولكنه توفى بعد الفتح بقليل، ولم يضع قاعدة للخلافة، ولا دستورا لهذه الأمة التي جمعها بعد فرقة. فأي غرابة أن تعود هذه الضغائن إلى الظهور وفي أن تستيقظ الفتنة بعد نومها، وفي أن يزول هذا الرماد الذي كان يخفي تلك الأحقاد".[٣]

٢-مضمون الشبهة:

- العرب بطبعهم عصبيون ومصلحيون، يتصرفون وفق مصالحهم الفردية والجماعية.
- الحروب والغارات تعكس طبيعتهم الجاهلية.
- شكوك حول إخلاص بعض الشخصيات، مثل أبي سفيان، عند دخوله الإسلام.

---

[١] في الأدب الجاهلي، لطه حسين ،(صـ١١٩) .

[٢] المرجع السابق ،(صـ١١٩) .

[٣] المرجع السابق،(صـ١١٩) .

- النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يتمكن من القضاء على العصبية والضغائن بسبب وفاته المبكرة بعد فتح مكة.

٣-هدف الشبهة:

- الطعن في الجانب الأخلاقي والاجتماعي للعرب قبل الإسلام وبعده.
- التشكيك في نبوّة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقدرته على إدارة المجتمع وتحقيق الوحدة.
- توجيه صورة سلبية عن الإسلام كدين مؤسس على السيطرة على العصبيات البشرية.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تعميم سلوك فئة من العرب على كل الأمة.
- افتراض أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يكن قادرًا على إصلاح النفوس بسبب ظروف تاريخية محدودة.
- إساءة فهم طبيعة التحولات الاجتماعية والسياسية بعد الهجرة وفتح مكة.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين اعتبروا أن الإسلام نجح في توحيد العرب سياسيًا، لكنه لم يزرع بشكل كامل السلوك الأخلاقي الجديد الذي يلغي العصبية القبلية.[٢]

---

[١] انظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)،(٢٤٧/١)،تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣/١٤١٤.

[٢] Renan, Ernest. Histoire des Origines du Christianisme et de l'Islam. Vol. 2. Paris: Hachette, 1883, pp. 145–147.

إرنست رينان. تاريخ أصول المسيحية والإسلام. المجلد ٢. باريس: هاشيت، ١٨٨٣، ص ١٤٥–١٤٧.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استخدمت لتأكيد فكرة أن العرب ما زالوا متمسكين بعصبيتهم وأن الدين الإسلامي لا يستطيع تغيير الطبع البشري.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** أحدثت بلبلة فكرية بين القراء غير المتخصصين، لكنها قوبلت بردود قوية من علماء السيرة والتاريخ الإسلامي الذين أثبتوا إخلاص الصحابة وكفاءة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في توحيد الأمة وكبح العصبيات القبلية.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- افتراض أن العرب جميعًا غير قادرين على تجاوز العصبية تعميم منطقي خاطئ.
- نسيان أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - استخدم وسائل تربوية ودينية وسياسية لكبح العصبيات القبلية وتحقيق الوحدة.
- تجاهل حقيقة أن التحولات الاجتماعية تحتاج إلى زمن وتجربة، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حقق تقدمًا ملموسًا رغم قصر المدة.[٣]

---

[١]

Renan, Ernest. Histoire des Origines du Christianisme et de l'Islam. Vol. 2. Paris: Hachette, 1883, pp. 145–147.

إرنست رينان. تاريخ أصول المسيحية والإسلام. المجلد ٢. باريس: هاشيت، ١٨٨٣، ص ١٤٥–١٤٧.

[٢] انظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)،(٢٤٧/١).

[٣] انظر: التعليق على الرحيق المختوم، لأبى عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح،(صـ١٧٣)،تَقْدِيم: فَضِيلَة الشَّيْخ عبد الله بن مَانع الروقي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م

٢- **نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:**

- التاريخ يشهد بأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نجح في توثيق صلح الحديبية، الميثاق مع قريش، وتوحيد القبائل قبل وبعد فتح مكة.
- الصحابة مثل أبو بكر وعمر وأبو سفيان أظهروا إخلاصًا حقيقيًا في تطبيق الإسلام بعد دخوله.
- العصبيات لم تُلغَ تمامًا فحسب، بل تحولت إلى منظومة أخلاقية مشتركة توحد الأمة.[١]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين أقروا أن الإسلام نجح في تحويل العصبية القبلية إلى وحدة سياسية واجتماعية متماسكة.[٢]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس أيضًا يُظهر أن الشريعة تترك التفاصيل للبشر ضمن المبادئ الأساسية، مما يدل على أن ترك العصبيات أو التفاصيل الاجتماعية للبشر أمر طبيعي في كل الشرائع السماوية:" اِحْفَظْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ كُلَّ عَمَلِكَ، وَالْيَوْمَ السَّابعَ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لا تَصْنَعْ فِيهِ عَمَلًا، أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَغُرَابُكَ. فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَفَرَغَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، فَسَبَّتَهُ".[٣]": فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ، لِيَكُونَ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ. فَسَبْتُ الرَّبِّ عَلَيْهِمِ أَشْهَدُ عَلَى أَجْيَالِهِمْ، لأَنَّهُ فَرَغَ الرَّبُّ

---

[١] انظر : التعليق على الرحيق المختوم، لأبى عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح،(صـ١٧٣).

[٢] Coulson, Noel J. A History of Islamic Law. London: Oxford University Press, 1964, pp. 112–113.

كولسون، نويل ج. تاريخ القانون الإسلامي. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٤، ص١١٢–١١٣.

[٣] سفر الخروج ، الإصحاح ٢٠ ، الآيه ٨–١١

فِي هذَا الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ عَمَلِهِ الَّذِي صَنَعَهُ".[1] بالتالي، الادعاء بأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يضع قواعد للضغائن يعامل العرب على أنهم استثناء عن الشرائع السماوية غير صحيح.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

وللرد على إتهام طه حسين الصريح أن الإسلام لم يمح هذه العصبية بصفة جذرية لدي المسلمين، نتبع النقاط التالية:

أولاً: راج الهجاء السياسي في العصر الأموي لاحتياج ولاة الأمور إليه بسبب الانقسام الذي قام بين الأحزاب المختلفة: وقد بدأت المهاجاة في الإسلام بين شعراء النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأعدائه القرشيين ثم صارت بين المهاجرين والأنصار أو هي بين قريش واليمن وكان لكل من الجانبين شعراء يردون عنهم الهجاء بأشدَّ منه، وكان المسلمون يحفظون ما يقوله هؤلاء من المهجاة وينشدونه، كل طائفة تنتصر لأصحابها وبلغ ذلك عمر بن الخطاب فنهى عنه وقال " في ذلك شتم الحي بالميت وتجديد الضغائن. ولما أفضى الأمر إلى معاوية اقتضت سياسته ومصلحته أن يجدد تلك الضغائن، فجعل يغري الشعراء علي الطعن بالأنصار لأنهم أصحاب علي بن أبي طالب خصمه. وكان يفعل ذلك تحت طيّ الخفاء، ومن الذين أغراهم على ذلك الطعن الأخطل الشاعر التغلبيّ المشهور فعظم ذلك على الأنصار خصوصا لأنه نصراني، واستعان به معاوية على المسلمين فغضب متكلم الأنصار وشاعرهم وهو يومئذ النعمان بن بشير ودخل على معاوية وأنشده قصيدة في الدفاع عن الأنصار مطلعها: "معاوي إن لم تعطنا الحق تعترف الخ". ثم تخلص إلى الفخر بأعمال الأنصار وأنسابهم وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية " وقال" وتحولت المهجاة بين الأنصار والمهاجرين إلى المشاتمة بين بني هاشم وبني أمية وانتشر ذلك في المملكة الإسلامية سقنا هذه المقالة ليكون القراء على بيّنة من الأساس الذي عقد عليه المؤلف هذا الفصل. ولو قدر المؤلف أن يكتب في علم الحساب أو الهندسة لما طاب له الانصراف عن

[1] سفر الخروج ، الإصحاح ٣١ ، الآيه ١٦-١٧

الحديث، حتى يرمي إلى ناحية الإسلام أو رجال الإسلام بكلمة يمن بها على أوليائه من غير المسلمين. [١]

ثانياً: لم يوضح المؤلف وجه التأثير بالسياسة حتى يعلم القارئ أن هذا المعنى يختص بالعرب، أو هو شأن كل جماعة تساس بسلطان، وإذا كان دأب العرب خاصة فهل هو عارض لهم في بعض أطوارهم السياسية أم هو مظهر لم ينفكوا عنه منذ قامت لهم الدولة في الإسلام ؟ ومن شأن المخلص في بحثه ألا يؤذي تاريخ أمة بحديث يبهمه، وكلام يلوي رأسه على ذنبه: تتأثر الأمة بالسياسة على معنى أن يكثر فيها الطامحون إلى الرياسة كالملك والوزارة وقيادة الجيش ونحوها، وذلك ما يبعث على التنافس وبذل المستطاع في سبيل الوصول إليها، وتختلف الطرق التي يسلكها هؤلاء المتنافسون في كونها مشروعة أو غير مشروعة، و الأخذ في نيلها بالطرق المشروعة خصلة مألوفة وسعي لا بأس به، و في العرب من وضعت مقاليد السياسة في يده دون أن يبذل في سبيلها درهما أو ينتضي حساما، وذلك شأن الخلفاء الراشدين، فإن أردت أن تجعل لأبي بكر الصديق أو علي بن أبي طالب سيفا مسلولا، فإنما هو الدفاع عن نظام الأمة أو عن تلك الرياسة التي تدير شؤونها بحكمة وعدالة، والواقع أن هذا الضرب من التأثر بالسياسة لم يكن له في عهد الخلافة الرشيدة مظهر، وهو العهد الذي يمثل روح الإسلام وينطبق على مبادئه من كل ناحية. تتأثر الأمة بالسياسة على معنى أن يبالغ القابضون على سياستها في التعرض لشؤون الأفراد واستعمالهم فيما يعود على ولايتهم بالبقاء ولو بغير حق، ومن طبيعة السياسة المستبدة أن يتزلف لها الناس بالملق رهبة من بطشها، أو رغبة في أن ينالهم قسط من سرفها. وهذا المعنى لا يستطيع المؤلف أن يصف به العرب لعهد الخلفاء الراشدين، أو من ساروا على مبادئ الإسلام بإطلاق كعمر بن عبد العزيز. وقد وجد هذا الضرب من التأثر بالسياسة في كثير من الدول التي تجعل دينها الرسمي الإسلام عربا كانوا أو غير عرب، كما يوجد في غير المسلمين حتى الأمم التي يملأ المؤلف قلبه بإجلالها، فإننا نرى سياستها تستعمل أقلاما في تغيير تاريخ بعض الأمم و

---

[١] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١١٧)،المكتبة العلمية– بيروت.

فك عرى وحدتها وقلب أخلاقها وجميع مميزاتها، إلى ما يجعلها تحت تلك السياسة كالأنعام أو أضل سبيلا. أما تأثر العرب بالدين فلأن الإسلام عقيدة وآداب وشريعة وسياسة، وقد أخذ العرب في يقينهم صحة تلك العقائد، و وضاءة تلك الآداب؛ وعدالة تلك الشريعة؛ وحكمة تلك السياسة؛ فلا بدعة أن يكون للإسلام تأثير في آدابهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وسياستهم ولا سيما بعد أن أبصروا بأعينهم يد النائم في المسجد تتناول تاج كسرى وتضرب به بين لا بتي يثرب، وتطوي سلطان قيصر عن ممالك بعيدة ما بين المناكب. فاجعل مسألة الدين عند العرب يوم أدهشوا العالم، أساسا للبحث عن الفرع الذي تريد أن تبحث عنه من فروع التاريخ، ولا تكن كمؤلف كتاب " في الشعر الجاهلي " من المغلبين أو المخطئين".[(١)]

ثالثاً: إن ثنائية الدين والسياسة ليست أساسا كافيا لتحليل التاريخ أو الأدب أو الاجتماع، والإسلام يؤكد على ذلك حين يضع الحدود والثواب والعقاب فهو يعترف بأن هناك من لا يقوم بما يؤمر به: ذكر المؤلف أن النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا بمكة مستضعفين، وأن الجهاد بينهم وبين قريش وأوليائهم كان جدليا خاصا، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كاد يقوم بهذا الجهاد الجدلي وحده، وكان كلما بلغ حظا من إفحام قريش انتصر له فريق من قومه حتى تكوّن له حزب ذو خطر، ولم يكن هذا الحزب سياسيا يطمع في ملك ولا تغلّب ولا قهر، أو لم يكن ذلك في دعوته، وانتهى به الحديث إلى الهجرة".[(٢)]

رابعاً: لم يجئ الإسلام ليلقي بين القبائل عداوة، ولا ليطلق ألسنة الشعراء بالهجاء، ولكنه فتح بصائر الأوس والخزرج، فرأوا أبا جهل وشيعته في عماية. وتمنوا رشدهم فاستحبوا العمي على الهدى، وإذا كانت القبيلتان تتفقان في الجاهلية على ضلالة وتقتربان في شقاء فإن اختلافهما بالهداية خير من ذلك الاتفاق، وتباعدهما في السعادة أفضل من ذلك الاقتراب: أما الهجاء

---

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر (صـ١٤٢-١٤٣).

(٢) المرجع السابق ،(صـ١٤٣).

فالناس يعلمون ما للشعر من الاتصال بالنفوس، وما له من الأثر في استهواء القلوب، ولما جعل المشركون يسطون على مقام النبوة بالهجاء، ويتخذونه سلاحا لمحاربة دين الحق، كان من الحكمة البينة أن يكافَح أولئك الهجاؤون بسلاحهم، فأذن الرسول صلوات الله عليه . لحسان بن ثابت وغيره أن يجازي تلك السيئة بمثلها، وأخبر أن جبريل يؤيد حسانا، وكذلك كانت العاقبة للذين انتصروا من بعد ما ظُلموا. ليس من الصواب أن يخلى السبيل لتلك الأشعار الطاعنة، فتطرق كل أذن وتحوم على كل قلب دون أن تقف أمامها قوّة تعمل على مثالها فتكف بأسها، وتنفض عن الصدور وساوسها وما مثل تلك الأشعار الغاوية إلا كمثل ما يكتبه دعاة الإباحية اليوم من الطعن في الدين وتقويض بناء الفضيلة، أفيحق لحملة الأقلام الناصحة أن يترووا في بيوتهم ويدعوا هذه الطائفة تنفث من سموم غوايتها ما يفتك بالآداب والأعراض!أما تأييد جبريل لحسان فقد أخبر به من قامت الآيات البينات على صدقه، والمؤلف لا ينازع في أن عدم رؤية الشيء ليس دليلا على عدم وجوده".[١]

خامساً: لقد ثبت مما تقدم أن أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والأمراء وأهل الحرب وأكثر أشعارهم في الفخر و الحماسة، بما بين قبائلهم من التنازع ومرجع ذلك كله إلى العصبية والنخوة والحمية الجاهلية، لأن كل قبيلة كانت تطلب الفضل لنفسها على سواها: فلما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق حاجة إلى الشعراء والشعر بوصف كونه سلاحا قوميا أو أداة نضال معنوي، ناهيك باشتغال أهل المواهب الفنية والقرائح المشتعلة بالجهاد في الحروب لنشر الإسلام...وقد أدهشتهم أساليب الكتاب المنزل على أفصح العرب، وأخذتهم عظمة الرسالة فانصرفت عبقريتهم الشعرية إلى الأعمال المثمرة، كذلك رغب النبي عن الشعر لأنه كان من عوامل التفريق في الجاهلية ورسالته تدعو العرب إلى الوفاق وهو القائل كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قَالَ: «لَيْسَ

[١] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر ،(صـ١٤٦).

مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ».[١]" وجاء في الكتاب المنزل عليه ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [٢] مع كونه أفصح العرب إجماعا لم يكن ينشد بيتا تاما على وزنه... وأن الآية التي نزلت في الشعراء ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [٣]إنما يراد بها شعراء قريش الذين تناولوا أصحابه بالهجاء، وقد أريد تقبيح الشعر عند الذين غلب الشعر على قلوبهم حتى شغلهم عن الدين ،لا تقبيح الشعر على إطلاقه".[٤]

سادساً: العرب كانوا في الجاهلية حقا يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالأنساب، فلما جاء الإسلام بدّل الكثير من شؤونهم المادية والمعنوية: فكان من جملة ما بدله من أحوالهم أن جمع كلمتهم وجعلهم يدا واحدة على اختلاف أنسابهم ومواطنهم، وبعد أن كان اليمني يفاخر الحجازي والمضري يفاخر الحميري من مفاخرات القبائل والبطون ضمت النهضة الجديدة شمل هؤلاء المتشتتين المتناحرين فقال أفصح العرب " الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ "[٥] وقال من خطبته التي ألقاها يوم فتح

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الجَاهِلِيَّةِ ،(١٨٤/٤).

(٢) سورة يس، الآية، ٦٩

(٣) سورة الشعراء، الآية، ٢٢٤

(٤) الشهاب الراصد، لمحمد لطفي جمعة،(صـ١٧٧-١٧٨)، مطبعة المقتطف والمقطم مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٢٦م.

(٥) المستدرك على الصحيحين، لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، كِتَابُ الْعِلْمِ ، حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ ،(١٧١/١برقم٣١٨)،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م. **وقال الذهبي له أصل في الصحيح.انظر:** التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، كِتَابُ السِّيَرِ، بَابُ الْأَمَانِ،(٣٠٥/٤-٣٠٦برقم١٩٠٢).

مكة "يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب[1]".[2]

سابعاً: إن العداوة بين قريش المسلمة وقريش المشركة كانت أكبر من العداوة الموجودة بين قريش والأنصار فكان انتقال السلطان السياسي من قريش إلى الأنصار، مع أن الزعامة لم تكن يوما للأنصار لا في حياة النبي ولا بعده، ففي حياته عليه السلام كان الأمر له وحده وهو قرشي، وكان الأمر بعده للخليفة وهو من قريش، فليس هناك ما يصانع عليه أبو سفيان كما يعتقد صاحب الكتاب: لأن الزعامة كانت وما زالت دوما في قريش قبل الفتح وبعده.هذا بالنظر للقضية بمنظار الجاهلية أما إذا أخذنا في الأمر بجوهره وبالواقع فإن الإسلام يجب ما قبله، والبيئة الإسلامية لم تكن تعرف عصبية الجاهلية ولم تكن تعرف غير جامعة الإسلام وأخوته وكانت كذلك في مكة قبل الهجرة وكانت كذلك في المدينة بعد الهجرة وكانت كذلك في جميع بقاع الإسلام زمنا طويلا بعد الإسلام".[3]

هذا يؤكد أن المؤلف لم يتلق بطريق الرواية الصحيحة أو المصنوعة أن أبا سفيان احتمل هذه المصانعة سعياً وراء انتقال هذا السلطان السياسي من الأنصار إلى قريش فهذا الاستنتاج صادر عن عامل غير عامل الفكر أو عن فكر لا يتمتع باستقلاله: إذ ينظر المؤرخ يوم فتح مكة فيجد القائد الأعلى للجند الفاتح من صميم قريش، ويجد كثيرا من هذا الجند لا يمتُّ للأوس والخزرج بنسب، وآخرين لا تزال بيوتهم التي ولدتهم فيها أمهاتهم قائمة في بطحاء مكة، ولا يزال

---

[1] سنن أبي داود، أبواب النوم ، باب التفاخُر بالأحساب ،(٤/٣٣١برقم٥١١٦).**وهو حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.انظر:** كَشْفُ المنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ في تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ المَصَابِيحِ، محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبو المعالي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، باب المفاخرة والعصبية ، من الحسان ،(٤/٢٦٥برقم٣٩٤٦).

[2] الشهاب الراصد، لمحمد لطفي جمعة،(صـ١٧٣).

[3] النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، لمحمد أحمد الغمراوي، (صـ٢٢٦)، المكتبة العربية–بيروت، ١٩٨١م.

آباؤهم وإخوانهم يغدون من هذه البيوت القائمة وإليها يروحون، وما الأوس والخزرج إلا فرقة من جند تألف حول ذلك القائد القرشي، فالسلطان يوم فتح مكة في يد قريش، ومن البعيد أن يخطر على بال أبي سفيان أنه في يد تلك الفرقة التي تسمى الأنصار حتى يقول: "لعل هذا السلطان يعود إلى قريش، ولو قال المؤلف: لعل هذا السلطان الذي انتقل من عبادة الأوثان إلى عبّاد من خلق الأوثان أن يعود إلى عبادة الأوثان، لكان خطؤه قريبا وشبهته محتملة."(١)

ثامناً: يطالعنا التاريخ الإسلامي أن العرب عرفوا وعاشوا إخوة في ظل الدين الإسلامي الذي استطاع أن يغسل النفوس من الضغائن والأحقاد، فعاش المسلمون قرونا طوال على هذه الحال: ألا يكفيه أن يعيش الناس على ذلك الإخاء سنين كثيرة في حياة النبي وبعده، وكأنه لا يقنعه إلا أن يستمر الناس على ذلك ثلاثة عشر قرنا. ويستمر الكاتب في افترائه على النبي عليه السلام ويتهمه بالعجز على وضع قاعدة للخلافة ولا دستورا لهذه الأمة. ألا يكفيه أن تكون حياته كلها عليه الصلاة والسلام قاعدة، ألا يكفيه أن يكون القرآن كله دستورا للناس وكأن القوانين والدساتير لا تكون إلا في شكل بنود ومراسيم."(٢)

لقد تحدث النبي عليه السلام عن الإمامة والإمام في أحاديث يرويها البخاري ومسلم و غيرهما، وقد شرع القرآن للخلافة قاعدة في قوله ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾(٣)وزادها النبي عليه السلام بيانا إذ ترك للأمة حريتها في انتخاب من ترى فيه الكفاية للقبض على مقاليد أمرها، حتى تكون السيرة المقتدى بها في كل عهد، أما طريقة أخذ الآراء فموكولة إلى اجتهاد أهل الحل والعقد ككل مصلحة أرشد إليها الإسلام وفوّض في وسائلها إلى اجتهاد الآراء. فالخلافة حقيقة شرعية ونظام كافل لحياة الأمة الإسلامية، ومن يدرس التاريخ بروّية وأناة يدرك بوضوح أن الخلافة رفعت

---

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١٤٨-١٤٩).

(٢) النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، لمحمد أحمد الغمراوي ،(صـ٢٢٩).

(٣) سورة الشوري، الآية، ٣٨

الشرق مكانا عاليا، وأنه لم يفقد سيادته ومنعته إلا حين اختل نظامها وسارت في غير سبيلها، وليس في سنة الخلافة ما تضيق عنه الدساتير المعقولة أو يمس الحرية المطمئنة، ولعل الذين عجلوا إلى التنكر لها لم يجدوا في مخيلاتهم إلا شبح الخلافة المشربة بروح استبدادية، ولو بحثوا فيها من حيث حقيقتها المشروعة ونظروا سيرتها يوم مثلها الصديق أو الفاروق، لوجدوا في سعة نطاقها ما يحفظ حقوق الأمم ويطابق مقتضيات كل عصر".[١]

أخيراً: ترك النبي عليه الصلاة والسلام القرآن وما يبينه من عمل متواتر أو حديث صحيح، وفي القرآن ما يبينه من السنة أحكم دستور لقوم يعقلون: لم يرد الإسلام أن يضع الناس في حرج فيرسم لهم نظم لإدارة أو يبين لهم دستورًا على نمط هذه الدساتير التي تتغير على حسب العصور وتختلف باختلاف البلاد، فلا يليق بحكمة التشريع السماوي أن ينص على بعض الأحكام القائمة على مصالح ثابتة وعامة، ويضع أصولا ثابتة يستنبط منها كل شعب ما يطابق مصالحه ويلائم عوائده. وهذا ما يفهمه الراسخون في العلم، وهذا ما يسير عليه الأئمة المجتهدون. فلو عمّر الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بعد فتح مكة زمنا طويلا لم يزد على بناء هذا التشريع لَبِنة، ولم يبد له أن يسن دستورا كدساتير هذه الدول لا يلبث أن تكبر عنه بعض العصور فيكون غلا في أعناقها، أو تصغر عنه فيكون ثوبا فضفاضا. أما الضغائن التي ظهرت والفتن التي استيقظت فلم يكن منشؤها نقصا في التشريع كما يزعم المؤلف ، بل سببها قلة العلم بالتشريع، وعدم القدرة على التطبيق أو تغلب الأهواء ، إذ لا عصمة إلا لأنبياء الله المصطفين".[٢]

---

[١] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١٤٩).

[٢] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١٥٠).

المبحث الثانى

اختلاف العرب بعد وفاته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

من جملة الشبـه المثارة من أصحـاب الفكـر الحداثي المعاصـر، اختـلاف العـرب بعد وفـاة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، لاسيمـا في أمر تـولى خـلافة المسـلمين بعده – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١–نص الشبهة:

فيدعى طه حسين أنه لولا القوة المادية مع بعض بقايا تأثير الدين الإسلامي في نفوس المهاجرين والأنصار لفسد الأمر بينهم، فيقول:" في الحق أن النبي لم يكد يدع هذه الدنيا حتى اختلف المهاجرون والأنصار من الأوس والخزرج في الخلافة أين تكون؟ ولمن تكون ؟ وكاد الأمر يفسد بين الفريقين لولا بقية من دين وحزم نفر من قريش، ولولا القوة المادية كانت إذ ذاك لقريش فما هي إلا أن أذعنت الأنصار وقبلوا أن تخرج منهم الإدارة إلى قريش".(١)

ويتابع طه حسين إدعاءاته أن الصحابي الجليل سعد بن عبادة رفض مبايعة الخليفة أبى بكر الصديق رضي الله عنه، فيقول:" أَبَى سعد بن عبادة الأنصاري أن يبايع أبا بكر، وأن يبايع عمر؛ وأن يصلي بصلاة المسلمين وأن يحج بحجهم. وظل يمثل المعارضة قوي الشكيمة ماضي العزيمة، إلى أن قتل غيلة في بعض أسفاره".(٢)

(١) في الأدب الجاهلي، لطه حسين،(صـ١٢٠)

(٢) المرجع السابق،(صـ١٢٠)

ويكمل **طه حسين إدعاءاته أن الصحابي** الجليل عمر بن الخطاب هجا شاعر رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حسان بن ثابت في مسجد النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بعد وفاته، فيقول:" وقد ذكر الرواة أن عمر مر ذات يوم فإذا حسان في نفر من المسلمين ينشدهم شعرا في مسجد النبي، فأخذ بأذنه وقال: "أرغاء كرغاء البعير! قال حسان: "إليك عني يا عمر، فو الله لقد كنت أنشد في هذا المكان من هو خير منك فيرضى، فمضى عمر وتركه. وفقه هذه الرواية يسير لمن يلاحظ ما قدمنا من أن الأنصار كانوا موتورين، وأن عصبيتهم كانت لا تطمئن إلى انصراف الأمر عنهم فكانوا يتعزون بنصرهم للنبي وانتصافهم من قريش وما كان لهم من البلاء قبل موت النبي وما أفادوا بألسنتهم من مجد".[(١)]

يتعصب طه حسين لتعصب الصحابي الجليل عمر بن الخطاب وكأنه قرشيٌ، فيقول:"كان عمر قرشياً تكره عصبيته أن تزدري قريش، وتتكر ما أصابها من هزيمة، وما أشيع عنها من منكر".[(٢)]

يتهم طه حسين قريشاً في هجائها للأنصار، فيقول : "نظرت قريش فإذا حظها من الشعر قليل في الجاهلية ،فاستكثرت منه في الإسلام، وليس من شك عندي في أنه استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذي يهجى فيه الأنصار".[(٣)]

ويتهم طه حسين أيضا العصبية داخل قريش أنفسهم، فيقول : هذه قصة أخرى تمثل عمرو بن العاص وقد ضاق ذرعا بالأنصار حتى كره اسمهم هذا وطلب إلى معاوية أن يمحوه، واضطر النعمان بن بشير وهو الأنصاري الوحيد الذي شايع بني أمية إلى أن يقول:

يا سعد لا تجب الدعاء فما لنا........ نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لقومنا.................. أثقل به نسبا على الكفار

---

(١) في الأدب الجاهلي، لطه حسين،(صـ١٢٠-١٢١)

(٢) المرجع السابق ،(صـ١٢١)

(٣) المرجع السابق ،(صـ١٢٢)

إن الذين ثووا ببدر منكم.................... يوم القليب همُ وقود النار

وقد سمع معاوية هذا الشعر فلام عمراً على تسرعه ليس غير".[1]

ويتابع طه حسين طعنه في هجاء قريش للأنصار، فيقول:" فانظر إلى هذين البيتين في أول المقطوعة كيف يمثلان ذكر حسان لعهد النبي وحزنه عليه وأسفه على ما فات الأنصار من موالاتهم وإنصافه إياهم. ولكن بقية هذه الأبيات تدعو إلى شيء من الاستطراد، لأنه لا يتجاوز الموضوع كثيرا، فقد يظهر من قراءة هذه الأبيات أنه قد قصد بها إلى الإلحاح في مدح الزبير وإحصاء مآثره وقد يظهر أن في آخرها ضعفا لا يلائم قوة أولها. وقد روى هذه القصة نفر من آل الزبير ومن أحفاد عبد الله بن الزبير بالدقة، أفتستبعد أن تكون عصبية الزبيريين قد مدت هذه الأبيات وطولتها وتجاوزت بها ما كان قد أراد حسان من الاعتراف بالجميل إلى ما كانت تريد العصبية الزبيرية من تفضيل الزبير على منافسيه أو على منافسي ابنه عبد الله بنوع خاص".[2]

ويذكر طه حسين هجاء النعمان بن بشير الأنصاري في معاوية بن أبي سفيان القرشي- رضي الله عنهما-، فيقول:" فظاهر جدا أن هذه الأبيات الثلاثة الأخير، على أقل تقدير، حملت على النعمان بن بشير حملا، حملها عليه الشيعة".[3]

٢-مضمون الشبهة:

- وحدة المسلمين بعد وفاة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وحدة سياسية قسرية لا روحية.
- العصبية القبلية بقيت حاكمة في نفوس الصحابة.
- الخلافة آلت لقريش بفعل القوة لا الإجماع الديني.
- استمرار الهجاء الشعري دليل على فشل الإسلام في إصلاح المجتمع.

---

(١) في الأدب الجاهلي، لطه حسين ،(صـ١٢٣)

(٢) المرجع السابق ،(صـ١٢٤)

(٣) المرجع السابق ،(صـ١٢٦)

٣-هدف الشبهة:

- التشكيك في عدالة الصحابة وسلامة دوافعهم.
- تصوير الدولة الإسلامية الأولى كنتاج صراع قبلي لا مشروع ديني.
- نزع القداسة عن الخلافة الراشدة.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين الخلاف السياسي الطبيعي وبين العصبية الجاهلية.
- تعميم وقائع جزئية (شعر – مواقف فردية) على مجموع الصحابة.
- إهمال النصوص الصريحة في تقديم المصلحة العامة على العصبية.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين رأو أن الإسلام وحّد العرب سياسيًا، لكن العصبية بقيت كامنة وظهرت بعد وفاة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.[٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** استُخدمت لتدعيم أطروحة أن الإسلام لم ينجح إلا سياسيًا.[٣]

---

[١] انظر: مختصر منهاج السنة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،(١/٢٦٣)،اختصره: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار الصديق للنشر والتوزيع، صنعاء – الجمهورية اليمنية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

[٢] Le Bon, Gustave. The Psychology of Peoples. London: Macmillan, 1896, pp. 310–312.

غوستاف لوبون. سيكولوجية الشعوب (علم نفس الأمم). لندن: دار ماكميلان، ١٨٩٦، ص ٣١٠–٣١٢.

[٣]

Le Bon, Gustave. The Psychology of Peoples. London: Macmillan, 1896, pp. 310–312.

غوستاف لوبون. سيكولوجية الشعوب (علم نفس الأمم). لندن: دار ماكميلان، ١٨٩٦، ص ٣١٠–٣١٢.

- **في الوسط الإسلامي:** أحدثت بلبلة فكرية، لكنها قوبلت بردود علمية قوية من علماء السيرة والحديث.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الاختلاف في آلية اختيار الحاكم لا يعني انهيار القيم الدينية.
- قبول الأنصار بخلافة أبي بكر رضي الله عنه طوعًا بعد الحوار ينقض دعوى القهر.
- العصبية الجاهلية تقوم على الدم، بينما الخلاف كان سياسيًا اجتهاديًا.[2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- سعد بن عبادة لم يقاتل ولم يُنشئ شقًا سياسيًا.
- البيعة العامة تمت في المسجد وبإجماع الصحابة.
- الشعر السياسي لا يمثل الموقف الشرعي ولا السلوك العام.[3]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أكدوا أن الخلاف بعد وفاة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان أزمة انتقال سلطة طبيعية، ولم يكن عودة للجاهلية.[4]

---

[1] انظر: مختصر منهاج السنة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،(١/٢٦٣).

[2] انظر: تثبيت دلائل النبوة،، للقاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (المتوفى: ٤١٥هـ)،(٢/٥٦٢-٥٦٣)، دار المصطفى – شبرا– القاهرة.

[3] انظر: تثبيت دلائل النبوة،، للقاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (المتوفى: ٤١٥هـ)،(٢/٥٦٢-٥٦٣)،

[4] William Montgomery Watt, Islamic Political Thought (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1968), pp. 45–46.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يؤكد أن موسى عليه السلام واجه نزاعات بعد التشريع بمايدل على أن الشرائع السماوية لا تلغي الخلافات البشرية فورًا، بل تضبطها بالمبادئ:" اِحْفَظْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ كُلَّ عَمَلِكَ، وَالْيَوْمَ السَّابعَ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لا تَصْنَعْ فِيهِ عَمَلًا، أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَغُرَابُكَ. فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَفَرَغَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، فَسَبَّتَهُ". [١]:" فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ، لِيَكُونَ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ. فَسَبْتُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ أَشْهَدُ عَلَى أَجْيَالِهِمْ، لأَنَّهُ فَرَغَ الرَّبُّ فِي هذَا الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ عَمَلِهِ الَّذِي صَنَعَهُ". [٢] مما يدل على أن وجود توتر اجتماعي بعد التشريع سنة بشرية عامة، وليس فشلًا للدين.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

وللرد على إتهام طه حسين في سرعة اختلاف العرب بعد وفاته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، نتبع النقاط التالية:

أولاً: لم يكن هناك جيش تحت إمارة وزير أو قائد قرشي، وإنما هي الأمة تنفر للجهاد، وعندما تضع الحرب أوزارها يعود كل واحد إلى حرفته، ولم يكن هناك خزائن للسلاح مفاتيحها بيد رجل من قريش، بل كان سلاح كل واحد في يده أو في بيته، ولم يكن السلاح الذي بأيدي قريش أجود من السلاح الذي كان يحمله الأنصار وسائر القبائل العربية. أما المال فقد روى أبو عبيد القاسم بن سلام[(٣)] في كتاب الأموال عن الحسين بن محمد أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وات، ويليام مونتغمري، الفكر السياسي الإسلامي (إدنبرة: مطبعة جامعة إدنبرة، ١٩٦٨)، ص ٤٥-٤٦. ١٥٤

[١] سفر الخروج ، الإصحاح ٢٠ ، الآيه ٨-١١

[٢] سفر الخروج ، الإصحاح ٣١ ، الآيه ١٦-١٧

(٣) سبق ترجمته،(ص١٨٣).

وَسَلَّمَ - لم يكن يقبل مالا عنده ولا ببيته: قال أبو عبيدة يعني إن جاء غدوة لم ينتصف النهار حتى يقسمه. وروى أبو داود عن عوف بن مالك أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان إذا أتاه الفيء قسمه في يومه. إذن لم يكن هناك مال للأمة تحت يد أمير قريش. فإن قال المؤلف أريد من القوة المادية أن قريشا أكثر من الأنصار عددا أو أنصارا. قلنا الرواية الموثوق فيها تقول: "إن المجتمعين في سقيفة بني ساعدة طرحوا مسألة الخلافة على بساط الشورى فاختلف المؤتمرون أين تكون الخلافة ؟ ولمن تكون ؟ واشتدت رغبة سعد بن عبادة في أن يتقلد الإمارة على الأنصار، ولما اشتد الجدال بسط عمر بن الخطاب يده وبايع أبا بكر فتتابع الحاضرون من المهاجرين والأنصار على مبايعته، ولم يتخلف عنها إلا سعد بن عبادة، ثم عقد اجتماع عام في المسجد فتوارد الناس على مبايعته وتوانى عنها علي بن أبي طالب حينا ثم أقبل وبايع ووفَّى".[١]

والرواية تصرح بأن الأوس جنحوا إلى ولاية أبي بكر، وتتابعُ الخزرج على مبايعته دليل على أنهم لا يجدون في صدورهم حرجا من خلافته: ويروى أن أول من قام وبايع أبا بكر خزرجي يقال له بشير بن سعد وهو أبو النعمان بن بشير. فالظاهر أن عمر لم يمد يده للمبايعة إلا بعد أن تراءى له أن أكثر الآراء متجهة إلى اختيار أبي بكر، وسمى مبايعته فلتة لأنه بادر إليها قبل أن تخرج تلك الآراء في صراحة على ما هو المعهود في نظام الشورى وعذره في هذه المبادرة أن بعض الأنصار أصرف في الجدل وهمّ بما لا تحمد عقباه. فخلافة أبي بكر لم تعقد لمبايعة عمر بل تقررت بآراء الأغلبية الساحقة، ولم تقع تحت تأثير جند يتحفز أو سلاح يشهر أو مال يبذل، وإذا فرض أن في المهاجرين أو الأنصار من بايعوا متابعة للكثرة السائدة أو حذرا من سخطها فمثل هذا لا يخرج خلافة أبي بكر عن أن تكون قائمة على رضا الأمة".[٢]

---

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١٥٠).

(٢) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر ،(صـ١٥٠-١٥١).

ثانياً: لم يذكر المؤرخون كابن جرير وابن الأثير وابن خلدون، بأحوال الصحابة كابن حجر وابن عبد البر والذهبي وجمال الدين المزي رواية أن سعد بن عبادة قتل غيلة بيد السياسة، وإنما تجدها في مثل شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة حين قال بأن أمير الشام كمّن له من رماه ليلا إلى الصحراء فقتله لخروجه عن طاعة الإمام. وابن أبي الحديد على مذهب الشيعة، والأقرب أن تكون هذه الرواية شيئا يزعمه بعض غلاتهم: ونحن نشك في هذه الرواية ونبحثها بقلب خال من كل ما قيل في موت سعد بن عبادة. لم ترد هذه الرواية في الكتب المبسوطة في التاريخ أو في التعريف بأحوال الصحابة وهذا أمارة على أنها لم تدخل في دائرة العلم التي جاس خلالها هؤلاء الحفاظ والمؤرخون ولا نجد من هؤلاء إلا من يذكر أن سعدا مات حتف أنفه أو يذكر ما يزعم من أن الجن قتلته، ومنهم من يحكي أن سبب موته النهش، كما قال ابن قتيبة ويقال إنه نهش وهو الصحيح. وردت هذه الرواية في بعض كتب لا يؤخذ ما ترويه من الأخبار المتصلة بسياسة أبي بكر أو عمر إلا بالتحفظ والاحتراس، ثم إن ابن أبي الحديد لم يسندها إلى قوم بأسمائهم، فلا ندري من هؤلاء القوم، وما مبلغ نصيبهم من الصدق أو البهتان، ولا ندري أيضا من هذا الأمير الذي كمن لسعد بن عبادة حتى رماه فقتله، وهم يختلفون في تاريخ وفاة سعد، فقيل في خلافة أبي بكر سنة إحدى عشرة، وقيل في خلافة عمر سنة أربعة عشر أو خمسة عشرة أو ستة عشرة. انصب المؤلف على هذه الرواية لأنها وصمة في سيرة الخلافة الرشيدة، وأعرض عن الرواية التي تقول وتتابع القوم على المبيعة وبايع سعد لأنها تجعل خلافة أبي بكر منعقدة بإجماع وتنفي أن يكون هناك من يمثل المعارضة قوي الشكيمة ماضي العزيمة. هذا إيحاء بغدر المسلمين، والمسلم لا يغدر وكان بإمكان المسلمين قتله بغير هذه الطريقة. فمتى وقع نظرالمؤلف على رواية تمس سياسة العرب بعد الإسلام ضرب منهج ديكارت برجله، وكان أجرى إليه من الماء في صبب".[١]

---

[١] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١٥٢).

وقارئ هذا القول الهراء يظن أنه يتلو تاريخ أحد كبار الملحدين الغربيين أو مشاهير الثوار الدوليين والحق أن المؤلف "الصادق الأمين الصريح "كذب على التاريخ وخان أمانة التمحيص: فإن سعد بن عبادة الأنصاري وردت أخباره في أصدق مصدر فهو صحابي عظيم كان وجيها في الأنصار ذا رياسة وسيادة يعترف قومه له بها ودعا له رسول الله بقوله "اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة فرجل هذه مناقبه ومكانته عند رسول الله يستبعد عليه أن يخرج على إجماع الأمة... ولكنه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم جلس سعد في سقيفة بني ساعدة فبايع الناس أبا بكر، فسار سعد إلى الشام فأقام بحوران إلى أن مات سنة ١٥هـ... فجلوس سعد بن عبادة في السقيفة لا يدل على خروجه أو مخالفته أو حسده لأبي بكر ولا نظن أن المؤلف كان ينتظر ألا تحدث مناقشة عقب وفاة الرسول في أمر الخلافة كما هو الشأن في المسائل ذات الخطورة".[(١)] **لقد تخيل مؤلف الشعر الجاهلي أن مبايعة أبي بكر أغضبت صحابيا جليلا كسعد، فاختلق هذا الخبر الغريب ونسب إلى الصحابي الجليل أنه أبى أن يصلي ويحج وظل يمثل المعارضة، ولم يفتر المؤلف هذه الفرية المخزية إلا لشغفه بتمجيد أهل الجحود:** فأين تلك المعارضة التي كان زعيمها سعد بن عبادة وفي أي كتاب شعوبي أو شيوعي قرأت هذه النبذة فلم نقرأ في تاريخه ما يدل على سعيه في ثورة أو فتنة أو لوثته بردة حتى يهجر الصلاة والصيام والزكاة والحج".[(٢)]

ثالثاً: وعد المؤلف بأنه سيمشي في البحث على منهج ديكارت[(٣)]، فقلنا:"عوج في التاريخ سيقوَّم، وتزوير في الرواية سينجلي، فإذا هو يهجم على ما يقصه التاريخ بلسان لا عقدة فيه،

---

(١) الشهاب الراصد، لمحمد لطفي جمعة،(صـ١٨٤-١٨٥).

(٢) المرجع السابق،(صـ١٨٥-١٨٦).

(٣) يُعرف منهج ديكارت بالشك، فما يميزه أنّه شك في الوجود كلّه، ولكن يُلاحظ أن الشك الديكارتيّ كان شكًا مؤقتًا، ولم يكن شكًا لأجل الشك، مما يعني أنّه يهدف إلى الوصول إلى المعارف الإنسانيّة بصورتها الحقيقيّة، ومن ثم نجده يقول: { كل ما تلقيته حتى الآن على أنه أصدق الأمور وأوثقها، تلقيته بالحواس غير أني وجدتها

ويحرفه إلى معان ليس بينها وبين اللفظ صلة إلا على طرف لسانه: قصة حسان وردت في كتب الأدب على مثال ما قصها المؤلف نفسه، وقد رأيتم بأعينكم كيف خاض في أحشائها، وركض بين بدايتها ونهايتها ثم خرج منها بادعاء أن حسان كان ينشد من شعره الذي هجا به مشركي قريش، وأن عمر استاء من ذلك الصنيع وأخذته الحمية لقريش، أن أخذ بأذن حسان معنفًا له عن تعرضه لقريش بإنشاد ذلك الهجاء. وهاهي تلك القصة ماثلة بين أيديكم، فلا تدل إلا على أن حسانا كان ينشد شعرا في المسجد بصوت جهير والناس حوله، فكره عمر أن تقام هذه الحفلة في المسجد الذي هو معد للعبادة. ولم يذكر في القصة نوع الشعر، ولحسان قصائد غير ما هجا به قريشا، فقد قال في الجاهلية شعرا كثيرا، وقال في الإسلام ما ليس بهجاء والشاهد من القصة على أن عمر إنما كره إلقاء الشعر في المسجد على تلك الهيأة قول حسان:" لقد كنت أنشد في هذا المكان من هو خير منك فيرضى، ولو كان حسان ينشد شعرا في هجاء قريش لم يمض عمر ويتركه وهو الذي نهى الناس أن ينشدوا شيئا من مناقضة الأنصار ومشركي قريش وقال:" في ذلك شتم الحي بالميت وتجديد للضغائن".[1] **نكذب هذه الرواية لأن عمر كان من كريم الخلق وعلو الهمة وشرف النفس والعدل والشهامة بمكان لا يليق معه أن يفعل هذا بحسان بن ثابت،** الذي سمع قول النبي "ما يمنع القول الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم " فقال حسان "أنا لها "قال محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كيف تهجوهم وأنا منهم فقال حسان: "أنا أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين "[2] فضلا عن أنه كان من سادة القوم وأشرافهم ...هل

خادعة ومن الحكمة ألا نطمئن الى من يخدعنا ولو لمرة واحدة}.**انظر:** تأملات ميتافيزيقية فى الفلسفة الأولى، لرينيه ديكارت،(صـ١) ترجمة: كمال الحاج، منشورات دويرات، بيروت، الطبعة: الرابعة،١٩٨٨ م.وديكارت مبادئ الفلسفة، لعثمان أمين، (صـ٥٤)دار الثقافة للنشر والتوزيع.و الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، لنظمي لو قا،(صـ٧٩-٨٠)، المطبعة الفلسفية الحديثة- القاهرة، ٢٠٠٣م. وفلسفة ديكارت و منهجه، لمهدي فصل الله،(صـ٩٠)، دار الطليعة للطباعة و النشر- لبنان، الطبعة:الثالثة، ١٩٩٦م.

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١٥٤-١٥٥).

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ هِجَاءِ المُشْرِكِينَ ،(٣٦/٨برقم٦١٥٠).

هذا الشاعر يؤخذ من أذنه وفي مسجد رسول الله وبيد عمر بن الخطاب ؟أقول للمؤلف قص أساطيرك على سوانا فإنها سخافة لا تجوز".[١]

رابعاً: كان عمر قرشياً مسلماً يكره له أدبه أن تزدرى قريش كما يكره له أن تزدرى الأوس والخزرج وقيس وتميم، ويكره له ذلك الأدب أن يزدرى عبد الله بن عمر كما يكره له أن تزدرى سلمان الفارسي وبلال الحبشي: أما أنه ينكر ما أصاب قريشا من هزيمة وقد كان من أحرص الناس على هزيمتها، فذلك ما لا تحتمله إلا عقلية "أقرب إلى الغربية منها إلى الشرقية." لم يكن عمر بعد الإسلام قرشيا ولم تكن له عصبية قريش التي كانت في الجاهلية قد تلاشت، بل كان أميرا حازما وخليفة عادلا".[٢]

خامساً: لايصح البتة هجاء قريش للأنصار، فإن كان هذا صحيحاً فيكون الذين ارتكبوا هذا الإثم نفر من الذين التحفوا الإسلام فهم نفاضة قريش ممن لا بصيرة لهم بدين ولا دنيا: أما القرشيون الذين وضعوا أساس هذا المجتمع الذي كتب له أن يكون نواة لأكبر دولة في العالم فلا يعقل أن يكونوا تحت تأثير حالة نفسية سافلة وإلا لظهرت أعراضها الملازمة لها. إننا لا نستطيع أن نتصور طائفتين بينهما من التعادي ما يحمل إحداهما على اختلاق القصائد ذما في الأخرى يكون حالها من التضامن والتكافل على ما رأيناه منهما".[٣]**من ينظر إلى تاريخ المسلمين لعهد الخليفة الثالث من الطرق الموثوق بها يجد العصبية مغلوبة على أمرها، ويكاد التحيز إلى القبيلة لا يتجاوز حدوده المشروعة:** ويتفقه في هذا من درس سيرة ذلك العهد في كتب علماء الحديث الذين هم أعرف بنقد الأخبار وأهدى إلى الحقائق من مؤرخين كثيرين يجمعون إلى الرشد سفها وإلى الجد لهوا ولعبا، فأمثال هذه القصص التي نجدها في كتب أهل الخلاعة أو من عرفوا بترعة

---

(١) الشهاب الراصد، لمحمد لطفي جمعة،(صـ١٨٩).

(٢) المرجع السابق،(صـ١٨٩).

(٣) نقد كتاب الشعر الجاهلي، لفريد وجدي،(صـ١٠١-١٠٢)،مكتبة الآداب القاهرة ، الطبعة: الثانية،٢٠٠٤م.

التشيع إلى قبيل، لا نجدها في كتب من زاولوا نقد الآثار وأسقطوا من حسابها زورا كثيرا. فمن يقرأ سيرة عثمان عند جرير الطبري أو مؤلفات أبي بكر بن العربي... فإنك تنصرف عنها برأي أخف وأهون من الرأي الذي يحدثك به هذا الذي يتبع أذناب الروايات الواهية أو المصنوعة، وتقع يده على رجس غير قليل".[١]

سادساً: هذه القصة ورد ذكرها في الأغاني، وأول ما تجيء الريبة من ناحيته، فإن الكاتبين في التعريف بحياته يصفونه بالتشيع، ومنهم من يقول: كان ظاهر التشيع، والمتشيع يضيق ذرعا بعمرو بن العاص ومعاوية ويكره اسمهما، ويضاف إلى هذا أن أهل العلم طعنوا في أمانته: قال ابن الجوزي في المنتظم: "ومثله لا يوثق بروايته، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر." ونقل ابن شاكر في عيون الأخبار: "أن ابن تيمية يضعفه ويتهمه في نقله ويستهول ما يأتي به. ونرى صاحب معجم الأدباء ينقل من كتاب الغرباء أحد مؤلفات أبي الفرج أشياء يحكيها أبو الفرج عن نفسه، فتجد فيها تهتكا واعترافا بالفسق. وإذا كان الرجل يجفو طائفة ويضم إلى هذا الجفاء عدم استقامة، فلا تحفل بما يرويه من حديث يقدح في سيرتهم".[٢]

سابعاً: المؤلف في حاجة إلى جلب شواهد على أن العصبية القرشية تنظر إلى الأنصار بعين عابسة، وفي حاجة إلى جلب شواهد على أن حرفة اصطناع الشعر رائجة، ولما وقف على قصيدة حسان هذه ورأى في البيتين الأولين منها إيماء إلى أن من رجال قريش من لم يرع عهد الأنصار أو عهد حسان بنوع خاص، رغب في أن يقضي بالقصيدة الوطرين، فآمن بالبيتين لأنهما يدلان في نظره على تنكر قريش للأنصار، وجحد بسائرها ليزداد شاهدا على أن التعصب للقبيلة أو العشيرة باعث على اصطناع الشعر وإضافته إلى بعض الأقدمين. القصيدة في تسعة

---

[١] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١٥٦-١٥٧).

[٢] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر (صـ١٦٤).

أبيات كما في كتاب الأغاني(١)، وجاءت في ثمانية أبيات فقط كما في كتاب الإصابة لابن حجر(٢) والاستيعاب لابن عبد البر(٣). والبيت المزيد في رواية الأغاني قوله:

ثناؤك خير من فعال معاشر...... وفعلك بابن الهاشمية أفضل

وأنت إذا جمعت نظرك على ما اتفقت عليه الروايات وجدت نسج الأبيات متماثلا والروح التي يتخللها واحدا، فالبيتان اللذان اعترف بهما المؤلف هما:

أقام على عهد النبي وهديه....... حواريه والعدل بالفعل يعدل

أقام على منهاجه وطريقه...... يوالي ولي الحق والحق أعدل

والأبيات التي يرميها بالاصطناع:

هو الفارس المشهور والبطل الذي............ يصول إذا ما كان يوم محجل

إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها.......... بأبيض سباق إلى الموت يرقل

وإن امرأ كانت صفية أمه...................... ومن أسد في بيتها لمرفل

له من رسول الله قربى قرابة................ ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل

فكم كربة ذب الزبير بسيفه.............. عن المصطفى والله يعطي فيجزل

---

(١) الأغاني، لعلي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ)،(٤/١٥١).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،(٢/٤٥٨)،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،(٢/٥١٤).

فما مثله فيهم ولا كان قبله.................. وليس يكون الدهر مادام يذبل

ومن لا يقصد قصد المؤلف يرى أن هذه الأبيات رميت عن القوس التي رمى عنها البيتان الأولان، وأنهما لا يتفاوتان إلا كما تتفاوت أبيات القصيدة في البلاغة أو المتانة مع العلم بأن مصدرها قريحة واحدة.

من المعقول أن يأسف حسان على ما فات الأنصار من ولاء النبي عليه الصلاة والسلام لهم، ولكن البيتين لا يمثلان هذا الأسف ولا يزيدان على أن يمثلا ارتياحه لما صنع الزبير وحمده على إقامته على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن كان هناك شيء آخر فهو التعريض بمثل يشملوه بمثل هذا العطف والعناية ولا سيما حين يكون هؤلاء النفر الذين لم ينشطوا لسماع إنشاده من الأنصار أنفسهم".[١]

ثامناً: أما بالنسبة لهجاء النعمان بن بشير الأنصاري في معاوية بن أبي سفيان القرشي- رضي الله عنهما- فالقصيدة لا توجد في ديوان النعمان بن بشير وإنما ألحقها به ناشره نقلا عن كتاب الأغاني: وقد حكى القصة المبرد في الكامل[٢] وقال: فقال النعمان:

معاوي ألا تعطنا الحق تعترف..... لحي الأزد مشدودا عليها العمائم

أيشتمنا عبد الأراقم ضله.............. وماذا الذي تجدي عليك الأراقم

فمالي ثأر دون قطع لسانه ....فدونك من ترضيه عنك الدراهم

ولم يزد على هذه الأبيات الثلاثة، فللمؤلف أن يعد ما زاد عليها من المصنوع على النعمان بن بشير، ولعله لا يفعل مخافة أن يفوته شعر يعزى لأنصاري وفيه روح عصبية هائجة".[٣]

---

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١٦٥-١٦٦).

(٢) الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)،(١/١٤٤)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

(٣) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر(صـ١٦٧).

فأي الأبيات أشد وقعا وأبعد غاية من هذه الأبيات التي اقتبسناها وهي أقوى من النبال أم تلك الثلاثة التي تدعي أنها محمولة على النعمان".[١]

تاسعاً: لم يتوصل الكاتب إلى البرهنة العلمية على وجود انتحال في الشعر الجاهلي، بالرغم من استشهاده بهذه الأبيات التي حاول أن يستخرج المنحول منها: لأن المقطوعة الأولى التي مدح بها حسان الزبير شعر إسلامي محض لأنها قيلت في الإسلام من شاعر مسلم، وكذلك بالنسبة للقصيدة الطويلة التي قالها النعمان في معاوية، شعر إسلامي كذلك، وإن كان طه حسين يختلق ويصطنع في عشرين صفحة نثرا تبدله كما تشاء وشعرا تنتخبه وتنقده على تلك الطريقة العوجاء لتقول لنا أنك تشك في ثلاثة أبيات، ثم يظهر بعد ذلك خطأك وعدم تمكنك وهذا كله في الشعر الإسلامي الأموي لا في الشعر الجاهلي فعليك وعلى أدلتك وعلى أدبك وتاريخك العفاء".[٢]

يتعجب لطفي جمعة من استشهاد الكاتب بهذه الأبيات ويطلب منه أن يعطي دليله على ذلك فيقول": أي دليل على أنها كلها لم تكن لحسان فهل من اختلاف في نسقها أو شاعريتها أو أسلوبها ولماذا لا يشك في أولها وهي من أصدق الشعر وأشده تناسبا ولا يمكن التفريق بين أبياتها لأنها جميعا سواء في السهولة والعذوبة ...وإن عجز المؤلف عن إدراك هذه الحقائق لبعده عن تذوق الشعر فليسأل أهل الفن والأدب فهم لا يبخلون عليه بالموعظة الحسنة، فإن من يصل به التعصب والعناد إلى هذا الحد يستحقها ويستحق سواها. اعلم أيها المؤلف أن الزبير لم تكن له عصبية تزيد في شعر حسان لغاية سياسية ...فهذه المقطوعة لا تستغرب من حسان في الزبير وكلها حق وصدق".[٣]

---

(١) الشهاب الراصد، لمحمد لطفي جمعة،(صـ١٩٧).

(٢) الشهاب الراصد، لمحمد لطفي جمعة ،(صـ١٩٧).

(٣) المرجع السابق ،(صـ١٩٤-١٩٥).

المبحث الثالث

تأثير العصبية على شعر قريش والأنصار

يُثير طه حسين ظاهرة العصبية القبلية ودعوى الجاهلية، فتجعلها تؤثر على شعر قريش والأنصار، بل جعلها تمتد إلى مصر وأفريقيا والأندلس، وليس فقط مكة والمدينة وبلاد الشام، فتشمل حياة المسلمين في كل مكان.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

فيدعى طه حسين قائلاً:" يستطيع الكاتب في التاريخ السياسي أن يضع كتابا خاصا ضخما في هذه العصبية بين قريش والأنصار، وما كان لها من التأثير في حياة المسلمين أيام بني أمية، لا نقول في المدينة ومكة ودمشق، بل نقول في مصر وإفريقيا والأندلس. ويستطيع الكاتب في تاريخ الأدب أن يضع سفرا مستقلا فيما كان لهذه العصبية بين قريش والأنصار من التأثير في شعر الفريقين الذي قالوه في الإسلام، وفي الشعر الذي(نحله)[١] انتحله الفريقان على شعرائهما في الجاهلية".[٢]

ويتابع طه حسين إدعاءه أن العصبية كانت سبباً في إزلة الخلافة الأموية، فيقول:" وأنت تعلم حق العلم أن هذه العصبية هي التي أزالت سلطان بني أمية لأنهم عدلوا عن سياسة النبي التي

---

[١] انتحل فلانٌ هذا الشِّعر : ادّعاه لنفسه ، وهو لغيره.**انظر**: معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور: أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، (٣/٢١٧٩).

[٢] في الأدب الجاهلي، لطه حسين،(صـ١٢٩)

كانت تريد محو العصبيات، وأرادوا أن يعتزوا بفريق من العرب على فريق، قووا العصبية ثم عجزوا عن ضبطها، فأدالت منهم، بل أدالت من العرب للفرس".(١)

٢-مضمون الشبهة:

- العصبية القبلية ظاهرة مستمرة في التاريخ الإسلامي.
- أثّرت العصبية القبلية في السياسة، والأدب، والشعر.
- امتدت من الحجاز إلى أقاليم الدولة الإسلامية كلها.
- كانت السبب الرئيسى في سقوط الدولة الأموية.

٣-هدف الشبهة:

- نفي قدرة الإسلام على اقتلاع العصبية الجاهلية.
- تصوير التاريخ الإسلامي على أنه امتداد للصراع القبلي.
- التقليل من قيمة المشروع الحضاري الإسلامي.

٣-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تعميم ظاهرة جزئية على كامل التاريخ الإسلامي.
- الخلط بين العصبية القبلية وبين الصراعات السياسية والإدارية.
- إغفال العوامل الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية.
- اعتماد الشعر (بما فيه المنحول) كمصدر تاريخي قطعي.٢

(١) في الأدب الجاهلي، لطه حسين ،(صـ١٣٠)

٢ انظر: مختصر منهاج السنة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،(١/٢٦٣)،اختصره: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار الصديق للنشر والتوزيع، صنعاء - الجمهورية اليمنية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٤-**مصادر الشبهة:**

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين قرروا أن الشعر في صدر الإسلام كان أداة للصراع القبلي والسياسي، وأن الهجاء بين قريش والأنصار امتداد للصراع الاجتماعي.[١]

٥-**أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:**

- **في الوسط الاستشراقي**: عززت صورة الإسلام كدين لم يُلغِ البنية القبلية.[٢]
- **في الوسط الإسلامي**: أحدثت اضطرابًا فكريًا، لكنها قوبلت بنقود علمية صارمة.[٣]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ - نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- وجود صراعات سياسية لا يعني بقاء العصبية الجاهلية.
- الدولة الأموية حكمت شعوبًا غير عربية، مما ينقض دعوى القبلية الخالصة.
- تعميم السبب الواحد (العصبية) تفسير اختزالي للتاريخ.[٤]

---

[١] Wellhausen, Julius. The Arab Kingdom and Its Fall. London: Luzac & Co., 1901, pp. 15–20.

يوليوس فلهاوزن. المملكة العربية وسقوطها. لندن: لوزاك وشركاه، ١٩٠١، ص ١٥-٢٠.

[٢] Wellhausen, Julius. The Arab Kingdom and Its Fall. London: Luzac & Co., 1901, pp. 15–20.

يوليوس فلهاوزن. المملكة العربية وسقوطها. لندن: لوزاك وشركاه، ١٩٠١، ص ١٥-٢٠.

[٣] انظر: مختصر منهاج السنة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،(٢٦٣/١).

[٤] انظر: تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي سنة ٤٣٠ هـ)، لفؤاد سزكين،(٣٦/١-٣٧)،نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى - د سعيد عبد الرحي، أعاد صنع الفهارس: د عبد الفتاح محمد الحلو، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

سقوط الدولة الأموية نتج عن:

- الصراع على الشرعية.
- الثورات الداخلية.
- التفوق التنظيمي العباسي.
- الشعر السياسي لا يعكس دائمًا الواقع الاجتماعي.[١]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أكدوا أن الصراعات الأموية كانت سياسية وإدارية أكثر منها قبلية.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يؤكد أن شريعة موسى عليه السلام شهدت نزاعات بعد التشريع، بمايدل على أن الشرائع السماوية لا تلغي التوترات البشرية فورًا، بل تضبطها بالمبادئ:" اِحْفَظْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ كُلَّ عَمَلِكَ، وَالْيَوْمَ السَّابعِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لا تَصْنَعْ فِيهِ عَمَلًا، أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَغُرَابُكَ. فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَفَرَغَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ، فَسَبَّتَهُ".[٣]:" فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ، لِيَكُونَ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ. فَسَبْتُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ أَشْهَدُ عَلَى أَجْيَالِهِمْ، لأَنَّهُ فَرَغَ الرَّبُّ فِي هذَا الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ عَمَلِهِ الَّذِي صَنَعَهُ".[٤] مما يدل على أن وجود توتر اجتماعي بعد التشريع سُنّة بشرية عامة لا فشل ديني.

---

[١] انظر: تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي سنة ٤٣٠ هـ)، لفؤاد سزكين،(١/٣٦-٣٧).

[٢] Coulson, Noel J. A History of Islamic Law. London: Oxford University Press, 1964, pp. 112–113.

نويل ج. كولسون. تاريخ القانون الإسلامي. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٤، ص ١١٢-١١٣.

[٣] سفر الخروج ، الإصحاح ٢٠ ، الآيه ٨-١١

[٤] سفر الخروج ، الإصحاح ٣١ ، الآيه ١٦-١٧

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ويمكن الرد على إدعاءات طه حسين في وصف تأثير العصبية على شعر قريش والأنصار خاصة وعلى حياة المسلمين عامة، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: لا جناح على الرجل يعطف على قبيلته ويحرص على أن يكون لهم مجد، وأن يكون المجد ذكر سائر، فهذا الأمر تنساق إليه النفس بفطرتها، وقد قلنا: إن هذه الخصلة متى سارت على منهج الاعتدال فحملت صاحبها على القيام بمصالح عشيرته، أو ذكر مآثرهم الحميدة دون أن يتعرض لغيرهم بسوء، لا تعد من الحمية الممقوتة ولا العصبية التي يريد الإسلام محوها: وليس في تلك القصة على طولها وعرضها ما يقع في عين الموضوع وهو العصبية المشتدة بين قريش والأنصار، فمعاوية أمر بعقوبة الشاعرين: القرشي والأنصاري، وسعيد بن العاص لم يجر العقوبة على واحد منهما، ومروان قد يكون انتقم لعبد الرحمن بن الحكم من جهة كونه ابن أبيه الحكم لا من جهة أنه من قريش، وقد يفعل مثل هذا من يكون خاليي الذهن من معنى التعصب للقبيلة، وشكاية عبد الرحمن إلى ابن بشير من قبيل الالتجاء إلى ذي وجاهة وقربى ليرفع عنه مظلمة، وخطاب النعمان بن بشير لمعاوية عرض لقضية اضطهاد مروان عامله رجلا من الأنصار، وإن سمي هذا تعصبا فهو من نوع التعصب المقبول، وقد انتهت الرواية بأن كتب إلى مروان بتنفيذ أمره في عبد الرحمن بن الحكم فنفذه ولم يعص له أمرا. وفي الأبيات التي قيل أن النعمان خاطبها معاوية ذكر ليومي بدر وفتح مكة وأراءته الأنصار في كثرة عدد وعزّة جانب ولا حرج في رفع الشكاية بهذا الأسلوب إذا ألجأ إليها حال الدفاع ولم يرتجف له قلب السياسة حمقا، وتجنّ له يدها بطشاً".[(١)]

ثانياً: ومن المحتمل القريب أن تكون قصة تهاجي ابن الحكم وابن حسان قصيرة ذات لون واحد فأصبحت في كتاب الأغاني ذات ذيول وألوان مختلفة، وزادها المؤلف بتصرفه أصباغا غريبة:

---

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين(صـ١٤٥-١٤٦)، مؤسسة هنداوى، ٢٠١٤م.

وقد أوردها المبرد في الكامل[١] بلون واحد وجمل لا تشير إلى قصيدتي ابن حسان وابن بشير، فساق ثلاثة أبيات لابن حسان يهجو بهما عبد الرحمن بن الحكم ثم قال": فكتب معاوية إلى مروان أن يؤدبهما، وكانا قد تقاذفا، فضرب عبد الرحمن ثمانين وضرب أخاه عشرين فقيل لابن حسان: قد أمكنك من مروان ما تريد فأشد بذكره وارفعه إلى معاوية، فقال: إذًا والله لا أفعل، وقد حدني كما تحد الرجال الأحرار، وجعل أخاه كنصف عبد فأوجعه بهذا القول".[٢]

ثالثاً: لا ينكر أحد أن الحمية المتطرفة ظهرت في عهد بني أمية، ولا يسلم أحد أنها بلغت بالعرب إلى مثل ما كانوا عليه من جاهليتهم، فضلا أن يكون شراً منه: وهذا المؤلف يحكي أن معاوية لم يحد عن مبدأ المساواة حين أمر بتأديب القرشي والأنصاري وحين أمر عامله أن يضرب أخاه لا نطيل القول في الاستشهاد على أن المؤلف لا يقيم للكلام وزنا أو حساباً، ويكفي القارئ دليلا على أنه لا يستطيع أن يضع كتابا ضخما في العصبية بين قريش والأنصار أنه طاف على أبواب الأغاني ولم يستطع أن يحدثك في هذا الفصل حديثا يدنيك من نظرية أن العرب عادوا بعد عمر بن الخطاب إلى شرّ ما كانوا فيه في جاهليتهم. وهو لا يستطيع أن يضع سفرا مستقلا فيما كان لهذه العصبية من التأثير في الشعر الذي انتحله الفريقان على شعرائهم في الجاهلية، إلا أن تغمض فيما يحدثك به من روايات موضوعة وآراء يخذل بعضها بعضا".[٣]

رابعاً: لقد بنى طه حسين معظم أقواله على نظرية العصبية بين القبائل واستمرارها بعد الإسلام وادعى أن الكاتب في تاريخ الأدب يستطيع أن يضع سفرا مستقلا ... " وما أكثر الأسفار التي ادعى أنه يستطيع أن يضعها، فقد قال قبل ذلك: "ولقد يستطيع الكاتب في التاريخ السياسي أن يضع كتابا خاصا ..." وهذا القول كله باطل ولا رائحة للحق فيه إلا ادعاء المؤلف انه يستطيع وضع الكتب الخاصة الضخمة والأسفار المستقلة: ودليلنا علي أنها دعوى عريضة أن فحول

---

[١] الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)،(١٤٩/١).

[٢] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين(صـ١٤٦)، مؤسسة هنداوى، ٢٠١٤م.

[٣] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين(صـ١٧٠-١٧٢).

الشعراء في الإسلام من قريش كانوا يأبون هجاء الأنصار نقلا عن أبي يحي الضبي أن يزيد ابن معاوية طلب من كعب بن جعيل شاعر قبيلة تغلب أن يهجو الأنصار فأبى ...وأنه لم يتقدم لهذا الهجاء إلاّ الأخطل الذي كان سليط اللسان وكان يوصف بأنه الشاعر الفاجر، وكان يؤجر بالمال. وليست العصبية سبب هذا الهجاء الذي نضمه الأخطل ودفع ثمنه يزيد، إنما سببه خصومة شخصية بين عبد الرحمن بن حسان ويزيد بن معاوية".(١)

خامساً: ومعنى العصبية القديمة التي يدعي المؤلف أنها استمرت في الإسلام ولم يكن الشعراء إلا آلات في أيدي القبائل تحركها، ولكن شيئا من هذا لم يكن: فالذنب ليس ذنب العصبية التي يستطيع المؤلف "أن يكتب عنها سفرا ضخما " وكان جميع الخلفاء والأمراء وأكابر الأمة يعلمون أن العصبية قد ماتت واندثرت ويحثون الشعراء على ذكر المآثر والمثالبلا شك بعد ذلك كله أن مؤلف الشعر الجاهلي أخطأ خطأ مقصودا إذ ادعى باستمرار العصبية الجاهلية بعد الإسلام وأن له من وراء هذا الخطأ المقصود غاية هي الحط من تلك المدنية".(٢)

سادساً: يتفق فريد وجدي(٣) مع طه حسين في عودة العصبية الجاهلية التي أماتها الإسلام وانتشرت في القبائل العربية كافة فأصبحوا أسوأ مما كانوا عليه من الفرقة والانقسام: ولكن هل يستطيع الكاتب السياسي الذي بإمكانه "أن يضع كتابا ضخما في هذه العصبية أن يقيم لهذا الكلام وزنا لأنه يرى النتائج المحسوسة لا تتفق وهذه المقدمات المفروضة، وهو ليس لديه من ميزان لتقدير قيمة العوامل الاجتماعية التي عملت في أمة من الأمم السابقة، ولا من محك لتمييز

---

(١) الشهاب الراصد، لمحمد لطفي جمعة،(صـ٢٠٠).

(٢) المرجع السابق،(صـ٢٠٤).

(٣) محمَّد فَرِيد وَجْدي(1373 - 1295)هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٤ م)محمد فريد بن مصطفى وجدي: مؤلف (دائرة المعارف) من الكتاب الفضلاء الباحثين. ولد ونشأ بالإسكندرية. وأقام زمنا في (دمياط) وكان أبوه وكيل محافظ فيها. وانتقل معه إلى السويس، فأصدر بها مجلة (الحياة) ونشر رسالة له سماها (الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان) سنة ١٨٩٩ وكتاب (تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدنية) وتولى تحرير مجلة (الأزهر).توفي بالقاهرة. **انظر:** معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، (١٢٦/١١).

صالحها من فاسدها.. فماذا يرى السياسي من الأمور الواقعية في عهد الدولة الأموية منذ استقام الأمر لعبد الملك بن مروان إلى انقضاء دولة بني أمية سنة (١٣٢هـ) يرى أمران لا سبيل إلى إنكارهما (أولهما) استمرار الوحدة الاجتماعية. و(ثانيهما) اتساع المملكة الإسلامية في عهدها إلى حد لم تدركه دولة قبلها".[١]

سابعاً: جاء الإسلام بمحو العصبيات، وهي إنما تمحى بالسيرة التي تمثل هدايته ومبادئه، وقوام هذه السيرة أمران: التعليم، والعدالة: كان النبي عليه الصلاة والسلام يقوم على أدب الأمة وتعليمها كما قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾[٢] وكانت سياسته وأحكامه عليه الصلاة والسلام تمثل المساواة في أحكم صورة. وبعاملي التعليم والعدل، ذهبت عصبية الجاهلية بين المهاجرين والأنصار، وارتبطت قلوبهم بأشد ما ترتبط به القلوب من الألفة والإخاء، قال تعالى ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[٣] وقال ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾[٤] وقال في وصف الأنصار ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾[٥] وفي كل أمة نفوس لا تقبل الأدب أو لا تأخذها السياسة العادلة إلى حسن الطاعة، فلا غنى لأولي الأمر من أن يضبطوا سياستهم بالحزم، حتى أواخر عهد الخليفة الثالث، وكذلك كان الخلفاء الراشدون يشربون سياستهم من العزم والاحتراس بقدر ما يقتضيه حال الأمة، حتى أواخر عهد الخليفة الثالث وقد أصبح لينه أكبر من لين الخليفتين قبله، فانتهز عبد الله بن سبا اليهودي ذلك اللين فرصة

---

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين(صـ ١١٨).

(٢) سورة الجمعة، الآية، ٢

(٣) سورة ال عمران، الآية، ١٠٣

(٤) سورة الأنفال، الآية، ٦٣

(٥) سورة الحشر، الآية، ٩

وسعى في طائفة وقعت في مكيدته إلى فتنة يوقدونها باسم الدين تارة، وباسم السياسة تارة أخرى، حتى نزلوا بالمدينة وأراقوا دم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. كان قتل هذا الشيخ البريء من عصبية بني أمية سببا لإذكاء هذه العصبية ولكن حرصهم على الخلافة وأخذهم بمقاليدها جعلهم يكتمون أنفاس هذه العصبية في كثير من صروف سياستهم، ولعلك لا تستطيع أن ترى لها مظهرا إلا حيث يلمحون يدًا تعمل على تقويض سلطانهم. فعصبية بني أمية كانت فاسقة عن أمر الإسلام من ناحية، ومغلوبة لسلطانه من ناحية أخرى وهذا ما ساعدها على أن تبلغ من العمر ما لا تبلغه دولة ذات عصبية جاهلية لو بسطت يدها على أمم أكثر من قبيلتها عددًا وليست أقل منها علمًا وخلقًا. للعصبية أثر في سقوط دولة بني أمية، وأكبر سبب في سقوطها ذلك الحزب الذي يرى أن بني هاشم أحق بالخلافة، وأخذ يبدو تارة ويحتجب تارة أخرى حتى وقعت الدولة في ترف، وفقدت الرجال القوامين على الحروب، وبعدت عن خطة الخلافة الرشيدة، فنهض هذا الحزب، وسرعان ما جمع له شعوبا وقبائل تنقم على تلك الدولة خلل سياستها، فافتكّ منها الخلافة ووضعها في أيدي بني العباس".[١]

ثامناً: دولة بني أمية على ما كان فيها من عصبية أو هوى قد خدمت الإسلام بفتوحات واسعة، وكان لكثير من رجالها مآثر عمرانية فاخرة، ولا تنس أن من رجال تلك الدولة من يبرأ من العصبية ولم يأت في سياسته على ناحيتها كعمر بن عبد العزيز، ومنهم من كان يغمرها بالهمم الكبيرة والقيام على كثير من المصالح العامة كالوليد بن عبد الملك. فنسبة سقوط دولة بني أمية إلى العصبية وحدها، من نوع المبالغة التي لا تقبلها المباحث العلمية: ودعوى أن العرب وقعت بعد عمر بن الخطاب في أشد مما كانوا عليه في جاهليتهم، لاتصدر إلا ممن يريد أذية هذه الأمة الكريمة وجحود ما كان لها من مزية وفضل حتى على هذه الدول الغربية التي يود المؤلف أن يكون له لسان آخر وقلم ثان يصرفهما في سبيل الدعوة إلى ما ينفعها".[٢]

---

[١] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين(صـ ١٧٢-١٧٣).

[٢] المرجع السابق(صـ١٧٤).

المبحث الرابع

انعدام الكتابة وعلاقتها بانتحال الشعر

يرجع بعض أصحاب الفكر الحداثي المعاصر عدم تدوين الشعر الجاهلى بسبب حالات الحروب والفتوحات في زمن الخلفاء الراشدين، فكان ذلك سبباً في اندثار الشعر الجاهلى، وطريقاً لتأليف بعض الشعراء شعراً وينسبونه إلى الشعراء القدماء حتى عصر بني أمية والتى تميزت بحالة من الاستقرار.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١–نص الشبهة:

يقول طه حسين:" وقد أرادت الظروف أن يضيع الشعر الجاهلي، لأن العرب لم تكن تكتب شعرها بعد، إنما كانت ترويه حفظا؛ فلما كان ما كان في الإسلام من حروب الردة ثم الفتوح ثم الفتن، قتل من الرواة والحفاظ خلق كثير. ثم اطمأنت العرب في الأمصار أيام بني أمية وراجعت شعرها فإذا أكثره قد ضاع، وإذا أقله قد بقي".[١]

ويقول مرجليوث[٢] : " إن الشعر الذي جمع ونسب إلى الجاهليين مصنوع ومنحول[٣]، صنع في العصور الإسلامية، ونسبه واضعوه إلى شعراء جاهليين زورًا وبهتانًا"[١].

---

(١) في الأدب الجاهلي، لطه حسين،(صـ١٣٠)

(٢) سبق ترجمته، (صـ١٣٠).

(٣) انتحل فلانٌ هذا الشِّعر: ادّعاه لنفسه، وهو لغيره.**انظر:** معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور: أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، (٣/٢١٧٩).

وينقلون عن الخليفة الثانى أنه قال:" تشاغل العرب عن الشعر وروايته في صدر الإسلام بالجهاد، ولما جاءت الفتوح واطمأنت العرب راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب منه عنهم كثيرا ".[٢]

ثم قال مرجليوث منتقداً هذا المقال الذي يعزى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه": من العبث نسبة هذا القول للخليفة الثاني؛ لأن زمن السلم لم يحن إلا في عهد الأمويين أي بعد موته بثلاثين سنة. ثم قال: وبقاء قصائد تروى حفظا غير متيسر إلا إذا كان هنالك أشخاص وظيفتهم حفظها وتعليمها لغيرهم باستمرار، وليس لدينا أي دليل على أن هنالك أشخاصا يقومون بهذه الوظيفة، كما أنه من المستحيل أن ينجوا من حروب الفتوحات الإسلامية الأولى".[٣]

ويتابع مرجليوث للبحث في الطريق الثاني وهو الكتابة، فقال:" بقي لدينا أن يقال:إذا كانت تنقل على طريق الكتابة، ولو صح زعم أن هذه القصائد كانت عندما تنشد ويعجب الناس بها يكتبوها ويسألون عن منشئها، لكان من البديهي أن تنقل صور هذه الصحائف وتباع حتى يستفيد منها أربابها".[٤]

---

[١] في تاريخ الأدب الجاهلي، لعلي الجندي،(١٧٩/١)،مكتبة دار التراث، الطبعة: طبعة دار التراث الأول، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

[٢] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، (١٩٦/١)،المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

[٣] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين(صـ١٤٩)، مؤسسة هنداوى، ٢٠١٤م.

[٤] المرجع السابق، (صـ١٥١).

ويتابع مرجليوث شبهته أن :" القرآن قد ذم الشعراء في قوله: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ [١] وهذا الذم يكون من أقوى الدواعي إلى الانصراف عن الشعر وتناسيه، وهناك سبب آخر وهو أن أكثر الأشعار الجاهلية كانت تشتمل على مفاخر قومية، وحيث كانت غاية الإسلام توحيد الأمة العربية — وقد أفلح في ذلك– كان بالطبع يحتم على الناس تناسي كل قول يثير الأضغان ويهيج الأحقاد".[٢]

٢–مضمون الشبهة:

- الشعر الجاهلي لم يُدوَّن وإنما رُوي حفظًا.
- الحروب والفتن أدت إلى هلاك الرواة.
- لا دليل على وجود طبقة مهنية لحفظ الشعر.
- ذم القرآن للشعراء أدى إلى الإعراض عن الشعر.
- الإسلام سعى لمحو المفاخر القبلية، فاندثر الشعر الجاهلي أو نُحل.

٣–هدف الشبهة:

- التشكيك في أصالة الشعر الجاهلي.
- الطعن في مصادر اللغة العربية التي فُسّر بها القرآن.
- دعم المنهج الاستشراقي الشكّي في التراث الإسلامي المبكر.

٤–مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين ضياع بعض الشعر والحكم بانتحال أكثره.
- افتراض أن الحفظ الشفهي غير موثوق، مع أنه أساس نقل القرآن والسنة.
- تعميم ذم القرآن لبعض الشعراء على كل الشعر.

---

[١] سورة الشعراء، الآية، ٢٢٤–٢٢٦

[٢] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين(صـ١٥٠)، مؤسسة هنداوى، ٢٠١٤م.

- تجاهل البيئة العربية القائمة على الذاكرة والرواية.[1]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المستشرقين الذين قرروا أن أكثر الشعر الذي جُمع ونُسب إلى الجاهليين ليس صحيح النسبة، بل هو شعر مصنوع ومنحول، أُلِّف في العصور الإسلامية، ثم أُلحق زورًا وبهتانًا بشعراء جاهليين.[2]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي**: أصبحت نظرية الانتحال أساسًا لدراسة الشعر الجاهلي عند بعضهم.[3]
- **في الوسط الإسلامي**: أحدثت جدلًا واسعًا، وردّ عليها علماء اللغة والأدب ردودًا علمية قوية.[4]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الحفظ الشفهي لا يعني عدم الضبط، بل كان وسيلة العرب الأساسية.
- وجود انتحال جزئي لا يستلزم الحكم بانتحال الكل.
- لو كان الشعر منحولًا لما اتفقت عليه روايات متعددة ومتباعدة.[1]

---

[1] انظر: تحت راية القرآن، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)،(صـ١٥٤-١٥٥)،المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ.

[2] Margoliouth, D. S. The Origins of Arabic Poetry. London: Oxford University Press, 1925, pp. 1–5.

مرجليوث، ديفيد صموئيل. أصول الشعر العربي. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٢٥، ص ١-٥.

[3] Margoliouth, D. S. The Origins of Arabic Poetry. London: Oxford University Press, 1925, pp. 1–5.

مرجليوث، ديفيد صموئيل. أصول الشعر العربي. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٢٥، ص ١-٥.

[4] انظر: تحت راية القرآن، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)،(صـ١٥٤-١٥٥).

٢- **نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:**

- ثبت وجود رواة متخصصين مثل حمّاد الراوية وخلف الأحمر.
- استخدام الشعر الجاهلي في الاستشهاد اللغوي قبل التدوين.
- استمرار رواية الشعر في العصرين الأموي والعباسي مع الإسناد.[٢]

٣- **شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:**

- بعض المستشرقين أكدوا أن قدرًا كبيرًا من الشعر الجاهلي صحيح النقل.[٣]

٤- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:**

الكتاب المقدس يؤكد أن الشرائع السماوية لم تمنع الأدب أو الشعر، بل وجهته أخلاقيًا، وذم فئة لا يعني تحريم الفن كله، مثال عام: سفر المزامير – وهو شعر ديني – يدل على قبول الشعر ضمن الضوابط:"اهتِفُوا لِلرَّبِّ أَيُّهَا جَمِيعُ الأَرْضِ، ارفعوا صوتكم وابتهجوا".[٤]

٥- **نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:**

ويمكن الرد على إدعاءات أصحاب الفكر الحداثي المعاصر في إتهامهم عدم تدوين الشعر الجاهلي وعلاقته بنحوله، وذلك من خلال النقاط التالية:

---

[١] انظر: طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ)،(١/٤٨برقم٥١)،المحقق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة.

[٢] انظر: طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ)،(١/٤٨برقم٥١).

[٣] Nicholson, Reynold A. A Literary History of the Arabs. Cambridge: Cambridge University Press, 1907, pp. 76–85.

رينولد نيكلسون. تاريخ الأدب العربي. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٠٧، ص ٧٦–٨٥.

[٤] سفر المزامير ، الإصحاح ١٠٠ ، الآيه ١-٢

أولاً: إن رواية الأشعار لم تنقطع حتى في الأيام التي استعرت فيها نار الحرب بين المسلمين ومشركي الجزيرة، وغاية ما طرأ على الرواية أن خمل سوقها وذهل أكثر الناس عنها: وليس الشعر بعمل يدوى حتى يقال: "أن العرب نكثوا أيديهم منه جملة ووضعوها في قبضة الحسام والعنان، وإنما هو عمل اللسان فيصح أن يكون سلوة النازح عن وطنه، وسمر من يبطئ عنه نعاسه، وليس من البعيد أن يتناشدوه قبيل الزحف وعقب الظفر، ففي الشعر ما يحمل على الثبات، وفي الشعر ما يلقى بالنفوس في معترك المنايا".[١]

ثانياً: وأما قول مرجليوث: أن رواية الأشعار حفظا لا يتيسر إلا إذا كانت وظيفة أشخاص يقومون عليها باستمرار، فمنشؤه الذهول عن عناية العرب بالشعر وشغفهم بروايته حتى أصبحت صناعة بالغة من الرواج إلى أن لا يحتكرها فريق معلوم: ودعواه أن الحروب الأولى حصدت كل من يروي شعراً عن الجاهلية، ملقاة على غير بينة، بل على غير رواية، إذ من البديهي أن الحروب لا تسحق الجيوش الفاتحة على بكرة أبيها، فمن الجائز أن يبقى في هؤلاء الجنود الظافرين من يروون شعراً كثيراً".[٢]

ثالثاً: الشعر الجاهلي مروي بطريق الحفظ، ومن الجائز أن تصل بعض الأشعار إلى الرواة عن طريق الكتابة، والقصيدة تكتب في صحيفة أو صحيفتين، ولم يكن لأمثال هذه الصحف المفرقة قيمة ورواج، حتى يذكر التاريخ أنها كانت تباع ويستفيد منها أربابها ".[٣]

رابعاً: ذم القرآن للشعراء قد فهمه أهل العلم على الشعر المشتمل على زور أو مناهضة حق، وما عداه فمأذون في إنشاده، قال النبي عليه الصلاة والسلام:"إن من الشعر حكمة"[٤]، وقال:

---

(١) كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين ، (صـ١٤٩).

(٢) المرجع السابق، (صـ١٥٠).

(٣) المرجع السابق (صـ١٥١).

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالحُدَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ،(٤٣/٨برقم٦١٤٥).

"أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل".[١] ومن الثابت أن الصحابة — رضي الله عنهم — كانوا يتناشدون الأشعار: فقد أخرج ابن أبي شيبة بسند حسن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: لم يكن أصحاب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – منحرفين ولا متماوتين، وكانوا ينشدون الأشعار في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحدهم على شيء من دينه دارت حماليق عينيه. وروي من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنت أجالس أصحاب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مع أبي في المسجد فيتناشدون الأشعار ويذكرون حديث الجاهلية. [٢] وصححه، من حديث جابر بن سمرة قال: كان أصحاب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية عند رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فلا ينهاهم وربما يبتسم".[٣] ولا يمنع الإسلام من إنشاد أشعار تشتمل على مفاخر قومية إلا أن تنطوي على هجاء يتأذى منه بعض السامعين، كالأشعار التي نهى عمر بن الخطاب عن إنشادها ".[٤]

خامساً: وصفوة البحث أن الشعر العربي كان يتلقى بالرواية حفظا، ومن المحتمل أن شيئاً منه إلى الرواة على طريق الكتابة، فقد رأيتم المؤلف يعترف بما رواه صاحب الأغاني من أن

---

[١] المرجع السابق، ،كتاب مناقب الأنصار ،بَابُ أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ، (٤٢/٥برقم٣٨٤١).

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)،(٣٣٢/٣).

[٣] مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، أَوَّلُ مُسْنَدِ الْبَصْرِيِّينَ، حَدِيثُ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ السُّوَائِيِّ،(٤٣٦/٣٤برقم٢٠٨٥٣)،**وهو حديث حسن.انظر:** أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، لأبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي، (٣٨٦٥/٦برقم٢٦٤٦).

[٤] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين(صـ١٥١)، مؤسسة هنداوى، ٢٠١٤م.

الأنصار كانت تكتب أشعارها، وحكى ابن جني[١] في الخصائص[٢]: أن النعمان بن المنذر أمر " فنسخت له أشعار العرب في الطنوج قال وهي الكراريس، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيدة قيل له: إن تحت القصر كنزا فاحتفره فأخرج تلك الأشعار، وقد أورد ابن سلام في طبقات الشعراء ما يوافق هذه القصة، ولم يسندها إلى راو بعينه، فمن يعتد بهذه الآثار يرى أن من الشعر العربي ما وصل إلى الرواة على طريق الكتابة، فإن لم تكن بالغة مبلغ ما يعبأ به فإن اعتياد العرب لرواية الشعر حفظا، واتساعهم في الحفظ إلى غاية بعيدة، يقوم مقام كتابته. ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس".[٣]

في الختام:

تبيَّن لكل ذي لُبٍّ من خلال هذا الفصل ما للغةِ العربية من أهميةٍ عظمى؛ في كونها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكونها جزءًا من هويتنا وديننا، بل ويعترف بذلك جميع مستشرقي

---

[١] أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بـ «ابْنِ جِنِّي» عالم نحوي كبير، كَانَ أَعورَ. وولد بالموصل عام ٣٢٢ هـ، ونشأ وتعلم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش.من كتبه:(سِرُّ الصِّنَاعَةِ)و (اللُّمَعُ)و (التَّصريفُ)و (التَّلقينُ فِي النَّحْوِ)و (التَّعَاقبُ)و (الخصَائِصُ)و (الْمَقْصُور وَالمَمْدُوْد)و (مَا يُذكَّرُ وَيُؤنَّثُ)وَ (إِعرَابُ الحمَاسَة)وَ (المُحْتَسَبُ فِي الشواذِّ) .تُوُفِّيَ: فِي صَفَرٍ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ.**انظر**: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)،(١٧/٧٥-١٩).

[٢] الخصائص لابن حني، لأبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)،(٣/٢١١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.

[٣] نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين(صـ١٧٥-١٨١).

الغرب المتعصب منهم قبل المنصف، وعلى لسان (كارل بروكلمان)[١] يقول:(بلغت العربيَّة بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أيُّ لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعًا مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم)[٢]، ولهذا ينبغي على الباحثين الحفاظُ على هويتِنَا العربيةِ، والنظرِ إليها على أنّها لغةُ القرآنِ الكريمِ والسنةِ المطهرةِ، ولغةُ التشريعِ الإسلاميِّ، وتراثنا الحضاريِّ العظيمِ، فلنحافظ عليها من التحريف وحمايتها من الجاهلين: عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُذْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِين»[٣]

---

[١] كارل بروكلمان (بالألمانية: **Carl Brockelmann**) (١٧ سبتمبر ١٨٦٨ – ٦ ماي ١٩٥٦) في مدينة روستوك، وكان مستشرق ألماني. بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، حصل على الدكتوراه الأولى عام ١٨٩٠. ومن أشهر مؤلفاته كتاب تاريخ الأدب العربي الذي ترجم في ستة مجلدات وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها.**انظر**: موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوى،(صـ٩٨).

[٢] نقلًا من كتاب: عالمية اللغة العربية، لمحمد مصطفى بن الحاج، (صـ ٢٧٤)، المجلة العربية للثقافة، ١٩٩٠م.

[٣] السنن الكبير، لأبى بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ)، كتابُ الشهاداتِ ، بابُ الرَّجُلِ مِن أهلِ الفِقهِ يُسألُ عن الرَّجُلِ ،(٢١/٩٤برقم٢٠٩٥٢).**وهو حديث صحيح.انظر**: جمع الجوامع المعروف بـ الجامع الكبير، لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ)، (١٣–١٧٩–١٨٠). مختار إبراهيم الهائج – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

الباب الخامس

موقف المستشرقين من قضايا علم الفلك

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

آراء المستشرقين الإيجابية حول قضايا علم الفلك.

الفصل الثاني:

آراء المستشرقين السلبية حول قضايا علم الفلك.

الفصل الثالث:

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين

في تعاملهم مع علم الفلك في التصور الإسلامي

الفصل الأول

آراء المستشرقين الإيجابية حول قضايا علم الفلك

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: تعريف علم الفلك.

المبحث الثانى:علاقة علم الفلك بالإسلام.

المبحث الأول

تعريف علم الفلك

يبدأ المستشرق نالينو في مطلع كتابة عن (علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى) بتعريف علم الفلك مع اختلاف مسمياته والأقسام الخارجة منه فيقول:" ولكن في العصور الماضية كانت تطلق سواء على علم الهيئة أم علم احكام النجوم ام هذين العلمين معاً. وكذلك لفظ المنجم كانت القدماء يريدون به من يشتغل بكلا العمين او بأحدهما دون فرق . فإذا احتاجوا الى تمييز المنجم (بمعناه الحديث) من الفلكي قالوا مثلا: الاحكاميون من المنجمين او الاحكاميون او اصحاب احكام النجوم. – أني لا أورد شواهد ذلك لان سردها ممل ولأنها يسهل على كلكم جمعها من الكتب القديمة، فأقتصر على نص واحد مأخوذ من كتاب التنبيه لابي الحسن علي المسعودي[١] قال : وصناعة التنجيم التي هي جزء من اجزاء الرياضيات وتسمى باليونانية الاصطر ونوميا تنقسم قسيمة اولية على قسمين احدهما العلم بهيئة الافلاك وتراكيبها ونصبها وتأليفها والثاني العلم بما يتأثر عن الفلك ».[٢] أما الأسماء الأخرى فهي : « علم هيئة العالم " أو " علم هيئة الافلاك أو « علم الهيئة » أو « علم الافلاك .. إلا أنها لا تطلق على علم أحكام النجوم -. أما لفظ الفلكي بمعنى من يشتغل به فهو غير مجهول فتجدوه مثلا ثلاث مرات في

---

[١] سبق ترجمته، (صـ٤٣٩).

[٢] التنبيه والإشراف، لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)،(١٢/١)،تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي – القاهرة.

كتاب التنبيه[١] المذكور بدون فرق بينه وبين لفظ المنجم بيد انه نادر الاستعمال جدا في القرون الوسطى. هذا بالاختصار ما يتعلق بتسمية ذلك العلم".[٢]

رأى الباحث:

أما تعريف علم الفلك فيدور حول:

أولاً: تعريف العلم:

- علم الفلك مركب إضافي من مضاف وهو كلمة "علم"، ومضاف إليه وهو كلمة "الفلك"، وحتى نتعرف عليه لا بد من معرفة معنى كل منهما : العلم في اللغة من علم والعلم : نقيض الجهل.[٣]

١-التعريف اللغوى للعلم:

- **يقول الخليل- رحمه الله** -[٤]: "عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا ، نقيض جَهِلَ ، ورجل علامة، وعلام، وما عَلِمْتُ بخبرك، أي ما شعرت به، وأعلمته بكذا ، أي : أَشْعَرْتُه وعلمته تعليمًا ". [٥]

---

[١] المرجع السابق،(١/١٢).

[٢] علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطي، لكاراللو ألفونسو نالينو،(صـ١٨-١٩).

[٣] انظر: معجم ديوان الأدب، لأبى إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، (١/١٩٤).

[٤] الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٠هـ، ٧١٨ - ٧٨٦م) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. وهو عربي الأصل من أزْد عُمان. لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض، من كتبه: كتاب العين وهو أوّل معجم في العربية؛ كتاب النّغم؛ كتاب العروض؛ كتاب الشواهد؛ النقط والشّكل؛ كتاب الإيقاع.
انظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)،(٣/١٢٦٠).

[٥] كتاب العين، لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، (٢/١٥٢)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- **ويقول ابن فارس– رحمه الله –**[١]: "عَلَمَ: العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره من ذلك العلامة، وهي معروفة. يقال: علمت على الشيء علامة".[٢]

- **ويقول ابن منظور – رحمه الله –**[٣]: "علم بالشيء: شعر، يقال: ما علمت بخبر قدومه، أي: ما شعرت، وعلم الأمر، وتعلمه أتقنه، ويجوز أن تقول: علمت الشيء، بمعنى: عرفته وخبرته".[٤]

٢–التعريف الاصطلاحى للعلم:

- **عرفه الجرجاني– رحمه الله –**[٥]:"الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل". [١]

---

[١] ابن فارس (٣٢٩ – ٣٩٥ هـ = ٩٤١ – ١٠٠٤ م) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه (مقاييس اللغة – ط). انظر: الأعلام، للزركلي ،(١/١٩٣).

[٢] معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، (٤/١٠٩).

[٣] ابن منظور (٦٣٠ – ٧١١ هـ = ١٢٣٢ – ١٣١١ م) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. وعاد إلى مصر فتوفى فيها، من كتبه(لسان العرب – ط) عشرون مجلدا. انظر: الأعلام، للزركلي ،(٧/١٠٨).

[٤] لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،(١٢/٤١٨).

[٥] الجرجاني (٧٤٠ – ٨١٦ هـ = ١٣٤٠ – ١٤١٣ م) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية. ولد في تاكو [أو تاجو] (قرب أستراباذ) ودرس في شيراز ومات بها. من

- **وعرفه أبو البقاء- رحمه الله -**[٢]: بأنه حصول صورة الشيء في العقل".[٣]

- **ويقول بدر الدين العيني- رحمه الله -**[٤]: اختلف العلماء في حده، وأصح الحدود: أنه صفة من صفات النفس، توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض في الأمور المعنوية".[١]

كتبه: «التعريفات – ط» و «شرح مواقف الإيجي – ط» و «شرح كتاب الجغميني» في الهيئة، و «مقاليد العلوم – خ» .

انظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبى الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)،(صـ٣٩٦برقم٤٥١)،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

[١] كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)،(صـ١٥٥)،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

[٢] أَبُو البَقَاء (٠٠٠ – ١٠٩٤ م = ٠٠٠ – ١٦٨٣ م)أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب (الكليّات – ط) كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد. وله كتب أخرى بالتركية. من تصانيفه: تحفة الشاهان .

انظر: معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات) إعداد: علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط،(٧٢٧/١برقم١٨٧٨).

[٣] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)،(صـ٦١٥).

[٤] بدر الدين العيني (٧٦٢ – ٨٥٥ هـ = ١٣٦١ – ١٤٥١ م) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي: من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة،من كتبه(الجوهرة السنية في تاريخ الدولة المؤيدية – خ).

انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبى الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي،(صـ٢٠٧).

ثانياً: تعريف الفلك:

١-التعريف اللغوى للفلك:

الفلك جمع أفلاك وفُلْك وفُلُك: مدار الشَّمس والقمر والنجوم والكواكب "كل كوكب يدور في فَلَكه- ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠ ﴾[٢]،وعلم الهيئة: مرادف علم الفلك[٣]، وفلك البروج: دائرة ترسمها الشمس في سيرها في السماء في سنة واحدة".[٤]

والفلك اسم للدوران خاصة، والمنجمون يقولون: سبعة أطواق دون السماء قد ركبت فيها النجوم السبعة في كل طوق منها نجم، وبعضها أرفع من بعض يدور فيها بإذنه تعالى".[٥]

يقول ابن منظور – رحمه الله –[٦]: "الفَلَك مَدار النجوم، والجمع أفلاك، ويجوز أن يجمع على فعل، مثل: أَسَدٍ وأُسْدٍ وخَشَب وخُشْب". [١]

---

[١]عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ،(٢/٢).

[٢] سورة يس، الآية، ٤٠

[٣] انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل،(٣/٢٣٨٠).وانظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة،(٢/١٠٠٢).

[٤] انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل،(٣/١٧٤٢).

[٥] تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)،(١٣/٦٢٧).

[٦] سبق ترجمته، (صـ٩٠٩).

ويقول القلقشندي– رحمه الله –[٢]: "أما ما يقع عليه اسم الفلك، فالمراد بالأفلاك السماوات". [٣]

٢–التعريف الاصطلاحى للفلك:

وعلم الفلك في الاصطلاح له عدة تعريفات، من أهمها:

- **تعريفه عند المتقدمين :** [٤]

– **عرفه البتاني**[١] بأنه علم صناعة النجوم ما يختص بمعرفة مدة السنين والشهور والمواقيت وفصول الأزمان، وزيادة الليل والنهار، ونقصانها، ومواضع النيرين وكسوفهما، ومسيرة الكواكب

---

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،(٣٥١/١).

(٢) القلقشندي (٧٥٦ – ٨٢١ هـ = ١٣٥٥ – ١٤١٨ م) أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري: المؤرخ الأديب البحاثة. ولد في قلقشندة (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة، سماها ياقوت قرقشندة) ونشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة.من كتبه:(حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم – خ).

انظر: الأعلام، للزركلي (١٧٧/١).

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، (١٦٣/٢)،دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) أقصد بالعلماء المتقدمين: عصر خلفاء الدولة العباسية؛ لأن العصر العباسي هو عصر النهضة، والازدهار، واكتشاف العلوم وتطورها، وفيه ترجمت الكتب الفلكية إلى العربية، وظهرت الاختراعات وانتشرت المراصد، وعُرف خلفاء هذا العصر باهتمامهم بالعلم والعلماء، وقد تطور علم الفلك في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بصفة خاصة.

انظر: تطور علم الفلك في العصر العباسي الأول، للزهرة راجى بوخاري ،(صـ ١٤–٤٢) رسالة ماجستير، شعبة التاريخ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، ١٤٣٩ –١٤٣٨هـ / ٢٠١٨ –٢٠١٧م.

في استقامتها ورجوعها، وتبدل أشكالها ومراتب أفلاكها وسائر مناسباتها بناء على الرصد والحساب والاختيار، وبالاستعانة بالجداول، والبراهين الهندسية والعددية. [٢]

- ويُعرف **ابن خلدون**[٣] علم الهيئة، فيقول: هو علم ينظر في حركات الكواكب الثّابتة والمحرّكة والمتحيرة. ويستدلّ بكيفيّات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسيّة. [٤]

- **تعريفه عند المتأخرين:**

---

[١] ابن جَابِر البِتَّاني (٠٠٠ - ٣١٧ هـ = ٠٠٠ - ٩٢٩ م) محمد بن جابر بن سنان الحَرَّاني الرقي الصابئ، أبو عبد الله المعروف بالبتاني: فلكي مهندس، ولد قبل سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٨ م) وكان من أهل (حران) وسكن (الرقة) ومات قرب سامراء. واشتغل برصد الكواكب وهو صاحب (الزيج - ط) المعروف بزيج الصابئ، ثلاثة أجزاء.

انظر :الأعلام، للزركلي(٦/٦٨).

[٢] الزيج، لمحمد بن جابر بن سنان الحراني الرقي الصابئ، أبو عبد الله المعروف بالبتاني ، المقدمة(صـ ١)، طبع مدينة رومية العظمى، ١٨٩٩م.

[٣] أَبُو زَيْدٍ وَلِيُّ الدِّيْنِ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بن مُحَمَّد إبْرَاهِيم بن عَبْدِ الرَّحْمٰن بن خَلْدُون الْحَضْرَمِيُّ الإِشْبِيْلِيُّ الشهير اختصارًا بِـ«ابن خَلْدُون»: من كتبه «العبر وديوان المُبتدأ والخبر في أيام العَرب والعَجم والبَربر وَمَن عاصَرَهُم من ذَوي السُلطان الأكبر» والذي عُرف اختصارًا بـ«تاريخ ابن خلدون. توفي في ٨٠٨هـ ١٤٠٦م.

انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، (٢/١٠٠-١٠١)،المحقق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م

[٤] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)،(١/٦٤١)،المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

مع سرعة التطورات العلمية ووجود الأقمار الصناعية والرحلات الفضائية، وأجهزة الرصد، ساعدوا على دراسة هذا العلم بدقة، لذا عرف العلماء المتأخرون علم الفلك بتعريفات عديدة، أذكر منها:

– عُرف بأنه: العلم الذي يدرس نشأة الأجرام الفلكية وحركتها ومواقعها. [١]

– كما عرف بأنه العلم الذي تحكمه ضوابط خاصة في صورة معادلات رياضية معقدة، لتفسير ما يدور في السماء من الأجرام، سواء كانت كواكبًا، أو نجوما، أو أقمارًا، أو شهبًا، أو نيازكًا، أو دوران الأرض حول محورها، أو حول الشمس. [٢]

– وعرف أيضًا بأنه يبحث عن الأجرام السماوية وما تحويه وما تنتظمه من نجوم وكواكب، وما يحدث في الكون من رياح وبرق ورعد، والليل والنهار وتعاقبهما واختلافهما . [٣]

– ومن أشمل تعريفات علم الفلك ما عرفه به الدكتور محمد صالح النواوي حيث عرفه بأنه علم دراسة الكون. [٤]

– وينبغي التنبيه إلى أن علم الفلك كان يطلق عليه قديما علم الهيئة، وهو: معرفة تركيب الأفلاك وهيئتها وهيئة الأرض، أو علم الأنواء، أو علم التنجيم، ولا فرق بينها.[٥]

---

[١] أساسيات علم الفلك، للدكتور: أنور آل محمد، (صـ٤)، جمعية الفلك بالقطيف، ١٤٣٨هـ.

[٢] الجغرافيا الفلكية، للدكتور: شفيق عبد الرحمن علي،(صـ١٣)، دار الفكر العربي، مكة المكرمة– المملكة العربية السعودية.

[٣] المسلمون وعلم الفلك، لمحمد محمود الصواف، (صـ٣٠)، وزارة المعارف، توزيع الدار السعودية للنشر– جدة، ١٩٣٥م

[٤] الفلك، لمحمد صالح النواوي،(صـ١٨)، مطابع جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية العلوم، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٠م.

[٥] مفاتيح العلوم ، لمحمد بن أحمد الخوارزمي، (ت:٣٨٧هـ)،(صـ٢٤٠)، المحقق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية.

مما سبق يتضح أن علماء المسلمين عرفوا الفلك بالعلم القائم على الحقائق العلمية من البحث والرصد والتدقيق المعتمد على العلوم الأخرى كالهندس، للمساعدة على إعطاء النتائج الدقيقة، وهم بتعريفهم للفلك يشبه العلم الذي يعرف اليوم بالعلم الفلكي الحديث، كما أنهم لم يخلطوا بين الفلك والتنجيم[(١)]، بل اعتبروا الفلك علما مستقلا بذاته، وبذلك يعود الفضل في الفصل بين التنجيم وعلم الفلك إلى علماء المسلمين.[(٢)]

[(١)] التنجيم في اللغة: على وزن التفعيل، وهو مصدر الفعل نَجَمَ، مأخوذ من النجم، يقال نجم الشيء: أي ظهر وطلع. انظر:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)،(٥/٢٠٣٩). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.والتنجيم اصطلاحا: النظر في الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية لمعرفة أحكام النجوم من اقتضاء حركاتها للوقائع الكونية أو الأمور الأرضية فيكون الإخبار بذلك بعد النظر في النجوم". انظر: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، لعبد المجيد بن سالم المشعبي،(صـ٣٣)، أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.وللتعرف أكثر على التنجيم:انظر: التنجيم بين العلم والدين والخرافة، لعماد مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

[(٢)] وهذا ما من جملة كلام نالينو في كتابه علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى،(صـ٢٧–٢٩).

المبحث الثانى

علاقة علم الفلك بالإسلام

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

يقول ديفيد كينغ[١]: "لقد أحدث الإسلام ثورة في علم الفلك من خلال ربطه بالحاجات الدينية اليومية؛ فعلم الميقات لم يكن مجرد ترف فكري، بل كان ضرورة لتحديد مواقيت الصلاة واتجاه مكة بدقة متناهية. إن المسلمين هم أول من استخدم حساب المثلثات الكروية لحل معضلات الفلك الموجهة نحو القبلة، مما جعل علم الفلك الإسلامي علماً "مقدساً" وعملياً في آن واحد، وهو ما لم يعرفه العلم اليوناني." [٢]

" لا يخفى على من اعتبر أمور الدين الإسلامي ولو قليلا ما وقع بين بعض أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات وبين بعض الظواهر الفلكية من الارتباط الواضح الجلي. إن لأوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد الى بلد ومن يوم إلى يوم فيقتضي حسابها معرفة عرض البلد

---

[١] ديفيد كينج (David A. King) هو مستشرق وعالم فلك أمريكي بارز متخصص في الفلك الإسلامي، خاصة أدواته وتطبيقاته، وله مؤلفات عديدة بالإنجليزية مثل (Astronomy in the Service of Islam)، وهو يُعرف بدراساته العميقة عن الأدوات الفلكية الإسلامية مثل الأسطرلاب والمزولة (الساعة الشمسية)، وكتاباته عن مواقيت الصلاة والقبلة، وله دور كبير في إحياء وتوثيق تراث الفلكيين المسلمين.انظر: تراث العرب العلمي في فكر الاستشراق المعاصر، لأحمد فؤاد باشا،(صـ ١٤٢ ومابعدها)، دار المعارف، القاهرة.

[٢] علم الفلك في التراث الإسلامي (القبل: الفلك في خدمة الإسلام)، لديفيد كينغ ،(صـ٤٥)، ترجمة: د. أحمد فؤاد باشا، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٣م.

الجغرافي وحركة الشمس في فلك البروج واحوال الشفق الأساسية..فبالجملة إن ارتباط بعض أحكام الشريعة بالمسائل الفلكية زاد المسلمين اهتماماً بمعرفة أمور السماء والكواكب وحمل أصحاب العلوم الدينية على مدح منفعة ما سماه الإمام الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين[١] و القسم الحسابي من علم النجوم".[٢]

٢-مضمون الشبهة:

- تدعي الشبهة أن الإسلام استعار أحكامًا من معارف فلكية سابقة.
- ارتباط الصلاة بالشمس والقمر يبين أن الدين متأثر بالوثنيات الفلكية.
- اهتمام المسلمين بالنجوم ليس علميًّا بل تشريعيًّا، مما يجعل الفلك أصلًا من أصول الشريعة.

٣-هدف الشبهة:

- التشكيك في الوحي وإظهار التشريع الإسلامي وكأنه مقتبس من حركات الأفلاك.
- التشويه العلمي عبر تصوير ارتباط العبادات بالأوقات كدليل على بدائية الدين.
- الطعن الحضاري في إنجازات المسلمين الفلكية بجعلها مجرد خادم للشعائر الدينية.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين الوسيلة والغاية، فالظواهر الكونية تحديد للأوقات وليست مصدرًا للتشريع.
- الخلط بين علم الفلك (علمي) والتنجيم (خرافي).
- اعتبار ما هو كوني مشترك بين البشر دليل نقص بينما هو من حِكم الشريعة. [٣]

---

[١] انظر: إحياء علوم الدين، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(١٠٩-١٨٨).

[٢] علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطي، لكارللو ألفونسو نالينو،(صـ٢٣١،٢٢٩).

[٣]انظر: بيان حكم اختلاف المطالع والحساب الفلكي، لسامي وديع عبد الفتاح القدومي،(صـ٤١ ومابعدها)، دار الواضح، عمان،٢٠١٩م.

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى مدرسة الأصل الفلكي للأديان لدى المستشرق فريزر و روبرتسن سميث.
- كتابات جولدزيهر (Ignaz Goldziher) حول تأثر العبادات الإسلامية بالطبيعة.
- كتاب هنري لامنس الذي بالغ في ربط الإسلام بعادات جاهلية فلكية.
- أطروحات مستشرقين معاصرين حول تاريخية الصلاة.[١]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:**
- عززت الربط بين الإسلام والوثنيات الفلكية.
- رُوّجت في كتب تاريخ الأديان المقارن.
- صِيغت نظريات تُظهر الشريعة كنتاج بيئة بدوية تراقب السماء.[٢]
- **في الوسط الإسلامي:**
- ظهرت ردود دفاعية من علماء الشريعة والفلك.
- نُشرت أبحاث نقدية حول الفرق بين الفلك و التنجيم.

---

[١] Frazer, James George. The Golden Bough: A Study in Magic and Religion. London: Macmillan, 1922, 227–230.

فريزر، جيمس جورج. الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين. لندن: ماكميلان، ١٩٢٢، ص ٢٢٧-٢٣٠.

Robertson Smith, William. The Religion of the Semites. London: Adam and Charles Black, 1907, 48–52.

روبرتسن سميث، وليم. ديانة الساميين. لندن: آدم وتشالرز بلاك، ١٩٠٧، ص ٤٨-٥٢.

[٢] Hawting, Gerald R. The Idea of Idolatry and the Emergence of Islam. Cambridge: Cambridge University Press, 1999, pp. 91–97.

هاوتنغ، جيرالد ر. فكرة الوثنية ونشأة الإسلام. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٩٩، ص ٩١-٩٧.

- تمت إعادة دراسة نصوص الغزالي والرازي وابن تيمية حول علم النجوم.[1]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- تحديد الأوقات لا يعني استلهام التشريع من الفلك، فارتباط العبادات بالزمان أمر عقلي ضروري، وليس دليلاً على التبعية لعلم الفلك.
- الظواهر الكونية مشتركة بين البشر، فكل الحضارات لاحظت الشمس والقمر لتنظيم:الزراعة،التجارة،الأعياد..فهل يعني ذلك أنّ كل هذه الأمم «مستعيرة» دينها من الفلك؟![2]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الفلك الإسلامي علم مستقل وليس جزءًا من العقيدة، فالمسلمون طوروا: الاسطرلاب، والجداول الفلكية، وحساب المثلثات، والمراصد الكبرى (مراغة – سمرقند)، فهذه إنجازات علمية، لا دينية.
- المسلمون فرّقوا بدقة بين علم الفلك(علم الحساب النجومي) والتنجيم(التنجيم الوثني)لذا نهى النبي **-صلى الله عليه وسلم-** عن التنجيم، قال **-صلى الله عليه وسلم-** :(مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ).[3]

---

[1] انظر: بيان حكم اختلاف المطالع والحساب الفلكي، لسامي وديع عبد الفتاح القدومي،(صـ٤١ ومابعدها).

[2] انظر: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، لعبد المجيد بن سالم المشعبي،(صـ٣٨ ومابعدها) ،أضواء السلف، الرياض،الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

[3] سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، لابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)،(٤/٦٧٠برقم٣٧٢٥)، أَبْوَابُ الْأَدَبِ، بَابُ تَعَلُّمِ النُّجُومِ،المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين المعاصرين يقرون بأن ربط العبادات بالكونية ليس دليلًا على تأثر الإسلام بعبادات وثنية، بل هو نظام زمني منطقي.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يشير أن جميع الأديان تربط عباداتها بالأفلاك:" فَيَكُونُ سَبْتِي لَكُمْ لِلرَّاحَةِ... مِنَ الْغُرُوبِ إِلَى الْغُرُوبِ" [٣]:"وَقَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورَانِ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِفَصْلِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَلِآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينَ" [٤] النص يُظهر أن الشمس والقمر والنجوم أدوات لتحديد الأوقات والعبادات والمواقيت، وليست مصدرًا للتشريع أو العقيدة بحد ذاتها.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

علم الفلك له علاقة قوية بالحضارة الإسلامية في مقاصدها الدينية والدنيوية، كحاجتهم إلى معرفة تحديد القبلة من أجل الصلاة وتحديد أوقات الصلوات الخمس، وحساب بداية الشهور، وتحديد أوقات الزراعة ومعرفة أحوال الطقس، وغيرها من الأمور الكثيرة، سواء الدينية المتعلقة بالفرائض والسنن الإسلامية، أم الأمور الدنيوية.

---

[١] انظر: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، لعبد المجيد بن سالم المشعبي،(صـ٣٨ ومابعدها).

[٢]

Gibb, H. A. R. Mohammedanism: An Historical Survey. Oxford: Oxford University Press, 1962, 42.

هاملتون ألكسندر روسكن جب. المحمدية: دراسة تاريخية. أكسفورد: جامعة أكسفورد، ١٩٦٢، ص ٤٢.

[٣] سفر الخروج، الإصحاح ٢٠ ، الآيه ٨-١١

[٤] سفر التكوين، الإصحاح ١٤ ، الآيه ١

وتظهر العلاقة بين علم الفلك والإسلام من خلال مايأتى :

أولاً: علم الفلك وسيلة لترسيخ الإيمان بالخالق: فعلم الفلك يمنح المؤمن الخاشع فرصة للتأمل والتبصر في آيات كثيرة من الذكر الحكيم، لها كل الصلة بعلم الفلك من النواحي الفيزيائية والرياضية التطبيقية، ومن هذه الآيات: قوله تعالى﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [(١)]، **يقول الإمام القرطبي–رحمه الله–**[(٢)] **في تفسير الآية:** " كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى" أي: في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة، حين تنفطر السماء وتنتثر الكواكب. وقيل: الأجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر إلى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها ".[(٣)] **قال الكلبي – رحمه الله–**[(٤)]: "يسيران إلى أقصى منازلهما، ثم يرجعان إلى أدنى منازلهما لا يجاوزانه ".[(٥)] وفي المعنى نفسه: قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [(٦)]

[(١)] سورة الزمر، الآية، ٥. سورة فاطر، الآية، ١٣. سورة الرعد، الآية، ٢.

[(٢)] سبق ترجمته، (صـ٢١٦).

[(٣)] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،(١٥/٢٣٥).

[(٤)] محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي (نحو ٥٥ هـ - ١٤٦ هـ / ٦٧٥م – ٧٦٣ م): نسابة، راوية، وعالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. من أهل الكوفة، مولده ووفاته فيها. وهو والد هشام بن محمد الكلبي المصنف العربي المشهور. صاحب كتاب تفسير الكلبي.

انظر: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري – أحمد عبد الرزاق عيد – محمود محمد خليل،(٣/٢٦٤برقم٢٣٢٩).

[(٥)] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،(١٥/٢٣٥).

[(٦)] سورة الزمر، الآية، ٥. سورة فاطر، الآية، ١٣. سورة الرعد، الآية، ٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ ﴾[١]، أَيْ: قَدَّرَ لَهُ أَوْ قَدَّرَ سَيْرُهُ فِي فَلَكِهِ فِي مَنَازِلَ يَنْزِلُ في كُلِّ لَيْلَةٍ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا لَا يُخْطِئُهُ وَلَا يَتَخَطَّاهُ، وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنْزِلًا مَعْرُوفَةٌ تُسَمِّيهَا الْعَرَبُ بِأَسْمَاءِ نُجُومِهَا الْمُحَاذِيَةِ لَهَا، وَهَذِهِ الْمَنَازِلُ هِيَ الَّتِي يُرَى فِيهَا الْقَمَرُ بِالْأَبْصَارِ، وَيَبْقَى مِنَ الشَّهْرِ لَيْلَةٌ إِنْ كَانَ ٢٩ وَلَيْلَتَانِ إِنْ كَانَ ٣٠ يَوْمًا يَحْتَجِبُ فِيهِمَا فَلَا يُرَى".[٢]

ثانياً: علم الفلك وسيلة لمعرفة الأحكام الشرعية: فهو وسيلة للمحافظة على مقاصد الإسلام، **يقول ابن عاشور–رحمه الله–**[٣]: "إن مقصد الشريعة من نظام الأمة: أن تكون قوية مرهوبة الجانب".[٤]وترجع علاقة علم الفلك بالأحكام الشرعية، إلى:

١–ارتباط الكثير من أحكام الإسلام بالظواهر الفلكية: والناظر في كثيرٍ من آيات القرآن الكريم يجدها تتحدث عن الأجرام السماوية وحركتها، كالشمس والقمر والنجوم، والأهلة، والفلك والمواقيت[٥]، وهذه الآيات لها بالغ الأثر في نفوس علماء الفلك المسلمين، فأقبلوا عليها دارسين وباحثين موجهين الأنظار إلى ما حوته من إعجاز علمي.

---

[١] سورة يس، الآية، ٣٩.

[٢] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)،(١١/٢٤٨)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

[٣] سبق ترجمته، (صـ٤٢٢).

[٤] مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، لمحمد الطاهر الميساوي،(صـ٤٠٥)، دار النفائس– الأردن، الطبعة: الثانية، ٢٠٠١م.

[٥] تطور علم الفلك في العصر العباسي الأول، تطور علم الفلك في العصر العباسي الأول، للزهرة راجى بوخاري،(صـ٤٣).

٢- ضبط الأزمنة من أجل معرفة أوقات الصلاة واختلافها بحسب الموقع الجغرافي الموسمي واتجاه المسلمين إلى الكعبة في صلواتهم، ورؤية هلال رمضان، وصلاة الكسوف والخسوف".[١]

٣-علم يري المخلوق عظمة الخالق ودقة صنعه، وكذلك يريه سعة هذا الكون ومقدار الحيز الزماني والمكاني الذي يشغله الإنسان في هذا الكون، وهو أحد مصاديق التفكر في خلق السموات والأرض[٢]، فعلم الفلك يحث على النظر في الكون والاستدلال به على وجود الخالق وصفاته، لأن النظر في الكون يقرر حقيقة أنه محتاج إلى خالق، وأن هذا الخالق يتصف بصفة الكمال والجمال بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ﴾[٣]، ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما – قال: "بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ – – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – – مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ: فَقَالَ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ﴾[٤]، ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ، وَاسْتَنَّ، فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ".[٥]

---

[١] علماء الحضارة العربية والإسلامية ومساهمتهم، لأحمد جبار،(صـ٥٤)، اكليك للنشر – الجزائر، الطبعة: الأولى، ٢٠١١م.

[٢] أساسيات علم الفلك، للدكتور: أنور آل محمد، (صـ٤)،

[٣] سورة الزخرف: الآية ٩

[٤] سورة آل عمران: الآية ١٩٠

[٥] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التفاسير، باب قَوْلِهِ : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} ، حديث رقم (٤٥٦٩) (١/٢٢٧٥)، والإمام مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (١٨٤٣)، (٢/١٨٢).

وفي هذا الزمان حيث تطورت العلوم الفلكية، يمكن القول بأن الحقائق العلمية عن الكون والتي جاءت بإشارات واضحة في القرآن الكريم، جعلت للبشرية معجزة متجددة وحجة قائمة على البشرية بصدق رسالة الإسلام، وهذا ما لم يكن متاحا للعصور المتقدمة بصورته الحاضرة في هذا الزمان، بل إن هناك من الأسرار التي يقر علماء الفلك بعجزهم عن الإجابة عنها، وتشير كلها إلى حتمية أن يكون

للكون خالق ومتصرف، إن هذه الأسئلة أصبحت تشكل ما يسمى بأزمة الفيزياء المعاصرة، بينما أطلق عليه البعض المحيرات الفلكية وهي قدر مشترك يجمع عليه علماء الفلك". [١]

٤- علم الفلك طريق لمعرفة عدد السنين والحساب التي تقوم عليها أمور الناس الشرعية والمدنية: فهو العلم الذي يختص بدراسة أكثر من (٩٩،٩٩٩٩٩٩) من هذا الكون، لأن حجم الأرض لا يمثل سوى واحد من (٢٥ (١٠) جزء من هذا الكون بحسب التقديرات الإحصائية الفلكية الحالية، ولو فرضنا أن حجم الأرض هو حجم نواة ذرة الهيدروجين، فإن حجم الكون المقدر هو أكبر من حجم الكرة الأرضية، لذلك تبرز أهمية دراسة علم الفلك بمقدار ما يختص بدراسته من هذا الكون". [٢]

٥-تنشئة شباب مسلم لا يعاني انفصامًا بين الفكر والواقع، قادرًا على التوفيق بين دينه واعتزازه به وعلمه وارتباطه به، وبين أساتذة الشريعة من جهة وأساتذة العلوم والطبيعة والكيمياء والجغرافيا من جهة أُخرى ". [٣]

ثالثًا: علم الفلك وسيلة لمعرفة جوانب الحياة: يفيد علم الفلك في كثير من جوانب الحياة، منها:

---

[١] المحيرات الفلكية، لعبد الرحيم الجعيري بدر،(صـ١١) مؤسسة الكويت للتقدم العلمي- الكويت، ١٩٨٤م.

[٢] أساسيات علم الفلك، للدكتور: أنور آل محمد، (صـ٤).

[٣] الأهلة نظرة شمولية ودراسات فلكية- www.dorar.net ١-١٢-٢٠١٣م.

١-الصناعة يدخل علم الفلك في العديد من مجالات الصناعة كالتقدم في التصوير والاتصالات، فعلى سبيل المثال قدم علم الفلك الراديوي ثروة غنية من الأجهزة، والأدوات المفيدة، وأساليب معالجة البيانات.

٢-الطاقة: لعلم الفلك أهميةً واضحة في مجال الطاقة، فمثلاً قد تستخدم الطرق الفلكية لإيجاد الوقود الأحفوري، أو تقييم إمكانية وجود مصادر جديدة للطاقة المتجددة، كما تستخدم التكنولوجيا المصممة لتصوير الأشعة السينية في تلسكوبات الأشعة السينية لمراقبة انصهار البلازما.

٣-التعاون الدولي: تعدّ الإنجازات التكنولوجية والعلمية إحدى المزايا التنافسية الكبيرة بين الدول، والتي تعطيها فخرًا بامتلاكها لأحدث التقنيات اللازمة لتحقيق اكتشافات علمية جديدة، ويعتبر علم الفلك مجالاً ملائما للتعاون الدولي بسبب الحاجة لاستخدام التلسكوبات حول العالم لرؤية السماء كاملة والتكلفة العالية لبناء المراصد الفلكية على الأرض، وفي الفضاء، مما يستدعي تشارك عدة دول في امتلاكها، ومن الأمثلة على أبرز هذه التشاركات المرصد الأوروبي الجنوبي (بالإنجليزية: European Southern Observatory) الموجود في تشيلي، والذي ضم (١٤) دولة أوروبية بالإضافة إلى البرازيل.

٤-الطب يفيد في العديد من القضايا الخاصة بالمجالات الطبية، فمثلاً يعد استخدام أجهزة الاستشعار الحرارية الصغيرة في تسخين وحدات حديثي الولادة، والتي طوّرت في الأصل للتحكم في درجة حرارة أداة التلسكوب من الأمثلة على التطبيقات المباشرة للأدوات الفلكية في الطب.

٥-دراسة المناخ: تستخدم الأقمار الصناعية لمراقبة أنماط الطقس اليومية، وأنماط العواصف والطقس القاسي كالرياح الموسمية، وحرائق الغابات، والجفاف، وغير ذلك من الأنماط المهددة للحياة.

٦-التقدم في وسائل السفر: أفادت محاولات الوصول إلى الفضاء في تقدم وسائل السفر، فعلى سبيل المثال استفاد مهندسو الطائرات من تعلم استكشافات الفضاء في منع الجليد المتكوّن على الطائرات في الارتفاعات العالية.

٧-الهواتف النقالة: أفاد في خلق التقنية الأسرع والأحدث والأفضل للهواتف الذكية، والتي لن تعمل بدون وجود الأقمار الصناعية التي تؤثر زيادتها حول الأرض على تقليل احتمالية عدم القدرة على استقبال الاتصالات الخلوية في أي نقطة من العالم.

٨-تحديد المواقع: استخدم في تحديد المواقع العالمية، فمثلاً تم تطوير نظام تحديد المواقع العالمية GPS، والذي يعتمد على الأقمار الصناعية.(١)

---

(1) Rosenberg, M, Baldon, G, Russo, P, & Christensen, L. L. (2014). Astronomy in everyday life. Communicating Astronomy to the Public Journal, 14, 30-36.

علم الفلك في الحياة اليومية، لروزنبرغ، م، وبالدون، ج، وروسو، ب، وكريستنسن، ل. ل،(١٤، ٣٠-٣٦)، مجلة توصيل علم الفلك للجمهور، (٢٠١٤).

الفصل الثاني

آراء المستشرقين السلبية حول قضايا علم الفلك

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علم الفلك عند العرب.

المبحث الثانى: حقيقة النسئ عند العرب.

المبحث الثالث: تأثر المسلمين بعلم الفلك الغربي.

المبحث الأول

علم الفلك عند العرب

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

" فإن اعترض أحد على هذا الاصطلاح وقال إن استعمال لفظ المسلمين أصح وأصلح من استعمال لفظ العرب قلت: إن هذا ايضا غير مصيب لسببين الأول ان لفظ المسلمين يُخرج النصارى والاسرائيليين والصابئة واصحاب ديانات اخرى الذين لهم نصيب غير يسير في العلوم والتصانيف العربية وخصوصاً فيما يتعلق بالرياضيات والهيئة والطب والفلسفة. والثاني أن لفظ المسلمين يستلزم البحث ايضاً عما صنفه أهل الاسلام بلغات غير العربية كالفارسية والتركية وهذا خارج عن موضوعنا، فالارجح ان نتفق فيما كثر استعماله عند الكتبة الحديثين ونتخذ لفظ العرب بالاصطلاح المذكور اي نسبًا الي لغة الكتب لا لغة الأمة. [١]

فبناء على ذلك كانت الابحاث عن سبب الحركات السماوية وعن طبيعة الأجرام الفلكية والآثار العلوية خارجة عن موضوع علم الهيئة على رأى العرب وداخلة في الحكمة الالهية والطبيعية. فمن أراد أن يعرف لماذا كانت العرب يقولون بعدم إمكان حركات غير المستديرة في السماء وما كان عندهم مبدأ الحركات السماوية وما طبيعة الافلاك والكواكب أو سبب كرويتها فعليه أن يراجع الكتب الحكمية والكلامية. [٢]

---

[١] علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطي، لكارللو ألفونسو نالينو،(صـ١٧-١٨).

[٢] المرجع السابق ،(صـ٣٥).

وإن تقابل الآن ما قلناه في أقسام علم الهيئة عند المحدثين بتعريفات العرب لهذا العلم وننظر الى ما بيننا وبينهم في هذا الشأن من ائتلاف واختلاف نجد بقطع النظر عن أحكام النجوم المرفوضة في أيامنا قطعياً ان الهيئة عند العرب قد اشتملت على علم الهيئة الكروي والعملي وقسم صغير من النظري يخص الكسوفات واستتارات الكواكب السيارة مع علم التواريخ الرياضي وعلم أطوال البلدان وعروضها على طريقة كتاب الجغرافيا لبطليوس. فقد خرج من علم الهيئة عند العرب علم الميكانيكا الفلكية وعلم طبيعة الأجرام السماوية وأكثر علم الهيئة النظري حيث إنه يبحث عن حقيقة حركات الكواكب".[١]

ولكن أتعجب حينما أجد نالينو يعترف بنفسه أن عرب الجاهليه فاقدين لآلة البحث والتطور في علم الفلك، وأنه لم تظهر هذه الآلة وهذا التطور إلا في الإسلام، فيقول:" إن منازل القمر عند العرب في زمان الجاهلية كانت تشتمل أيضا على بعض الكواكب الخارجة عن صور البروج الاثني عشر وأنها كانت غير متساوية في الطول. ولا غرو في عدم التساوي لأن عرب الجاهلية ما كانوا ذوي معرفة بالهندسة ولا بالآلات الرصدية فلم يمكنهم إثبات المنازل الا بشيء يعاين في السماء أعني بالنجوم.

وفي مؤلفات عديدة من عهد الاسلام تجدون ايضا نوعا ثانيا من منازل القمر يرجع الى قسمة فلك البروج اقساماً متساوية".[٢]

ويؤكد نالينو على أن التطور الحاصل في علم الفلك كان على يد أحد أبناء المسلمين، فيقول:"

وبما أن الأحكام النجومية لا تبنى إلا على معرفة الطالع وارتفاعات الكواكب عن الأفق في الوقت المفروض ومثل ذلك ولا يمكن إقامة الطالع وقياس الارتفاعات إلا بآلات رصدية أبسطها

---

[١] علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطي، لكارللو ألفونسو نالينو ،(ص٣٨).

[٢] المرجع السابق،(صـ١١٧).

الأسطرلاب[١] المسطح اعتنت العرب بعمله واستعماله في عهد المنصور. وقيل ان اول مسلم[٢] عمل اسطرلابا والف فيه كتابا ابو اسحاق ابراهيم بن حبيب بن سليمان الفزاري من فلكي المنصور".[٣]

٢-مضمون الشبهة:

- تدعي الشبهة أن العرب في الجاهلية لم يكونوا متطورين في علم الفلك.
- التقدم الحقيقي في علم الفلك ظهر فقط في عهد الإسلام.
- الاستطرلابات والفلكيات العملية كلها إبداع إسلامي، وليس للعرب الجاهليين معرفة بها.
- استخدام لفظ العرب بدل المسلمين قد يخفف من مساهمة المسلمين في هذا العلم، لكن نالينو يرى أن هذا اصطلاح دقيق لغويًا.

٣- هدف الشبهة:

- تقليل قيمة العرب الجاهليين في تطور الفلك.

---

(١) آلة تُستخدَم لقياس دوائر الكُرة وارتفاع الكواكب عن الأُفق ومعرفة حركتها وتعيين مواضعها."أَسْطُرلاب كُرَويّ".انظر:تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)،(١/١١٢)،حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

(٢) وهو أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري من ولد سمرة بن جندب وهو أول من عمل في الإسلام أسطرلابا وعمل مبطحا ومسطحا وله من الكتب كتاب القصيدة في علم النجوم كتاب المقياس للزوال كتاب الزيج على سني العرب كتاب العمل بالأسطرلاب وهو ذات الحلق كتاب العمل بالإسطرلاب المسطح.

انظر: الفهرست، لأبى الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم(المتوفى: ٤٣٨هـ)،(صـ٣٣٤)،المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧مـ

(٣) علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطي، لكارللو ألفونسو نالينو،(صـ١٤٧).

- نسب التقدم في علم الفلك بالكامل إلى المسلمين، وخلق تصور بأن العرب عديمو المعرفة قبل الإسلام.
- إظهار أن المعرفة الفلكية عند العرب الجاهليين كانت محدودة ومجردة من الآلات العلمية.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- إغفال إنجازات العرب قبل الإسلام في الرصد وحساب النجوم.
- المبالغة في نسب الفلك للمسلمين فقط، وإغفال الاستمرارية العلمية للثقافة العربية.
- مغالطة تاريخية بأن المعرفة الفلكية مرتبطة حصريًا بالدين الإسلامي. [١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين يشيرون أن العرب الجاهليون لم يكن لديهم نظام متكامل لربط العبادة بالظواهر الكونية، وأن التطور العلمي في الرصد وحساب النجوم بدأ في الحضارة الإسلامية.[٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:**
- عزز فكرة أن العرب الجاهليين كانوا بدائيين علميًا.
- صبغ الفلك الإسلامي بطابع ديني وتقني إسلامي بحت.[٣]

---

[١] انظر: بيان حكم اختلاف المطالع والحساب الفلكي، لسامي وديع عبد الفتاح القدومي،(صـ٣٨ ومابعدها).

[٢] Margoliouth, D. S. “The Origins of Arabic Scientific Literature.” Journal of the Royal Asiatic Society (1894): 417–449.

د. س. مارغوليوث. "أصول الأدب العلمي العربي." مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (١٨٩٤): ٤١٧-٤٤٩.

[٣] Saliba, George. Islamic Science and the Making of the European Renaissance. Cambridge, MA: MIT Press, 2007, p. 33.

جورج صليبا. العلم الإسلامي وصناعة النهضة الأوروبية. كامبردج، MA: مطبعة MIT، 2007، ص ٣٣.

- **في الوسط الإسلامي:**
- أثار ردود دفاعية حول مساهمة العرب قبل الإسلام في العلوم.
- دفع إلى إعادة دراسة النصوص الفلكية العربية قبل الإسلام، وإبراز الإبداع العلمي المستمر.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- من المنطقي أن تكون المعرفة العلمية متدرجة ومتراكمة، فلا يمكن تجاهل مساهمة العرب الجاهليين.
- افتراض عدم معرفة العرب بالآلات الرصدية خطأ تاريخي، إذ هناك أدلة على رصد النجوم وحساب الفلك بشكل بدائي.
- نسبة كل الإنجازات إلى الدين الإسلامي وحده مغالطة بسبب الخلط بين الدين والعلوم التطبيقية.[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الأسطرلابات وبعض الجداول الفلكية ظهرت لدى العرب قبل الإسلام، وإن تطورت لاحقًا.
- دراسة حركة الكواكب، حتى لو كانت بدائية.
- التحسن في أدوات الرصد (مثل الأسطرلاب) ظهر تدريجيًا، وليس فجأة في الإسلام.[١]

---

[١] انظر: القول في علم النجوم للخطيب، لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ،(صـ١٢٦ ومابعدها)،درسه وحققه: الدكتور يوسف بن محمد السعيد، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.وبيان حكم اختلاف المطالع والحساب الفلكي، لسامي وديع عبد الفتاح القدومي،(صـ٣٨ ومابعدها).

[٢] انظر: القول في علم النجوم للخطي، لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،(صـ١٦٦).

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين من الباحثين يقرون بأن العرب الجاهليين كانوا محدودي المعرفة الهندسية والرصدية، لكنهم امتلكوا أساسًا فلكيًا بدائيًا، وأن التطور الفلكي الإسلامي بُني على هذا الأساس.[٢]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يشير الأجسام السماوية وسيلة لتحديد الأوقات والعبادات، وليس لتحديد المعرفة العلمية أو نسبتها لدين معين، وهذا يوضح أن استخدام الفلك كأداة ليس مقتصرًا على ثقافة معينة:" فَيَكُونُ سَبْتِي لَكُمْ لِلرَّاحَةِ... مِنَ الْغُرُوبِ إِلَى الْغُرُوبِ" [٣]:" وَقَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورَانِ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِفَصْلِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَلِآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينَ" [٤] النص يُظهر أن الشمس والقمر والنجوم أدوات لتحديد الأوقات والعبادات والمواقيت، وليست مصدرًا للتشريع أو العقيدة بحد ذاتها.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ينبغي أن يعلم نالينو أن علم الفلك لم يتقدم إلا من خلال اهتمام المسلمين به، فالإسلام هو من أوصل إليك هذا العلم الوفير، ولولا الحضارة الإسلامية لما استطاع العرب بمعرفتهم السطحية التقدم خطوة واحدة تجاه هذا الفن، ويمكن متابعة الرد من خلال النقاط الآتية:

---

[١] انظر: القول في علم النجوم للخطي، لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،(صـ١٦٦).

[٢]

Nallino, Carlo Alfonso. Scritti Scelti. Vol. 1. Rome: Istituto per l'Oriente, 1948, pp. 212–214.

نالينو، كارلو ألفونسو. الكتابات المختارة، المجلد ١. روما: معهد الشرق، ١٩٤٨، الصفحات ٢١٢–٢١٤.

[٣] سفر الخروج، الإصحاح ٢٠ ، الآيه ٨–١١

[٤] سفر التكوين، الإصحاح ١٤ ، الآيه ١

أولاً: كانت النجومُ خير دليل للأعراب المتنقِّلين في الصحارى، فعن طريقِها عرَفوا حساب السنين، وإدراكَ الأزمنة، يقول تعالى﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [(١)]، ويقول سبحانه﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [(٢)]، وماهذا إلا جزء من علم الفلك، فلا مدرسةٌ، ولا مرصدٌ، تؤهِّلهم للتقدم والتطور إلا بعد الإسلام.

ثانياً: **فماتطور علم الفلك عند العرب إلا عند مجئ الإسلام، فالحضارة الإسلامية هى من صدرت علم الفلك للعالم أجمع:** ذلك لأن بعضَ العبادات التي جاء بها الإسلامُ تحتاج إلى أدق تفاصيل علم الفلك، خاصة بعد كثرة الفتوحات، وما تقتضية أوقات الصلواتُ الخمس، الخسوف والكسوف، ومعرفة إتجاه القِبْلة، وما يتطلَّبه شهر الصَّوم، وتحرٍ للهلال، يقول تعالى﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾.[(٣)]،[(٤)]

[(١)] سورة الأنعام، الآية، ٩٧ – ٩٩

[(٢)] سورة النحل، الآية، ١٦

[(٣)] سورة البقرة، الآية، ١٨٩

[(٤)] انظر: دور علماء المسلمين في تطوير المعايير الفلكية لدورتى الشمس والقمر، للدكتور: نزار محمود قاسم الشيخ، (صـ ١٢–١٣)، المؤتر الدولي الثانى في تاريخ العلوم عند العرب والمسلم، جامعة الشارقة–الإمارات،٢٠١٤ م

ثالثاً: المؤلفات المترجمة من العربية إلى لغات العالم أكبر شاهد على تقدم الحضارة الإسلامية في علم الفلك:[١] فقد قام مجموعة من المترجمين الأوروبيين بنقل كتب علم الفلك العربية إلى اللغة اللاتينية، ومثال على ذلك، ترجمة زيج (الجداول) البتاني (توفي عام ٣١٧ هـ) إلى الإسبانية بناء على رغبة الملك ألفونسو العاشر ملك قشتالة (١٢٥٢ – ١٢٨٤ م) وسمي هذا الزيج (بالجداول الألفنسية) الذي شاع استعماله في أوروبا لعدة قرون".[٢]

أما الألواح الفلكية للخوارزمي، فقد ترجمها إلى اللاتينية أدلارد الباثي عام ١١٢٦ م، ومؤلفات أبي معشر البلخي (توفي عام ٨٨٦ هـ) نقلها إلى اللاتينية (خوان الإشبيلي)، ومن خلالها نقل إلى الأوروبيين تفسيراً لظاهرة المد والجزر وارتباطها بالقمر".[٣]

ونتيجة اهتمامات العرب الفلكية عرفوا موقع النجم الثابت في الجنوب (سهيل) ويسمى أيضاً غيوم ماجلان، حيث استعان به ماجلان أثناء رحلته حول العالم (١٥١٩ – ١٥٢٢). ومن علماء العرب في الفلك الذين ذكروا هذا النجم عبد الرحمن الصوفي (توفي عام ٣٧٦ هـ) في كتابه الكواكب الثابتة، وبهذا قدموا خدمة كبيرة لأوروبا في مجال الاستكشافات الجغرافية.[٤] وإذا كان وصول العرب إلى القارة الأمريكية قبل كولمبس أمراً غير مقطوع به، فمن المحقق أنهم وصلوا في المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) إلى أمد بعيد وانتهوا إلى بعض جزائره. أما الأمر الذي لا شك فيه أن

---

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د خليل إبراهيم السامرائي – د عبد الواحد ذنون طه – د ناطق صالح مصلوب،(صـ٤٨٥-٤٨٦)، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠ م

(٢) حضارة الاسلام واثرها في التقي العالمي، لجلال مظهر، (صـ٥٣٠)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٩٠٥م.ة العرب وأوروبا، للويس يونغ،(صـ١٢٦)، ترجمة ميشيل أزرق، دار الطليعة للنشر والتوزيع–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م.

(٣) دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، لعبدالرحمن بدوى،(صـ١٩)، دار الآداب–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م.

(٤) دراسات في تاريخ الفكر العربي، لخليل إبراهيم السامرائي، (صـ٥٤٠٣)، جامعة الموصل–العراق، ١٩٨٣م.

الفكرة التي نهضت بكولمبس مكتشف القارة الأمريكية (١٤٩٢ - ١٤٩٣ م) إنما هي فكرة عملية مستمدة من المؤلفات العربية وبخاصة كتب الجغرافية والفلك. فلولا اقتناع كولمبس باستدارة الأرض لما خطر له أن يصل إلى الهند من طريق الغرب، ولم تكن في أوروبا يومئذ مؤلفات تشرح هذه الفكرة غير المؤلفات العربية".[١]

[١] تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي، لعبد المنعم ماجد،(صـ ٢٨٨)، مكتبة الأنجلو المصرية- مصر، الطبعة: الأولى،٢٠١٠.

المبحث الثانى

حقيقة النسئ عند العرب

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

" أما معارف عرب نجد والحجاز بالسماء والنجوم فيمكننا استعلام أكثرها لأنها مذكورة في اشعارهم وفي الاخبار المتعلقة بتلك الاشعار وفي غير ذلك من الموارد والشارب التي يطول شرحها في هذا المقام، قلت أكثرها لأنه مع قلة علومهم وكثرة اشعارهم وحكاياتهم ما حصلنا ايضاح بعض المسائل وحل جميع المشكلات والمعضلات. فمثال ما نحن فيه متردّدون أننا لم نزل غائمين في لحج الشك والاشتباه في طريقة حساب السنين التي كانت أهل مكة معتمدين عليها في أواخر الجاهلية وأوائل الإسلام حتى لا نتيمن معنى لفظ النسيء الوارد في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٧﴾ [1]،واختلف مفسري القرن الأول والثاني في ذلك[2]".[3]

وتابع نالينو اختلاف آراء المستشرقين فى حقيقة النسئ عند العرب، فيقول:" إن جملة من المستشرقين قد أمنعوا النظر في البحث الدقيق عن أنواع حساب السنين عند عرب الجاهلية وخصوصاً عن تقويم أهل مكة فاختلفت آراؤهم ولم تتفق بعد".[4]

ويختم نالينو حديثه في معرفة حقيقة النسئ عند العرب بعد ذكره الكثير من آراء المؤرخين والمستشرقين حول هذا الأمر فيقول:" فاتضح مما تقدم أنَّ معرفة حقيقة النسئ قد اندرست تماماً نحو منتصف القرن الأول للهجرة كما اندرست معرفة غيره من آثار الجاهلية".[5]

٢-مضمون الشبهة:

- تدعى الشبهة أن العرب الجاهليين لم تكن لديهم منظومة فلكية واضحة، وأنهم كانوا متخبطين في حساب السنوات والأنواء، وأن مفهوم النسيء مجهول حتى بالنسبة للمفسرين الأوائل، مما يدل على بدائية في علومهم الفلكية.

٣-هدف الشبهة:

- تهدف الشبهة إلى نزع أي أساس علمي حضاري سابق للإسلام لدى العرب.
- إظهار الإسلام كأنه بدأ من فراغ علمي كامل ولم يرث شيئًا من العرب أنفسهم.

---

[1] سورة التوبة، الآية، ٣٦ – ٣٧

[2] جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،(صـ٢٤٣-٢٥١).

[3] علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطي، لكاراللو ألفونسو نالينو،(ص٨٤).

[4] المرجع السابق،(ص٩٤).

[5] المرجع السابق،(ص١٠٤).

- خفض قيمة الموروث الفلكي العربي لصالح رؤية استشراقية تزعم أن النشاط العلمي بدأ فقط بعد احتكاك المسلمين بالأمم الأخرى.
- التشكيك في موضوعية النص القرآني حول النسيء بزعم غموضه.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- الخلط بين ضياع المعلومات وبين عدم وجودها أصلاً، فعدم وصول المعلومات إلينا لا يعني أنها لم تكن موجودة.
- الاعتماد على القياس الخاطئ إذ أن العرب لم يخلفوا نصوصًا منهجية، إذن لم تكن لديهم علوم.
- التناقض الداخلي في طرح نالينو الذي يعترف بوجود منظومات أنواء وتقويم، ثم يصفها بأنها مجهولة.
- إغفال المصادر الشعرية واللغوية التي نقلت أنظمة الأنواء بدقة.
- إهمال سياق الحضارة الشفوية للعرب مقابل الحضارات الكتابية.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين درسوا التقويم الجاهلي من زاوية لغوية لا فلكية، غير أن ضعف الوثائق المكتوبة من العصر الجاهلي أسهم في تضخيم الشبهة.[٢]

---

[١] انظر: الأنواء في مواسم العرب، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)،(صـ١٠٣ ومابعدها).

[٢] Torrey, C. C. “The Jewish Foundation of Islam.” Harvard Theological Review 13, no. 3 (1920): 169–194

توري، سي. سي. "الأساس اليهودي للإسلام". مجلة هارفارد اللاهوتية ١٣، العدد ٣ (١٩٢٠): ١٩٤-١٦٩.

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:**
- استُخدمت الشبهة لتعزيز رؤية عرب بدائيين علميًا.
- دعمت أطروحة أن الفلك الإسلامي نتاج تأثيرات يونانية هندية فقط دون جذور عربية.
- أصبحت مرجعًا لبعض الدراسات التي تنفي وجود أي منهج فلكي عربي قبل الإسلام.[١]
- **في الوسط الإسلامي:**
- أثارت ردودًا دفاعية لإبراز المعرفة الفلكية للعرب قبل الإسلام.
- دفعت الباحثين المعاصرين إلى إعادة قراءة الشعر الجاهلي.
- نتج عنها زيادة الاهتمام بحقيقة النسيء وتوثيق نظام التقويم العربي.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الحضارة الشفوية تحتفظ بعلومها عبر الممارسة اليومية، لا عبر النصوص المكتوبة، وضياع النصوص لا يعني ضياع العلم.

---

[١] Margoliouth, D. S. “The Early Development of Arabic Scientific Literature.” Journal of the Royal Asiatic Society (1894): 417–449.

د. س. مارغوليوث. "التطور المبكر للأدب العلمي العربي." مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (١٨٩٤): ٤١٧-٤٤٩.

[٢] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،(٢٣٧/١٤)،المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.و الأنواء في مواسم العرب، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)،(صـ١٠٣ ومابعدها).

- العرب مارسوا التجارة، الملاحة، الرعي، الأسفار، وهذه كلها تعتمد على معرفة دقيقة بالنجوم.
- القرآن نفسه خاطب العرب بأسماء منازل القمر التي يعرفونها (البروج، الأنواء، الشِعْرى...).
- اختلاف المستشرقين ليس دليلًا على جهل العرب، بل هو دليل على قصور البحث الغربي واعتماده على النصوص دون الرواية.[1]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- آثار الأنباط والسبئيين والحميريين تُظهر تقويمات شمسية وقمرية متطورة.
- اكتشافات المواقع الفلكية الصحراوية مثل رُجيم الحلال والعُلا تثبت وجود رصد فلكي.
- العرب استخدموا الأسطرلاب البدائي قبل الإسلام، والدراسات الغربية نفسها أثبتت ذلك.
- اشتغال العرب بعلوم الملاحة البحرية في الخليج واليمن يدل على حسابات دقيقة للنجوم.[2]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين من الباحثين يقرون بأن الفلك الإسلامي لم يظهر فجأة، بل كان امتدادًا معرفيًا للعرب، والإسلام نظمه وطوره.[3]

---

[1] انظر: فرج المهوم في تاريخ علماء النجوم، لابن طاوس،(صـ٢٨ ومابعدها)، ،منشورات الرضي=موقع الوراق،١٩٤٩م.

[2] المرجع السابق،(صـ٢٨ ومابعدها)

[3] Saliba, George. Islamic Science and the Making of the European Renaissance. .Cambridge, MA: MIT Press, 2007, 33

جورج صليبا. العلم الإسلامي وصناعة النهضة الأوروبية. كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة معهد ماساتشوستس للتقنية، ٢٠٠٧، ص. ٣٣.

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يقرّ بأن أهل الشرق (وهم العرب) كانوا أصحاب معرفة بالنجوم:" وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ حِكْمَةً عَظِيمَةً وَفَهْمًا وَعَقْلًا كَثِيرًا، كَمَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ فِي كُلِّ الْأَرْضِ" [1] النص يُشير إلى بني المشرق كأشخاص أصحاب حكمة ومعرفة، بما فيها الرصد الفلكي، وهذا يدحض الادعاء بأن العرب كانوا بدائيين علميًا قبل الإسلام.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ذكر نالينو آراء الكثير من المؤرخين والمستشرقين حول حقيقة النسئ[2] عند العرب في الجاهلية، وأنه استمر حتى مجئ الإسلام وأعاد الأشهر الحرم (رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، والمحرم) التى حرم فيها القتال إلى موضعها. ويتبلور الرد من خلال ما يأتى:

أولاً: حقيقة النسئ عند العرب : هى أنهم كانوا يبدلون بعض الأشهر الحرم بغيرها من الأشهر، فيحرمونها بدلها، ويحلون ما أرادوا تحليله من الأشهر الحرم إذا احتاجوا إلى ذلك، ولكن لا يزيدون في عدد الأشهر الهلالية شيئا ، فكانوا يحلون المحرم ، فيستحلون القتال فيه، لطول مدة التحريم عليهم بتوالي ثلاثة أشهر محرمة (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم)، ثم يحرمون صفر مكانه،

---

[1] سفر الملوك الأول، الإصحاح ٤ ، الآيه ٣٠

[2] النسيء في اللغة: و"النسيء" مصدر من قول القائل: "نسأت في أيامك، ونسأ الله في أجلك"، أي: زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك، حتى تبقى فيها حيًّا. وقد يحتمل أن: "النسيء"، "فعيل" صرف إليه من "مفعول"، كما قيل: "لعينٌ" و"قتيل"، بمعنى: ملعون ومقتول.انظر: تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)،(١٣/٥٧).

النسيء في الاصطلاح: إنما الشهر المؤخَّر زيادة في الكفر. وكأنّ القول الأوّل أشبه بمعنى الكلام، وهو أن يكون معناه: إنما التأخير الذي يؤخِّره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة، وتصييرهم الحرام منهن حلالا والحلال منهن حرامًا، زيادة في كفرهم وجحودهم أحكامَ الله وآياته.انظر: غريب الحديث، لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروي،(١/١٤٠).

فكأنهم يقترضونه ثم يوفونه. وهذه أصح الصور وأشهرها وأكثرها موافقة لمعنى الآية كما نص على ذلك جماعة من السلف، وهو اختيار ابن كثير وغيره من المحققين، وذلك لموافقتها لقوله تعالى : (يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا) ولقوله : (لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ الله)".[١]

ثانياً: نوع النسيء الذي كان موجوداً في جزيرة العرب وأدركه الإسلام وحرمه ونهى عنه: فقد قال ابن هشام رحمه الله[٢]: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَسَأَ الشُّهُورَ عَلَى الْعَرَبِ، فَأَحَلَّتْ مِنْهَا مَا أُحِلَّ، وَحَرَّمَتْ مِنْهَا مَا حَرَّمَ القَلمس[٣]، وَهُوَ حُذَيفة بْنُ عَبْدِ بْنِ فُقَيْمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَامِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيمة، ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ عَلَى ذَلِكَ ابْنُهُ عَبَّادُ بْنُ حُذَيْفَةَ، ثُمَّ قَامَ بَعْدَ عَبَّادٍ: قَلَع بْنُ عبَّاد، ثُمَّ قَامَ بَعْدَ قَلَع: أُمَيَّةُ بْنُ قَلَعٍ، ثُمَّ قَامَ بَعْدَ أُمَيَّةَ: عَوف بْنُ أُمَيَّةَ، ثُمَّ قَامَ بَعْدَ عَوْف: أَبُو ثُمامة، جُنَادة بْنُ. عَوْف، وَكَانَ آخِرَهُمْ، وَعَلَيْهِ قَامَ الْإِسْلَامُ[٤]، وَكَانَتْ الْعَرَبُ إذَا فَرَغَتْ مِنْ حَجِّهَا اجْتَمَعَتْ إلَيْهِ، فَحَرَّمَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ الْأَرْبَعَةَ: رَجَبًا، وَذَا الْقَعْدَةِ، وَذَا الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمَ. فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُحِلَّ شَيْئًا أحلَّ الْمُحَرَّمَ فَأَحَلُّوهُ وَحَرَّمَ مَكَانَهُ صَفَرَفحرَّموه، لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ

---

(١) انظر: العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (٤٩٤/٥)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ.

(٢) ابن هشام (٠٠٠ - ٢١٣ هـ = ٠٠٠ - ٨٢٨ م) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. من أشهر كتبه «السيرة النبوية – ط» المعروف بسيرة ابن هشام.

انظر: طبقات النسابين، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، (صـ٥١).

(٣) وسمي القلمس لجوده، إذ إنه من أسماء البحر .نقلاً من السيرة النبوية لابن هشام،(٣٨/١).

(٤) وجد السهيلي خبرًا عن إسلام أبي ثمامة فقد حضر الحج في زمن عمر، فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى: أيها الناس، إني قد أجرته منكم فخفقه عمر بالدرة وقال: ويحك، إن الله أبطل أمر الجاهلية. نقلاً من السيرة النبوية لابن هشام، (٣٨/١).

الحُرُم. فَإِذَا أَرَادُوا الصَّدَرَ[١] قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إنِّي قَدْ أَحْلَلْتُ لَكَ أَحَدَ الصَّفرَيْن، الصَّفَرَ الْأَوَّلَ، وَنَسَّأَتْ الآخرَ لِلْعَامِ الْمُقْبِلِ[٢]" فَقَالَ فِي ذَلِكَ عُمَيْر بْنُ قَيْس، جِذْل الطّعان[٣]، أحدُ بَنِي فراس بن غَنْم بن ثعلبة بن بالك بْنِ كِنَانَةَ، يَفْخَرُ بالنَّسأة عَلَى الْعَرَبِ:

لَقَدْ علمتْ مَعَد أَنَّ قَوْمِي ... كرامُ الناسِ أَنَّ لَهُمْ كِرَامَا [٤]

فَأَيُّ الناسِ فَاتُونَا بوِتْر ... وَأَيُّ الناسِ لَمْ نُعْلِكْ لِجَامَا [٥]

ألسْنَا النَّاسئين عَلَى مَعد ... شهورَ الحِلِّ نجعلها حَرامًا؟".[٦]

---

[١] الصدر هنا: الرجوع من الحج. نقلاً من السيرة النبوية لابن هشام،(١/٣٩).

[٢] وأما نَسْؤُهُم فكان على ضربين، أحدهما: ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات. والثاني: تأخيرهم الحج عن وقته تحريًا منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يومًا أو أكثر قليلا، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع: "إن الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السمواتِ والأرض" وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته، ولم يحج رسولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته، ولطوافهم بالبيت عراة –والله أعلم– إذ كانت مكة بحكمهم، حتى فتحها الله على نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . انظر: السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)،(١/٣٩).

[٣] وكان عُمير من أطول الناس، وسمي جذل الطعان لثباته في الحرب كأنه جذل شجرة واقف، وقيل: لأنه كان يُستَشفَى برأيه، ويُسْتَرَاح إليه، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل "وهو عود ينصب للبُهم الجرباء لتحتك به". انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (١/ ٣٩).

[٤] أي: آباءً كرامًا وأخلاقًا كرامًا. نقلاً من السيرة النبوية لابن هشام، (١/٣٩).

[٥] أي: لم نقدعهم ونكفهم، كما يقدع الفرس باللجام. تقول: أعلكت الفرس لجامه: إذا رددته عن تنزعه، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه، فهو مقدوع. انظر: السيرة النبوية لابن هشام،(١/٣٩).

[٦] المرجع السابق،(١/٣٨-٣٩).

ثالثاً: بطلان النسئ في حجة الوداع: وقد استمرت طريقة النسيء هذه إلى أيام الإسلام، فحج أبو بكر في السنة التاسعة من الهجرة، فوافق حجه ذا القعدة، ثم حج رسول الله في العام القابل الموافق للسنة العاشرة للهجرة، المصادفة لسنة "٦٣١" للميلاد، فوافق عود الحج في ذي الحجة. ثم نزل الحكم بإبطال النسيء في الآيات، قال تعالى﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [١]، وخطب الرسول في جموع الحجاج خطبته الشهيرة التي بين فيها مناسك الحج وسننه وأمورا أخرى أوضحها لهم، فكان مما قاله لهم: {﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ}[٢]، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض،{إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا}[٣]، فألغى الإسلام منذ ذلك الحين النسيء، وثبت شهور السنة وجعل التقويم القمري هو التقويم الرسمي للمسلمين". [٤]

وروي كلام الرسول– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عنه على هذه الصورة: "أيها الناس، {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ}. وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض. وإن عدة الشهور عند

---

[١] سورة التوبة، الآية، ٣٦ – ٣٧

[٢] سورة التوبة، الآية، ٣٧

[٣] سورة التوبة، الآية، ٣٦

[٤] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)،(١٦–١٣٧–١٣٨).

الله اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم. ثلاثة متوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان"[١].

قال الإمام ابن حجر رحمه الله[٢]: ووقع في حديث ابن عمر عند ابن مردويه أن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض.[٣]

وقال الإمام النووي رحمه الله[٤]:"إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَقَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَمَسَّكُونَ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي تَحْرِيمِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَكَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ تَأْخِيرُ الْقِتَالِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ مُتَوَالِيَاتٍ فَكَانُوا إِذَا احْتَاجُوا إِلَى قِتَالٍ أَخَّرُوا تَحْرِيمَ الْمُحَرَّمِ إِلَى الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَهُ وَهُوَ صَفَرٌ ثُمَّ يُؤَخِّرُونَهُ فِي السَّنَةِ الْأُخْرَى إِلَى شَهْرٍ آخَرَ وَهَكَذَا يَفْعَلُونَ فِي سَنَةٍ بَعْدَ سَنَةٍ حَتَّى اخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ وَصَادَفَتْ حَجَّةُ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تَحْرِيمَهُمْ وَقَدْ تَطَابَقَ الشَّرْعُ وَكَانُوا فِي تِلْكَ السَّنَةِ قَدْ حَرَّمُوا ذَا الْحِجَّةِ لِمُوَافَقَةِ الْحِسَابِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَأَخْبَرَ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّ الِاسْتِدَارَةَ صَادَفَتْ مَا حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ كَانُوا يَنْسَئُونَ أَيْ يُؤَخِّرُونَ وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكفر فَرُبَّمَا احْتَاجُوا إِلَى الْحَرْبِ فِي الْمُحَرَّمِ فَيُؤَخِّرُونَ تَحْرِيمَهُ إِلَى صَفَرٍ ثُمَّ يُؤَخِّرُونَ صَفَرَ فِي سَنَةٍ أُخْرَى فَصَادَفَ تِلْكَ السَّنَةَ رُجُوعَ الْمُحَرَّمِ إِلَى مَوْضِعِهِ".[٥] فألغى الإسلام منذ ذلك الحين النسيء، وجعل التقويم القمري الخاص هو التقويم الرسمي للمسلمين.

ويظهر من القرآن الكريم أن سبب تحريم النسيء في الإسلام هو تلاعب القلامسة بالشهور، بتحريمهم شهرًا حلالًا في عام، ثم تحليلهم له في العام القابل. فأزال الإسلام ذلك التلاعب بتحريم النسيء، واتخاذ السنة سنة قمرية ذات اثني عشر شهرًا لا غير. كما صيرها الجاهليون ثلاثة عشر أو أربعة عشر شهرًا. ولما كان الزرع يعتمد على المواسم الطبيعية، وعلى الشهور الشمسية، لذلك

---

[١] صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ،بَابُ قَوْلِهِ: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ،(٦/٦٦برقم٤٦٦٢).

[٢] سبق ترجمته، (صـ ١٣٦).

[٣] فتح الباري، لابن حجر،(٨/٣٢٤).

[٤]سبق ترجمته، (صـ٧٤).

[٥] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، (١١/١٦٨).

صار اعتماد المزارعين في الزرع وفي الحصاد على الشهور الشمسية، أي على السنة الشمسية. أما الأمور الدينية، مثل الحج والصيام، فالاعتماد بالطبع على الشهور القمرية. واتخاذ التقويم القمري تقويمًا رسميًّا للإسلام، هو من السمات التي امتاز بها الإسلام عن الجاهلية، واعتبر من النقاط الفاصلة التي فصلت بين الجاهلية والإسلام. وهكذا زال الكبس كما زال النسيء عن السنة القمرية وعن الشهور لتحويلها إلى سنة شمسية على نحو ما رأينا من فعل الجاهليين". [١]

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي،(١٦-١٣٨).

المبحث الثالث

تأثر المسلمين بعلم الفلك الغربي

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

يقول جورج سارتون[١]"لقد كان من حسن حظ العلم أن المسلمين لم يرفضوا التراث العلمي الغربي الذي وجدوه في البلاد المفتوحة، بل انكبوا على ترجمة 'أصول إقليدس' و'مجسطي بطليموس'. إن هذا التأثر بالمنهج اليوناني الغربي في الفلك والرياضيات هو الذي وضع القواعد التي سار عليها الخوارزمي والبتاني والبيروني في أبحاثهم اللاحقة." [٢]

---

[١] جورج سارتون George Sarton (1884م – ١٩٥٦م) مستشرق وعالم بلجيكي–أمريكي، عمل أستاذاً في جامعة "هارفارد". المجلات العلمية: أسس مجلة (Isis) عام ١٩١٢م، وهي أول مجلة متخصصة في تاريخ العلم، قضى سارتون عشرات السنين في تأليف عمله الضخم (Introduction to the History of Science)، الذي يقع في عدة مجلدات، وقد قسّم فيه تاريخ العلم إلى عصور سماها بأسماء العباقرة (مثل: عصر الخوارزمي، عصر البيروني، عصر عمر الخيام)، مؤكداً أن لواء العلم ظل بيد المسلمين لمدة ٣٥٠ عاماً على الأقل. إنصاف العرب: كان يرى أن اللغة العربية كانت لغة العلم الأولى في العالم لقرون، وأنه لا توجد ثقافة عالمية يمكنها تجاهل المنجز العربي الإسلامي.انظر: موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي،(صـ٣٣١ ومابعدها).

[٢] مقدمة في تاريخ العلم، لجورج سارتون،(صـ٥١١)، ترجمة: د. جلال موسى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٧م.

:"إن المسلمين في العصر العباسي، وبتوجيه مباشر من المنصور والمأمون، انكبوا على استيعاب علوم الفلك الغربية التي كانت مخزونة في الكتب اليونانية والبيزنطية. لقد بدأت الرحلة بترجمة كتاب (المجسطي) لبطليموس، وهو الكتاب الذي صار حجر الزاوية في الفلك الإسلامي. لولا هذا التأثر الأولي بالنماذج الهندوسية في الشرق واليونانية في الغرب، لما استطاع الفلكيون العرب بناء مراصدهم وتطوير حساباتهم التي فاقت في دقتها لاحقاً أصولها اليونانية." [١]

" كلكم تعلمون أن الفرس أدركوا من مدارج التقدم في المعارف منزلة عالية جديرة بالذكر في أيام كسرى انوشروان (من سنة ٥٣١-٥٧٨ م) أعظم ملوك بني ساسان سار ذكره بالقوافل والركبان. فزها عندهم ما توارثوه عن أسلافهم وأهل بابل واليونان من العلوم العقلية أو نقلوه عن الأمم المجاورين لهم من الروم والسريان والهند. وفي مدينة جند يسابور[٢] من أعمال خوزستان أنشأ ذلك الملك الكبير الخطير المدارس العليا لا سيما لتعليم الطب ذاع صيتها في كل النواحي والآفاق وأحضر لها أشهر الأساتذة من السريان وغيرهم. ثم أمر بنقل كتب علمية من اللغات السريانية واليونانية والسنسكرتية الى التهلوية التي كانت في ذلك العصر لغة الفرس. فلما جبل لهم من الذكاء والتعقل والميل الى أسباب التمدن اجادت الفرس في تلقي العلوم الدخيلة وظلوا كثيري العناية بها مبرزين فيها إلى أن غزاهم العرب غزوا رهيبا وهزموا جنودهم هزما مهيبا فانقرضت دولة الاكاسرة الكبار وفاض الإسلام على ما كان لهم من المدن والديار فاندرس شيئا فشيئا استعمال لفتهم البهلوية واخذت تبرق في أقاليهم أنوار العربية. – وبعد ما فتحت العرب ممالكهم وكثر الاحتكاك والمخالطة بين الأمتين أصبحت العجم بين العرب في ديار الخلافة الشرقية مثل

---

[١] مقدمة في تاريخ العلم، لجورج سارتون،(صـ٥١٨).

[٢] مدينة بالأهواز بناها سابور بن أردشير في القرن السادس للميلاد فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وبعض علمائهم وطائفة من جنده. كانت في عهد الساسانيين عاصمة الأهواز (خوزستان) وكانت مركزا للثقافة الإغريقية والفارسية كما ظلت على نشاطها الثقافي في القرون الإسلامية الأولى.

انظر: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير،(٤٣١/١)، موقع جامع الكتب الإسلامية.

الخميرة في عجين الدقيق فعملوا في الرقي عملا يُذكر وأثروا في أحوال التمدن الإسلامي تأثيراً لا ينكر وعلموا غالبهم كثيراً من الفنون مما كانت العرب أبعد الناس عنه وأظهروا العناية بصيانة العلوم والحرص على إبقائها وبرزوا في أصناف المعارف والصنائع حتى وضع الحديث النبوي : « لو تعلق العلم بأكناف السماء لناله قوم من أهل فارس »[١]".[٢]

٢–مضمون الشبهة:

– تدعى الشبهة أن العرب قبل الإسلام كانوا متأخرين علميًا، وأن العلوم والمعارف انتقلت للعرب بعد الفتح الإسلامي من الفرس، معتبرة أن العرب اكتسبوا الحضارة العلمية بفضل الفرس والأمم المجاورة لهم.

٣– هدف الشبهة:

– تهدف الشبهة إلى نفي أصالة العرب في الإبداع العلمي.

– تعزيز فكرة أن الحضارة العربية والإسلامية نتجت عن استيراد علوم الفرس واليونان والهند وليس من إسهامات العرب أنفسهم.

٤–مثارات النقد العقلي للشبهة:

– هل كل العلوم التي ظهرت بعد الفتح الإسلامي كانت مستوردة بالكامل؟

– هل يمكن اعتبار العرب قبل الإسلام متخلفين علميًا بشكل مطلق؟

---

[١] جاء بلفظ(لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مُعَلَّقًا بِالثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ)انظر: مسند أبي يعلى، لأبى يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، مُسْنَدُ قَيْسِ بنِ سَعْدٍ،(٢٧/٣برقم١٤٣٨)،المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.وهو حديث صحيح.انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (بغية الرائد)، لأبى الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تابع كتاب المناقب، باب ما جاء في ناس من أبناء فارس، (٥٠/١٠برقم١٦٦٨٧).

[٢] علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطي، لكاررللو ألفونسو نالينو،(ص١٨٠–١٨١).

- هل هناك أدلة على وجود نشاط علمي عربي مستقل قبل الفتح؟[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض الباحثين الذين ركزوا على التأثير الفارسي واليوناني والهندي في الحضارة الإسلامية.[٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:**
- عززت فكرة أن العرب كانوا بدائيين علميًا قبل الفتح الإسلامي.
- ركزت على أن الفرس واليونانيين والهنديين هم المصدر الرئيسي للمعارف في العصر الإسلامي.[٣]
- **في الوسط الإسلامي:**
- أثارت ردودًا دفاعية لإظهار إسهامات العرب قبل الإسلام في العلوم.
- شجعت على إعادة دراسة المصادر العربية القديمة كشعر الجاهلية، ونصوص علم الهيئة، والطب العربي.[١]

---

[١] انظر:الأنواء في مواسم العرب، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)،(ص٩ومابعدها).و فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، لابن طاوس،(صـ٧٤ ومابعدها).

[٢] Torrey, C. C. "The Jewish Foundation of Islam." Harvard Theological Review 13, no. 3 (1920): 169–194.

توري، سي. سي. "أسس اليهودية في الإسلام." مراجعة هارفارد اللاهوتية ١٣، العدد ٣ (١٩٢٠): ١٦٩–١٩٤.

[٣] Margoliouth, D. S. "The Origins of Arabic Scientific Literature." Journal of The Royal Asiatic Society, 1894, pp. 56–78.

مارغوليوث، د. س. "أصول الأدب العلمي العربي." مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، ١٨٩٤، ص. ٥٦–٧٨.

ثانياً: نقد الشبهة:

١- نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- القول بأن العرب لم يشاركوا في العلوم قبل الإسلام غير منطقي، فوجود حضارة شفوية وكتابية، واهتمام بالأنواء والفلك والحساب في الجاهلية يشير إلى معرفة علمية مستمرة.
- العلم لا يُنتقل بالكامل من شعب إلى آخر، بل يُبنى تدريجيًا عبر تفاعل الحضارات.[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- العرب الجاهليون كانوا يملكون الأسطرلابات، الجداول الفلكية، رصد الكسوفات، وقياس طول البلدان.
- المراصد مثل مرصد البصرة ومرصد دمشق لاحقًا بنيت على معرفة عربية أصلية.
- النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن التنجيم، مما يوضح الفرق بين علم الفلك الشرعي وبين الخرافة.[٣]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين من الباحثين يقرون بأن الدراسات المخطوطية أثبتت أن العرب كانت لديهم معرفة فلكية فعالة قبل الإسلام.[١]

---

[١] انظر: الأنواء في مواسم العرب، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)،(ص٩ومابعدها).و فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، لابن طاوس،(صـ٧٤ ومابعدها).

[٢] انظر: القول في علم النجوم للخطيب، لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،(صـ١٧٦ ومابعدها).و الأنواء في مواسم العرب، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)،(ص١٠ومابعدها).

[٣] انظر: القول في علم النجوم للخطيب، لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،(صـ١٧٦ ومابعدها). و الأنواء في مواسم العرب، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)،(ص١٠ومابعدها).

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يثبت أن شعوب الشرق (بما فيها العرب) لم يكونوا جاهلين علميًا، بل لديهم معرفة بالنجوم والحكمة:"وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ حِكْمَةً عَظِيمَةً وَفَهْمًا وَعَقْلًا كَثِيرًا، كَمَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ فِي كُلِّ الْأَرْضِ" [٢] النص يُشير إلى بني المشرق كأشخاص أصحاب حكمة ومعرفة، بما فيها الرصد الفلكي، وهذا يدحض الادعاء بأن العرب كانوا بدائيين علميًا قبل الإسلام.

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ذكر نالينو آراء فرق فيها بين تقليد المسلمين لمصنفات علم الفلك الغربي، وبين إبداعٍ وإبتكارٍ أحدثه المسلمون من خلال هذا الفن، فلقد اخترع المسلمون حسابات وطرق لم يسبقهم إليها الهنود، والفرس، واليونانيين وبذلك تفوقوا في علم الفلك، ويتبلور الرد من خلال النقاط التالية:

أولاً: لقد نهل العرب والمسلمون من مصادر عدة في مجال الفلك حيث اطلعوا على مؤلفات المصريين، والهنود، والفرس، والبابليين، والكلدان، واليمنيين: فالمصريون عرفوا المناعة الشمسي، وترك الهنود كثيرا من الأزياج(الجداول الفلكية)، ونقل إلى العربية منها كتاب(السند هند الكبير) [(٣)] الذى استفاد منه العرب والمسلمون كثيراً. ولقد تأثر العرب والمسلمون بطرق الرصد

---

[١]

King, David A. Early Islamic Astronomy. London: Variorum, 1983, pp. 12–28

كينغ، ديفيد أ. الفلك الإسلامي المبكر. لندن: فاروريوم، ١٩٨٣، ص. ١٢–٢٨.

[٢] سفر الملوك الأول، الإصحاح ٤ ، الآيه ٣٠

[(٣)] كتاب السند هند الكبير للخُوَارِزْمي(– 000)بعد ٢٣٢ هـ = ٠٠٠ – بعد ٨٤٧ م)محمد بن موسى الخوارزمي، أبو عبد الله: رياضي فلكي مؤرخ، من أهل خوارزم، أقامه المأمون العباسي قيما على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وأمره باختصار (المجسطي) لبطليموس، فاختصره وسمّاه (السند هند) أي الدهر الداهر.

الفارسية، وأخذوا عنهم أسماء بعض النجوم والكواكب. ولقد انتقل إلى العرب والمسلمين من قبل البابليين والكلدان بعض التقاويم وأقسام السنة والشهور وأسماء الأبراج وتقسيماتها، وأسماء بعض الكواكب والنجوم. ونقلوا عن البابليين كتاب أسرار الكواكب، ولقد كانت مبادئ علم الفلك معروفة عند اليمنيين وكذلك الكلدان الذين رسموها على جدران المعابد، وكانت منتشرة كذلك أسماء الكواكب في قصائد شعراء العرب والمسلمين. ولقد كان لإسهامات اليونانيين دوراً كبيراً في مجال الفلك عند العرب والمسلمين، فقد عرف العرب والمسلمون مؤلفات اليونانيين الفلكية مثل كتاب المجسطي لبطليموس[(١)]، وهو يتكون من ثلاث عشرة مقالة، وفيه يتحدث عن كروية الأرض وثباتها فى مركز العالم، وعن حركات القمر واختلافها وحسابها، وعن الكواكب الثابتة والمتحيرة. وكتاب(المقالات الأربع في صناعة أحكام النجوم) أيضا نقله يوحنا بن البطريق[(٢)] بتشجيع من الخليفة المنصور[(٣)]، وفسره أبو حفص عمر بن الفرخان الطبري – القرن الثالث الهجري –[(١)]

انظر: الدر الثمين في أسماء المصنفين، لعلي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (المتوفى: ٦٧٤هـ)،(صـ١١٢).

[(١)] كتاب المجسطي للبطليموس كان كلوديوس بطليموس (حوالي ١٠٠ إلى حوالي ١٧٠ م) عالم رياضيات وفلك وجغرافيا من الإسكندرية، وكانت نظرياته، وخاصة حول نموذج مركز الأرض للكون مع الكواكب التي تتبع مدارات داخل مدارات، مؤثرة للغاية حتى تم استبدالها بنموذج مركزية الشمس للكون الذي اقترحه كوبرنيكوس وجاليليو.

انظر: كلاوديوس بطليموس، مقال، موقع المعرفة

[(٢)] ابن البِطْرِيق(– 000نحو ٢٠٠ هـ = ٠٠٠ – نحو ٨١٥ م)يوحنا بن البطريق: ترجمان. كان مولى للمأمون، أمينا على الترجمة، حسن التأدية للمعاني، ألكن اللسان في العربية. وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب. تولى ترجمة كتب أرسطوطاليس خاصة، وترجم من كتب بقراط، مثل حنين وغيره.

انظر: الأعلام، للزركلي (٨/٢١٠).

[(٣)] عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ،أَتَتْهُ الْبَيْعَةُ بِمَكَّةَ فَصَارَ إِلَى الْكُوفَةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَخَطَبَهُمْ ، كَانَتْ خِلَافَتُهُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، تُوُفِّيَ بِمَكَّةَ بِبِئْرِ مَيْمُونِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ أَخِي الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً ، تُوُفِّيَ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمَيْنِ.

وفسره كذلك البتاني[٢]وغيرها من كتب بطليموس الفلكية والنجومية. وعرض كتاب (مفتاح النجوم)[٣]، ونقل فى أواخر العهد الأموي ، وبعد من أول الكتب المترجمة إلى العربية ورغم ذلك لم يكن له أثر كبير . [٤]

ثانياً: ولقد زاوج العرب والمسلمون بين إسهامات كل تلك العصور الفلكية، وأنتجوا منها انتاجاً جديداً في مجال الفلك وصححوا فيها أخطاء السابقين عليهم" وتوسعوا في المباحث الفلكية". وعندما فاقت أوروبا واخذت تنهض من سباتها فى أواخر العصور الوسطي، كانت كتابات اليونانيين والكلدان والسريان والهنود والفرس في علم الفلك قد اندثرت جميعها ولم يبق منها غير ترجماتها العربية وما استجده الغرب من أبحاث في هذا العلم، وهكذا أقبل الأوربيون

انظر: تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،(٢/٤برقم٩٣٥)،المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

[١] مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْفَرُّخَانِ مَوْلَى مُصْعَبِ بْنِ الْفُضَيْلِ الثَّقَفِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُقْرِئُ الْكِسَائِيُّ، كَانَ أَصْحَابُنَا يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَجْلِسِ ابْنِ كُوشَيْذٍ وَلَمْ أُرْزَقِ السَّمَاعَ مِنْهُ، يَرْوِي عَنِ الْعِرَاقِيِّينَ: أَبِي خَالِدٍ الْقُرَشِيِّ وَغَيْرِهِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، كان من أفاضل المنجّمين. من كتبه: كتاب المقياس.

انظر: تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،(٢/٢٥٣برقم١٦٠٩٩٣٥).

[٢] سبق ترجمته، (ص٩١٢).

[٣] كتاب مفتاح النجوم لهرمس الحكيم، هرمس الهرامسة الحكيم المصري القديم الفلكي، من تصانيفه:أحكام طلوع الشعرى اليمانية وما لها من الحوادث– في الفلك الأميرة فايزة رقم ٣٢ ورقة ١٦؛.انظر: معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات«(إعداد: علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط، (٥/٣٨١برقم١٠٦٧٢).

[٤] انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في الصور الوسطي، للدكتور: عبد المنعم ماجد، (صـ٢٣٤-٢٣٥)، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م.

يستقون أصول علم الفلك من المراجع العربية مما جعل بعض علماء أوربا المحدثين يعترفون صراحة بأن الأوربيين تلاميذ العرب في علم الفلك ".[1]

ثالثاً: ويعتبر خالد بن يزيد بن معاوية[2] أول من ترجم له كتب فى أحكام النجوم لا في علم الهيئة (علم الفلك) واستمر الاهتمام بعلم الهيئة في العصر العباس، وأول من اهتم به من خلفاء العباسيين الخليفة المنصور الذى قرب إليه المنجمين كما ذكرنا سابقاً: ولقد عمل المنصور على تطوير علم الهيئة مستفيدا من المصادر الهندية حيث كلف المترجمين بنقل كتاب (السند هند الكبير)، وأمر كذلك بوضع كتاب عن الجداول الفلكية على طريقة الهنود، وقام بذلك الدور الفزاري وظل زيجه معمولا به حتى عصر المأمون".[3]

رابعاً: وعندما نقلت أعمال بطليموس الفلكية إلى العرب والمسلمين اعتمد عليها بدلا من الفلك الهندي: فلما انتشرت الرياضيات اليونانية، ونقل كتاب (المجسطي) ، لم ينتقل العرب فجأة من الحساب القائم على النظام الهندي إلى الحساب اليوناني، بل بالتدريج حتى أن محمد بن موسى الخوارزمي وضع زيجه المسمي بالسند هند الصغير، فعول فيه على أوساط السند هند، ولكنه:

---

[1] المدينة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية، للدكتور: سعيد عبد الفتاح عاشور،(صـ١١٢)، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢م.

[2] خالد بن يزيد بن معاوية هو حفيد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان وابن الخليفة الثاني يزيد بن معاوية. وأخو الخليفة معاوية، ولد ٥١ هـ الموافق ٦٧١م، وهو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء فأصبح من أشهر العلماء العرب. توفي في عام ٩٠ هـ الموافق ٧٠٩ .

انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)،(٣٨٢/٤).

[3] علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطي، لكاراللو ألفونسو نالينو،(ص١٤٩-١٥٠).

خالفه في التعاديل والميل، فجعل تعاديله على مذهب الفرس، وميل الشمس فيه على مذهب بطليموس ".[1]

خامساً: ولقد اهتم العرب والمسلمون بعلم الفلك لاعتبارات دينية لرغبتهم في تحديد اتجاه القبلة، وتحديد مواعيد الصلاة، وتحديد بداية الشهور العربية خاصة شهر رمضان وبالنسبة لكتاب المجسطي لبطليموس، فقد ذكرت أكثر من رواية حول ترجمته: فقيل أن أول من ترجمه الحجاج بن يوسف بن مطر القرن الثالث الهجري[2]، وهناك من يري أن مترجمه هو سهل بن زياد الطبري والد علي بن ربن الطبري[3] صاحب كتاب (فردوس الحكمة) ترجمه لهارون الرشيد[4]، وتخبر رواية أخرى أن المترجم هو سهلا والحجاج هو الذى راجع الترجمة، وأصلح تلك الترجمة بعد ذلك

---

[1] الكندي فيلسوف العرب، للدكتور: أحمد فؤاد الأهواني، (صـ١٩٠)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

[2] الحجاج بن يوسف بن مطر هو عالم رياضيات عربي عاش بين ٧٨٦ و٨٣٣. هو أول من ترجم كتاب العناصر لإقليدس. قام أيضا بترجمة ثانية محسنة لهذا الكتاب للخليفة العباسي أبو العباس عبد الله المأمون. قام كذلك بإعادة ترجمة كتاب المجسطي لكلاوديوس بطليموس.انظر:الموسوعة الحرة ويكيبيديا

[3] علي بن رَبَن(247 - 000)هـ = ٠٠٠ - ٨٦١ م) علي بن ربن الطبري، أبو الحسن: طبيب حكيم، مولده ومنشأه بطبرستان. كان يخدم ولاتها ويقرأ علم الحكمة، وانفرد بالطبيعيات. ومن كتبه " الدين والدولة - انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(٤/٢٨٧-٢٨٨).

[4] أمِيرُ المُؤمنين أبُو جعفر هارُون الرَّشيد بن مُحمَّد المَهْدي بن عبد الله المَنْصُور بن مُحمَّد بن علي بن عبد الله بن العبَّاس بن عبد المُطَّلب الهاشميُّ القُرشيُّ (١ مُحرَّم ١٤٩ - ٣٠ جُمادى الأولى ١٩٣هـ / ١٩ فبراير ٧٦٦ - ٢٤ مارس ٨٠٩م)هو خامس خُلفاء بني العبَّاس. توفي ٣٠ جمادى الأولى ١٩٣هـ / ٢٤ مارس ٨٠٩م.

انظر: تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)،(٣٢٣/٧٣برقم١٠٠١٤).

حنين بن اسحق وراجعها ثابت بن قرة ومن بعدها البتاني. **لكن المرجح أن أول ترجمة لهذا الكتاب كانت بعد وفاة هارون الرشيد في أواخر القرن الثامن ثم نقحت عدة مرات ووضعت لها شروح وتعليقات ومقدمات".**(١)

سادساً: ولقد استفاد بطليموس في هذا المؤلف من المصريين، والبابليين، واليونانيين بالإضافة إلى اجتهاداته الخاصة: ويشتمل هذا المؤلف على مبادئ صناعة النجوم أو علم الفلك، ومبادئ هذه الصناعة لم تترتب – على نحو ما يذكر البيروني – فى الكتب المشهورة بما فى ذلك كتاب الميسلي – دستور هذه الصناعة – حتى تثق فيها ".(٢)

سابعاً: ولقد أضاف العرب والمسلمون إلى هذا الكتاب إضافات كثيرة بفضل تقدمهم فى الرياضيات: فأصالة علم الفلك عند العرب نشأت من كونهم طبقوا حساب المثلثات على الأرصاد الجوية، واخترعوا وصنعوا آلات جديدة الرصد، مما أدي بهم إلى كثير من الاكتشافات وإلى تعديل شامل لفلك بطليموس ".(٣)

ثامناً: وعلى الرغم من أن البتاني يشير فى زيجه إلى أنه يقتفي أثر بطليموس وأنه يتبع ما رسمة إلا أنه ذكر أنه كما استدرك بطليموس على أبرخس كذلك يجوز أن يستدرك على بطليموس وذلك لجلالة تلك الصناعة ولأنها سمائية لا تدرك إلا بالتقريب: ووضع البتاني هذا الكتاب – على نحو ما يذكر فى مقدمته – ليوضح فيه كل ما غمض وشذ في هذا الصناعة .

---

(١)انظر: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب : ديلاسي أوليري،(صـ٢١٥-٢١٧)، ترجمة: د. وهيب كامل، راجعه: زكي علي، بإشراف وزارة التعليم العالي، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢م.

(٢) كتاب القانون المسعودي، لمحمد بن أحمد البيروني،(صـ٢٤)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة:الأولى،١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م.

(٣) دور العرب في تكون الفكر الأوربي، للدكتور: عبد الرحمن بدوي،(صـ١٩)، مطبعة الأنجلو المصرية، الطبعة: الثانية، ١٩٦٧م .

وفى هذا العمل صحيح وهذب كثيرا من آراء السابقين عليه خاصة بطليموس، وأضاف إليها اضافات هامة من خلال أرصاده التي كان يقوم بها".[1]

تاسعاً: ولقد تقدم العرب والمسلمون بعلم الفلك خطوات إلى الأمام بفضل ما قاموا به من أرصاد فلكية من خلال المراصد التي أنشأوها لهذا الغرض كمرصد المراغة وبغداد . ودمشق وغيرها: واستخدموا في هذه المراصد آلات وأدوات حتى تكون أرصادهم دقيقة. ولقد سبق اليونانيون العرب والمسلمين في اقامة المراصد، وبعد مرصد الإسكندرية – الذي أنشأ في القرن الثالث قبل الميلاد – أول مرصد كتب عنه. ولقد صور العرب والمسلمون الأدوات الموجودة فى كتاب بطليموس القلوذي وحاولوا صناعة أدوات مشابهة لها، والاستفادة منها فى رصد النجوم، وكان ذلك في عهد المأمون ولذلك سمي هذا الرصد بالرصد المأموني[2] ولم تساعد الأدوات الفلكية اليونانية العرب والمسلمون فى أرصادهم لذلك ادخلوا عليها كثيرا من التعديلات وابتكروا أدوات جديدة تعينهم في عملهم، ساعدت هذه الأدوات بعد ذلك في اختراع المنظار البعيد في العصور الحديثة ".[3]

عاشراً: واستخدم العرب والمسلمون فى المراصد الفلكية أدوات كثيرة منها الكرات ذوات الحلق وآلات قياس الزوايا والأسطرلاب الذي اخترعه هيبارخوس وأول من استعمله ارستاركوس (**Artacus** ٢٦٠ ق. م): وعندما وجد العرب والمسلمون الأسطرلاب اليوناني لا يفي بأغراضهم وطموحاتهم الفلكية أدخلوا عليه تحسينات كثيرة . فصنعوا أسطرلابات جديدة أكثر دقة

---

(١) انظر: الزيج الصابئ، لمحمد بن جابر بن سنان الحراني الرقي الصابئ، أبو عبد الله المعروف بالبتاني (ت ٣١٧هـ) ،(صـ٧)، نقل عن النسخة المحفوظة بمكتبة الأسكوريال من بلاد الاندلسي، أعتني بطبعه وتصحيحه وترجمته إلى اللغة اللاتينية وعلق حواشيه، كارلو نالينو، طبع بمدينة رومية العظمي، ١٨٩٩ م.

(٢) علم الطبيعة نشوءه ورقية وتقدمه الحديث، للدكتور: مصطفي نظيف، (صـ٢٧)، مطبعة مصر، ١٩٣٩م.

(٣) انظر: شمس الله تسطع على الغرب = فضل العرب على أوروبا، للدكتورة/ سيجريد هونكة،(ص١١٣-١١٤)، ترجمة وحققه وعلق عليه: د. فؤاد حسنين علي، دار العلم العربي، الطبعة: الثانية، : ١٤٣٢ هـ.

من الأسطرلاب اليوناني، ويعتبر الفزاري صاحب أول اسطرلاب عربي وضع على أسس علمية دقيقة ".[1]

الحادى عشر: واستخدم العرب والمسلمون الأسطرلاب فى استخدامات كثيرة، وعندما وصل إلى أوروبا استفاد منه الأوروبيون كثيرا وظل مستعملا عند ملاحيهم حتى القرن السابع عشر ولقد اختلط علم الفلك بصناعة التنجيم الذي شغف به الناس – حكام ومحكومين – بسبب ولعهم بمعرفة الغيب وكشف الأسرار ولكن يرجع الفضل إلى العرب والمسلمين في تخليص علم الفلك من صناعة التنجيم: فمن مآثر العرب والمسلمين على علم الفلك " أنهم طهروه من صناعة التنجيم، فقد كانت الأمم السابقة من البابليين والصينين والهنود واليونان يخلطون بين الفلك وهذه الصناعة، ويعتقدون أن هناك صلة قوية بين حركات النجوم في أفلاكها وما يصيب الكائنات والناس من آفات وأمراض، واستمر هذا الاعتقاد الخاطئ يسود عقول الأوروبيين إلى القرن السابع عشر فى حين أن العرب في ذلك الوقت أي في القرون الوسطي قالوا بفساد هذا الاعتقاد ".[2]

ختاماً: لقد استفاد العرب ممن سبقهم في علم الفلك ولكنهم فاقوهم حيث صححوا وهذبوا آراءهم وأضافوا إليها إضافات هامة عملت على تقدم علم الفك الحديث: فنجد قياساتهم مثلا – تقترب من قياسات علم الفلك الحديث وأرصادهم أيضا أكثر دقة من أرصاد السابقين عليهم بما فيهم اليونانيين. فقاسوا مثلا محيط الأرض ٢٤٨ و ٤١ ك. م ، اليونانيون ٣٤٠ ، ٣٨ ك م ، والرقم

---

[1] مذاهب وشخصيات الخوارزمي العالم الرياضي الفلكي، لمحمد عاطف البرقوقي وأبو الفتوح محمد التوانسي، (صـ١٢٨)، الدار القومية للطباعة.

[2] مذاهب وشخصيات الخوارزمي العالم الرياضي الفلكي، لمحمد عاطف البرقوقي وأبو الفتوح محمد التوانسي، (صـ١٢٨).

الحقيقي – الذي توصل إليه العلماء ٤٠,٧٠ وهكذا ما وصل إليه العرب والمسلمون أقرب إلى العلم الحديث من الذى توصل إليه اليونانيون".[١]

[١] اثر علماء العرب المسلمين في تطوير علم الفلك، للدكتور: علي عبدالله الدفاع،(صـ٣١)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

الفصل الثالث

تأثير الفكر الغربي على الحداثيين في تعاملهم

مع علم الفلك في التصور الإسلامي.

ويشتمل علي ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إنكار المسلمين لدوران الأرض

المبحث الثانى: التنجيم يكشف الغيب.

المبحث الثالث: الحساب الفلكي في رؤية الهلال.

المبحث الأول

إنكار المسلمين لدوران الأرض

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١-نص الشبهة:

يدعى أصحاب الفكر الحداثي المعاصر أن المسلمين أنكروا دوران الأرض حول محورها، وهذا إنكار للقرآن الكريم في هذا الشأن، **كما ادعى صادق جلال العظم**[١]، **فقال:**"ويحتوى الدين بالإضافة إلى ذلك على عدد كبير من القصص والأساطير والروايات والآراء عن نشوء الكون وبنيانه، وعن الإنسان وأصله ومصيره، وعن التاريخ وأحداثه، وعن الأشخاص الذين لعبوا دوراً في تسيير هذه الأحداث".[٢]**وأحمد الدويش**[٣] حيث قال:" فإن الأرض ثابتة قارة، والشمس هي التي تدور حولها".[٤] وهذا مخالف لأكثر من عشرين آية تدل على دوران الأرض.

---

[١] سبق ترجمته، (صـ٣٧٨).

[٢]نقد الفكر الديني، لصادق جلال العظم،(صــ١٧)،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الثانية،١٩٧٠م.

[٣] أحمد بن عبد الرزاق الدويش بجمع الفتاوى الصادرة عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، في المملكة العربية السعودية، فخرجت المجموعة الأولى منها في ستة وعشرين (٢٦) مجلدا، وخرجت المجموعة الثانية منها في أحد عشر مجلدا ، وهي من أهم المراجع التي يستفيد منها الناس وطلبة العلم اليوم في النظر في المسائل الفقهية المعاصرة.انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

[٤] فتاوى اللجنة الدائمة(٣٢)جزءا، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، لأحمد بن عبد الرزاق الدويش، (٢٦/٤١٥)، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٢-مضمون الشبهة:

- المسلمين رفضوا فكرة دوران الأرض حول محورها.
- هذا الرفض يُنظر إليه كتناقض مع القرآن الكريم.
- هناك تصور أن الفلك والعلوم عند المسلمين متأخر ومتخلف.

٣-هدف الشبهة:

- التشكيك في قدرة الفكر الإسلامي على مواكبة العلم الطبيعي.
- الطعن في التراث الإسلامي العلمي وربطه بما يراه البعض قصصيًا أو أسطوريًا.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- تعميم ظاهرة رأي بعض العلماء أو المفسرين القدامى على كل المسلمين.
- الخلط بين التفسيرات العلمية القديمة للكون والفهم العلمي الحديث.
- افتراض أن القرآن يعارض العلم الحديث بمعزل عن تفسيراته التاريخية.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المفكرين الذين قرروا أن الأرض ثابتة قارة، والشمس هي التي تدور حولها.[٢]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** عززت الصورة النمطية عن المسلمين كمتخلفين علميًا.[٣]

---

[١] انظر: بيان حكم اختلاف المطالع والحساب الفلكي، لسامي وديع عبد الفتاح القدومي،(صـ٢٠)، دار الوضاح، عمان – الأردن الطبعة: الأولى.

[٢] فتاوى اللجنة الدائمة(٣٢)جزءا، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، لأحمد بن عبد الرزاق الدويش، (٤١٥/٢٦)، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

[٣] فتاوى اللجنة الدائمة(٣٢)جزءا، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، لأحمد بن عبد الرزاق الدويش، (٤١٥/٢٦)، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

- **في الوسط الإسلامي:** أثارت نقاشًا حول تفسير القرآن والعلوم الطبيعية، ودفعت إلى مراجعة التراث الفلكي الإسلامي.[١]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- لا يمكن الحكم على كل التراث الإسلامي بناءً على رأي شخصين فقط.
- التاريخ العلمي الإسلامي غني بملاحظات متحركة ودقيقة للظواهر الفلكية منذ القرون الوسطى.
- افتراض أن القرآن يرفض العلم الطبيعي حديثًا هو سوء فهم للنصوص القرآنية.[٢]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

علماء المسلمين القدامى مثل:

- البيروني: ناقش دوران الأرض بالنسبة للشمس والمظاهر الفلكية.
- ابن الهيثم: أسس علم البصريات والفلك التجريبي.
- الفلك الإسلامي لم يكن ثابتًا، بل كان متقدّمًا على أوروبا في العصور الوسطى.
- أدوات رصد النجوم والكواكب والمساجد الملاحية تثبت التطور الفلكي في التراث الإسلام.[٣]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين أكدوا أن الفلكيون المسلمون درسوا حركات الشمس والقمر والكواكب بشكل متقدم جدًا بالنسبة لعصرهم.[١]

---

[١] انظر: بيان حكم اختلاف المطالع والحساب الفلكي، لسامي وديع عبد الفتاح القدومي،(صـ٢٠).

[٢] انظر: تربية ملكة الاجتهاد من خلال بداية المجتهد لابن رشد، لمحمد بولوز(٦٧/١)،إشراف: الدكتور أحمد البوشيخي، الرياض: دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.

[٣] انظر: تربية ملكة الاجتهاد من خلال بداية المجتهد لابن رشد، لمحمد بولوز(٦٧/١).

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس لا يركز على حركة الأرض كمسألة علمية تفصيلية، فالنصوص المقدسة تتناول الأرض بشكل مجازي أو ضمن سياق العبادة والحياة اليومية، وليس كنصوص علمية تحكم على حركة الكواكب:" وَقَالَ يُوشَعُ لِلرَّبِّ فِي يَوْمِ إِذْ أَعْطَاهُمُ الرَّبُّ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيل: شُرُوقَتِ الشَّمْسِ عَلَى الأَرْضِ وَتَقَدُّمُهَا عَلَى أَسَاسِ أَرْضِ الأَعْدَاءِ. فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، حَتَّى أَنْتَهَى الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ". [٢]

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ويتمثل الرد في النقاط التالية:

أولاً: الحقائق العلمية:[(٣)]

يقول الدكتور زغلول النجار[(١)]: الأرض هي أحد كواكب المجموعة الشمسية، وتمثل الكوكب الثالث بعدًا عن الشمس، وتبعد بمسافة تقدر بحوالي ١٥٠ مليون كيلو متر، ولما كانت أجرام

---

[١] Coulson, Noel J. A History of Islamic Law. Edinburgh (City of Edinburgh, Scotland): Edinburgh University Press, 1964, pp. 112–113.

كولسون، نويل ج. تاريخ القانون الإسلامي. إدنبرة (مدينة إدنبرة، اسكتلندا): مطبعة جامعة إدنبرة، ١٩٦٤، ص ١١٢-١١٣.

[٢] سفر يوشع ، الإصحاح ١٠ ، الآيه ١٢-١٣

[(٣)] زغلول راغب محمد النجار (١٧ نوفمبر ١٩٣٣)، عالم جيولوجيا وداعية إسلامي مصري ولد في قرية مشال مركز بسيون بمحافظة الغربيّة، اشتهر بإلقاءه محاضرات وندوات عن الإعجاز العلمي في النصوص المقدسة الإسلامية، وهو زميل الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية وعضو في مجلس إدارتها، وأحد مؤسسي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.من كتبه: من آيات الإعجاز العلمي.السماء في القرآن الكريم.وغيرهم.انظر: موقع معرفة.وموقع الدكتور زغلول النجار : http://www.elnaggarzr.com/

السماء جميعها في حركة دائبة فإن للأرض عدة حركات منتظمة منها : دورتها حول محورها أمام الشمس التي يتبادل بواسطتها الليل والنهار، وجريها في مدارها حول الشمس بمحور مائل فيتبادل كل من الفصول والأعوام، وحركتها مع الشمس حول مركز المجرة، وقد عرف من حركات الأرض ما يأتي:

١-حركات الأرض حول محور دورانـها:

- الحركة المحورية الدورانية أو المغزلية للأرض:

وفيها تدور الأرض حول محورها الوهمي من الغرب إلى الشرق أمام الشمس بسرعة ١٦٧٤كم لتتم دورة كاملة في يوم مقداره حاليا حوالي (٢٣) ساعة ٥٦ دقيقة ٤ ثوان يتقاسمه ليل ونهار، بتفاوت في طول كل منهما ؛ نظرًا لميل محور دوران الأرض بمقدار ٢٣.٥ درجة عن العمود النازل على مستوى مدارها، ويعرف هذا اليوم باسم اليوم النجمي ، أما اليوم الشمسي فيبلغ مدى زمنه ٢٤ ساعة.

- الحركة الترنحية للأرض(precession) :

زحزحة محور نقطتي تقاطع هي حركة بطيئة تتمايل فيها الأرض من اليمين إلى اليسار بالنسبة إلى محورها العمودي، وتؤدي هذه الحركة إلى تأرجح أي: دورات الأرض حول نفسها تدريجيا، الأمر الذى يؤدي إلى تغير موقع كل من قطبي الأرض الشمالي والجنوبي، وهما يمثلان المحور الوهمي لدوران الأرض مع السطح الخارجي لذلك الكوكب، ويتأرجح محور الأرض المائل بقدر يكفي لرسم دانا دائرة كاملة مرة كل حوالي ٢٦٠٠٠ سنة، وبذلك يرسم المحور مخروطين متعاكسين تلتقي قمتاهما في مركز الأرض.

---

(١) انظر: من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، للدكتور: زغلول النجار،(صـ٢٧١-٢٧٥)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

- **حركة (الميسان النودان) أو التذبذب للأرضnutation) :**

هي حركة تجعل من ترنح الأرض حول محورها مسارًا متعرجا بسبب جذب كل من القمر والشمس للأرض، ويؤدي ذلك إلى ابتعاد الدائرة الوهمية التي يرسمها محور الأرض في أثناء ترنحها . كنهاية للمخروطين المتقابلين برأسيهما في مركز الأرض . عن كونها دائرة بسيطة إلى دائرة مؤلفة من أقواس متساوية، ويُقدر عدد الذبذبات التي ترسمها الأرض في مدارها بهذه الحركة بدءًا من مغادرة محورها لنقطة القطب السماوي وحتى عودته إليها بـ ١٤٠٠ ذبذبة (قوس) نصفها إلى يمين الدائرة الوهمية والنصف الآخر إلى يسارها، ويستغرق رسم القوس الواحد مدة ١٨.٦ سنة؛ أي: إن هذه الحركة تتم دورة كاملة في ٢٦.٠٤٠ سنة تقريبا.

- **حركة التباطؤ في سرعة دوران الأرض حول محورها:**

ويتم هذا التباطؤ بمقدار جزء من الثانية في كل قرن من الزمان، بينما يُسرع القمر في دورته المحورية بنفس المعدل، ويؤدي ذلك إلى تغير تدريجي في حالة التوازن بين الأرض والقمر ؛ الأمر الذى يؤدي في النهاية إلى انفلات القمر من عقال جاذبية الأرض وارتمائه في أحضان الشمس.

٢-الحركات الانتقالية المدارية للأرض (سبح الأرض):

- **جري الأرض في مدارها حول الشمس:**

وفيها تجري الأرض في مدار بيضاني (إهليلجي) حول الشمس بسرعة تقدر بحوالي ٣٠ كم/ ث لتتم دورة كاملة في مدة سنة شمسية مقدارها ٣٦٥.٢٤ يوم شمسي يتقاسمها اثنا عشر شهرًا وأربعة فصول.

٣-حركة استدارة فلك الأرض:

وبها يتم تقريب مدار الأرض الإهليلجي حول الشمس إلى مدار أقرب ما يكون إلى شكل الدائرة، وتستغرق هذه الحركة ٩٢.٠٠٠ سنة لكي تقترب بؤرتا مدار الأرض من بعضها البعض حتى تتطابقا، ثم تعاودان التباعد من جديد.

٤-حركة جري الأرض مع بقية المجموعة الشمسية حول مركز المجرة التي تتبعها:

وذلك في مدار لولبي بسرعة تقدر بحوالي ٢٠٦ كم / ث لتتم دورة كاملة في مدة تقدر بحوالي ٢٥٠ مليون سنة.

٥-حركة جري كل من الأرض والمجموعة الشمسية والمحرة:

وذلك بسرعة تقدر بحوالي ٩٨٠ كم/ث لتؤدي إلى ظاهرة اتساع السماء بتباعد مجرتنا عن بقية المجرات في السماء الدنيا.

ثانياً: التطابق بين الحقائق العلمية وبين ما أشار إليه القرآن الكريم:[١]

يذهب نالينو إلى أن المسلمين يؤيدون القول بثبات الأرض، وهذه إشارة إلى القرآن الكريم فالمسلمون لايتقولون عند نالينو إلا من خلال كتاب ربهم وسنه نبيهم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ففي الوقت الذي يعتبر فيه دوران الأرض حول الشمس و دورانها حول محورها من الثوابت العلمية وليس من شك في أن هذا القول يعوزه الدليل، فليس في القرآن ما يدل على ثبات الأرض كما يُدعى؛ ففي الوقت الذي ساد فيه اعتقاد الناس بثبات الأرض وسكونها تنزل القرآن الكريم بالتأكيد على حركتها، وعلى حركة سائر أجرام السماء، ولكن لما كانت تلك الحركة خفية على الإنسان بصفة عامة، وعلى إنسان القرون الماضية بصفة خاصة، جاءت الإشارات القرآنية إليها لطيفة

---

[١] من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، للدكتور: زغلول النجار،(صـ٢٦٣-٢٦٧).

رقيقة غير مباشرة حتى لا تصدم أهل الجزيرة العربية وقت نزول القرآن فيرفضوه؛ لأنهم لم يكونوا أهل معرفة علمية أو اهتمام بتحصيلها، فلو أن الإشارات القرآنية المتعددة إلى حركات الأرض جاءت صريحة صادعة بالحقيقة الكونية في زمن ساد فيه الاعتقاد بسكون الأرض وثباتها واستقرارها ، لكذب أهل الجزيرة العربية القرآن والرسول والوحي، ولحيل بينهم وبين الهداية الربانية.

ومن ثم فإن جميع الإشارات القرآنية إلى حقائق الكون التي كانت غائبة عن علم الناس كافة في عصر تنزل الوحي ، ومنها الإشارات المتعددة إلى حركات الأرض . جاءت كلها بأسلوب غير مباشر، ولكن بما أنها بيان من الله الخالق فقد صيغت صياغة محكمة بالغة الدقة في التعبير والشمول والإحاطة في الدلالة، حتى تبقى مهيمنة على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، وتبقى شاهدة على أن القرآن الكريم هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن تلك الإشارات القرآنية ما يتحدث عن جري الأرض في مدارها حول الشمس، ومنها ما يتحدث عن دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، وقد استعاض القرآن الكريم في الإشارة إلى تلك الحركات الأرضية بالوصف الدقيق لسبح كل من الليل والنهار واختلافهما وتقلبهما، وإغشاء كل منهما الآخر، وإيلاج كل منهما في الآخر، وسلخ النهار من الليل ومرور الجبال من السحاب، كما يتضح من الآيات القرآنية الآتية:

- **سبح كل من الليل والنهار:**

يقول الله سبحانه وتعالى في وصف حركات كل من الأرض والشمس والقمر ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]، وقال﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.[2]

---

(١) سورة الأنبياء، الآية، ٣٣

(٢) سورة يس، الآية، ٤٠

فالليل والنهار ظرفا زمان لا بد لهما من مكان والمكان الذي يظهران فيه هو الأرض، ولولا كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس، لما ظهر ليل ولا نهار ولا تبادل كل منهما نصف سطح الأرض، والدليل على ذلك أن الآيات في هذا المعنى تأتي دوما في صيغة الجمع كل في فلك يسبحون، ولو كان المقصود سبح كل من الشمس والقمر فحسب؛ لجاء التعبير بالتثنية (يسبحان).

كما أن السبح لا يكون إلا للأجسام المادية في وسط أقل كثافة منها، والسبح في اللغة هو الانتقال السريع للجسم بحركة ذاتية فيه، من مثل: حركات كل من الأرض والشمس والقمر في جرى كل منهما في مداره المحدد له، فسبح كل من الليل والنهار في هاتين الآيتين الكريمتين إشارة ضمنية رقيقة إلى جري الأرض في مدارها حول الشمس، وإلى تكورها ودورانها حول محورها أمام الشمس.

- **مرور الجبال من السحاب:**

وفي ذلك يقول الحق عز وجل﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (١)، ومرور الجبال من السحاب كناية واضحة عن دوران الأرض حول محورها، وعن جريها حول الشمس ومع الشمس؛ وذلك لأن الجبال جزء من الأرض، ولأن الغلاف الغازي للأرض الذي يتحرك فيه السحاب مرتبط بالأرض بواسطة الجاذبية، وحركته منضبطة مع حركة الأرض، وكذلك حركة السحاب فيه، فإذا مرت الجبال مر السحاب كان في ذلك إشارة ضمنية إلى حركات الأرض المختلفة التي تمر كما يمر السحاب.

---

(١) سورة النمل، الآية، ٨٨

- **إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل:** [١]

يقول ربنا عز وجل في محكم كتابه﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾[٢]، وقال عز وجل﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾[٣]والولوج لغة هو الدخول، ولما كان من غير المعقول دخول زمن على زمن الصح أن المقصود بكل من الليل والنهار ليس الزمن ولكن المكان الذي يتغشاه زمن كل من الليل والنهار، وهو الأرض؛ وعلى ذلك فمعنى قوله تعالى: "يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل" أن الله تعالى يُدخل الجزء من الأرض الذي يُخيم عليه الليل بالتدريج في مكان الجزء الذي يعمه نور النهار، ويدخل الجزء من الأرض الذي يعمه نور النهار بالتدريج في مكان الجزء الذي يُخيم عليه الليل، وذلك باستمرار، وبطريقة متدرجة، إلى أن يغير الله هذا النظام بأمر منه .

- **اختلاف الليل والنهار:** [٤]

وفي إشارة أخرى إلى حركات الأرض وكرويتها يستخدم القرآن الكريم تعبير اختلاف الليل والنهار في آيات كثيرة، منها قول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٥]، وقوله عز وجل﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ

---

[١] من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، للدكتور: زغلول النجار،(صـ٢٦٨-٢٧٠).

[٢] سورة ال عمران، الآية، ٢٧

[٣] سورة الحديد، الآية، ٦

[٤] من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، للدكتور: زغلول النجار،(صـ٢٧٠-٢٧١).

[٥] سورة يونس، الآية، ٦

وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[١]، وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[٢]، وفي تلك الآيات يؤكد القرآن الكريم كروية الأرض، ودورانها حول محورها أمام الشمس بالوصف الدقيق لتعاقب الليل والنهار.

- **تقليب الليل والنهار:**

كذلك يشير القرآن الكريم إلى كل من كروية الأرض وحركتها بتقلب الليل والنهار، وفي ذلك يقول تعالى ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[٣].

ختاماً: من هذا الاستعراض يتضح أن حركات الأرض حول محورها، وجريها في مدارها حول الشمس ومع الشمس في مدارات متعددة . هي من حقائق الكون الثابتة، وهذا ما أشار إليه القرآن في أكثر من عشرين آية من آياته في زمن سيادة الاعتقاد بثبات الأرض وسكونها.

- **قانون التجاذب الكوني:** وفي الحقيقة إن الذين يطرحون فكرة ثبات الأرض لم يطلعوا جيدًا على مبادئ علم الفلك، ومن أهمها قانون التجاذب الكوني، وهو القانون الذي تفسر به تماسك الكون وعدم انهياره وعدم حدوث تصادمات تؤدي إلى زواله، وهذا ما أشار إليه القرآن في آية عظيمة﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾[٤]،فالله تعالى بقدرته يمسك هذا الكون، وسخر من أجل ذلك قانونا لا يختل أبدًا وهو قانون التجاذب الكوني، فما هذا القانون العجيب؟

---

[١] سورة ال عمران، الآية، ١٩٠

[٢] سورة المؤمنون، الآية، ٨٠

[٣] سورة النور ، الآية، ٤٤

[٤] سورة فاطر، الآية، ٤١

- ينص قانون التجاذب الكوني على أن كل جسم في الكون له كتلة فلا بُدَّ أن تكون له جاذبية، وتتناسب قوة الجاذبية مع كتلة هذا الجسم فكلما كان الجسم أثقل كانت الجاذبية أكبر، فالأرض تجذب إليها الناس؛ لأن وزن الإنسان أصغر كثيرًا من وزن الأرض، والأرض تجذب إليها القمر لأنها أكبر منه وزنًا، فنجده يدور حولها بنظام فائق الدقة، ولكن هل لدى الأرض القدرة على جذب الشمس والنجوم والمجرات لتجعلها جميعًا تدور حولها؟ بالطبع لا، فمن غير المعقول أن تكون الأرض ثابتة وتجذب إليها كل هذا النجوم . التي هي أكبر منها كتلة . وتجعلها تدور حولها، هذا من ناحية.
- **ومن ناحية أخرى يقول الإمام الصابونى-رحمه الله-**[1]: إن الله أخبرنا بأن السماوات قائمة بقدرته دون عمد ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ ﴾[2]، أي: تشاهدونها دون أعمدة ولا دعائم، وأخبرنا أنه قد أمسك السماوات والأرض عن السقوط أو الزوال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١ ﴾[1]، فلو كانت الأرض مرتكزة أو واقفة على شيء لما احتاجت إلى الحفظ والإمساك، فكما أمسك الله تعالى السماء بقدرته أن تقع على الأرض، كذلك أمسك الأرض أن تتيه وتسرح في

---

[1] محمد علي الصابوني (١٣٤٩- ١٤٤٢ هـ/ ١٩٣٠- ٢٠٢١ م) أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، ومن المتخصِّصين في علم تفسير القرآن، وهو مؤلف كتاب «صفوة التفاسير».اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ليكون شخصية العام الإسلامية عام ٢٠٠٧؛ من كتبه صفوة التفاسير وهو أشهر كُتُبه. توفي يوم الجمعة ١٩ مارس ٢٠٢١ ميلاديًا، في مدينة يالوفا التركية عن عمر ناهز الحادية والتسعين.انظر: مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) لمحمد علي الصابوني،(٧/١)، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م

[2] سورة لقمان، الآية، ١٠

هذا الفضاء، وأن تقترب من الشمس فتحترق أو تبتعد عنها فتتجمد بمن عليها، وتنعدم الحياة فوق سطحها، ومن ثم فإن في الآية إشارة غير مباشرة إلى حركة الأرض.

- فأيهما أعظم وأظهر في الدلالة والإعجاز، أن تكون الأرض واقفة مرتكزة ثابتة على شيء يحملها، أم تكون سابحة دائرة في هذا الفضاء الواسع كيفية النجوم والكواكب دون أن تنقلب بمن عليها وبما فيها من بحار وجبال وأنهار؟ ودون أن ينهدم ما عليها من بيوت ومساكن ومصانع وقصور؟ أيهما أعظم في الدلالة على عظمة الخالق ؟ وأيهما أحوج إلى الإمساك : الثابت أم المتحرك؟
- إن سير الأرض بمن عليها وحركتها ودورانها في هذا الفضاء بما عليها من الأثقال والجبال لا شك أنه أبلغ في الدلالة على القدرة،وأظهر في الحاجة إلى الحفظ والإمساك، حتى يأتي اليوم الموعود فتنكفئ بمن عليها، فتختلط البحار وتتزلزل الجبال وتتناثر الكواكب وتتهدم الدور والقصور، وحينئذ يدرك الإنسان سر قول الله تعالى﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[٢].[٣]

---

[١] سورة فاطر، الآية، ٤١

[٢] سورة الحج، الآية، ٦٥

[٣] انظر: حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن، لمحمد علي الصابوني،(١٧-٥٢)، دار وحي القلم- دمشق، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م.و دوران الأرض هل يخالف ظاهر القرآن؟، لعبد الدائم الكحيل، بحث منشور بموقع المهندس عبد الدائم الكحيل **www.kaheel.com**.

المبحث الثاني

التنجيم يكشف الغيب

تتنامى في الآونة الأخيرة وتيرة انتشار الأنماط الاعتقادية القائمة على الميتافيزيقا والشعوذة، والتي يستند مروجوها إلى مغالطات معرفية مستمدة من علم التنجيم. ويسعى هذا التيار إلى إضفاء صبغة المعرفة الغيبية على تقديراته، من خلال ادعاء القدرة على الاستشراف المستقبلي والتنبؤ بالأحداث قبل وقوعها بناءً على حركات الأجرام. وتؤدي هذه الظاهرة إلى جملة من الآثار السوسيولوجية والنفسية الخطيرة، حيث تساهم في تغييب المنهجية العلمية، وتعطيل مبدأ السببية في التفكير الإنساني، مما يفتح الباب أمام استغلال العاطفة الشعبية لتحقيق مآرب نفعية.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١–نص الشبهة:

فيشير أصحاب الفكر الحداثي المعاصر باقتناع تام، وحوادث وقعت في الماضي عن طريق معرفة الغيب من خلال علم الفلك، مقلدين أمثال المنجم الفرنسي الشهير نوستراداموس[١]، والذي تشغل تنبؤاته الكثيرين خصوصا مع انتهاء العام ٢٠٢٢، والذي كان صعبا بالنسبة للعالم على مختلف الأصعدة. وكتب نوستراداموس في حياته ٦٣٣٨ توقعا، غطت السنوات حتى العام

---

[١] نوستراداموس أو ميشيل دي نوستراداام **Michel de Nostredame (14** ديسمبر أو ٢١ ديسمبر ١٥٠٣ – ٢ يوليو ١٥٦٦)، وعادة ما يسمى باسمه اللاتيني نوستراداموس **Nostradamus**، وهو صيدلاني ومنجم فرنسي. نشر مجموعات من النبوءات في كتابه **Propheties** («النبوءات»)،الطبعة الأولى في عام ١٥٥٥ وهى مشهورة في أنحاء العالم. ولكنها تنبؤات لم تحدث، وتعتبر من العلوم الكهانة الزائفة.**انظر:** تنبؤات نوستراداموس، لنوستراداموس، مكتبة مدبولي – القاهرة، الطبعة: الأولى،٢٠٠٠م.

٣٧٩٧، إلا أن ما ذكره بشأن السنة المقبلة ٢٠٢٣، لن يسّر كثيرين حسبما ذكرت صحيفة "ذا صن" البريطانية في تقرير سلّط الضوء على نبوءات الاسم المثير للجدل، والقلق بسبب توقعاته العابرة للأزمان، التي تحقق بعضها.

توقعات نوسترادراموس لعام ٢٠٢٣:

١-سيواجه العالم "حربا كبيرة" أخرى ودمارا اقتصاديا في عام ٢٠٢٣، وفقا لتوقعات عالم التنجيم في القرن السادس عشر. يأتي توقع نوسترادراموس وسط صراع متصاعد بين أطراف القوى في العالم، روسيا والعالم الغربي.

٢-الضوء على المريخ سوف ينطفئ".. هذا التوقع "المبهم" قد يرتبط بالرحلات المتزايدة من الأرض للمريخ، وقد يتعلق باكتشاف جديد، وفقا لصحيفة "ديلي ميل."

٣-سيرتفع مكيال الحنطة حتى يأكل الرجل رفيقه".. هذا التوقع المخيف بارتفاع الأسعار في ٢٠٢٣، يبدو واقعيا جدا، ومطابقا للتضخم المالي والأزمة الاقتصادية التي ندخل بها العام الجديد.

٤-ستصبح الأرض الجافة أكثر جفافا، وستكون هناك فيضانات عظيمة"، هذا التوقع واقعي أيضا، مع تفاقم أزمة المناخ، وازدياد الجفاف والحرائق، وتزايد الفيضانات حول العالم. أوروبا بالفعل شهدت أسوأ جفاف لها منذ ٥٠٠ عاما في عام ٢٠٢٢.

وحظيت نبوءات نوسترادراموس المدرجة في كتابه Les Propheties بشعبية كبيرة، خصوصا بعد نجاحه في توقع موعد الحرب العالمية الثانية، وصعود الزعيم النازي أدولف هتلر، وسقوط الشيوعية واغتيال الرئيس جون كينيدي، في تلميحات لهذه الشخصيات والأحداث.(١)

(١) انظر: توقعات دقيقة بشكل "مخيف" للمنجم نوسترادراموس حول ٢٠٢٣، موقع سكاى نيوز العربية،١-١-٢٠٢٣، www.skynewsarabia.com

٢-مضمون الشبهة:

- يُلمح أن المسلمين أو المفكرين المعاصرين يتأثرون بهذه النبوءات ويأخذونها على محمل الجد.
- يزعم أن التنجيم وعلم الغيب التاريخي يقدم تفسيرات دقيقة للمستقبل، وقد تتفوق هذه النبوءات على التوجيهات الدينية أو العلمية.

٣- هدف الشبهة:

- إثارة الشكوك حول قدرة الشرائع الإسلامية على التنبؤ بالمستقبل أو التعامل مع أحداث الحياة الكبرى.
- التشكيك في الفطرة العقلية للبشر عبر الإشارة إلى الاعتماد على التنجيم بدلاً من العقل والدين.
- التشويش على الثقة بالمصادر العلمية والدينية.

٤-مثارات النقد العقلي للشبهة:

- كيف يمكن لنبوءات غامضة مثل نوستراداموس أن تُعتبر دليلًا على معرفة الغيب؟
- التناقض بين كثرة التوقعات وعدد ما تحقق فعليًا منها.
- الاعتماد على مصادر غير موثوقة أو تفسير نصوص غامضة على نحو انتقائي.[١]

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المنجمين الذين قرروا معرفة الغيب من خلال علم الفلك.[٢]

---

[١] انظر: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)،(٤٠٥/٦)،المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

[٢] انظر: توقعات دقيقة بشكل "مخيف" للمنجم نوسترادادموس حول ٢٠٢٣، موقع سكاى نيوز العربية،١-١-٢٠٢٣، www.skynewsarabia.com

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** يستخدم بعض المستشرقين هذه النبوءات للترويج لفكرة أن الشعوب الشرقية أو المسلمين يميلون إلى الغيب والتنجيم.[١]
- **في الوسط الإسلامي:** أثارت بلبلة بين بعض القراء غير المتخصصين، لكنها قوبلت بنقد علمي وعقلي من علماء الدين والعقلاء الذين يوضحون أن التنجيم ليس مصدرًا موثوقًا للمعرفة.[٢]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- التنبؤات مبهمة وغامضة، يمكن تفسيرها بعد وقوع الحدث (تفسير رجعي).
- لا يمكن الاعتماد على نبوءة واحدة لإثبات معرفة الغيب.
- أغلب التوقعات العامة يمكن أن تنطبق على أحداث متعددة عبر التاريخ.[٣]

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- الكثير من توقعات نوستراداموس لم تتحقق أو لم تتحقق بدقة.

---

[١] انظر: توقعات دقيقة بشكل "مخيف" للمنجم نوستراداموس حول ٢٠٢٣، موقع سكاى نيوز العربية،١-١-٢٠٢٣، www.skynewsarabia.com

[٢] انظر: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)،(٦/٤٠٥).

[٣] انظر: شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى»، لمحمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي،(٢٢/٩٥)،مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي دار المنهاج، المملكة العربية السعودية – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

- التنبؤات التي تحققت غالبًا بعد تعديل التفسير وفق الأحداث، وهذا أسلوب شهير في تحليل النبوءات.[1]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين المنصفين أكدوا أن نبوءات نوسترادراموس غالبًا غامضة ومفتوحة للتأويل، ولا تُعتبر علمًا دقيقًا.[2]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس يعلم أن الغيب محفوظ لله وحده، والاعتماد على التنجيم أو النبوءات البشرية للتعرف على المستقبل يتعارض مع مفهوم توحيد الله والثقة في تدبيره:"وَقَالَ يُوشَعُ لِلرَّبِّ فِي يَوْمِ إِذْ أَعْطَاهُمُ الرَّبُّ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيل: شُرُوقَتِ الشَّمْسِ عَلَى الأَرْضِ وَتَقَدُّمُهَا عَلَى أَسَاسِ أَرْضِ الأَعْدَاءِ. فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، حَتَّى أَنْتَهَى الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ".[3]

---

[1] انظر: شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى»، لمحمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي،(٢٢/٩٥).

[2] Sarton, George Alfred Leon, cited in Charles and Dorothea Singer, George Sarton and the History of Science, Isis, vol. 48, no. 3 (Sep. 1957): 308.

سارتون، جورج ألفريد ليون، مذكور في تشارلز ودوروثيا سينغر، جورج سارتون وتاريخ العلم، مجلة إيزيس، المجلد ٤٨، العدد ٣ (سبتمبر ١٩٥٧): ٣٠٨.

[3] سفر يوشع ، الإصحاح ١٠ ، الآيه ١٢-١٣

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ويتبلور الرد في النقاط التالية:

أولاً: من الأمور المُسَلَّمْ بها عند المسلمين أنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله عز وجل: ومن نسب إلى شخص من الناس علم الغيب فقد خرج من ملة الإسلام بنص بكتاب الله تعالى وسنة رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وعلى ذلك دلت نصوص الوحي، قال تعالى﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[١]، وقال تعالى آمراً رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[٣]، وفي صحيح مسلم من حديث عائشة قالت: " وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٤]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ،

---

[١] سورة النمل، الآية، ٦٥

[٢] سورة الأنعام، الآية، ٥٠

[٣] سورة الأعراف، الآية، ١٨٨

[٤] سورة المائدة، الآية، ٦٧

فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[(١)].[(٢)]

ثانياً: التنبؤات بالأحداث المستقبلة إن كان مبنيًا على قراءة للواقع والأحداث الماضية والحالية، كتوقع انخفاض سلعة ما نتيجة لحدث ما فلا بأس به، فهذا لا يعتبر من باب ادعاء الغيب.

ثالثاً: أما يقوم به الكهنة والعرافون من الإخبار ببعض المغيبات أكثره من قبيل الظنون، فينظر مثلاً إلى علاقة متوترة بين دولتين فيقول: ستحدث حرب بينهما في خلال فترة كذا، ثم يقدر الله أن تحدث هذه الحرب فيغتر الناس بكلامه ويفتتون به، مع أن مثل هذا الأمر يتوقعه كل من له خبرة بالواقع.

أو يخبرك بشيء خاص بك لا يعلمه أكثر الناس، وهذا ليس أمراً مستغرباً، لأن الله تعالى يقول﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[(٣)]، **قال الإمام السدي–رحمه الله–[(٤)] في تفسير الآية:** للإنسان

[(١)] سورة النمل، الآية، ٦٥

[(٢)] صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ،(١٥٩/١برقم١٧٧)،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[(٣)] سورة الأنعام، الآية، ١١٢–١١٣

[(٤)] السُّدِّي(128 - 000)هـ = ٠٠٠ – ٧٤٥ م) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس. تابعي مُحدث ومُفسّر رمي بالتشيع، له تفسير يُسمى «تفسير السدي». توفي في عام ١٢٨ هـ. وهو

شيطان وللجني شيطان، فيلقى شيطان الإنس شيطان الجن، فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً".[(١)] و **قال الإمام النووي[(٢)]: الكهانة في العرب ثلاثة أضراب:**

أحدها: يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم بطل من حيث بعث النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

الثاني: أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده، لكنهم يصدقون ويكذبون، والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام.

الثالث: المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما، لكن الكذب فيهم أغلب، ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها..وهذه الأضراب كلها تسمى كهانة، وقد أكذبهم كلهم الشرع، ونهى عن تصديقهم، وإتيانهم".[(٣)]

ويدل على تحريم إتيان المنجمين وسؤالهم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ".[(٤)]

يختلف عن السدي الصغير، فهو حفيده محمد بن مروان الكوفي أحد المتروكين، كان في زمن وكيع بن الجراح.**انظر:** معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض،(١/٩٠).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،(٥٢/١٢).

(٢) سبق ترجمته، (صـ٧٤).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،(٢٢٣/١٤).

(٤) سنن ابن ماجه، أبواب التيمم ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ إِتْيَانِ الْحَائِضِ ،(٤٠٤/١برقم٦٣٨) **وهو حديث صحيح لغيره.انظر:** أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري،

المبحث الثالث

الحساب الفلكي في رؤية الهلال

شهدت الأوساط العلمية والشرعية في الآونة الأخيرة تصاعداً في حدة الجدل السوسيولوجي والفقهي حول تطبيقات علم الفلك المعاصر، وتحديداً في مسألة إثبات الأهلة عبر الحسابات الفلكية القطعية. وتتمحور جوهر الإشكالية حول مدى مشروعية الاعتماد على الحساب الفلكي كبديل أو متمم لعملية الرصد البصري التقليدية، حيث يتبنى تيار من المختصين والفقهاء رؤية نقدية مفادها أن النتائج الحسابية قد تعتريها بعض الهوامش التقديرية أو الثغرات التقنية الناتجة عن تباين المطالع أو تعقد العوامل الجوية، مما قد يؤدي –حسب تقديرهم– إلى وقوع الغلط في تحديد بدايات الشهور القمرية. وتضع هذه الإشكالية العلاقة بين المعطى العلمي التجريبي والمنزع الفقهي النصي أمام استحقاقات منهجية تتطلب التوفيق بين دقة الحساب وقطعية الرؤية.

يتمثل عرض الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: عرض الشبهة:

١–نص الشبهة:

وممن ينكر ذلك **وائل الدسوقي**[(١)]:"فمن عمل بالحساب الفلكي أو قدمه على الرؤية أو جمع بينهما فيكون قد صحح ما أبطله النبي صلى الله عليه وسلم وأثبت ما نفاه، ويكون قد اتبع غير سبيل المؤمنين".[(١)]

أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي،المجموعة الاولى،حرف الميم،(٧/٤٨٦٦–٤٨٦٧برقم ٣٤٨٤).

[(١)] وائل علي الدسوقي هو كاتب وباحث له عدة مؤلفات متعلقة بالفقه الإسلامي. من أبرز أعماله: كشف وإبطال حيل النصارى الضلال. بطلان العمل بالحساب الفلكي في الصوم والإفطار.تحفة الأطفال والغلمان في

٢–مضمون الشبهة:

- يشكك الشبهة في صحة استخدام الحساب الفلكي ويعتبره خلافًا لتعليمات النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.
- تُلمح الشبهة إلى أن الرؤية الشرعية للهلال يجب أن تكون بالعين المجردة فقط، وأن الاعتماد على الحساب الفلكي هو خطأ ديني.

٣–هدف الشبهة:

- التشكيك في شرعية الحساب الفلكي في تحديد أوقات الشهور الهجرية.
- التشويش على جمهور العلماء الذين يستخدمون الحساب الفلكي لتسهيل الرؤية ودقة تحديد المناسبات الدينية.

٤–مثارات النقد العقلي للشبهة:

- كيف يمكن اعتبار الحساب الفلكي خلافًا للدين بينما يعتمد على العلم والمعرفة؟
- هل اتباع الحساب الفلكي فعلاً يناقض السنة النبوية أم أنه أداة لتعزيز الرؤية الشرعية؟
- التناقض بين الثابت العلمي للحساب والفعل الشرعي للرؤية.[٢]

تجويد القرآن مع حاشية الدسوقي.تحريم مشاركة الكفار من أهل الكتاب والمشركين في أعيادهم أو تهنئتهم بها.إعجاز القرآن ونقض مطاعن عبدة الصلبان.أذكار الجهاد و الدعاء على الكفار الصحيحة. انظر: موقع كتاب بديا.

(١) بُطلانِ العملِ بالحسابِ الفلكيِّ في الصومِ والإفطارِ ، وبيانِ ما فيه مِنْ مفاسدَ ، ووجوبِ العملِ بالرؤيةِ الشرعيةِ الثابتةِ عن خيرِ البريَّةِ _ صلى الله عليه وسلم _ من أربعينَ وجهًا، لوائِلُ بنُ عَلِيٍّ الدِّسُوقِيّ، (صـ٣)، شاملة المجلس العلمي لشبكة الألوكة، الطبعة : الثالثة ، رمضان ١٤٣٠ هـ .

[٢] انظر: إرشاد أهل الملة في إثبات الأهلة، لمحمد بخيت المطيعي،(صـ٢٩٠)، مطبعة كردستان العلمية–مصر، ١٣٢٩ هـ.

٥-مصادر الشبهة:

- يُنسب مصدر هذه الشبهة إلى بعض المتشددين الذين أبطلوا فاعلية الحساب الفلكي مع الرؤية الشرعية للهلال.[١]

٦-أثر الشبهة في الوسطين الاستشراقي والإسلامي:

- **في الوسط الاستشراقي:** يستخدم بعض المستشرقين هذا الجدل لتوضيح النزاع بين التقليد والتحديث في العالم الإسلامي، ويشيرون إلى الخلافات حول التوفيق بين الشرع والعلم الحديث.[٢]
- **في الوسط الإسلامي:** أثارت جدلاً بين العلماء التقليديين والمحدثين حول الاعتماد على الحساب الفلكي. بعض الفرق يرون أن الرؤية الفلكية تخالف السنة، بينما رأى آخرون أنها مكملة ودقيقة.[٣]

ثانياً: نقد الشبهة:

١ – نقد الشبهة في ضوء العقل والمنطق:

- الحساب الفلكي يعتمد على علم الفلك والرياضيات الدقيقة، ويتيح معرفة أوقات الهلال قبل ظهوره بالعين.
- التمسك بالرؤية فقط قد يؤدي إلى أخطاء في تحديد بداية الشهر، بينما الحساب يحقق الدقة واليقين.[١]

---

[١] انظر: بُطلانِ العملِ بالحسابِ الفلكيِّ في الصومِ والإفطارِ ، وبيانِ ما فيه مِنْ مفاسدَ ، ووجوبِ العملِ بالرؤيةِ الشرعيةِ الثابتةِ عن خيرِ البريَّةِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أربعينَ وجهًا، لوائِلُ بنُ عَلِيٍّ الدِّسُوقِيّ، (صـ٣).

[٢] انظر: بُطلانِ العملِ بالحسابِ الفلكيِّ في الصومِ والإفطارِ ، وبيانِ ما فيه مِنْ مفاسدَ ، ووجوبِ العملِ بالرؤيةِ الشرعيةِ الثابتةِ عن خيرِ البريَّةِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أربعينَ وجهًا، لوائِلُ بنُ عَلِيٍّ الدِّسُوقِيّ، (صـ٣).

[٣] انظر: إرشاد أهل الملة في إثبات الأهلة، لمحمد بخيت المطيعي،(صـ٢٩٠).

٢- نقد في ضوء الواقع والتاريخ والأثرية:

- علماء المسلمين عبر التاريخ مثل الخوارزمي والبيروني وابن يونس استخدموا الحساب الفلكي لتحديد مواقيت الصلاة والشهور.
- الحساب الفلكي لم يكن أبدًا منفصلًا عن الشرع، بل مكّن العلماء من تحديد الهلال بدقة عالية خاصة في المسافات البعيدة.[٢]

٣- شهادات المنصفين من المستشرقين والغربيين:

- بعض المستشرقين المنصفين أكدوا أن أشاروا إلى أن المسلمين لديهم علم فلكي متقدم جدًا في العصور الوسطى، مما يعكس قدرة المسلمين على الدمج بين المعرفة العلمية والشرعية.[٣]

٤- نقد الشبهة في ضوء الكتاب المقدّس:

الكتاب المقدس لا يذكر رؤية الهلال، لكنه يضع مواقيت الشهور على أساس أطوار القمر:" جَعَلَ الشُّهْرَاتِ لِمَوَاقِيتِهِمْ، وَالشَّمْسَ تَعْرِفُ مَغَارِبَهَا".[٤] هذا يدل على أن استخدام الحساب لتحديد الأشهر القمرية ليست مخالفة للشرع السماوي بل وسيلة علمية لتطبيقه بدقة.

---

[١] انظر: فتاوى السبكي، لأبى الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ)،(٢٠٩/١-٢١٧)،دار المعارف.

[٢] انظر: فتاوى السبكي، لأبى الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ)،(٢٠٩/١-٢١٧).

[٣] Sarton, George Alfred Leon, cited in Charles and Dorothea Singer, George Sarton and the History of Science, Isis, vol. 48, no. 3 (Sep. 1957): 308.

سارتون، جورج ألفريد ليون، مذكور في تشارلز ودوروثيا سينغر، جورج سارتون وتاريخ العلم، مجلة إيزيس، المجلد ٤٨، العدد ٣ (سبتمبر ١٩٥٧): ٣٠٨.

[٤] سفر المزامير ، الإصحاح ١٠٤ ، الآيه ١٩

٥- نقد الشبهة في ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي:

ويتلخص الرد من خلال النقاط الآتية:

أولاً: أن هناك خلطاً بين العرافة والتنجيم وبين حساب النجوم الذي هو علم الفلك: فعلم الفلك حتى لو كان قديمًا قد اختلط بالعرافة والكهانة عند المشتغلين به، فإنه الآن منفصل عنهما تمامًا، وأصبح أمره متعلقًا بمراصد حديثة مبنيًّا على علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء.

ثانياً: أن علم النجوم القديم ليس مذمومًا بإطلاق: قال الإمام المرغيناني الحنفي(١): [علم النجوم في نفسه حسنٌ غير مذموم؛ إذ هو قسمان: حسابي، وإنه حق، وقد نطق به الكتاب؛ قال الله تعالى: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ ﴾ (٢)، أي: سيرهما بحساب، واستدلالي بسير النجوم وحركة الأفلاك على الحوادث بقضاء الله تعالى وقدره، وهو جائز، كاستدلال الطبيب بالنبض من الصحة والمرض، ولو لم يعتقد بقضاء الله تعالى أو ادعى الغيب بنفسه يكفر] . (٣)

ثالثاً: أن المذموم من علم النجوم القديم إنما ذُمَّ لعلل ليست موجودةً في علم الفلك الحديث: قال حجة الإسلام الإمام الغزالي(٤): [وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه: **أحدها: أنه مضرٌّ بأكثر الخلق؛**

---

(١) عماد الدين أبو بكر بن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني الحنفي ابن صاحب "الهداية"، ووالد صاحب "الفصول العمادية" تفقه على أبيه وأخذ عن القاضي ظهير الدين البخاري فصار مرجوعاً إليه في الفتوى، وله كتاب "أدب القاضي" تفقه عليه ولده زين الدين. ذكره في "الكتائب".**انظر**: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)،(١/٨٢برقم١٧٢).

(٢) سورة الرحمن، الآية، ٥

(٣) رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)،(١/٤٤)،دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٤) سبق ترجمته، (صـ٥١٧).

فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة؛ لأنها جواهر شريفة سماوية، ويعظم وقعها في القلوب، فيبقى القلب ملتفتًا إليها ويرى الخير والشر محذورًا أو مرجوًّا من جهتها.

وثانيها: أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقينًا ولا ظنًّا، فالحكم به حكم بجهل، فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم، فلقد كان ذلك معجزةً لإدريس عليه السلام فيما يحكى، وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق، وما يتفق من إصابة المُنَجِّم على ندور فهو اتفاق؛ لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر معرفة حقائقها، فإن اتفق أنْ قَدَّرَ اللهُ تعالى بقيةَ الأسباب وقعت الإصابة، وإن لم يقدر أخطأ، ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال، فيتحرك ظنه بذلك، وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم، وربما يكون بخلافه، ومجرد الغيم ليس كافيًا في مجيء المطر، وبقية الأسباب لا تدرى، ولهذه العلة يمنع القول عن النجوم أيضًا.

وثالثها: أنه لا فائدة فيه، فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا يغني، وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان في غير فائدة، وذلك غاية الخسران].(١)

رابعاً: الحساب الفلكي القطعي لا يمكن أن يعارض الرؤية الصحيحة: فقد تقرَّر شرعًا أن القطعي مقدَّم على الظني، أي أن الحساب القطعي لا يمكن أن يعارض الرؤية الصحيحة؛ ولذلك قال الإمام المجتهد التقي السبكي(٢):[لا نقول: الشرع ألغى قول الحساب مطلقًا، والفقهاء قالوا: لا يعتمد، فإن ذلك إنما قالوه في عكس هذا، وهذه المسألة المتقدمة التي حكينا فيها الخلاف، أما هذه المسألة فلا، ولم أجد في هذه نقلًا، ولا وجهَ فيها للاحتمال غير ما ذكرته... ولا يُعتقد أن الشرع

---

(١) إحياء علوم الدين، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،(٢٩/١).

(٢) سبق ترجمته، (ص٥٤٦).

أبطل العمل بما يقوله الحساب مطلقًا، فلم يأتِ ذلك، وكيف والحساب معمول به في الفرائض وغيرها، وقد ذكر في الحديث الكتابة والحساب، وليست الكتابة منهيًّا عنها، فكذلك الحساب، وإنما المراد ضبط الحكم الشرعي في الشهر بطريقين ظاهرين مكشوفين: رؤية الهلال أو تمام ثلاثين، وأن الشهر تارة تسع وعشرون وتارة ثلاثون، وليست مدة زمانية مضبوطة بحساب كما يقوله أهل الهيئة، ولا يعتقد الفقيه أن هذه المسألة هي التي قال الفقهاء في كتاب الصيام: إن الصحيح عدم العمل بالحساب؛ لأن ذلك فيما إذا دل الحساب على إنكار الرؤية، وهذا عكسه، ولا شك أن من قال هناك بجواز الصوم أو وجوبه يقول هنا بالمنع بطريق الأولى، ومن قال هناك بالمنع فها هنا لم يقل شيئًا، والذي اقتضاه نظرنا المنع، فالمنع هنا مقطوع به، ولم نجد هذه المسألة منقولةً، لَكِنَّا تفقهنا فيها، وهي عندنا من محال القطع مترقية عن مرتبة الظنون..ثم قال: قد يحصل لبعض الأغمار والجهال توقفٌ فيما قلناه، ويستنكر الرجوع إلى الحساب جملةً وتفصيلًا، ويجمد على أن كل ما شهد به شاهدان يثبت، ومَن كان كذلك لا خطاب معه، ونحن إنما نتكلم مع من له أدنى تبصر، والجاهل لا كلام معه] . (١)

وقال الإمام القليوبي(٢): عن الإمام ابن قاسم العبَّادي(٣)من قوله: [إذا دلَّ الحساب القطعي على عدم رؤية الهلال لم يُقبَل قولُ العدول برؤيته، وتُرَدُّ شهادتُهم]. (١)

---

(١) فتاوى السبكي، لأبى الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ)،(١/٢٠٩-٢١٧).

(٢) القَلْيُوبي(1069 - 000)هـ = ٠٠٠ - ١٦٥٩ م) أحمد بن أحمد بن سلامة، أبو العباس، شهاب الدين القليوبي: فقيه متأدب، من أهل قليوب (في مصر) له حواش وشروح ورسائل، وكتاب في تراجم جماعة من أهل البيت سماه (تحفة الراغب - ط) و (تذكرة القليوبي - ط) طب، ورسالة في (فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس وشئ من تاريخها - خ) في ٧٠ ورقة،وغيرهم.**انظر**: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(١-٩١-٩٢).

(٣) ابن قَاسِم (٠٠٠ - ٩٩٢ هـ = ٠٠٠ - ١٥٨٤ م) أحمد بن قاسم الصبّاغ العبّادي ثم المصري الشافعيّ الأزهري، شهاب الدين: فاضل من أهل مصر. له حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه سماها

خامساً: تُرَدُّ الشهادة عند تعارضها مع الحساب الفلكي حتى وإن لم يكن الحساب قطعيًّا بل كان قريبًا من القطعي؛ لأن الظن الغالب بعدم ضبط الشاهد لما يرى: وفي ذلك يقول الإمام محمد بخيت المطيعي[٢]:[إذا رُدَّت الشهادة عندما يكون التفرد مظنة الغلط أو الكذب، وذلك عندما يرى الهلالَ جمعٌ قليل دون أضعافهم –وهذا منصوصٌ عليه في مذهب السادة الحنفية والمالكية كما سيأتي– فكيف لا ترد إذا وجد دليل قاطع أو قريب من القاطع على عدم إمكان الرؤية! لا شك أن عدم قبول الشهادة هنا أولى؛ لأنه إذا رأى القليل ولم يره أضعافهم فعدم رؤية أضعافهم يوجب غلبةَ الظن بغلط القليل أو كذبه في دعواه الرؤية، وأما هنا فالدليل قاطعٌ أو قريب منه على ذلك، كيف وقد جعلوا من شروط إفادة الخبر المتواتر العلم للسامع أن لا يكون السامع معتقدًا لنقيض ما يقتضيه الخبر إما لشبهةٍ أو تقليدٍ أو اعتقاد، فإذا كان هذا هو حال الخبر المتواتر فكيف بغيره؟ وحينئذٍ إذا قبل القاضي شهادة مَن شهد عنده برؤية الهلال مع دلالة الحساب القطعي أو القريب منه على عدم إمكان الرؤية كان ذلك على خلاف ما يعتقده، ولذلك قال السبكي: إنه أخرق، وليس

(الآيات البينات – ط) مجلدان، و (شرح الورقات لإمام الحرمين – خ) و (حاشية – خ) على شرح المنهج، منها خمسة أجزاء، في الظاهرية بدمشق. ومات بمكة مجاورا.**انظر**: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،(١/١٩٧-١٩٨).

[١] التجريد لنفع العبيد = حاشية البجيرمي على شرح المنهج (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، لسليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: ١٢٢١هـ)،(٢/٦٤)،مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

[٢] محمد بخيت بن حسين المطيعي .(١٢٧١ - ١٣٥٤ هـ) فقيه ومفسر أصولي وفيلسوف من علماء الأزهر الأعلام ومن أبرز فقهاء القرن العشرين. كان مفتي الديار المصرية وواحد من كبار فقهائها، وترك مؤلفات عدة في علم الفقه. ولد بصعيد مصر في ١٠ من المحرم سنة ١٢٧١ هـ الموافق سنة ١٨٥٤ م، من كتبه: شرح جمع الجوامع في أصول الفقه. القول الجامع في الطلاق البدعي والمتتابع،توفي في ٢١ من رجب عام ١٣٥٤ هـ، الموافق ١٨ أكتوبر ١٩٣٥ م.**انظر**: الأزهر في ألف عام، لمحمد عبد المنعم خفاجي،(صـ٩٧-٩٩)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، عام ٢٠٠٩.

هذا من قبيل معارضة الحساب للشهادة حتى يقال: يُعمَل بالشهادة دون الحساب، بل إن ذلك من قبيل وجود دليلٍ عند القاضي المشهود عنده اعتقد بموجبه خطأ الشاهد أو كذبه؛ فإن حساب الحاسب العدل الراسخ في الفن إذا دلَّ على عدم إمكان الرؤية أوجب غلبة الظن بغلط الشاهد أو كذبِهِ بلا شبهة، فكيف يستطيع القاضي أن يقبل مع هذا شهادة هذا الشاهد؟].[١]

والشهادة التي تعارض الحساب الفلكي الآن هي شهادةٌ على أمرٍ مستحيلٍ حِسًّا؛ لأن الحساب الفلكي القطعي أصبح أمرًا حسيًّا: وهذا ما يشير إليه كلام الإمام الهيتمي[٢]: [الذي يتجه منه أن الحساب إن اتفق أهله على أن مقدماته قطعية، وكان المخبرون منهم بذلك عدد التواتر رُدَّت الشهادة، وإلا فلا، وهذا أولى من إطلاق السبكي إلغاء الشهادة إذا دلَّ الحساب القطعي على استحالة الرؤية وإطلاق غيره قبولها وأطال كل لما قاله بما في بعضه نظر للمتأمل]. [٣]

سادساً: ولذلك اتفقت المؤتمرات الفقهية على الاستئناس بالحسابات الفلكية القطعية مع الاعتماد على الرؤية البصرية الصحيحة، وهذا يعني أن الحساب ينفي ولا يثبت، وأنه يُعَدُّ تهمةً للرائي الذي يدعي خلافه، **وهذا ما قرره مجمع البحوث الإسلامية**[٤]: بشأن تحديد أوائل الشهور القمرية: أن الرؤية هي الأصل في معرفة دخول أي شهر قمري كما يدل عليه الحديث الشريف، فالرؤية هي الأساس، لكن لا يعتمد عليها إذا تمكنت منها التُّهَم تَمَكُّنًا قويًّا، وأن ثبوت رؤية الهلال يكون بالتواتر والاستفاضة، كما يكون بخبر الواحد ذَكَرًا كان أو أنثى، إذا لم تتمكن التهمة في إخباره بسبب من الأسباب التي منها مخالفة الحساب الفلكي الصادر ممن يوثق به.

---

[١] إرشاد أهل الملة في إثبات الأهلة، لمحمد بخيت المطيعي،(صـ٢٩٠).

[٢] سبق ترجمته، (صـ٤٠٠).

[٣] تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي،(٣/٣٨٢).

[٤] مجمع البحوث الإسلامية ، المؤتمر الثالث– القاهرة، المنعقد في الفترة من: (٣٠ سبتمبر إلى ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٦م)

الخاتمــة

الحمد لله الذي أتم عليَّ نعمه، ووالى عليَّ مننه، وأعانني فأكملت هذا الكتاب بهذه الصورة التى أرجو أن أنال بها رضاه، والصلاة والسلام على خاتم رسله، وخير خلقه سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فإن الدعوة إلى الله عز وجل شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فهي المهمة العظمى لكل مسلم، فالإسلام هو رسالة الله تعالى الخالدة، وهو الدين الذى اختتمت به جميع الرسالات السماوية، ومحيت به كل الضلالات.

ومن خلال دراستي لقضايا الإسلام في كتابات المستشرقين، أقف في نهاية هذه الدراسة لأذكر ما أمكنني الخلاصة من نتائج وتوصيات:

أولاً: النتائج:

١-تعزيز الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، حيث ساهمت الردود العلمية في تصحيح المفاهيم المغلوطة التي نشرها المستشرقون حول رسول الإسلام - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

٢-كشف الأخطاء المنهجية في دراسات المستشرقين، حيث كشفت عن التحيزات الفكرية التي أثرت على دراساته، في مواضيع كثيرة.

٣–تقوية الهوية الإسلامية وتعزيز الثقة بالنفس من خلال كشف مغالطات المستشرقين، مما ساهم في التمسك بالإسلام بطريقة واعية ومبنية على الحجة، وعزز مناعة المسلمين أمام حملات التشكيك والتغريب الفكري التي تستهدف زعزعة العقيدة.

٤–تمت الإشارة إلى دور الشريعة الإسلامية في تحقيق العدالة الاجتماعية والاستقرار النفسي، مما دحض مزاعم المستشرقين بأن الفقه الإسلامي جامد أو متشدد.

٥–الكشف التحيزات الاستشراقية في دراسة الفقه، فبعضهم اجتزأ النصوص الشرعية أو أغفل السياقات التاريخية والاجتماعية التي نشأت فيها الأحكام الفقهية، ففسروها بمعايير غير إسلامية.

٦–دعم مرونة الفقه الإسلامي في مواكبة العصر، حيث بين الباحث أن الفقه الإسلامي ليس متحجرًا بل يمتلك أدوات تجعله قادرًا على التطور.

٧–تصحيح المفاهيم المغلوطة حول اللغة العربية لاسيما الأدب العربي، فأوضحت الردود أن المستشرقين نظروا إلى الأدب العربي من منظور استشراقي، مما جعلهم يركزوا على جوانب معينة ويتجاهلوا جوانب أخرى.

٨–تصحيح المفاهيم الخاطئة حول مساهمة المسلمين في علم الفلك، حيث فنّد الباحث ردود ادعاءات المستشرقين فى أن المسلمين كانوا مجرد نقلة للعلوم الفلكية دون إضافة، وأثبتُ أنهم طوروا نظريات فلكية جديدة، وأدخلوا تعديلات جوهرية على أعمال اليونانيين والهنود.

٩-تم دعم الردود بأدلة من العلوم الحديثة، مثل الحديث عن انسجام العقيدة الإسلامية مع العلم في قضايا مثل دوران الأرض.

١٠- تقديم الأدلة العقلية والنقلية للرد على شبهات المستشرقين المتعلقة بكتاباتهم في قضايا الإسلام.

ثانياً: التوصيات:

١- يجب على الأكاديميات الإسلامية رصد شبهات المستشرقين والرد عليها.

٢- ينبغى على الباحثين تتبع الشبهات الاستشراقية ومناهج المستشرقين.

٣- يجب على الباحثين التأكد أن أقوال المستشرقين لاتعد أدلة صحيحة، وأنها مجرد فرضيات لا تثبت أمام البحث التاريخي والنقد الموضوعي.

٤- أوصي الباحثين بربط حياتهم ماهو نظري منها إلى ماهو عملي بالقرآن الكريم، فمن خلال بحثي ظهر لي أن القرآن الكريم كان من أهم المقومات التى ساعدت الباحث في نجاح رسالته، والرد على شبهات المشككين في الإسلام.

٥- أوصي الباحثين الإلتزام بمنهج النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه رضوان الله عليهم في الدعوة إلى الله عز وجل، بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي الختام أقول:

إنه مهما يكن من أمر، فإن التقصير فيه وارد، غير أني أحسب أني قد بذلت جهداً أودعت فيه ما قمت بدراسته لقضايا الإسلام في كتابات المستشرقين، مما تبيَّن لي أن المستشرقين ليسوا على نهجٍ واحدٍ، فمنهم المتعصب، ومنهم المنصف، ومنهم المستشرقين محل البحث مالهم وماعليهم.

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: التفسير وعلومه

١- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ،المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٣- تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٤- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٦- مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، دار القلم - دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

٨- إعجاز القرآن للباقلاني، لأبى بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

٩- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ،دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

١٠- زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

١٢- تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١٣- التفسير والمفسرون، لمحمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٤- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ،الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

١٥- البحر المحيط في التفسير، لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ،المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٦- روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١ م.

١٧- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لمحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: ٥٨١هـ)، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة،الطبعة: الأولي، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

١٨- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٩- البرهان في علوم القرآن، لأبى عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

٢٠- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

ثالثاً: الحديث ومصطلحه

٢١- صحيح البخاري=الجامع الصحيح المختصر،لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

٢٢- صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)،مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة الأستاذ هاشم محمد علي مهدي المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة،دار المنهاج - دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م.

٢٣- مسند الإمام أحمد، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق العلامة: أحمد محمد شاكر،دار الحديث – القاهرة، الطبعة : الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني،(المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٥- أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري لأبى حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي، المحقق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبى الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٢٧- الجامع الكبير - سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)،المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.

٢٨- المسند الجامع،حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

٢٩- سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٣٠- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٢- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد، لمحمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع، مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٣- المستدرك على الصحيحين، لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٣٤- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف

على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

٣٥- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، لصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٦.

٣٦- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (المتوفى: ٦٥٠ هـ)، حققه إبراهيم إسماعيل الأبياري، راجعه محمد خلف الله أحمد، ، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١ م.

٣٧- صحيح وضعيف تاريخ الطبري، للإمام أبو جعفر بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، حققه وخرج رواياته وعلق عليه: محمد بن طاهر البرزنجي، إشراف ومراجعة: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

٣٨- سنن أبي داود، لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٣٩- السنن الكبير، لأبى بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ)، ،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

٤٠- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، كتاب السّير، الحَدِيث السَّادِس بعد الْخمسين،المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م .

٤١- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

٤٢- فتح الباري، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)،المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

٤٣- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبى بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)،المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

٤٤- شرح السنة، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، كتاب الْفَضَائِل، بَاب جَامع صِفَاته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –،، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٥- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين،،دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٤٦- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٤٧- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ – ١٤٣٦ هـ).

٤٨- فتح الباري، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

٤٩- سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، لابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، أَبْوَابُ السُّنَّةِ ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ،المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

٥٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

٥١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

٥٢- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، دار المنهاج – دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م

٥٣- تأويل مختلف الحديث، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل بيروت = مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى سنة١٣٩٣ هـ.

٥٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٥٥- غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ – ٢٨٥]،المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٦- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)،المحقق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥٧- شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى»، لمحمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي دار المنهاج، المملكة العربية السعودية – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م.

رابعاً: السيرة النبوية:

٥٨- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ) ،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٥٩- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٦٠- السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م

٦١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ.

٦٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٦٣- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ - ١٩٩٦

٦٤- فقه السيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، جامعة أم القرى، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م

٦٥- السيرة النبوية،لابن هشام، دار المعرفة–بيروت.

٦٦- السيرة النبوية،لابن كثير، دار الفكر.

٦٧- السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، لوليد بن بليهش العمرى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٦٨- حياة محمد، لكارلو ألفونسو نالينو، منشورات المعهد الشرقي، روما، ١٩٤٦م.

٦٩- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، للدكتور رؤوف شلبي،دار القلم، الطبعة: الثالثة.

٧٠- السيرة النبوية،لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦ م

٧١- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، لعبد الشافى محمد عبد اللطيف، دار السلام – القاهرة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٨ هـ.

٧٢- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، لعبد الشافى محمد عبد اللطيف، دار السلام – القاهرة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٨ هـ.

٧٣- فقه السيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، جامعة أم القرى، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م.

٧٤- السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ) ،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٤٢٧هـ

٧٥- صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، تقديم: د. عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٧٦- البداية والنهاية لابن كثير،،تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦ م.

٧٧- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ،تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦م.

٧٨- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) ، دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧ هـ

٧٩- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة(قراءة جديدة)، لأبي عمر، محمد بن حمد الصوياني، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٨٠- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – – والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٨١- المنهج الحركى للسيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ) ،مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء، الطبعة: السادسة، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م

٨٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٨٣- البداية والنهاية، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

٨٤- شرح الشفا، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

٨٥- آيات عتاب المصطفى – – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – – في ضوء العصمة والاجتهاد، لعويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة حرسها الله تعالى، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٨٦- ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، لمحمد بن عبد الله العوشن، دار طيبة.

٨٧- حياة محمد، لمحمد حسين هيكل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٥م.

٨٨- دراسات في السيرة النبوية، لعماد الدين خليل، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.

٨٩- القول المبين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١هـ)، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

٩٠- السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، لمحمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي، رسالة دكتوراة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة، إشراف: الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

٩١- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ

٩٢- السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبويَّةِ، للدكتور/. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م.

٩٣- السيرة النبوية لابن هشام،،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

٩٤- الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، ،دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى.

٩٥- رجال من التاريخ، لعلى الطنطاوى دار المنارة-جدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٩٦- فقه السيرة النبوية لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، جامعة أم القر، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م

٩٧- دراسات في السيرة النبوية، لعماد الدين خليل، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.

٩٨- الفصول في السيرة، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

٩٩- خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥ هـ.

١٠٠- حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد حسين هيكل(المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار المعارف،١٩٧٧م.

١٠١- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبو شهبة (١٤٢٧)،دمشق:دار القلم، الطبعةالثامنة.

١٠٢- أول دستور مكتوب في العالم – وثيقة المدينة المنورة، لمحمد حميد الله، ص ١٠–٢٥ في طبعة باريس ١٩٤١. المنهج الحركى للسيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء الطبعة: السادسة، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

١٠٣- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ.

١٠٤- إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم، لحسن بن محمد المشاط المالكي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، دار المنهاج – جدة، الطبعة: الثانية – ١٤٢٦ هـ

١٠٥- الإسلام والإستبداد السياسي، لمحمد الغزالي، دار نهضة مصر ، الطبعة: الأولي.

١٠٦- كِتَابُ الْجِهَادِ، وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

١٠٧- من معارك الإسلام الفاصلة، لمحمد بن أحمد باشميل، المكتبة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٠٨- من معارك الإسلام الفاصلة، لمحمد بن أحمد باشميل، المكتبة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٠٩- السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ)،تحقيق: مصطفى السقا [ت ١٣٨٩ هـ]- إبراهيم الأبياري [ت ١٤١٤ هـ]- عبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م.

١١٠- سيرة عمر بن الخطاب، للدكتور/ محمد على الصلابي، دار الإيمان، الاسكندرية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١١١- السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

١١٢- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣م.

١١٣- المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩

١١٤- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ)، دار الفيحاء – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٢٥ هـ

١١٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، ذِكْرِ طَوَائِفَ مِنْ جَمَاهِيرِ النُّسَّاكِ وَالْعُبَّادِ ، وَرَوَى مِسْعَرٌ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ السُّدِّيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ نَشِيطٍ، السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١١٦- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

١١٧- فقه السيرة، لمحمد الغزالي السقا(المتوفى: ١٤١٦هـ)، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

١١٨- السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثيْنَ فِيْ نَقْدِ روَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ، لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

١١٩- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي،(صـ٤٤٣-٤٥٣)،دار الفكر – دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ هـ

١٢٠- اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية»، لموسى بن راشد العازمي، تقريظ: الدكتور محمد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

١٢١- السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثيْنَ فِيْ نَقْدِ روَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ، لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

١٢٢- القول المبين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١هـ)، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

١٢٣- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

١٢٤- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون- ١٤٢٦ هـ.

١٢٥- السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ.

١٢٦- جوامع السيرة النبوية، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢٧- الدرر في اختصار المغازي والسير، للنمري، الحافظ يوسف بن البر، المحقق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ

١٢٨- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٧ هـ.

١٢٩- جوامع السيرة النبوية، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣٠- السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ.

١٣١- السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد[ت: ٢١٣هـ]، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

١٣٢- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار القلم – دمشق،الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ

١٣٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء – عمان، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ.

١٣٤- دراسة في السيرة، لعماد الدين خليل، دار النفائس – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٤٢٥ هـ.

١٣٥- مواقف النبي – صلى الله عليه وسلم – في الدعوة إلى اللَّه تعالى، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

١٣٦- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، ترجمة: د. محمود شاكر، دار النفائس.

١٣٧- دلائل النبوة، لإسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) ،المحقق: محمد محمد الحداد، دار طيبة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.و وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، لأحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس القسنطيني، ابن قنفذ (المتوفى: ٨١٠هـ)،المحقق: سليمان العيد المحامي، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

١٣٨- الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، لحسين حسينى معدى (المتوفي: معاصر)، دار الكتاب العربى – دمشق، الطبعة: الأول – ١٤١٩.

١٣٩- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار ،دار الفكر – بيروت،الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

١٤٠- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٧ هـ

خامساً: كتب اللغة:

١٤١- معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

١٤٢- معجم الغنى، لعبد الغني أبو العزم، دار الكتب العلمية ،الطبعة : الأولي، ٢٠١٣م.

١٤٣- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ،المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٤٤- قاموس المورد، لمنير البعلبكي، كلمة : المستشرق ، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨٥م).

١٤٥- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، القاهرة.

١٤٦- معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

١٤٧- الكامل للمبرد، لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٤٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير(المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،

١٤٩- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، لمحمد حسن حسن جبل، مادة برح، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

١٥٠- المخصص، لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، السَّحابُ الذي لا ماءَ فيهِ، المحقق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٥١- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة:(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ،باب: النون،دار الدعوة .

١٥٢- التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، فصل: الألف، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة ،الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٥٣- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

١٥٤- المحكم والمحيط الأعظم، لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥٥- العمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري،تحقيق: عبد الله أحمد جاجة، تقديم: محمد علي سلطاني، دار اليمامة للطباعة والنشر– دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ

١٥٦- جامع العلوم والحكم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، دار المعرفة بيروت/ الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ

١٥٧- تهذيب الأسماء واللغات، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٥٨- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، مادة عزل، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.

١٥٩- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

١٦٠- الجاسوس على القاموس، لأحمد فارس أفندي، صاحب الجوائب، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ١٢٩٩ هـ.

١٦١- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦٢- القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(المتوفي: ٨١٧هـ)، تحقيق:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٦٣- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفي: ٣٧٠هـ)، (بَاب الْهَاء وَالْقَاف مَعَ الْفَاء)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

١٦٤- القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(المتوفي: ٨١٧هـ)، مؤسسة فن الطباعة.

١٦٥- البارع في اللغة، لأبى علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ) ،المحقق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م

١٦٦- تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، لكارلو ألفونسو نالينو، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م .

١٦٧- في الأدب الحديث، لعمر الدسوقي، دار الفكر العربي، الطبعة: الجزء الأول ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م

١٦٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) ،المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت .

١٦٩- معجم متن اللغة، لأحمد رضا، (٣/٤٧٤)، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م

١٧٠- أبجد العلوم، لأبى الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)،دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م .

١٧١- تاريخ الأدب العربي، للدكتور شوقي ضيف،(٣/٣٩٨)،دار المعارف - مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م.

١٧٢- ديوان على بن أبي طالب كرم الله وجهه، جمع وترتيب عبد العزيز كرم، الطبعة: الأولى،١٩٨٨م.

١٧٣- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق د إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

١٧٤- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

١٧٥- فقه اللغة، لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ٢٠٠٥م.

١٧٦- تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي.

١٧٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

سادساً: كتب التراجم والطبقات:

١٧٨- معجم أسماء المستشرقين، يحيي مراد، دار الكتب العلميية، بيروت،لبنان، ٢٠٠٤م.

١٧٩- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة ، ٢٠٠٢ م.

١٨٠- الموسوعة العربية الميسرة، لمجموعة مؤلفين، المكتبة العصرية ببيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م.

١٨١- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٨٢- معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الدكتور/ فانيامبادي عبد الرحيم، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

١٨٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند،ن الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

١٨٤- الواضح الأسفر في ترجمة الشيخ محمد سليمان الأشقر، لعبد العزيز أحمد العباد، (صـ١-٢، ١٥)، ٢٠١٩ م.

١٨٥- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبد الله بن حميد النجدي ثم المكي (المتوفى: ١٢٩٥ هـ)،(٣/١١٣١-١١٣٣برقم٧٦٦)،حققه وقدم له وعلق عليه: بكر بن عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١٨٦- دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)،(٤٤٨/١)،عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

١٨٧- طبقات الشافعيين، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ،تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

١٨٨- طبقات النسابين، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، دار الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٨٩- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

١٩٠- البداية والنهاية، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

١٩١- تاريخ بغداد وذيوله،لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،دار الكتب العلمية - بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

١٩٢- تحفة اللبيب بمن تكلم فيهم الحافظ ابن حجر من الرواة في غير «التقريب»، لأبى عمرو نور الدين بن علي بن عبد الله السدعي الوصابي،قدم له: محمد بن عبد الله الإمام، مكتبة ابن عباس للنشر والتوزيع، المنصورة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

١٩٣- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام أبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار النشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٦م.

١٩٤- الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، لأبى الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، قدم له: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعد بن عبد الله الحميد، فضيلة الشيخ الدكتور حسن محمد مقبولي

الأهدل، قدم له وراجعه ولخص أحكامه: فضيلة الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

١٩٥- معجم الشيوخ، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي(المتوفى: ٧٧١هـ)، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي ٧٠٣ - ٧٥٩ هـ، المحقق: الدكتور بشار عواد - رائد يوسف العنبكي - مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤.

١٩٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

١٩٧- أسماء المدلسين، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،المحقق: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الأولى

١٩٨- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض،قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

١٩٩- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)،المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٠٠- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ،المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م.

٢٠١- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣ م.

٢٠٢- جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٠٣- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.

٢٠٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

٢٠٥- معجم أعلام شعراء المدح النبوي، محمد أحمد درنيقة، تقديم: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى.

٢٠٦- معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، لعلي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٢٠٧- شرحه للبردة، لشيخ الازهر الشريف إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، مكتبة الآداب–القاهرة.

٢٠٨- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، ،المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

٢٠٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٢١٠- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح،إعداد الفهارس:صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ٢٠١٠ م.

٢١١- مجمع الآداب في معجم الألقاب، لكمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (المتوفى: ٧٢٣ هـ)، المحقق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

٢١٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

٢١٣- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤ هـ)، المحقق: أيمن نصر الأزهري - سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولي، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٢١٤- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م.

٢١٥- تاج التراجم، لأبى الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ –١٩٩٢م.

٢١٦- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبى الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٢١٧- تاريخ دمشق، لأبى القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٢١٨- تتمة الأعلام للزركلي، لمحمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ

٢١٩- التشيع والاستشراق، لعبد الجبار ناجي، منشورات الجمل، بيروت،، الطبعة: الأولى،٢٠١١م.

سابعاً: كتب البـلدان:

٢٢٠- رحلة بنيامين التطيلي، لالرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي (المتوفى: ٥٦٩هـ)، (صـ٣٦١-٣٦٢)،المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

٢٢١- كتب، التايمز، أطلس التايمز الشامل للعالم، ٢٠٠٧م.

٢٢٢- الجغرافيا، لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ؛ حققه ووضع مقدمته وعلق عليه اسماعيل العربي،بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

٢٢٣- المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، لمحمد محمود محمدين/ طه عثمان الفراء، دار المريخ، الطبعة: الرابعة.

٢٢٤- فضائل مكة والسكن فيها، للحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (المتوفى: ١١٠هـ) ،المحقق: سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الأولى،١٤٠٠هـ،١٩٨٠م.

٢٢٥- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

٢٢٦- أوروبا العصور الوسطي، سعيد للدكتور/عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ٢٠٠٧م

٢٢٧- أطلس تاريخ الإسلام، للدكتور/ حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي.

٢٢٨- معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م

ثامناً: كتب عامة:

٢٢٩- الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٢ - ٨٩٣ هـ)، المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٢٣٠- المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، لأبو يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٢٣١- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، د. محمد فتح الله الزيادي، طرابلس المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط/١، ١٩٨٤م.

٢٣٢- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، الكويت سلسلة كتاب الأمة ، ط١، ١٤٠٤هـ

٢٣٣- الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين، دار الإرشاد، بيروت، ط ١ ، ١٩٦٩م

٢٣٤- مذكرته لمادة الاستشراق، د. محمد فتح الله الزيادي، كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، ١٩٨٦م .

٢٣٥- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، لمالك بن نبي، مكتبة عمار، القاهرة ، ١٩٧٠م

٢٣٦- المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. علي الخربوطلي، جمعية الدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٦م

٢٣٧- الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، د. ساسي سالم الحاج، بيروت: دار المدار الإسلامي،ط ١ ، ٢٠٠٢م.

٢٣٨- الاستشراق والمستشرقون، د. مصطفي السباعي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط/٢، ١٩٧٩م.

٢٣٩- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، د. محمد صالح البنداق، بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٩٨٠م

٢٤٠- الفكر الإسلامي الحديث ، د. محمد البهي، بيروت: دار الفكر، ط/ ٦، ١٩٧٣م

٢٤١- الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي، بيروت: دار قتيبة، ط/٢، ٢٠٠٢م

٢٤٢- أساليب الغزو الفكري، د. علي جريشة، القاهرة : دار الاعتصام، ط/١، ١٩٧٧م(

٢٤٣- الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٤٤- الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي ، دار الفكر ، بيروت، ط/٦، ١٩٧٣م.

٢٤٥- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفي السباعي،المكتب الإسلامي ، بيروت، ط/٢، ١٩٧٦م

٢٤٦- الاسلام والحضارة الغربية،لعلي محمد كرد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط/٣.

٢٤٧- تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى القرن العشرين، ليوهان فورك، ترجمة: عمر لطفي العالم، ددار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

٢٤٨- الاستشراق أهدافه ووسائله، لمحمد عبدالله الزيادي، دار قتيبة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ، ١٩٩٨م.

٢٤٩- المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق، لطارق سري، مكتبة النافذة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٥٠- مئة عام على الحرب العالمية الأولى، لمجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٦م.
٢٥١- تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، لكاارل ألفونسو نالينو، تقديم:طه حسين، دار المعارف، مصر،الطبعة: الثانية. ١٩٧٠م.
٢٥٢- حول الحركات الهدامة، خليل ابراهيم حسونة، مكتبة جزيرة الورد، ٢٠٠٥م.
٢٥٣- المستشرقون، لنجيب العقيقي،دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة.
٢٥٤- موسوعة المستشرقين، لعبد الحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة:الثالثة، ١٩٩٣م.
٢٥٥- العقيدة والشريعة في الإسلام، لإجناس جولدزيهر، ترجمة محمد يوسف موسى، عبد العزيز عبد الحق، القاهرة، ١٩٥٩.
٢٥٦- الدين: بحوث مُمَهِّدة لدراسة تاريخ الأديان، لمحمد عبدالله دراز ،طبعة دار القلم، القاهرة، ٢٠٠١م.
٢٥٧- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، لمصطفى صبري ، طبعة دار إحياء التراث العربي ١٩٨١م.
٢٥٨- شرح الشفا، لعلي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ
٢٥٩- المستشرقون والإسلام للدكتور محمد البهي، دار الفكر العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٦١م .
٢٦٠- الإسلام وسقوط النموذج الغربي ، دار الشروق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٩م.
٢٦١- حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م.
٢٦٢- العهد القديم/ الجديد، ترجمة فاندايك، دار الكتاب المقدس، ٢٠٠١
٢٦٣- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٢٦٤- المستشرقون والإسلام للدكتور محمد البهي، دار الفكر العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٦١م.
٢٦٥- موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية،المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي،

أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني،مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

٢٦٦- دين وطقوس رحّل الجزيرة العربية قبل الإسلام،لاحمد الجلاد، دار النشر بريل، ضمن سلسلة اللغات والحضارات القديمة،٢٠٢٢م.

٢٦٧- القيامة الكبرى، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيب،دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٢٦٨- الإيضاح في مناسك الحج والعمرة، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، وعليه: الإفصاح على مسائل الإيضاح على مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم لـ عبد الفتاح حسين، دار البشائر الإسلامية، بيروت - المكتبة الأمدادية، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٦٩- آثَار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني، لمجموعة من الباحثين، منهم: المدير العلمي للمشروع عَلِي بْن مُحَمَّد العِمْرَان، وفق المنهج المعتمد: من الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (رحمه الله تعالى)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ

٢٧٠- في سبيل العقيدة الإسلامية، لعبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمد السلطاني القنطري الجزائري (المتوفى: ١٤٠٤هـ)، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة - الجزائر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٢٧١- موقف الاستشراق من السُنَّة والسيرة النبوية، لأكرم بن ضياء العمري،الجامعة الإسلامية.

٢٧٢- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لحسن عبد الفتاح أحمد،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢٧٣- رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض،الطبعة: الأولى

٢٧٤- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٧٥- ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، لمحمد بن عبد الله العوشن، دار طيبة.

٢٧٦- التعليق على الرحيق المختوم، لأبى عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، تَقْدِيم: فَضِيلَة الشَّيْخ عبد الله بن مَانع الروقي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٢٧٧- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.

٢٧٨- طرح التثريب في شرح التقريب ،لأبى الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

٢٧٩- فتاوى يسألونك، لحسام الدين بن موسى عفانة، مكتبة دنديس، الضفة الغربية – فلسطين، الطبعة: الأولى،١٤٢٧ - ١٤٣٠ هـ.

٢٨٠- محمد في مكة ، لوليام مونتغمري وات،الترجمة: تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، ١٩٦٦م.

٢٨١- محمد في المدينة ، لوليام مونتغمري وات،الترجمة: تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م .

٢٨٢- مقدمة القرآن، لريتشارد بِل،المترجم: إبراهيم عوض، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٨٣- هاجرية: صناعة العالم الإسلامي، لباتريشيا كرون ومايكل كوك،المترجم: نبيل فياض، دار التكوين، دمشق.

٢٨٤- محمد وظهور الإسلام، لدافيد ساموييل مارغليوث،المترجم: (نُقلت مقتطفات منه في عدة دراسات نقدية، ومنها ترجمة غير كاملة قديمة، دار النشر الأصلية G.P. Putnam's Sons..نقلاً من: مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل مقارن)، لمحمد عبد الله دراز (نقلَهُ من الفرنسية إلى العربية د.

محمد عبد العظيم علي، وراجعه الدكتور دراز بنفسه، دار القلم، الكويت و دار المختار، القاهرة، ١٩٨٤م.

٢٨٥- تاريخ الدولة العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ليوليوس فلهاوزن، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٨٦- محمد النبي ورجل الدولة، لوليام مونتغمري وات، ترجمة:عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٥م.

٢٨٧- تجارة مكة ونشأة الإسلام، لباتريشيا كرون، ترجمة: آمال الروبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٨٨- مقدمة القرآن، لريتشارد بل، ترجمة: موسى علي، إبراهيم شبوح، ومنير بعبلكي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٠م.

٢٨٩- محمد وظهور الإسلام، لدافيد مارغليوث، نقلاً من كتاب: المستشرقون والسيرة النبوية، لعماد الدين خليل، دار المناهل، بيروت.

٢٩٠- سارق النار، لمحمود السمرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م.

٢٩١- على هامش السيرة، للدكتور/طه حسين، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٤٦م.

٢٩٢- على هامش السيرة : لطه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٤م

٢٩٣- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، لرفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (المتوفى: ١٢٩٠هـ)، دار الذخائر – القاهرة، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

٢٩٤- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

٢٩٥- حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد حسين هيكل (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،بدون طبعة،بدون تاريخ.

٢٩٦- محاكمة فكر طه حسين، لأنور الجندى، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى.

٢٩٧- الفتنة الكبري، لطه حسين، الفصل الثالث عشر، طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٣م.

٢٩٨- السيرة الذاتية للداعية الدكتور غازى التوبة ، رابطة أدباء الشام، العدد٧١٦ ، ٢٠-٤-٢٠١٧م.
٢٩٩- مستقبل الثقافة في مصر، للدكتور/ طه حسين، دار المعارف، ١٩٤٤م
٣٠٠- حُصُوُننا مهدَّدة من دَاخِلِهَا، لمحمد محمد حسين (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٠٤ هـ -١٩٨٣ م.
٣٠١- نحو نقد العقل الإسلامي، لمحمد أركون، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٩م.
٣٠٢- مقدمات اولية في الاسلام المحمدي الباكر(نشأة وتأسيساً)، لطيب تيزيني، دار دمشق للنشر ، ١٩٩٤م.
٣٠٣- نقد الفكر الديني، لصادق جلال العظم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الثانية،١٩٧٠م. .
٣٠٤- رسالة في اللاهوت والسياسة، لباروخ سبينوزا، ترجمة وتقديم:حسن حنفي، مراجعة:فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة:الأولى، ٢٠٠٥م.
٣٠٥- في الشعر الجاهلى، لطه حسين، (صــ٢٦)، دار الكتب المصرية، ١٩٢٦م.
٣٠٦- الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية، لإدريس مقبول، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الرياض، ٢٠٠٦م.
٣٠٧- دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)،مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
٣٠٨- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،الطبعة: الطبعة الثالثة.
٣٠٩- مقدمات اولية في الاسلام المحمدي الباكر(نشأة وتأسيساً)، لطيب تيزيني، دار دمشق للنشر ، ١٩٩٤م.
٣١٠- الصحيح من سيرة النبي الأعظم، لجعفر مرتضي العاملي، دار الهادى للطباعة والنشر، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ،١٩٩٥م.
٣١١- الاستشراق والمستشرقون ، لمصطفى السباعي، دار النشر: دمشق: دار القلم، ١٩٦٥م.
٣١٢- تهذيب التهذيب، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ

٣١٣- موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلل، مع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري – أحمد عبد الرزاق عيد – محمود محمد خليل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

٣١٤- كتاب الضعفاء، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري،(المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

٣١٥- رد شبهات حول عصمة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، قدم له: عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مطابع دار الصحيفة المصرية، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣

٣١٦- تاريخية الفكر العربي، لمحمد أركون، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م.

٣١٧- شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، لخليل عبدالكريم،السفر الأول(محمد وأصحابه) (صـ١٨٣)، سينا للنشر –القاهرة،١٩٩٨م.

٣١٨- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، لمحمد محمد حسين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م

٣١٩- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.

٣٢٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة:الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٧١

٣٢١- موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، لأحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

٣٢٢- الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، لفالح بن محمد بن فالح الصغير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة:الأولى.

٣٢٣- ديوان البوصيري، لمحمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، لشرف الدين، أبو عبد الله (المتوفى: ٦٩٦هـ)، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، الطبعة: الاولى، ١٤٢٨ هـ،٢٠٠٧ م.
٣٢٤- الممنوع والممتنع (نقد الذات المفكِرة)، لعلى حرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة: الأولى،١٩٩٥م.
٣٢٥- ٢٧ ذو الحِجّة ١٤٤٣ هـ.
٣٢٦- الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، لمحمد الشرفي، دار بترا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
٣٢٧- انتكاسة المسلمين، لسيد القمني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة: الأولى،٢٠١٠م.
٣٢٨- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، لأنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٨م
٣٢٩- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، لعلي بن نايف الشحود، جامع الكتب الإسلامية، الطبعة: الأولى.
٣٣٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.
٣٣١- الأبطال، لتوماس كارليل، ترجمة: محمد السباعي، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م. انتكاسة المسلمين، لسيد القمني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة: الأولى،٢٠١٠م.
٣٣٢- التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، لمحمد أركون، ترجمة وتعليق:هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٣٣٣- العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، لأبي سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
٣٣٤- محمد ونشأة الإسلام. لديفيد صموئيل مرجليوث،(صـ ٢٨٧-٢٩٠)، ترجمة حسن إبراهيم حسن، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م.
٣٣٥- أحكام أهل الذمة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م.

٣٣٦- قصة الحضارة، لديورانت، ول، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، دار التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي(المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٣٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

٣٣٨- كَشْفُ المنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ في تَخْرِيجِ أحَادِيثِ المَصَابِيحِ، لمحمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبو المعالي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، دِرَاسَة وتحقيق: د. مُحمَّد إسْحَاق مُحَمَّد إبْرَاهِيم، تقديم: الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

٣٣٩- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبى الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٣٤٠- شرح صحيح البخارى لابن بطال، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، ،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٤١- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٤٢- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، عنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، دار السعادة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٢٤ هـ.

٣٤٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٤٤- تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨ هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٩٩٤ م.

٣٤٥- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٣٤٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ،تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م.

٣٤٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٣٤٨- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٣٤٩- ترجمة الشيخ محمد علي علي السايس، منصة حفظ التراث الإسلامي.

٣٥٠- تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي السايس، المحقق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.

٣٥١- روائع البيان تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي الصابوني، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

٣٥٢- الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، لعبد الرازق علي، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٣٤٤هـ.

٣٥٣- نقد الفكر الديني، لصادق جلال العظم،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الثانية،١٩٧٠م.

٣٥٤- العلمانية – المفهوم والمظاهر والأسباب لأبى سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي،جريدة السبيل، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م

٣٥٥- العِلمانيَّة – نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة، لسفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة.

٣٥٦- درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم دار الكنوز الأدبية – الرياض، ١٣٩١هـ.

٣٥٧- الدعوة إلى الإسلام: تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، لتوماس ووكر أرنولد، ترجمة حسن إبراهيم حسن. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٤م.

٣٥٨- النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها – دراسة نقدية، حسن بن محمد حسن الأسمري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م

٣٥٩- شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، لأبى القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)،المحقق: جمال عزون، مكتبة العمرين العلمية – الشارقة/ الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩ م.

٣٦٠- كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، لمحمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

٣٦١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبى عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ) ،قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٣٦٢- الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون،محمد خليفة التونسي، أول ترجمة عربية أمينة كاملة، مع مقدمة تحليلية في مائة صفحة،تقدير الكتاب وترجمته للأستاذ الكبير: عباس محمود العقاد، الطبعة الخامسة،١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م.

٣٦٣- عزيز النفس لاينقاد. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) ،المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٣٦٤- الخصائص الكبرى، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٦٥- الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، لمحمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

٣٦٦- كتاب الأموال، لأبى عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: خليل محمد هراس، دار الفكر. - بيروت.

٣٦٧- الأموال لابن زنجويه، لأبى أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفى: ٢٥١هـ)، تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض الأستاذ المساعد - بجامعة الملك سعود، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٦٨- الفِقهُ الميَسَّر، أ. د. عَبد الله بن محمد الطيّار، أ. د. عبد الله بن محمّد المطلق، د. محمَّد بن إبراهيم الموسَى،مَدَارُ الوَطن للنَّشر، الرياض،الطبعة:جـ ٧ و ١١ - ١٣: الأولى ١٤٣٢/ ٢٠١١باقي الأجزاء: الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٣٦٩- رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى.

٣٧٠- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، للأستاذ الدكتور/ وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ،باب: السبي، دار الفكر - سوريَّة – دمشق، الطبعة: الرَّابعة.

٣٧١- آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، للأستاذ الدكتور/ وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٨م.

٣٧٢- رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى

٣٧٣- حقوق الإنسان، لمحمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولي.

٣٧٤- النظام الاقتصادي في الإسلام، لمسفر علي القحطاني، جامعة الملك فهد،١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

٣٧٥- فتوح مصر والمغرب، لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (المتوفى: ٢٥٧هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ.

٣٧٦- رؤية إسلامية للاستشراق، للأستاذ أحمد غراب، المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة: الثانية،١٩٩٠م.

٣٧٧- مُوْسُوعَة القَواعِدُ الفِقْهِيَّة، لمحمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣٧٨- ترتيب الفروق واختصارها، لأبى عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري (المتوفى: ٧٠٧ هـ)، المحقق: الأستاذ عمر ابن عباد، خريج دار الحديث الحسينية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م

٣٧٩- السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (المتوفى: ٧٠٣هـ)، المحقق: ٥٨٥إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة: ١، ١٩٦٥م.

٣٨٠- حقائق الإسلام في مواجهة المشككين، للدكتور/ حمدى زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٨١- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

٣٨٢- موسوعة بيان الإسلام "شبهات حول التشريع الإسلامي"، نخبة من العلماء، دار نهضة مصر، ٢٠١١م.

٣٨٣- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبى عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٨٤- شبهات النصاري حول الإسلام، لوليد كمال شكر، المكتبة الشملة الذهبية، الطبعة: الأولى، ٢٠١٩م.
٣٨٥- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م
٣٨٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، دار القلم– دار الشامية، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .)
٣٨٧- هل بشر الكتاب المقدس بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؟، لمنقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.
٣٨٨- إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود – الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .
٣٨٩- محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة، لسامى عامرى، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م.
٣٩٠- قصص الأنبياء، للدكتور/عبدالوهاب النجار، مطبعة النصر–مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٥٥هـ ،١٩٣٦م.
٣٩١- الجهاد في الإسلام، لمحمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢م.
٣٩٢- تاريخ العرب العام،لحسين مؤنس ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٧م.
٣٩٣- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،لسليم حسن، ،مكتبة نحو ، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٣٩٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)،مكتبة الخانجي – القاهرة.
٣٩٥- النبوي، لمحمد رشيد رضا ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٣٠م.

٣٩٦- الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة)، ليوسف العاصي إبراهيم الطويل،صوت القلم العربي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م

٣٩٧- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي، إدوارد براوان (المتوفى: ١٩٢٦ م)،تعريب: إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى - ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م

٣٩٨- التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي)،للدكتور مصطفى خالدي - الدكتور عمر فروخ،المكتبة العصرية - صيدا – بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٩٧٣

٣٩٩- ايران فى عهد الساسانيين، لارثر كريستنسن ،ترجمة: يحيى الخشاب، راجعه: عبد الوهاب عزام، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٠٠- الرد على الجهمية والزنادقة، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،المحقق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

٤٠١- الغنوصية في الإسلام، لهاينس هالم، ترجمة،رائد الباش، مراجعة د،سالمة صالح، مكتبة التنوير، منشورات دار الجمل، بيروت،الطبعة: الثانية، ٢٠١٠م.

٤٠٢- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)،المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: ١٤١٣هـ

٤٠٣- دراسات في التصوف، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)،دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٤٠٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٤٠٥- رؤية الإسلام كما رآه الآخرون،لروبرت هويْلَند، ترجمة: رضوان السيد، دار الكتاب الجديد.

٤٠٦- االمستشرقون والقرآن الكريم، لعماد الدين خليل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

٤٠٧- تطور مفهوم الجهاد، لمحمود محمد أحمد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٥م.

٤٠٨- الجهاد بين عقيدة المسلمين وشبه المستشرقين، لعوض عبد الهادي العطا، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة،الطبعة: السنة السابعة عشرة العددان السابع والستون والثامن والستون رجب . ذو الحجة ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

٤٠٩- تاريخ الفكر السياسي في الإسلام، لعلي عبدالحميد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٤١٠- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٤١١- قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض شخصيات كنسية، للقمص تادرس يعقوب ملطي، مقدمة الكتاب، مطبعة الكرنك، الإسكندرية، ١٩٨٥ م.

٤١٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ،المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٤١٣- إحياء علوم الدين، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت.

٤١٤- المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، لأبى يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٤١٥- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.

٤١٦- الإسلام خواطر وسوانح، لهنري دي كاستري، ترجمة/ أحمد فتحى زغلول، تقديم/ محمود النجيري، مكتبة النافذة، الطبع: الأولى، ٢٠٠٨م.

٤١٧- المغني شرح مختصر الخرقي، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) دار إحيار التراث العربي، الطبعة الأولى سنة١٤٠٥هـ

٤١٨- الإسلام عقيدة وشريعة، للإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق، الطبعة:الثامنة عشر، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٤١٩- تاريخ المذاهب الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٩٧١م.

٤٢٠- مروج الذهب، لأبي الحسن على بن الحسين على المسعودى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر، ١٩٨٩م.

٤٢١- الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة.

٤٢٢- المنيه والامل شرح الملل والنحل، لأحمد بن يحيي بن المرتضى، باب ذكر المعتزلة، دار الندى، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ،١٩٩٠م.

٤٢٣- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لأحمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ)، تحقيق كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة القاهرة، ١٩٦٨م.

٤٢٤- المعتزلة، لزهدي جار الله، مكتبة روائع الفكر الإنسانى، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٧م.

٤٢٥- الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.

٤٢٦- الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، لعلي عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهيبه، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٤٢٧- فجر الإسلام، لأحمد أمين، مؤسسة هنداوى، الطبعة:الأولى، ١٩٢٩م.

٤٢٨- مدرسة البصرة الاعتزالية، لسعيد مراد، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م.

٤٢٩- بحوث في المعتزلة من التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٦٥م.

٤٣٠- مذاهب التفسير الإسلامي، لجولد زيهر، المركو القومى للترجمة، ٢٠١٣م.

٤٣١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
٤٣٢- ضحى الإسلام، لأحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٦٤م.
٤٣٣- بحوث في المعتزلة وخلق القرآن،لكارلو ألفونسو نالينو، ترجمة: د.عبدالرحمن بدوى، دار بيبليون، باريس، ٢٠١٩م
٤٣٤- التأويل في التفسير بين المعتزلة والسنة، لسعيد شنوقة، المحقق / مقدم: د. مختار الأحمدي، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م
٤٣٥- وسطية أهل السنة بين الفرق ،لمحمد با كريم محمد با عبد الله، رسالة دكتوراة،دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٤٣٦- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
٤٣٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
٤٣٨- أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، لمصطفى بن محمد بن مصطفى،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م
٤٣٩- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) ،المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ مـ
٤٤٠- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.
٤٤١- الموسوعة الفقهية الكويتية، لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، دارالسلاسل - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ.

٤٤٢- شرح مواقف الإيجي، لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف (المتوفى: ٨١٦ هـ)، طبعة القاهرة، ١٣٢٥هـ

٤٤٣- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، لغالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٤٤٤- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر.

٤٤٥- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، لتَقِيُّ الدِّيْنِ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الأَزْهَرِ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ العِرَاقِيُّ، الصَّرِيْفِيْنِيُّ، الحَنْبَلِيُّ (المتوفى: ٦٤١هـ)،المحقق: خالد حيدر، : دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، ١٤١٤هـ.

٤٤٦- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٤٧- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٤٨- الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد، لأبي الحسين عبدالرحيم محمد عثمان الخياط المعتزلى، تقديم وتحقيق دكتور نيبرج، الدار العربية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٢٥م.

٤٤٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى سنة١٣٥٨ هـ

٤٥٠- المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة(المتوفى: ١٤٠٣هـ)، مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤٥١- خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف– الرياض.

٤٥٢- تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، لأبى ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٤٥٣- والحديث النبوي: ما أضيف إلى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من قول أو فعل أو تقرير أو وصف. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان.

٤٥٤- الإحكام في أصول الأحكام، لأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤٥٥- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل(المتوفى: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٤٥٦- الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم (شرح واف لمتني الجزرية وتحفة الأطفال)، لأحمد محمود عبد السميع الشافعى الحفيان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٤٥٧- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ

٤٥٨- التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

٤٥٩- تفسير مجاهد، لأبى الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م

٤٦٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، لمحمد حسن عبد الغفار، وقفية الأمين غازى للفكر القرآنى، ٢٠١٩م.

٤٦١- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لمحمد حسن عبد الغفار، مؤسسة خزائن الرحمن،٢٠٢١م.

٤٦٢- التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

٤٦٣- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري(المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٤٦٤- الإحاطة في أخبار غرناطة، لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: ٧٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

٤٦٥- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢)هـ ،تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

٤٦٦- الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠ م.

٤٦٧- حى بن يقظان، لابن سينا وابن الطفيل والسهرودى، تحقيق وتعليق، أحمد أمين، أقلام عربية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ٢٠١٩م.

٤٦٨- دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، للدكتور صالح الرقب - والدكتور محمود الشوبكي، قسم العقيدة- كلية أصول الدين . الجامعة الإسلامية- غزة، الطبعة : الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٤٦٩- حي بن يقظان، محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر (المتوفى: ٥٨١هـ)، دار المعارف، الطبعة: الثالثة، ١٩٥٢م.

٤٧٠- المنقذ من الضلال ، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية – بيروت.

٤٧١- الأدب المقارن - قصة حي بن يقظان وتأثيرها في الأدب العالمي، لمناهج جامعة المدينة العالمية،جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

٤٧٢- أدب الدنيا والدين، لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، ١٩٨٦م

٤٧٣- التمهيد في أصول الفقه، لمحفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، ،المحقق: مفيد محمد أبو عمشة (الجزء ١ - ٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (الجزء ٣ - ٤)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

٤٧٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة : الاولى

٤٧٥- حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم البيجوري، دار السلام، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ،٢٠٠٢م.

٤٧٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي بيروت/ الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ.

٤٧٧- شرح أصول، اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٤٧٨- مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، لجهاد التُرباني، تقديم: الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٤٧٩- الفلسفة الإسلامية ونقد دراسة، لعرفان عبد الحميد، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد.

٤٨٠- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، للدكتور عثمان بن علي بن حسن، مكتبة الرشد، الرياض بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. ١٩٩٢ م.

٤٨١- الرد على المنطقيين، لأحمد ابن تيمية، إدارة ترجمان السنة-لاهور، باكستان- ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م

٤٨٢- تاريخ تركيا، للامرتين، باريس، ١٨٥٤م.

٤٨٣- المنقذ من الضلال، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية – بيروت / لبنا.

٤٨٤- الغزو الفكري في المناهج الدراسية، لعلي لبن، دار الوفاء، الطبعة الأولى.

٤٨٥- تهافت الفلاسفة، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف –الطبعة الرابعة–١٩٦٦ م–١٣٨٥هـ.

٤٨٦- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة: الرابعة،١٩٨١م.

٤٨٧- المنطق الحديث، لمحمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦م.

٤٨٨- مقاصد الفلاسفة لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق سليمان دنيا، المنقذ من الضلال للغزالي، تحقيق د .جميل صليبا ود .كامل عياد، طبعة١٤١٠ هـ.

٤٨٩- تلبيس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

٤٩٠- أحزاب المعارضة الدينية السياسية في الإسلام (الشيعة والخوارج): لجوليوس فلهاوزن، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي،وكالة المطبوعات (الكويت) بالاشتراك مع دار القلم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٨م.

٤٩١- العقيدة والشريعة في الإسلام،لإجناس غولدزيهر، ترجمة: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، د. عبد العزيز عبد الحق، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٤٦م.

٤٩٢- تاريخ الفلسفة الإسلامية، لهنري كوربان، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، منشورات عويدات- بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦م

٤٩٣- قوس (مختارات من آثار ماسينيون)، للويس ماسينيون، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، دار الإنسانية القاهرة، ١٩٩٤م.

٤٩٤- معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٤٩٥- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسي، لجميل صليبا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.

٤٩٦- موسوعة المورد العربية، لمنير البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م.

٤٩٧- الموسوعة الميسرة للمعرفة والمذاهب المعاصرة، لمانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة.

٤٩٨- مفهوم الحرية، لعبدالله العروي، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م.

٤٩٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٥٠٠- الموسوعة الفلسفية العربية، لمجموعة مؤلفين، معهد الإنماء العربي، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م.

٥٠١- موسوعة لا لاند الفلسفية، لأندريه لالاند، عويدات للنشر والطباعة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

٥٠٢- الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، الأسكندرية.

٥٠٣- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، لسفر بن عبد الرحمن الحوالي، مكتب الطيب لخدمة التراث، ١٩٩٩م.

٥٠٤- الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة مؤلفين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٥٠٥- الليبرالية المتوحشة ملاحظات حول التوجهات الجديدة للرأسمالية المعاصرة، لرمزى زكى، دار المستقبل العربى، ١٩٩٣م.

٥٠٦- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.

٥٠٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، لأبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (المتوفى ٤١٨ هـ)، المحقق: نشأت بن كمال المصري ،دار البصيرة، الإسكندرية، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

٥٠٨- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٥٠٩- مفردات ألفاظ القرآن، لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دارالقلم، الطبعة: الثانية، ١٤٤١هـ.

٥١٠- المنثور في القواعد الفقهية، لأبى عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥١١- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

٥١٢- فتاوى السبكي، لأبى الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي(المتوفى: ٧٥٦هـ)، دار المعارف.

٥١٣- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)،وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ

٥١٤- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م

٥١٥- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ - ١٤٣٦ هـ).

٥١٦- الإسلام والفكر السياسي المعاصر، لعبد الهادي التازي، دار الثقافة، الرباط.والتيارات الفكرية في الإسلام،، لجواد علي، دار الفكر، دمشق.

٥١٧- تاريخ الفلسفة السياسية الغربية، لعبد الله إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٣م،

٥١٨- إسلامنا في مواجهة الحداثة، محمد عمارة، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤م

٥١٩- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، لمحمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر – الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥٢٠- قضايا الدعوة الإسلامية من اليقظة إلى الصحوة، لأنور الجندى، تقديم: علي بن نايف الشحود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،. القاهرة.

٥٢١- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، ،تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.

٥٢٢- آفاق فلسفيه عربية معاصرة، لطيب تيزينى، دار الفكر المعاصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.

٥٢٣- القائد إلى تصحيح العقائد (وهو القسم الرابع من كتاب «التنكيل بما تأنيب الكوثري من الأباطيل)، لعبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

٥٢٤- حاشية كتاب مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ

٥٢٥- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ) ،دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٩٦٧ م.

٥٢٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٥٢٧- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد. لمحمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٥٢٨- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبى محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٥٢٩- حاشية روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبى محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير

بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٥٣٠- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (المتوفى : ١٤٠٩هـ)، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة : الثانية

٥٣١- حاشية الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٥٣٢- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٥٣٣- التحبير في المعجم الكبير، لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، المحقق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٥٣٤- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)،المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٥٣٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق:محمود بن شعبان بن عبد المقصود.-مجدي بن عبد الخالق الشافعي.-إبراهيم بن إسماعيل القاضي.-السيد عزت المرسي.-محمد بن عوض المنقوش.-صلاح بن سالم المصراتي.- علاء بن مصطفى بن همام.-صبري بن عبد الخالق الشافعي.مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

٥٣٦- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٣٧- الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، لشمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٥٣٨- الدر الثمين في أسماء المصنفين، لعلي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (المتوفى: ٦٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين - محمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٥٣٩- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٥٤٠- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، لمحمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفى: ١٠٨٨هـ)، المحقق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م

٥٤١- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) ،الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ

٥٤٢- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار - من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٥٤٣- بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك. المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، لأحمد بن

محمد الصاوي المالكي،صححه: لجنة برئاسة الشيخ أحمد سعد علي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م.

٥٤٤- الذخيرة، لأبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) ، المحقق:سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي- بيروت،الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م

٥٤٥- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٤٦- موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري - أحمد عبد الرزاق عيد - محمود محمد خليل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

٥٤٧- الأم، للإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) ،دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥٤٨- المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،دار الفكر.

٥٤٩- التطرف المسكوت عنه أصول الفكر العصراني، لناصر الحنيني دار التوحيد للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٣١هـ_٢٠١٠م.

٥٥٠- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ-١٩٩٥م

٥٥١- نهاج الوصول إلى علم الأصول لعبد الله عمر محمد البيضاوي الشيرازي الشافعي ناصر الدين، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل ،ابن حزم،الطبعة:الأولي، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.

٥٥٢- البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالى، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين(المتوفي: ٤٧٨هـ)، تحقيق:صلاح بن محمد بن عويضة ،دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

٥٥٣- الورقات، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: د.عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، مصر،١٣٩٧هـ ١٩٧٧ م.

٥٥٤- الإحكام في أصول الأحكام لأبى الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي(المتوفي: ٦٣١هـ)، تحقيق:عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان ، الطبعة : الثانية ١٤٠٢هـ .

٥٥٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ)، المحقق:عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.

٥٥٦- نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، لكارلو ألفونسو نالينو، ترجمة:الدكتور:محمد حميدالله، مكتبة القانون الإسلامي، دار البحوث العلمية- روما، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م-١٣٩٣هـ.

٥٥٧- بحوث في علم أصول الفقه: مصادر التشريع الإسلامي الأصلية والتبعية ومباحث الحكم، لأحمد الحجي الكردي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى – ٢٠٠٤م

٥٥٨- تاريخ التشريع الإسلامي، لمناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

٥٥٩- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، لوَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر - سوريَّة – دمشق، الطبعة: الرَّابعة.

٥٦٠- فريضة الله في الميراث، لعبد العظيم الديب، دار الأنصار للطباعة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ .

٥٦١- الإسلام وموقف علماء المستشرقين: اتهامهم الشريعة بالجمود وعلمائها بالتأثر بالقانون الروماني، لعبد الحميد متولي، شركة مكتبات عكاظ، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٦٢- التشريع الإسلامي وأثره فى الفقه الغربي، لمحمد يوسف موسى، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ٢٠١٩م.

٥٦٣- العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولد زيهر، ترجمة الدكتور/ محمد يوسف موسى وآخرين، دار الرائد العربي، الطبعة الثانية، ١٩٤٦م.

٥٦٤- الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الإستعمار وشبهات التغريب، لأنور الجندي، مطبعة الرسالة، ١٩٦٨م.

٥٦٥- الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠١٧م.

٥٦٦- دفاع عن العقيدة والشريعة، لمحمد الغزالى، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٩م.

٥٦٧- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، لنجيب محمد البهبيتي، مؤسسة الخانجى، مصر، ١٣٨١ هـ-١٩٦١م.

٥٦٨- الإعلام بمثلث الكلام، لمحمد بن عبدالله بن مالك النحوى الأندلسي(المتوفي ٦٧٢هـ) ، تصحيح الشيخ أحمد الأمين الشنقيطي، مطبعة الجمالية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٢٩هـ.

٥٦٩- الحقوق الرومية وأثرها في التشريع الإسلامي، لمحمد معروف الدواليبي، مكتبة القانون الإسلامي، دار البحوث العلمية- روما، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م-١٣٩٣هـ.

٥٧٠- تاريخ التشريع الإسلامي، لمناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

٥٧١- دعوة تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني،لعبد اللَّه الركبان، كلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٣م.

٥٧٢- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، لعبد الكريم زيدان، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

٥٧٣- المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية ومذهب الإمام مالك، لعبدالله علي حسين، دار السلام،٢٠١١م.

٥٧٤- الأوضاع التشريعية في الدول العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، لصبحي المحمصاني ، دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

٥٧٥- دراسة في العلاقة بين الفقه الإسلامي والقوانين القديمة وأصالة المبادئ والنظم في الفقه الإسلامي، للدكتور/ عصمت عبدالمجيد بكر، دار الكتب العلمية،٢٠١٠م.

٥٧٦- الفوائد في اختصار المقاصد، لأبى محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦

٥٧٧- الوَاضِح في أصُولِ الفِقه، لأبى الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ)، المحقق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٥٧٨- الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها، لأنور الجندي، دار الكتاب، لبنان، ١٩٦٤م.

٥٧٩- إحياء علوم الدين، لأبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت.

٥٨٠- شريعة القرآن من دلائل إعجازه، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار العروبة – القاهرة، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

٥٨١- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ،دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ-١٩٩٥م

٥٨٢- تطور علم أصول الفقه وتجدده (وتأثره بالمباحث الكلامية)، لعبد السلام بلاجي، دار ابن حزم – بيروت، ٢٠١٠م.

٥٨٣- سر تكون الفقه وأصل مصادره، لجورج هنري بوسكه، ترجمة:بهجت الأرنؤوط، مكتبة القانون الإسلامي، دار البحوث العلمية- روما، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م-١٣٩٣هـ.

٥٨٤- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، لمحمود حمدي زقزوق، دار المنار، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

٥٨٥- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

٥٨٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.

٥٨٧- شريعة القرآن من دلائل إعجازه، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار العروبة – القاهرة، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

٥٨٨- حاشية الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، لمحمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٥٨٩- تطور علم أصول الفقه وتجدده (وتأثره بالمباحث الكلامية)، لعبد السلام بلاجي، دار ابن حزم – بيروت، ٢٠١٠م.

٥٩٠- أصُولُ الِفقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ لعياض بن نامي بن عوض السلمي، دار التدمرية، الرياض،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٥٩١- المدخل للشريعة الإسلامية، لأحمد محمود الشافعي، الدار الجامعية، ١٩٨٦م.

٥٩٢- مفهوم الفقه الإسلامي (تطوره، وأصالته، ومصادره العقلية والنقلية)، لنظام الدين عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٥٩٣- تطور علم أصول الفقه وتجدده (وتأثره بالمباحث الكلامية)، لعبد السلام بلاجي، دار ابن حزم – بيروت، ٢٠١٠م.

٥٩٤- أصُولُ الِفقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ لعياض بن نامي بن عوض السلمي ، دار التدمرية، الرياض،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٥٩٥- تطور علم أصول الفقه وتجدده (وتأثره بالمباحث الكلامية)، لعبد السلام بلاجي،دار ابن حزم – بيروت، ٢٠١٠م.

٥٩٦- أصُولُ الِفقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ لعياض بن نامي بن عوض السلمي، دار التدمرية، الرياض،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٥٩٧- القانون الروماني، للدكتور/ عكاشة محمد عبد العال، باب: نشأة وتطوُّر القانون الروماني في الشَّرْق والغَرْب، الدار الجامعية، ١٩٨٧م.

٥٩٨- الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي ١٩٧٦م .

٥٩٩- تأثير الحقوق الرومية على الفقه الإسلامي،لمحمد حميد اللَّه، بيروت: دار البحوث العلمية، ١٩٧٣م.

المنتقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية، لصلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٩٥٥م.).

٦٠٠- معلمة الفقه المالكي، لعبد العزيز بنعبد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٦٠١- تراث الإسلام، لجوزيف شاخت – كليفورد بوزورث، ترجمة: حسين مؤنس، إحسان العمد، فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت، ١٩٧٨م.

٦٠٢- المستشرقون والإسلام، لزكريا هاشم زكريا، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٩٦٥م.

٦٠٣- تميُّز الأمَّة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه؛لإسحاق بن عبدالله السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م

٦٠٤- استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الروماني والردّ على شُبه المستشرقين، للدسوقي السيد الدسوقي عيد، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٦٠٥- تأثير الفقه الإسلامي على تكوين القانون الإنجليزي، لبرهام محمد عطا الله، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، سلطنة عمان، ٢٠٠٨م.

٦٠٦- مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الإنسان، محمد قدري باشا (المتوفى: ١٣٠٦هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، الطبعة: الثانية، ١٣٠٨ هـ – ١٨٩١م.

٦٠٧- مقارنات التشريعية "تطبيق القانون المدني والجنائي على مذهب الإمام مالك"، لمخلوف محمد البدوى المنياوي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٠م.

٦٠٨- تعريب القانون الفرنساوي المدني، لمخلوف محمد البدوي، بولاق، الطبعة: الثانية، ١٢٩٣هـ.

٦٠٩- القانون المدني المصري، مجموعة الأعمال التحضيرية،مطبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥٠م.

٦١٠- نظرية الظروف الطارئة" دراسة تاريخية ومقارنة للنظرية في الشريعة الإسلامية والشرائع الأوروبية وتطبيقات النظرية في تقنينات البلاد العربية"، لعبد السلام الترمانيني، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.

٦١١- تطور القانون الدولي، لفريدمان ولفغانغ، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٠٧م.

٦١٢- الجنسية في قوانين المغرب العربي الكبير"دراسة مقارنة"، لإبراهيم عبد الباقي، قسم البحوث والدراسات القانونية والشرعية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية،١٩٧١م.

٦١٣- معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوربية، لعبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٤هـ .

٦١٤- الغريبين في القرآن والحديث، لأبى عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

٦١٥- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد ، ابن خلدون (المتوفى : ٨٠٨هـ)، المطبعة البهية-مصر، الطبعة:الأولى .

٦١٦- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجانى، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ

٦١٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

٦١٨- الحديث الشريف: تراثه، وتفسيره، وتطوره، لجوناثان براون، ترجمة:عبادة كحالة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر،٢٠١٦م.

٦١٩- مدخل إلى القانون الإسلامي، لجوزيف شاخت، ترجمة: د. محمد ناصر، دار الكتاب اللبناني-بيروت، القاهرة، ١٩٨١م.

٦٢٠- على طريق العودة إلى الإسلام، لمحمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٢ م.

٦٢١- الإسلام والإنغلاق اللاهوتي، لهاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.

٦٢٢- الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي.

٦٢٣- درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية – الرياض، ١٣٩١هـ.

٦٢٤- أثر تطبيق الحدود في المجتمع، مؤتمر الفقه الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٦ هـ.

٦٢٥- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٦٢٦- القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، للدكتور/ محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٦٢٧- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي (المتوفى: ١٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد كمال، دار القلم العربي حلب، الطبعة: الطبعة الثانية سنة١٤٠٨ هـ.

٦٢٨- شرح القواعد الفقهية، لأحمد بن الشيخ محمد الزرقا [١٢٨٥هـ - ١٣٥٧هـ]، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم – دمشق / سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٦٢٩- جوهر الإسلام، لمحمد سعيد العشماوي، مكتبة مدبولى الصغير، الطبعة: الرابعة، ١٤٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٦٣٠- علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى : ١٣٧٥هـ)، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر عن الطبعة الثامنة لدار القلم.

٦٣١- شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (المتوفى: ٨٩٩هـ)، أعتنى به: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٦٣٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – ييروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٦٣٣- الطرق الحكمية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مكتبة دار البيان، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .

٦٣٤- السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ)، دار القلم، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

٦٣٥- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٦٣٦- مشاكلنا في ضوء الإسلام، للدكتور/ عبدالمنعم النمر، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٨٧م.

٦٣٧- الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت، ١٤٠٤هـ.

٦٣٨- تاريخية الفكر العربي، لمحمد أركون، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م.

٦٣٩- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، لعبدالمجيد الشرفي، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٦٤٠- التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، لمحمد أركون، ترجمة وتعليق:هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٦٤١- تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠/ ١٩٤٠، لأحمد أنور سيد أحمد الجندي (المتوفى: ١٤٢٢ هـ)، دار الاعتصام.

٦٤٢- دراسات إسلامية، لإجناس جولدزيهر، ترجمة: عبد الحليم النجار وآخرين، جورج ألين وأونوين، لندن، ١٩٦٧م.

٦٤٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٦٤٤- الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، لنصر حامد أبوزيد، مكتبة مدبولى للنشر، القاهرى، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م.

٦٤٥- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، لعبدالمجيد الشرفي، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٦٤٦- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، لعبدالمجيد الشرفي، دار الطليعة بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٦٤٧- انتكاسة المسلمين، لسيد القمني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة: الأولى،٢٠١٠م.
٦٤٨- المستصفى في علم الأصول، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: محمد بن سليمان الأشقر ،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
٦٤٩- الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، لعابد بن محمد السفياني، مكتبة المنارة، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٦٥٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبى الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.
٦٥١- سنن أبي داود، لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، أول كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب في إحياء الموات،المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٦٥٢- ما صح من آثار الصحابة في الفقه، لزكريا بن غلام قادر الباكستاني، دار الخراز- جدة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
٦٥٣- سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، لابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٦٥٤- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)، ابن السبكي (٧٢٧ - ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ)، استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤ هـ -؟)، دار العاصمة للنشر - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٦٥٥- النكير على منكري النعمة؛ من الدين والخلافة والأمة، لشيخ الإسلام/ مصطفى صبري، تحقيق: د. مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.

٦٥٦- أصول الحكم فى الإسلام ، لعلي عبد الرزاق السنهوري،مكتبة الأسرة - دار مصر المحروسة، ٢٠٠٧م.

٦٥٧- نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، للدكتور/ فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨م.

٦٥٨- مجموعة بحوث فقهية، للدكتور/ عبد الكريم زيدان، زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

٦٥٩- الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، لمحمد الشرفي، دار بترا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

٦٦٠- المرأة والدين والأخلاق، لنوال السعداوى، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٦٦١- حقوق الإنسان الثقافية بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية، للدكتور/داود درويش حلس، الجامعة الإسلامية،غزة،٢٠٠٧م

٦٦٢- مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٦٦٣- علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، لعبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ)، مطبعة المدني ،المؤسسة السعودية بمصر .

٦٦٤- روح الدين الإسلامي، لعفيف عبد الفتاح طباره، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.

٦٦٥- حد السرقة بين الإعمال والتعطيل وأثره على المجتمع الإسلامي دراسة فقهية مقارنة، لفارس عبد الرحمن القدومي، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، ١٣٩٧هـ .

٦٦٦- جوهر الإسلام، لمحمد سعيد العشماوي، مكتبة مدبولى الصغير، الطبعة: الرابعة، ١٤٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٦٦٧- الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارنا بالقانون، لمنصور محمد منصور الحفناوي، مطبعة الأمانة، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م

٦٦٨- موسوعة الفقه الإسلامي، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

٦٦٩- مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري،دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الحادية عشرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

٦٧٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٦٧١- أحكام وآداب وفضائل يوم الجمعة، للحسين بن مسعود البغوي، مكتبة الصفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٢م.

٦٧٢- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٦٧٣- كَشْفُ المنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ في تَخْرِيجِ أحَادِيثِ المَصَابِيح، لمحمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبو المعالي(المتوفى: ٨٠٣هـ)، دِرَاسَة وتحقيق: د. مُحمَّد إسْحَاق مُحَمَّد إبْرَاهِيم، تقديم: الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٦٧٤- المعجم العربي لأسماء الملابس "في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث"، إعداد: د. رجب عبد الجواد إبراهيم (كلية الآداب - جامعة حلوان)، تقديم: أ. د/ محمود فهمي حجازي (كلية الآداب - جامعة القاهرة، عضو مجمع اللغة العربية)، راجع المادة المغربية: أ. د/ عبد الهادي التازي (عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة)، دار الآفاق العربية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٦٧٥- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٧٦- فقه السيرة، للدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي، دار السلام، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤م.

٦٧٧- العقل السياسي العربي، لمحمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، الطبعة: الثالثة،١٩٩٥م.

٦٧٨- رؤية نقدية معاصرة"دراسة النظريات ونقدها"، لمحمد عابد الجابري، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإسراتيجية، الطبعة: الثانية، ٢٠٢٣م.

٦٧٩- وظيفة الدين في الحياة، للدكتور/محمد الزحيلي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٦٨٠- تغليق التعليق على صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٦٨١- الإسلام في قفص الاتهام، للدكتور/ شوقي خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٦٨٢- الإسلام وفقه الحياة، للدكتور/ محمود الديك، مطابع البيان التجارية، دبي ، الطبعة الاأولى، ١٩٩٢م.

٦٨٣- ديوان النابغة الذبياني، لزياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة بن عوف بن سعد، الذبياني، الغطفاني (المتوفى: ٦٠٥ م)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

٦٨٤- تاريخ حضارات العالم، لشارل سنيوبوس، ترجمة وتحقيق: محمد كرد على، العالمية للكتب والنشر،٢٠١٢م.

٦٨٥- الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى، للدكتور/ عبد المتعال الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٦٨٦- النظام القانوني الإسلامي في الدراسات الاستشراقية المعاصرة (دراسة لمنهج المستشرق: نويل ج. كولسون)،لمحمد سليم العوا، بحث مدرج في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٦٨٧- المدخل إلى التشريع الإسلامي، لكامل موسى،الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٦٨٨- بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني،لصوفي أبو طالبمكتبة نهضة مصر، ١٩٥٩م.

٦٨٩- نقد الخطاب الإستشراقي الظاهرة الاستشراقيه وأثرها في الدراسات الإسلامية، لساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م.

٦٩٠- أصول القانون أو المدخل لدراسة القانون، للدكتور/ عبد الرزاق أحمد السنهوري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٤١م.

٦٩١- مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٦٩٢- تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت، ١٩٨٣م.

٦٩٣- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، للإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: ١٣٧٧ هـ)،جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

٦٩٤- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)،المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٦٩٥- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة ويليه «فائت التسهيل »، لصالح بن عبد العزيز بن علي النجدي القصيمي البُرَدِي (١٣٢٠ هـ - ١٤١٠ هـ) ،المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٩٦- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)،المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٦٩٧- فتوح البلدان، لابي الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري،مطبعة بريل، مدينة ليدن، الطبعة: الأولى، ١٨٦٦ م.

٦٩٨- معجم ديوان الأدب، لأبى إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٦٩٩- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، للنعمان عبد المتعال القاضي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

٧٠٠- العمدة لابن رشيق، لأبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، مطبعة مصر، ١٣٢٥هـ.

٧٠١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، ،مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م

٧٠٢- العقد الفريد، لأبى عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٧٠٣- تاريخ الخلفاء، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م،

٧٠٤- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٧٠٥- جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت،، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

٧٠٦- منهاج السنة النبوية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.

٧٠٧- نوادر الخلفاء المشهور بـ «إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس»، لمحمد، المعروف بدياب الإتليدي (المتوفى: ق ١٢هـ)،(صـ٢٦٢)،المحقق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٧٠٨- حاشية الرسول القائد، لمحمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)، دار الفكر – بيروت، الطبعة: السادسة - ١٤٢٢ هـ

٧٠٩- أعلام النبوة، لأبى الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٩ هـ

٧١٠- العرب في العصور القديمة، للطفي عبد الوهاب، دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الثانية.

٧١١- النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، المحقق: الدكتور عمار طالبي، مكتبة دار التراث، مصر.

٧١٢- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

٧١٣- لسان الميزان، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م .

٧١٤- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب – ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

٧١٥- لسان الميزان، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ).المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م

٧١٦- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٧١٧- الشعر والشعراء، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

٧١٨- ديوان حسان بن ثابت، لحسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد (المتوفى: ٥٤هـ)، قدم له:عبدأ على مهنا، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.

٧١٩- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة .

٧٢٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبى الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م ."

٧٢١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

٧٢٢- المفاتيح في شرح المصابيح، للحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّرِيرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

٧٢٣- الطبقات الكبرى، لأبى عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م

٧٢٤- ديوان كعب بن زهير، لكعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب (المتوفى: ٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م).

٧٢٥- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي(المتوفى: ١٤٠٨هـ)، دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

٧٢٦- الأغاني، لعلي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر – بيروت/ الطبعة الثانية

٧٢٧- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٧٢٨- الذاكرة التاريخية للأمة، لجاسم سلطان، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع،المنصورة ، ٢٠٠٥م.

٧٢٩- أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة/ دراسة نقدية تحليلية هادفة، لخالد كبير علال، دار الإمام مالك الجزائر سنة١٤٢٦ هـ/ الطبعة الأولى.

٧٣٠- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، لسالم بن عبد الله الخلف، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٧٣١- القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، لريجيس بلاشير، ترجمة: د. رضا سعادة دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٧٤م.

٧٣٢- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي حتى نهاية الدولة الأموية)، لريجيس بلاشير، ترجمة: د. إبراهيم كيلاني، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٧٣٣- تاريخ الأدب العربي في العصور القديمة، لرينولد نيكلسون، ترجمة: د. صفاء خلوصي، مطبعة المعارف -بغداد، ١٩٦٧م.

٧٣٤- تاريخ الشعوب الإسلامية، لكارل بروكلمان، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة:الخامسة، ١٩٦٨م

٧٣٥- في الأدب الجاهلي، لطه حسين ،دار المعارف مصر، الطبعة: الثانية، ١٩٦٢م.

٧٣٦- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) ،تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣.

٧٣٧- التعليق على الرحيق المختوم، لأبى عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، تَقْدِيم: فَضِيلَة الشَّيْخ عبد الله بن مَانع الروقي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

٧٣٨- نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر ،المكتبة العلمية- بيروت.

٧٣٩- الشهاب الراصد، لمحمد لطفي جمعة، مطبعة المقتطف والمقطم مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٢٦م.

٧٤٠- المستدرك على الصحيحين، لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٧٤١- النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، لمحمد أحمد الغمراوي، المكتبة العربية–بيروت، ١٩٨١م.

٧٤٢- مختصر منهاج السنة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، اختصره: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار الصديق للنشر والتوزيع، صنعاء - الجمهورية اليمنية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٧٤٣- تثبيت دلائل النبوة،، للقاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (المتوفى: ٤١٥هـ)، دار المصطفى - شبرا- القاهرة.

٧٤٤- تأمالت ميتافيزيقية فى الفلسفة الأولى، لرينيه ديكارت، ترجمة: كمال الحاج، منشورات دويرات، بيروت، الطبعة: الرابعة،١٩٨٨ م.

٧٤٥- ديكارت مبادئ الفلسفة، لعثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

٧٤٦- الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، لنظمي لوقا، المطبعة الفلسفية الحديثة- القاهرة، ٢٠٠٣م.

٧٤٧- فلسفة ديكارت و منهجه، لمهدي فصل الله، دار الطليعة للطباعة و النشر- لبنان، الطبعة:الثالثة، ١٩٩٦م.

٧٤٨- نقد كتاب الشعر الجاهلي، لفريد وجدي، مكتبة الآداب القاهرة ، الطبعة: الثانية،٢٠٠٤م.

٧٤٩- الإصابة في تمييز الصحابة، لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

٧٥٠- الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٧٥١- مختصر منهاج السنة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، اختصره: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار الصديق للنشر والتوزيع، صنعاء - الجمهورية اليمنية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٧٥٢- تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي سنة ٤٣٠ هـ)، لفؤاد سزكين، ،نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى - د سعيد عبد الرحي، أعاد صنع الفهارس: د عبد الفتاح محمد الحلو، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م نقض كتاب في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين، مؤسسة هنداوى، ٢٠١٤م.

٧٥٣- في تاريخ الأدب الجاهلي، لعلي الجندي، مكتبة دار التراث، الطبعة: طبعة دار التراث الأول، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٧٥٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٧٥٥- تحت راية القرآن، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ.

٧٥٦- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ) ، المحقق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة.

٧٥٧- الخصائص لابن حني، لأبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.

٧٥٨- جمع الجوامع المعروف بـ الجامع الكبير، لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ)، تحقيق:مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٧٥٩- التنبيه والإشراف، لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - القاهرة.

٧٦٠- كتاب العين، لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٧٦١- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٦٢- الزيج، لمحمد بن جابر بن سنان الحراني الرقي الصابئ، أبو عبد الله المعروف بالبتاني، طبع مدينة رومية العظمى، ١٨٩٩م.

٧٦٣- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) ،المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٧٦٤- أساسيات علم الفلك، للدكتور: أنور آل محمد، جمعية الفلك بالقطيف، ١٤٣٨هـ.

٧٦٥- الجغرافيا الفلكية، للدكتور: شفيق عبد الرحمن علي، دار الفكر العربي، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية.

٧٦٦- المسلمون وعلم الفلك، لمحمد محمود الصواف، وزارة المعارف، توزيع الدار السعودية للنشر- جدة، ١٩٣٥م

٧٦٧- الفلك، لمحمد صالح النواوي، مطابع جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية العلوم، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٠م.

٧٦٨- مفاتيح العلوم ، لمحمد بن أحمد الخوارزمي، (ت:٣٨٧هـ)، المحقق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية.

٧٦٩- التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، لعبد المجيد بن سالم المشعبي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧٧٠- التنجيم بين العلم والدين والخرافة، لعماد مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

٧٧١- بيان حكم اختلاف المطالع والحساب الفلكي، لسامي وديع عبد الفتاح القدومي، دار الواضح، عمان،٢٠١٩م .

٧٧٢- التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، لعبد المجيد بن سالم المشعبي ،أضواء السلف، الرياض،الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

٧٧٣- مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، لمحمد الطاهر الميساوي، دار النفائس- الأردن، الطبعة: الثانية، ٢٠٠١م.

٧٧٤- علماء الحضارة العربية والإسلامية ومساهمتهم، لأحمد جبار، اكليك للنشر- الجزائر، الطبعة: الأولى، ٢٠١١م.

٧٧٥- المحيرات الفلكية، لعبد الرحيم الجعيري بدر، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي- الكويت، ١٩٨٤م .

٧٧٦- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٧٧٧- الفهرست، لأبى الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم(المتوفى: ٤٣٨هـ) ،المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧مـ

٧٧٨- القول في علم النجوم للخطيب، لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،درسه وحققه: الدكتور يوسف بن محمد السعيد، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٧٧٩- دور علماء المسلمين في تطوير المعاير الفلكية لدورتى الشمس والقمر، للدكتور: نزار محمود قاسم الشيخ، المؤتر الدولي الثانى في تاريخ العلوم عند العرب والمسلم، جامعة الشارقة–الإمارات،٢٠١٤ م

٧٨٠- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د خليل إبراهيم السامرائي - د عبد الواحد ذنون طه - د ناطق صالح مصلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠ م

٧٨١- حضارة الاسلام واثرها في التقي العالمي، لجلال مظهر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٩٠٥م.ة العرب وأوروبا، للويس يونغ، ترجمة ميشيل أزرق، دار الطليعة للنشر والتوزيع–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م.

٧٨٢- دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، لعبدالرحمن بدوى، دار الآداب-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م.

٧٨٣- دراسات في تاريخ الفكر العربي، لخليل إبراهيم السامرائي، جامعة الموصل-العراق، ١٩٨٣م.

٧٨٤- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي، لعبد المنعم ماجد، مكتبة الأنجلو المصرية-مصر، الطبعة: الأولى،٢٠١٠.

٧٨٥- العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ .

٧٨٦- مسند أبي يعلى، لأبى يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، مُسْنَدُ قَيْسِ بنِ سَعْدٍ، المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

٧٨٧- تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

٧٨٨- تاريخ الحضارة الإسلامية في الصور الوسطي، للدكتور: عبد المنعم ماجد، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م .

٧٨٩- المدينة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية، للدكتور: سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢م.

٧٩٠- الكندي فيلسوف العرب، للدكتور: أحمد فؤاد الأهواني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٧٩١- علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب : ديلاسي أوليري، ترجمة: د. وهيب كامل، راجعه: زكي علي، بإشراف وزارة التعليم العالي، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢م.

٧٩٢- كتاب القانون المسعودي، لمحمد بن أحمد البيروني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة:الأولى،١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م.

٧٩٣- دور العرب في تكون الفكر الأوربي، للدكتور: عبد الرحمن بدوي، مطبعة الأنجلو المصرية، الطبعة: الثانية، ١٩٦٧م.

٧٩٤- علم الطبيعة نشوءه ورقية وتقدمه الحديث، للدكتور: مصطفي نظيف، مطبعة مصر، ١٩٣٩م.

٧٩٥- شمس الله تسطع على الغرب = فضل العرب على أوروبا، للدكتورة/ سيجريد هونكة، ترجمة وحققه وعلق عليه: د. فؤاد حسنين علي، دار العلم العربي، الطبعة: الثانية، : ١٤٣٢ هـ.

٧٩٦- مذاهب وشخصيات الخوارزمي العالم الرياضي الفلكي، لمحمد عاطف البرقوقي وأبو الفتوح محمد التوانسي، الدار القومية للطباعة.

٧٩٧- اثر علماء العرب المسلمين في تطوير علم الفلك، للدكتور: علي عبدالله الدفاع، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٩٨- علم الفلك في التراث الإسلامي (القبل: الفلك في خدمة الإسلام)، لديفيد كينغ ، ترجمة: د. أحمد فؤاد باشا، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٣م.

٧٩٩- مقدمة في تاريخ العلم، لجورج سارتون، ترجمة: د. جلال موسى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٧م.

٨٠٠- نقد الفكر الديني، لصادق جلال العظم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الثانية،١٩٧٠م.

٨٠١- فتاوى اللجنة الدائمة(٣٢)جزءا، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، لأحمد بن عبد الرزاق الدويش، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٨٠٢- بيان حكم اختلاف المطالع والحساب الفلكي، لسامي وديع عبد الفتاح القدومي، دار الوضاح، عمان – الأردن الطبعة: الأولى.

٨٠٣- تربية ملكة الاجتهاد من خلال بداية المجتهد لابن رشد، لمحمد بولوز، إشراف: الدكتور أحمد البوشيخي، الرياض: دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.

٨٠٤- من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، للدكتور: زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٨٠٥- مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) لمحمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م

٨٠٦- حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن، لمحمد علي الصابوني، دار وحي القلم- دمشق، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م.

٨٠٧- تنبؤات نوستراداموس، لنوستراداموس، مكتبة مدبولي- القاهرة، الطبعة: الأولى،٢٠٠٠م.

٨٠٨- نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٨٠٩- بُطلانِ العملِ بالحسابِ الفلكيِّ في الصومِ والإفطارِ ، وبيانِ ما فيه مِنْ مفاسدَ ، ووجوبِ العملِ بالرؤيةِ الشرعيةِ الثابتةِ عن خيرِ البريَّةِ _ صلى الله عليه وسلم _ من أربعينَ وجهًا، لوائِلُ بنُ عَلِيٍّ الدِّسُوقِيّ، شاملة المجلس العلمي لشبكة الألوكة، الطبعة : الثالثة ، رمضان ١٤٣٠ هـ .

٨١٠- إرشاد أهل الملة في إثبات الأهلة، لمحمد بخيت المطيعي، مطبعة كردستان العلمية- مصر، ١٣٢٩ هـ.

٨١١- رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨١٢- التجريد لنفع العبيد = حاشية البجيرمي على شرح المنهج (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، لسليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: ١٢٢١هـ)، مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

٨١٣- الأزهر في ألف عام، لمحمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، عام ٢٠٠٩.

تاسعاً: كتب أهل الكتاب:

٨١٤- التوراة.

٨١٥- الانجيل.

عاشراً: الرسائل العلمية:

٨١٦- السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، لمحمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي، رسالة دكتوراة، كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة،١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٨١٧- النيابة عن الغير في التصرف القانوني، للدكتور/ جاسم لفته العبودي، رسالة دكتوراه ، ١٩٩٠م.
٨١٨- تطور علم الفلك في العصر العباسي الأول، للزهرة راجى بوخاري، رسالة ماجستير، شعبة التاريخ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، ١٤٣٩ -١٤٣٨هـ / ٢٠١٨ -٢٠١٧م.

الحادى عشر: المجلات والدوريات والمؤتمرات:

٨١٩- لم الاهتمام بالاستشراق ،لشكري النجار، مجلة الفكر العربي، ١٩٨٣م.
٨٢٠- مجلة المجمع العلمي، محمد كرد على، دمشق.
٨٢١- صورة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في عيون الاستتشراق الإيطالى(ددراسة في النشأة والتطور والامتداد)، لمحمد العمارتي، بحث ضمن مجلة دراسات استشراقية، ٢٠١٧م
٨٢٢- اسهامات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة-رؤية جديدة، لمحمد أحمد، كلية الآداب والعلوم الانسانية، مجلة دراسات تاريخية،٢٠١١م.
٨٢٣- عالمان عربي وغربي، محمد كرد على، مجلة المجمع العلمي العربي، ١٩٥٢م.
٨٢٤- مجلة مجمع الفقه الإسلامي، لمنظمة المؤتمر الاسلامي، جدة.
٨٢٥- منظمة المؤتمر الإسلامي، لمجلة مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ١٩٨٥م.
٨٢٦- مجلة مجمع الفقه الإسلامي، لمنظمة المؤتمر الاسلامي، جدة. .
٨٢٧- حول الفقه الإسلامي والفقه الروماني، لمحمد محسن البرازي: مجلة الرسالة، الصادر بتاريخ: (٢٩ يوليو ١٩٣٥ م)، السنة الثالثة: مجلة للآداب والعلوم والفنون، كانت تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر، القاهرة.
٨٢٨- الاستشراق والفقه الإسلامي، لمحمد الدسوقي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٩٨٧م
٨٢٩- القانون الساساني ومقارنته مع القانون الإسلامي، لعلى مظاهري، مجلة أفكار شيعة، باريس، ١٩٦٠م.
٨٣٠- مجلة الأحكام العدلية.

٨٣١- رمزية الموت والخلود في الشعر الجاهلي، لعبير جراد النوايسة ومحمد إبراهيم العديلة،(مجلد ٥٠)، المجلة:دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن،٢٠١٨م.

٨٣٢- في تركيب القبائل العربية قبل الإسلام، لكارلو ألفونسو نالينو ، مجلة النوفا أنتولوجيا ، السلسلة الثالثة، العدد ٤٧، (١٨٩٣م)

٨٣٣- اهتمام المستشرقين بالتراث السردي،مقالة، مجلة وادي الرافدين للدراسات القرآنية ،العدد٣/المجلدد٢، ٢٠٢٢م .

٨٣٤- الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد، لمحمود بن عبد الرحمن قدح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثالثة والثلاثون – العدد (١١١) ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٨٣٥- الدراسة الاستشراقيّة الفرنسيّة في المغرب من خلال "هنري دو كاستري"، لسليماني رضوان، مجلة : دراسات استشراقية، العدد : ٣٣، ٢٠٢٣م / ١٤٤٤هـ.

٨٣٦- دستور المدينة المنوّرة: قراءة في المضمون والوظيفة، لعماد الدين خليل، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ١٦، ٢٠٠١م.

٨٣٧- وحدة المصدر بين الرسالات السماوية الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام،لحسام محمد توني محمد ،مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، العدد ٣، المجلد ٣٨، ٢٠٢٠م.

٨٣٨- تيارات الفكر الإسلامي المعاصر، لمحمد محسن محمد محجوب، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، المجلد ٢١، ٢٠١٩م.

٨٣٩- سليمان، هيثم، وحاتسة أكتورك. «نظريات التفسير: القانون الإسلامي مقابل القانون الدولي». مجلة يلدرم بييازيت للقانون، العدد ١ (يناير ٢٠٢٤) .

٨٤٠- دراسة تحليلية بلاغية للقضيدة الزينبية للشاعر صالح بن عبد القدوس البصري (١٦٧هـ-٧٨٣م)، وموازنتها بقصيدة على بن أبي طالب، لمنى عبداله على فراج، جامعة الأزهر،مجلة حولية كلية اللغة العربية، العدد الثالث والعشرون، ج١٤٤١،٧هـ- ٢٠١٩م.

٨٤١- العصبة الأندلسية، المستشرق كارلو نلينو، ليوسف الخوري، مجلة الرسالة، العدد٨٦٨، ١٩٥٠م.

٨٤٢- إشكالات القانون الدولي الإنساني و جوابها من الفقه الإسلامي، لنبيل زياني، مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور بالجلفة كلية الحقوق و العلوم السياسية، المجلد ٢٠١٣، العدد ١٤ (٣٠ يونيو/حزيران ٢٠١٣).

٨٤٣- التأثير الإسلامي على الفكر الديني اليهودي..فرقة القرائين، مقال، لقاسم عبده قاسم، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب – دولة الكويت، ٢٠٢١م

٨٤٤- كارلو نللينو، لعلي محمود طه، مجلة الرسالة، العدد ٨٦٨، ٢٠-٢-١٩٥٠م

٨٤٥- المستشرق كارلو نلينو، مجلة الثقافة ،العدد٣٠، ١٩٣٩م

٨٤٦- النقد والتقدير للاستشراق في دراسة الإسلام،لعبدالفتاح، المجلد ٢٣، العدد ١، مجلة مدنية للدراسات الإسلامية، ٢٠١٩م

٨٤٧- الاستشراق والفقه الإسلامي،لمحمد الدسوقي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٩٨٧م

٨٤٨- مقال : في الدول الليبرالية، مجلة المؤرخ العربي، العدد٣٥ صـ٧١.

٨٤٩- مقال بعنوان : (الحوار.. مجادلة جادة لا مداهنة) أ.د. جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، العدد ١٩٠ ،جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ .

٨٥٠- مقال:المرأة من الأيدلوجيا إلى الإنسان، لمحمد بن علي المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٧٥٨، الخميس ٢٤ المحرم ١٤٢٧هـ فبراير ٢٠٠٦م،

٨٥١- مقال: الإنسانية والطائفية: صراع الأضداد، لعادل الطريفي، جريدة الرياض، العدد ١٣٧٥٤، الأحد ٢٠ المحرم ١٤٢٧هـ فبراير ٢٠٠٦م.

٨٥٢- مقال: فلسفة الولاء والبراء في الإسلام، ليوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد ١٣٥٤٦، الثلاثاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ يوليو ٢٠٠٥م.

٨٥٣- والمهمة المزدوجة للتشريع الجنائي الإسلامي، للدكتور/ جمال الدين محمود، مقال، مجلة التضامن الإسلامي، عدد ذو القعدة، ١٤٠٨هـ.

٨٥٤- دسائس طه حسين، مجلة الشهاب، ج ٣ م١١ ربيع الأول ١٣٥٤هـ، يونية ١٩٣٥

٨٥٥- صحيفة أبي الزبير المكي عن جابر – رضي الله عنه –، لصالح بن أحمد رضا، مجلة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة علمية محكمة، العدد الثامن،رجب ١٤١٣ هيناير ١٩٩٣ م

٨٥٦- التعرّف بالمفكر خليل عبدالكريم، لعبدالله عاشور، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، العدد٥١، ٢٠٢٣م.

٨٥٧- عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. المفكر الإسكتلندي (كارلايل): محمد أهم الأبطال،المجلة العربية، العدد (٥٧٦)، سبتمبر ٢٠٢٤ م- ربيع الأول ١٤٤٦ هـ.

٨٥٨- دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي،لسامي الصفار، الاستشراق والمستشرقين، مجلة المنهل، ١٤٠٩ هـ.

٨٥٩- الحقوق المدنية في العالم القديم ومنابعها الثابتة، لسعيد الغزي، مجلة المجمع العلمي العربي، ١٣٤٠هـ – ١٩٢٢م.

٨٦٠- الفقه الإسلامي في دراسات المستشرقين، د.بان حسين حسن السنجري، مجلة كلية البنات.

٨٦١- الفقه الإسلامي في دراسات المستشرقين، د.بان حسين حسن السنجري، مجلة كلية البنات.

٨٦٢- مجلة محكمة .

٨٦٣- عالمية اللغة العربية، لمحمد مصطفى بن الحاج، المجلة العربية للثقافة، ١٩٩٠م.

٨٦٤- مستجدات العصر ومظاهر التكامل المعرفي في التعامل الفقهي، لعبد الله الزبير عبد الرحمن، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية، المؤتمر العلمي العالمي الثاني، التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الكون، المحرّم ١٤٣٠هـ – يناير ٢٠٠٩م.

٨٦٥- المؤتمر القانوني المقارن الدولي الذي انعقد بمدينة (لاهاي) في دورته الثانية في جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ هـ/ ١٩٣٧ م،

٨٦٦- مجمع البحوث الإسلامية ، المؤتمر الثالث- القاهرة، المنعقد في الفترة من: (٣٠ سبتمبر إلى ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٦م)

الثانى عشر:المواقع الالكترونية:

٨٦٧- موقع مدينة سنتر.

٨٦٨- موقع جامع الكتب الإسلامية.
٨٦٩- موقع وزارة الأوقاف المصرية
٨٧٠- موقع شبكة الألوكة
٨٧١- الموسوعة الحرة، ويكيبيديا
٨٧٢- موقع الأمم المتحدة
٨٧٣- موقع حكمة يمنية
٨٧٤- موقع أدب.
٨٧٥- موقع جامع الكتب الإسلامية.
٨٧٦- موقع درر.
٨٧٧- موقع الوراق.
٨٧٨- موقع المعرفة.
٨٧٩- موقع تفسير للدراسات القرآنية.
٨٨٠- موقع المعرفة https://www.marefa.org/
٨٨١- الموقع الإخباري(بي بي سي عربي)
٨٨٢- موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات الأبحاث.
٨٨٣- موقع مجمع اللغة العربية بدمشق.
٨٨٤- موقع فلاسفة العرب
٨٨٥- موقع صوت العروبة، ٢٠١٨/٧/٨م.
٨٨٦- موقع صحيفة الشرق الأوسط، ٢٧ يوليو ٢٠٢٢ م .
٨٨٧- موقع الحصن للدفاع عن الإسلام والرد على الشبهات. https://www.alhesn.net https://www.alhesn.net
٨٨٨- موقع مسجد ابن رشد-جوته (Ibn Rushd-Goethe Moschee).
٨٨٩- موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت، ربيع الأول ١٤٣٣ هـ.

٨٩٠- موقع جامعة أم القرى.
٨٩١- موقع رصيف.
٨٩٢- موقع بوابة الشروق
٨٩٣- موقع المصري اليوم
٨٩٤- موقع الحوار المتمدن
٨٩٥- موقع الميادين نت
٨٩٦- موقع المهندس عبد الدائم الكحيل www.kaheel.com.
٨٩٧- موقع سكاى نيوز العربية
٨٩٨- موقع كتاب بديا.
٨٩٩- دور الأزهر الشريف في مواجهة ظاهرة التعصب، مجمع البحوث الإسلامية، بوابة الأزهر الإلكترونية، ٢٢-٢-٢٠١٧م.

الثالث عشر:الكتب الأجنبية:

900- Books, Times. "The Times comprehensive atlas of the world." (2007).
901- Nallino, C. A. (1946). Vita di Maometto: edizione postuma di due letture preparate per la stampa nel 1916. Istituto per l'Oriente.
902- Wellhausen, Julius. Reste Arabischen Heidentums. Berlin, 1897,
903- Fred M. Donner, The Early Islamic Conquests (Ch. I: “State and Society in Pre-Islamic Arabia”), Princeton University Press, 1981
904- W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca , Clarendon Press (Oxford), 1953
905- Crone, Patricia. Meccan Trade and the Rise of Islam. Princeton: Princeton University Press, 1987,
906- Muhammad: A Prophet for Our Time, 2006, HarperCollins,

907- Islam, Penguin Books, 1954,

908- London: Smith, Elder & Co, 1861, Vol. 2, , William Muir — The Life of Mahomet

909- Bell, Richard. The Origin of Islam in Its Christian Environment. London: Macmillan, 1925

910- Ignaz Goldziher, (Islamic Studies), Halle: Max Niemeyer Verlag, 1889, Vol. 2

911- W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina (Oxford: Clarendon Press, 1956),

912- Donner, Fred M. Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam. Cambridge: Harvard University Press, 2010,

913- Alfred Guillaume The Life of Muhammad: A Translation of Ibn Ishaq's Sirat Rasul Allah: Oxford University Press, 1955

914- Peters, F. E. Muhammad and the Origins of Islam. Albany: SUNY Press, 1994,

915- Wellhausen, Julius. Reste Arabischen Heidentums. Berlin: Reimer, 1897,

916- Edward W. Said, Orientalism (New York: Pantheon Books, 1978(

917- Fred M. Donner, Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2010(

918- Shoemaker, Stephen J. The Death of a Prophet: The End of Muhammad's Life and the Beginnings of Islam. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, ٢٠١١،

919- Armstrong, Karen. Muhammad: A Biography of the Prophet. London: Gollancz, 1991،

920- Horovitz, Joseph. Koranische Untersuchungen. Berlin: Walter de Gruyter, 1926

921- Horovitz, Joseph. Koranische Untersuchungen. Berlin: Walter de Gruyter, 1926

922- Donner, Fred M. Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2010,

923- Ignaz Goldziher, Muhammedanische Studien, Halle: Niemeyer, 1889

924- Horovitz, Joseph. Koranische Untersuchungen. Berlin: Walter de Gruyter, 1926

925- Fred M. Donner, Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam (Princeton: Princeton University Press, 2010),

926- Wellhausen, Julius. Muhammed in Medina (Berlin: Georg Reimer, 1882)

927- Goldziher, Ignaz. Muhammedanische Studien (Halle: Niemeyer, 1889),

928- Crone, Patricia. Meccan Trade and the Rise of Islam. Princeton: Princeton University Press, 1987, especially chapter “The Rise of Islam,” beginning around

929- Joseph Schacht, The Origins of Muhammadan Jurisprudence, Oxford: Clarendon Press, 1950 ،

930- Suleiman A. Mourad, War and Peace in the Medieval Islamic World, 622–1453, Smith College Studies in History, 2004 ،

931- Bonner, M. (2006). Jihad in Islamic history: Doctrines and practicePrinceton University Press

932- Berlin: Verlag von Reim Becker, C. H. (1924). Die Welt des Islams im Mittelalter

933- Patricia Crone & Michael Cook — Hagarism: The Making of the Islamic World 1977

934- Majid Khadduri,War and Peace in the Law of Islam, Johns Hopkins Press, Baltimore, 1955،

935- Edward J. Jurji, "The Islamic Theory of War," The Muslim World, Vol. 30, No. 4, 1940،

936- Geiger, Abraham Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen Bonn: F. Baaden, 1833 ؟،

937- Theodor Nöldeke. Geschichte des Qorâns. Göttingen. Dieterich.1860

938- Patricia Crone & Michael Cook Hagarism: The Making of the Islamic)Cambridge University Press, 1977،(World

939- Fred M. Donner, Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam (Harvard University Press, 2010 (

940- J. Wellhausen, "Muhammads Gemeindeordnung von Medina," in Skizzen und Vorarbeiten, vol. IV (Berlin: G. Reimer, 1889،(

941- Michael Lecker ,Muslims, Jews and Pagans: Studies on Early Islamic Medina , Islamic History and Civilization, vol. 13, E.J. Brill, Leiden, 1995،

942- Pasto, James. "Islam's 'Strange Secret Sharer': Orientalism, Judaism, and the Jewish Question."

943- Comparative Studies in Society and History, Vol. 40, No. 3 (July 1998),

944- Lecker, Michael. The "Constitution of Medina": Muhammad's First Legal Document. Academia/Princeton, 2004.

945- A. Guthrie & E. F. F. Bishop — The Paraclete, Almunhamanna and Aḥmad The Muslim World, Vol. 41, No. 4 (1951،(

946- Sean W. Anthony — Muḫammad, Menaḫem, and the Paraclete BSOAS, Vol. 79, No. 2 (2016

947- William Goldsack — Muhammad and the Bible: Being an Inquiry into the Allegation that Certain Passages in the Bible Foretell Muhammad | ، Christian Literature Society for India (Madras/Allahabad

948- Peters, F. E. Muhammad and the Origins of Islam. Albany, NY: State University of New York Press, 1994 ،

949- Stillman, Norman A. The Jews of Arab Lands: A History and Source Book. Philadelphia: Jewish Publication Society, 1979 ،

950- Reuven Firestone Journeys in Holy Lands: The Evolution of the Abraham–Ishmael Legends in Islamic Exegesis State University of New York Press, 1990

951- Fred M. Donner The Early Islamic Conquests, Princeton University Press, 1981،

952- Fred M. Donner, , Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam, Harvard University Press, 2010,

953- Fred M. Donner Narratives of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing Princeton University Press, 1998

954- Cook, David. Understanding Jihad. 2nd ed. Berkeley: University of California Press, 2015،

955- Peters, Rudolph. Jihad in Classical and Modern Islam: A Reader. Princeton: Markus Wiener Publishers, 2005،

956- Zilio-Grandi, Ida. “Maria Nallino (1908-1974) and the Birth of Arabic and Islamic Studies at Ca’ Foscari.” In 150 Years of Oriental Studies at Ca’

Foscari, edited by Laura De Giorgi and Federico Greselin, 85-94. Venice: Edizioni Ca' Foscari, 2018.

957- Hoyland, Robert G. In God's Path: The Arab Conquests and the Creation of an Islamic Empire. Oxford: Oxford University Press, 2015 ،

958- Wansbrough, John. Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation. Oxford: Oxford University Press, 1977 ،

959- Trans. C. R. Barber & S. M. Stern. London: Allen & Unwin, 1971

960- Wansbrough, John. Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation. Oxford: Oxford University Press, 1977،

961- William Muir — The Life of Mahomet, London: Smith, Elder & Co., 1858 ،

962- William Muir — The Life of Mahomet, London: Smith, Elder & Co., 1858 ،

963- Arthur, Jeffery The Quest of the Historical Muhammad The Muslim World, vol. xvi, Issue)October7(

964- Thomson R. W. Historical, commentary by James Howard -Johnston Assistance The Armenian History,attributed to Sebeos,translated, with notes, Liverpool,University Press,Oxford1998

965- Walter ,Emil Kaegi, Initial Byzantine Reactions to the Arab Conquest Cambridge University Press on behalf of the American Society of Church History, Church History, Vol 38 No. (Jun 1969(

966- .١٨٨٣. Calmann Lévy L'Islamisme et la science. Ernest Renan.

967- Lewis, Bernard. The Arabs in History. Oxford: Oxford University Press, 2002،

968- Rudi Paret, Mohammed und der Koran Kohlhammer Verlag
١٩٥٧.

969- University of Chicago Press, 1988, Bernard Lewis, The Political Language of Islam،

970- Meir Hatina & Meir Litvak ,Martyrdom and Sacrifice in Islam: Theological, Political and Social Contexts, I.B. Tauris, London / New York , 2017 ،

971- Jessica Sylvan Mutter, By the Book: Conversion and Religious Identity in Early Islamic Bilād al-Shām and al-Jazīra,(PhD). University of Chicago Press, 2018 ،

972- Meir Hatina & Meir Litvak ,Martyrdom and Sacrifice in Islam: Theological, Political and Social Contexts, I.B. Tauris, London / New York , 2017،

973- Goldziher, Ignaz. Muslim Studies Muhammedanische Studien

Blachère, Régis. Le Coran. Paris: Maisonneuve & Larose, 1966 ،

974- Muʿtazila. Brill: Leiden, Netherlands(. Brill Encyclopedia of Islam (EIEO ،٢٠١٢ ،

975- Nyberg, H. S Muʿtazila, in Shorter Encyclopaedia of Islam, ed. H. A. R. Gibb & J. H. Kramers Leiden: E. J. Brill, 1953،

976- Louis Massignon ,L es Origines du lexique technique de la mystique musulmane Paris, Vrin , 1922 ،

977- R. A. Nicholson A Literary History of the Arabs Cambridge University Press ١٩٠٧

978- Arthur Jeffery The Term Muʿtazila Journal of the American Oriental Society American Oriental Society,1936.

979- Goldziher, Ignaz. Vorlesungen über den Islam. Winter, Heidelberg, 1910 ،

980- Arthur Jeffery The Term Muʿtazila Journal of the American Oriental Society American Oriental Society,1936

981- Louis Massignon Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane, Vrin, Paris, 1922،

982- Nyberg, H. S Muʿtazila, in Shorter Encyclopaedia of Islam, ed. H. A. R. Gibb & J. H. Kramers Leiden: E. J. Brill, 1953 ،

983- Sarah Stroumsa, Freethinkers of Medieval Islam: Ibn al-Rāwandī, Abū Bakr al-Rāzī and Their Impact on Islamic Thought (Leiden and New York: Brill, 1999 ،(

984- John Wansbrough, Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (Oxford: Oxford University Press, 1977،(

985- Sarah Stroumsa, Freethinkers of Medieval Islam: Ibn al-Rāwandī, Abū Bakr al-Rāzī and Their Impact on Islamic Thought (Leiden and New York: Brill, 1999 ،(

986- Ernest Renan, Histoire des langues sémitiques (Paris: Hachette, 1878،(

987- Nalino, Luciano. La conoscenza del divino nell'Islam classico: Ibn Tufayl e la filosofia araba. Milano: Jaca Book, 1995 ،

988- Stroumsa, Sarah. Freethinkers of Medieval Islam: Ibn al-Rāwandī, Abū Bakr al-Rāzī and Their Impact on Islamic Thought. Leiden/New York: Brill, 1999

989- Gatteschi, Dominico. Manuale di diritto pubblico e privato ottomano. Alexandria, Egypt: 1856,

990- Hugues, Henri. Essai sur le droit musulman. Paris: 1874

991- Nallino, Carlo Alfonso. “Sul preteso influsso del diritto romano sul diritto musulmano.” Rivista degli Studi Orientali 14 (1932)

992- Pollock, F., & Maitland, F. W. (1898). The history of English law before the time of Edward I (Vol. 2). The University Press.

993- Plucknett, T. F. T. (2001). A concise history of the common law. The Lawbook Exchange, Ltd..

994- Jenks, E. (1938). A Short History of English Law... London.

995- Makdisi, J. A. (1998). Islamic Origins of the Common Law, The. NCL rev ، ١٦٣٥.

996- Gaudiosi, M. M. (1987). Influence of the Islamic Law of Waqf on the Development of the Trust in England: the Case of Merton College. U. Pa. L. Rev

997- Makdisi, G. (1985). The Guilds of Law in Medieval Legal History: An Inquiry into the Origins of the Inns of Court. Clev. St. L. Rev.

998- Makdisi, G. (1974). The scholastic method in medieval education: An inquiry into its origins in law and theology. Speculum, 49(4

999- Snouck Hurgronje, Christiaan. Le Droit Musulman et le Droit Civil. The Hague: Mouton, 1913

1000- Thomas W. Arnold, The Preaching of Islam: A History of the Propagation of the Muslim Faith (London: Constable, 1913 (

1001- Snouck Hurgronje, Christiaan. Le Droit Musulman et le Droit Civil. The Hague: Mouton, 1913

1002- Nöldeke, Theodor. Geschichte des Qorans. Leipzig: Dieterich’sche Verlagsbuchhandlung, 1909

1003- Duncan B. Macdonald, Development of Muslim Theology, Jurisprudence, and Constitutional Theory (New York: Charles Scribner's Sons, 1903(

1004- Thomas W. Arnold, The Preaching of Islam: A History of the Propagation of the Muslim Faith (London: Constable, 1913(

1005- Nöldeke, Theodor. Geschichte des Qorans Leipzig: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung, 1909

1006-)Aly Mazahéri, le droit sassanide comparé au droit musulman, dans la Pen- sée Chi'ite, Paris, No7, janvier,1961 ،

1007- Schacht, Joseph. An Introduction to Islamic Law. Oxford: Oxford University Press, 1964

1008- Hugues, Henri. Essai sur le droit musulman. Paris: Imprimerie de Paris, 1874،

1009- Coulson, Noel J. A History of Islamic Law. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1964 ،

1010- Josef van Ess,Theologie und Gesellschaft, Band I, Berlin: De Gruyter,

1011- Claude. Gauvard, de Libera, A., & Michel. Zink. (2002). Dictionnaire du Moyen Âge. Presses Universitaires de France.

1012- - Ménager, L. R. (1969). La législation sud-italienne sous la domination normande. I Normanni e la loro espansione in Europa. Settimane di Studio del Centro Italiano di Studi sull'Alto Medioevo

1013- FW, Maitland. The Forms of Actions at Common Law. 1965.

1014- Luig, K. (1977). AWB Simpson, A History of the Common Law of Contract. The Rise of the Action of Assumpsit. Zeitschrift der Savigny-Stiftung für Rechtsgeschichte: Germanistische Abteilung, 94(1)

1015- Makdisi, J. A. (1998). Islamic Origins of the Common Law, The. NCL rev., 1635.

1016- AILLET, Cyrille. John Tolan Le saint chez le sultan: la rencontre de François d'Assise et de l'islam. Huit siècles d'interprétation Paris, Éd. du Seuil, 2007,

1017- In: Annales. Histoire, Sciences Sociales. Cambridge University Press, 2008.

1018- Udovitch, A. L. (2011). Partnership and profit in medieval Islam. Princeton University Press.

1019- Gibb, H. A. R. Islam: A Historical Survey. Oxford: Oxford University Press, 1953.

1020- Massé, Henri. L'Islam. Paris: Presses Universitaires de France, 1932,

1021- Shaw, George Bernard. "If Any Religion Had the Chance …" The Genuine Islam, (1936).

1022- Suleıman, Haitam, and Hatice Aktürk. "Theories of Interpretation: Islamic Law v. International Law." Yıldırım Beyazıt Hukuk Dergisi no. 1 (January 2024)

1023- Margoliouth, David Samuel. The Origins of Arabic Poetry. London: Royal Asiatic Society, 1925.

1024- Le Bon, Gustave. La civilisation des Arabes. Paris: Firmin-Didot, 1884,

1025- Donaldson, Dwight M. The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Irak. London: Luzac & Company, 1933,

1026- Hitti, Philip K. History of the Arabs. London: Macmillan, 1951

1027- ook, Michael. Muhammad. Oxford: Oxford University Press, 1983

1028- Kremer, Alfred von. Geschichte der herrschenden Ideen des Islams. Leipzig: Fues's Verlag, 1868,

1029- Margoliouth, D. S. Early Development of Mohammedanism. London: Williams and Norgate, 1914,

1030- Cook, Michael. The Kharijites and the Civil Wars in Early Islam. London: Cambridge University Press, 1983

1031- Kennedy, Hugh. The Early Abbasid Caliphate: A Political History. London: Croom Helm, 1981,

1032- Madelung, Wilferd. The Succession to Muhammad: A Study of the Early Caliphate. Cambridge: Cambridge University Press, 1997,

1033- Kremer, Alfred von. Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen. Vol. 1. Leipzig: Brockhaus, 1875,

1034- A. F. L. Beeston, "Arabic Literary Works," in The Cambridge History of Arabic Literature: Arabic Literature to the End of the Umayyad Period, ed. A. F. L. Beeston et al. (Cambridge: Cambridge University Press, 1983),

1035- Reynold A. Nicholson, A Literary History of the Arabs (Cambridge: Cambridge University Press, 1930),

1036- Reynold A. Nicholson, A Literary History of the Arabs (Cambridge: Cambridge University Press, 1930),

1037- Kremer, Alfred von. Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen. Leipzig: Brockhaus, 1875,

1038- Gustav Flügel, Geschichte des arabischen Altertums (Leipzig: Brockhaus, 1865),

1039- D. S. Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam (London/New York: G. P. Putnam's Sons, 1905),

1040- Julius Wellhausen, The Arab Kingdom and Its Fall, trans. Margaret Graham Weir (Calcutta: University of Calcutta, 1927),

1041- e Bon, Gustave. La Civilisation des Arabes. Paris: Firmin-Didot, 1884

1042- Frazer, James George. The Golden Bough: A Study in Magic and Religion. London: Macmillan, 1922,

1043- Robertson Smith, William. The Religion of the Semites. London: Adam and Charles Black, 1907

1044- Hawting, Gerald R. The Idea of Idolatry and the Emergence of Islam. Cambridge: Cambridge University Press, 1999

1045- Gibb, H. A. R. Mohammedanism: An Historical Survey. Oxford: Oxford University Press, 1962,

1046- Rosenberg, M, Baldon, G, Russo, P, & Christensen, L. L. (2014). Astronomy in everyday life. Communicating Astronomy to the Public Journal, 14,

1047- Margoliouth, D. S. "The Origins of Arabic Scientific Literature." Journal of the Royal Asiatic Society (1894)

1048- Saliba, George. Islamic Science and the Making of the European Renaissance. Cambridge, MA: MIT Press, 2007

1049- Nallino, Carlo Alfonso. Scritti Scelti. Vol. 1. Rome: Istituto per l'Oriente, 1948,

1050- Torrey, C. C. "The Jewish Foundation of Islam." Harvard Theological Review 13, no. 3 (1920)

1051- Margoliouth, D. S. "The Early Development of Arabic Scientific Literature." Journal of the Royal Asiatic Society (1894)

1052- Saliba, George. Islamic Science and the Making of the European Renaissance. Cambridge, MA: MIT Press, 2007

1053- Torrey, C. C. "The Jewish Foundation of Islam." Harvard Theological Review 13, no. 3 (1920)

1054- Margoliouth, D. S. "The Origins of Arabic Scientific Literature." Journal of The Royal Asiatic Society, 1894

1055- King, David A. Early Islamic Astronomy. London: Variorum, 1983,

1056- Nicholson, Reynold A. A Literary History of the Arabs. Cambridge: Cambridge University Press, 1930

1057-

1058- Wellhausen, Julius. Muhammad at Medina. Oxford: Clarendon Press, 1882.

1059- Pages: 324–327

1060- Karen Armstrong, Muhammad: A Prophet for Our Time (London: HarperCollins Publishers, 2006), 15.

1061- Theodor Nöldeke, Geschichte des Qorans (Leipzig: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung, 1860), 9–15.

1062- H. A. R. Gibb, Modern Trends in Islam (Chicago: University of Chicago Press, 1947), 34.

1063- Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998, , 3–5. 23–27.

1064- Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998, , 3–5. 23–27.

1065- Renan, Ernest. Averroès et l'averroïsme: essai historique. Paris: Michel Lévy frères, 1861.p54

1066- Kurzman, Charles, ed. Liberal Islam: A Sourcebook. New York: Oxford University Press, 1998. 23–27.

1067- Laborde, Cécile. Liberalism's Religion. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2017, 45–60.

1068- Bork, Robert H. Slouching Towards Gomorrah: Modern Liberalism and American Decline. New York: Regnery Publishing, 1996, 120–150.

1069- Nietzsche, Friedrich. Beyond Good and Evil: Prelude to a Philosophy of the Future. Translated by Walter Kaufmann. New York: Vintage Books, 1989, §§1–2, pp. 11–13.

1070- Renan, Ernest. L'Avenir de la science: Pensées de 1848. Paris: Calmann Lévy, 1890, 247–249.

1071- Jung, Dietrich. Islam in Global Modernity: Sociological Theory and the Diversity of Islamic Modernities. Wiesbaden: Springer, 2023, 161–195.

1072- MacIntyre, Alasdair. After Virtue: A Study in Moral Theory. 2nd ed. Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1984, 109

1073- Al-Azmeh, Aziz. Islams and Modernities. London: Verso Books, 1996, 45–60.

1074- MacIntyre, Alasdair. After Virtue: A Study in Moral Theory. 2nd ed. Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1984, 109

1075- Schacht, Joseph. Introduction to Islamic Law. Oxford: Clarendon Press, 1964, 180–185.

1076- Hallaq, Wael B. The Impossible State: Islam, Politics, and Modernity's Moral Predicament. Cambridge: Cambridge University Press, 2013, pp. 38–45.

1077- Higham, Nicholas J., and Martin J. Ryan. The Anglo-Saxon World. Yale University Press, 2013. p. 7

1078- Richard M. Hogg, ed. The Cambridge History of the English Language: Vol 1: the Beginnings to 1066 (1992)

1079- Hamerow, Helena. Rural Settlements and Society in Anglo-Saxon England. Oxford University Press, 2012. p166

1080- Goldziher, Ignaz, Muhammedanische Studien, vol. 1, pp. 1–60; see also Introduction to Islamic Theology and Law, pp. 44–70.

1081- Le Bon, Gustave. La Civilisation des Arabes. Paris: Ernest Flammarion, 1884, p. 488.

1082- Hirsi Ali, Ayaan. The Caged Virgin: An Emancipation Proclamation for Women and Islam. New York: Free Press, 2006. pp 187

1083- Noel J. Coulson, A History of Islamic Law (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1964), 123.

1084- Le Bon, Gustave. The Psychology of Peoples. London: Macmillan, 1896, pp. 310–312.

1085- Renan, Ernest. Histoire des Origines du Christianisme et de l'Islam. Vol. 2. Paris: Hachette, 1883, pp. 145–147.

1086- Coulson, Noel J. A History of Islamic Law. London: Oxford University Press, 1964, pp. 112–113.

1087- Le Bon, Gustave. The Psychology of Peoples. London: Macmillan, 1896, pp. 310–312.

1088- Wellhausen, Julius. The Arab Kingdom and Its Fall. London: Luzac & Co., 1901, pp. 15–20.

1089- Coulson, Noel J. A History of Islamic Law. London: Oxford University Press, 1964, pp. 112–113.

1090- Margoliouth, D. S. The Origins of Arabic Poetry. London: Oxford University Press, 1925, pp. 1–5.

1091- Nicholson, Reynold A. A Literary History of the Arabs. Cambridge: Cambridge University Press, 1907, pp. 76–85.

1092- Coulson, Noel J. A History of Islamic Law. Edinburgh (City of Edinburgh, Scotland): Edinburgh University Press, 1964, pp. 112–113.

1093- Sarton, George Alfred Leon, cited in Charles and Dorothea Singer, George Sarton and the History of Science, Isis, vol. 48, no. 3 (Sep. 1957): 308.

1094- Sarton, George Alfred Leon, cited in Charles and Dorothea Singer, George Sarton and the History of Science, Isis, vol. 48, no. 3 (Sep. 1957): 308.

فهرس الموضوعات



الدكتور

عبد الرحمن محمود محمود سرحان

مواليد 11 يناير 1991

محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: abdulrahmansarhan0@gmail.com

المؤهلات والخبرات

باحث بجامعة الأزهر الشريف

عضو المنظمة العالمية لخريجي الأزهر الشريف

دكتوراه (الدعوة والثقافة الإسلامية-الصحة النفسية-التربية الخاصة)

محاضر مؤسسي (واعظ) بمجمع البحوث الإسلامية – الأزهر الشريف

مجيز في القرآن الكريم والسنة النبوية بدار القرآن "فهم – حفظ – تطبيق"

مساعد لدى باحثي الرسائل العلمية (ماجستير ودكتوراه) بمراكز الأبحاث العلمية.

محاضر دورات (دبلومة الصحة النفسية – دبلومة التربية الخاصة) بمراكز تنمية المهارات.

عضو اتحاد المعالجين النفسيين العرب

استشاري أول صحة نفسية بالمراكز النفسية

المؤلفات الدينية

١. س و ج في معرفة أحكام الدين – (منشور).

٢. فقه الدعوة في تفسير التحرير والتنوير – (رسالة ماجستير – تحت الطبع).

٣. المختصر المفيد في علم التجويد – (منشور).

٤. مائة خطبة وخطبة – (تحت الطبع).

٥. قضايا الإسلام في كتابات المستشرقين – (رسالة دكتوراه - (منشور).

المؤلفات التربوية

٦. كيف تعدل سلوك ابنك؟ – (رسالة دكتوراه – منشور).

٧. كيف تختبر ذكاء ابنك؟ – (منشور).

٨. البرنامج المهني في التربية الخاصة – (رسالة ماجستير – تحت الطبع).

المؤلفات النفسية

٩. البرنامج النفسي الديني لرفع الشعور بالرضا عن الحياة لدى المسنين في دور الرعاية – (رسالة ماجستير – تحت الطبع).

١٠. البرنامج المهني في الصحة النفسية – (رسالة دكتوراه – تحت الطبع).

للحجز والاستفسار يرجي الاتصال علي

للاستشارات الدينية يرجي التواصل عبر الواتساب

002 \ 01111 28 9 70 9

للاستشارات النفسية يرجي التواصل عبر الواتساب

002 \ 012 27 0 26 27 8